



جميع الحقوق محفوظة

Copyright ©
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة
تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزئاً أو تسجيله على
أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو
برمجته على استوائيات صوتية إلا بموافقة
الناشر خطياً.

Exclusive Rights by
Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be
translated, reproduced, distributed in any
form or by any means, or stored in a data
base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Droits Exclusifs à
Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle
ou morale d'éditer, de traduire, de
photocopier, d'enregistrer sur cassette,
disquette, C.D, ordinateur toute
production écrite, entière ou partielle,
sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رئيس الطبع: شريك البعشر، بتأليف ملكيات
مؤلف: هادي - ٣٧٧٧٧٧ - ٣٧٧٧٧٧ (١١١)
صندوق بريد - ١١٠١١١ - بيروت - لبنان

Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah

Beirut - Lebanon

Rue Al-Zarif, Bekoury St, Helwan Bldg, 1st Floor
Tel & Fax: (06 761 1) 37 65 42 - 36 41 33 - 34 43 98
PO Box: 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah

Beirut - Lebanon

Rue Al-Zarif, Bekoury St, Helwan Bldg, 1st Floor
Tel & Fax: (06 761 1) 37 65 42 - 36 41 33 - 34 43 98
P.O. 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-2706-3



9 782745 127063

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydaan@al-ilmiyah.com

سورة الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الحشر مدنية وآياتها أربع وعشرون) سورة الحشر قال البقاعي وتسمى سورة النصر مدنية بالاتفاق وكذا آياتها أربع وعشرون بالاتفاق.



قوله تعالى: سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

قوله: ﴿سبح لله﴾ [الحشر: ١] قد تقدم وجه جعله ماضياً في أوائل سورة الحديد وكرر الموصول هنا تنبيهاً على استقلال كل من الموجودين بالتسبيح ولم يثن عليه في سورة الحديد لظهوره والنكته مبنية على الإرادة ونفس السموات والأرض داخلية في ﴿ما في السموات وما في الأرض﴾ [الحشر: ١] كما في آية الكرسي.

قوله: (روي أنه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بني النضير على أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا إنه النبي المنعوت في التوراة بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكة وحالفوا أبا سفيان فأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم محمد بن مسلمة أخا كعب من الرضاعة بقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصروهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا أكثرهم إلى الشام ولحققت طائفة بخيبر والحيرة فأنزل الله ﴿سبح لله﴾ [الحشر: ١] إلى قوله: ﴿والله على كل شيء قدير﴾ [الحشر: ٦] روي أنه الخ قيل هذا الحديث أصله في السير إلا أنه ليس بهذا اللفظ قال ابن حجر لم يوجد مسنداً في كتب الحديث المعتبرة وفيه مخالفة لما ثبت في الرواية كما سنبينه لك انتهى ففيه نقل الحديث بالمعنى وفيه مقال وشرط بين في محله النضير بوذن فعيل وبنو النضير قوم من يهود خيبر وكذا بنو قريظة وهم خلفاء قبيلة الأوس وبنو النضير خلفاء الخزرج فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل

سورة الحشر

مدنية وآياتها أربع وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾ [الحشر: ١] هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر.

وتخريب الديار وإجلاء أهلها قوله على ألا يكونوا له أي على ألا يكونوا له ناصرين وعلى ألا يكونوا لعدوه ناصرين والصلح بالنظر إلى الشق الثاني قوله فلما ظهر أي غلب عليه السلام على كفار قريش فلما هزم المسلمون الخ وفي هذا التعبير مراعاة للأدب حيث قال أولاً فلما ظهر ثم قال فلما هزم المسلمون والهزيمة صوري لا حقيقي قوله ارتابوا وشكوا أنه عليه السلام في أنه النبي المبعوث في التوراة لفرط خذلانهم فإن هذا أمانة عظيمة لصدقه عليه السلام كما دل عليه قصة هرقل حيث قال إن شأن النبي قد يكون غالباً وقد يكون بحسب الظاهر خلافة قوله كعب بن الأشرف وجل من بني نبهان من طي وأمه من بني النضير وكان شاعراً أكثر في أذية المسلمين وهجائهم والإغراء بهم ولذا أمر النبي عليه السلام بقتله ولعله قتله بامر يكون سبب قتله شرعاً كاستلزام هجوه عليه السلام أمراً بوجوب القتل ومخالفة أبي سفيان المعاهدة على إضراره عليه السلام واتفاقهم في محاربته قوله وهو محمد بن مسلمة بفتح الميم كذا في الكشف ولعلهما اطلعا عليه فلا اعتبار لإنكار البعض الغيلة بكسر الغين المعجمة القتل بالحيلة من حيث لا يحتسب فعلة من الاغتيال ثم صيغهم بالكتائب أي بالعساكر وفي كلمة ثم دلالة على أنه بعد قتل كعب فإن قتله كان قبل أحد وهذا يعدها بأشهر والحيرة اسم بلد معروف وهو بكسر الحاء فانزل الله تعالى : ﴿سبح لله﴾ [الحشر: ١] والتصدير بالتسبيح للتنزيه عن العجز عما ذكر بعده .

قوله تعالى : **هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ بَيْتِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنْهُمْ لَمَنْعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْنَاهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يحتسبُوا وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمْ الرُّعْبُ يُخْرَجُونَ يُؤْتِيهِمْ يَأْتِيهِمْ وَيَأْتِي الْمُؤْمِنِينَ قَاعَتُهُمْ يَأْتِيهِمْ يَأْتِيهِمْ** (أي في أول حشرهم) إشارة إلى أن اللام للتوقيب كما في قولهم كتبت لعشر

خلون من شهر كذا أي مضيئ ومآله إلى معنى في إذ الوقت ظرف وظاهر كلامه أنها بمعنى في لكن قيل إنهم لم يقولوا إنها بمعنى في إشارة إلى أنها لم تخرج عن أصل معناها وإنها للاختصاص لأن ما وقع في وقت اختص به دون غيره من الأوقات وفيه ما فيه إذ تفسيره يناسب ما ذكرناه قوله لأن ما وقع الخ أمر جلي لكن لا يقتضي ذلك بقاءه على أصل معناه لأن قوله ضمناً في رمضان يقتضي أن يكون الصوم في ذلك الوقت .

قوله : (أي في أول إخراجهم من جزيرة العرب إذ لم يصيبهم هذا الذل قبل ذلك) أي في أول إخراجهم من جزيرة العرب هذا القيد لبيان الواقع لا للاحتراز كما يدل عليه قوله إذ لم يصيبهم هذا الذل وهذا المعنى للأول لا يقتضي الآخر وقد مر تحقيقه في قوله تعالى :

قوله : أي في أول حشرهم من جزيرة العرب روى الزجاج عن الخليل أنه قال جزيرة العرب معدنها ومسكنها وإنما سمي بها لأن بحر الحيرة وبحر فارس والفرات ودجلة قد أحاطت بها وهي أرضها ومعدنها قوله فقتله غيلة في النهاية الغيلة أن تخدع وتقتل في موضع لا يراه فيه أحد والغيلة فعلة من الاغتيال .

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى﴾ [الدخان : ٣٥] من سورة الدخان وجزيرة العرب معظم ديارهم المعروفة من اليمن إلى الشام والعراق وسميت جزيرة لأنها بين البحر الهندي وبحر الشام ودجلة والفرات وتعيينها مذكور في تحرير البلدان وتقويم الأقاليم ولا يتعلق الغرض بتعيينها وما ثبت في بعض كتب اللغة أن الجزيرة الأرض التي بين البحر سميت جزيرة لكونها منقطعة عن سائر الأرض وتسمية الشام ونحوه جزيرة للمجاورة أو للمساحة وكذا تسمية الدجلة والفرات بحراً مساحاً.

قوله : (أو في أول حشرهم للمقتال) فالحشر بمعنى الجمع أي جمع أهل الكتاب للمقاتلة مع المسلمين فإنهم لم يجتمعوا له قبله فمعنى الإخراج الإخراج من بيوتهم إلى المعركة وهذا بناء على وقوع قتال منهم والظاهر من سوق النظم الكريم عدمه إلا أن يقال الجمع للمقاتل لا يستلزم الوقوع ولهذا التحمل في الإخراج والجمع للمقاتل أخره فلا ينافي قوله تعالى : ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ [الحشر : ٢] الآية ويجوز أن يقع القتال منهم أولاً ثم قذف في قلوبهم الرعب فلا منافاة أيضاً والأولية أيضاً بمعنى عدم المسبوقية.

قوله : (أو الجلاء إلى الشام وآخر حشرهم إجلاء عمر رضي الله عنه إياهم من خيبر إليه) أو الجلاء إلى الشام هذا هو المناسب لما ذكره في سبب النزول أولاً وما عداه فليس بملاتم له تدبر قوله وآخر حشرهم أي بقيتهم إذ المراد أولاً جلاء أكثرهم كما صرحه أولاً قوله إليه أي الشام وأريحا يعد من الشام وفي بعض الروايات إلى أريحا فلا منافاة.

قوله : (أو في أول حشر الناس إلى الشام وآخر حشرهم إليه فإنهم يحشرون إليه عند قيام الساعة فتدركهم هناك)^(١) أول حشر الناس فاللام في الحشر للجنس فحينئذ يكون المضاعف إليه جنس الناس وما قبله بناء على أن اللام للعهد والمضاف إليه أهل الكتاب خاصة وهو المناسب لما ذكر في سبب النزول وأما كونه للجنس فلا يلائمه قال المحشي يعني مع قطع النظر عن كون المحشور خصوص بني النضير انتهى والظاهر أن هذا المعنى لا يناسب قوله تعالى : ﴿هو الذي أخرج الذين﴾ [الحشر : ٢] الآية إذ المراد بالموصول الثاني أهل الكتاب في زمنه عليه السلام ومقتضى هذا الكلام أن حشر جنس الناس إلى الشام وقع في زمنه عليه السلام وبني النضير منهم وفيه تأمل ولو أريد بهذا الجنس بنو النضير كما فهم من كلام المحشي لكنه عبر بالجنس ليحسن مقابلته بقوله وآخر حشرهم الخ لكان بعيداً من الفهم لأنه مع كون المحشورين متغايرين لا يكونون ممن الذين في زمنه عليه السلام والكلام فيه.

قوله : (أو أن نأراً تخرج من المشرق فتحشروهم إلى المغرب والحشر إخراج جمع من مكان إلى آخر) أو أن نأراً وهذا من أشراف الساعة عطف على قوله : فإنهم يحشرون

(١) قوله هناك يعني بالشام وخيبر فتدركهم راجع إلى قيام الساعة.

والكلام فيه مثله فيما قبله وبالجمله لا يظهر لنا وجه هذا الكلام في تحقيق هذا المرام وعلى كل تقدير إسناد الإخراج إليه تعالى مجاز عقلي .

قوله : (لشدّة بأسهم ومنعهم) بفتحتين جمع مانع بمعنى الجنود .

قوله : (أي إن حصونهم تمنعهم من بأس الله) أي إن حصونهم تمنعهم أشار إلى أن حصونهم فاعل مانعهم وإن اسم الفاعل بمعنى المستقبل قوله من بأس الله بتقدير المضاف أو بيان حاصل المعنى .

قوله : (وتغيير النظم وتقديم الخير وإسناد الجمله إلى ضميرهم) وتغيير النظم أي كان الظاهر بالنظر إلى ظاهر الحال أن يقال وظنوا إن حصونهم تمنعهم وتقديم الخير وهو مانعهم على المبتدأ وهو حصونهم كما نهينا عليه أولاً وإسناد الجمله وهي جملة مانعهم حصونهم .

قوله : وتقديم الخير وإسناد الجمله إلى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة يعني أن مقتضى الظاهر أن يقال إن حصونهم مانعهم فغير عنه إلى أن جعل اسم إن أنفسهم وقدم خبر المبتدأ على المبتدأ وجعل الجمله خبر أن وجه دلالة تقديم الخير على هذا المعنى إفادته أن ليس لحصونهم صفة سوى المنع لإفادة التركيب الحصر والتخصيص أو إفادته الاهتمام بشأن المنع وأما وجه دلالة إسناد الجمله إلى ضميرهم عليه هو إفادته أن أنفسهم منعوا الحصون معروفون به مع ما فيه من تكرار الإسناد قال صاحب الفرائد وليس يبدل بل حصونهم مرتفعة بمانعهم لأن اسم الفاعل إذا كان معتمداً عمل وهو خير إن مع مرفوعها وكذا عن صاحب الكشف وتعرض إليه القاضي رحمه الله هنا بقوله ويجوز أن يكون حصونهم فاعلاً لمانعهم قال صاحب الفلك الفائر أن حصونهم لا يرتفع بأنه مبتدأ كما ظنه إلا على وجه ضعيف والصحيح أنه فاعل مانعهم فمانعهم اسم فاعل معتمد على ما قبله لأنه في الحقيقة خبر المبتدأ فيعمل فيما بعده عمل الفعل نحو زيد قائم أبوه وكذا عن صاحب الكشف وقال الطيبي رحمه الله صاحب المعاني لا ينظر إلى أصل المعنى ثم إلى فائدة عدوله عن أصله ولا شك أن أفعال القلوب من دواخل المبتدأ والخبر وإن الأصل ظنوا أن لا يخرجوا لقوله ﴿ما ظننتم أن يخرجوا﴾ [الحشر : ٢] بناء على قوله : ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا﴾ [الحشر : ٢] لطابق ما قبله بإيقاع الناصبة للفعل بعدها فغوّلت لتؤدّن بأن ظن المؤمنين كان على الرجاء والطمع وظنهم على العلم واليقين فعلم من التأسيس أن بناء أمرهم على الجزم والثبوت ثم في المرتبة الثانية ظنوا أن حصونهم تمنعهم نظراً إلى كلام أوساط الناس ثم لما أريد التأكيد قيل ظنوا أن حصونهم مانعهم لإرادة الثبوت في الدرجة الثانية ثم في المرتبة الثالثة ظنوا أنهم مانعهم حصونهم لإفادة التخصيص وإن ليس لحصونهم صفة سوى المنع وإليه الإشارة بقوله دليل على فرط وثوقهم لحصانتها ثم في المرتبة الرابعة ظنوا أنهم مانعهم حصونهم ليتقوى الحكم لإفادة تكرير الإسناد وهو المراد من قوله دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة وإن لم يرد ما ذكر فما بال التركيب لم يشرك على أصله وهو فظنوا أن لن يخرجوا وأما قوله إن حصونهم لا يرتفع بأنه مبتدأ كما ظنه إلا على وجه ضعيف فيقال إن صاحب المعاني له اختيار الوجه الضعيف عند التحري لاعتبار المعنى القوي ألا يرى إليهم كيف حملوا قوله رجل عرف

قوله: (للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة بسببها) للدلالة على فرط وثوقهم فالظن بمعنى العلم كما يدل عليه قوله واعتقادهم وجه الدلالة هو لما في التقديم من الاختصاص أو الاهتمام.

قوله: (ويجوز أن يكون حصونهم فاعلاً لماعتهم) لاعتماده على المبتدأ مرضه وأخره لانتهاء الدلالة المذكورة بحسب الظاهر قيل قوله واعتقادهم الخ نشر على ترتيب اللف فتقدير المسند يفيد قصر المسند إليه على المسند فإن معنى قائم زيد إن زيدا مقصور على القيام لا يتجاوز به إلى القعود وفيه نظر لأنه إن أريد الكلية فغير مسلم وإلا فغير مفيد ثم قيل وتكرر الإسناد يفيد تقوى الحكم فإن قلت كيف يتكرر الإسناد مع اختلاف المسند إليه قلت تكرر الإسناد كما يكون من جهة المسند إليه قد يكون من جهة غيره كما تقول ضربت زيدا ثم زيد ضربته فالثاني قد تكرر فيه الإسناد وقوي فيه الحكم قاله الطيبي ولا ريب في أن زيد ضربته لم يتكرر الإسناد لأن جملة ضربته وإن أسند إلى زيد لكن ضرب وحده لم يسند إليه بل أسند إلى ضمير الخطاب فلا يكون مثل زيد ضرب وتعميم الإسناد إلى النسبة مع كونه مخالفاً لقولهم إن الإسناد أخص لا يفيد أيضاً لأن ضرب واقع عليه لا منسوب إليه بالنسبة ولو غير تام اللهم إلا أن يقال إن زيدا ضربته قدم المفعول لأنه المقصود واعتنوا به ولم يقنعوا به حتى أزالوه عن الفضلة وجعلوه ركن الجملة فبرفعوه بالابتداء وصيروا جملة ضربته خبراً له كما نقل ذلك عن ابن جني فضمير ضربته لكونه راجعاً إلى المبتدأ في قوة المسند إليه فيتكرر الإسناد بهذا الوجه لكنه غير متعارف بينهم فإن صح هذا يكون هذه قاعدة مستخرجة من القوة إلى الفعل ففيما نحن فيه اسم إن في أنهم قدم للاهتمام ثم جعل مسنداً إليه وأزيل عن كونه فضلة وجعل ركن الجملة قوله لماعتهم وإن لم يسند إلى الضمير لكنه في حكم الإسناد لكونه راجعاً إلى المسند إليه فيتم ما ذكره الشيخان والله المستعان ولم يلتفت إلى كون ماعتهم مبتدأ وحصونهم خبراً له لأن إضافته لفظية فلا يفيد التعريف فحينئذ يلزم الإخبار عن النكرة بالمعرفة وهذا ليس من المواضع التي جوز سيويه فيها الإخبار عن النكرة بالمعرفة مع انتفاء الدلالة على القصر.

قوله: (أي عذابه وهو الرعب والاضطرار إلى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين أي فأتاهم نصر الله) أي عذابه لا بد هنا من تقدير المضاف لكن في التعبير المذكور تهويل عظيم وإتيان العذاب مستعار لحصوله إذ الإتيان من خواص الأجسام وكذا الكلام في الوجه

على التقديم بناء على اللغة الضعيفة وهو أكلوني البراغيث والنحوي لا يشبهه وإلى قول المرزوقي في قوله:

وإن لم يكن إلا معرج ساعة قليلاً فإني نافع لي إلى قليلها
إن قليلها مبتدأ ونافع خبر يقدم عليه والتقدير فإن قليلها نافع لي فسلك أبو مسلم في هذه الآية هذا المسلك قوله نكاية وتوسيعاً من نكات الفرحة فشرتها ونكات في العدو نكاه وفي لغة أخرى نكيت في العدو ونكاية ونكيت العدو إذا قتلت فهم وجرحته.

الثاني ومرضه لأن فيه تفكيك الضمير إذ الضمائر المذكورة لأهل الكتاب فلا يصار إليه مع ظهور الوجه الخالي عن التفكيك على أنه يفهم من ذلك لأن إتيان عذاب الله إياهم نصر للمؤمنين فيه كثير فائدة .

قوله : (وقرىء فاتاهم أي العذاب أو النصر) فاتاهم من الأفعال فيبتعدى إلى المفعولين والثاني إما العذاب أو النصر لف ونشر على الوجهين والضمير الفاعل لله تعالى والفاء للتعقيب والسببية لأن ظنهم المذكور لاستلزامه الاغترار سبب للإتيان المزبور .

قوله : (لقوة وثوقهم) سبب عدم احتسابهم العذاب كلمة من ابتدائية والابتداء في مثله معنوي وحيث للتعليل لكونه سبباً في الجملة وفي الكشف من حيث لم يظنوا أو لم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف عزة على يد أخيه وذلك مما أضعف قلوبهم وقل شوكتهم ولم يتعرض لذلك لكونه خلاف ما فهم من قوله : ﴿وظنوا أنهم مانعتهم﴾ [الحشر : ٢] الآية فإنه يدل على أن وثوقهم على حصونهم لا على رئيسهم ولذا اكتفى بقوله لقوة وثوقهم أي اعتمادهم على حصونهم وإنهم في عزة ومنعة بسببها .

قوله : (وأنبت فيها الخوف الذي يربعها) أصل القذف الرمي بقوة أو من بعيد هذا في الحسي حقيقة وفي المعقولة استعارة مثل قولهم قذف المحصنات وهنا أيضاً استعارة للإثبات ليفيد قوة الإثبات والإحداث وشدة الثبوت ولذا عبر عن الخوف بالرعب الذي هو الخوف الشديد وذكر القلوب للتأكيد ودفع توهم التجوز في الخوف ورميه .

قوله : (أي يملؤها) إشارة إلى ما ذكر من أن الرعب أخص من الخوف وأنه شدة الخوف ويسبب شدته يملأ القلوب ملاً معنوياً .

قوله : (يخربون بيوتهم بأيديهم ضناً بها على المسلمين وإخراجاً لما استحسنا من آلائها) يخربون حكاية الحال الماضية قوله ضناً بها أي حقداً ناشئاً من حسد والمراد بالآئها مثل الخشب والعمد ونحوهما ولا يبعد التعميم إلى الآلات المعروفة .

قوله : (فإنهم أيضاً كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعاً لمحال القتال وعطفها على بأيديهم من حيث إن تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه) فإنهم أيضاً أشار إلى أن في التنظيم الكريم مبالغة وصرح به ثانياً بقوله وعطفها على بأيديهم المشعر بأنها آلة لأهل الكتاب في تخريب بيوتهم وليس كذلك بل هم يخربون ظواهر بيوت اليهود بأيديهم قوله من حيث إن تخريب المؤمنين نية على أن الأفعال بمعنى التفعيل وقد فرئ بالتفعيل قوله فكأنهم استعملوهم فيه إشارة إلى الاستعارة شبه كونهم سبباً لتخريب المؤمنين بكونهم مخربين بأيدي المسلمين في حصول التخريب فيكون التخريب بأيدي المؤمنين استعارة في تخريب المسلمين بسبب نقضهم قوله نكاية أي لأجل النكاية وهي فعل ما يغيظهم أشد الغيظ .

قوله : (والجملة حال أو تفسير للرعب) أي جملة يخربون حال من ضمير قلوبهم أي حال مقدرة أو محققة باعتبار البقاء أو تفسير للرعب فيه مسامحة لأن التخريب ليس عين

الرعب بل مسبب عنه يدل عليه التفسير بالالتزام وتكلفه آخره أو استئناف كأنه قيل كما حالهم بعد ثبات الرعب وتفرره.

قوله: (وقرأ أبو عمرو يخربون بالتشديد وهو أبلغ لما فيه من التكثير وقيل الإخراب التعطيل أو ترك الشيء خراباً والتخريب الهدم) لما فيه من التكثير أي في الفعل أو في المفعول وهو المناسب وأما كونه للفاعل فلا يناسب المقام فلا فرق بين الإخراب والتخريب إلا بإفادة التكثير والسكوت عنه وقيل في الفرق بينهما الإخراب التعطيل أي جعله معطلاً عن السكان أو تركه خراباً بعد كونه خراباً والتخريب الهدم مرضه أما أولاً فلأن ما ثبت في أكثر كتب اللغة عدم الفرق وأن الإخراب جعل الشيء خراباً بالهدم بناء على أن الهمزة للتعدية كالتخريب وأما ثانياً فلأن ما اعتبر في الإخراب لا يلزم هنا إذ المراد الهدم كما دل عليه بأيديهم الخ فلا مساغ لما ذكره في الإخراب والقول بأن مراده بيان الفرق مع قطع النظر عما نحن فيه بعيد.

قوله: (فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله) فاتعظوا بحالهم معني الاعتبار فلا تغدروا أي فلا تنقضوا العهد كما غدروا بنو النضير ولا تعتمدوا على غير الله تعالى كما اعتمد هؤلاء السفهاء على حصونهم فغشيتهم من العذاب ما غشيتهم فإن فعلتم مثل ذلك عوبتكم كذلك إذ الاشتراك في السبب يوجب الاشتراك في المسبب.

قوله: (واستدل به على أن القياس حجة من حيث إنه أمر بالمجاورة من حال إلى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قرئناه في الكتب الأصولية) على أن القياس أي القياس الشرعي الجامع لشروطه حجة يظهر به الحكم في المقيس وهو من الأدلة الشرعية والمستدل بها أكثر أهل الأصول رداً على أصحاب الظواهر في نفي القياس كما فصل في كتب الأصول وجه الاستدلال إنا أمرنا بالاعتبار والاعتبار رد الشيء إلى نظيره بأن يحكم عليه بحكمه للاشتراك في العلة وإليه أشار بقوله من حيث إنه أمر بالمجاورة الخ وكما التخصيص في أصول الفقه.

قوله تعالى: وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهمْ فِي الدُّنْيَا وَهمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ

النَّارِ ﴿٣﴾

قوله: (ولولا أن كتب الله) أن مصدرية أي ولولا كتب الله وكونها مخففة واسمها

قوله: (واستدل به على أن القياس حجة الخ قال الواحدي يعني الاعتبار والنظر في الأمور ليعرف بها شيء آخر من جنسها والمعنى تذكروا وانظروا فيما نزل بهم يا أهل القلب والعقل والبصائر قال الراغب العبرة ما يعبر به من الجهل إلى العلم ومن الحس إلى العقل وأصله من عبور النهر ومنه العبارة لأنها جعلت كالمعبر لتأدية المعنى من نفس القائل إلى نفس السامع وخص التعبير بنفس الرؤيا قوله أوائل الأخير وهو ما هو معد لهم في الآخرة من عذاب النار المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿ولهم في الآخرة عذاب النار﴾ [الحشر: ٣].

ضمير الشأن بعيد وإن أوهمه كلام الكشف حيث قال فلو أنه كتب الخ لكنه نقل عن الرضي أنه صرح بعدم صحته الآن يقال إن كلامه ليس بحجة عليه تقديم عليهم للاهتمام به.

قوله: (الخروج من أوطانهم) تفسير للجلاء والإجلاء الإخراج من أوطانهم والمكتوب الميث في اللوح الخروج لكن لا مطلقاً بل بسبب الإخراج كما دل عليه قوله: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا﴾ [الحشر: ٢] الآية والمراد الخروج على وجه شنيع بتخريب البيوت والاحتياج إلى القوت.

قوله: (لعذبهم) جواب لولا الامتناعية.

قوله: (بالقتل والسي) كما فعل بيني قريظة) لكن العذاب بالإجلاء أكبر منه وأشد من القتل.

قوله: (استئناف ومعناه أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة) استئناف بياني كأنه إن نجوا في الدنيا من العذاب فما حالهم في الآخرة فأجيب بذلك والأولى إن تجعل حالاً بالتأويل لأنه يفيد أنهم معذبون في الدارين والمعنى لعذبهم في الدنيا مقضياً عليهم بأن لهم في الآخرة عذاب النار.

قوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾

قوله: ﴿ذلك بأنهم﴾ [الحشر: ٤] الآية) بسبب مشاققتهم لهما أي عداوتهما ومشاققة الله تعالى مجاز والمراد مشاققة أوليائه والمفاعلة هنا للمبالغة لا للمغالبة إذ إطلاق العداوة على المحقق غير ظاهر واشتقاقه من الشق بكسر الشين بمعنى الجانب لأن كلا من المتعاندین في شق خلاف شق الآخر ومن يشاق الله تقرير للتعليل المتفهم من قوله بأنهم شاقوا الخ أو وعيد بما أعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا على بعض الوجوه وهو الوجه الأول.

قوله: (الإشارة إلى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا يصدده وما هو معد لهم) أوله بما ذكر لكون المشار إليه متعدداً.

قوله: (أو إلى الأخير) فلا يحتاج إلى التأويل بما ذكر وصيغة البعد للتنبيه على شدة المشار إليه.

قوله تعالى: مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَحْشَتْهَا فَلَا طَمَعًا عَلَى أَصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَيُخْرِجُ الْفَرِيقَيْنِ ﴿٥﴾

قوله: (أي شيء قطعتم من نخلة) أشار إلى أن ما شرطية ولذا فسرهما بأي شيء فإن

أي شرطية لا موصولة إذ الشرطية تناسب التعميم إلى المقطوع وغيره وإن حمل على القطع في المستقبل فالشرطية متعينة لا غير قوله من نخلة معنى لينة.

قوله: (فعله من اللون وتجمع على ألوان) فعلة من اللون فيأوها مقلوبة من الواو لكسرة ما قبلها وتجمع على ألوان دليل على أنها واوي فهي على هذا الوجه النخلة مطلقاً وقيل الفحل منها وقيل ما عد العجوة والبرنية وهما أجودها وقيل أجودها مطلقاً.

قوله: (وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها ألين) وقيل من اللين لا من اللون ومعناه أي على هذا الاحتمال أو على الاحتمالين وفي الكشف وقيل اللينة النخلة الكريمة ففيه أقاويل كثيرة فالأولى عدم التعيين فإن كان المراد النخلة الكريمة فقطعها لغيظهم وإن كان غير الكريمة فقطعها لإبقاء الأحسن للمسلمين ولكل وجهة لكن الأولى حمل القطع على غير الكريمة.

قوله: (الضمير لما وتأنثه لأنه مفسر باللينة) الضمير لما باعتبار تحققها في ضمن فرد آخر.

قوله: (وقرىء على أصلها اكتفاء بالضمه عن الواو أو على أنه كرهن) وقرىء على أصلها بضميتين أو على أنه كرهن بضميتين فلا حذف ولا تخفيف والأول هو الراجح إذ جمع أصل أصول وكونه أصلاً غير متعارف.

قوله: (فيأمر الله) أي فقطعها بأمر الله كما في الكشف ليكون الجواب جملة والامر هو رسول الله عليه السلام لكن أمره لما كان بأمر الله تعالى قال: ﴿فبإذن الله﴾ [الحشر: ٥] فالخطاب للأصحاب.

قوله: (علة لمحذوف أي وفعلتم) والواو داخل على ذلك المحذوف معطوف على ما

قوله: فعلة من اللون وهو النخلة من الألوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما أجود النخل ويأوها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالدبة وفي الصحاح والعجوة ضرب من أجود التمر بالمدينة ونخلتها تسمى لينة وفيه البرني ضرب من التمر وفي المعالم واختلفوا في اللينة فقال قوم النخل كلها لينة ما خلا العجوة وهو قول عكرمة وقاتدة وعن ابن عباس قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقطع نخلهم إلا العجوة وأهل المدينة ما خلا العجوة من التمر الألوان وواحدها لون ولينة وقال الزهري هي ألوان النخل كلها إلا العجوة والبرنية وقال مجاهد وعطية هي النخل كلها من غير استثناء.

قوله: أو على أنه كرهن يعني في قراءة أصلها بترك الواو وجهان الأول أن يكون الأصل أصولها حذف الواو اكتفاء بالضمه والثاني أن يكون هكذا بغير الواو جمع أصل كرهن في جمع رهن.

قوله: علة لمحذوف قال صاحب الانتصاف والظاهر أن إذن الله عام في القطع والإبقاء لأنه جواب الشرط المتضمن بها جميعاً فيكون تعليل إجراء الفاسقين بها جميعاً فقطعها يحشرهم على ذهابها والترك يحشرهم على بقائها للمسلمين.

قبله وهو فعلتم وهو وإن كان عين المعطوف عليه ذاتاً لكنه مغاير مفهوماً وهذا كاف في حسن العطف.

قوله : (أو أذن لكم في القطع لتخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه) أو أذن لكم الخ أي الفعل المحذوف فعل الله وهو أذن لكم المفهوم من فيأذن الله فيكون المفعول له فعلاً لفاعل الفعل المعلل دون تقدير فعلتم قوله على فسقهم أي على كفرهم أو على معاصيهم المنضم إلى الكفر أو على عصيانهم مع كفرهم ولعل لهذا عبر بالفاسقين دون الكافرين والمفهوم منه وليعز المطيعين ولم يذكر لأن ما ذكر مشعر به ولم يعكس لأن الغرض الأصلي أخزاهم ولذا قال بما غاظهم منه كون القطع مما غاظهم ظاهر وأما الترك فلا أنه نصرف المسلمين في أملاكهم حيث شاؤوا.

قوله : (روي أنه عليه الصلاة والسلام لما أمر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخل وتحريقها) لما أمر بقطع نخيلهم هذا دليل على ما ذكر من أن المراد من أمر الله أمر الرسول عليه السلام.

قوله : (فتزلت) ردأ عليهم بأنه عليه السلام إنما أمر بذلك بإذن الله فعلم أن الخطاب للمؤمنين بقوله : ﴿ما قطعتم﴾ [الحشر : ٥] إلى ﴿فيأذن الله﴾ [الحشر : ٥] مع أنه معلوم لهم لرد توهم الكافرين بأنه إنما فعله من تلقاء نفسه وتعرض لهم كأنه قيل ما قطع المسلمون نخلكم أيها الكفار إلا بإذن الله لحكمة دعت إليه ومن جملته إحداث الغيظ والتحرق بما فات من النعم وكسر شوكتهم قوله زيادة لغيظهم إشارة إلى بعض ما ذكرناه.

قوله : (واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع أشجارهم زيادة لغيظهم) والمستدلون الفقهاء والحاصل أنه إن علم بقاءه في يد أهل الحرب فالتخريب والتحريق أولى وإلا فالإبقاء أولى ما لم يتضمن التخريب مصلحة راجحة ولعل بيان قطعهم أولاً وتركهم ثانياً إشارة إلى ذلك التفصيل كما نبه عليه هناك قولهم فما بال قطع النخل وتحريقها يستفاد منه أن تحريق النخل وقع منهم لكنه لم يذكر للاكتفاء بالقطع لأنهما متساويان في الإهلاك والإخراج عن الانتفاع وإن كان التحريق فوق القطع قيل وأما التعرض للترك مع أنه ليس بفساد فلتقرير عدم كون القطع فساداً لأنظمه في سلك ما ليس بفساد إذناً بتساويهما في عدم الفساد انتهى وقد عرفت فائدته وكونه باعث الغيظ وإن القطع ما ليس بكرامة والترك إبقاء الأحسن للمسلمين.

قوله : (روي أنه عليه الصلاة والسلام لما أمر الخ روي عن الترمذي عن ابن عباس في قول الله تعالى : ﴿ما قطعتم من لينة﴾ [الحشر : ٥] الآية قال أمروا بقطع النخيل فقال المسلمون قد قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً فلنستأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من أجر وهل علينا فيما تركنا من وزر فانزل الله تعالى : ﴿ما قطعتم من لينة﴾ [الحشر : ٥] الآية وروى الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عمر.

قوله تعالى: وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾

قوله: (وما أعاده عليه بمعنى صيره له أو رده عليه فإنه كان حقيقة بأن يكون له لأنه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به إلى طاعته فهو جدبر بأن يكون للمطيعين) وما أعاده عليه أشار إلى أن الفيء الرجوع ومنه فيء الظل فالفيء لا يقال إلا للراجع منه فإطلاقه على الغنيمة على الاستعارة لأنها مشابه له في عدم المشقة فقوله ما أعاده تنبيه على أصل معناه ولذا قال بمعنى صيره له أي جعله له إذ الإعادة إنما هي بالجعل فذكر المقيد وأريد المطلق قوله أو رده فحينئذ يكون الإعادة على حقيقته ومع ذلك أخره لأن كونه بمعنى الرد يحتاج إلى التمثل كما قال فإنه كان حقيقة له وقوع في أيدي الكفرة منهم ثم رده عليه فنزل كونه جديراً بأن يكون له منزلة كونه في يده وبهذا التكلف صح معنى الإعادة والرد وأشار بقوله ما أعاده إلى أن ما موصولة واحتمال الشرطية ضعيف لأنه يستلزم عدم قطع حصول الغنيمة مثل إفادة الموصولية قوله للمطيعين إشارة إلى أن تخصيصه بالذكر لكونه إمام المطيعين فالمراد عامة المطيعين ويدل عليه ما بعده فمن خص به عليه السلام قال رئيس المطيعين فهو أحق به ولا يلائم هذا ما بعده فلا تغفل.

قوله: (من بني النضير أو من الكفرة) أي مرجع ضمير منهم الكفرة مطلقاً سواء كانوا بني النضير أو غيرهم لأن المطلق مذكور في ضمن المقيد لكن الظاهر هو الأول ولذا قدمه.

قوله: (فما أجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير) فما أجريتم على تحصيله بتقدير المضاف في عليه إذ الإجراء ليس على نفس ما أفاء الله تعالى بل على تحصيله وهو سرعة السير فالإيجاف الجعل سريعاً في السير على أن الهمزة للتعدي.

قوله: (ما يركب من الإبل غلب فيه كما غلب الركب على راحبه) ما يركب الخ أشار إلى أن من صلة غلب فيه بالغلبة التحقيقية وإن كان عاماً في أصل وضعه جميع ما يركب من الخيل والبغال والحمير أيضاً لكن المراد هنا الإبل خاصة لأنها آلة الجهاد كالخيل إلا أنه في الخيل أتم ولذا قدم.

قوله: (وذلك إن كان المراد في بني النضير فلأن قراهم كانت على ميلين من

قوله: فما أجريتم على تحصيله أي كما أجريتم على تحصيله ذلك الفيء وتغنمه خيلاً ولا ركاباً ولا تعيتم في القتال عليه ولكن مشيتم إليه على أرجلكم والمعنى أن ما حول الله ورسوله من أموال بني النضير لم يحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالأمر في ذلك مفوض إلى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بضعه حيث يشاء يعني أنه لا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها وأخذت عنوة وفهراً وذلك أنهم طلبوا القسمة فنزلت قوله.

المدينة فمشوا إليها رجالاً غير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فإنه ركب جملأ أو حمارأ ولم يجر مزيد قتال) وذلك أي عدم إجراء الخيل قوله أو حمارأ لا يلائم ما ذكر في النظم الكريم ولم يجر أي لم يقع مزيد قتال وإنما وقع من المقاتلة شيء يسير ولذا قيد بمزيد قتال .

قوله : (ولذلك لم يعط الأنصار منه شيئاً) ولذلك أي ولغيرها من المدينة لم يعط الخ وأما المهاجرون فلكونهم غرباء نزل غربتهم بمنزلة السفر للجهاد أو لكونهم فقراء كما سيجي فلا إشكال بأن الدليل جار في المهاجرين مع تخلف المدعي .

قوله : (إلا ثلاثة كانت بهم حاجة) وهم أبو دجانة وسماك بن حنيف والحرث بن الصمة كما في الكشف قيل والذي في السير كما في سيرة سيد الناس أنهما اثنان بدون ذكر الحرث وأنه أعطى سعد بن معاذ سيفاً لابن أبي الحقيق كان له ذكر عندهم والمصنف اختار ما في الكشف لكن لم يصرح اسمهم إما لعدم تعلق الغرض به أو لعدم اليقين بذلك .

قوله : ﴿ولكن الله﴾ [الحشر : ٦] الآية استدراك من قوله : ﴿فما أوجفتم عليه﴾ [الحشر : ٦] إذ حاصل المعنى ما سلطتم عليهم بإيجاف خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء وإنما جمع الرسل ليكون دليلاً لتسليط رسولنا على بني النضير كأنه قيل ولكن الله يسلط رسوله عليهم لأن عادته جرت على تسليط رسله على من يشاء فلا حق لكم في أموالكم إلا بإعطاء الرسول عليه السلام وعن هذا قال : ﴿وما أفاء الله على رسوله﴾ [الحشر : ٧] ولم يقل وما أفاء الله عليكم وبهذا البيان ظهر فائدة هذا الإخبار إذ المقصود به إفادة أنه لا حق لكم في أموالهم فوضع العلة موضع المعلول .

قوله : (يهدف الرعب في قلوبهم) أي المراد بالتسليط جعله غالباً عليهم في المقاتلة بل تسليط خاص وهو إلقاء الرعب والخوف الشديد من الرسول حتى طالبوا الصلح بدون قتال معتد به فوقع الصلح بالجملاء إلى الشام .

قوله : لم يعط الأنصار منه شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت لهم حاجة وهم أبو دجانة وسماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة قال محيي السنة في المعالم ذكرنا في سورة الأنفال حكم الغنيمة وحكم الفية إن ملأ الفية كان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في حياته يضعه حيث يشاء فكان يتفق منه على أهله نفقة ستنهم ويجعل ما بقي حيث يجعل مال الله واختلف أهل العلم في مصرف الفية بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال قوم هو للأئمة بعده وللشافعي فيه قولان أحدهما هو للمقاتلة والثاني لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالأهم فالأهم من المصالح واختلفوا في تخميس مال الفية فذهب بعضهم إلى أنه يخمس فخمس لأهل خمس الغنيمة وأربعة أخماسه للمقاتلة أو للمصالح وذهب الأكثرون إلى أنه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب يضم ﴿وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ [الحشر : ٧] حتى بلغ للفقراء ﴿والذين جاؤا من بعدهم﴾ [الحشر : ١٠] ثم قال استوعب المسلمين عامة وقال ما على وجه الأرض مسلم إلا له في هذا الفية حق إلا ما ملكت أيما نكم إلى هنا كلامه .

قوله: (فيغفل ما يريد تارة بالوسائل الظاهرة وتارة بغيرها) بالوسائل الظاهرة كالجنود وحربهم مع الكفار وتارة بغيرها كقذف الرعب كما وقع هنا وجملة ﴿والله على كل شيء﴾ [الحشر: ٦] الخ تذييلية مقررة لما قبلها إعادة اسم الجلال لتربية المهابة.

قوله تعالى: مَا آفَاهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآلِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾

قوله: (بيان للأول ولذلك لم يعطف عليه).

قوله: (اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد) فقيل بسدس بيان الاختلاف في تقسيم الفيء قدمه لأنه الأصح عنده فيصرف سهم الله إلى ما ذكره لكمال اختصاصها به تعالى قيل وصرفها إلى العساكر هو الأصح عند الشافعي والظاهر من بيان المصنف خلافه.

قوله: (وقيل يخمس لأن ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول إلى الإمام على قول وإلى العساكر والثغور على قول وإلى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسة كالغنيمة فإنه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الأخماس الأربعة كما يشاء) وقيل يخمس إذ المصارف خمسة لأن ذكر الله تعالى للتعظيم أي للتعظيم الرسول عليه السلام للتنبيه على أن سهم الرسول في حرمة الغلول والخيانة ووجوب الاحتراز عنه أو للتعظيم هؤلاء المذكورين من عياده المخلصين للإشعار بأنهم واجب الاحترام والإكرام قوله وقيل يخمس خمسة فيصرف إلى هؤلاء المذكورين ويصرف الأخماس الأربعة الباقية حيث شاء عليه السلام من مصارف بيته وغيرها وهذا القول لا يوافق ظاهره النظم الكريم إذ الخمس ليس بمذكور هنا كما في الغنيمة فالقياس مع الفارق.

قوله: (والآن على الخلاف المذكور) يعني في التخميس كما ذكره المصنف آنفاً من صرف سهمه عليه السلام إلى الإمام وإلى العساكر والثغور أو مصالح المسلمين والمراد بذوي القربى بنو هاشم وعبد المطلب وقيل بنو هاشم وحده والتفصيل في سورة الأنفال فعلم من هذا البيان أن معنى ما آفاه الله على رسوله ليس بمعنى أنه تمليك له بل لا حق لكم أيها الحاضرون ففي هذه الآية الكريمة بين مصارفه إثر بيان أنه آفاه على رسوله بلا مقاتلة معتد بها ومن غير أن يكون للمقاتلين حق وأنت خير بأن الكلام فيما آفاه الله على رسوله من أهل القرى أي من أهل خيبر خاصة فكيف يقال إنه اختلف في قسم الفيء إلى قوله والآن على الخلاف المذكور والجواب أن الاختلاف ليس في ذلك الفيء بل مطلق الفيء المفهوم من هذه الآية ولذا قال اختلف في قسم الفيء ولم يقل اختلف في ذلك فلا تغفل.

قوله: (أي الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء وقرأ هشام في رواية بالناء) أي الفيء الذي أي مطلق الفيء لا الفيء المذكور المأخوذ من أهل خيبر فقط.

قوله: (الدولة ما يتداوله الأغنياء ويدور بينهم) تفسير للتداول.

قوله: (كما كان في الجاهلية) من أخذ رؤسائهم الغنائم دون الفقراء وهو معمول ليدور.

قوله: (وقرىء دولة بفتح الدال بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم) قدر المضاف ليصح الحمل على الفيء فإنه ليس عين التداول بل صاحب التداول.

قوله: (أو أخلة غلبة تكون بينهم) معنى آخر للدولة بضم الدال معطوف على قوله ما يتداوله الخ أشار أولاً إلى أن الدولة بمعنى الأموال والعقار وثانياً أنه بمعنى الأخذ قهر أو ما ذكره من قوله وقرىء دولة كالجملية المعترضة لكن لا يظهر لطفه فالأولى تأخيرها عن قوله أو أخلة غلبة.

قوله: (وقرأ هشام دولة بالرفع على كان التامة أي كيلا يقع دولة جاهلية) تفسير للأغنياء في قوله بين الأغنياء لأن المراد بهم الأغنياء مثل ما كان في الجاهلية كما مر.

قوله: (وما أعطاكم من الفيء) وهو المناسب لما قبله ولذا قدمه.

قوله: (أو من الأمر فخذوه) وهو الموافق لما بعده نقل عن الراغب أنه قال الإتياء مخصوص بدفع الصدقة في القرآن ودعوى الكلية مشككة ولذا جوز الشيخان كون المراد الأمر مفرد الأوامر وجوز كون واحد الأمور فيتناول الفيء أيضاً لكن الظاهر الأول ولذا استدلل العلماء بهذه الآية على وجوب اتباع ما أمر به الرسول وهو المناسب لما بعده وهذا يتناول الفيء أيضاً إذ الإعطاء يستلزم الأمر بأخذ ما أعطاه قليلاً كان أو كثيراً قليلاً كان أو شريعاً.

قوله: (لأنه حلال لكم أو فتمسكوا به لأنه واجب الطاعة) لأنه حلال لكم لف ونشر مرتب قوله لأنه واجب الطاعة وهذا كالصريح في كون المراد بالأمر واحد الأوامر وإن الأمر للوجوب هذا إذا لم يوجد قرينة على خلافة (عن أخذه أو عن إتيانه عنه).

قوله: (واتقوا الله) كالغذلة لما قبله.

قوله: (في مخالفة رسوله) وهذا القيد من مقتضيات المقام.

قوله: (لمن خالفه) فإن من خالفه فقد خالف الله تعالى فهو جملة تذييلية مفرقة لما قبله.

قوله تعالى: **لِلْفَقَرَةِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْرُوهَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴿٨﴾

قوله: (يدل من لذي القرى وما عطف عليه فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يسمى فقيراً) قوله فإن الرسول الخ تعليل عدم التعميم إليه عليه السلام ويؤيده قوله تعالى:

قوله: لأنه حلال لكم أو فتمسكوا به لأنه واجب الطاعة لف ونشر وكذا.

قوله: فيما يعيد هذا عن أخذه منه أو عن إتيانه.

قوله: فإن الرسول عليه السلام لا يسمى فقيراً هذا جواب عن سؤال يرد على جعل للفقراء.

﴿وينصرون الله ورسوله﴾ [الحشر : ٨] وما اشتهر من قوله الغفر فخري إلا أصل له ويتضح وجه عدم التعبير بالمساكين لأنه عليه السلام قال اللهم أحيني مسكيناً الخ .

قوله : (ومن أعطى أغنياء ذوي القربى خصص الإبدال بما بعده أو الفيء بفيء بني النصير) ومن أعطى أغنياء ذوي القربى أي ومن ذهب إلى جواز إعطاء الفيء إلى أغنياء ذوي القربى خصص الإبدال بما بعده أي بما بعد ذوي القربى بدليل لاح له أن أغنياء ذوي القربى مثل فقراهم يستحقون الفيء وهذا مذهب الشافعي رحمه الله تعالى واشترط إمامنا أبو حنيفة رحمه الله تعالى الغفر في ذوي القربى فجعله بدلاً من ذوي القربى وما بعده كما قرره المصنف والعجب أنه ذكر أولاً مذهبا كأنه اختاره ثم ذكر مذهبه بقوله ومن أعطاه الخ ولم يصرح بكونه مذهبه والكل خلاف عادته والله أعلم بمراده وكمال التوضيح في فن

بدلاً من لذوي القربى وما عطف عليه دون قوله سبحانه ﴿قلله وللرسول﴾ [الحشر : ٧] والحال أن المعطوف داخل في حكم المعطوف عليه فيستلزم الإبدال منه الإبدال من ﴿قلله وللرسول﴾ [الحشر : ٧] ويلزم منه أن يسمى الرسول عليه السلام فقيراً وحاصل الجواب أن الدليل أخرجه عليه الصلاة والسلام من أن يسمى فقيراً وهو أن الله تعالى رفع منزلته من ذلك ويدل على أن الرسول خارج عن الفقراء .

قوله : سبحانه ﴿وينصرون الله ورسوله﴾ [الحشر : ٨] فإنه لو كان داخلاً فيهم لم يصح .

قوله : ﴿وينصرون الله ورسوله﴾ [الحشر : ٨] ولا يلزم أن يكون الرسول ناصراً لنفسه وإنما اقتصر على الجواب عن جانب الرسول ﷺ وإن كان قوله سبحانه ﴿قلله﴾ [الحشر : ٧] داخلاً في حكم العطف بناءً على المعنى ﴿ما أفاء الله على رسوله﴾ [الحشر : ٧] فللرسول الخ وذكر الله للتبرك والتمهيد وأن الإبدال على ظاهر اللفظ خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل .

قوله : وأعطى أغنياء ذوي القربى خصص الإبدال بما بعده أي بما بعد ذوي القربى وهو اليتامى وما عطف عليه روى محيي السنة في سورة الأنفال أن النبي عليه الصلاة والسلام أعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله والخلفاء بعده كانوا يعطون الأغنياء ولا يفضلون الفقير على الغني قال صاحب التفرير وفي أن يكون بدلاً من الذي القربى نظر لأنه لا بد من اشتراط الفقر في ذوي القربى وليس بشرط قلبه بدلاً مما بعده وقال صاحب الانتصاف مذهب أبي حنيفة رحمه الله أن استحقاق ذوي القربى للفيء مشروط بالفقر ورد الشافعي رحمه الله على هذا المذهب بأن الله تعالى علق الاستحقاق بالقرابة ولم يشترط الحاجة فاشتراطها وعدم اعتبار القرابة يضاده واعتلر إمام الحرمين للحنفية بأن الصدقات لما حرمت على ذوي القربى كانت فائدة ذكرهم في خمس الفيء والغنائم أنه لا يمتنع صرف ذلك إليهم امتناع صرف الصدقات وقيل أيضاً رداً على الحنفية أن اشتراط الفقر فيهم زيادة على النص والنص مطلق لا مقيد أقول معنى التقييد مستفاد من الإبدال المذكور فلا يكون شرط الفقر زيادة على النص بل هو منصوص عليه بمفهوم البذل فقول القاضي رحمه الله ومن أعطى الخ يكون جواباً من قبل الحنفية .

قوله : أو الفيء بفيء بني النصير فإنه لا يختص بالفقير فإن ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويضحه حيث يشاء وذلك لأنه لم يملك عنوة وقهراً فلا يكون حكمه حكم سائر الغنائم .

الأصول وكتب الفروع قبل وابن السبيل الذي في وطنه مال لا يسمى فقيراً أيضاً نص عليه في التلويح وغيره انتهى فالمراد بابن السبيل المسافر الذي ليس في وطنه مال أو هو في حكم الفقير ما لم يصل إلى وطنه ويؤيده أنه يجوز صرف الزكاة إليهم.

قوله : (فإن كفار مكة أخرجهم وأخذوا أموالهم) أشار به إلى أن عامل أموالهم أخذوا لا أخرجوا فيكون من قبيل علفتها تبناً وماء بارداً كما سيجيء أو بيان حاصل المعنى فإن الإخراج عن الأموال أخذهم ففي قوله : ﴿للفقراء المهاجرين﴾ [الخشر: ٨] إشارة إلى زوال ملكهم عما خلفوا في دار الحرب وإن أهل الحرب إذا استولى معاذ الله تعالى أموال المسلمين ملكوها والمراد بالإخراج كونهم سبياً لخروجهم.

قوله : (حال مقيدة لإخراجهم) وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو الابتغاء مستقبل بالنسبة إلى الإخراج وإن كان ماضياً كالإخراج في نفسه.

قوله : (بما يوجب تفخيم شأنهم) أي المراد بالتفخيم الثناء عليهم بأنهم آثروا رضا الله تعالى والنعيم المؤبد على الدنيا الفانية الزائلة.

قوله : (وينصرون الله) أي وينصرون دين الله أو أوليائه عطف على ينتفون مدح آخر.

قوله : (بأنفسهم وأموالهم) أي جميعاً أو باحدهما والنصرة بأنفسهم بمباشرة قتال الأعداء وبأموالهم صرفها في الكراع والخيول والسلاح والإنفاق على المحتاجين.

قوله : (الذين ظهر صدقهم في الإيمان) بأمارات قوية وعلامات جليلة إذ التصديق أمر باطن وظهوره بالعلامات الباهرة فخرجهم عن الأوطان والأموال مع كونه أشد من القتل لم يؤثر فيهم ولم يحزنهم بل الابتغاء الفضل والرضوان يكون قرة أعينهم وهذا أمانة على كمال تصديقهم بخلاف من ليس كذلك فيصح الحصر العنقهم من تعريف الخبر وضمير الفصل أو الحاصل أن الحصر بالنظر إلى ظهور الصدق لا بالنظر إلى الصدق وصيغة البعد لزيادة التفخيم.

قوله تعالى : **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ نَفْسُهُ قَانُوتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴿٩﴾

قوله : (عطف على المهاجرين) والجامع بينهما خيالي والمعنى والفقراء الذين تبوءوا لاشتراكهم في إعطاء النقيء لفقرهم ولذلك قال عطف على المهاجرين احترازاً عن العطف على للفقراء.

قوله : (والمراد بهم الأنصار) ولم يعبروا بالأنصار مع أنه المناسب للمهاجرين لمدحهم بملزمة الإيمان في المدينة غالبين عن رسول الله عليه السلام والمدح بالإيمان لا مدح فوقه لا سيما في الغيبة وهذا المدح في المهاجرين مستفاد من

أوصافهم المذكورة والمدح بملازمة المدينة لما ذكرناه من الإيمان بالغيب كما أشير إليه بقوله من قبلهم .

قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَزَمُوا الْمَدِينَةَ وَالْإِيمَانَ وَتَمَكَّنُوا فِيهَا﴾ نبه به على أن التبوء مجاز عن اللزوم للزومه إذ التبوء النزول في المكان وهو مستلزم لملازمته فيه واللزوم منتظم للإيمان فلا تحمل في الإيمان لكن قوله وتمكنوا فيهم فيه إما مجاز في كلمة في فيكون جمعاً بين الحقيقة أو يصار إلى عموم المجاز أو استعارة في الإيمان على تنزيله منزلة المكان الذي يتمكن فيه على أنه استعارة مكنية وإثبات التبوء له قرينتها واستعارة تخيلية .

قوله: ﴿وَقِيلَ الْمَعْنَى تَبَوَّأُوا دَارَ الْهَجْرَةِ وَدَارَ الْإِيمَانِ فَحُذِفَ الْمُضَافُ مِنَ الثَّانِي وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَوَّلِ وَعَوِضَ عَنْهُ اللَّامُ﴾ مرضه لاحتياجه إلى تقدير كثير مع عدم الداعي إليه وأيضاً تبوئهم الدار قبل كونها دار هجرة وإضافة الدار إلى الإيمان مجاز لأدنى ملازمة وكذا دار الهجرة مجاز أيضاً وكذا يلزم عطف الصفات مع اتحاد الذات .

قوله: ﴿أَوْ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَأَخْلَصُوا الْإِيمَانَ﴾ كقوله:

عَلَفْتَهَا تَبْنَاءً وَمَاءً بَارِدًا

وهو^(١) الوجه المقدم في الكشف كقوله علقتها الخ أي سقيتها ماء بارداً أي عطف الإيمان على الدار لكن يقدر عاملاً يناسبه لظهور القرينة على عدم صحة تقدير العامل المذكور ففي الحقيقة المعطوف العامل المقدر على العامل المذكور ونظائره كثيرة وهذا أحسن الوجوه الذي هنا وفي أمثاله ولذا قدمه الزمخشري ولا يعرف وجه تأخير المصنف .

قوله: ﴿وَقِيلَ الْمَعْنَى تَبَوَّأُوا دَارَ الْهَجْرَةِ وَدَارَ الْإِيمَانِ﴾ لما أشكل أمر عطف الإيمان على الدار إذ لا يصح من حيث الظاهر أن يقال تبوأوا الإيمان لأن متعلق التبوء يكون من قبيل الأماكن والأعيان لا من قبيل المعاني والأعراض صرف الكلام عن ظاهره ووجهه بثلاثة أوجه وحاصل الوجوه يعود إلى أن عطف الإيمان إلا على الدار إما من باب التقدير وهو الوجه الأول أو من باب التقدير أو الانسحاب وهو الوجه الثاني أو من باب الاستعارة المصروفة وهو الوجه الثالث فالإيمان في الوجه الأول حقيقة في معناه والمجاز في تعلق التبوء به على متوال قوله سبحانه: ﴿وَاسْأَلِ الْقُرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] والمعنى أهل القرية وكذا في الوجه الثاني لفظ الإيمان حقيقة ويقدر في التعلق ما يناسب كأخلصوا وأما في الوجه الثالث فمجاز مستعار استعارة مصروفة وذكر الزمخشري رحمه الله هنا وجهاً آخر غير الوجوه المذكورة وهو أن يكون المعنى وجعلوا الإيمان مستقراً ومستوطناً لهم لتمكنهم فيه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك هذا أقول هذا الوجه من باب التضمين والاستعارة المكنية حيث شبه الإيمان بموطن الاستقرار وجه الشبه التمكن فيه والاستقرار عليه ثم أثبت له ما هو لازم المشبه به وهو التبوء تخيلاً المبالغة والمدح في هذا الوجه راجعان إلى الإيمان لا إلى مكان المدينة وفي الوجه الثالث على العكس .

(١) وهو خلاف الظاهر .

قوله: (وقيل سُمي المدينة بالإيمان) أي مجازاً بذكر الحال وإرادة المحل بالواسطة إذ الحال صاحب الإيمان بالذات والإيمان بواسطة وهذا غير متعارف وقيل أو تسمية محل ظهور الشيء باسمه وهذا قرب من الأول.

قوله: (لأنه مظهره ومصيره) أي لأنه مظهر الإيمان كمال الإظهار فلا إشكال بأن مكة مظهره أولاً وكونه مصيره أي محل رجوعه لما ورد في الحديث أن الإيمان في آخر الزمان يرجع إلى المدينة ويستقر فيها وقد ورد أن الدجال لا يدخلها وأن الإيمان الحديث.

قوله: (من قبل هجرة المهاجرين) بتقدير المضاف فلا إشكال بأن ظاهر النظم أن الأنصار سبقوا في الإيمان المهاجرين مع أن الأمر بالعكس.

قوله: (وقيل تقدير الكلام والذين تبوءوا الدار من قبلهم والإيمان) وقيل تقدير الكلام جواب آخر للإشكال المذكور بأن فيه تقديماً وتأخيراً والتقدير والذين تبوءوا الدار من قبلهم والإيمان أي تبوء الإيمان فيلزم سبق الأنصار المهاجرين في تبوء الدار وهو كذلك دون الإيمان مرضه لأن القلب خلاف الظاهر وأن مقبولية إن تضمن اعتباراً لطيفاً وهنا ليس كذلك وأما تقدير المضاف فشائع في كلام البلغاء وفي كلام الله تعالى إذا قامت قرينة عليه فالواجب توجيه القرآن بأجلز الوجه وإنما يحتاج إلى هذا التأويل في الوجه الأول والثالث دون الثاني والرابع إذ فيهما لم يذكر الإيمان مراداً به حقيقته بل المراد الدار بالإيمان مجازاً في الرابع وتقدير المضاف في الثاني لكن المصنف لم يلتفت إليه لضعفهما ولو قيل تقدم المجموع يكفي فيه تقدم البعض إذا قام قرينة على عدم تقدم المجموع سيجيء من المصنف ما يؤيده من قوله في سورة الممتحنة ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه وهذا أولى مما ذكر هنا في توجيه ذلك يحوي حكاية الحال الماضية حال من فاعل تبوءوا الدار الخ على ما اختاره المصنف من إن والذين تبوءوا الدار معطوف على المهاجرين فيعطى لقرائتهم من الفاء إذ المراد مطلق الفاء واختار صاحب الإرشاد كونه كلاماً مستأنفاً

قوله: (وقيل تقدير الكلام والذين تبوءوا الدار من قبلهم والإيمان) قائله محيي السنة قال في المعالم أي أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان وابنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليهن يستتين ونظم الآية (والذين تبوءوا الدار من قبلهم) [الحشر: ٩] أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم وقد أسنوا لأن الإيمان ليس يمكن تبوؤه فيه والمفهوم من كلام محيي السنة أن انتصاب الإيمان على أنه مفعول مطلق عامله محذوف مقدر تقديره وقد أسنوا الإيمان فعلى هذا لا يحتاج إلى تصحيح معنى العطف لأن الواو ح لعطف الجملة الفعلية على الفعلية لا لعطف الإيمان على الدار ومثله قال الواحدي تقدير الآية والذين تبوءوا الدار من قبلهم والإيمان قبلهم وإنما قدروا معنى الكلام هكذا لأن الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين ولو لم يقدر هكذا لأدى إلى أن الأنصار سبقوا المهاجرين في الإيمان ولذا قال صاحب الكشف في تفسير من قبلهم من قبل المهاجرين لأنهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والإيمان أي دار الإيمان ولا يلزم من سبقهم عليهم في دار الإيمان سبقهم في الإيمان.

مُسَوِّقاً لمدح الأنصار بخصال حميدة ومن جملتها محبة المهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم أحسن رضاء وأكملة انتهى فأراد بالفيء الفيء الذي أخذ من خير كأنه نسي ما قدمت يداه من قوله واختلف في قسمة الفيء إلى قوله والآن على الخلاف المذكور فإن هذا الكلام لا ينتظم الفيء المأخوذ من الخير.

قوله: (ولا يثقل عليهم) أي من هاجر عليهم على الأنصار أي المراد من المحبة لازمتها وهو عدم استقلالهم إذا عرضوا الاحتياج إليهم دون مجرد المحبة.

قوله: (في أنفسهم) أي الصدور مجاز عن الأنفس إذ المراد الوجدان في الذهن بأن لا يكون ذلك في أنفسهم لأنها المدركة في الحقيقة فالصدور لكونها مقرأاً للقلوب التي بها الإدراك جعل ما في العقل من الإدراك في الصدر مجازاً كذا قيل وفي المواقف محل العلم عند المتكلمين القلب فالظاهر أن ما في صدورهم على حقيقته لأن القلب في الصدر ثم هذا كناية عن عدم الحاجة فهو أبلغ من قوله ولا يوجد في صدورهم حاجة لكونه كنوياً وتذكير الحاجة للتعميم.

قوله: (ما يحمل عليه الحاجة) أي المراد بالحاجة ما تسبب عن الحاجة أي السبب الحامل ولذا قال ما يحمل الخ.

قوله: (كالطلب والحزاة والحسد والغیظ) كالطلب أي كطلب الحاجة والحزاة بفتح الحاء المهملة بعدها معجمتين مرض في القلب ويكنى به عما يضره الإنسان من الغیظ والعداوة وهو المراد هنا لأنه مرض معنوي يخرج النفس عن الكمال ونيل الفضائل كما أن المرض الحقيقي يخرج البدن عن الاعتدال.

قوله: (مما أعطي المهاجرون من الفيء وغيره) وكلمة من تعليلية على ما اختاره المصنف من أن الحاجة هنا مجاز عما يتسبب عنها من الحسد ونحوه وأما ما اختاره الزمخشري من أنه فسر الحاجة بالمحتاج إليه حيث قال لا يجدون ما يعلمون في أنفسهم حاجة أي طلب حاجة محتاج إليه مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج إليه يسمى حاجة فكلمة من على هذا بيانية أو تبعية ولا يلزم من هذا كون الأنصار ممنوعاً من الفيء حتى ينافي قوله فيما مر من أن قوله: ﴿والذين تبوءوا﴾ [الحشر: ٩] الخ عطف على المهاجرين المستلزم إعطاء الفيء لهم.

قوله: (ويقدمون المهاجرين على أنفسهم) هذا ترق في المدح كأنه قيل ويقدمون المهاجرين على أنفسهم فكيف يجدون في أنفسهم حسداً ونحوه مما أوتي المهاجرون.

قوله: ما يحمل عليه الحاجة كالطلب والحزاة المعنى ولا يعلمون في أنفسهم طلب محتاج إليه منهم وحسداً لهم وغيظاً مما أوتوا الحاجة إلى ما في أيديهم يؤدي إلى هذه الأمور وتحمل عليها معنى ليس في نفوسهم في حق المهاجرين هذه الأمور والحزاة الطعن من حزه بسهم أي انتظمه وطلعه.

قوله: (حتى أن من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها لأحدهم) نزل عن واحدة أي طلقها وهذا إشار يستبعد وقوعه من ابن آدم فكان عليه السلام آخى بينهم فكان نكل من المهاجرين آخاً من الأنصار.

قوله: (حاجة من خصائص البناء وهي فرجة) حاجة تفسير خصاصة أي حاجة لا يضر انتفاؤها قوله من خصائص البناء الخ أصله الفروج والخروق في البناء فصار مجازاً في الاحتياج لأنه لازم الخروق ثم صار حقيقة عرفية فيه.

قوله: (ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الإنفاق) ومن يوق أي ومن يحفظ شح نفسه أي عن شح نفسه يتوفيق الله تعالى حتى يخالفها وإضافة الشح إلى نفسه مع أن الوقاية لا تكون إلا عن شح نفسه للتنبيه على أن النفس مجبولة على الشح قال تعالى: ﴿وَأَحْضَرْتُ الْأَنْفُسَ الشَّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨] أي البخل والنفوس القدسية مستثناة منها (الفايزون بالثناء العاجل والثواب الآجل).

قوله تعالى: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾

قوله: (هم الذين هاجروا حين قوي قومي الإسلام) فالمراد مجيئهم إلى المدينة فالمجئة حقيقة ولذا قدمه قوله حين قوي الإسلام أي حين ظهر قوة الإسلام فالمراد بالمهاجرين فيما هم الذين هاجروا قبل ظهور قوة الإسلام.

قوله: (أو التابعون بإحسان) أي بإيمان فالمراد المجيء من كتم العدم إلى فضاء الوجود مجاز.

قوله: (وهم المؤمنون بعد الفريقين إلى يوم القيامة فلذلك قيل إن الآية قد استوعبت جميع المؤمنين) وهم المؤمنون أشار به إلى أن المراد بالتابعين المعنى اللغوي أي اللاحقون بهم إلى يوم القيامة لا المصطلح بين المحدثين وهم من لقي الصحابة ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] الآية.

قوله: (﴿يقولون﴾ الآية) جملة حالية مقدرة وعلى الأول حال محققة وصيغة المضارع هنا مع قوله تعالى: ﴿جاءوا من بعدهم﴾ [الحشر: ١٠] لما مر في قوله: ﴿يبتغون﴾ [الحشر: ٨] مع قوله ﴿للذين أخرجوا﴾ [الحشر: ٨] فيه ترغيب للخلف للدعاء للسلف لا سيما العلماء الأقدمين فإنهم آباء تعليم الدين وإن الدعاء بالمغفرة أهم.

قوله: (أي لإخواننا في الدين) أي المراد بإخواننا الإخوان في الدين بقرينة قوله:

قوله: حاجة من خصائصه البناء وفي النهاية الخصاصة الجوع والضعف وأصلها الفقر والحاجة إلى الشيء قال الراغب لخصاص البيت فرجه وعبر عن الفقر الذي لم يسد بالخصاصة كما عبر عنه بالخلّة وهي الفقر والخص بيت من قصب أو شجر وذلك لما يرى من الخصاصة.

﴿الذين﴾ [الحشر: ٨] الآية وأيضاً المعبر الأخوة الدينية دون النسبية فقط نعم إذا اجتماعاً يكون في الأوج الأعلى.

قوله: (حقداً لهم) وهو وإن كان مذموماً مطلقاً لكن للمؤمنين أشنع ولذا قيد بآمنوا لكمال الزجر عن ذلك مع أنه حرام للمشركين أيضاً.

قوله: (فحقيق بأن نجيب دعاءنا) كأنه أشار به إلى الارتباط وأشار به إلى أن الختم بما ذكر أنسب من الختم بالغفور الكريم.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يَتْلُونَ آيَاتِهِمْ عَلَىٰ آلِهِمْ وَمِمَّا يُذَكِّرُونَ﴾ [الحشر: ١٠] الآية. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يَتْلُونَ آيَاتِهِمْ عَلَىٰ آلِهِمْ وَمِمَّا يُذَكِّرُونَ﴾ [الحشر: ١٠] الآية. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يَتْلُونَ آيَاتِهِمْ عَلَىٰ آلِهِمْ وَمِمَّا يُذَكِّرُونَ﴾ [الحشر: ١٠] الآية.

قوله: (يريد الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر) أخوة الكفر فيكون استعارة كأخوة الإسلام ووجه الشبه الانتساب إلى أصل واحد.

قوله: (أو الصداقة أو الموالاة) الأول ناظر في توافقه في الكفر وإن لم يكن بينهم صداقة ومودة والثاني بناء على المودة والصداقة بينهم بلا ملاحظة التوافق في الكفر ولو اكتفى بالأول لكفى كما اكتفى في ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠] بالأخوة في الإسلام.

قوله: (من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم وخذلانكم أحداً أبداً أي من الرسول والمؤمنين وإن قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم) في قتالكم وهو المطابق لقوله: ﴿ولئن قوتلوا لا ينصرونهم﴾ [الحشر: ١٢] فقوله أو خذلانكم لا يعرف موافقته لما بعده إلا أن نهيهم عن نصرهم خذلانهم وهم معهم في الخذلان المذكور لكن المراد ولا نطيع فيكم أي في قتالكم في شأنكم أحداً من رسول الله والمسلمين إن حملنا عليه أو في خذلانكم أي الخلاف فيما وعدناكم من النصرة كما في الكشف ولما ذكر المص هذا عقيب قوله لنخرجن معكم مع أن محله بعد قوله ولا نطيع فيكم توهم منه إن المنافقين قالوا لئن أخرج الكفار من ديارهم لكانوا معهم في القتال أو الخذلان^(١) ولا صحة له هنا إذ المراد لئن أخرجتم من دياركم من غير قتال لنخرجن معكم لأنه ذكر في مقابلة قوله: ﴿ولئن قوتلتم لننصرنكم﴾ [الحشر: ١١] ولو قيل إنه تفسير لقوله فيكم كما ذهب إليه

قوله: حقداً لهم قال الراغب أصل الغلل تدرع الشيء وتوسطه ومنه الغلل للماء الجاري بين الأشجار فالغلل مختص بما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه والغلالة ما يلبس بين الثوبين والغلل والغللول تدرع الخيانة والغلاوة قال تعالى: ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا﴾ [الحشر: ١٠] والغلة من الغليل ما يتدعره الإنسان من داخله من العطش وشدة الوجد والغيط يقال فلان شفى غليله أي غيظه والغلظة الرسالة التي يتغلغل وسط القوم.

(١) وأيضاً لا معنى بكونهم معهم في الخذلان أصلاً.

البعض لكان الكلام معقداً فالحق كما قال الفاضل المحشي إنه سهو من قلم الناسخ إذ موضعه بعد قوله ولا تطيع فيكم كما عرفته بل قيل وليس بذلك لأن تقدير القتال مترقب بعد لكن لا ضمير فيه إذ المترقب قد يشار إليه قبل ذكره فلما كان قوله ولا تطيع فيكم أحداً أبداً عاماً أشار إليه صاحب الكشف في عقيب قوله ولا تطيع فيكم الخ وتبعه المصنف لكن لم يذكره في محله تجاوز الله تعالى عنه ومعنى قول صاحب الكشف إن حملنا عليه إن حمل رسول الله عليه السلام والمسلمون إيانا على نصرة المؤمنين لا تطيع في شأنكم أحداً في القتال بإظهار المعاذير الكاذبة وهذا نصرة أهل الكتاب ولا يلزم منه إظهار كفرهم حتى يقال إنها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرتهم وإظهار كفرهم ولا ريب في أن ما يفعله عليه السلام عند ذلك قتلهم لا دعوتهم إلى ترك النصرة فإنه بعيد جداً لأن المنافقين قد بالغوا في إخفاء كفرهم كما نطق به النص الكريم والخبر الشريف فكيف يقال ذلك بل الدعوة لو كانت لكانت إلى نصرة المسلمين وهذا مستلزم لترك نصرة الكافرين وبهذا الاعتبار يكون دعوة إلى ترك نصرة أهل الكتاب وترك النصرة خذلان لهم في زعمهم ولذا قال الزمخشري في قتالكم أو خذلانكم.

قوله: (لعلهم بأنهم لا يفعلون ذلك كما قال: ﴿لئن أخرجوا﴾ [الحشر: ١٢] الآية) لعلهم أي لتعلق علمه تعلقاً أزلياً بأنهم لا يفعلون.

قوله تعالى: ﴿لَيْنَ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلَوْنَ أَلْدَبَرَةً أَوْ لَا يَصُرُونَ﴾

قوله: (﴿لئن أخرجوا﴾ [الحشر: ١٢]) لما حلف المنافقون على ذلك أقسم الله تعالى في بيان كذبهم.

قوله: (وكان كذلك قال ابن أبي وأصحابه راسلوا ابن النضير بذلك ثم احلفوهم) وكان كذلك فإن ابن أبي الخ فحينئذ كلمة إن في ﴿لئن أخرجوا﴾ [الحشر: ١٢] ﴿ولئن قوتلوا﴾ [الحشر: ١٢] بمعنى إذا كلمة الشك للمشكلة.

قوله: (وفيه دليل على صحة النبوة وإعجاز القرآن) على صحة النبوة لما فيه من الإخبار بالغيب وإعجاز القرآن هذا قول البعض من أن سبب إعجاز القرآن إخباره بالغيب والمختار كونه في ذروة العلية من البلاغة.

قوله: (على الفرض والتقدير) لما مر من إخبارهم الله تعالى بأنهم لا ينصرونهم ولو لم يحمل على الفرض لزم الكذب (انهزاماً).

قوله: (بعد بل يخذلهم ولا يتفعهم نصرة المنافقين أو نفاقهم) عطف على نصرة المنافقين.

قوله: (إذ ضمير الفعلين يحتمل أن يكون لليهود وأن يكون للمنافقين) إذ ضمير الفعلين وهو ليولن ولا ينصرون أي الضمير المستتر فيهما يحتمل أن يكون لليهود فقوله ولا يتفعهم نصرة المنافقين ناظر إليه وقوله أو نفاقهم أي لا يتفعهم أي المنافقين نفاقهم ناظر

إلى كون الضمير للمنافقين بل يهلكهم الله تعالى لظهور كفرهم حيثل لكن لم يقع وقيل المراد بالضمير الضمير الظاهر وكونه مستترا سهو غير مستتر كأنه نظر إلى أن الواو ضمير الفاعل وهو ظاهر وهذا قول البعض على أنه أمر ظاهر لا يتناسب المناقشة فيه .



قوله تعالى : **لَأَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ** ﴿١٣﴾

قوله : (أي أشد رهوبة^(١) مصدر للفعل المبني للمفعول) أشد رهوبة لأن المؤمنين مرهوب منهم لا راهيون الظاهر أن المراد الحاصل بالمصدر وهذا أبلغ من لأنتم أرهب على أنه مبني للمفعول .

قوله : (في صدورهم) للتأكيد دفعاً لتوهم المجاز .

قوله : (فإنهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين) فكونها في صدورهم كناية عن الإضمار كذا قيل كأنه أشار به إلى أنه ليس تأكيداً فلا يكون مثل سمعت بأذني مثلاً لكن الرهبة والخوف لا يكون إلا في القلوب ويعلم ذلك بأمارات أو بإخبار غاية الأمر أن خوفهم لم يظهر لأنهم بالغوا في الإخفاء فقلوه في صدورهم تنبيه على ذلك فلا يتأني كونه تأكيداً .

قوله : (على ما يظهرونه نفاقاً)^(٢) أي لأنتم أشد رهبة في صدورهم من رهبة الله بتقدير المضاف كاتبة على ما يظهرونه نفاقاً والحاصل أن رهبتهم منكم في السر أشد مما يظهرون لكم من رهبة الله فإنهم كانوا يدعون رهبة شديدة من الله تعالى نفاقاً .

قوله : (فإن استبطان رهبتكم سبب لإظهار رهبة الله) فإن استبطان رهبتكم أي إخفاء الخوف منكم سبب لإظهار خوف الله تعالى فيكون خوفهم منهم أشد من رهبة الله تعالى فهذا تعليل لأشد الرهبة وبيان وجهه .

قوله : على ما يظهرونه نفاقاً وحاصل المعنى أن اليهود يرهبون منكم رهبة أشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم قوله فإن استبطان رهبتكم سبب لإظهار رهبة الله تعليل لأشد رهبتهم من المؤمنين في السر من رهبة الله يظهرونها لهم لأن السبب أشد وأقوى من السبب قال صاحب الكشف يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله ثم قال فإن قلت كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم أشد قلت معناه أن رهبتهم في السر منكم أشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم رهبة شديدة من الله ويجوز أن يريد أن اليهود يخافونكم في صدورهم أشد من خوفهم من الله لأنهم كانوا قوماً أولي بأس ونجدة وكانوا يتشجعون لهم مع إضمار الخيفة في صدورهم إلى هنا كلامه وجه رحمه الله معنى الآية بتوجيهين وحاصل التوجيه الأول أنهم يظهرون لكم خوف الله تعالى مع أنهم لا يخافونه تعالى ومعنى التوجيه الثاني أنهم يظهرون لكم أنهم لا يخافونكم مع أنهم يخافونكم ويخافون الله تعالى خوفاً لا تعد به ولذلك قال حتى يخشوه حق خشيته .

(١) وهذه الجملة مقررة لكون المنافقين غير قادرين على نصرة الكافرين .

(٢) أشار به إلى أن المخاطبين المنافقون خاصة .

قوله : (لا يعلمون عظمة الله حتى يخشونه حق خشيته ويعلمون أنه الحقيق بأن يخشى) حتى يخشونه حق خشيته ويعلمون الخ رفع الفعلين لوقوعه بعد النفي على مذهب الأخفش وتنصبه الزمخشري اختيار المذهب سبويه وفي نسخة البيضاوي التي عندنا منصوب أيضاً وما ذكر مال إليه أرباب الحواشي والظاهر أن حتى إن جعل حرف جر فالعلان منصوبان بأن المقدرة وإن جعل حرف ابتداء يكون الفعلان مرفوعين وبعد دخول حتى لا يظهر وجه التعرض لوقوعه بعد النفي .

قوله تعالى : لَا يَنْبُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي فُرَى تُخَفِّصُونَ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدٍّ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَوِيبٌ تُحَسِّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾



قوله : (لا يقاتلونكم) أي لا يقدرّون على مقاتلتكم .

قوله : (اليهود والمنافقون مجتمعين) اليهود والمنافقون وقاتل المنافقين ليس بمنقول إلا أن يقال قتالهم الإغراء على القتال كما يشير إليه المص فحينئذ يكون جمعاً بين الحقيقة والمجاز أو عموم المجاز .

قوله : (بالدروب والخنادق) بالدروب جمع درب بالذال المهملة وهو الباب الكثير معرب در كما قيل والخنادق جمع خندق وهو معرب أيضاً .

قوله : (لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو جدار وأمال أبو عمرو فتحة الدال) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو جدار لأنه أريد به الجنس فيكون في معنى الجمع أو لأن المراد السور الجامع للجدر والحيطان .

قوله : بالدروب جمع درب وأصله مضيق في الجبال يقال له بالفارسية درند قوله وإن تشتت قلوبهم يوهن قواهم لأن القلب مضمة إذا صلحت صلح الجسد كله ثم يسري الفساد منه إلى الروح وفي الكشف إن تشتت قلوبهم مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم أي على توهين أرواحهم قال الراغب إنما خص الأول بلا يفقهون والثاني بلا يعقلون لأن المعنى خوفهم منكم أشد من خوفهم من الله لأنهم يعلمون ظاهره ولا يعرفون ما استتر عليهم منهم والفقيه من يدرك من الكلام ظاهره الجلي وغامضه الخفي بسرعة فطنته وجودة قريحته قلما رهبوا من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم يرهبوا من الله عز وجل صاروا كمن يعرف ما يشهده ويجهل ما يغيب عنه فقليل لا يفقهون أي لا يدركون عظمة الله تعالى وشاهدون جلالة النبي عليه الصلاة والسلام ولا يعلمون أن ذلك لجلال الله تعالى وأما قوله : ﴿ لا يعقلون ﴾ (الحشر : ١٤) جاء بعد قوله : ﴿ بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ﴾ (الحشر : ١٤) ومعناه ليس يجمعهم الحق على طريقة واحدة بل هم اتباع هواهم وهم مختلفون باختلاف آرائهم ولو عقلوا الرشد من الغي لاجتمعوا على الحق فاختلفهم لأنهم لا يعقلون ما يدعوا إلى طاعة الله تعالى ويهدي إلى الصراط المستقيم فالحق سبيل واحد مستقيم والباطل سبل كثيرة يحمل عليها أهواء متشعبة قال تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (الأنعام : ١٥٣) .

قوله: ﴿أَيُّ وَلَيسَ ذَلِكَ لضعفهم وجبنهم فإنه يشتد بأسهم إذا حارب بعضهم بعضاً بل لَقَذَفَ اللهُ الرِّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي وليس ذلك لضعفهم أشار به إلى أن قوله: ﴿بِأَسْهِمْ﴾ [الحشر: ١٤] الآية استئناف بياني مربوط بما قبله وجعله حالاً ضعيف لعدم الواو إذا حارب بعضهم الخ فيه به على أن بينهم متعلق بشديد قدم للاهتمام به إذ كون الشدة بينهم أهم وقيل للحصر قوله بل لَقَذَفَ اللهُ إضراب عن قوله ليس ذلك بل ذلك لَقَذَفَ اللهُ الرِّعْبَ كما وعده بقوله: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرِّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١] لأنه تعالى مولى المؤمنين وخير الناصرين.

قوله: ﴿وَلَأَنَّ الشَّجَاعَ يَجِبُنَ وَالْعَزِيزُ يَذَلُّ إِذَا حَارَبَ اللهُ وَرَسُولَهُ﴾ إذا حارب الله أي إذا حارب أولياء الله أو ذكر الله للتعظيم والحاصل أن لهم بأساً شديداً لكن بينهم إذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم بأس حقيقة لزواله بإلقاء الرعب في قلوبهم وإن يرأس في الظاهر فلا إشكال أصلاً.

قوله: ﴿تَحْسِبُهُمْ﴾ الخطاب إما للرسول عليه السلام أو لمن يصلح لأن يخاطب.

قوله: ﴿مَجْتَمِعِينَ مُتَّقِينَ﴾ منشأ الحسبان مشاهدة الإلفة والاتحاد بينهم وهذا يؤيد ما قلنا من أن لهم بأساً شديداً إذا قاتلوا المؤمنين بحسب الرؤية والظاهر وجميعاً مفعول ثانٍ لتحسبهم ولا مجال لكونه تأكيداً.

قوله: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ جملة حالية مفيدة لكون اجتماعهم بحسب الظاهر والصوري.

قوله: ﴿مُتَفَرِّقَةً﴾ أي شتى جمع شتيت بمعنى المتفرق.

قوله: ﴿لَا إِلْفَةَ بَيْنَهُمْ لافْتِرَاقَ عَقَائِدِهِمْ وَاختِلَافَ مَقَاصِدِهِمْ﴾ قد علمت أن المراد بهم اليهود والمنافقون قوله وافتراق عقائدهم منظور فيه ولذا قال في الكشف لا إلفة بينهم الخ والتعليل بأن فرق الضلال متشعبة وطريق الهدى واحد لا يفيد هنا إلا أن يقال إن المراد بهم مطلق الكفرة مع بعده عن السوق.

قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ﴾ ذلك أي التشتت المذكور بسبب أنهم قوم لا يعقلون لا يعلمون ما فيه صلاحهم حتى تسكوا به فيتحد قلوبهم ويرمون عن قوس واحد.

قوله: ﴿وَإِنْ تَشَتَّتَ الْقُلُوبُ يَوْهَنَ قَوَاهِمُ﴾ وإن تشتت القلوب وعدم اتحادها يوهن قواهم أي يضعف^(١) قواهم فيحصل لهم الجبن والذل وهذا هو المراد بقوله: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤] ولا ينافي ما مر من أن جبنهم وضعفهم لَقَذَفَ اللهُ تعالى الرعب في قلوبهم إذ لا تراحم في العلل والأسباب في مقام الخطاب وإن تشتت القلوب حال والعطف على ما فيه صلاحهم بعيد.

(١) والمقصود من هذا تشجيع المؤمنين على قتالهم كما في الكشف.



قوله تعالى: كُنْثَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

قوله: (أي مثل اليهود كمثّل أهل بدر) أشار به إلى أن كمثّل الذين خبر لمبتدأ محذوف وهو مثل اليهود كمثّل أهل بدر في الخزي والهلاك.

قوله: (أو بني قينقاع) بفتح القاف بعدها ساكنة وتثنية النون بعدها قاف فآلف وعين قوم من اليهود الذين كانوا حول المدينة.

قوله: (إن صح أنهم أخرجوا قبل النضير) فحينئذ يكون مثل بني النضير وهم شعب من فرقة اليهود مشبهاً بمثل بني قينقاع وهم أيضاً قوم من اليهود والمراد بالمثّل حالهم العجيبة وهي الإخراج عن أوطانهم في الاحتمال الثاني والقتل في المعنى الأول لكن قتل بني النضير غير منقول فالتشبيه في مطلق ذوق العذاب نقل عن ابن سيد الناس أنه قال غزوة بني قينقاع كانت يوم السبت على رأس عشرين شهراً من الهجرة في شوال وغزوة بني النضير على رأس خمسة أو ستة وثلاثين من وقعة أحد وأحد كانت على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة ولم يحك غير هذا فيكون قبل النضير بلا كلام فقلوه إن صح ليس بظاهر انتهى ولما لم يعتمد على ما ذكر في كتب التواريخ والسير لأنهم يكتبون السمين والسميم كما قاله القاضي عياض في الشفاء قال المصنف إن صح.

قوله: (أو المهلكين من الأمم الماضية) أخره لعدم ملائمته لقوله قريباً لكن القرب لكونه إضافياً جوزّه مع ضعفه.

قوله: (أي في زمان قريب وانتصابه بمثل إذ التقدير كوجود مثل) وانتصابه أي انتصاب قريباً بمثل لأنه بتقدير مضاف أشار إليه بقوله إذ التقدير كوجود مثل أي بمعونة المقام إذ المثل من الحوادث الموجودة فإضافة الصفة إلى الموصوف أي المثل الموجود فالمعنى مثل اليهود الموجود فيما سيأتي كمثّل الذين من قبلهم الموجود في الزمان الماضي قريباً ولكونه معروفاً لوجوده جعل مشبهاً به.

قوله: (ذاقوا وبال أمرهم لسوء عاقبة كفرهم في الدنيا) ذاقوا فيه استعارة تهكمية

قوله: وانتصابه بمثل إذ التقدير كوجود مثل يعني أن ناصب الظروف لا بد أن يكون فعلاً أو معنى فعل والمثل وإن كان في الأصل مصدراً لكن المراد به هنا الحاصل بالمصدر وهو في حكم الجامد أيضاً لو كان قريباً منصوباً بمثل يلزم أن يسمى حال هؤلاء الماضين في زمانهم بمثل وليس كذلك بل حالهم إنما كانت مثلاً لمن بعدهم بعد هلاكهم وانقراضهم فالواجب أن يقدر لانتصابه مصدر مضاف إلى المثل كوجود مثل أي كوجود مثل أهل بدر قريباً وقيل العامل فيه ذاقوا والمعنى ذاقوا وبال أمرهم قريباً أي عن قريب.

قوله: سوء عاقبة كفرهم فسر الوبال بسوء العاقبة لأنه من قولهم كلاء وبيل أي وخيم سيء العاقبة قال الراغب الويل والواليل المطر الثقيل قبل للامر الذي يخاف ضرره وبال يقال طعام وبيل وكلاء وبيل مخاف وباله.

وصيغة المضى لأنه للمثل المشبه به فكما ذاقوا وبال أمرهم كذلك يذوق اليهود سوء عقابه كفرهم قوله في الدنيا بقرينة ما بعده وصيغة المضى أيضاً قرينة عليه .

قوله : (ولهم عذاب اليم في الآخرة) مؤلم بفتح اللام اختير الجملة الاسمية في عذاب الآخرة لدوامه أبد الآبدين .

قوله تعالى : كَذَّبَ الشَّكُّونَ إِذْ قَالُوا لِلْإِنسَانِ أَكْثَرُ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

قوله : (مثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان) أشار إلى أن كمث الشيطان خبر لمبتدأ محذوف مبتدأ مثل المنافقين وهذا على طريق اللف والنشر المرتب لأن اليهود والمنافقين جمع في قوله لا يقاتلونكم جميعاً على ما نبه عليه المصنف ثم ذكر أولاً ما لليهود من كون مثلهم وحالهم الغربية كمث الذين من قبلهم الخ وذكر ما للمنافقين ثانياً من كون مثلهم كمث الشيطان اعتماداً على فهم السامع إذ الثاني هو المناسب للمنافقين لأنهم لم يقاتلوا بالفعل بل شأنهم الإغراء والتحريض على القتال كالشيطان قوله في إغراء اليهود الخ إشارة إليه وهذا يؤيد ما ذكرناه من أن لا يقاتلونكم فيه جمع بين الحقيقة والمجاز أو عموم المجاز وفي تشبيه مثلهم بمثل الشيطان لطافة شريفة لأنهم شياطين الإنس والشيطان شيطان الجن .

قوله : (إغراؤه على الكفر إغراء الأمر بالمأمور) ففيه استعارة تبعية أو تمثيلية وهي الظاهر شبه تزيينه وبعته بالأمر فاستعير الأمر لإغرائه على الشر والكفر .

قوله : (تبرأ منه مخافة أن يشاركه في العذاب ولم ينضمه ذلك كما قال : «إني أخاف» [الحشر : ١٦] الآية) تبرأ منه نبه به على أنه لا قول حقيقة بل الإغراء والوسوسة فهي مقالة

قوله : إغراؤه على الكفر يريد أن قول الشيطان للإنسان اكفر مجاز بمعنى الإغراء على الكفر بقوله : «لا غالب لكم اليوم» [الأنفال : ٤٨] من الناس «وإني جار لكم» [الأنفال : ٤٨] الآية وليس المراد به أن يقول الشيطان للإنسان اكفر وبأمره بهذه الكلمة وفي الكشف كمث الشيطان إذا استغوى الإنسان بكيد ثم تبرأ منه في العقوبة والمراد استغواؤه قريشاً يوم بدر وقوله : «لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم» [الأنفال : ٤٨] إلى قوله : «إني بريء منكم» [الأنفال : ٤٨] ثم كلامه قوله والمراد بالإنسان الجنس اعلم أن التعريف في قوله : «كمث الشيطان» [الحشر : ١٦] للمعهد لا غير إذ لا يتبادر منه إلا المتعارف شرعاً وأما في الإنسان فيحتمل العهد أي قريشاً قال الزمخشري ومعنى قوله أكفر فلما كفر قصد إغواءهم قديعهم إلى قتال المشركين فغوا وإلا بهذا اللفظ بعينه وهو المراد من قوله المراد استغواؤه لأن الذي قال لهم يوم بدر هو قوله : «لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم» [الأنفال : ٤٨] وتحمل الجنس على نحو قوله تعالى : «ويقول الإنسان فإذا ما مت لسوف أخرج حياً» [مریم : ٦٦] في أن لم يباشر الفعل إلا ببعض الجنس وبعض الوجه الأول مجيء التمثيل الثاني من غير عاطف ليكون كالإبدال من التمثيل الأول ولا يحسن الإبدال إلا على اتحاد موقع التمثيلين فليتدبر .

نفسانية وثانياً التبرأ عنه مخافة أن يشاركه الخ ولم ينفعه أي التبرؤ ذلك التبرؤ أي على الوجه المختار وهو كون المراد عذاب الآخرة.

قوله تعالى: فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾

قوله: (والمراد من الإنسان الجنس) أي اللام للجنس والاستغراق العرفي إذ التخصيص خلاف الظاهر فهو باق على عمومه واكتفى بالكفر لأنه أعظم الجرائم وإلا فالمراد عموم المعاصي.

قوله: (وقيل أبو جهل قال له إبليس يوم بدر ﴿لا غالب لكم اليوم﴾ [الأنفال: ٤٨] من الناس ﴿وإني جار لكم﴾ [الأنفال: ٤٨] الآية) وقيل أبو جهل فالظاهر أنه إغراء على ثبات الكفر ولا يضره كونه تمثيلاً قال له إبليس مقالة نفسانية وهو الظاهر وقيل تمثيل في صورة سراقه فحيتلّ القول في بابه وفي هذا القول ليس بأمر بالكفر والإغراء عليه ولعل هذا وجه التمريض مع أن التخصيص خلاف الظاهر نعم مآله الاستغراء بالكفر وهذا سبب جواز اعتبار هذا وتوضيحه في سورة الأنفال.

قوله: (وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد) وقيل راهب من علماء النصراني عابده حمله الشيطان بالكيد العظيم على الزناء بامرأة فاجرة باغية وهذا إشارة إلى قصة برصيصا الراهب كما هي مشهورة في القصص لكن مرضه لأنه وإن صح لكنه يدخل في الجنس فالتخصيص خروج عن الجادة.

قوله: (وقرئ عاقبتهم على أن أنهما الخير لكان وخالدان على أنه خير لأن وفي النار لغو) وقرئ عاقبتهم بالرفع على أنها اسم كان وإنهما خبره وفي قراءة عاقبتهم بالعكس

قوله: (وقيل راهب حمله على الفجور أي حمله الشيطان ذكر إسماعيل القاضي رحمه الله وغيره من طريق سنين عن عمرو بن دينار عن عروة بن عبيد بن رفاعة الزرقي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «أن راهباً كان في بني إسرائيل فأصببت امرأة منهم ملجم فقالوا ما رواها إلا عند هذا الراهب يدعو لها فسالوه ذلك ورغبوا إليه فأبى فلم يزلوا به حتى قبلها ثم لم يزل الشيطان حتى عشقها وكانت تكون عنده يدعو لها فلم يزل به حتى أجلبها ثم أتاه الشيطان فأمره أن يقتلها خشية الفضيحة وأن يقول لقومها إنها ماتت ففعل ثم أتى الشيطان أهلها فأخبرهم الخبر فأتوه واستنزلوه من صومعته فتمثل له الشيطان عند ذلك فقال له أنا الذي كنت أصرعها وأنا الذي كنت أغويك حتى أجلبتها وقتلتها وأنا الذي أخبرت قومها فإن سجدت لي أخرجتك مما أنت فيه فسجد له من دون الله فأسلمه وتبرأ منه» وهو الذي قص الله سبحانه وتعالى قصته ويقال اسم هذا الراهب برصيصا ولم يذكر إسماعيل القاضي اسمه.

قوله: (وقرئ عاقبتهم بالرفع على أنه اسم كان وإن في إنهما مع اسمها وخبرها خبر كان وقرئ خالدان بالرفع على أنه خبر أن في أنهما وفي النار ظرف لغو متعلق بخالدان أي خالدان في النار وهو في الوجه الأول ظرف مستقر خبر لأن وخالدين حال من الضمير المستكن في الظرف والمعنى أنهما يستقران في النار خالدين فيها.

وجعل عاقبتكما اسماً وخبراً بالاعتبارين فلا تغفل قوله وفي النار أي على هذه القراءة متعلق بقوله خالدان وقدم للاختصاص .

قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَسْطَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ يُغْوِيَنَّوُا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴿١٨﴾

قوله: (يوم القيامة سماء به لدنوه أو لأن الدنيا كيوم والآخره كغده) سماء به لدنوه لأن كل آت قريب يستعمل غداً في المستقبل القريب مجاز أو استعارة مصرحة قوله أو لأن الدنيا وهي عبارة هنا عن الزمان الذي هو ضد الآخره وذلك الزمان كيوم واحد لأنها لسرعة انقضائها كيوم واحد والآخره غده فهو استعارة أيضاً أشار إليه بقوله كيوم بالكاف فتكون الآخره كغده .

قوله: (وتنكيره للتعظيم) فإن المراد يوم القيامة وهو يوم عظيم ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ (المطففين: ٦) .

قوله: (وأما تنكير النفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن للآخره كأنه قال ولتنتظر نفس واحدة في ذلك) وأما تنكير النفس آخر بيانه لطول ذيله فلاستقلال الأنفس أي عده قليلاً الأنفس النواظر أي لما علم الله تعالى أن النفوس النواظر قليلة جداً أمر هكذا أي أمر بالنفوس القليلة دون الكل فلا إشكال بأنه ليس بخبر حتى يخبر بما هو الواقع كقوله تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سبا: ١٣] بل هو أمر فالمناسب حمل الأمر على الجميع ولو حمل على الجميع وقيل ما قيل في تنكير نفس في ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾

قوله: أما تنكير النفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن للآخره الاستقلال عن الشيء قليلاً يريد أن تنكير نفس للتقليل والواحدة الشخصية فإن الأنفس التي تنظر فيما تقدمه للآخره قليلة كما قال تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سبا: ١٣] قال صاحب الانتصاف قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ (التكوير: ١٤) المراد بالتنكير التذكير لأن كل نفس حيثما يعلم ما أحضرت لقوله: ﴿يوم نجد كل نفس ما علمت من خير محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] حتى قال إنه من عكس الكلام الذي يقصد به الإفراط كقوله تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ [الحجر: ٢] وهي بمعنى كم فقد ههنا ما يطابق الواقع في قلة الناظر في المعاد فالفعل الذي أسند إلى نفس ليس في وقوع النظر بل في طلب النظر فهو عام في تعلق كل نفس قال صاحب الانتصاف وما ذكره الزمخشري أمكن وأحسن وقال الطيبي رحمه الله أصل الكلام بها أيها الذين آمنوا اتقوا الله وانظروا ما تقدمون لأنفسكم يوم القيامة فوضع موضع الضمير نفس منكورة قليلاً لها وتقریباً على قلة نظرها في العاقبة وأما تنكير غد فللتنعظيم والتهويل كأنه قيل ولتنتظر نفس واحدة لذلك اليوم الهائل وقال الطيبي ويحتمل تنكير نفس تعظيمها أي نفس ناظرة إلى عاقبة أمرها فيحصل الترتي من ذكر الإيمان إلى التقوى ثم إلى النظر والتفكر ثم رشح التقريع بقوله: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾ [الحشر: ١٩] الآية وقال الواحدي ومحيي السنة لينظر أحدهم الشيء الذي قدم لنفسه أملاً صالحاً ينجي به أم شيئاً يوبقه .

[التكرير: ١٤] لكان أحسن وأوفق لما في سائر المواضع من عموم الأمر إلى كافة الناس مع أن المطيعين قليل فتدبر ولا تحير قوله كأنه قال فلتنظر نفس واحدة بناء على أنه تعالى يعلم أن الناظر في القلة كالواحد وأنت تعلم أن هذا لا يلائم مقام الأمر كيف وقد أمر الله تعالى بالناس أجمعين بالعبادة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] الآية مع علمه بأن العابد قليل جداً وكذا الأمر بالإيمان وسائر الأركان عام مع أن الممثل نادر قطعاً والفرق بينه وبين غيره تحكم ويؤيد ما ذكرناه أنه تعالى أمر المؤمنين بالانتقاء أولاً وثانياً أمر جميع النفوس بالنظر المذكور بالأمر الغائب بعد الأمر بالخطاب وفيه نكتة جلييلة يعرفها أولو الألباب.

قوله: (تكرير^(١) للتأكيد أو الأول في أداء الواجبات لأنه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقتراحه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]) تكرير للتأكيد وقد عرفت أن النجاة جوزوا عطف التأكيد أو الأول في أداء الواجبات بناء على أن التقوى تطلق على فعل الواجبات لتضمنته الاجتناب عن المعاصي وهي ترك الفرائض والواجب والثاني في ترك المحارم وهو معناه الموضوع له ولم يعكس لما ذكره من دليل الترجيح والمراد بالعمل في قوله مقرون بالعمل ما فهم من قوله: ﴿مَا قَدَّمْتُ﴾ [الحشر: ١٨].

قوله: (وهو كالوعيد على المعاصي) فيكون ختم الكلام بما يناسب الابتداء وإنما قال كالوعيد لأنه فهم منه كناية وليس بصريح فيه ولم يتعرض لكونه كالوعد كما في سائر المواضع إذ الوعيد والإنذار أهم مع مناسبته لما قبله فإن التأسيس خبر من التأكيد وإعادة لفظة الجلال والتصدير بأن وتقديم المسند إليه على الخبر المشتق واختيار خبر قد مر وجهه مراراً.

قوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾

قوله: (نسوا حقه) أي عاملوا معاملة الناسين بعدم امتثال أمره والاجتناب عما نهى.

قوله: (فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوها ما ينفعها ولم يفعلوها ما يخلصها أو أراهم يوم القيامة من الهول ما أنساهم أنفسهم) فجعلهم أي فجعلهم بسبب ذلك ناسين

قوله: فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوها ما ينفعها قال صاحب الكشف هذا تنبيه للناس وإيذان بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على إثارة العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار واليون العظيم بين أصحابها وإن الفوز من أصحاب الجنة فمن حقهم أن يعلموا وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة كمن لا يعرفه فتنبه بذلك على حق الآية التي تقتضي البر والتعطف قوله واحتج بها أصحابنا على أن المسلم لا يقتل بالكافر قال الطيبي رحمه الله اعلم أن هذا التمثيل أي لا يستوي كالتمثيل لقوله: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) فيكون ولتنظر اعتراضاً.

لها أي مداومين على النسيان^(١) فإن نسيانهم حق الله تعالى بنسيان أنفسهم حتى لم يسمعوا لأنهم مختومون على سمعهم وعلى قلوبهم بسبب إصرارهم فلا يستطيعون السمع والرؤية وإنما لم يتعرض لعدم الرؤية صريحاً بل اكتفى بقوله ولم يفعلوا الخ لأن آفة السمع أشد وضروره أكثر.

قوله: (الكاملون في الفسوق) تصحيح للحصر وقد مر توجيهه غير مرة وهذا أبلغ من ولا تنسوا الله الخ.

قوله تعالى: لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

قوله: (الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا للجنة والذين استمتهنوها فاستحقوا النار) الذين استكملوا وهم الذين اتقوا الله فاستأهلوا بسبب الاستكمال بالعقائد الصحيحة والأعمال الصالحة وفي التعبير بالاستكمال تنبيه على أن كماله بالطلب والكسب والذين استمتهنوها أي جعلوها مهانة ذليلة بسبب نسيان حقوق الله تعالى وبهذا البيان ظهر ارتباطه بما قبله.

قوله: (واحتج به أصحابنا على أن المسلم لا يقتل بالكافر بالنعيم المقيم) واحتج أصحابنا لأنه نفي الاستواء بينهم مطلقاً فيقتضي أن لا يستوي دماؤهم والقصاص بناء على التساوي في الدماء فإذا قتل المسلم الكافر الذمي عمداً لا يقتضى وأجاب أصحابنا عنه بأن المراد نفي الاستواء في أحكام الآخرة لأن قوله أصحاب الجنة استئناف مسوق لبيان عدم الاستواء^(٢) فلا يتناول في أحكام الدنيا والقصاص بناء على التساوي في العصمة وحقن الدماء وهو موجود فيهم لأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا والتفصيل في كتب الفقه.

الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴿الحشر: ١٨﴾ إلى آخره وذلك أنه تعالى لما أمر المؤمنين بالتقوى التي هي قصوى كرامة الله تعالى كما قال: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] وبالنظر والتيقظ للعاقبة والأخذ في العمل وما يسره في غد إذا لقيه ثم نهاكم أن تكونوا من الغافلين الذين نسوا الله وتركوا الحذر فأهلوا العمل للغد فامتهنهم الله بالخذلان فأنساهم أنفسهم حتى رأوا في العاقبة من الأحوال ما نسوا فيها أنفسهم ذيل الكلام بقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢٠] لتعزيز الترغيب فيما يزلفهم إلى الله تعالى ويدخلهم دار كرامته ويجعلهم من أصحابها ومن ثمة لطف استدلال أصحابنا بهذه الآية ودق على أن المسلم لا يقتل بالكافر وحسن كلام القاضي حيث قال لا يستوي الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين استمتهنوها فاستحقوا النار أقول أخذ القاضي رحمه الله هذا المعنى في الموضحين من إضافة الأصحاب فإنها في الأول للتعظيم وفي الثاني للتحقير.

(١) وهذا مجاز والنسيان في الاحتمال الثاني حقيقة.

وصيغة الماضي فيه مأولة ولذا أخره.

(٢) بدلالة العدول من أصحاب التقوى والعصيان إلى أصحاب الجنة والنيران.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُمْ خَضِعَاً مُّخَضِعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١)

قوله: (تمثيل وتخيل كما مر في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ولذلك عقبه بقوله: ﴿وتلك الأمثال﴾ [الحشر: ٢١] (الآية) تمثيل وتخيل يعني أنه استعارة تمثيلية وتخيلية والمعنى أن الجبال لو ركب فيها العقول لخضعت وتهدمت من خشية الله مع كونه قوياً غير متأثر بالمصادمة والمقارعة فما بال الإنسان في عدم تأثره من فنون قوارعه وزواجره مع كمال ضعفه فلا جرم أن قلوبهم أشد قسوة من الجبال وسائر الأحجار وكلمة لو تفيد الفرض والتقدير ومثل هذا تسمية الاستعارة التمثيلية لا يظهر لنا وجهاً فيها ولعل لهذا قال الفاضل السعدي ليس المراد التمثيل المصطلح بل البيان والتصوير لعظمة القرآن وقوة تأثيره وهذا هو الظاهر من كلمة لو وإن أوهم كلام الشيخين في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية أن المراد تمثيل مصطلح لكن ينبغي أن يكون مرادهما التشبيه في البيان والتصوير لا في كونه تمثيلاً مصطلحاً والخطاب^(١) في لوابته لكل من يصلح أن يخاطب وهذا أولى من أن يكون خطاباً له عليه السلام خاصة فيتمثل يكون المراد بالأمثال ما هو كالأمثال في الغرابة وتصوير المعنى والله أعلم بالصواب.

قوله: (فإن الإشارة إليه وإلى أمثاله) المذكورة في مواضع آخر من القرآن إذ القرآن كله بمنزلة آية واحدة فما ذكر في موضع فكأنه مذكور في موضع آخر فما ذكر من الأمثال في موضع آخر فكأنه مذكور هنا فيحسن الإشارة هنا إلى تلك الأمثال لعلهم يتفكرون أي كي يتفكروا في تلك الأمثال فيعتبرون بها.

قوله: (والمراد توبيخ الإنسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة

قوله: تمثيل وتخيل كما مر في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢] أي في أحد وجهيه وهو أن يراد أن ما كلفه الإنسان من عظمة وثقل محمله أن عرض على أعظم خلق الله من الأجرام وأقواه فأبى حمله وكذلك مثل حالة عظمة كلام الله المجيد وجلالة تنزيله بالحالة المعروضة للجبال وهي حصول صدعها من خشية الله تعالى عند نزوله قال الواحدي وبيانه لو جعل في الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن يخشع ويتشفق من خشية الله والمعنى أن الجبل مع قساوته وصلابته يتشفق من خشية الله تعالى خذراً من أن لا يؤدي حق الله تعالى في تعظيم القرآن والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر كان لم يسمعها وقال الطيبي هذا معنى قوله: ﴿وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢] أي خاسر به.

قوله: فإن الإشارة إليه وإلى أمثاله لتعليل لقوله تمثيل به وتخيل أي قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [الحشر: ٢١] الآية تمثيل لأن الإشارة بقوله: ﴿وتلك الأمثال﴾ [الحشر: ٢١] إلى هذا التمثيل وغيره من التمثيلات الواردة في القرآن.

(١) وهذا يدل على كمال وضوحه ولذا لم يجيء لصار خاشعاً أو لخشع وتصدح الخ.

تدبره والتصدع التشقق وقرىء مصدعاً على الإدغام) توبيخ الإنسان أي نوعه باعتبار أغلب أفرادها وهذا التوبيخ بطريق التعريض والكنائية وارتباطه بما قبله إنه تعالى لما بين مثل اليهود والمنافقين وعدم استواء أصحاب النار وأصحاب الجنة أشار بهذه الآية أن المكلف من الإنسان أسوأ حالاً من الجبال.

قوله تعالى: **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴿٢٢﴾

قوله: (أي ما غاب عن الحس) بقرينة مقابلته بالشهادة سواء كان مما تقتضيه بديهية العقل أو لا وسواء كان نصب عليه دليل أو لا ولو أريد بالغيب ما ذكره في أوائل سورة البقرة لخرج عنه كثير من الغيب المقابل للشهادة.

قوله: (من الجواهر القدسية وأحوالها وما حضر لها من الأجرام وأعراضها) من الجواهر القدسية والمراد بها المجردات وهذا مسلك الحكماء وعند جمهور المتكلمين هي غير ثابتة وما حضر لها أي للحواس تفسير للشهادة وذكرها بعد العلم بالغيب للتنبيه على أن علمه بالمغيبات كالعلم بالمشاهدات ولا غيب عنده تعالى بل هو بالنسبة إلى العباد ونبه عليه بقوله ما غاب عن الحس وما حضر.

قوله: (وتقدم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به) لتقدمه في الوجود هذا بناء على ما مر من وجود المجردات وقوله وتعلق العلم بالجر معطوف على الوجود القديم إما صفة للعلم وهو مستغن عن البيان أو صفة للتعلق فإن تعلق علمه تعالى على وجهين تعلق قديم وهو تعلقه بالأزليات والحوادث المتجددة بأنها ستوجد أو ستعدم وتعلق حادث وهو تعلقه بالحوادث بأنها وجدت الآن أو قبل ومراد المص تعلقه بالأزليات الموجودة بقرينة قوله لتقدمه في الوجود ولما كان في كلامه إجمال وإهمال أوضحت المرام فمن أراد الاستقصاء فليراجع إلى رسالتنا المعمولة لتحقيق تعلق العلم وسائر صفاته العلى.

قوله: (أو المعدوم) أي الغيب هو المعدوم سواء كان المعدوم الممكن أو الممتنع وسواء كان بالعدم الأزلي أو بالعدم الطارئ فتعلقه بالأزليات قديم وبالعدم العارض حادث كما أشرنا إليه.

قوله: وتعلق العلم القديم به أقول تعلق العلم القديم لا يختص بالغيب فإن علم الله القديم كما يتعلق بالغيب يتعلق بالشهادة فلا يكون تعلقه بالغيب سبباً لتقدمه على الشهادة اللهم إلا أن يكون قوله وتعلق العلم القديم معطوفاً على الضمير المجرور المضاف إليه في لتقدمه لا على المضاف لكن وصف العلم بالقدم حينئذ ويكون خالياً عن الفائدة إذ يكفي حينئذ أن يقال وتعلق العلم به أي ولتقدم تعلق علم الله تعالى به ولو قيل هو عطف على التقدم والقديم وصف للتعلق يلزم الذهاب إلى أن الجواهر القديمة القدسية قديمة لأن قدم تعلق علم الله القديم بالوجود الخارجي للشيء يستلزم قدم ذلك الشيء وهذا ليس مذهباً حقاً فإنه من أباطيل الفلاسفة وضلالاتهم وإنما قيدنا الوجود بالاجزائي لأن قدم تعلق علم الله القديم بالصور العلمية التي هي الأعيان الثابتة في علم الله تعالى لا يوجب قدم الأشياء الخارجية.

قوله : (والموجود أو السر والعلانية) أي المراد بالشهادة الموجود سواء كان أزلياً فالمتعلق به قديم أو حادثاً فتعلقه بأنه وجد الآن أو قبل حادث فعلى هذا تقدم الغيب إذ العدم الأزلي مقدم وإن كان العدم الطارىء مؤخراً وهذا المعنى هو الأعم من الأول وبالتقديم أخرى وكذا راجع على ما ذكره بعده من قوله أو السر الخ فالخير ما ذكر في الوسط فإن خير الأمور أوسطها ولعل لهذا ذكره في الوسط فإنه مهما أمكن تطبيقه بقوله تعالى : ﴿ بكل شيء عليم ﴾ [الحجرات : ١٦] لا يعدل عنه وهو المعنى المذكور في الوسط والنسبة بين المعاني ظاهرة مما قرئناه وارتباطه بما قبله لما بين أحوال المكلفين وأنهم متفاوتون في التقوى والمعاصي ذكر أنه تعالى عالم الغيب والشهادة فيعلم تقويهم وعصيانهم والختم بالرحمن للتنبيه على سبق رحمته ثم ذكر بعض صفاته الكمال المناسبة لصفة العلم فقال : ﴿ هو الله الذي ﴾ [الحشر : ٢٢] الآية واختير الفصل تنبيهاً على أنه مدح على حياله وللاهتمام بأمر التوحيد وتقديم العلم لمزيد مساسه بما قبله وتقديم التوحيد ظاهر وتقديم الملك لأنه من روادف التوحيد معناه أنه يعز من يشاء ويذل من يشاء فمرجعه صفة فعلية أو لا يدل أي يمتنع إذلاله فمرجعه صفة سلبية أو تام القدرة فمرجعه صفة القدرة .

قوله تعالى : **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴿٢٣﴾

قوله : (البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانه وقرئ بالفتح وهو لغة فيه) البليغ في النزاهة فمرجعه صفة سلبية وقيل هو الذي لا يدركه الأوهام والأبصار وفي المواقف هو المبرأ عن المعاييب والمصنف قال عما يوجب نقصانه ليحسن المقابلة بالسلام لكن يرد عليه أن النزاهة عما يوجب نقصانه يستلزم التنزه عن النقصان إذ النقصان إنما يكون بالموجب إلا أن يقال إنه لدفع توهم أن النقصان بدون موجب وهذا أيضاً من الصفات السلبية .

قوله : (ذو السلامة من كل نقصان وأفة) أي عيب وهو من أفراد النقصان .

قوله : (مصدر وصف به للمبالغة) فحينئذ ينبغي أن لا يقدر ذو في قوله ذو السلامة فإنه تأويل في أمثاله مغل للمبالغة إلا أن يقال أنه مراده إذا لم يقصد به المبالغة كان المعنى ذا السلامة كما قيل في إقبال وإدبار في قول الخنثى وإنما هي أي الناقاة إقبال وإدبار .

قوله : (واهب الأمن) من الفرع الأكبر إما بفعله وإيجاد الأمن والطمأنينة فيهم فمرجعه الصفة الفعلية أو بإخباره تعالى إياهم بالأمن من ذلك فيكون صفة كلامية .

قوله : البليغ في النزاهة معنى المبالغة مستفاد من صيغة القدوس قال الجوهري قدوس اسم من أسماء الله تعالى فعول من القدس وهو الطهارة والقدوس لغة فيه وقال الجوهري أيضاً وسبوح من صفات الله قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الأول إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيهما أكثر وقال ابن جني فعول في الصفة قليل .

قوله: (وقرىء بالفتح بمعنى المؤمن به بحذف الجار) والإيصال.

قوله: (الرقيب الحافظ لكل شيء) وفي الكشف الرقيب على كل شيء والحافظ له وهو الأولى والرقيب معنى المهيم والحافظ لازم له أو هو تفسير للرقيب قال الغزالي هو أخص من الحفيظ وفي المواقف المهيم الشاهد وفسر بالعلم تارة وبالتصديق أخرى.

قوله: (مفيعل من الأمن قلت همزته هاء) وأصله ماأمن فقلت الثانية ياء والأولى هاء كإراق وإهراق وسكت المصنف عن قلب الثانية ياء لظهوره.

قوله: (العزيز) أي القادر القوي أو لا مثل له أو لا يحط عن منزلته أو لا يرام أو لا يخالف أو لا يخوف بالتهديد والأول من الباب الثاني فمرجعه صفة القدرة والباقي من الباب الرابع ومرجعه صفة سلبية.

قوله: (الذي جبر خلقه على ما أَرَادَهُ أو جبر حالهم بمعنى أصلحه) الذي جبر خلقه فمرجعه صفة فعلية وكذا بالمعنى الثاني.

قوله: (الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصاناً) أي تنزه وتعالى عن كل الخ قال الغزالي المتكبر المطلق هو الذي يرى الكل حقيراً بالإضافة إلى ذاته ولا يتصور ذلك على الإطلاق إلا لله تعالى قيل جعل جبار من الثلاثي سواء كان بمعنى أكرههم وقسره أو بمعنى أصلحه لأن أكثر النحاة على أن أمثلة المبالغة لا تصاغ من غير الثلاثي وقيل إنها تكون من غيره أيضاً وما تقدم في سورة المؤمن أنه من أجبره قول آخر فلا تعارض بين كلاميه تكبر أي تعالى وارتفع وتنزه عنه.

قوله: الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الأمن قلت همزته هاء قال الزجاج زعم بعض أهل اللغة أن الهاء بدل من الهمزة وأن أصله المؤمن كما قالوا إياك وهياك والتفسير بشهد بهذا القول لأنه الأمين وجاء أنه الشهيد فتأويل الشهيد الأمين في شهادته قال حجة الإسلام المهيم في حق الله تعالى أنه القيام على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم وإنما قيامه عليهم بإطلاعه واستيلائه وحفظه وكل مشرف على كنه الأمر مستول عليه حافظ له فهو مهيم عليه والاشراف يرجع إلى العلم والاستيلاء إلى كمال القدرة والحفظ إلى الفعل والجامع بين هذه المعاني اسمه المهيم ولن يجمع ذلك على الإطلاق والكمال إلا الله تعالى وفي شرح أسماء الله الحسنى ومن أدب من عرف معنى هذا الاسم أن يكون مستحيباً من إطلاعه عليه ورويته له وهو المراقبة عند أهل الحقيقة ومعناه علم القلب بإطلاع الرب حكى أن إبراهيم بن آدم كان يصلي ليلة فأعفى فجلس ومد رجله فهتف هائف أهكدا يجالس المملوك وكان الحريري لا يمد رجله في الخلوة ويقول حفظ الأدب مع الحق أحق.

قوله: (الذي تكبر على كل ما يوجب حاجة ونقصاناً) قال الأزهري فإن قيل الفعل يجيء في باب الصفات لمن يتكلف التمتع الذي لا يستحقه كقوله يتعظم وليس يعظم ويتكبر وليس يكبر ويتنحى وليس ينحى فكيف جاز في صفة الخالق الجواب أن الفعل يجيء على غير معنى التكلف من ذلك قولهم فلان يتظلم أي يظلم وفلان يتظلم أي يشكو ظلامه ويسأل أن يعان على ظالمه فإذا

قوله: (إذ لا يشاركه) الضمير المستتر لما في ﴿عما يشركون﴾ [الحشر: ٢٣] والبارز له تعالى.

قوله: (في شيء من ذلك) من الصفات العلى.

قوله تعالى: هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

قوله: ﴿هو الله﴾ [الحشر: ٢٣] لم يعطف لما ذكرناه من أنه ثناء على الاستقلال وإنما كرره لكمال العناية بصفة الألوهية للانفهام منه التوحيد لم يكرر التوحيد.

قوله: (المقدر للأشياء على مقتضى حكمته الموجود لها بريئاً من التفاوت الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد ومن أراد الإطناب في شرح هذه الأسماء وأغواتها فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المعنى) المقدر الخ أشار به إلى الفرق بين هذه الثلاثة رد الوهم الترادف فحمل الخالق على معنى مقدر الأشياء الخ لا معنى الموجد فإن خروج الأشياء من العدم إلى الوجود يحتاج أولاً إلى التقدير وثانياً إلى الإيجاد على وفق ذلك التقدير وهو معنى الباري وثالثاً إلى التصوير وهو معنى المصور فالله تعالى خالق من حيث إنه مقدر وباريء

جاز أن يكون متفعل في موضع فاعل جاز أن يكون تفعل في موضع فاعل جاز أن يكون موضع فعيل فإنهما أخوان وقيل إن المتكبر من الكبرياء الذي هو عظمة الله تعالى لا من التكبر الذي يذم به المخلوق فالله تعالى استحق الكبرياء لأنه أكبر كبير وأعظم عظيم ولا يستحقه المخلوق الذي هو مخلوق من نطفة قدرة ويعود بعد موته جيفة أقدر منها فهو متعدد طوره بأدعائه ما ليس له والله عز وجل كما وصف نفسه فوق ما وُصف فهو متكبر بحق وغيره مدع ما ليس له وقال حجة الإسلام المتكبر هو الذي يرى الكل حقيراً بالإضافة إلى ذاته ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه فينظر إلى غيره نظر الملوك إلى العبيد فإن كانت هذه الرؤية صادقة كان التكبر حقاً فكان صاحبها متكبراً حقاً ولا يتصور ذلك على الإطلاق إلا الله تبارك وتعالى وفي شرح الأسماء الحسنى للإمام الرازي التكبر والكبرياء إخبار عن استحقاقه لنوعات الجلال وصفات الكمال والتكبر في صفة الخلق مذموم لأنهم محل النقص فمن تكبر منهم فقد تكلف أن يتصف بغير ما يليق به فمن عرف علوه تعالى وكبريائه لزم طريق التواضع وسلك سبيل التذلل ولهذا قيل هناك ستره من جاوز قدره وحكي أن ملكاً استعرض جارية فأعجبته فطلب صاحبها مائة ألف درهم فاشتراها الملك فلما أحضروا عنده الثمن استكره وقال إن شراء جارية بهذا المال الكثير غبن فاحش فقالت له الجارية اشترني فإن في مائة خصلة كل خصلة منها تساوي أكثر من ألف درهم فقال وما هي فقالت أدناها أنك إن اشتريتني وقدمتني على جميع حواريتك لم أعجب بنفسي بل أعلم أنني مملوكة على كل حال وقيل لعمر بن عبد العزيز إن ابنك اتخذ خاتماً اشترى له فصاً بألف درهم فكتب إليه أما بعد فقد بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم فبعه واشبع به جاع واتخذ خاتماً من حديد صيني واكتب عليه رحم الله أمراً عرف قدر نفسه وقد قيل الفقير في خلقه أحسن منه في حديث غيره ولا وصف أزين للخدم من التواضع بحضرة السادة.

من حيث إنه موجد ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب ويزينها أحسن تزيين ومن هذا علم وجه تقدير الخالق الخ ولو أريد بالخالق مطلق الإيجاد والبارئ الإيجاد بربا من التفات كما نبه عليه هنا وصرح به في البقرة لم يبعد إذ الإيجاد معنى الخلق اصطلاحاً والتقدير معناه لغة واعتبار الاصطلاح أولى قيل قرئ أي المصور بفتح الواو على أنه مفعول البارئ فما في قاضيخان من أن قراءة المصور بفتح الواو هنا تفسد الصلاة فيه نظر وقد أشار إليه بعض المتأخرين ولعل مراده أن القراءة الشاذة ليست بقرآن إذ التواتر شرط في القرآن فيندفع النظر المذكور.

قوله: (لأنها دالة على محاسن المعاني) نبه به على أن كون الأسماء حسنى لدالاتها على صفات الكمال وهي المراد بمحاسن المعاني.

قوله: (يسبح له ما في السموات والأرض) [الحشر: ٢٤] لتزججه عن النقائص كلها) يسبح له صيغة المضارع للاستمرار والسموات والأرض داخلتان فيما في السموات كما مر غير مرة وما ليعم العقلاء وغيرهم اختير على من اختير هنا الجملة الفعلية وما سبق جملة اسمية لنكتة دقيقة يعرفها من له سليقة.

قوله: (الجامع للكمالات بأسرها فإنها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم) أي هاتان الصفتان كناية عن جميع الكمالات وإنما ذهب إليه هنا لأنه كالعلة لما قبله فإن الاستجماع لجميع الكمالات مستلزم لتزججه عن جميع النقائص.

قوله: (عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) رواه الثعلبي عن أنس رضي الله تعالى عنه ولم يقل إنه موضوع الحمد لله على توفيق إتمام ما يتعلق بسورة الحشر. والصلاة والسلام على من أوتي الشفاعة في يوم الحشر. وعلى آله وأصحابه. أجمعين. تمت وقت العصر من الثلاثاء في شهر شعبان والله المستعان في سنة ١١٩١.

قوله: (الجامع للكمالات بأسرها فإنها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم والكمال في القدرة مستفاد من لفظ العزيز فإنه بمعنى البليغ في الغلبة على كل شيء ويلزمه كمال القدرة ومعنى الكمال في العلم مدلول لفظ الحكيم فإن معناه البليغ في العلم والحكمة.

قوله: من قرأ سورة الحشر الخ عن أبي هريرة سألت رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم فقال «عليك الحشر فأكثر قراءته» فأعدت عليه فأعاد علي فأعدت عليه فأعاد علي وعن أحمد بن حنبل والترمذي عن معقل بن يسار قال قال رسول الله ﷺ «من قال حين أصبح ثلاث مررات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي فإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ومن قال حين يمسي كان بتلك المنزل» ورواه أبو عيسى عن محمد بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري بهذا الإسناد وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا بهذا الوجه. اللهم ارحمنا برحمتك وأعنا على رضاك يا رب العالمين. تمت السورة أحمد الله مفتتحاً ومختتماً. فالآن أشرع بعونك اللهم فيما في سورة الممتحنة وباسمك أقول.

سورة الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة آية) أي نزلت بعد الهجرة فلا إشكال بأن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الممتحنة: ١] نزلت يوم فتح مكة فهي مدنية بالاتفاق بهذا المعنى قوله الممتحنة بكسر الحاء وهي باعتبار الأصل صفة السورة وقد تفتح فيثبت تكون صفة المرأة التي نزلت فيها ثم صارت علماً لهذه السورة الكريمة.

قوله: (وهي ثلاث عشرة آية) بالاتفاق.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوُا فِيهِم بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَكَ رَسُولًا أَوْ يُثَبِّتُونَكَ بِأَقْبَلِ رَأْيِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَآيَاتِي مَرْضَانِي فَيُرُونَ فِيهِم بِالْمُؤَدَّةِ وَأَنَا أَفْطَرُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ يَنْصُرْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾

قوله: (نزلت في حاطب بن أبي بلتعة) بحاء وطاء مهملتين ويكسر الطاء وياء موحدة بلتعة بفتح الباء الموحدة ولام ساكنة بعدها مثناة فوقية مفتوحة وعين مهملة.

قوله: (فإنه لما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو أهل مكة كتب إليهم أن رسول الله عليه السلام يريدكم فخذوا حذرکم وأرسل كتابه مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبرائيل عليه السلام فأخبر رسول الله، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وعماراً وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإنها بها ظعينة معها كتاب حاطب إلى أهل مكة فخذوها منها واخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثمة فوجدت فهموا بالرجوع فسل علي

سورة الممتحنة

مدنية وآياتها ثلاث عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١].

قوله: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة الخ الظعينة بالعين المهمللة المرأة إذا دامت في اليهودج وإذا لم تكن فيها فليس بظعينة والظعينة أيضاً البعير الذي تظعنه المرأة أي تركبه والمعنى الأول وهو المراد هنا والظعينة الشعر المعقوص وأصل المعقص إدخال أطراف الشعر في أصوله.

رضي الله تعالى عنه السيف فأخرجته من عقبتها فاستحضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حاطباً وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنني كنت امرأةً ملصقاً بقرش وليس لي فيهم من يحمي أهلي فأردت أن أخذ عندهم بدأ وقد علمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئاً فصدقته رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعذره) فإنه لما علم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخ إما بإخياره أو بتجهيز الجيوش كتب أهل مكة أن رسول الله عليه السلام وهذا دليل على إيمانه وثباته وإلا فأهل مكة لم يعتقدوا الرسالة فخذوا حذرهم أي تحركهم وتيقظكم فإنه مثل آلة يتحصن بها أو المراد فخذوا أسلحتكم مجازاً قوله مع سارة اسم امرأة فنزل جبريل فأخبره بذلك فبعث الخ قوله وقال انطلقوا الخ بيان بعثه عليه السلام روضة خاخ بخائنين معجمين اسم مكان بين مكة والمدينة وخاخ يجوز صرفه ومنعه كما في القاموس والصرف بتأويل المكان وعدم صرفه بتأويل البقعة والاسم مجموع روضة خاخ قوله فإن بها طعينة بالظاء المعجمة والعين المهملة المرأة ما دامت في هودجها ويطلق على المرأة مطلقاً قوله من عقبتها والعقبة ضفيرة الشعر وفي بعض النسخ فهموا بالرجوع لم يذكره المخرجون إذ ظاهره يخالف أمره عليه السلام بضرب عنقها إن أبت والاعتذار بأنهم فهموا أن الأمر ليس للوجوب ضعيف والصحيح ما في بعض النسخ قوله فاستحضر الخ الفاء فصيحة أي فأخذوا كتاباً وأتوه إليه عليه السلام فاستحضر الخ قوله ما كفرت أي باطناً كالمنافق إذ الاشتباه في عدم كفره ظاهراً منذ أسلمت ذكره صوتاً له عن الكذب ما غششتك من الغش وهو الخيانة منذ نصحتك أي منذ صدقتك وأمنت بك قوله كنت امرأةً رجلاً ملصقاً في قرش أي لست من نفس قرش ولم يكن لي قريب فيها وهو المراد بقوله وليس لي من يحمي يحفظ أهلي كسائر المهاجرين فإن لهم أقارب بمكة يحمون أموالهم وأهاليهم فأردت الفاء للسببية على ظنه أن أخذ بالمد متكلم وحده بمعنى اتخذوا جعل عندهم بدأ أي إحساناً بحسب الظاهر يحمون بها مالي والله ما فعلت هذا شكاً في ديني وقد علمت بنور الإيمان وقراسة الإذعان أن كتابي ومكتوبي الخ قوله فصدقته لعلمه بأنه مطمئن بالإيمان واعتذاره نوع اعتذار فلذا عذره أي قبل عذره لكن فعله لكونه مشابهاً بفعل المنافقين قال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ولم يزره النبي عليه السلام في هذه التسمية بل قال إنه قد شهد بداراً أي حضر غزوة بدر لعل الله أن يكون قد أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم كذا رواه الإمام الصخاني في المشارق ورواية الشيخين اتوا روضة خاخ وما قاله المص من أنه عليه السلام قال انطلقوا رواية أخرى والروايات في المبعوث

قوله: وما غششتك منذ نصحتك معنى التغشيش خلاف الاستصاح أي ما أخلفتك في نصحي إياك ومعنى نصيحتة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم التصديق بنيوته ورسائله والانقياد لما أمر به ونهى عنه.

مع علي رضي الله عنه مختلفة والأمر فيه سهل وقد سبق أن أموال المهاجرين قد ملك أموالهم أهل الحرب ولذا قال تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين﴾ [الحشر: ٨] الآية فكيف يقول حاطب رضي الله تعالى عنه يحمي أمواله الخ.

قوله: (تفوضون إليهم المودة بالمكاتبه والباء مزيدة أو أخبار رسول الله بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة لأولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة فيها إلى إبراز الضمير لأنه مشروط في الاسم دون الفعل) تفوضون نقل عن الأساس أنه ذكر فيه يقال أفوض الساجد بيده الأرض مسها فجعله متعدياً بالباء وكلام المصنف يخالفه فلو قيل تلقون تعدى بالباء لكونه بمعناه كان وجهاً أيضاً أي كما قيل في زيادة الباء والحاصل الإلقاء عبارة عن إيصال المودة والإفضاء بها إليهم كذا في الكشف فعلى هذا المودة من الحذف والإيصال فحينئذ لا يخالف كلامه ما في الأساس والخطاب لعموم المؤمنين مع أن من فعل ذلك حاطب رضي الله تعالى عنه إذ خصوص سبب النزول لا يتنافى عموم الحكم وإلقاء المودة وإيصالها صوري لا حقيقي كما عرفت من بيان السبب وأيضاً لا إيصال المودة بل قصدها ومع ذلك أنه منهي قوله بالمكاتبه لم يذكر في الكشف وهو الأولي لأنه مختص بحاطب وجعله عاماً تكلف بل تعسف قوله والباء مزيدة كقوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم﴾ [البقرة: ١٩٥] على وجه إذ الملقى المودة أو الباء للسببية والمفعول محذوف وهو إخبار الرسول عليه السلام وإليه أشار بقوله أو أخبار رسول الله عليه السلام بفتح الهمزة جمع خير بسبب المودة ولو صورياً قوله والجملة حال الخ ولا مفهوم لأنه بناء على حادثة على أن المفهوم لا يعارض المنطوق الدال على منع المودة مطلقاً أو الحال لازمة والحال من المنهي لا من النهي فلو قال من فاعل تتخذوا لكان صريحاً في المرام قوله أو صفة لأولياء جرت الخ إذ الإلقاء صفة المخاطبين ولا مفهوم أيضاً لما ذكر في الحال ولا حاجة إلى إبراز الضمير بأن يقال تلقون إليهم أنتم بالمودة لأنه مشروط في الاسم فلو قيل أولياء ملقين إليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز وهذا مسلك الزمخشري وتبعه المصنف والبحث الذي ذكره بعض المحشين غير مناسب.

قوله: (حال من فاعل إحدى الفعلين) فإن كان حالاً من الفعل الأول أي لا تتخذوا

قوله: فلا حاجة إلى إبراز الضمير لأنه مشروط في الاسم دون الفعل يعني وجوب إبراز الضمير في الصفة التي أجريت على غير من هي له إنما هو إذا وردت الصفة في صورة الاسم نحو هند زيد ضارته هي فلا يجوز فيه أن يقال هند زيد ضارته ولكن يجوز هذا في صورة الفعل نحو هند زيد تضربه وفي الآية الكريمة لو وردت الصفة على صورة الاسم لوجب إبراز الضمير نحو ملقين أنتم إليهم بالمودة وأما في تلقون إليهم فلا وجه الإبراز في الاسم وعدم وجوبه في الفعل هو ضعف الاسم في الفعل وقوة الفعل فيه.

قوله: حال من أحد الفعلين إما من مفعول لا تتخذوا أي لا تتولوهم والكفر بما

فهي حال مترادفة إن كانت جملة تلقون حالاً وإن كان من الفعل الثاني فهي متداخلة وهذا أولى وهذه الحال تفيد استبعاد المودة مع وجود هذه الكيفية لأنها توجب البغضاء والعداوة ولذا لم يلتفت إلى كونه حالاً من المفعول مع جوازه.

قوله: (يخرجون الرسول وإياكم أي من مكة) أي كانوا سبباً لخروج الرسول عليه السلام.

قوله: (وهو حال من كفروا) أي من فاعل كفروا تفيد أيضاً استبعاد المودة.

قوله: (أو استئناف لبيان) أو استئناف أي نحوي مسوق لبيان أي لبيان كفرهم وفرد طغيانهم بإدعاء أنه عين الكفر لقوته في السببية وهذا مذكور في الكشف أولاً وهو الأولى ليفيد المبالغة والمضارعة لحكاية الحال الماضية وأما الاستمرار فغير مناسب هنا بخلاف تلقون والاستئناف يمكن في تلقون وقد كفروا ولم يتعرض له المص اكتفاء بالوجه الأظهر.

قوله: (بأن تؤمنوا به) الباء للسببية أي إخراجكم بسبب إيمانكم بالله إيماناً معتقداً به بإطاعة نبيه والإيمان بكتابه وهم وإن آمنوا بالله لكن إيمانهم كلا إيمان لإشراكهم به وعدم إطاعة رسوله وقبول كتابه ويحتمل أن يكون المحذوف اللام فيكون مفعولاً له أو يقدر مضاف أي يخرجونكم أو كراهة إيمانكم وهذا مشهور في مثله.

قوله: (وفيه تغليب المخاطب) وهم المؤمنون على الغائب وهو الرسول عليه السلام لأنه اجتمع فيه سببان الخطاب والكثرة ولو نظر إلى أنه عليه السلام أشرف فغلب على غيره لما في بعض المواضع لكان له وجه لكن السوق يقتضي الخطاب.

جاءكم حالهم وإما من الضمير المجرور في ﴿تلقون إليهم﴾ [الممتحنة: ١] أي لا توادوهم والكفر حالهم.

قوله: وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم إلى الغيبة للدلالة على ما يوجب الإيمان أي وفي قوله عز وجل: ﴿إن تؤمنوا﴾ [الممتحنة: ١] تغليب المخاطبين على الغائب الذي هو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بأن جعل صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مذكور بلفظ الرسول والمعبر بالاسم الظاهر في حكم الغائب في زمرة الذين خاطبوا بلفظ أن تؤمنوا وأما الالتفات من التكلم إلى الغيبة ففي التعبير بلفظة الله ومقتضى الظاهر أن يقال إن تؤمنوا بي ونكتة الالتفات هي الدلالة على ما يوجب الإيمان فإن وصف الإلهية المستفادة من اسم الجلال هو الموجب للإيمان به لا سيما قد وصف بقوله ربكم فلو قيل بي يدل بالله لقات نكتة الإشعار بالموجب وتعدر الوصف بالربوبية لأن الضمير لا يوصف والالتفات هنا إنما هو على مذهب السكاكي وإلا فعند جمهور علماء المعاني يجب في الالتفات التعبيران ولذا وقع بين السكاكي والجمهور خلاف في أن مخاطبة الإنسان مع نفسه هل هو من باب الالتفات أم لا ومنه كاف الخطاب في قول امرئ القيس:

تطاول ليلك بالآشم

البيت حيث قال ليلك في موضع ليلي وأمثاله كثيرة في كلام البلغاء.

قوله: (والالذات من التكلم إلى الغيبة للدلالة على ما يوجب الإيمان) حيث لم يقل إن تؤمنوا بي للدلالة على ما يوجب الإيمان وهو كونه مستجمعاً بجميع صفات الكمال عموماً وذكر الرب بعده خصوصاً لأن مقتضى التربية الإيمان بأنه مستحق بالعبادة لا غير فلو قال بي لا يفهم ذلك من اللفظ إذ الضمير يدل على الذات فقط ولذا قال أو لا عدوي فإن قلت إذا فهم الذات من الضمير والذات مستجمع بجميع صفات الكمال فيفهم ذلك من الضمير أيضاً قلت دلالة الذات على صفات الكمال بأسرها في ضمن فهمه من لفظة الجلال فقط وأما قوله تعالى: ﴿عدوا لله﴾ [البقرة: ٩٧] في مواضع عديدة فلا يدل على ما يوجب العداوة فتأمل.

قوله: ﴿إن كنتم خرجتم﴾ [الممتحنة: ١] عن أوطانكم) إن كنتم خرجتم هذا الخروج للغزو كما دل عليه قوله جهاداً الخ وهذا الخروج بدون الإخراج والإيراد الخروج للهجرة إذ الجهاد بعد الهجرة وكلمة الشك بالنظر إلى ما في نفس الأمر لا بالنظر إلى القائل تعالى وإدخال كان للدلالة على الدوام أي كلما خرجتم فلا تتخذوا عدوي الخ.

قوله: (علة للخروج وعمدة للتعلق) أي علة تحصيلية أما الجهاد فظاهر وأما الابتغاء فلأن المراد ابتغاء الرضاء بسبب الجهاد.

قوله: (وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا) أراد به ورد ما في الكشف من أن قوله: ﴿إن كنتم خرجتم﴾ [الممتحنة: ١] حال من لا تتخذوا ولم يرض به المصنف لأنه مختص بالشرط المصدر بأن الوصلية مع الواو على اختلاف فيه لكن الزمخشري إمام في العلوم العربية فمختاره جواز ذلك في مطلق الشرط سواء كان الشرط مصدراً بأن الوصلية أو لا وسواء كان الضد للمذكور أولى بالحكم والوقوع أو لا إذا أريد به تقييد المذكور وقد جوز ذلك ابن جني كما نقل عنه غاية الأمر أن المصنف اختار مسلك غيره.

قوله: (بدل من تلقون) أي بمنزلة بدل الكل إذ المعنى تسرون موصولين إليهم إذ الإسرار لا يتعدى إلى إلا بالتضمن والقول بأنه بدل اشتغال لأن إلقاء العمدة يكون سرّاً

قوله: علة للخروج وعمدة للتعلق أي قوله جهاداً وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة لتعلق الجزاء الذي هو لا تتخذوا بالشرط الذي هو خرجتم فإن العمدة في تعليق الجزاء بالشرط أن يكون الشرط مما وجد فيه معنى السببية والسببية إنما هي في الجهاد وابتغاء مرضاة الرب لا في مجرد الخروج من مكة وصلاحيه الخروج من مكة للسببية إنما جاءت من علته فكان المعنى أن تجاهداً في سبيلي وتبغوا مرضاتي لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء.

قوله: (وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا) [الممتحنة: ١] هذا قول من لم يجوز تقديم الجزاء على الشرط ومن جوز ذلك جعل لا تتخذوا المذكور جزءاً كما قال صاحب الكشف وإن كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي ثم قال وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه.

وجهرأ فأبدل منه لبيان أنه بأي نوع وقع الإلقاء بعيد إذ الإلقاء إليهم إنما وقع بالجهر^(١) ولو سلم ذلك فيكون بدل البعض لا الاشتمال.

قوله: (أو استئناف معناه أي طائل لكم في إسرار المودة أو الإخبار بسبب المودة) أو استئناف أي استئناف بياني كان قائلاً يقول لم عرتبنا وما صدر منا فأجيب بذلك وهو الأولى لأنه قد عرفت أن هذا الخروج بلا إخراج بقرينه قوله جهاداً فإنه بعد الهجرة وتلقون ناظر إلى لا إخراج وصاحب الكشف اكتفى به ولم يتعرض البديلة قوله أي طائل أي نفع لكم هذا متفهم من قوله: ﴿أنا أعلم﴾ [الممتحنة: ١] الخ أي لا نفع لكم أصلاً لأنني مطلع رسولي على ما تسرونه فقوله تسرون ليس فيه فائدة الخبر فالمقصود التوبيخ بالانضمام وأنا وأعلم الخ إليه ولو ذكر هذا بعد قوله: ﴿وأنا أعلم﴾ [الممتحنة: ١] لكان أوضح.

قوله: (أي منكم) متعلق بأعلم بناء على أنه اسم تفضيل وهذا بيان للمفضل عليه ولو ذكر عقيب قوله وأنا أعلم لا بعد عن الاشتباه وذكر ما أعلستم للتنبيه على أنه تعالى يعلم الخفيات كالجهريات إذ الخفاء لكم ولا يخفى على الله شيء وجه تقديم أخفيتم أنه المقصود بالإخبار وجه الأعلمية أنه تعالى يعلمه قبل وقوعه بأنه سيقع كما علم بعد وقوعه بأنه وقع الآن أو قبل وهذا التعلق حادث والأول قديم وأما أنتم فتعلمون ما صدر منكم حين الصدور أو قبله بزمان يسير.

قوله: (وقيل أعلم فعل مضارع والباء مزيدة وما موصولة أو مصدرية) وقيل أعلم فعل مضارع متكلم فحينئذ الباء زائدة لتقوية العمل فلا يزداد كلمة من وأما في الأول فالباء ليست بزائدة لأن أفعل التفضيل لا يعمل في المفعول به إلا بواسطة الجار قوله وما موصولة فالعائد محذوف أو مصدرية فلا حاجة إلى التقدير والأول يناسب قوله تسرون إليهم بالمودة إذ المودة معلومة وكذا إخباره عليه السلام معلومة مخفية لا نفس الإخفاء إلا أن يراد به الحاصل بالمصدر.

قوله: (أي من يفعل الاتخاذ) أي اتخاذ العدو أولياء.

قوله: (قوله أخطأه) أي ﴿سواء السبيل﴾ [الممتحنة: ١] فحمل ضل على أنه متعد بمعنى أخطأه وجاوزه وهذا غير مشهور لأن أضل متعد وضل لازم فحينئذ يكون ﴿سواء السبيل﴾ [الممتحنة: ١] منصوب على الظرفية^(٢) والمراد به طريق الحق والصواب أو دين

قوله: معناه أي طائل لكم في أسرار المودة والإخبار بسبب المودة يعني مفعول تسرون يحتمل أن يكون المودة والباء زائدة والمعنى تسرون المودة ويحتمل أن يكون المفعول محذوفاً مقدراً والباء للسببية والمعنى تسرون الإخبار بسبب المودة.

(١) إذ المتبادر من الإسرار ما أضمر في الصدور وإن أريد الإسرار بالنظر إلى الرسول عليه السلام مثلاً فيكون وجهاً لما قاله ولذا سلم وقال لو سلم الخ.

(٢) أو على الحذف والإيصال أي عن السبيل قال تعالى: ﴿ووضوا عن السبيل﴾.

الإسلام على أن الإضافة من إضافة الصفة إلى الموصوف ففي هذه الصورة هل يحكم بكفره أو لا فإن كانت المودة اضطرارية لأجل القرابة أو لغيرها فلا ضير وإن كانت اختيارية فإن كانت لأجل الدنيا فلا كفر وإن كانت لذينة فكفر جزماً وهذه الجملة تذييلية مقررة لما قبلها والمستفاد منها عدم وقوع ذلك والمفهوم مما قبلها وقوعه حيث أخبر بأنهم يسرون ورواية حاطب لم يلق تلك المودة والمكتوب إليهم ومع ذلك اعتذر وقبل اعتذاره إلا أن يأول الفعل بإرادته فينتظم الجملة الشرطية مع ما قبلها ولم يحم أحد حول تحقيق هذا المرام مع أنه مشبه الأعلام.

قوله تعالى: **إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ يَأْسُورُوا**
لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾

قوله: (إن يظفروا بكم يكونوا لكم أعداء ولا ينفعكم لقاء المودة إليهم ويسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء بما يسوؤكم كالقتل والشتم) إن يظفروا بكم لأن الثقف المصادفة وهي مستلزم للظفر فأريد به مجازاً ويكونوا لكم أعداء أي يظهرن العداوة ولا يكونون أولياء لكم مثل ما أنتم ويرتبون أحكام العداوة كما قال: ﴿ويسطوا﴾ [الممتحنة: ٢] الآية قوله كالقتل ناظر إلى الأول والشتم ناظر إلى الثاني قوله: ﴿ويسطوا﴾ [الممتحنة: ٢] عطف تفسير له لما عرفت من أن المراد يظهرن العداوة وإلا فأصل العداوة سابقة على الظفر فبسط اليد واللسان من قبيل إظهار العداوة فيكون عطف تفسير له لا مستقلاً بالجزائية إلا أن يقال معناه يصرون على العداوة ويدومون عليها فيحتج بكون يسطوا جزءاً مستقلاً وفي المطول إشارة إليه حيث قال قد ذكر في موضع جزء الشرط ثلاث جمل متعاطفة الخ وقد قال قبل هذا يكونوا لكم أعداء خالصي العداوة واختار قدس سره في شرح المفتاح كونه عطف تفسير لا مستقلاً بالجزائية.

قوله: (وتمنوا ارتدادكم) نه به على أن المودة هنا بمعنى التمني فإنه يستعمل فيه كثيراً لا سيما إذا وقع بعده كلمة لو ولو بمعنى إن المصدرية إذا وقع بعد فعل المودة قول المصنف ارتدادكم إشارة إليه.

قوله: (ومجيته وحده بلفظ الماضي) مع أن الجزاءين المذكورين مضارعان قوله بلفظ

قوله: أن يظفروا بكم قال الراغب الثقف المحدث في إدراك الشيء وفعله ومنه قيل رجل ثقف أي حاذق في إدراك الشيء وفعله.

قوله: ومجيته وحده الخ يريد بيان وجه مجيء ودوا وحده على صيغة الماضي مع أنه منخرط في سلك يكونوا ويسطوا في كونه جزء الشرط فالوجه وإن كان معناه أيضاً على الاستقبال إذ لا فرق بحسب المعنى بين قولك إن تكرمني أكرمك وبين إن أكرمتني أكرمتك في كون معنى كل على الاستقبال الإشعار بأن مودتهم كفركم شيء حصل قد حصل ومضى وأهم مقاصدهم قبل كل شيء سواء ثقفوكم أو لم يثقفوكم قال الراغب الود محبة الشيء عن تمنيه ولما كان لهما استعمال في كل واحد منهما ففيل وددت فلائناً إذا أحببته ووددت الشيء إذا تمنيته قال صاحب الكشف في وجه

الماضي للتنبيه على أن المعنى مستقبل والنكته المذكورة مخالفة لفظاً إذ حقه أن يكون لفظ المستقبل مطابقاً لمعناه.

قوله: ﴿لِلْإِشْعَارِ بِأَنَّهُمْ وَدُوا ذَلِكَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ وَدَادْتَهُمْ حَاصِلَةٌ وَإِنْ لَمْ يَشْفَوْكُمْ﴾ للإشعار بيان النكته قوله ودوا قبل كل شيء أراد به المبالغة التامة وإلا فتح البيان ودوا قبل إظهار العداوة والبسط المذكور إذ النكته كون هذا ماضياً وذلك مضارعاً مع أنه في نفسه غير مطابق للواقع لكن المبالغة أمر حسن من محسنات البديع لأن هذه المبالغة من المبالغة التي تمكن عقلاً لإعادة إذ تقدم ودادتهم على كل شيء ممكن لإعادة بل عقلاً قوله وإن ودادتهم الخ هذا تصريح بما علم ضمناً لكن يرد عليه إن الشرط لا بد وأن يكون مدخلاً في حصول الجزء ولو كان غير تام فحينئذ لا يكون ودوا جواباً لقوله: ﴿إِنْ يَشْفَوْكُمْ﴾ [الممتحنة: ٢] ولذا ذهب بعضهم إلى أن ودوا معطوف على مجموع الشرط والجزاء لا على الجزء وحده كما أن ﴿وَلَا يَسْتَفِدُّونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَخْرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَفِدُّونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] معطوف على مجموع الشرط والجزاء لا على الجزء وحده على قول لكن لا يلائم سوق كلام المصنف فإنه على كون ودوا جواباً

وقوع ودوا هنا بلفظ المضى إن الماضي وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب فإن فيه نكته كأنه قيل وود وأقبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني أنهم يريدون بكم مضار الدنيا والدين جميعاً من قتل النفس وتمزيق الاعراض وردكم كفاراً لسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم أن الذين أعز عليكم من أرواحكم لأنكم بذالون لها دونه والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه إلى هنا كلامه قال صاحب التلخيص في كلام صاحب الكشف نظر لأن ودادتهم أن يرتدوا كفاراً حاصله وإن لم يظفروا بهم فلا يكون في تقييدها بالشرط فائدة فالأولى أن يجعل قوله تعالى: ﴿وَوَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢] عطفاً على الجملة الشرطية كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَقَاتِلُوكُمْ يَوَلُّوكم الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١] قال صاحب الكشف فيه عدل بقوله: ﴿ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١] عن حكم الجزء إلى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل ثم أخبركم بأنهم لا ينصرون وأجيب عنه بأن الذي ظننته جزاء هو قوله: ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ﴾ [الممتحنة: ٢] أيضاً لا يصلح لذلك لأن كونهم أعداء حاصل سواء ظفروا أو لم يظفروا كقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] لكن المراد أن يظفروا بكم يستوفوا منكم ممتناهم الذي هو مقتضى أن يكونوا خالصي العداوة من بسط الأيدي والألسن والرد إلى الكفر فعطف يسطوا وودوا على قوله يكونوا على طريقة أعجبتني زيد وكرمه فيكون كل من بسط الأيدي والألسن والرد إلى الكفر ممتناهم وأهم شيء عندهم لانتحسام مادة العداوة العداوة به صرح تمنعهم إياه وعدل إلى لفظ الماضي لبيان الأولوية والأولية وتحريره أنه تعالى لما نهى المسلمين عن اتخاذ من يعاديهم أولياء بقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] وأراد أن يخبر عن مطوي سرائرهم من تمنعهم للمسلمين مضار الدنيا والدين وانتهازم الفرصة لتحقيق ممتناهم قال: ﴿إِنْ يَشْفَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ﴾ [الممتحنة: ٢] كما قررناه فظهر أن الجزء مقدر وهو يستوفوا منكم ممتناهم وما وقع في خبر الجزء ليس جزاء لعل ذكرته بل هو دليل الجزء فهو من إطلاق السبب على المسبب.

معطوفاً على يمسطوا حيث قال ومجيئه وحده أي من بين الأجزاء بلفظ الماضي دون سائر الأجزاء فحمل كلامه على أنه أراد أنه حال بتقدير قد أو عطف على مجموع الشرط والجزاء عدول عن سواء السبيل فالصواب أنه أراد أن ودوا ماضٍ لفظاً مضارع معنى وقد نبه عليه بقوله ومجيئه وحده بلفظ الماضي ولم يقل ومجيئه وحده بالماضي فإدخال اللفظ كالصريح فيما ذكرناه وجه كونه مضارعاً معنى إذ المراد إظهار الوداد بتزيين^(١) الكفر لهم وفرط الاجتهاد في تحريض الارتداد^(٢) ولما كان أثر الود والمحبة مترتباً على الظفر جعل جزءاً له إذ الودادة التي قبل الظفر لعدم ترتب الأثر عليها كلا ودادة فالمعنى أن يتفوقكم ودوا كفركم ودادة مقرونة بظهورها بسبب ترتب الأثر عليها وهو تسويلهم وترغيبهم على الكفر وأما الودادة التي قبل الظفر فلكونها أمراً قلبياً غير ظاهرة فكانها غير موجودة وأما كونه ماضياً لفظاً فللإشعار المذكور من عرض الكلام لا أنه مراد من الكلام وللإشارة إليه قال للإشعار ولم يقل للدلالة الخ مثل إن ظفرت بحسن العاقبة ومجيئه بلفظ الماضي للإشعار بأن الظفر حاصل تفاقلاً ولا فرق في هذا بين الشرط والجزاء ولما كان التكتة مبنية على الإرادة لم يجرى الماضي في بيان إظهار العداوة للإشعار المذكور لعدم قصد التنبيه على ذلك ولا يخفى عليك أن بين قوله ويمسطوا وبين ودوا نوع تنافر بحسب الظاهر فيقال في دفعه البسط بالقتل والشتم في وقت وإظهار المودة في وقت آخر أو البسط بالنسبة إلى بعض والودادة بالنسبة إلى بعض آخر أو الود أول الظفر فإذا آيسوا يفعلون البسط المذكور.

قوله تعالى: لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ يَقُودُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾
قوله: (قربائكم).

قوله: (الذين توالون المشركين لأجلهم) أي يقصدون الموالات لأجلهم أي لغرض فيه لكن الاحتراز عنه أحسن وأراد به الارتباط وإلى سبب النزول.

قوله: (يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض) بما عراكم بالعين المهملة والراء المهملة بمعنى عرض لكم فيفر بعضكم من بعض قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ﴾ [عبس: ٣٤، ٣٥] الآية.

قوله: الذين توالون المشركين لأجلهم أي توالون أنتم المشركين لأجل أرحامكم وأولادكم وتنصرون الله بموالات أعدائه لأجلهم.

قوله: يفرق بينكم ما عراكم أي ما غشيتكم من عراني هذا الأمر واعتراني إذا غشيتك.

- (١) وما ذكر في المفتاح في توجيه الماضي من قوله إن لزوم ودادتهم أن يراد وهم كفاراً لمصادقتهم والظفر بهم الخ دليل على ما ذكرناه حيث أشار إلى أن الجزاء ودعم كفاراً لا كفركم مطلقاً وهو مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة: ١٠٩] الآية يفسر بعضها بعضاً فالمعنى هنا وودوا لو يردوكم كفاراً وهذا مع وضوحه قد ذهلوا عنه وذهب كل طائفة إلى ما لا طائل تحته.
- (٢) قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ دليل على ما ذكرناه.

قوله: (فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر منكم غداً وقرأ حمزة والكسائي بفصل بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وعاصم يفصل وقرأ ابن عامر وأبو عمرو يفصل على البناء للمفعول مع التشديد) فما لكم ترفضون الخ هذا هو المراد بقوله يفصل بينكم فلذا فرع عليه هذا قوله لمن يفر منكم كما نفرون منهم غداً أي في يوم القيامة مستعار لها وفي قوله بينكم تغليب المخاطبين على الغائبين وفي الكشف وقرئ يفصل ويفصل مبنياً للمفعول الأول ثلاثي والثاني من باب التفعيل وقرئ أيضاً يفصل من الأفعال ويفصل من التفعيل .

قوله: (وهو بينكم) أي المفعول الذي أقيم مقام الفاعل بينكم إلا أنه بني على الفتح لإضافته إلى غير المتمكن ويجوز في مثله كون نائب الفاعل هو المصدر أي فصل هنا (فيجازيكم عليه).

قوله تعالى: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَذَرْنَا بِكُمْ وَبَنَاتِكُمُ الْعِدَاةُ وَالْبَعْضَاءُ أَبْدَاحًا حَتَّى تَقُومُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ۖ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُشْرِكْ لَكَ ۖ وَمَا أَمَّاكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ إِنَّا عَلَيْنَا وَنَحْنُ أُنْتَابُكَ الْعَاصِرُ ﴿٤﴾

قوله: (قدوة اسم لما يؤتى به) قدوة بكسر القاف والضم أيضاً اسم لما يؤتى به أي لما يقتدى به إما مجازاً أو نقلاً فإنه في الأصل مصدر سمي به المفعول أي المقتدى به أي خصلة حسنة محمودة يجب أن يقتدى به ويقعله وجعل نفس الخصلة مقتدى به مبالغة مع أن المقتدى به إبراهيم عليه السلام في تلك الخصلة أو هو في نفسه مقتدى به ولذا قيل قوله في إبراهيم تجريد مثل قوله تعالى: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ [فصلت: ٢٨] وتمام الكلام قد مر في سورة الأحزاب .

قوله: (صفة ثانية أو خير كان ولكم لغو أو حال من المستكن في حسنة أو صلة لها لا لأسوة لأنها وصفت) صفة ثانية لأسوة وخير كان لكم قدم للاهتمام هذا هو الوجه

قوله: (وهو بينكم أي مفعول يفصل القائم مقام فاعله هو لفظ بينكم بفتح النون ومحل رفع على قياس قوله تعالى: ﴿لقد نفع بينكم﴾ [الأنعام: ٩٤] على أن بينكم بفتح النون فاعل تقطع ومرضعه الرفع قال أبو علي هو على قوله أي على قول ابن عامر مفتوح والموضع موضع رفع .

قوله: لا لأسوة لأنها وصفت أي أو صلة لحسنة لا لأسوة لأن المصدر الموصوف لا يعمل لوقوع الصفة فاصلة بينه وبين معموله والاسم الضعيف العمل لا يعمل فيما هو أبعد منه قال الزمخشري قرئ أسوة وأسوة وهو اسم المؤنسى به أي كان فيهم مذهب حسن مرضي بأن يؤنسى به ويتبع أثره وهو قولهم للكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوههم بالعداوة وقشروا لهم بالعصا وأظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضائهم ليس إلا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائماً كانت العداوة قائمة حتى إن أزالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقتاً فأفصحوا عن محض الإخلاص .

المختار أو خير كان أي في إبراهيم خير كان فحينئذٍ لكم إما ظرف لغو لكان عند من جوز تعلق الظرف بكان أو لكم للبيان عند من لم يجوز ذلك أي أقول لكم أو حال من المستكن في حسنة فيه نوع ضعف ولذا أخره أو صلة لها أي لحسنة لأنها صفة مشبهة لا لأسوة لأنها وصفت به والمصدر لا يعمل بعد الوصف ويراعى أصله وإن لم يكن مصدراً هنا.

قوله: (ظرف لخبر كان) سواء كان الخبر في إبراهيم أو لكم ولم يلتفت إلى كونه ظرفاً لنفس كانت لأنه مختلف فيه كما عرفت.

قوله: (جمع بريء كظريف وظرفاء) لأن فعلاً يجمع على هذا الوزن.

قوله: (ومما تعبدون) أصل البراءة منه والبرء عن ذواتهم لأجل كفرهم.

قوله: (أي بدينكم) الباطل إذ الدين يطلق على الباطل كإطلاقه على الحق بالاشتراك اللفظي قدر المضاف لأنه لا معنى للكفر بذواتهم إلا البراءة وقد ذكر أولاً.

قوله: (أو بمعبودكم) وهذا أيضاً يحتاج إلى التأويل بعبادته أو المعبود مستلزم لها فإن إنكاره إنكار ماخذ اشتقاقه.

قوله: (أو بكم وبه) أشار به إلى أن بكم فيه تغليب المخاطبين لأن كفرنا بكم بيان لقوله: إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله ولذا ترك العطف وأما على المعنى الأول بيان لوجه البراءة على طريق الاستئناف.

قوله: (فلا نعتد بشأنكم وألهتكم) أشار به إلى أن معناه عدم الاعتداد وفي الكشف ومعنى كفرنا بكم أنا لا نعتد بشأنكم ولا بشأن ألهتكم وما أنتم عندنا بشيء انتهى فالأولى أن يقال أي لا نعتد الخ أو ولا نعتد بالواو^(١) بدل الفاء وأشار بالتعبير بالمضارع إلى أن كفرنا للاستمرار كما أشير إلى أنه بمعنى عدم الاعتداد مجازاً لأنه يلزم الكفر والإنكار.

قوله: (أبدأ) قيد بدا باعتبار لازمه أي ظهر في الماضي العدواة الخ ويستمر ذلك الظهور ولا يتقطع أبداً إلى غاية إيمانكم فإن الماضي إذا لم يدل الدليل على الانقطاع يفيد الاستمرار نبه عليه المصنف في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] الآية حتى تؤمنوا بالله وحده إذ الإيمان بالله تعالى مع عبادة الغير كلا إيمان وهذا كناية عن الإيمان بجميع ما يجب الإيمان به للاكتفاء بالركن الأعظم وأيضاً قومهم كانوا مشركين فالأهم لهم الإيمان بالله وحده.

قوله: (فتقلب العدواة والبغضاء إلفة ومحبة) لأن مفهوم الغاية معتبر عند الشافعي وعندنا أما عندهم بمفهوم المخالفة وأما عندنا فيإشارة النص قوله إلفة ومحبة لف وتشر مرتب.

قوله: (أو بكم وبه أي أو بكم وبمعبودكم).

(١) وفي نسخة بالواو ولذا قال المحشي عطف تفسير له.

قوله : (استثناء من قوله : ﴿أسوة حسنة﴾ [الممتحنة : ٤] فإن استغفاره لأبيه الكافر ليس مما ينبغي أن تأتسوا به فإنه كان قبل النهي أو لموعده وعدها إياه) استثناء أي استثناء منقطع فإن هذا القول ليس من أسوة حسنة قوله فإن استغفاره الخ تنبيه عليه وأشار إلى أن ﴿لاستغفرن لك﴾ [الممتحنة : ٤] وعد منجز فقوله : ﴿واغفر لأبي﴾ [الشعراء : ٨٦] ولما كان منشأ الدعاء الوعد بالدعاء والاستغفار تعرض في الاستثناء الوعد بالاستغفار دون الدعاء بالمغفرة مع أنه المقصود حيث قال المصنف فإن استغفاره لأبيه الخ ولم يقل فإن وعده بالاستغفار الخ .

قوله : (فإنه كان قبل النهي) فجاز له لأنه لا قبح قبله عند الشافعي أو لا يعلم قبحه قبله عند أئمتنا الحنفية وعلى التقديرين يكون ذلك مباحاً له وأما بعد النهي فلا مسأخ له فإنه علم قبحه فلا يجوز التأسى به فظهر منه ضعف ما قاله الإمام الآية تدل على أنه لا يجوز التأسى لنا به في ذلك ولا يدل على أن ذلك كان معصية فإن كثيراً من خواص الأنبياء عليهم السلام لا يجوز التأسى به مما أبيع لهم انتهى فإن الإباحة له عليه السلام قبل النهي وليس هذا من خواص الأنبياء ويدل عليه قوله تعالى : ﴿فلما تبين له﴾ [التوبة : ١١٤] أي بالوحي على الاحتمال الأرجح أنه عدو الله تبرأ منه وأشار المصنف بقوله قبل النهي إلى رده وبالجمل الإباحة له عليه السلام قبل النهي لا لأنه من خواصه وإلا لم يثيراً من الاستغفار أصلاً وعدم جواز التأسى به للنهي عنه فإن قيل قد صرح المصنف في سورة التوبة بأن الاستغفار يجوز للأحياء من الكافرين فالمفهوم منه جواز التأسى به في ذلك قلنا قد بينا

قوله : استثناء من قوله : ﴿أسوة حسنة﴾ [الممتحنة : ٦] والظاهر أنه استثناء منقطع لاختلاف القولين قال الزمخشري في قوله : ﴿إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط﴾ [الحجر : ٥٨ ، ٥٩] استثناء منقطع من قوم لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنسان قال أبو البقاء إلا قول هو استثناء من غير الجنس أي لا تأتسوا به في الاستغفار للكفار قال صاحب التيسير الاستثناء منقطع وتقديره لكن قول إبراهيم لأبيه ﴿لاستغفرن لك﴾ [الممتحنة : ٤] الآية كان لموعده وعدها إياه أبوه فظن أنه قد أنجزها فلما تبين إصراره تبرأ منه ولا يخل لكم ذلك مع علمكم وقال محيي السنة يعني لكم أسوة حسنة في إبراهيم وأموره إلا في استغفاره لأبيه المشرك فالاستثناء على هذا متصل وأقول الأظهر أن يكون الاستثناء متصلاً بحمل الكلام على معنى يقتضيه المقام لئلا يكون المستثنى أجنباً من المستثنى منه وهو إن حاصل المعنى لقد كانت لكم أسوة حسنة في قول إبراهيم لأبيه في إنكاره اتخاذ الأصنام آلهة إلا في قوله : ﴿لاستغفرن لك﴾ [الممتحنة : ٤] فإذا إبراهيم عليه السلام قد قال لأبيه قولين الأول هو إنكاره اتخاذ الآلهة وهو خصلة حسنة ينبغي أن يؤتى به والثاني قوله : ﴿لاستغفرن لك﴾ [الممتحنة : ٤] وهو قول لا ينبغي أن يؤتى به فاستثنى قوله الثاني من قوله الأول فأفاد مجموع المستثنى والمستثنى منه معنى اتسوا بقوله الأول دون الثاني .

قوله : فإنه كان قبل النهي أو لموعده وعدها إياه هذا جواب لما عسى يقال الاستغفار للكافر أمر منه عي لا يجوز للنبي ارتكابه .

هناك أن مراده من جواز الاستغفار باعتباره لازمه وهو الدعاء بالهداية وهذا محتمل قوله عليه السلام «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» بقرينة قوله عليه السلام في رواية أخرى «اللهم اهد قومي» الحديث فيجوز الدعاء بالاستغفار مراداً به الهداية مجازاً ولا يجوز الاستغفار لهم بالمعنى الحقيقي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] والمراد بالإشراك الكفر مطلقاً كما صرح به الخيالي فما دام الكافر في كفره لا غفران له فلا يجوز الاستغفار له إلا بملاحظة التوفيق فمعنى اللهم اغفر لهم اللهم وفق للإيمان ثم اغفر لهم .

قوله: (أو لموعدة وعدها إياه) لفظة إياه بالياء المثناة والمعنى لموعدة وعدها إبراهيم عليه السلام إياه أي إياه أو لموعدة وعدها أبوه إياه عليه السلام وهذا قبل النهي فتقابل به غير ظاهر وأما كون أباه بالياء الموحدة فغير مناسب للمقام وإن قرئ به والبعض حمل قوله هذا على جواز الاستغفار بعد النهي بناء على ذلك الوعد فاعترض عليه بأنه لا مساغ وأنت تعلم أنه بعد النهي والتقابل وإن لم يكن ظاهراً لكن يمكن أن يقال إن معناه قبل النهي بلا ملاحظة الوعد المذكور أو قبله مع ملاحظته ولو سلم ذلك فإن أراد بما لا مساغ له لا مساغ للاستغفار بالمعنى الحقيقي فمسلم لكن لا يقرنا وإن أراد بالمعنى المذكور المجازي من التوفيق والهداية فمتنوع كما عرفت وارتباط هذه الآية بما قبلها بيان أن موالاة الكفار ولو كان أولي قربي قبيحة بعد تبين كفرهم وأما فعل إبراهيم عليه السلام بأبيه قبل تبين حاله وعن هذا أنه تعالى حرص المؤمنين على اقتدائه عليه السلام في الخصال الحميدة ثم استثنى ما فعله أباه فيه زجر عظيم عن موادة الكافرين .

قوله: (من تعام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه) جواب سؤال بأنه غير حقيق بالاستثناء ألا يرى إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾ [الفتح: ١١] فهو مما ينبغي أن يقتدى به وحاصل الجواب أن هذا القول ليس بمستثنى بل قيد المستثنى لكونه حالاً من فاعل لاستغفرون لك فالمستثنى هو العقيد دون قيده بقرينة أنه من الخصال المحمودة إذ لا يلزم من استثناء المجموع

قوله: ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه هذا دفع اعتراض يرد هنا وهو أن قول إبراهيم وما أملك لك من الله من شيء معطوف على قوله: ﴿لَا تَسْتَغْفِرُونَ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤] والمعطوف يجب أن يكون داخلياً في حكم المعطوف عليه والمعطوف عليه هنا قد أخرج بإلا عن حكم كونه أسوة حسنة فلا يجوز أن يؤتى به والمعطوف لا يليق أن يخرج من هذا الحكم لكون هذا القول قولاً حسناً ينبغي أن يؤتى به لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً فَتَحْرِيرُ الْجَوَابِ أَنَّهُ أَرِيدَ اسْتِثْنَاءُ جُمْلَةِ قَوْلِي إِبْرَاهِيمَ وَالْقَصْدُ إِلَى اسْتِثْنَاءِ الْأَوَّلِ دُونَ الثَّانِي وَالثَّانِي مَنِي عَلَى الْأَوَّلِ تَائِبٌ لَهُ كَأَنَّهُ قَالَ أَنَا اسْتَغْفِرُ لَكَ وَمَا فِي وَسْطِي إِلَّا اسْتَغْفَارُ وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا أَمْلَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤] حال وتعميم لقوله: ﴿لَا تَسْتَغْفِرُونَ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤] ويرد على الحال ما يرد على العطف لأن الحال قيد للحكم السابق تائب له داخل فيه والجواب عنه أيضاً هو الجواب المذكور بعينه .

استثناء جميع أجزائه لأن الاستثناء بمنزلة النفي والنفي إذا توجه إلى مفيد فيه احتمالات ثلاثة والأشهر توجه النفي إلى القيد وهنا بالعكس لقيام القرينة عليه وقد يتوجه إلى مجموع المفيد والقيد والكل موكل إلى القرينة وكذا الكلام في الاستثناء يحتمل ثلاثة احتمالات وفائدة القيد مع أنه غير مستثنى إظهاره عليه السلام عجزه وتفويض الأمر إلى الله تعالى كأنه قال لأستغفرون لك حال كون طائفتي الاستغفار لا غير فلا إشكال بأن ما ليس من المستثنى لم يذكر في ذيل المستثنى .

قوله: (متصل بما قبل الاستثناء) أي من جملة الأسوة الحسنة ينبغي التأسى به عليه السلام كذا في الكشاف لكن في الكشف قال من حيث المعنى وإلا فهو استئناف لا محل له من الإعراب بياناً لحالهم في المهاجرة ثم اللجوء إلى الله تعالى في كفاية شرهم وتبعه بعض المحشين ولا يخفى عليك أن اللجوء إلى الله تعالى من أعظم الأسوة الحسنة فالظاهر أنه حال من فاعل إذ قالوا لقومهم بتقدير القول وجه ذكره بعد الاستثناء هو أن الاستثناء من تنمة الأسوة الحسنة المذكورة أي إذ قالوا إنا براء منكم قائلين ربنا عليك الخ قيد المهاجرة بالتضرع إلى الله تعالى دفعاً لمكرهم إذ هذا القول يؤدي إلى قصد الشرور والإصرار حمية لمعبوداتهم الأشرار .

قوله: (أو أمر من المؤمنين بأن يقولوه تنميماً لما وصاهم به من قطع العلاقات بينهم وبين الكفار) أو أمر من الله للمؤمنين بتقدير قولوا على طريق الاستئناف لأنه لما وصاهم بأنه لا تتخذوا عدوي الخ كان قائلاً قال اتخذوا العدو أولياء لدفع شرهم كما نقل عن حاطب

قوله: متصل بما قبل الاستثناء يعني قوله: ﴿ربنا عليك توكلنا﴾ [الممتحنة: ٤] الآية متصل بما قبل الاستثناء أي هو من جملة مقول القول في ﴿إذ قالوا﴾ [الممتحنة: ٤] داخل معه في جملة ما يتأسى به وما وقع في البين من حديث الاستثناء استطراد لبيان رذيلة يجب الاجتناب عنها وتعام بيان وجه اتصاله بما قبله أنهم لما خاطبوا القوم بقولهم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ونبيههم هم على إظهار العداوة لأجل الدين التجوا إلى الله عز وجل من كيدهم ومكرهم وأنابوا إليه واستعاذوا من فتنهم وحين بولغ في التوصية بالتأسي بهم ذكر خصلة واحدة يجب الاجتناب عنها فأورد في خلال الكلام اهتماماً له .

قوله: أو أمر من عند الله تعالى للمؤمنين فعلى هذا يكون متصلاً بمفتتح السورة وذلك أنه تعالى لما حذر المؤمنين من موالاة أعدائه وأعدائهم ونسب من يفعل مثل فعلهم إلى الضلالة وخطأ رأيهم بموالاة الكفار من جميع الجهات وهددهم بقوله: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ [الممتحنة: ٣] وأراد أن يرشدهم إلى مجرى الصواب والاهتداء إلى الطريق القويم قال أولاً قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم أي كافحوا الكفار مكافحة خليل الله والذين معه كاشفهم بالعداوة وقشروا لهم العصا وأظهروا البغضاء بدل الموالاة والمصافاة وثانياً ﴿ربنا عليك توكلنا﴾ [الممتحنة: ٤] أي اعبدوا الله بئيدال موالاة الكفار بالتوكل على العزيز الجبار والإنابة إلى الله تعالى في كل حال والاستعاذة في فتنة الأعداء والاستغفار بما فرط منهم من الموالاة .

فإذا لم نتخذ ولياً بحسب الظاهر فأني شيء نفعله فأجيب بأنه قولوا ربنا فإنه يكفي في دفع مضرتهم ولذا قدم التوكل والمحشي قال لعل الأولى في الوجه الثاني تقدير القول بالعطف على لا تتخذوا وفيه تكثير الحذف وأيضاً تفيد لا تتخذوا بهذا القول أنسب بالمرام وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل على الانتصاف بكونه على الله تعالى فهو من قصر الموصوف على الصفة لا العكس كما توهم من كلام صاحب الإرشاد حيث قال وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والإنابة والمصير على الله تعالى وظاهره غير مستقيم وقس عليه كل قصر مع حرف الجار.

قوله تعالى: رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآخِرُ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ أَعَزُّ الْهَكِيمِ ﴿٥﴾

قوله: ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة﴾ [الممتحنة: ٥] موضع فتنة دعاء مستقل بل هذا دعاء وما قبله إخبار لفظاً وإنشاء معنى إذ بهذا اللفظ يوجد إنشاء التوكل والإنابة والمصير وإنما قدم التوكل للتنبيه على أن الداعي ينبغي له التوكل قبل الدعاء.

قوله: (بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحملة) هذا حاصل المعنى إذ المعنى كما عرفته موضع فتنة صرح به في أواخر سورة يونس ومآله كونهم مفتونين.

قوله: (ما فرطنا) بالتخفيف أي ما سبق منا من المعاصي.

قوله: (ومن كان كذلك كان حقيقاً بأن يجير المتوكل ويجيب الداعي) ومن كان كذلك إشارة إلى ارتباطه بما قبله ومناسبة ختم الكلام بابتدائه قوله بأن يجير المتوكل ناظر إلى العزيز لأنه بمعنى القوي القادر قوله ويجيب الداعي إشارة إلى الحكيم الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة ومصلحة راجحة وإجابة الداعي على وجه ينبغي مما فيه حكمة بالغة وفيه دليل على ما ذكرنا من أن ربنا عليك توكلنا ليس بدعاء بل إنشاء التوكل وربنا لا تجعلنا دعاء وتكرير النداء لا يبعد أن يكون لهذا أو للمبالغة في الابتهاال والتضرع واسم الرب أوقع هنا.

قوله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ ﴿٦﴾

قوله: (تكرير لمزيد الحث على التماسي بإبراهيم) تكرير لمزيد الحث وقوله: ﴿إذ

قوله: تكرير لمزيد الحث على الانتساب بإبراهيم وذعب الرابع الأصفهاني إلى أن الأسوة الأولى للشبيري عن الآلهة وعبادتها فهذه الأسوة تفصيل المؤمن من الكافر ليشير عنه في الظاهر ويتبرأ من صداقته ويتحقق بعداؤه والأسوة الثانية معناها انتسوا بهم لتأثروا من ثوابهم وتتقربوا إلى الآخرة كاتقربا بهم مبشرين بالجنة غير خائفين وقال الأسوة الأولى بمنزلة الشهادة بالتوحيد فإن الشاهد به ينفي الآلهة بقوله لا إله ويثبت ثانياً بقوله لا إله أي الواحد الذي يحق له العبادة هذا هو محصول كلام الرابع فعلى ما قرر وحقق ظهر أن الأسوة الأولى ما به يحصل أصل الإيمان الذي

قالوا لقومهم﴾ [الممتحنة: ٤] الخ قيد له وتفسير له والظاهر أنه معتبر في هذه الآية أيضاً كما أن قوله ﴿لمن كان يرجو الله﴾ [الممتحنة: ٦] الآية معتبر في الآية السابقة ففيه صنعة الاحتباك وإذا قطع النظر عنه هنا فيكون تعميماً بعد تخصيص فيكون من تكرير الخاص في ضمن العام.

قوله: (ولذلك صدر بالقسم) أي لأجل مزيد الحث صدر بالقسم اهتماماً له أشار إلى أن اللام في قوله: ﴿لقد كان لكم﴾ [الممتحنة: ٦] جواب القسم أريد به التقوية لمزيد الترغيب على التأسّي.

قوله: (وأبدل قوله: ﴿لمن كان﴾ [الممتحنة: ٦] الآية من لكم) بدل الكل وهذا بدل الكل من ضمير الخطاب وجوازه عند سيويه والجمهور منعه وفي سورة الأحزاب اختار مذهب الأكثر ولم يرض به واختار هنا مسلك سيويه ورضي به فلا منافاة بين كلاميه.

قوله: (فإنه يدل على أنه لا ينبغي لمؤمن أن يترك التأسّي بهم وإن تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله: ﴿ومن يتول﴾ [الممتحنة: ٦] الآية) فإنه يدل على أنه لا ينبغي وهذه الدلالة منتفية في لكم وإن كان المخاطبون المؤمنين لأن الضمير يدل على الذات دون الوصف ثم الأولى على أنه يجب لمؤمن التأسّي بهم حتى يلائم قوله وإن تركه مؤذن الخ ويعلم أن التأسّي بهم واجب إن قيل فحيث لا يقيد الاستثناء بقوله إلا قول إبراهيم لأبيه جواز التأسّي به في ذلك لأنه مستثنى من الوجوب فانتفاء الوجوب لا ينافي الجواز قلنا انتفاء الوجوب لا يقيد الجواز كما في النسخ وقد مر توضيحه هناك.

قوله: (فإنه جذير بأن يوعده به الكفرة) إذ هذا علة الجزاء أقيمت مقام الجزاء فالمعنى ومن يتول عن التأسّي فضرره عليه فإن الله هو الغني عن العالمين الحميد أي المستحق لأن يحمد ويعبد سواء حمدوا أو لم يحمدوا ففيه إظهار المقمت الشديد وهذا يناسب للكفرة الفجرة قال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى

هو ركن التعبد والأسوة الثانية ما به يحصل ثواب الأسوة الأولى في اليوم الآخرة فالتكرير عند ليس للتأكيد بل المراد بالتأني غير ما أريد بالأول وقال الطيبي إنه تعالى لما سأل المسلمين في قطع موالاة أقرباهم الكفار بالانتساء بإبراهيم والذين معه واستثنى منه استغفاره لأبيه لما لم يظهر له أمانة أو نص من الله تعالى بالبراءة الكلية منه كما ظهر للمسلمين بقوله: ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة: ١] كما سبق في سورة مريم كسر الانتساء به وتركه مطلقاً ليكون صالحاً لجميع ما يجب أن يؤتى به ليكون تعميماً بعد تخصيص وهنا أبدل لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من لكم ليكون مزيد بحث وتحريض على الانتساء فحصل من ذلك التأكيد والتفريع مع الشمول والعموم.

قوله: (فإنه جذير بأن يوعده به الكفرة أي فإن الله تعالى حقيق بأن يخوف الكفرة بالتولي والإعراض عن الأنبياء بتلك الأسوة الحسنة وهذا المعنى مستفاد من وصفه تعالى بكمال الغنى والمحمودية ومن طريق القصر المفاد من ضمير الفصل وتعريف المسند.

أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فهو منهم ﴿[المائدة: ٥١] الآية قال المصنف وهذا للتشديد في وجوب مجاباتهم وينبغي أن يكون هذا للتشديد ولا يراد ظاهره وبالجملة أن موالة الكفار لأجل كفرهم كفر دون ما عداه وقد أوضحناه سابقاً.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَمْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَوِيٌّ دَلِيلٌ﴾

عَفْوٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

قوله: ﴿لما نزل لا تتخذوا عادي المؤمنين أقاربهم المشركين وتبرؤوا منهم فوعدهم الله بذلك وأنجز إذا سلم أكثرهم وصاروا لهم أولياء﴾ (والله قدير) على ذلك.

قوله: ﴿لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحمة﴾ لما فرط منكم في موالاتهم لأن الاحتراز عنها أحسن قوله ولما بقي في قلوبكم الخ وهذا غير داخل تحت التكليف لعدم الاختيار فالمراد الآخر ما بقي الخ أو المراد لما بقي بالاختيار ولعل الأولى تركه وتفسير رحيم لم يتعرض له لظهوره ولأن المراد بيان المغفرة دفعاً لثوبهم المؤاخاة به.

قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ

وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾

قوله: ﴿أي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لأن قوله: ﴿أن تبرؤهم﴾ [الممتحنة: ٨] بدل من الذين تقسطوا إليهم تفصوا إليهم بالقسط أي العدل) أي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء هذا المعنى بملاحظة البدل لا إشارة إلى تقدير المضاف لأنه حينئذ لا فائدة في البدل وإن جعل بدل الكل بل يكون تأكيداً حينئذ أيضاً عدم النهي عن الذات أبلغ نظيره ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ [المائدة: ٣] فإن كون المحرم عين الميتة إخوانها أبلغ من تقدير أكل الميتة عندنا قوله تفصوا إليهم الخ يعني أن قوله تقسطوا ضمن معنى الإفشاء تعدى إلى كتعديته.

قوله: ﴿العادلين روي أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت شركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها في الدخول فنزلت ﴿إنما ينهاكم الله﴾ [الممتحنة: ٩] الآية).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَلَتَبَرُّوا عَنْ

إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾

﴿كمشركي مكة فإن بعضهم سعوا في إخراج المؤمنين وبعضهم أعانوا المخرجين﴾ روي أن قتيلة بالقاف والناء بوزن المصفر قوله فنزلت وأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن إليها كما في الكشف وفيه أيضاً وعن قتادة نسختها آية القتال ولم يتعرض له المصنف لأن هذه لا منع فيها عن القتال حتى نسخت بآية القتال.

قوله: ﴿بدل من الذين بدل الاشتغال﴾ وكذا ما مر ولو ذكر هذا القيد هناك وسكت عنه هنا لكان أولى.

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ﴾ [الممتحنة: ٩] الآية) قد عرفت أنه للتغليظ إن أريد بالظالمين الكافرون (لوضعهم الولاية في غير موضعها).

قوله تعالى: يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ إِنَّهُ أَقْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ لَفَنَ عِلْمُهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ حِلٍّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَنَافِهِمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُفَّارِ وَاسْتَلُوا مَا أَنْفَقُوا ۚ لَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

قوله: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ [الممتحنة: ١٠]) بيان لحكم من يظهر الإيمان باللسان بعد بيان حكم فريق الكفار لمناسبة أن ميرة هؤلاء المؤمنات واجب بالامتحان وما يترتب عليه وتسمية المؤمنات لأقرباهن مع ظهور الأمارات كالهجرة وعد ما ينافي ذلك.

قوله: (فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن السنتين في الإيمان) بما يغلب أي بما يغلب به فالعائد محذوف.

قوله: (الله أعلم بإيمانهن فإنه المطلع على ما في قلوبهن) الله أعلم أي منكم بإيمانهن جملة معترضة وفائدته التنبيه على الاكتفاء بالظن الغالب فإن العلم اليقيني لا يتيسر لكم^(١) هنا فإنه تعالى أعلم بما في القلوب من الأسرار فالمفضل عليه هو الظن الغالب فإنه كالعلم في وجوب العمل.

قوله: (العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات وإنما سماء علماً إيداناً بأنه كالعلم في وجوب العمل به) وهو الظن الغالب وإطلاق العلم على الظن الغالب مجاز عند المتكلمين لأنه عبارة عن صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض أصلاً والداعي إلى المجاز ما ذكره المصنف قوله وإنما سماء علماً الخ إشارة إلى كونه مجازاً واستعارة تبعية فقوله كالعلم تنبيه عليه ووجوب العمل وجه المشابهة وأما كونه مجازاً

قوله: فاستحلفها رسول الله ﷺ أي استحلفها على أن أسلمت بقلبيها ووافي قلبها لسانها امتثالاً للأمر بالامتحان بقول رسول الله ﷺ للمرأة التي امتحنها بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت من بغض زوجك بالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض يالله ما خرجت التماس ديناً بالله ما خرجت إلا حياءً لله ورسوله.

قوله: وإنما سماء علماً إيداناً بأنه كالعلم في وجوب العمل به أي إنما سمي الظن الغالب علماً مع أن العلم هو الاعتقاد الجازم إيقاناً بأن الظن الغالب وما يفضي إليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم.

(١) فيكون فائدة قوله: ﴿الله أعلم﴾ مع أنه معلوم بيان أنه لا سبيل لكم إلى العلم.

مرسلاً فإنه ممكن بأن يراد به مطلق الإدراك لكن كلام المصنف لا ينتظم قوله بالحلف وفي الكشف وكان رسول الله عليه السلام يقول للممتحنة بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت من بغض زوج ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض بالله ما خرجت الالتماس ديناً بالله ما خرجت إلا حباً لله ورسوله وإذا حلفت هكذا صدقت.

قوله: (أي إلى أزواجهن الكفرة لقوله: ﴿لَا هُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] الآية) أي المراد بالكفار أزواجهن إذ الرجعة تقتضي ذلك وكذا قوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠] الخ صريح في ذلك.

قوله: (والتركيب للمبالغة والمطابقة) وهي الجمع بين المتقابلين في الجملة وهي من المحسنات البديعية للجمع بين المذكر والمؤنث وهذا أولى مما قيل إنه أراد المصنف بها هنا كـ بعض البديعيين ما ساء في التلخيص بالعكس وهو وضع أحد اللفظين وقعاً في كلام بالتقديم والتأخير على عكس ما سبق كقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] لأن هذا الاصطلاح غير متعارف وذكر المبالغة للإشارة إلى وجود الحسن الذاتي بعد بيان الحسن العرضي لأنه لولاه لا يعتبر الحسن العرضي.

قوله: (أو الأولى لحصول الفرقة والثانية^(١) للمنع عن الاستئناف) أو الأولى لحصول الفرقة لتباين الدارين مع الإسلام والثانية أي الجملة الثانية للمنع الخ فحيث لا تكرر آخره مع أنه تأسيس لأن المنع عن الاستئناف يعلم بطريق الأولوية فإنه لما كان سبب الفرقة تباين الدارين مع الإسلام فما دام باقياً تلك العلة لا يخطر بالبال جواز الاستئناف فضلاً عن الجواز وبه احتج أبو حنيفة على أن أحد الزوجين إذا خرج من دار الحرب مسلماً أو بذمة وبقي الآخر حربياً وقع الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبیح نكاحها أن يكون حاملاً كذا في الكشف.

قوله: (ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لأن صلح الحديبية جرى على أن من جاءنا منكم رددناه فلما تعدل عليه ردهن لورود النبي عنه لزمه رد مهورهن إذ روي أنه عليه الصلاة والسلام كان بعد بالحديبية إذ جاءته سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة فأقبل زوجها مسافر المعزومي طالباً لها فنزلت فاستحلفها رسول الله ﷺ فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق

قوله: أو الأولى لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستئناف قال صاحب الانتصاف يستدل بهذه الآية على أن الكفار مخاطبون بالفروع لأن الضمير الأول للمؤمنات والثاني للكفار ورد بأن المخاطب في قوله تعالى لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ والمؤمنات وفي ولا هم يحلون لهن الآئمة والحكام فإن الكافر إذا أظهر الفساد بين المسلمين وجب الحكام منه لأن الشرع أمر بالإحلام العالم عن المفاسد.

(١) لأن حل لكونه صفة مشبهة يدل على الحال ويحلون لكونه مستقبلاً يدل على المنع.

وتزوجها عمر رضي الله تعالى عنه) لأن صلح الحديبية الخ المقصود من حكاية الصلح المذكور بيان وجه لزوم رد مهورهن قوله بعد في الحديبية أي كان عليه السلام مقيماً بعد في الحديبية ولم يرتحل عنها إذا جاءته فإذا جاءه مجيئة سبعة قوله طالباً لها فقال يا محمد اردد علي امرأتي فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف قوله فتزلت لبيان أن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء فاستحلها الخ فلا تخصيص عند الشافعي ولا نسخ عندنا وإن كان الشرط عاماً فيكون من تخصيص العام عنه عند الشافعي وعندنا من نسخ السنة بالكتاب ولا يكون العهد منقوضاً به لأنه لا صنع للعبد فيه وإنما هو بالوحي المثلو.

قوله: ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾ [الممتحنة: ١٠] فإن الإسلام حال بينهن وبين أزواجهن (الكفار) ﴿ولا جناح عليكم﴾ [الممتحنة: ١٠] الآية استدلل به أبو حنيفة على عدم العدة في الفرقة بخروجها إلينا من دار الحرب مسلمة إلا في الحامل لأن الزيادة على النص لا يجوز بالظن وأما الحامل فقولته عليه السلام «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقين مائه زرع غيره» مشهور يجوز بمثله الزيادة على الكتاب كحديث العسيلة فإن شرط دخول الزوج المحلل ووجوب ادخال الفرج في الفرج ثبت به زيادة على النص وفي الهداية قول أبي حنيفة فيما إذا كان معتقدهم أنه لا عدة وجه الاحتجاج أنه نفى الجناح بعد إتياء المهر من غير تقييد بمضي العدة فلو أن الفرقة بمجرد الوصول إلى دار الإسلام لكان الجناح ثابتاً والسكوت في معرض البيان معرض للعدم وتام التفصيل في كتب الفقه.

قوله: (شرط إتياء المهر في نكاحهن ايذاناً بأن ما أعطي أزواجهن لا يقوم مقام المهر) الايتاء أعم من الإعطاء بالفعل أو بالتزامه وظاهر كلامه أن إذا شرطية وجوابه إما ما قبله أو مقدر بدلالة ما قبله ويحتمل الظرفية والشرطية مستفادة منها أيضاً.

قوله: (بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسكوا بالتشديد) بما تعتصم به

قوله: شرط إتياء المهر في نكاحهن ايذاناً بأن ما أعطي أزواجهن لا يقوم مقام المهر وفي الكشف ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات إذا أتوهن أجورهن أي مهورهن لأجل لأن المهر أجر البضع ولا يخلو إما أن يراد بها ما كان يدفع إليهن ليدفعنه إلى أزواجهن فيشترط في إباحة تزويجهن تقديم أدائه وإما أن يراد أن ذلك دفع إليهن على سبيل الفرض ثم تزويجهن على ذلك لم يكن به بأس وإما أن يبين لهن أن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر وأنه لا بد من إصداق تم كلامه ذكر في الآية ثلاثة أوجه اختار القاضي منها الوجه الأخير لأن الظاهر من لفظ الأجور هنا المهوور التي يدفعها إليهن من يريد نكاحهن من المؤمنين بعد ما أعطى أزواجهن ما أنفقوا إليهن ويعضد هذا الوجه ذكر قوله سبحانه ﴿ولا جناح﴾ [الممتحنة: ١٠] الآية بعد قوم وأنوهم ما أنفقوا فليتدبر.

قوله: بما تعتصم به الكافرات أي لا يكن بينكم وبينهن علقه من عقد نكاح ونسب.

الكافرات نية به على أن العصم اسم لما تعتصم به من عقد وسبب فإنها جمع عصمة والكوافر جمع كافرة لا جمع كافر لأن الفواعل جمع فاعلة مطردة وأما كونها جمع فاعل فهو مشروط بشرط غير متحقق هنا وأيضاً ما ذكر من عقد وسبب مما يعتصم به الشركات ولذلك قال والمراد نهي المؤمنين الخ أي لا يكن بينكم وبين الشركات عصمة ولا علاقة زوجية قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه قوله ولا علاقة زوجية من العدة وغيرها فيجوز أن يتزوج أربعاً سواهن واختهن من غير تريض فمعنى ولا تمسكوا ولا تعتبروا إن اعتبر الشركات العقد السابق مثلاً واعتصم به وأشار إلى أن المراد بالكافر الشرك لأنهم مشركون كلهم فيعم أهل الكتاب وإن كان المراد كفار مكة كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه لأن الحكم عام قوله وسبب أي سبب النكاح.

قوله: (واسألو) من الكفار والمراد سؤال الاعضاء أي اطلبوا منهم.

قوله: (من مهور نساكم اللاحقات بالكفار) أي المهور المعجلة لأن الصلح وقع عليه وهو منسوخ كما مر والتعبير بالانفاق في الموضوعين وجهه ظاهر (من مهور أزواجهم المهاجرات).

قوله: (يعني جميع ما ذكر في الآية) فالإشارة بالافراد للتأويل بالجميع.

قوله: (استئناف أو حال من الحكم على حذف الضمير) الراجع إلى ذي الحال أي يحكم به ولذا رجع الاستئناف لأنه عام الحكم به وبغيره مع الاستغناء عن الحذف قبل وهذا الضمير مفعول مطلق لا مفعول به كما في شروح الكشاف.

قوله: (أو جعل الحكم حاكماً على المبالغة) أو العائد الضمير المستتر فيه بجعل الحكم حاكماً على المبالغة كان الحكم لقوته غير محتاج لحاكم آخر وهذا لا يلائم إضافة الحكم إلى الله ولذا أخره وجعله ﴿ذلكم حكم الله﴾ [الممتحنة: ١٠] فذلك لما سبق إجمال بعد تفصيل للثقرر في الذهن كقوله تعالى: ﴿تلك عشرة كاملة﴾ [البقرة: ١٩٦].

قوله: (يشرع ما تقتضيه حكمته) لعلمه بما فيه مصلحة وهذه الجملة تذييل مقرر لما قبله قوله يشرع الخ إشارة إلى ربطه بما قبله وصيغة المضارع للاستمرار فيدخل فيه ما شرع أيضاً ولو ذكر الماضي مثل قوله تعالى: ﴿شرع لكم في الدين﴾ [الشورى: ١٣] الآية لكان له وجه.

قوله تعالى: **وَإِنْ أَنْكَرْتُمْ مِنْهُ يَنْزِلْ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ فَعَائِمٌ فَنُتِلُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ يَنْتَلِ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ أَلْوَىٰ إِلَيْنَا أَنْتُمْ بِمُؤْمِنُونَ** ﴿١١﴾

قوله: (وإن سيقمكم وانفقت منكم) نية به على أن الفوت مجاز عن لحوق النساء بدار

قوله: استئناف كأنه قيل ما يفعل الله بنا بذلك الحكم فأجيب يحكم بينكم أي يحكم به بينكم ويعدل.

الحرب هاربة عن أزواجها فإنه في حكم الموت قوله وانفلت هذا المعنى أمس بالمقام والسبق لا يظهر وجهه بل يفهم منه خلاف المقصود فالأولى الاكتفاء^(١) بالانفلات.

قوله: (أحد من أزواجكم وقد قرئ به وإيقاع شيء موقعه) إذ الشيء وإن عم الموجود سواء كان من ذوي العلوم أو لا والمعدوم أيضاً في اللغة أو يرادف الموجود مطلقاً في اصطلاح الأشاعرة لكنه ظاهر استعماله في الأمور المحفورات وفي غير العقلاء إلا إذا قام قرينة على خلافه وهنا لما اختار الكفر على الإسلام الحق بالجماد فعبّر به دون أحد.

قوله: (للتحقير والمبالغة في التعميم) لما عرفت من أن شيء بحسب اللغة عام وأشمل من لفظ أحد فحصلت المبالغة في التعميم بالعدول عن لفظ الأحد إليه ولو اكتفى بالوجه الأول لكان أحسن إذ المبالغة المقصودة هنا تحصل من أحد لوقوعه في سياق الشرط ولا حاجة إلى اشباع التعميم إلى ما لا يعم الأحد إليه.

قوله: (أو شيء من مهورهن) من مهور أزواجكم بتقدير المضاف وهذا مستلزم لانفلات الأزواج فحينئذ ذكر الشيء في موقعه لكن أخره لاحتياجه إلى التقدير ولانفلات المبالغة والتحقير.

قوله: (فجاءت عقبتكم أي نوبتكم من أداء المهر) أشار به إلى أن عاقب هنا مفاعلة من العقبة لا من العقاب كما هو الأكثر استعمالاً والعقبة بمعنى النوبة ولذا قال أي نوبتكم قوله من أداء المهر من مقتضيات المقام قوله فجاءت بيان حاصل المعنى وفي الكلام نوع احتياك إذ ذكر في الأول ذهاب أزواج المؤمنين إلى دار الحرب فلم يذكر نوبة أداء المهر وهنا ذكر نوبة أداء المسلمين المهر ولم يذكر هجرة أزواج الكفار مؤمنة إلينا لما ذكر حكمهن في الآية المتقدمة مفصلاً.

قوله: (شبه الحكم بأداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره) شبه الحكم أي المحكوم به فإن الحكم قد يستعمل في المحكوم به فيوافق ما في الكشف قوله بأداء هؤلاء الباء فيها ظرفية وقيل فيه تسامح إذ المراد المحكوم به وهو أداء المهر قوله بأمر متعلق بشبه فأشار إلى أن ﴿فعاقبتم﴾ [الممتحنة: ١١] استعارة تبعية وكلامه غير منتظم للاستعارة التمثيلية لأنه جعل المشبه والمشبه به مفردين إلا أنه يقال اكتفى بذكر الجزء الأعظم من الهيئة المأخوذة من أمور عديدة يتعاقبون أي الرفقاء مثلاً يتعاقبون في الركوب على دابة واحدة يركب أحد الرفيقيْن على دابة لهما والآخر بعده وما نحن فيه

قوله: وإيقاع شيء موقعه للتخفيف والمبالغة في التعميم أي ذكر شيء موقع أحد ليفيد أنه لا يترك شيء من هذا الجنس وإن قل وحرق غير معوض عنه تغليظاً وتشديداً في هذا الحكم مبالغة في تميمه.

(١) بل الأولى إلى التفسير بالذهاب كما قال تعالى: ﴿فأتوا الذين ذهب أزواجهم﴾ الخ.

ليس كذلك فالمراد لزوم أداء المهر كما لزوم الكفار لزوم الأبرار أيضاً إذ الاداء ليس بواقع في مهر واحد وهو ظاهر .

قوله : (من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روي أنه لما نزلت الآية المتقدمة أبى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر فنزلت) من مهر المهاجرة الخ وفي الكشف ومعناه فجاءت عقبتكم من أداء المهر فأتوا من فاته امرأته إلى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهو أوضح مما ذكره المصنف وجهه أن المشركين لما أبوا أن يؤدوا مهر الكوافر أمر الله تعالى من لزوم أداء المهر المهاجرة أن يؤدوا ذلك المهر إلى من فاته امرأته إلى الكفار دون زوجها الكافر في دار الحرب بدل الفاتنة مع أن اللازم ادائه إلى زوجها الكافر بمقتضى قوله تعالى : ﴿وَلْيَسْأَلُوا﴾^(١) ما أنفقوا﴾ [الممتحنة : ١٠] الآية فسيب أبائهم أن يؤدوا مهر الكافرة أمر بذلك بدله قوله : ﴿فَاتُوا الَّذِينَ﴾ [الممتحنة : ١١] جواب أن قوله : ﴿فَعَابْتُمْ﴾ [الممتحنة : ١١] عطف على فاتكم .

قوله : (وقيل معناه إن فاتكم فأصبتم من الكفار عقي وهي غنيمة فأتوا بدل الفاتت من الغنيمة) فالغنية مجاز عن الغنيمة وكذا العقبى فأتوا بدل الفاتنة من الغنيمة مرضه لأن المناسب للمقام هو المعنى الأول إذ الكلام في بيان حكم مهور المهاجرات والذاهبات إلى الكفار الخاسرات (فإن الإيمان به مما يقتضي التقوى منه) .

قوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَيَّ أَنْ لَا يَشْرَكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْكُلْنَ يَمْهَنْنَ بِفَرْيَتَيْنِ بَيْنَ الْيَدَيْنِ وَأَرْجُلَيْهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ بَابِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾

قوله : (يباعنك) حال مقدرة إذ البيعة غير محققة في وقت المجيء .

قوله : لما نزلت الآية المتقدمة أبى المشركون أن يؤدوا مهور الكوافر فنزلت أي لما نزلت الآية الأمرة للكفار بإعطاء مهور النساء اللاحقات بهم من بالارتداد وهي قوله عز وجل ﴿وَأَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ [الممتحنة : ١٠] أبى المشركون أن يؤدوا مهور هؤلاء المرتدات إلى أزواجهن فنزلت هذه الآية الأمرة للمؤمنين بأداء مهور هؤلاء المرتدات اللاحقات بالمشركين إلى أزواجهن من مهور النساء المهاجرات منهم إلينا مؤمنات ممن يتزوجها من ولا يؤتى ذلك إلى أزواجهن المشركين لكن هذا الحكم يتأني قوله عز وجل : ﴿فَاتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ [الممتحنة : ١٠] ويمكن أن يقال ذلك كان بناء على الصلح ثم لما أبى المشركون عن أن يؤدوا مهر الكوافر اللاحقات بهم من صار ذلك سبباً لنقض العهد .

قوله : فأصبتم من الكفار عقي هي من عاقب الرجل شيئاً إذا أخذ شيئاً وعقبى هي اسم ذلك الشيء المأخوذ .

قوله: (نزلت يوم الفتح فإنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء) نزلت يوم الفتح أي فتح مكة قوله أخذ أي شرع في بيعة النساء ولذا قيل إذا جاءك المؤمنات لتحققها والتعرض لمجيئتهن لبيان فرط رغبتهن البيعة بيان وقت النزول وسببه فإنه قد يتعرض ذلك وإن لم يكن عادته لداع يقتضيه وهنا لما حكى قصة حاطب وما يتعلق به وهذا قبل فتح مكة فذكر هذه الآية بعد ذلك يتوهم منه أن نزولها قبل الفتح وهذا بناء على الرواية لا بناء على أنه فهم من النظم على أن لا يشركن شركاً جلياً أو خفياً وإن كان المتبادر الأول.

قوله: (يريد واد البنات) بقرينة أنه عادة النساء والرجال في الجاهلية وإن كان الأولاد أعم منها.

قوله: (بقرينة بين أيديهن الخ) وفي الكشف كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى باليهتان المغتري بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذباً لأن الذي تحمله بين اليدين وفرجها الذي تلد له بين الرجلين انتهى ولم يذكر الفرج لأنه موحش وأنت خبير بأنه خاص والظاهر العموم ولذا قال الكرمانى في شرح البخاري معناه لا تؤتوا يهتان من قبل أنفسكم واليد والرجل كناية عن الذات لأن معظم الأفعال بها ولذا قيل للمعاقب بجنابة قولية هذا ما كسبت يداك هذا في اليد ظاهر وأما في الرجل فغير متعارف ومعظم الأفعال باليد لا بالرجل كما اعترف به حيث قال ولذا قيل هذا ما كسبت يداك على أن الكلام بين اليد والرجل لا في اليد والرجل فما ذكره لا مساس له هنا ولذا قال أو معناه لا تنشوه من ضمايركم وقلوبكم لأنه من القلب الذي مقره بين الأيدي والأرجل والأول كناية عن الفاء اليهتان من تلقاء أنفسهن والثاني كناية عن كونه من دخيلة قلوبهم المنبئة عن الخيث الباطني وضعفه ظاهر إذ الكلام لفي الفؤاد فحينئذ لا يكون في الأخبار كثير فائدة فالأولى ما ذكره الزمخشري ويعلم عموم الحكم إلى غير ما ذكر بدلالة النص.

قوله: (في حسنة تأمرهن بها) الحسن بمعنى يمدح فاعله في العاجل ويشاب في الآجل يوجد بعد الأمر عند الشافعي فاطلاق الحسن قبل الأمر مجاز أولى وعندنا لا حاجة إلى هذا التحمل لأن الحسن المذكور قبل الأمر لكن الحاكم هو الشارع لا العقل كما زعمه المعتزلة وأما الحسن بمعنى صفة كمال أو ملائم للطبع أو للغرض وإن كان قبل الأمر اتفاقاً لكنه لا يناسب المقام.

قوله: (والتقيد بالمعروف مع أن الرسول ﷺ لا يأمر إلا به تنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق) يعني لو فرض أمره عليه السلام بغير المعروف فيجوز

قوله: (والتقيد بالمعروف مع أن الرسول عليه السلام لا يأمر إلا به تنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وجه التنبيه أن نهيهن عن عصيان الرسول عليه السلام إذا قيد بما أمر بالمعروف يستفاد منه أن لا نهى من المعصيان في غير المعروف ولو بالفرض فإذا قيد

المخالفة فما ظنك بغيره عليه السلام ولما كان التقييد لهذه الفائدة فلا مفهوم المخالفة عند من يقول به فضلاً عن غيره فلا يقال إنه فهم منه أن الرسول عليه السلام قد يأمر بغير المعروف لكن لا يجب الإطاعة في ذلك.

قوله: ﴿إِذَا بَايَعْتُكَ بِضَمَانِ الثَّوَابِ عَلَى الْوَفَاءِ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ﴾ بضمان الثواب متعلق بقوله: ﴿فَبَايَعْنِي﴾ [الممتحنة: ١٢] قوله: إِذَا بَايَعْتُكَ إعادة الشرط المذكور في جنب الجزاء لطول ذيله فالمبايعة للمشاركة لكن بيعة الناس له عليه السلام ونوابه بعهد إطاعة ما أمر به والاجتناب عما نهى عنه وبيعة الإمام للناس ضمان ثوابهم على الوفاء بالمشاركة في مطلق البيعة واختلاف المتعلق لا يضر ولم يذكر بيعة الرجال لظهورها فإنهم بايعوا على أن يطيعوا في جميع ما أمرهم به ونهاهم عنه ما استطاعوا وكذا المراد ببيعة النساء البيعة على ما ذكر وما لم يذكر من الصلاة والزكاة والصوم وسائر أركان الدين وتخصيص ما ذكر بالذكر لكثرة منهن مع اختصاص بعضهن ببعضهن فمعنى قول المصنف على الوفاء بهذه الأشياء ونحوها من أركان الإسلام ولك أن تقول قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢] عام لسائر أركان الدين فلا يحتاج إلى التحمل المذكور إذ الأمر بالمعروف عام للنهي عن المنكر بناء على أن النهي عن الشيء أمر بضده كما قرر في الأصول واختلف في كيفية مبايعة عليه السلام فقبل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس أيديهن والأظهر ما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها والله ما أخذ رسول الله عليه السلام على النساء قط إلا بما أمر الله تعالى وما مست كف رسول الله عليه السلام كف امرأة قط وكان يقول إذا أخذ عليهن قد بايعتكن كلاماً وكان المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله عليه السلام يمتحنهن يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ [الممتحنة: ١٢] الآية فإذا أقرن بذلك من قولهن انطلقن فقد بايعتكن.

قوله: (استغفر لهن الله) بدعاء المغفرة لهن فإن ذلك سكن لهن وإن تستغفر لهن فيغفر الله لهن إن الله غفور الخ تعليل لهذا المقدر وتكرير اسم الجلال للإشعار بأن الألوهية تقتضي ذلك ولتعظيم شأنه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا﴾ [الممتحنة: ١٣] أي لا تتخذوا أولياء إذ مقتضى الإيمان عداوة من يخالفه ولذا نودي بالذين آمنوا واخلأوه عن العائد لأنه نداء على حياله.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

قوله: (يعني عامة الكفار أو اليهود إذ روي أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا

النهي عن معصيته صلى الله تعالى عليه وسلم مع علو قدره وجلالة منزلته فما ظنك بطاعة غيره في المعصية فويل لقضاء زماننا يطيعون أمر الظلمة في المعاصي ويعصون الله والحال أن الواجب عليهم عكس ذلك.

يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم) يعني عامة الكفار لأن كلهم مغضوبون عليه قوله أو اليهود خاصة فإنهم مغضوب عليه أشد الغضب ولأنه روي أنها نزلت الخ لكن الحكم عام بدلالة النص وفي هذا الكلام رد العجز على الصدر وهو من المحسنات البديعية.

قوله: (لكفرهم بها أو لعلمهم بأنه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات) لكفرهم بها أي بالآخرة أو لعلمهم الخ أي أو لعلمهم بالآخرة والإيمان ولكن يعلم أنه لا حظ لهم الخ فالفرقان مأبوس عن الآخرة وإن كان منشأ اليأس متفاوت.

قوله: (أن يبعثوا أو يثابوا أو ينالهم خير منهم وعلى الأول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على أن الكفر بأسهم) أن يبعثوا بدل اشتغال من أصحاب القبور وكذا الكلام في قوله أو ينالهم الخ وعلى الأول أي على أن المعنى أن يبعثوا وضع الظاهر وهو الكفار الخ وأما على الثاني فالظاهر في بابه فالمشبه به الكفار من موتاهم والمشبهه الأحياء أي كما يشك الكفار من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار أي كما يشك الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لأنهم ثبتوا قبح حالهم وسوء منقلبهم انتهى وأما على الأول من أصحاب الخ متعلق بيشك ولك أن تقول التعبير بالكفار هنا يؤيد كون المراد بقوم غضب الله الكفار عامة ولا يرى وجه التخصيص باليهود قوله ايتسهم أي سبب بأسهم فالإسناد مجازي.

قوله: (عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة) قيل وهو حديث أبي المشهور وهو من الموضوعات الحمد لله على هداية اتمام ما يتعلق بسورة الممتحنة والصلاة والسلام على خير البرية وعلى آله وأصحابه الزكية بين الصلوتين من يوم الاثنين من شعبان المعظم في سنة ١١٩١.

قوله: (لكفرهم بها أو لعلمهم بأنه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول عليه السلام فسرهم على وجهين الوجه الأول مبني على أن يراد بالقوم الكفار والثاني على أن يراد بهم اليهود فعلى الأول يكون لفظ الكفار موضوعاً موضع الضمير ليدل على أن علة بأسهم كفرهم بالله وبما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم. تمت السورة حامداً لله مفتحاً ومختتماً.

سورة الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الصف وتسمى سورة الحواريون).

قوله: (مدنية وقيل مكية وآيها أربع عشرة) مدنية لأن الرواية التي ذكروها في سبب نزول السورة أكثرها يدل على كونها مدنية ولذا قال قيل مكية ولم يجزم بها كما جزم الزمخشري على ما ظهر من عبارته وكونها مدنية قول الجمهور وكونها مكية قول الحسن رحمه الله تعالى وبعض الصحابة.

قوله تعالى: سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

قوله: (سبق تفسيره) ومر أيضاً وجه الإيراد ماضياً.

قوله تعالى: يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾

قوله: (روي أن المسلمين قالوا لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فأنزل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ [الصف: ٤] فولوا يوم أحد فتزلت) روي أن المسلمين رواء الحاكم وهو سبب النزول قوله فأنزل الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾ [الصف: ٤] الآية ونبه على أن أحب الأعمال المقاتلة في سبيل الله إذ محبة المقاتلين لأجل قتالهم فولوا يوم أحد فتزلت أي قوله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الصف: ٢] الآية وكونه مقدماً في الترتيب لا ينافي تأخره في النزول توبيخاً لهم ولذا قال: ﴿كَبِيرٌ مَّقْتًا﴾ [الصف: ٣] الآية قوله فولوا يوم أحد يدل على أن السورة مدنية ومن قال إنها مكية فقد احتاج إلى التمثل في مثله.

قوله: (ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والأكثر حذف ألفها مع حرف الجر

سورة الصف

مدنية وآيها أربع عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الصف: ١] إلى قوله سبحانه ﴿كَبِيرٌ مَّقْتًا﴾ [الصف: ٣].

لكثرة استعمالهما معاً واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه) ولم مركبة هذا تمهيد لقوله والأكثر حذف ألفها لكثرة استعمالهما معاً وكثرة الاستعمال سبب التخفيف في الكلام في كثرة الاستعمال بل استعمالها مع ما الخيرة لا سيما مع الموصول أكثر استعمالاً منه ولذا قيل حذف ألفها تفرقة بينها وبين كونها خبراً وبالعكس يحصل التفرقة فلم لم يعكس فيحتاج إلى كثرة الاستعمال وقد عرفت ما فيه قوله واعتناقهما بالجر عطف على كثرة استعمالهما في الدلالة على المستفهم عنه قيل فإن كليهما متعلق به الحرف لفظاً ومعنى وما الاستفهامية معنى فكانا من هذه الجهة مثل كلمة واحدة فهذا الدليل جار في ما الخيرة مع أن المدعي متخلف وأراد المصنف بالدلالة الدلالة الاتزامية وقد حاول البعض الجواب عن هذا الاشكال فقال الظاهر إنه يعني أن قولك لم فعلت مثلاً المستفهم عنه علة الفعل وهو عنه كالمركب من العلة والفعل والعلة مدلول اللام والفعل مدلول ما لأنها بمعنى أي شيء والمفيد له مجموع الحرف ومدخوله فقد اعتنقا في الدلالة على المستفهم عنه إذا دخله الحرف وعنده عدمه المسؤول عنه الفعل وحده وهذا غير جار في ما الخيرة مع السلام بل سائر حروف الجارة.

قوله تعالى: **كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴿٣﴾

قوله: (المقت أشد البغض) فيراد به هنا لازمه وهو بعده عن رحمة الله وإحسانه وأشد عذابه عند الله استعارة تمثيلية تفيد المبالغة في المقت.

قوله: (ونصبه على التمييز للدلالة على أن قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه) ونصبه على التمييز أي على التمييز عن النسبة وحاصل الكلام كبر مقت قولكم على الإسناد المجازي لكونه سبباً لمقت الله تعالى قال المصنف في سورة الكهف كبر بمعنى بش يقيد التعجب فالمعنى حينئذٍ بش مقت قولكم للتعجب فضمير كبر يرجع إلى مبهم يفسره ما بعده مثل ربه رجلاً وأن تقولوا مخصوص بالدم لا أنه فاعل كبر لكنه فاعل مآلاً والبيان المذكور بناء عليه فلا تغفل قوله للدلالة على

قوله: ونصبه على التمييز للدلالة على أن قوله هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم وجه دلالة التمييز على هذا المعنى هو إفادة الكلام الإجمال والتفصيل فكان الكبير تعلق بالمقت مرتين مرة على الإجمال ومرة على التفصيل فاستفيد من تأكيد كبر المقت معنى الخلوص وفاعل كبر أن يقولوا ويجوز تقديم التمييز على الفاعل كما في قوله لها حجج يزاد طيباً ثراها قال المرزوقي إن قوله طيباً تمييز قدم على الفاعل فليس في جوازه خلاف قال الزمخشري قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله:

غلبت ناب كليب بساؤها

ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله وأسند إلى أن يقولوا ونصب مقتاً على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن منه واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض.

أن قولهم هذا مقت الخ يؤيد ما ذكرنا في بيان الحاصل خالص وخلوصهم مستفاد من كونه كبيراً إذ الكبير مستعار لهذا من كبر الجسم عند من وهو الله تعالى يحضر من الباب الثاني أو السادس دونه أي عنده كل عظيم من المخلوقات ومع ذلك اثبات الكبير له عنده مبالغة لا مبالغة فوقها وهذا من المصنف يشعر بحسب الظاهر أن كبر في معناه لا بمعنى بش لكن ينبغي أن يكون مراده حل الكلام على مقتضى الظاهر ذريعة إلى بيان قبحه على وجه الكمال والتعجب المفرط التام.



قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بَيْنَ مَرْصُوسٍ**

قوله: (مصطفين مصدر وصف به) إشارة إلى أنه حال مأول بالمشفق وإفراجه لكونه مصدراً والجمع لتأويله بالمشفق لكن هذا التأويل لا يلائم قوله مصدر وصف به.

قوله: (في تراصهم من غير فرجة) في تراصهم بيان وجه الشبه لكن الأولى في التراص بدون إضافة من غير فرجة حقيقة في المشبه به وصورة في المشبه وهذا عام للمقاتلة مشاة أو راكبين إذ التراص الصوري متحقق في الصورتين وقيل التراص ظاهر في الجهاد مشاة ولا يخفى ما فيه.

قوله: (حال من المستكن في الحال الأولى والرص اتصال بعض البناء ببعض واستحكامه) حال من المستكن إذ كونهم مصطفين أهم فقيده بالتراص والحال الأولى مشتملة على الثانية فوجد معنى التداخل فيها والمشبه المقاتلون بقيد الاصطفااف والمشبه به المقاتلون أيضاً بقيد التراص فظهر وجه التقديم ووجه كون الأولى مفردة والثانية جملة.

قوله تعالى: **وَأَذَقْنَا لِمُعْصِي لِقَوْمِهِ يَفْقَهُ لِمَ تُؤْذَوْنَ وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**

قوله: (وإذ قال موسى لقومه) [الصف: ٥] إما كلام مستأنف مسوق لتقرير شناعة

قوله: حال من المستكن في الحال الأولى أي الحال الأولى منتصب عن ضمير يقاتلون والثانية من ضمير الحال الأولى فالمعنى يقاتلون مصطفين كائنين في اصطفاافهم كأنهم بنيان مرصوص قال صاحب الانتصاف وإنما حملت الثانية على تداخل الحال لأن هيئة التراص هي هيئة الاصطفااف وقال صاحب الإلتصاف ليس المراد بالتداخل هذا بل أن الحال الثانية وقعت جزءاً من الحال الأولى لأن معنى صفاً مصطفين وفيه ضمير وقوله: «كأنهم بنيان مرصوص» [الصف: ٤] حال من الضمير المذكور فالحال الثانية داخلية في الأولى كقوله تعالى: «إلا استمعوه وهم يلعبون لأمية قلوبهم» [الأنبياء: ٢، ٣] قال الزمخشري في قوله: «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله» [الصف: ٤] عقيب ذكر مقت المخلف دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يبقوا وقال صاحب الانتصاف أي هو بساط لهذا كما نقول لا تفعل ما يلصق بك العار لا تشائم زيدا ليقع النهي مرتين عاماً وخاصاً فهو أولى من النهي على الخصوص مرتين فإن ذلك تكرار وقال الطيبي لما بولغ في بعض القول إيهاماً جرى بما يحب من الفعل تعريضاً قوبل البعض بالحب والقول بالفعل ووصفه بالبنان المرصوص تعريضاً بالقول المتزلزل والوعد المخلف.

ترك القتال أو عطف على ما قبلها عطف القصة على القصة لكون التناسب بين القصتين تناسباً تاماً كما عرفته .

قوله : (مقدر باذكر أو كان كذا) مقدر باذكر أي أنه منصوب به على أنه مفعول فيه أو المفعول به محذوف أي اذكر الحادث الذي وقع وقت قول موسى لقومه وكذا الكلام في قوله أو كان كذا .

قوله : (بالعصيان والرمي بالأدرة) بالعصيان أي في كل أمر ونهي حيث أمرتكم بقتال الجبابرة فأبيتهم إلا أن قتلتم اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون وحيث نهيتكم عن المناهي فعبدتهم العجل وطلبتهم رؤية الله تعالى جهرة ومع ذلك رمتهموني بالأدرة بضم الهمزة وسكون الدال المهمللة وراء مهمللة مرض تكبير منه الخصيتان وكان موسى عليه السلام إذا اغتسل بعد عن الناس لحرمة كشف العورة ولحيائه وأما قومه فيغتسلون في محضر الناس عراة فقالوا إن به أدرة أو به برص ذكره المصنف في أواخر سورة الأحزاب .

قوله : (بما جئتكم من المعجزات) متعلق بتعلمون والباء للسببية لكن لما كان هذا العلم بدون قبول لم يكن مفيداً بالنسبة إلى من لم يؤمن به .

قوله : (والجملة حال) والواو رابطة والأكثر من منعوا ذلك وأولوا بالجملة الاسمية بتقدير المبتدأ أي وأنتم قد تعلمون والبعض جوز كون الواو رابطة في المضارع المشبث مع قد .

قوله : (مقررة للإنكار فإن العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع إيداءه) مقررة للإنكار المستفاد من الاستفهام فإنه ليس الغرض منه طلب بيان سبب الأذى إذ لا سبب له بديهية بل المعنى على الإنكار الواقعي للتقريع وهذه الجملة مقررة لذلك الإنكار إذ العلم بالرسالة يوجب التوقير وينهى عن الأذى فيظهر أن الأذى بعد العلم بالنبوة منكر غاية الإنكار بمعنى أنه لا ينبغي أن يقع كذلك وفي قوله فإن العلم بنبوته مبالغة بأن العلم برسالته أولى بذلك .

قوله : (وقد لتحقيق العلم) أي تعلمون علماً لا يحوم حوله شبهة ما وقد في المضارع قد يجيء للتحقيق كالماضي بمعونة أن التقليل لا يناسب المقام كما فيما نحن فيه ومثل قوله تعالى : ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون﴾ [النور : ٦٣] الآية فإن التقليل لا يصح هنا وفيما نحن فيه وهذه حجة على من أنكر ذلك وذهب إلى أنه للتقليل وتمحل في تصحيحه ولم يجيء الماضي ليدل المضارع على استمرار العلم بمشاهدة تلك المعجزات التي معطيها قلب العصا حية واليد البيضاء ﴿فلما زاغوا﴾ (عن الحق) .

قوله : مقدر باذكر أو كان كذا فإن كان المقدر اذكر كان إذ مفعولاً به له وإن كان المقدر كان كذا وهو عبارة عن قوله تعالى : ﴿أزاغ الله﴾ [الصف : ٥] كان مفعولاً فيه له أي لما زاغوا أزاع الله قلوبهم وقت قول موسى لهم ﴿يا قوم﴾ [الصف : ٥] الآية .

قوله: (صرفها عن قبول الحق والميل إلى الصواب) زاد القبول لثلاً يلزم اتحاد الشرط والجزاء وهذا الصرف بمقتضى اختيارهم النقي والميل عن الحق إلى الباطل فلا جبر وقد مر التفصيل في قوله: ﴿حُتِمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] الآية.

قوله: (هواية موصلة إلى معرفة الحق أو إلى الجنة) وأما الهداية بمعنى الدلالة فمتحققة فهذه الجملة تذييلية مقررة لما قبلها والفاشقون مظهر في موضع المضمر تسجيلاً على فسقهم وكفرهم وليبان علة الحكم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَافِحًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَأُوْتِيتُ رُسُولًا بِآيَاتٍ مِنْ بَعْدِي آمَنُوا أَحَدُكُمْ أَحَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا يَحَرُّ شَيْئًا



قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى﴾ [الصف: ٦] عطف على ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ [الصف: ٥] بطريق عطف القصة على القصة.

قوله: (ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى عليه السلام لأنه لا نسب له فيهم) أي من جهة الأب إذ لا أب له وأمه مريم وإن كانت من أشrafهم نسباً لكن الأب هو الأصل في النسب حتى قالوا إن قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودَ لَهُ رِزْقُهُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أنه إشارة إلى أن النسب للأب قال المصنف في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا﴾ [الأنعام: ٨٥]

قوله: هداية موصلة إلى الحق وإنما فسر الهداية بهذا المعنى لأن الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل إلى المطلوب غير متفية فيهم لقوله: ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الصف: ٥] إليكم بما جئتكم قال الزمخشري معنى والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يطفئ بهم لأنهم ليسوا من أهل اللطف قال صاحب الفرائد لا يهدي من يريد الفسق وهو من باب ذكر الفعل وإرادة الإرادة نحو قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [المنكوت: ٦٩] وقال الطيبي هذا التقدير غير محتاج إليه لأن هذه الفاصلة تذييل للآية وكالتعليل لقوله: ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] والمراد بقوله زأغوا أذى موسى عليه السلام وبيانه أن القوم لما آذوا موسى عليه السلام فزأغوا ففسقوا وأذى ذلك إلى أن خذلهم الله وطبع على قلوبهم وهذا التقرير غير ضار لمذهب أهل السنة لأن من ذلك الأذى والفسق كان كسباً لهم وقد تقرر أن صفات الذنوب مستجيبة لكياترها قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] وأما التذييل الثاني وهو قوله: ﴿وَالله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [الصف: ٧] فهو تقرير لقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الصف: ٧] وهو يدعى إلى الإسلام لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه فيجعل إيجابه افتراء الكذب على الله تعالى يعني كان جزاء الداعي القبول والتصديق فوضعوا موضع التصديق والقبول إن كذبوا وسموا ما جاء به سحراً وكما روعي في هذين التذييلين هذه المناسبة روعيت في قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨] وذلك أن الكفر في الأصل الستر والتغطية ومن يجادل في إطفاء نور الله يحاول إطفاء الحق وستره وكذا في قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩] لأنه مقابل لقوله ودين الحق وليس دين الحق إلا التوحيد ونفي الشرك.

قوله: لا نسب له فيهم معنى النسب مستفاد من إضافة القوم إلى ياء المتكلم المحذوف اكتفاء بالكسرة.

ويحيى عيسى وفي ذكره دليل على أن الذرية تتناول أولاد البت ولعله لهذا قال ولعله لم يقل يا قوم ومثل هذا أمر سهل ولا يقال إنه لم يقل ذلك إشارة إلى أنه عامل بالتوراة وأنه مثلهم في أنه من قوم موسى هضماً لنفسه بأنه لا اتباع له ولا قوم لأن الإنجيل ناسخ بعض حكم التوراة صرح به المصنف في قوله تعالى : ولا حل لكم بعض ما حرم عليكم الآية كما هو مقتضى النظم الجليل وعدم نسخه قول مرجوح قوله وأنه أي عيسى عليه السلام مثلهم في أنه من قوم موسى عليه السلام هفوة عظيمة يحتاج إلى قوة خالصة ولا يبعد أن يقال إن قوله : ﴿يا بني إسرائيل إني رسول الله﴾ [الصف : ٦] الآية للرد على من زعم أنه مبعوث إلى غير بني إسرائيل كما صرح به المصنف في سورة آل عمران (في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة وتبشيري برسول يأتي من بعدي).

قوله : (والعامل في الحاليين ما في الرسول من معنى الإرسال لا الجار لأنه لغو إذ هو صلة للرسول فلا يعمل) والعامل في الحاليين وهما مصداقاً مبشراً واطلاق الحال على المعطوف على الحال لرعاية المعنى ما في الرسول لأنهما حالان من الضمير المستتر فيه فيعمل فيهما لأنه في معنى الفعل لا الجار وهو إليكم لأنه ظرف لغو لكونه متعلقاً بالرسول وعمل الجار إذا كان ظرفاً مستقراً لكونه نائباً متاب الفعل المحذوف وهنا ليس كذلك ولو اعتبر ظرف مستقراً بجعله متعلقاً بمرسل محذوف يكون الجار والمجرور عاملاً فيهما .

قوله : (يعني محمداً عليه السلام) نية به على أن أحمد اسم علم مثل كون محمد اسم علم جامد وليس بأفعل التفضيل من الحامدية والمحمودية نعم يفهم ذلك باعتبار أصل وضعه تبعاً .

قوله : (والمعنى أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه) منزلة أو متوقع النزول والأنبياء كذلك وفيه تنبيه على أن الواجب تصديق جميع الكتب والأنبياء منزلاً كان أو سينزل مبعوثاً كان أو سيبعث فالاعتقاد لا تفاوت فيه أصلاً تفصيلاً كان أو إجمالاً .

قوله : (فذكر أول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين) فالأولية بهذا المعنى لا يتأبه كون الصحف أولاً مقدماً على التوراة وتصديقه عليه السلام التوراة مفهوم بعبارة النص وتصديقه بما عداها مفهوم بدلالة النص وكذا الكلام في الأنبياء فتصديقه بخاتم المرسلين معلوم بعبارة النص ومن عداها بدلالة النص إذ لا قائل بالفصل والحاصل أنه جعل الأول والآخر كناية عن الجميع كالصاح والمساء كذا قيل وفيه ما فيه إذ الأولية بالنسبة إلى الكتب والآخرة بالنظر إلى الأنبياء ومثل هذا لا يكون كناية .

قوله : (إشارة إلى ما جاء به) من المعجزات الواضحة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه وغيرهما فتذكير هذا التأويل بينات بما جاء به .

قوله : (أو إليه وتسميته سحراً للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي «هذا ساحر» [ص : ٤] على أن الإشارة إلى عيسى عليه السلام) للمبالغة هذا إذا أشير بهذا إلى عيسى عليه السلام وأما إذا كان الإشارة إلى ما جاء به فلا مبالغة وكذا قوله ويؤيده الخ .

قوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾

قوله: (أي لا أحد أظلم) بل هذا أظلم من كل أحد وهذا المعنى معنى عرفي له مراد في مثله والنفي مستفاد من كون الاستفهام للإنكار الوقوعي فحاصله النفي.

قوله: (ممن يدهي إلى الإسلام الظاهر حقيقته المقنضى له خير الدارين فيضع موضع إيجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحراً) ممن يدهي إلى الإسلام هذا إشارة إلى أن قوله وهو يدهي إلى الإسلام جملة حالية لها مدخل تام في الأظلمية ولذا وضع يدهي موضع افتري تنبيهاً على ما ذكرناه قوله فيضع أي فوضع وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو للاستمرار وكذا الكلام في يدهي قوله بتكذيب رسوله وكونه افتراء على الله ليس بواضح قوله وتسمية آياته سحراً بالجور عطف على تكذيب الرسول بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر وصاحب الكشف اكتفى به وهو الأظهر.

قوله: (فإنه يعم إثبات المنفي ونفي الثابت وقرىء يدهي يقال دهاه وادعاه كلمسه والتسمه) فإنه أي الافتراء يعم إثبات المنفي والسحر منفي عن آيات الله تعالى وقد أثبتوه لها ونفي الثابت والرسالة ثابتة له عليه السلام وقد نفوها والافتراء شائع في إثبات المنفي وإن صح إطلاقه على نفي الثابت قوله وقرىء يدهي من الاقتعال.

قوله: (لا يرشدهم إلى ما فيه فلاحهم) أي هداية موصلة إلى معرفة الحق قد مر قريباً وجهه والكلام إن حمل على العموم فيكون عاماً خص منه البعض.

﴿٨﴾

قوله تعالى: يُرِيدُونَ يُظْفِئُوا نُورَ آفَهِمْ وَأَقْرَبَهُمْ وَاللَّهُ مُبْدِئُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾

قوله: (أي يريدون أن يظفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الإرادة تأكيداً) يريدون أن يظفئوا بقرينة قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُظْفِئُوا﴾ [التوبة: ٣٢] في موضع آخر ولذا قدمه واختار كون اللام مزيدة على ما ذهب إليه بعض النحاة وجه الزيادة تأكيد معنى الإرادة لما في لام العلة من الإشعار بالإرادة والقصد فهي وإن لم يكن للتعليل هنا لكن باعتبار أصله يشعر بذلك وهذا مراد المصنف بقوله لما فيها من معنى الخ.

قوله: (كما زیدت لما فيها من معنى الإضافة تأكيداً لها كما في لا أباً لك) كما زیدت اللام الجارة لتأكيد معنى الإضافة لأن فيها معنى الإضافة لأن المضاف إليه كل

قوله: واللام فيها مزيدة لما فيها من معنى الإرادة تأكيداً لها ومعنى الإرادة في اللام أن لام التعليل لا بد لها من فعل معلله مسبوق بالإرادة فإن العلة هي الغرض من الفعل متأخر في الخارج عنه وإن كانت متقدمة عليه في العلم والغرض أول الفكر وآخر العمل.

قوله: تأكيداً لها كما في لا أباً لك لم يبين الأب على الفتح على ما هو مقتضى اسم لا لنفي الجنس لأنه في معنى الإضافة والتقدير لا أباً لك والاسم لا يبنى مع الإضافة ومعنى لا أباً لك كنت على وجه لا يعرف لك أب.

مجرور نسب إليه المضاف بواسطة حرف الجر لفظاً أو تقديرأ فاعلم منه أن معنى الإضافة ليس بمختص باللام لكن اللام لما دل على معنى الاختصاص كالإضافة اختص اللام بالزيادة هنا لكنه لم يعامل معاملة المضاف إلى الضمير ونحوه من كل وجه حتى يرد الاعتراض بأن اسم لا لا يكون معرفة إذ اللام حائل ومعنى تأكيداً لها أي للإضافة ما مر من أنه نسب إليه بواسطة حرف الجر لفظاً وبهذا يتحقق الإضافة ورجح على الإضافة بتقدير حرف الجر لما ذكر لا أن إضافة أبا متحققة بدون اللام واللام زيدت تأكيداً لها إذ لو كان كذا لكان المضاف معرفة .

قوله : (أو يريدون الافتراء ليظفوا ﴿نور الله﴾ يعني دينه أو كتابه أو حجته بظعنهم فيه) أو يريدون الافتراء هذا هو القول الثاني في مثله للنحاة فيكون للتعليل والمفعول محذوف وهو الافتراء بقرينة ما قبله وكذا المعنى في صورة الزيادة أي يريدون بهذا الافتراء أن يظفوا الخ فإن هذه الجملة جواب سؤال بأنه ماذا أرادوا بهذا الافتراء ولذا لم يعطف وهنا مذاهب ثلاثة غير ما ذكر كون الفعل مصدرأ مثل تسمع بالمعدي أي إرادتهم كائنة للأطفال ومذهب الفراء أن اللام مصدرية بمعنى أن بدون تقدير وهو مفعول به وهذا كثير بعد فعل الإرادة والأمر والخامس أن يريدون ينزل منزلة اللازم بتأويله بتوقع الإرادة ولم يلتفت إلى ذلك المصنف لما فيها من الضعف والتكلف بل التعسف وإطفاء نور الله بأفواههم تهكم فيهم في إرادتهم إعطال الإسلام بقولهم في القرآن ﴿هذا سحر﴾ [الصاف : ٦] مثلث حالهم بحال من ينفخ نور الشمس ليظفقه انتهى يعني استعارة تمثيلية والمشي به مفروض ولا استعارة حيثن في مفرداته وقيل نور الله استعارة مصرحة للدين أو كتابه أو حجته الاطفاء ترشيح وظاهر كلام المصنف يعميل إليه ويحتمل حملة على ما في الكشف إذ هو أبلغ في اعتبار البلاء .

قوله : (والله متم نوره مبلغ غايته بنشره وإعلانه وقرأ ابن كثير وحزمة والكسائي وحفص بالإضافة) والله متم نوره وهذا يفيد الحصر بأن الله هو متم نوره فقط فهو أبلغ من هذه الحثية وقوله تعالى : ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره﴾ [التوبة : ٣٢] أبلغ من وجه آخر يعرف بالتأمل .

قوله : (إرغاماً لهم) أي تذليلاً لهم وتحقيراً كناية لأن أصل معناه إلصاق الأنف بالرغام أي التراب لتعليل لقوله متم نوره وعلة تحصيلية وجملة ﴿ولو كره﴾ [الصاف : ٨] الخ جملة حالية أو شرطية جزأها محذوف بقرينة ما قبله أو ما قبله هو الذي أرسل جملة مقرر لما قبلها من اتمام نوره ولذا لم يعطف .

قوله تعالى : هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينٍ مُّطَهَّرٍ عَلَى الَّذِينَ كُفِرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾

قوله : (بالقرآن أو المعجزة) واطلاق الهدى على القرآن للمبالغة وكذا الكلام في المعجزة ولا يأول بالهادي أو بتقدير المضاف لأنه ينافي المبالغة .

قوله : (والملة الحنيفية ليعليه على جميع الأديان لما فيه من محض التوحيد

وإبطال الشرك) والملة الحنيفية أي دين الإسلام ليعليه على جميع الأديان بالنسخ أو على أهل الأديان فيخذلهم والكلام في ﴿ولو كره المشركون﴾ [الصف: ٩] مثل الكلام في ﴿ولو كره الكافرون﴾ [الصف: ٨] في كونه حالاً أو شرطاً غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون للتنبيه على أن كل كافر مشرك أو على أنهم ضموا الشرك إلى الكفر.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَخْرَجٍ تُجِيرُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ

(وقرأ ابن عامر ننجيكم بالتشديد).

قوله تعالى: تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَرَّكَبِ الْوَحْشَ وَتَجِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْرِ لَكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن

كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ

قوله: (استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الإيمان والجهاد المؤدي إلى كمال غيرهم والمراد به الأمر) استئناف أي استئناف بياني كأنه قيل ما التجارة المذكورة فأجيب بذلك قوله وهو الجمع الخ فالتجارة مستعارة لهذا الجمع الضمير راجع إلى التجارة والتذكير باعتبار الخير أو التأويل بالمذكور ونحوه وأشار بقوله وهو الجمع الخ إلى أن حسن التفسير إنما هو بالجمع وإلا فإيمانهم متحقق ولا يلزم منه عدم كون الإيمان وحده تجارة منجية من عذاب الله إذ المراد هنا كماله أشار إليه بقوله المؤدي إلى كمال تمييزهم الخ.

قوله: (وإنما جيء بلفظ الخير إيداناً بأن ذلك مما لا يترك) إذ الخير من الشارع في مقام الأمر والنهي أكد فإن خبر الصادق لا يتخلف فكان المأمور سارعوا إلى الامتنال لئلا يلزم كذب الشارع فيكون أبلغ في الطلب فيكون أمراً بالدوام بالنسبة إلى الإيمان.

قوله: ﴿ذلكم خير لكم﴾ [الصف: ١١] يعني ما ذكر من الإيمان والجهاد إن كنتم من أهل العلم إذ الجاهل لا يعتد بفعله) ﴿ذلكم خير لكم﴾ [الصف: ١١] من أموالكم وأنفسكم ﴿إن كنتم تعلمون﴾ [الصف: ١١] من أهل العلم نزل منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول والجواب محذوف أي إن كنتم من أهل العلم فذلكم خير لكم لكونكم حينئذ مثابين بأفعالكم لصونكم إياه عن الإفساد والبطلان إذ الجاهل لا يعتد بفعله لعدم قدرته على الحفاظ عن الفساد فلا يثاب بفعله والمراد العلم بأحوال ما فعله وفي الكشف ﴿إن كنتم تعلمون﴾ [الصف: ١١] أنه خير لكم كان خيراً لكم لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحبيبت الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون ويدخل هذا

قوله: إن كنتم من أهل العلم إذ الجاهل لا يعتد بفعله قال صاحب الكشف إن كنتم تعلمون أنه خير لكم وقال صاحب الانتصاف أجري اللفظ في الشرط على حقيقته وليس بالظاهر لأن علمهم بذلك محقق فإنهم مؤمنون ولعل مثل قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ [البقرة: ٢٧٨] كما تقول لمن ينتصر من عدوه إن كنت مؤمناً فانتصر وقال الطيبي يريد أنه من باب المبالغة والتتيميم وعليه ظاهر كلام القاضي إن كنتم من أهل العلم إذ الجاهل لا يعتد بفعله.

فيما ذكره المصنف دخولاً أولاً ولكونه عاماً يكون أبلغ مما اختاره الزمخشري فالمال واحد لأن الخير إنما يكون خيراً إذا عمل به وترتب عليه الجزاء وهذا ملحوظ في كلام المصنف فلا يقال إن ما ذكره الزمخشري لا وجه له إذ هو خير لهم على كل حال عملوا أو لا ولذا تركه المصنف لأنه ما لم يعمل به لم يكن مثاباً به فلا يكون خيراً لمن لم يعمل به وإن كان خيراً في حد ذاته بل يكون شراً بالنسبة إليه لعدم عمله .

قوله تعالى: **يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَيَسْكَنُونَ فِيهَا بَنَاتٌ هُنَّ**
ذَوَاتُ الْأَقْنَامِ الْكَاافِيَةِ

قوله : (جواب للأمر المدلول عليه بلفظ الخبر أو لشرط أو استفهام دل عليه الكلام تقديره أن تؤمنوا وتجاهدوا أو هل تقبلون أن أدلكم يغفر لكم ويبعد جعله جواباً لهل أدلكم لأن مجرد دلالته لا يوجب المغفرة) ويبعد فيه نوع إشارة إلى جواز ذلك كقوله تعالى: ﴿يَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣١] فإنه جواب لقوله: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ﴾ [إبراهيم: ٣١] الآية لأن الأمر الموجه للمؤمن الراسخ في الإيمان لما كان مظنة لحصول الامتثال جعل كالمحقق والدلالة على التجارة لما كانت مظنة لحصول الامتثال نزلت منزلة المحقق فالدلالة توجب بهذا الاعتبار الامتثال أي الإيمان ودوامه والجهاد وهو يوجب المغفرة ويؤيده تكرار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الصف: ١٠] ولا يضره المعاتبة في أول السورة إذ شرف الإيمان غالب فالفرق بين المقامين بأن ثمة الإضافة الشريفة وهنا لمعاتبة ذعول عن إشارة المصنف وعمّا ذكرناه من أشرف الإيمان يعلو ولا يعلو وأيضاً الظاهر أن الموصول هنا للجنس وفي صدر السورة للعهد فلا معاتبة على الجنس .

قوله : جواب للأمر المدلول عليه بلفظ الخبر وهو لفظ تؤمنون فكانه قيل آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله يغفر لكم ذنوبكم قال الزمخشري وهو خير في معنى الأمر ولهذا أجيب بقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الصف: ١٢] قال صاحب الكشف هذا قول سيبويه وأما مجيء لفظ الخير في مقام الأمر للإيذان بوجود الامتثال فكانه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين وقرأ زيد بن علي تؤمنوا وتجاهدوا على إضمار لام الأمر كقوله:

محمد تغد نفسك كل نفس إذا ما خفقت من أمر نبالي
 المعنى يا محمد تغد نفسك كل نفس .

قوله : ويبعد جعله جواباً لهل أدلكم لأن مجرد دلالته لا توجب المغفرة يعني لا بد في الجزم على جواب الاستفهام من معنى سببية الأول للثاني ومجرد دلالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى التجارة المنجية بدون فعل التجارة التي هي الإيمان بالله ورسوله والجهاد لا يكون سبباً لمغفرة وهذا هو قول الفراء قال الزجاج وقد أغلظ بعض النحويين فقال: ﴿يغفر لكم﴾ [الصف: ١٢] وذلك أنه ليس إذا دلهم النبي صلى الله عليه وسلم على ما ينتفعهم غفر الله لهم إنما يغفر لهم إذا آمنوا وجاهدوا وإنما هو جواب تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدوا لأن معناه معنى الأمر أي آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا يغفر لكم أي إن فعلتم ذلك يغفر لكم

قوله: ﴿وَيَدْخُلْكُمْ﴾ [الصف: ١٢] الآية زيد في الجواب إدخال الجنة بعد الوعد بالمغفرة إذ الإنجاء من العذاب يستلزمهما لكن دفع المضرة لما كان أهم من جلب المنفعة اكتفى بالإنجاء من العذاب أولاً والجواب لما كان لائقاً بالبسط اختيار الاطناب فيه ببيان أن إنجاءهم من العذاب بسبب المغفرة وإدخال الجنة ومساكن طيبة عطف على جنات عطف تفسير لها في جنات عدن عدن بمعنى الإقامة.

قوله: (الإشارة إلى ما ذكر من المغفرة وإدخال الجنة) هذا إشارة إلى أن افراد اسم الإشارة لتأويله بما ذكر وصيغة البعد للتفخيم.



قوله تعالى: وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيُنِيرُ اللَّهُ الْكُفُورَ

قوله: (ولكم إلى هذه النعمة المذكورة نعمة أخرى عاجلة محبوبة وفي ﴿تحبونها﴾ [الصف: ١٣] تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل) نعمة أخرى أي أخرى صفة نعمة عاجلة قيد العاجلة مفهومة من قوله نصر الخ محبوبة معنى تحبونها أي حباً اختيارياً وأما الحب الاضطراري فلا يلام عليه قوله ولكم إلى هذه النعمة أي مضمومة إليها فأخرى مبتداً بتقدير موصوف أي نعمة أخرى كما عرفته خبره محذوف وهو لكم ورجع كون الجملة حالاً لا معطوفة على يغفر لكم أو يدخلكم بل لا وجه له عند التأمل.

قوله: (وقيل أخرى منصوبة بإضمار يعطيكم أو تحبون أو مبتداً خبره ﴿نصر من الله﴾ [الصف: ١٣]) منصوبة بإضمار يعطيكم كقوله:

عَلَفْتُهَا تَبْنَأُ وَمَاءٌ بَارِدًا

ولذا مرضه أو تحبون أي أو منصوبة يتحبون المقدر على الاضمار على شريطة التفسير أو مبتداً بتقدير نعمة خبره ﴿نصر من الله﴾ [الصف: ١٣] لكونها مخصصة بالوصف وهذه النعمة وإن قدمت على الأولى لكن اعتبر الأولى الأصل لبقائه وخلوصه عن الشوائب والأخرى جعلت مضمومة إليها لتفادنها وشربها بالكدورات.

وصححه صاحب الكشف بأن قال وجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد فكأنه قيل هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم وقال صاحب الانتصاف هذا التأويل لا يحتاج إليه فإنه يتحقق بقوله: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا﴾ [إبراهيم: ٣١] وأمثاله وقد تقدم الكلام فيه هذا كلامه فعلى هذا يكون لفظ قل مقدرًا قيل يا أيها الذين آمنوا وقال أبو البقاء ﴿يغفر لكم﴾ [الصف: ١٢] جواب شرط محذوف أي أن تؤمنوا يغفر لكم أو جواب لما دل عليه الاستفهام والمعنى هل تقبلون دليلكم يغفر لكم.

قوله: ولكم إلى هذه النعمة الخ يعني محل أخرى رفع على الابتداء والخبر محذوف مقدر أي ولكم نعمة أخرى.

قوله: وفي ﴿تحبونها﴾ [الصف: ١٣] تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل معنى التعريض مستفاد من ذكر المحبة في طرف العاجل دون الآجل.

قوله: (وهو على الأول بدل أو بيان وعلى قول النصب خير محذوف) وعلى الأول بدل الكل مع ما عطف عليه أو بدل البعض وحده لكن المبدل منه ليس بمطروح بالكلية ويؤيده قوله أو بيان.

قوله: (وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل أو الاختصاص أو المصدر) على البدل أي على النصب فلا تكرار والاختصاص أي على كونه منصوباً على البدل مقدراً قوله أو المصدر أي المفعول المطلق لفعلة المحذوف أي تنصرون وقدم الأول لسلامته عن الحذف وهو أبلغ من نصر الله لأن فيه بياناً بعد الإبهام ﴿وفتح قريب﴾ (عاجل).

قوله: (ويشر المؤمنين) أي المؤمنين المذكورين والمبشر به المغفرة والجنة الموصوفة والمساكن الطيبة فحيث أن يكون كالفعل لذلك للتفصيل السابق ويحتمل أن يكون مطلق المؤمنين.

قوله: (عطف على محذوف مثل قل يا أيها الذين آمنوا ويشر أو على تؤمنون فإنه في معنى الأمر كأنه قال آمنوا أو جاهدوا أيها المؤمنون) مثل قل يا أيها الذين آمنوا بقرينة ذكره في موضع آخر في مثله وسره أن هذا إرشاد إلى ما ينجي فيقول الله تعالى مرة ويأمر نبيه بالدلالة على ذلك لأن المخاطب بتؤمنون المؤمنون فيدخل فيه النبي عليه السلام دخلاً أولاً ولو قدر لفظة قل فيكون ويشر من قبيل تلوين الخطاب^(١) من الكل إلى البعض وسره أن الإيمان حال الكل فخطبوا به والتبشير وظيفه الرسول عليه السلام فخص الخطاب به.

قوله: (ويشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما عاجلاً وآجلاً) بما وعدتهم هو المبشر به فاللام في المؤمنين للمعهد كما مر.

قوله: (وهو على الأول بدل أو بيان أي نصر على أن يفسر أخرى بلكم نعمة أخرى بدل من أخرى بدل الكل وعلى أن يكون محل أخرى نصبا بإضمار الفعل يكون خير مبتدأ محذوف أي هي نصر من الله).

قوله: (عطف على محذوف قال صاحب المفتاح هو عطف على قل مراداً قبل ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ [الصف: ١٤] وقال الطيبي قد سبق أن تؤمنوا متضمن معنى الأمر لقوله: ﴿ينفر لكم﴾ [الصف: ١٢] ولأن سياق الكلام عليه فإنه تعالى لما نبه عباده على ما يخلصهم فما يرد بهم بقوله: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ [الصف: ١٠] أنجه لهم أن تضرعوا إليه ويقولوا نعم يا ربنا ومولانا أرشدنا إلى هذه البقية فقبل لهم آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا ثم أمر حبيبه بأن يبشر لهم بأن الله يستخير لهم ما وعد من الثواب العظيم في الآخرة والنصر القريب في الدنيا.

(١) فلا يكون من قبيل قولك يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم كما زعم المحشي لأن عطف الأمر بمخاطب على الأمر لمخاطب آخر إنما يحسن إذا صرح بالنداء كما في المثال المذكور.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْقَوَارِئُونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ قَامَتِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرْتَ عَلَيْهِمْ قَالُوا اللَّهُ هُوَ الَّذِي آمَنُوا عَلَى عَذْوِهِمْ فَاصْبِرُوا لِحُكْمِ اللَّهِ ﴿١٤﴾

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ﴾ [الصف: ١٤] أعيد النداء لأن ما بعده حكم آخر وذكر الإيمان تهيج لهم على الامتثال لأنه مقتضى الإيمان كونوا أنصار الله وهذا أبلغ من القول انصروا الله.

قوله: (وقرأ الحجازيان وأبو عمرو بالتنوين واللام) أي اللام الجارة.

قوله: (لأن المعنى كونوا بعض أنصار الله) فإنه يستحيل أن يكون المؤمنون جميع أنصاره تعالى فقراءة التنوين أنسب بذلك لأن التنوين يحمل على التبعية وأما في الإضافة فمستفاد من قرينة كما ذكرناه^(١).

قوله: (أي من جندي متوجهاً إلى نصرته الله تعالى ليطابق قوله: ﴿قال الحواريون﴾ [الصف: ١٤] الآية) أي من جندي فيكون الخ المأل من أنصار الله فيطابق الجواب السؤال ولو كان المراد ظاهر ولا يطابقه فيكون إضافة أنصاري خلاف إضافة أنصار الله كما أشار إليه المص بقوله والإضافة الأولى الخ.

قوله: (والإضافة الأولى إضافة أحد المتشاركين إلى الآخر) والمراد بأحد المتشاركين أصحاب عيسى عليه السلام لأن أحد يكون همزة غير مبدلة من الواو في معنى

قوله: لأن المعنى كونوا بعض أنصار الله تعليل للقراءة على التثنية فإنه لإفادته التثنية يدل على معنى البعوضة.

قوله: من جندي متوجهاً إلى نصرته الله يريد أن الجار متعلق بمتملك محذوف منصوب على الحال وإنما أوله به ليطابق السؤال الجواب الحواريين ولا يصح أن يكون معناه من ينصره مع الله وهو قول الزجاج لأنه لا يطابق الجواب الذي هو نحن أنصار الله إذ المطابق حيثن نحن ننصرك مع الله وفي الكشاف فإن قلت ما معنى قوله من أنصاري إلى الله قلت يجب أن يكون معناه مطابقاً لجواب الحواريين نحن أنصار الله والذي يطابقه أن يكون المعنى من جندي متوجهاً إلى نصرته الله يريد أن قوله: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ [الصف: ١٤] ليس على ظاهره لتعديته بإلى ولا يطابقه أيضاً جواب الحواريين نحن أنصار الله إذ المطابق حيثن أن يقولوا نحن أنصارك إلى الله فالواجب إذن أن يؤول بما يطابق الجواب بحيث يعلم منه معنى التعدية ويضم ما يتعلق به إلى وهو من جندي متوجهاً إلى نصرته الله.

قوله: فالإضافة الأولى إضافة أحد المتشاركين إلى الآخر الخ أي الإضافة في ﴿من أنصاري﴾ [الصف: ١٤] إضافة أحد المتشاركين إلى الآخر والمعنى من شركائي في نصرته دين الله لهذه الإضافة إضافة محضة معنوية والإضافة الثانية لفظية غير محضة يدل على الأولى قول صاحب

(١) من أن المؤمنين ليسوا جميع الناصرين.

الجمع فإن معناه ما يصلح أن يخاطب سواء كان مفرداً أو جمعاً مذكراً أو مؤنثاً لكن المصنف قال في أواخر سورة البقرة واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق التثني كأنه لم يرض بما ذكرناه وهنا استعمل أحد في معنى الجمع مع عدم وقوعه في سياق التثني وأيضاً صرح في التلويح أنه لا يقع في الإيجاب أصلاً وفي المطلق لا يقع في الإيجاب بدون كل وهذا الاستعمال يخالفه قليلاً والمراد بالآخر عيسى عليه السلام.

قوله: (لما بينهما من الاختصاص والثانية إضافة الفاعل إلى المفعول) من الاختصاص أي من الاشتراك في النصرة كما أشار إليه بقوله أي من جندي فبينهما ملازمة من هذه الجهة تصح الإضافة بسببها وعبر بالاختصاص عن تلك الملازمة للمبالغة ولم يرد الاختصاص الحقيقي لما ذكرنا من القرينة قوله والثانية أي إضافة الأنصار إلى الله تعالى لأن معنى ناصرين الله بمعنى ناصرى دينه أو أوليائه فوضح ما ذكرناه من مخالفة إضافة أنصاري إضافة الله ولعل الإضافة إلى ضمير المتكلم للإشعار بأنه عيسى عليه السلام ناصر دين الله تعالى فاسأل من كان ناصرأ معي.

قوله: (والتشبيه باعتبار المعنى إذ المراد قل لهم كما قال عيسى عليه السلام) أي ظاهره ليس بمقصود وهو تشبيه كون المؤمنين أنصاراً بقول عيسى عليه السلام قوله إذ المراد قل لهم على تقدير قل كما مر فالتشبيه بين القولين وإن كان المقول فيهما مغايراً في الجملة.

قوله: (أو كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم عيسى من أنصاري إلى الله) أو كونوا أنصار الله فما مصدرية وهي مع صلتها ظرف وأصل الكلام ككون الحواريين أنصاراً وقت قول عيسى عليه السلام ثم حذف المظروف وأقيم الظرف مقامه ولم يلتفت المص إلى الاحتباك كما قيل والأصل كونوا أنصار الله حين قال لكم النبي عليه السلام من أنصاري إلى الله كما كان الحواريون أنصار الله حين قال لهم من أنصاري

الكشاف ومعنى من أنصاري من الأنصار الذين يختصون بي ويدل على الثاني قوله فإن معنى ﴿نحن أنصار الله﴾ [آل عمران: ٥٢] نحن الذين ينصرون الله.

قوله: (والتشبيه باعتبار المعنى لما كان ظاهره تشبيه الكون بالقول وهو غير مناسب بحسب الظاهر حمل التشبيه على المعنى فما له على ما قرر إما تشبيه القول بالقول أو تشبيه الكون بالكون).

قوله: (الحواريون أصفياء وهم أول من آمن به من الحوار وحواري الرجل صفته وخلصانه من الحوار وهو البياض الخالص قال الزمخشري والحوار الدرهم وهو تقاوة الدقيق الذي ليس فيها نخالة قال الزجاج الحواريون هم الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب ولذلك قيل الدقيق الحواري لأنه ينقي من لباب البر وخالفه وتأويله في الناس أنه إذا رجع في اختياره مرة بعد أخرى وجد نقياً من العيوب من حار يحور وهو الرجوع والترجيع وقال الراغب إنما سموا حواريين لأنهم كانوا يظهرون تقوس الناس بإفادتهم الدين والعلم. تمت السورة بعون الله وحسن توفيقه. الحمد لله على توفيق الإتمام. وعلى رسوله أفضل السلام. فالآن أشرع مستعيناً بالله فيما في سورة الجمعة.

إلى الله لأن فيه اعتبار الحذف الكثير مع تغيير كثير وكذا الوجه الثاني فالوجه الأول هو الظاهر المعول ولذا قدمه .

قوله: (والحواريون أصفياءه وهم أول من آمن به من الحور وهو البياض وكانوا اثني عشر رجلاً) من الحور قال في آل عمران حواري الرجل خالصة من الحور بلا ألف وهنا قال من الحوار بالألف وكلاهما بمعنى البياض سموا به لخلوص نيتهم فوجه التسمية لمناسبتهم أصل المعنى وهو البياض في مطلق الخلوص وقيل كانوا ملوكاً يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود فسموا باسم أولاً ثم إلباسهم وقيل قصارون يحورون الثياب أي يبيضونها فسموا من اسم إثر أعمالهم .

قوله: ﴿فَأَمَّنْتُ﴾ [الصف: ١٤] الآية أي بعيسى) ولو ذكره أولاً ثم اكتفى به لكان أولى من عكسه .

قوله: (على عدوهم بالحجة أو بالحرب وذلك بعد رفع عيسى) على عدوهم أي الكافرين منهم .

قوله: (فصاروا غالبين) أي فأصبحوا بمعنى فصاروا (عن النبي ﷺ من قرأ سورة الصف كان عيسى مصلياً عليه مستغفراً له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه) الحمد لله على توفيق اتمام ما يتعلق بسورة الصف والصلاة والسلام من جاهد في الصف وآله الكرام وأصحابه العظام تمت في آخر شعبان يوم الخميس بين الصلاتين في سنة ١١٩١ .

سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله : (سورة الجمعة مدنية وهي إحدى عشرة آية) مدنية أشار بالجزم بأنها مدنية إلى أن القول بأنها مكية ضعيف لأن الجمعة وأمر اليهود لم يكن إلا بالمدينة قوله وهي إحدى عشرة آية بالاتفاق.

قوله تعالى : يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

قوله : ﴿يسبح لله﴾ [الجمعة : ١] بلسان المقال أو بلسان الحال وقد مر وجه اختيار المضارع في هذه السورة الكريمة ﴿ما في السموات وما في الأرض﴾ [الجمعة : ١] فيدخل فيه نفس السموات والأرض .

قوله : (وقد قرىء الصفات الأربع بالرفع على المدح) بالرفع أي على أنه خير لمبتدأ محذوف وجوباً كأنه قيل هو الملك الخ لأنه في الأصل صفة فقطع لقصد المدح وتخصيص الصفات الأربع بالذكر لأن لها مدخلاً تاماً في التسبيح .

قوله تعالى : هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَقُولُوا عَلَيْكُمْ مَائِيْنُوْهُ وَرَبُّكُمْ وَتَعْلَمُهُمْ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾

قوله : (أي في العرب لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون) لأن أكثرهم قيد به لأن منهم من قرأ وكتب ومن أطلق أراد ذلك وأطلق الزمخشري وهو الظاهر من النظم الكريم

سورة الجمعة

مدنية وآيها إحدى عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾ [الجمعة : ١] .
قوله : وقد قرىء الصفات الأربع بالرفع على المدح أي على أنه خير مبتدأ محذوف تقديره هو الملك القدوس وفي الكشف ولو قرئت منصوبة لكان وجهاً كقول العرب الحمد لله أهل الحمد .

قوله : لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون وقيل بدلت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل

وكون بعضهم قارئاً وكتاباً يحتاج إلى النقل فإن المشهور أن لا كتاب لهم فأتى لهم القراءة والكتابة وأيضاً بعض أهل الكتاب أمي أيضاً فلم يبق الفرق بينهم.

قوله: (أي من جعلتهم أمياً مثلهم مع كونه أمياً مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم) أمياً مثلهم حمل كونه بعضاً منهم على كونه أمياً مثلهم لأنه المناسب للمقام كما نبه عليه بقوله مع كونه أمياً مثلهم الخ ويقول أيضاً وإزاحة لما يتوهم الخ فإن قيل البعث ليس بواقع في الأميين بل من الأميين كما يدل عليه قوله: ﴿رسولاً منهم﴾ [الجمعة: ٢] قلنا كون المبعوث من الأميين كاف في ظرفية الأميين للبعث أو كلمة في بمعنى من.

قوله: (من خيائث العقائد والأعمال) وما قاله في سورة البقرة من الشرك والمعاصي أولى مما ذكره هنا.

قوله: (القرآن والشرعة) القرآن وهو المراد بالكتاب قوله والشرعة معنى الحكمة

الحيرة وأهل الحيرة من أهل الأنبار الأنبار قريب من بغداد قال الطيبي وجدت في بعض كتب المحاضرات أن أول من استخرج الخط العربي ثلاثة رجال من أهل مسلسل وهي قرية من أعلى الأنبار موضع قريب من بغداد يقال لأحدهم مرامر بن المرة وللآخر أسلم بن سدوه وللثالث عامر بن حذره نظروا رملأ في شاطئ الفرات فيه آثار أرجل البط فشبهوها بالخطوط فقالوا هلموا نستخرج منها خطأ غير الخطوط القديمة ثم فكروا في كلام الخلق فوجدوا سائر الكلام يدور على ثمانية وعشرين حرفاً ويعتبر على أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ووجدوا هذه اثنين وعشرين حرفاً فاعزهم أي أعجزهم ستة أحرف التاء والتاء والذال والضاد والظاء والغين فصيروها ثخذ ضطلع فتم بذلك الكلام ثم صرفوا الألفاظ وألفوا بعضها إلى بعض واصطلحوا على ما يصلونه من الكلام ويقطعونها بالحروف المذكورة فكان منه هذا الخط العربي والله أعلم.

قوله: من جعلتهم أمياً مثلهم قال الزمخشري ومعنى بعث ﴿في الأميين رسولاً﴾ [الجمعة: ٢] بعث رجلاً أمياً في أميين قال الطيبي وإنما قال رجلاً وقوم على سوق المعلوم مساق غير المعلوم ليؤذن بأن قوله ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم﴾ [الجمعة: ٢] وارد على سنن كلام الجابرة نحو ما جاء في قوله ومما يقودون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع وهو الوجه أقول هذا المعنى مستفاد من تنكير رسولاً وأميين أخذ من تنكير رسولاً معنى رجلاً ومن تنكير أميين معنى في قوم إيداناً بتنكيرهما على هذا المعنى وإلا فالظاهر يقتضي التعريف العهدي لأن الرسول عليه السلام معلوم والقوم قوم معلومون فإنهم قوم قريش بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من بينهم.

قوله: مع كونه أمياً مثلهم لم تعهد منه قراءة ولا تعلم وجاء في حديث شعيب إني أبعث أعمى في عميان وأمياً في أميين هذا حكاية عن الله تعالى قوله: ﴿أعمى﴾ [الرعد: ١٩] أي غير عالم بالشرائع في عميان في قوم غير عالمين بها والمراد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وأمه قال أبو عبد الله الكسائي في كتاب المبتدع ذكر وهب وكعب أن شعيباً نبياً من سلالة بني إسرائيل من ولد هارون وهو الذي بشر بشيئنا صلى الله تعالى عليه وسلم وشعيباً هو الذي أرسل يونس بن متى إلى قومه.

والتعبير بالآيات في التلاوة عليهم لإفادة أنها تدل على الوحدة وسائر صفات الكمال وعلى الرسالة بأعجازه وفي التعبير بالقرآن في التعليم لقطع النظر عن كونه دالاً لما سبق من التنبيه عليه قدم التزكية على التعليم هنا عكس ما في البقرة إذ الواو لا يقتضي الترتيب والتعليم مقدم على التزكية في الوجود وهي مقدمة عليه رتبة لكونها مقصودة أصالة .

قوله : (أو معالم الدين من المنقول والمعقول) أي الكتاب إشارة إلى المنقول من المعالم والحكمة إشارة إلى المعقول من معالم الدين وهذا أعم من الأول لعمومه المعقول دون الأول والمراد به الأمور العقلية التي يعلم بها الدين ويستدل بها على القواعد الدينية الاعتقادية والعملية وهذا ظاهر في الاعتقادية فإن كل حادث يستدل به على التوحيد وصفات الكمال ونحوها بخلاف العملية فإن كلها تقلي بل بعض الاعتقادية لا يعرف بالعقل فالظاهر أن مراده معالم الدين من الاعتقادية بالنسبة إلى بعض أفرادها وصاحب الكشف لم يتعرض له وعلى هذا فالكتاب والحكمة كناية عن جميع العقلية والتقليبات كما ذكر السموات والأرض ويراد بهما جميع ما سوى الله وصفاته مجازاً أو كناية ثم المعالم جمع معلم وهو المحل الذي يعلم منه الشيء .

قوله : (ولو لم يكن له سواء معجزة لكفاه) سواء أي سوى ما ذكر من تعليم الكتاب والحكمة لكفاه فإن من لم يمارس في عمره قبل البعثة وهو مقدار أربعين سنة علماً ولم يشاهد عالماً ولم ينشئ قريضاً ولا خطبة ثم علمهم كتاباً احتوى على قواعد الأصول والفروع وعلم الحكمة علم علماً قطعياً أنه معلم به من الله تعالى .

قوله : (من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم إلى نبي يرشدهم) من الشرك بيان الضلال وخبث الجاهلية من الأمور الحادثة المتعلقة بالأعمال كالبهيرة والسائبة والوصيلة قوله وهو بيان الخ فلا إشكال بأنه ظاهر فما الفائدة في الخبر .

قوله : (وإزاحة لما يتوهم أن الرسول تعلم ذلك من معلم) وإزاحة أي إزالة لما يتوهم الخ وقد أوضحنا هذا آنفاً وقد علموا أنه لا يتعلم من غيره فهذا مسلم عندهم وأما قولهم عناداً إنما يعلمه بشر فقد رده الله تعالى بقوله : ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ [النحل : ١٠٣] .

قوله : (وأن هي المخففة واللام تدل عليها) أي لا شرطية إذ اللام فارقة بينهما .



قوله تعالى : **وَالْآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**

قوله : (وآخرين) جمع آخر بمعنى غير لا اسم تفضيل .

قوله : (عطف على الأميين أو المنسوب في «يعلمهم» [إبراهيم : ٩] وهم الذين

قوله : عطف على أميين أي وآخرين من الأميين قال صاحب الكشف في منهم للتمييز وليست من التي يستعمل مع أفعال لأن من تلك لا يجوز معها جمع الاسم لا يقال الزيدون أفضلون من عمر ولأن أول وآخر وإن كانا أفعال لا يكاد يوجد استعمال من معهما .

جاؤوا بعد الصحابة إلى يوم الدين فإن دعوته وتعليمه يعم الجميع) عطف على الأميين رجحه لأن فيه تصريحاً بالبعثة إليهم وهو الأهم وكون العطف على القريب أولى إذا لم يكن مرجحاً للعطف على البعيد قوله أو المنسوب الخ فيكون جمعاً بين الحقيقة والمجاز أو عموم المجاز إذ تعليم من بعد الصحابة بالواسطة فيكون مجازاً بعلاقة السببية فيكون هذا وجهاً آخر لتأخيره .

قوله : (لم يلحقوا بهم بعد وسيلحون) أشار إلى أن لما جازمة نافية كلم وله معنى آخر لا يناسب هنا وسيلحون فيه به على أن لما مستعمل فيما يتوقع وقوعه بخلاف لم وأن نفيه مستمر إلى وقت التكلم فالفرق بينهما وبين لم من وجهين قال في البقرة ولما أصله لم زيدت عليها ما وفيها معنى التوقع ولذا جعل مقابل قد .

قوله : (في تمكنه من هذا الأمر الخارق للعادة) أي المعنى البالغ في العزة والقدرة ولذلك مكن أمياً في هذا الأمر الخارق^(١) لكن المصنف راعى تحقق حسن الختام لا ابتداء الكلام ولذا اكتفى بقوله في تمكنه الخ .

قوله : (في اختياره وتعليمه) واجتباؤه من بين كافة الأنام والله أعلم حيث يجعل رسالته وأشار به أيضاً إلى ارتباطه بما قبله وجه تقديم العزيز ظاهر .

قوله تعالى : ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٥﴾

قوله : (ذلك الفضل الذي امتاز به عن أقرانه فضله) ذلك الفضل من الرسالة وتعليم الكتاب والحكمة أشار به إلى أن الفضل ليس بمصدر بمعنى التفضل بل اسم ما يتفضل به وهذه الجملة كالتأكيد لمفهوم ما قبلها تذييلية ولذا ترك العطف قوله عن أقرانه أي عن قومه وسائر الأنام .

قوله : (يؤتيه من يشاء) فيه رد على من زعم أنه لولا نزل هذا القرآن على رجل من القرينين عظيم .

قوله : (تفضلاً وعطية) تفضلاً الخ رد على من قال بالاستعداد (الذي يستحقه دونه نعيم الدنيا أو نعيم الآخرة أو نعيمهما) .

قوله تعالى : مَثَلُ الَّذِينَ خُلُوا الثَّوَرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَتَحْمِلُ أَوْعَارًا يَفْسُ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَاثِرَاتِ اللَّهِ وَآفَهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾

قوله : (علموها وكلفوا العمل بها) علموها مبني للمفعول وكذا كلفوا من التفعيل التعليم ثابت باقتضاء النص .

قوله : (لم يعملوا بها ولم يتفعلوا بها فيها) ولم يلتفتوا إليها بل عملوا بخلافها حيث

(١) وهو تعليمه الكتاب والحكمة .

قوله: ﴿فَتَمْنُوا مِنْ اللَّهِ أَنْ يَمِيتَكُمْ وَيَتَقَلِّبَكُمْ مِنْ دَارِ الْبَلِيَّةِ إِلَى مَحَلِّ الْكِرَامَةِ﴾ [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] فِي زَعْمِكُمْ بِسَبَبِ مَا قَدِمُوا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٧)

(فيجازيهم على أعمالهم) فتمنوا من الله الأمر للتعجيز أو للسخرية قوله أن يميتكم الخ وهذا ثابت باقتضاء النص ولو حمل على منطوقه كما في سورة البقرة لا خلل فيه وتمام الكلام فيه قد مر في سورة البقرة وكلمة الشك في الموضعين على اعتقاد المخاطبين فهم وإن كانوا جازمين لكن لوجود ما يقلعه ينبغي أن لا يجوز ذلك أن تقول إنه من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥] وهذا وإن خالف ما في البقرة لفظاً لكنه مطابق له معنى إذ زعم كونهم أولياء الله مستلزم لدعوى أن الدار الآخرة خالصة لهم وبالعكس.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَمَوْتُ الْوَدَىٰ تَعْرِضُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلْئِقٌ بَيْنَكُمْ ثُمَّ يَكُونُ فِيكُمْ عِقَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٨)

قوله: (وتخافون أن تمنوه بلسانكم مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم) وتخافون أن تمنوه به على أن الفرار من الموت معناه خوف تمنيه باللسان وإلا فحقيقة الفرار غير متصور أو غير مراد وأشار بلسانكم إلى أن التمني بالقول لا بالقلب ولو كان عمل القلب لقالوا تمنينا كما صرحه في البقرة.

إلى اسم إن فالمعنى إن كنتم تزعمون أنكم تحبون الله متجاوزين عن الناس فتمنوا الموت فإن قيل لم لم تنصف أولياء الله كما أضيف في ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] أجيب بأن ذلك للفرق بين من يدعي أنه أولياء الله وبين من يخصه الله تعالى للولاية ونحوه في الإضافة قوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] فإن معناه على ما مر من الأنصار الذين يختصون به ويكونون معنى في نصرة دين الله ومعنى نحن أنصار الله الذين ينصرون الله وقد سبق أن الإضافة الأولى محضة والثانية غير محضة.

قوله: بسبب ما قدموا يريد أن التقديم وإن كان مسنداً ظاهراً إلى أيديهم لاكتساب أكثر الأفعال بها لكنه في الحقيقة مسند إليهم قال الزمخشري ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحد منهما نفي للمستقبل إلا أن في لن تأكيداً وتشديداً ليس في لا فإني مرة بلفظ التأكيد ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ [البقرة: ٩٥] ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه قال الراغب إن قوله: ﴿فَتَمْنُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [الجمعة: ٦، ٧] الآية لما كان مفتتحاً بشرط علقت صحته بتمني الموت ووقع هذا على الشرط غاية ما يطلبه المطيع ولا مطلوب وراءه على ما ادعوه لأنفسهم وهو أن لهم الدار الآخرة خالصة من دون غيرهم وجب أن يكون ما يطل بتمني الموت أقوى ما يستعمل في بابه وأبلغه في ما ينتفي شرطهم به فكان ذلك بلفظة لن التي للقطع والثبات وليس كذلك الشرط في سورة الجمعة إذ ليس زعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس مثل المطلوب الذي لا مطلوب وراءه والدار الآخرة لأنهم يطلبون بعد ذلك إذا صح لهم هذا الوصف دار الثواب فلما كان الشرط في هذا المكان قاصراً عن الشرط في ذلك المكان ولم يكن الدعوى دعوى غاية المطلوب لم يحتج في نفيه وإبطاله إلى ما هو غاية في بابه.

قوله: (لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف) لتضمن الاسم وهو الموت وهو ليس بمتضمن معنى الشرط فأشار إلى جوابه بقوله باعتبار الوصف وهو الذي ولما كان الموصوف والصفة كشيء واحد كان الوصف اسم إن وهو متضمن معنى الشرط لكونه مبتدأ حكماً اسم موصول صلته فعل.

قوله: (وكان فرارهم منه يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغير فاء) وكان فرارهم جواب سؤال مقدر بأن الفرار ليس بسبب لحوق الموت بهم فكيف يصح تضمينه الشرط فأشار إلى الجواب بأن الكلام بناء على التشبيه^(١) حيث قال كان فرارهم ولم يقل وفرارهم الخ ولما جعلوا الفرار سبباً للنجاة عكس الأمر وجعل سبباً للهلاك ادعاء والظاهر أن هذا مثل قوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ [التحل: ٥٣] أي الفرار سبب لإخيار ملاقات الموت في وقته^(٢) المقدر له فلا فائدة في الفرار عنه وربما يصادف ملاقاته وقت الفرار.

قوله: (ويجوز أن يكون الموصول خيراً والفاء عاطفة) ويجوز أن يكون الموصول وهو الذي تفرون خيراً لأن فحينئذ لا يحتاج إلى التمثل المذكور وحينئذ يكون فإنه ملائكم معطوفاً على الخير ويفيد أن الفرار يستعقب ملاقات الموت بناء على الادعاء وعدم الاعتداد بما بين الفرار ولحوق الموت آخره لأن الخير ليس فيه فائدة معتد بها إلا بملاحظة العطف وتخصيص الفرار بالخوف من تمنى الموت للارتباط بما قبله وإلا فكل فرار منه لسبب من الأسباب لا يفيد أصلاً وسرعة اللحوق مستفاد من الفاء بمعونة المقام.

قوله: (بأن يجازيكم عليه) أي الإخبار بالفعل لا بالقول مجازاً وكلمة ثم لأن المراد الرد في يوم القيامة والتعير بعالم الغيب الخ لأن العلم سبب للجزاء ولذا قال: ﴿فينيكم﴾ [الجمعة: ٨] بالفاء فهو أبلغ من قوله إلى الله مرجعكم جميعاً فينيكم.

قوله: والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف أي لتضمن الذي معنى الشرط قال أبو البقاء لما في الذي من شبه الشرط ومنع منه قوم وقالوا إنما يجوز ذلك إذا كان الذي مبتدأ واسم إن والذي هنا صفة الموت وضعفوه من وجه آخر وهو أن الفرار من الموت لا ينجي منه فلم يشبه الشرط لغوات معنى السببية وقال هؤلاء الفاء زائدة وأجيب عن الأول بأن الصفة والموصوف كالشيء الواحد ولأن الذي لا يكون إلا صفة فإذا لم يذكر الموصوف معها دخلت الفاء والموصوف مراد وأما ما ذكره ثانياً فغير صحيح فإن عامة الخلق يظنون أن الفرار من أسباب الموت ينجيهم إلى وقت آخر.

قوله: فكان فرارهم يسرع لحوقه بهم معنى السرعة مستفاد من معنى الفاء الموضوع للترتيب بلا مهلة.

(١) وتفصيل التشبيه التمثيلي في التلخيص وشرحه ويفهم منه فهماً جلياً أن ﴿مثل الذين حملوا القرآن ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾.

(٢) أي هذا علة للجزاء المخلوف أقيمت مقامه أي أن الموت الذي تفرون منه فلا نفع في الفرار منه لأنه ملائكم لا محالة.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾

قوله: (أي إذا أذن لها) أي إذا أذن لها بالأذان الأول كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿فاسعوا﴾ [الجمعة: ٩] الآية إذ السعي بالأذان الأول دون الثاني الذي بين يدي المنبر والبعض رجح الثاني فقال إن الأول لم يكن على عهد النبي عليه السلام وإنما أحدثه عثمان رضي الله تعالى عنه كما صرحوا به وأنت خير بأن الأذان للصلوات الخمس في كل يوم ثابت بالتواتر المعنوي بلا استثناء فلا يعارضه ما ذكره والأذان الثاني لا يوجد به السعي فمن رجحه فعليه بيان السعي به والقول بأن المراد السعي إلى الخطبة إذ المراد بذكر الله الخطبة بعيد لأن الجالس في المسجد الجامع لا يسمعون إليه وأيضاً الأذان الثاني ليس سبباً لسعي كل أحد مع أنه المراد ولا سبباً لترك البيع والإنكار مكابرة وما نقله ذلك البعض عن كتاب الأحكام من قوله روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما والحسن رحمه الله تعالى في قوله: ﴿إذا نودي للصلاة﴾ [الجمعة: ٩] قال إذا خرج الإمام وأذن المؤذن فقد يؤذن للصلاة انتهى فهو التفسير المأثور فلا عبرة لغيره انتهى فلا يدل على ما ادعاه فإن كون المراد الثاني فيه لا يقتضي كون المراد في النظم الكريم الأذان الثاني مع وجود الصارف عنه وهو السعي وترك البيع وبين الله تعالى أن الأذان الأول في يوم الجمعة ليس كالأذان في سائر الأيام حيث كان ذلك سبباً للسعي وترك البيع دون الأذان في سائر الأيام.

قوله: (بيان لإذا) فمن إما تبعية أو بمعنى في الأول أولى وذلك وقت الظهر أو وقت صعود الإمام إلى المنبر إن أريد الأذان الثاني كما هو مختار الزمخشري والمراد البيان اللغوي بقرينة كون من تبعية والبيان المشهور المصطلح وهو بيان الجنس مختص بمن البيانية فلا إشكال بأن من البيانية شرطها صحة الحمل والكل لا يصح حمله على الجزء ولعل لهذا اختار أبو البقاء كونه بمعنى في وحمله على التبعية يعني عن ذلك.

قوله: (وإنما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة) أي الجمعة وحدها علم لهذا اليوم فإضافة اليوم إليها من إضافة العام إلى الخاص وقد صرح النجاة في يوم الأحد أن المضاف إليه^(١) أحص مطلقاً من المضاف وكذا هنا فالإضافة بمعنى اللام وقد جوز كونها بمعنى من البيانية وقد أشبع الكلام فيه في سورة الفاتحة وكون العلم مجموعاً وإن احتمل لكنه لا يلائم تصريح النجاة في يوم الأحد قوله لاجتماع الناس الخ فعلى هذا الاسم وقع في الإسلام وقيل قبله قوله لاجتماع الناس الخ يؤيد هذا وأيضاً أول جمعة جمعها الخ يعين ذلك.

(١) وإشكال السعدي بأن الإضافة قبيحة مثل إنسان زيد بناء على الدعول عن تصريح النجاة بأن إضافة اليوم إلى الأحد من إضافة العام إلى الخاص وقد أجبتنا عن اعتراض قبح هذه الإضافة في أوائل سورة الفاتحة.

قوله : (وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماء كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه إليه وأول جمعة جمعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه لما قدم المدينة نزل قباء وأقام به إلى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار بني سالم بن عوف) وكانت العرب الخ ومقتضى ذلك أن هذا الاسم حدث في الإسلام وأول من سماء الأنصار وقيل إنه جاهلي وأول من سماء كعب بن لؤي وعروبة علم جنس واستعماله باللام وبدونه صحيح^(١) كما في سائر أعلام الأجناس ومن هذا أسامي الكتب قوله إنه لما قدم أي بأنه أو لأنه وأول جمعة مبتدأ قوله جمعها صفة جمعة قوله في دار بني سالم خبره كذا قيل قال المحشي لا يخفى ما فيه من التسامح والمراد أول جمعة جمعها هو ما جمعها في دار بني سالم بن عوف قوله إلى الجمعة الغاية غير داخلية في المعنى قوله وصلى الجمعة أي وصلى صلاة الجمعة فيكون مجازاً في الحذف أو المراد بالجمعة صلاتها فيكون مجازاً لغوياً.

قوله : (فامضوا إليه مسرعين قصداً فإن السعي دون العدو) قصداً من الاقتصاد أي اعتدالاً بين الإفراط والتفريط فإن الإفراط في السرعة بدون داع يذهب الوفاق والتفريط يشعر بالتكاسل قوله فإن السعي الخ علة للتفريط بالاقتصاد.

قوله : (والذكر الخطبة أو الصلاة) والذكر الخطبة لاشتمالها ذكر الله تعالى أو هي عبارة عن ذكر الله تعالى قدمها لأنها من خواص الجمعة فيلائم أشد الملائمة لإذا نودي الخ قوله أو الصلاة فيكون مجازاً مرسلأً بذكر الجزء وإرادة الكل.

قوله : (وكانت العرب تسميه العروبة وفي النهاية هو اسم قديم للجمعة وكأنه ليس بعربي يقال يوم عروبة ويوم العروبة وإلا فصح أن لا يدخلها الألف واللام).

قوله : فامضوا إليه مسرعين قصداً أي اقتصاداً قوله فإن السعي دون العدو تعليل لتقييد الإسراع بالاقتصاد وقرأ عمر وابن عباس وابن مسعود فامضوا قال ابن جني هذه القراءة تفسير لقراءة العامة ﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾ [الجمعة : ٩] أي فاقصدوا وتوجهوا وليس فيه دليل على الإسراع.

قوله : (والذكر الخطبة وفي الكشف فإن قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله قلت ما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقأ بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله بمراحل وإذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا أفلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغياً نعوذ بالله من غربة الإسلام ونكد الأيام قال صاحب الانتصاف الدعاء للسلطان الواجب الطاعة مشروع بكل حال وقيل لبعض السلف تدعوا للسلطان الظالم بالبقاء قال إن ما يدفعه الله تعالى يبقائه أعظم مما يدفعه بزواله لا سيما إذا ضمن الدعاء صلاحه وسداده قال صاحب الانتصاف الذي قاله الزمخشري هو الذي قاله صاحب الشامل من مذهب الشافعي وهو الأليق والأشبه بسيرة الخلفاء الراشدين.

(١) وما في النهاية لابن الأثير من أن اللام لا يصح دخولها على عروبة لا يظهر وجهه.

قوله: (والأمر بالسعي إليها يدل على وجوبها) بالسعي إليها أي إلى الخطبة يدل على وجوبها فهي شرط الجمعة أو المراد السعي إلى الصلاة فيدل الأمر على وجوبها لكن لا مطلقاً بل إذا تحقق شروطها المذكورة في كتب الفقه هذا مذهب الشافعي وعندنا الفرض في يوم الجمعة الظاهر لكن صلاة الجمعة تقام مقامها وثمرة الخلاف المذكورة في الفقه.

قوله: (واتركوا المعاملة) إن كنتم مشغولين بها أشار إلى أن البيع مجاز عن مطلق المعاملة من الشراء والإجارة، وغيرهما ذكر الجزئي وأريد الكلّي والبيع لما كان معظم المعاملة لأنه جالب للمال من وجه وسالب له من وجه عبرت به مع أن البيع متحقق في أكثر المعاملة فإن الإجارة فيها بيع المنفعة بعوض ولك أن تجعل البيع عاماً للإجارة ونحوها لما عرفته من أن الإجارة بيع المنفعة.

قوله: (أي السعي إلى ذكر الله خير لكم من المعاملة فإن نفع الآخرة خير وأبقى) أي السعي إلى ذكر الله وهذا لا ينافي كون الأمر بالسعي للوجوب إذ الخيرية تنظم الوجوب والتدب قوله فإن نفع الآخرة الخ إشارة إلى أن التفضل في باب نفع الدنيا خير في الجملة بشرط عدم فوت الامتثال بالأمر هنا فقوله: ﴿ذلكم خير لكم﴾ [الجمعة: ٩] جملة تذييلية مفررة لما قبلها ويدل على ما ذكرناه ﴿إن كنتم تعلمون﴾ (الخير والشر الحقيقيين أو إن كنتم من أهل العلم).

قوله تعالى: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا الْعَلَمُ نَفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

قوله: (فإذا قضيت الصلاة الخ أدبت وفرغ منها) أي القضاء هنا بمعنى الأداء والفراغ وهو تسليم عين الواجب لا القضاء المشهور وهو تسليم مثل الواجب.

قوله: (إطلاق لما حظر عليهم) بالحاء المهملة بعدها ظاء معجمة أي منع فهو إباحة للمعاملة بعد الفراغ من الصلاة وقد منعت بقوله: ﴿وذروا البيع﴾ [الجمعة: ٩].

قوله: (واحتج به من جعل الأمر بعد الحظر للإباحة) لكنه غير تام لأن الأدلة الدالة

قوله: (الخير والشر الحقيقيين أو كنتم من أهل العلم الأول على اعتبار تعلق العلم بمفعوله والثاني على تنزيه منزلة اللازم قوله وإفراد التجارة برد الكناية لأنها المقصودة قال الراغب أعيذ الضمير إلى التجارة دون اللهو لما كانت سبب انفضاض الذين نزلت الآية فيهم ولأنه قد يشغل التجارة عن العبادة من لا يشغله اللهو وعلى ذلك قوله: ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها﴾ [التوبة: ٣٤] لما كان حبس الفضة عند الناس أعظم ضرراً إذ كانت الحاجة إليها أمس ومنعها للمضرة أحجب وعلى ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة: ٤٥] خصها برد الضمير لأنها أرفع منزلة من الصبر لأنها تجمع ضرورياً من الصبر إذ هي حبس الحواس على العبادة وحبس الخواطر والأفكار على الطاعة ولهذا قال تعالى: ﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة: ٤٥].

على أن الأصل في الأمر للوجوب عامة للأمر بعد الحظر أيضاً ومتى وجدت القرينة على عدم الوجوب يعدل عنه سواء كان الأمر بعد الحظر أو لا فمن فرق بينهما فيجب عليه البيان بالبرهان والمثال الجزئي لا يصلح للبيان فإن الأمر قبل الحظر كثيراً ما يستعمل في غير الوجوب فلو دل هذا على أن الأمر ليس للوجوب لدل على أن الأمر مطلقاً ليس للوجوب وكون الأمر هنا للإباحة بقرينة أن إذن المعاملة للترفيه ولو كان للوجوب يكون الأمر علينا حيث نستحق العقاب بتركها لا لنا كالأمر بالصيد وهو قبل الحظر وقد يكون الكسب فرضاً وهو كسب قوت يومه وعياله إذا لم يوجد بقدر الكفاية فتح يكون الأمر للوجوب فالأمر هنا للقدر المشترك بين الوجوب^(١) والندب.

قوله: (وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وإنما هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله) فلا يكون الأمر بعد الحظر للإباحة إذ عيادة المريض وحضور الجنازة واجب على الكفاية وزيارة أخ في الله مندوبة أو مباح فالظاهر أن الأمر أيضاً للقدر المشترك بين الوجوب والإباحة فلا تغفل ولما كان الخبر المذكور من إخبار الأحاد رجح الاحتمال الأول لأنه أمس بالسوق.

قوله: (واذكروه في مجامع أحوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلاة) في مجامع أحوالكم مستفاد من قوله كثيراً لكن المراد بمجامع الأحوال ما سوى الحاجة الضرورية والمجامع عرفي لا حقيقي والذكر أعم من القلبي واللساني وشامل للتسبيح والتحميد والتهليل والصلاة وتلاوة القرآن ومذاكرة العلوم الشرعية ونحوها قوله ولا تخصوا الخ مستفاد من ذكر ﴿واذكروا الله﴾ [الجمعة: ١٠] بعد قوله: ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ [الجمعة: ٩] والأمر للندب كما قيل لكن الأولى التفصيل بأن يقال الذكر واجب كلما ذكر الله تعالى والصلاة واجبة إذا ذكر النبي عليه السلام في مجلس مرة واحدة بالاتفاق وواجبة كلما ذكر عند بعض والصلاة الخمس واجبة إن عم الذكر إليها وسجدة التلاوة واجبة فإنها ذكر فالأمر للقدر المشترك بين الوجوب والندب أيضاً.

قوله: (بخير الدارين) فإن الأعمال الصالحة من أسباب الفتوحات الدنيوية أيضاً وصيغة الترجي لأنه من عادة العظماء في مقام الجزم.

قوله تعالى: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

قوله: (تعالى ﴿إليها﴾) أي إلى تجارة والقاعدة في العطف بأو أفراد الضمير لكون أو لأحد الأمرين وقد يكون الضمير راجعاً إلى المعطوف عليه كما في ما نحن فيه وقد يكون راجعاً إلى المعطوف كما في قوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه﴾ [البقرة: ٢٧٠] الآية.

(١) وهذا أولى أنه للوجوب كما نقل عن السرخسي وأنه للندب كما نقل عن سعيد بن جبير.

قوله: (روي أنه عليه الصلاة والسلام كان يخطب للجمعة فمرت غير تحمل الطعام فخرج الناس إليهم إلا اثني عشر فنزلت) فمرت غير بكسر العين أي القافلة وهي اسم للإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تتردد إذ العير من عار بمعنى تردد أي جاء وذهب وتعام التفاصيل في سورة يوسف قوله تحمل الطعام أي البر فإنه شائع في الحنطة وقيل أنواع المأكولات كالبر قوله إلا اثني عشر وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود وفي رواية عمار بن ياسر بدل ابن مسعود وعبد في مسلم منهم جابر رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كذا قيل والعجب أنهم من المبشرين وأنهم في عدد الحواريين نفعنا الله تعالى بشفاعتهم أجمعين.

قوله: (وإفراد التجارة بالكناية لأنها المقصودة) وإفراد التجارة الخ أي بإرجاع الضمير إليها دون الله مع قرينه ولا يقال وكان مقتضى الظاهر إليهما لما عرفت آنفاً القاعدة في العطف بلفظة أو لأنها المقصودة فاكتمى بالمقصود الأهم.

قوله: (فإن المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير) أي اللهو صرف الهم إلى ما لا يحسن إليه فالمراد هنا الطبل أي ضرب الطبل الخ كما يرشدك إليه قوله لمجرد سماع الطبل.

قوله: (والترديد) أي كلمة أو لترديد لا للشك والتشكيك فإنه غير مناسب هنا مع عدم صحة الأول.

قوله: (للدلالة على أن منهم من انفض بمجرد سماع الطبل ورويته) سماع الطبل وهذا يؤيد ما ذكرناه من أن المراد بالطبل ضربه قوله ورويته أي مع السماع^(١) فلو عطف بالواو لفهم أن الانفضاض لهما جميعاً ولو قال وللدلالة على أن منهم من انفض للتجارة لكان أتم بياناً وظاهره لا يتناول الانفضاض لهما معاً لكن يفهم مضمومته بطريق الأولوية.

قوله: (أو للدلالة على أن الانفضاض إلى التجارة مع الحاجة إليها والانتفاع بها إذا

قوله: والترديد للدلالة على أن منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورويته أقول هذا ينافي ما قال في نكتة رد الكناية إلى التجارة فقط من أنها المقصودة بالانفضاض وذكر اللهو تبع لها فيكون التردد ورد الكناية إليها متنافيان لأن التردد يستدعي استقلال اللهو ورد الكناية إلى التجارة فقط يستدعي عدم استقلاله.

قوله: أو للدلالة على أن الانفضاض إلى التجارة مع الحاجة إليها والانتفاع بها إذا كان مضموماً كان الانفضاض إلى اللهو أولى بذلك وجه دلالة التردد على هذا المعنى هو إفادته تفاوت الانفضاضين في درجة الذم وإن الثاني أعلى فيها من الأول فلو جيء بالواو الدالة على مطلق الجمع لغات معنى التفاوت في الوصف بالذم.

(١) يدل عليه قوله لمجرد السماع.

كان مذموماً كان الانقضاخ إلى اللهو أولى بذلك) أو للدلالة عطف على قوله لأنها المقصودة فيكون تعليلاً لتخصيصه بإرجاع الضمير إليها وهذا هو الملائم للمقام وقيل عطف على قوله للدلالة قبلها فيكون تعليلاً للترديد وهذا لا يناسب قوله على أن الانقضاخ إلى التجارة مع الحاجة الخ قوله والترديد الخ جواب سؤال نشأ من بيان رد الكتابة إلى التجارة الخ وإلا فحق البيان تقديم وجه الترديد .

قوله : (وقيل تقديره ﴿وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها﴾ [الجمعة : ١١] وإذا رأوا لهواً انفضوا إليه) مرصه لأن فيه اعتبار تقدير كثير مع انتفاء الدلالة المذكورة من أن منهم من انفض الخ وإن الانقضاخ إلى التجارة مع الحاجة إليها الخ .

قوله : ﴿وتركوك قائماً﴾ [الجمعة : ١١] إسناد الترك إلى الكل مجاز لأنه فعل البعض كما عرفته وهذه جملة تدليلية مقررلة للانقضاخ إلى التجارة .

قوله : (أي على المنبر) لأن هذا حين الخطبة .

قوله : (من الثواب) فالتعبير بما عنده تعالى للإشارة إلى جزائه كمأ وكيفاً .

قوله : (خير) هذا بالنسبة إلى التجارة وإلا فلا خير في اللهو في نفس الأمر ولا نفع فيه إلا بزعمهم وتوهمهم ولذا قال بخلاف ما يتوهمون من نفعهما فالتنع في اللهو متوهمه لا حقيقة لها والنفع في التجارة متحقق لكنه زائلة فالتوهم في نفعها باعتبار عدم بقاءه وتقديم اللهو هنا لأن كونه مفضلاً عليه أقوى وتأخيرها هناك إذ التجارة هي المحتاج إليها وعطفه هنا بالواو ظاهر الوجه وإظهارهما لكمال التقرر في الذهن .

قوله : (فإن ذلك محقق مخلد بخلاف ما يتوهمون من نفعهما) فإن ذلك محقق أي الثواب محقق وليس بموهم كاللهو مخلد أي باقي نوعه وليس بزائل كنفع التجارة فهو كاللف والنشر المرتب .

قوله : (فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه) أشار به إلى أن قوله : ﴿والله خير الرازقين﴾ [الجمعة : ١١] كناية عن هذا الأمر فحينئذ يظهر ارتباطه بما قبله واتضح كون ختم الكلام مناسباً لابتدائه كأنه قيل فلا تنفضوا إلى التجارة واللهو لأجل تحصيل الرزق واطلبوه من الله

قوله : فإن ذلك محقق مخلد بخلاف ما يتوهمون من نفعهما فهذه الآية إرشاد بعد التوبيخ والتعبير بالانقضاخ إلى التجارة واللهو إلى تحري الأصوب وتوخر المنهج الأقوم على سبيل العموم حيث جيء اللهو والتجارة هنا معرفتين باللام الجنسي وقدم هنا ما كان مؤخرأ هناك لتخالف السابق في اتحاد المعنى لأن ذلك في قصة مخصوصة وأقول لعل تقديم التجارة وتأخير اللهو هناك والتعكيس هنا لأن التجارة هناك غاية لانقضاخهم ولهم فيها نفع ولهذا انغردت برجع الضمير إليها فقدم ذكرها لتكونها أسم عندهم من اللهو وأما تأخيرها هنا وتقديم اللهو فلأن المقام مقام الزجر عما لا ينبغي فالأهم في هذا المقام ذكر ما هو خال عن النفع رأساً ثم ذكر ما فيه شوب نفع والله أعلم . بدقائق كلامه . تمت السورة أحمد الله على التوفيق للسداد . وأسأله سلوك طريق الرشاد .

تعالى بلا خلل في السعي إلى ذكر الله ومع المحافظة على حدود الله تعالى لأنه تعالى خير الرازقين وبهذا البيان يظهر ظهوراً تاماً كونه من أفراد التوشيع .

قوله: (وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها في أمصار المسلمين) موضوع لا أصل له الحمد لله على توفيق إتمام ما يتعلق بهذه السورة الجليلة . والصلاة والسلام على من أوتي الكتاب والحكمة الرشيدة . وعلى آله وأصحابه الذين عرفوا تلك الحكمة وإشاراته العلية . بالأنظار الأنيفة . في يوم الخميس في شهر شوال بين الصلاتين في سنة ١١٩١ .

سورة المنافقين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله : (سورة المنافقين مدنية وهي إحدى عشرة آية) مدنية بلا خلاف وكذا عدد آياتها لم يختلف فيه .

قوله تعالى : إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾

قوله : (الشهادة إخبار عن علم) وهذا تفسير أريد به تمييزه عن العلم واليقين إذ المعنى الشهادة إخبار صادر عن علم تام بحيث لا يطرأ عليه شبهة أصلاً ولذا قال الفقهاء إن قال الشاهد أعلم أو أتيقن لا تقبل لأن فيها زيادة توكيد فإن قوله أشهد من ألفاظ اليقين وكان الامتناع عن الكذب بهذه اللفظة أشد كما في الهداية فلا إشكال بأن هذا صادق على الإقرار^(١) والإنكار والدعوى ولا حاجة إلى القول بأن هذا تعريف بالأعم وإن صح ذلك عند البعض وإن الظاهر أن المراد بالشهادة المعنى اللغوي وهي الإخبار بصحة الشيء عن مشاهدة وعيان وهذا تعريف بالمساوي فإنه يتناول الإقرار والإنكار والدعوى والشهادة الشرعية فالمراد هنا الإقرار^(٢) كأنهم قالوا نقر بأنك رسول الله إقراراً موافقاً لما في القلوب وهذه الإرادة إن كانت لتكون من أفراد هذا المفهوم الكلبي فلا مجاز وإن كانت بخصوصه يكون مجازاً بذكر العام وإرادة الخاص كما هو في سائر المواضع من ذكر العام وإرادة

سورة المنافقين مدنية وآياتها إحدى عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون : ١] .

(١) والإقرار إخبار بما في يده لغيره وقد يطلق على الإخبار ما لغيره وإن لم يكن في يده والإنكار إخبار بما في يده لنفسه مع النفي عن غيره والدعوى إخبار بما في يد غيره لنفسه كذا في الكفاية .

(٢) ويدل عليه قولهم الإيمان هو الإقرار باللسان وتصديق بالجنان .

الخاص وليس المراد الشهادة الشرعية وهي إخبار بصدق مشروطاً فيه^(١) مجلس القضاء وإخبار بما في يد غيره لغيره ولا ريب في عدم كونها مرادة وإن فرض كونها مرادة يكون مثل ما سبق من أنها من أفراد هذا المفهوم الكلي لا أنه تعريف لها.

قوله: (من الشهود وهو الحضور والاطلاع) من الشهود أي مشتقة منه قوله وهو الحضور أي الحضور القلبي بقرينة قوله والاطلاع وليس المراد الحضور في الخارج حتى يقال لأن الشاهد يحضر مجلس القضاء للآداء كما في الكفاية فإن قوله والاطلاع أب عنه وأيضاً قد عرفت أن المراد ليس بشهادة شرعية فلو قال عن مشاهدة كصاحب الكفاية لأسلم عن الاشتباه.

قوله: (ولذلك) أي لكون معنى الشهادة ما ذكر كان معنى قولهم نشهد أنا نخبر عن صميم القلب والاعتقاد الحق والرغبة التامة إنك لرسول الله والتأكيد بأن واللام يقوي هذا المعنى وهذا مراد المص لكنه أجمل في الكلام كما هو دأبه في أداء المرام.

قوله: (صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله: ﴿والله يعلم﴾ [المنافقون: ١] الآية) صدق المشهود به بقوله: ﴿والله يعلم﴾ [المنافقون: ١] الآية وكذب الشهادة بقوله: ﴿والله يشهد﴾ [المنافقون: ١] الخ فقوله بقوله الخ من قبيل اللف والنشر المرتب لكن تصديق المشهود به لا مدخل فيه لكون معنى الشهادة ما ذكر ففي كلامه نوع مسامحة إذا المراد ولذلك كذب الشهادة وأما تصديق المشهود به مع ظهوره إمارة من أول الأمر لما عسى أن يتوهم من توجهه التكذيب إلى المشهود به ففائدة اعتراض قوله: ﴿والله يعلم﴾ [المنافقون: ١] الخ تقرير لمنطوق كلامهم دفعاً للتوهم^(٢) المذكور.

قوله: (لأنهم لم يعتقدوا ذلك) لأنهم متعلق بقوله وكذبهم في الشهادة قوله لأنهم

قوله: لأنهم لم يعتقدوا ذلك أقول هذا قول من ذهب إلى أن الكذب عبارة عن عدم مطابقة الخبر لاعتقاد المخبر وهو خلاف ما عليه الجمهور في تعريف الصدق والكذب قال الراغب الصدق يحد بأنه مطابقة الخبر المخبر عنه لكن حقيقته وتامه أن يتطابق في ذلك ثلاثة أشياء وجود المخبر عنه على ما أخبر عنه واعتقاد المخبر فيه ذلك عن دلالة وأمانة وحصول العبارة مطابقاً لهما فمضى حصل ذلك وصف بالصدق المطلق ومتى ارتفع بوصف بالكذب المطلق ومتى حصل اللفظ والمخبر عنه والاعتقاد بخلافه صح أن يوصف بالكذب ألا ترى أن الله تعالى كذب المنافقين في إخبارهم إنك لرسول الله لما كان اعتقادهم غير مطابق لقولهم وإذا قال لك من اعتقد كون زيد في الدار أن زيداً في الدار ولم يكن هو فيها صح أن يقال كذب وإن كان قوله مطابقاً لاعتقاده ولما كان اللسان ترجمان القلب صح أن يقال صدق في اعتقاده أو كذب قال الطيبي ولعل الظاهر أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال لأن المقام

(١) كذا في الكفاية في بحث الشهادة.

(٢) فهو كقوله فسفى ديارك غير مفسدها صوب الربيع الخ فيكون من قبيل الاحتراس.

لم يعتقدوا ذلك أي إخبارهم بما ذكر من أنك رسول الله ليس عن اعتقاد فإخبارهم بما ذكر لما اقترن بادعاء أنهم عالمون بذلك يكون إخباراً على خلاف ما عليه المخبر عنه في نفس الأمر فيكون كذباً فيكون التكذيب في قولهم تشهد لا في قولهم إنك لرسول الله وأشار الشيطان بذلك رد النظام من المعتزلة حيث ادعى أن معنى الصدق والكذب مطابقة الحكم لاعتقاد المخبر وعدم مطابقته له زاعماً أن التكذيب متعلق بقولهم إنك لرسول الله وهو مطابق للواقع دون الاعتقاد فيلزم أن يكون الكذب عدم مطابقة الحكم للاعتقاد فيكون الصدق أيضاً مطابقة الخبر لاعتقاد المخبر إذ لا قائل بالفصل وجه الرد هو أن التكذيب متعلق بقولهم تشهد دون أنك لرسول الله إذ الشهادة كما عرفته إخبار عن علم فإطلاق الشهادة على إخبار لا عن علم يكون كذباً فما ظنك بإخبار مع العلم بخلافه فحينئذ يكون إطلاق الشهادة على الزور مجازاً كإطلاق البيع على الباطل ومن عمم الشهادة للزور أيضاً يقول التكذيب في ادعائهم أن هذا صادر عن مواطاة القلب على ما يدل عليه تأكيدهم بأن اللام والجملة الاسمية قبل وهذا الأخير ما اختاره الزمخشري قول الزمخشري لأنه إذا خلا عن المواطاة لم يكن شهادة في الحقيقة يتادي بأنه لا يعمم الشهادة للزور حقيقة كالمصنف فالشيطان متفقان في أن التكذيب متعلق بشهد وتعرض الزمخشري بأن هذا صادر عن مواطاة القلب لأن هذا مأخوذ في مفهوم الشهادة وأما من عممه للزور فيدعي أن هذا ليس بمعبر في مفهوم الشهادة^(١) بل هو أمر خارج عن مفهومها فلا يكون التكذيب متعلقاً بالمشهود به بل متعلقاً بالشهادة وقد فصل هذا المقام في التلخيص وشرحه وقد تقدم كلام فيه في سورة البقرة.

الاجتهادي يتخالف خبره لأن المجتهد إذا اجتهد وأخبر على خلاف الواقع فلا يقال إنه كذب بل أخطأ في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩] في الكهف هذا جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب ولأنه لا كذباً وإن جاز أن يكون خطأ وفي الكشف أن فائدة قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون: ١] أنه لو قال قالوا تشهد أنك لرسول الله والله يشهد أنهم لكاذبون لكان يوهم أن قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون: ١] ليميط هذا الإبهام فهذا نوع من التميم لطيف المملك قال أبو الطيب:

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب ترى كل ما فيها وحاشاك فانيما
وحاشاك تميم وقال الآخر:
فسقى ديارك غير مفسدها صوب السحابة وديمة تهمني
غير مفسدها فضلة وتميم للسقاية.

(١) إذ مفهومها عنده أنها إخبار عن شيء مطلقاً سواء عن علم أو لا.



قوله تعالى: **أَتُخَذُوا آيَاتِهِمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**

قوله: (حلفهم الكاذب) وفيه إشارة إلى أنهم طلبوا الوقاية باليمين الفاجرة على أنهم آمنوا كإيمان المؤمنين المخلصين غير هذه الشهادة فيكون هذا عيباً آخر ولذا قدمه للترقي في الذم.

قوله: (أو شهادتهم هذه فإنها تجري مجرى الحلف في التوكيد) قوله فإنها تجري الخ بيان وجه التعبير بالإيمان عن الشهادة مجرى الحلف في التوكيد بقول الرجل أشهد أو أشهد بالله موضع أقسم واستشهد به أبو حنيفة على أن أشهد يمين وكذا أفعال العلم واليقين أجرتها العرب مجرى القسم وتلقته بما يتلقى به القسم ولذا قال تعالى: ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾ [المنافقون: ١] بما يجري مجرى القسم رداً بالقسم ما يكون صادراً عنهم بالقسم ولا لكفى أن يقال في الرد ﴿إنك لرسوله﴾ [المنافقون: ١].

قوله: (وقرى إيمانهم) بكسر الهمزة أي ما أظهره بالسنتهم وقارنه الحسن وفي الكشف ويعضده قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم آمنوا﴾ [المنافقون: ٣] الآية.

قوله: (وقاية عن القتل والسبي) أي جنة يراد بها الوقاية مجازاً لأنها تلزم الجنة فالكلام على التشبيه البليغ.

قوله: (صدأ أو صدوداً) أي صدوا متعدد مشتق من الصد المتعدي بمعنى المنع فالمفعول محذوف أي فصدوا الناس عن الإيمان بسبب تلك الجنة قدمه لأنه أظهر لأن إعراضهم أمر مستمر غير مسبب عن اتخاذ الإيمان جنة كذا قيل وفيه نظر لأن صدوم الناس عنه في عدم إظهارهم الإيمان أقوى منهم في إظهارهم ذلك فلا يكون المنع مسبباً عن اتخاذ المذكور فضلاً عن الظهري فالأولى كون الفاء للتعقيب بلا سببية في الاحتمالين أو للترتيب في الذكر كما في قوله تعالى: ﴿ثم ليقطع فلينظر هل يؤمن كيداً ما يغيظ﴾ [الحج: ١٥] ووجه تقديم الأول هو أنه تأسيس وأما الثاني فهو كالتأكيد لأنه منتهى مما قبله.

قوله: حلفهم الكاذب قال الزمخشري يجوز أن يراد بقوله عز وجل: ﴿أتُخَذُوا آيَاتِهِمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢] إن قولهم: ﴿نشهد إنك لرسول الله﴾ [المنافقون: ١] يمين من إيمانهم الكاذبة لأن الشهادة تجري مجرى الحلف فيما أن يراد من التوكيد بقول الرجل أشهدوا شهد بالله وأعزم وأعزم بالله في موضع أقسم وأولى به استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن أشهد يمين وقال صاحب الانتصاف لا دليل فيه عليه لأن غاية ما فيه أن يسمى يميناً والكلام في وجوب الكفارة بذلك لا في إطلاق الاسم وليس كل ما يسمى يميناً يجب به الكفارة فلو قال أحلف على كذا لا يجب عليه الكفارة وإن كان حلفاً.

قوله: فإنها تجري مجرى الحلف في التوكيد تعليل لإطلاق اليمين على الشهادة وإلذان بأن لفظ اليمين في الشهادة مجاز والجامع التوكيد.

قوله: (من نفاهم وصدهم) إذ العمل يحرم عمل القلب وصدهم اكتفى بالتعدي لأنه راجح لكونه تأسيساً وساء بمعنى قبح ليس من أفعال الذم بمعنى يفس.



قوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾

قوله: (إشارة إلى أن الكلام المتقدم أي ذلك القوم الشاهد على سوء أعمالهم) يعني قوله: ﴿سواء ما كانوا يعملون﴾ [الثوبة: ٩] قوله على سوء أعمالهم إشارة إلى أن ما مصدرية والمراد بالعمل الحاصل بالمصدر.

قوله: (أو إلى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالإيمان) أو إلى الحال المذكورة الخ بتأويل ما ذكر ولظهوره لم يتعرض له قدم الأول لقربه ولبعد منزلته اختير صيغة البعد وأيضاً كونهم آمنوا ثم كفروا عين النفاق فلا يحسن السببية بالنسبة إلى النفاق وإن حسنت بالنسبة إلى الكذب وغيره من الاستجنان أي طلب الجنة بالإيمان.

قوله: (بسبب أنهم آمنوا ظاهراً) بأن أقروا بألستهم بدون مواطاة القلب.

قوله: (ثم كفروا سرّاً أو آمنوا) أي ثم أظهروا دواهم على الكفر ومراد المص دفع المتافات بين آمنوا وبين ثم كفروا كما فصل في الكشف.

قوله: (أو إذا رأوا آية ثم كفروا حشما سمعوا من شياطينهم شبهة) جواب آخر بالحمل على الارتداد فحينئذٍ ثم كفروا على ظاهره فلا يحتاج إلى تأويل بأنهم أظهروا دواهم على الكفر لكنه لا يلائم قوله تعالى: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم﴾ [البقرة: ١٤] الآية وأيضاً ارتداد المنافقين غير متعارف والحمل على سائر المرتدين لا يساعده المقام فالوجه الأول هو المعول وفي الكشف وجه آخر قدمه على الوجهين المذكورين هنا وهو أنهم آمنوا أي نطقوا كلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام ثم ظهر كفرهم بعد ذلك عند المؤمنين بما يدل على كفرهم كفولهم في غزوة تبوك يطعم هذا الرجل أن يفتح له قصور كسرى هيهات ولم يتعرض له المص لأنه لا يلائم ظاهراً قوله تعالى: ﴿فطغى على قلوبهم﴾ [المنافقون: ٣] وأيضاً كون المشار إليه النفاق والكذب والاستجنان ينافية هذا الوجه بحسب الظاهر وإن أمكن توفيقه بأن كونهم كفروا أي أظهروا كفرهم عند أهل الإيمان بعد إيمانهم يشعر بنفاقهم ويظهر به حالهم وكانوا يتصدون الإيمان الفاجرة دفعاً لكفرهم الظاهرة لدى أهل الإسلام والحاصل إن أريد بالنفاق وأخويه ما هو في نفس الأمر فترك هذا الوجه أولى كما اختاره المصنف وإن أريد به ونحوه ما هو بحسب العلم والظهور فذكره أولى كما اختاره العلامة.

قوله: إشارة إلى الكلام المتقدم وهو مضمون قوله سبحانه: ﴿ما كانوا يعملون﴾ [المنافقون: ٢] فإنه قول شاهد على سوء أعمالهم أي ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالهم بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا.

قوله : (حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه) قد مر بيان الختم والطبع في أرائل البقرة وفيه إشارة إلى أنهم لم يتمكن لهم قبول الإسلام ما دام الطبع باقياً كأنهم أبطلوا الاختيار الجزئي فلم يبق لهم اختيار لكن لا يلزم الجبر لأن لهم اختياراً جزئياً لكن بإصرارهم على الكفر والنفاق أبطلوه وهذا عام خص منه البعض وهم من آمن منهم أو المراد المنافقون المخصوصون علم الله تعالى أنهم يموتون على النفاق والكفر.

قوله : (حقيقة الإيمان ولا يعرفون صحته) وبهذا يظهر ضعف ما ذكره من الوجه الثاني.

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مْسَكَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَوَلَّيْنَا اللَّهُ أُنْ أَنْ يُفْعَلَ لَكُونُ ۝١١ ﴾

قوله : (وإذا رأيتهم) الخطاب لمن يصلح أن يخاطب أو له عليه السلام اختيار إذا مع الماضي لكون الرؤية واقعة كثيراً بخلاف القول فإنه نادر بالنسبة إلى الروية ولذا أتى بأن مع المضارع.

قوله : (لضخامتها وصباحتها) أي حسنها.

قوله : (لذلاتهم وحلاوة كلامهم) لذلاتهم يفتح الذال المعجمة أي انطلاق ألسنتهم.

قوله : (وكان ابن أبي جسيماً فصيحاً يحضر مجلس رسول الله عليه السلام في جمع مثله فيعجب بهيكلهم ويصفي إلى كلامهم) فيعجب بالبناء للمجهول وكذا يصفي والمعجبون أصحاب رسول الله عليه السلام لأن رسول الله ﷺ لا يعجبه مثل هذه الصورة الغائية إلا إذا لاحظ خالفه كما قال تعجباً فإن من البيان لسحراً فظهر أن الخطاب كونه لمن يصلح أن يخاطب أو إلى من أن يكون له عليه السلام قوله ويصفي معنى تسمع فحيثئذ يفيد وإلا فالقول يسمعه من حضر لا محالة.

قوله : (حال من الضمير المجرور في لقولهم) لأنه فاعل أي تسمع لما يقولونه به على أن القول بمعنى القول.

قوله : (أي تسمع لما يقولونه مشبهين بأخشاب منصوبة مستندة إلى الحائظ)

قوله : (لذلاتهم وحلاوة كلامهم) الذلاقة طلاقة اللسان يقال ذلق اللسان بكسر العين وضمها فهو ذليق بين الذلاقة والطلاقة الحسن والقبول.

قوله : (حال من الضمير المجرور كذا قال أبو البقاء وقيل هي جملة مستأنفة وظاهر كلامه الزجاج على ما نقله الواحدي على الاستئناف حيث قال وصفهم بشم الصور وحسن الإنابة ثم أعلم أنهم في ترك التفهم والاستبصار نزلوا منزلة الخشب وأراد أنها ليست بأشجار تثمر وتنمو بل هي خشب مستندة إلى الحائظ ثم عابهم بالجبن فقال يحسبون كل صيحة عليهم ثم أخبر بعد أن تم فقال هم العدو ثم أمر بالتحذير منهم فقال فاحذروهم يعني احذروهم إن باطنهم على شرك لأنهم محبوبون لأعدائكم.

مشبهين إشارة إلى التأويل بالمشتق قوله بأخشاب الأولى بخشب لأنه جمع كثرة وأخشاب جمع قلة والأول أبليغ في الذم قوله منصوبة ثابت باقتضاء النص قوله إلى الحائظ مفهوم بطريق الالتزام .

قوله : (في كونهم أشباحاً غالية عن العلم والنظر) بيان وجه الشبه فكأنهم خالية عن الروح أيضاً إذ الروح الذي هو خال عن العلم والنظر كلا روح فيتضمن هذا التشبيه تشبيههم بالموتى فعلم منه أن هذا أولى من كون وجه الشبه الخلو عن الفائدة لأن الخشب تكون مستندة إذا لم يكن في بناء أو دعامة لشيء آخر ولذا لم يلتفت إليه المصنف مع أنه مذكور في الكشف .

قوله : (وقيل الخشب جمع خشباء) مرضه لأنه خلاف المتبادر ولأنه لا تساعد القراءة بضمين لأن فعلاء لا يجمع على فعل بضمين بل على فعل بسكون العين كحمراء وحرر ولذا قدمه المصنف على ذكر قراءة التسكين لأن قراءة التسكين على التخفيف فلا يكون جمعاً له أيضاً .

قوله : (وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر) نخر بالنون والحاء المعجمة والراء المهملة أي يلي وقسد وفي نسخة دعر جوفها أي فسد قوله وقبح المخبر أي الباطن وسمي مخبراً لأنه يحتاج معرفته إلى الإخبار فالخشباء أخص من الخشبة ولما كان الخشبة أعم تكون شاملة للخشباء أيضاً فيمكن أن تراد بالخشبة فالتخصيص خلاف الظاهر وأيضاً إن كان وجه الشبه حسن المنظر الخ لا يظهر لقوله تعالى مستندة فائدة فلا جرم إن هذا ضعيف من وجوه .

قوله : (وقرأ أبو عمرو والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف) أي تسكين المضموم للتخفيف كما هو شائع في كلامهم وقراءة الأكثر بالضم تزيد أن هذه مخففة منها إذ الأصل توافق القراءتين .

قوله : (أو على أنه كبذن في جمع بدنة) فح يكون السكون على الأصل آخره لما عرفت من أن الأول راجح .

قوله : (أي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون) لجبنهم أي لشدة خوفهم الناشئ من الجبن فوضع العلة موضع المعلول واتهامهم أي لعلمهم بأنهم على تهمة بسبب التفاق وهذا سبب الجبن فهم مترقبون للإيقاع عليهم ضارة بهم ولذا عدي

قوله : دعر جوفها من دعر العمود يدعر دعرأ فهو عود دعر أي ردي كثير الدخان والدعر بفتحين الفساد كذا في الصحاح .

قوله : شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر وهذا الوجه أحسن لزيادة اعتبار فيه وجه التشبيه مركب من حسي وعقلي .

قوله : أي واقعة عليهم جعل القرف مستقراً لأن كونه ثاني مفعولي الحساب يستدعي استقراره .

بعلی فالمعنى إذا نادى مناد في العسكر أو ثقلت دابة أو أنشدت ضالة فظنوا أنه إيقاع بهم .

قوله: (ويجوز أن يكون صلته) أي صلة يحسبون لأنه المذكور في كلامه وهو الملائم لكونه مفعولاً ثانياً له فلا تسامح فيه بكون المراد أنه نعت للمفعول الأول لأن الصيغة ليست عليهم في نفس الأمر كما ذكرناه آنفاً من أنه إذا نادى مناد الخ وهو المذكور في الكشف لكنهم لكمال خوفهم يظنون أن تلك الصيغة واقعة عليهم وبهذا ظهر ضعف ما قيل من أن المراد صلة صيغة لتعلقه بها لأنه يقال صاح عليه وهو أحد الوجوه في إعراب السمين وهذا جيد إن أريد بالصيغة الصيغة عليهم قصداً وليس كذلك لما نقلناه من الكشف ولا يلائمه التعبير بالحسبان ولفتة كل مع قطع النظر عن تصريح الكشف .

قوله: (والمفعول هم العدو) كما لو طرحت الضمير يكون الضمير للكل لأن الظالمين لا يظنون أنفسهم العدو وكون كل صيغة عدواً إما للمبالغة أو بتقدير مضاف أي كل أهل صيحة .

قوله: (وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر إلى الخبر) وجمعه الخ جواب سؤال مقدر بأن حقه حيثئذ هي العدو فأجاب بأنه باعتبار الخبر فإن مطابقته للخبر أولى من مطابقته للمرجع إذ الخبر محط الفائدة والعدو يستعمل مفرداً وجمعاً كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم﴾ [التغابن: ١٤] وهنا جمع إذ الكل جمع معنى وإن كان لفظه مفرداً ويتضح منه أن جمعه لكون الكل جمعاً معنى كما صرحوا به في مثل قوله تعالى: ﴿وكل أتوه داخرين﴾ [النمل: ٨٧] .

قوله: (لكن ترتب قوله فأحذرهم عليه يدل على أن الضمير للمنافقين) لأن الأمر بالتحذير يقتضي توصيفهم بالعداوة لا بالجين فقط فلا يكون هم العدو مفعول ثانٍ ليحسبون بل هي جملة مستأنفة مسوقة لبيان شدة عداوتهم كما يدل عليه الجملة الاسمية وتعريف

قوله: وجمعه بالنظر إلى الخبر يعني كان الظاهر أن يقال هي العدو لكن جمع المبتدأ نظراً إلى كون الخبر مجموع المعنى فإن المراد بالعدو الجنس ولذا قال الزمخشري في تفسيره أي هم الكاملون في العداوة ولكن ترتب قوله سبحانه: ﴿فأحذرهم﴾ [المنافقون: ٤] عليه بالفاء يدل على أن الضمير في هم العدو للمنافقين وجه دلالة الترتيب على رجوع الضمير للمنافقين أن الفاء تنبيه عن معنى السببية وحسبانهم ذلك لا يصلح أن يكون سبباً للتحذير بل هو مما يوجب ترك الحذر لأن ذلك الحسبان إنما هو من جنهم وخوفهم من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وأما إذا رجع الضمير إلى المنافقين الموصوفين بما ذكر يصح معنى السببية إذ يكون المعنى حيثئذ لا تغتر بقولهم تشهد أنك لرسول الله فإنهم كذبة في قلوبهم هذا حيث يظهرون صورة الإيمان على ألسنتهم ويظنون الكفر في قلوبهم فأحذروا وهذا أي دلالة الترتيب على رجوع الضمير في هم العدو إلى المنافقين إنما هي على أن يكون جملة هم العدو مفعولاً ثانياً للحسبان وعليهم صلته وأما إذا كان المفعول الثاني عليهم وهم العدو كلاماً مستأنفاً يكون الضمير في هم العدو للمنافقين ويحسن ترتيبه على قوله هم العدو بالفاء لأن وصفهم بالعدو أن يصلح أن يكون سبباً للتحذير عنهم .

الخبر باللام أي الكاملون في العداوة لأن ظاهرهم في صورة المحبين وهم أشد ضرراً وأقوى مكرراً ومع ذلك إنما تعرض له لبيان هجته هذا الاحتمال لأنه مما يخطر بالبال.

قوله: (دعاء عليهم وهو طلب من ذاته) لا طلب حقيقته بل المراد لازمه وهو أن اللعن عليهم مقرر على وجه الكمال إذ ما يكون بالطلب لا سيما من الذات العلى يوجد على وجه الكمال فأمر قاتلهم الله كناية عن ذلك أو مجاز ويحتمل أن يكون قاتل باقياً على معناه بل أبلغ وصيغة المفاعلة للمبالغة.

قوله: (أن يلعنهم) أشار به إلى إن قاتل بمعنى لعن وطرد مجازاً لتعذر المعنى الحقيقي أو دعاء عليهم بالإهلاك كما قاله في سورة التوبة أو تعجب من سوء حالهم.

قوله: (أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك) فإنه لازم لأصل معناه فيكون كناية أو مجازاً.

قوله: (كيف يصرفون عن الحق) أي أنى بمعنى كيف يراد به الإنكار الواقعي للتوبيخ وهذا مؤيد كون قاتلهم الله تعجباً من شناعة حالهم.

قوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْنَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٦٠﴾

قوله: (عطفوها إعراضاً واستكباراً عن ذلك) عطفوها معنى لووا إعراضاً صورياً أو معنوياً واستكباراً يؤيد كونه معنوياً فيكون لووا رؤوسهم كناية عن الاستكبار وإرادة المعنى الحقيقي لا محذور فيها قوله عن ذلك أي عن الاستغفار (وقرأ نافع بتخفيف الواو).

قوله: (ورأيتهم) أي من يصلح أن يخاطب أو يا أيها الرسول.
قوله: (يصدون وهم يعرضون عن الاستغفار) بيان لكمال إعراضهم عن الاستغفار حتى يراه كل من يتأتى منه الرؤية فلا تكرر والإعراض عن الاستغفار وإن لم يكن مرئياً لكن أماراته مرئية أو غير بالرؤية عن العلم لقوته في التيقن.

قوله: (عن الاعتذار) لم يقل عن الاستغفار احترازاً عن التكرار والمعنى إذا ظهر منهم جنابة فقبل لهم تعالوا إلى رسول الله واطلبوا الاستغفار بطريق النصيحة قوله يستغفر لكم جواب الأمر أعرضوا عن الاستغفار واستكبروا عن اعتذار ما ظهر منهم من الشناعة الشنعاء.

قوله تعالى: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦١﴾

قوله: (سواء عليهم) [المنافقون: ٦] (الخ) أي مستو عليهم استغفارك لهم وعدم استغفارك وهمزة استغفرت للاستغفار وحذف همزة الوصل والهمزة وأم المتصلة جردنا عن الاستغفار وتمازج حله قد مر في قوله تعالى: (سواء عليهم) أنذرتهم أم لم تنذرهم [البقرة: ٦] من سورة البقرة وذكر عدم الاستغفار للتنبيه على أن الاستغفار كعدم الاستغفار في عدم النفع.

قوله: (لرسوخهم في الكفر) وهذا كناية على أنهم لم يتوبوا عن الكفر والنفاق. وإلا فرسوخ الكفر إن زال بالتوبة لا يناقي المغفرة ولذا قال في تفسير الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح الخ (الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهاكهم في الكفر والنفاق).

قوله تعالى: هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُبْعَثُوا عَلَيْنَا مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلَهُمْ خِزَانُ السُّكُوتِ وَالْأَرْضُ وَلَكِنَّ الْمُتَّقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾

قوله: (لأنصار) بقرينة الرواية الآتية وبقرينة أن المنافقين من الأنصار ظاهراً وإن من عند رسول الله فقراء المهاجرين لأنهم يهاجرون معه عليه السلام والمراد بالعندية ذلك وإلا فالأنصار أيضاً عنده عليه السلام بالنظر إلى الإسلام فعلم أن العندية مجاز لما ذكرناه.

قوله: (يعنون فقراء المهاجرين) لما مر من أن العندية تقتضي ذلك والظاهر أن المراد بالأنصار مناققوهم إذ هذا الكلام إظهار النفاق من ابن أبي فكيف يخاطب به من أخلص إيمانه وجملته هم الذين الخ كالتعليل لرسوخهم في الكفر وهو علة لعدم المغفرة وبهذا الاعتبار هذه الجملة أيضاً لتعليل لعدم المغفرة ولذا ترك العطف وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية وابن أبي معترف بالرسالة فلا يكون عند رسول الله تهكماً بحسب الظاهر بل بحسب الباطن مثل إيمانه.

قوله: (بيده الأرزاق والقسم) فيكون قوله: ﴿وله خِزَانُ﴾ [المنافقون: ٧] الخ من باب وضع العلة مقام المعلول والقسم بكسر القاف جمع قسمة وهي النصيب فيكون مثل قوله تعالى: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم﴾ [الزخرف: ٣٢] الآية ولما كان حصول أكثر الأرزاق من السماء والأرض جميعاً ذكرهما.

قوله: (ولكن المنافقين الخ) استدراك من مفهوم الكلام أي وهذا واضح ولكن المنافقين أظهر للتسجيل على نفاقهم ولبيان علة الحكم والجمع مع أن القائل واحد وهو ابن أبي لكونهم راضين به فيكون مجازاً في الاستناد وكذا الكلام في سائر الجمع.

قوله: (ذلك لجهلهم بالله) أي كون الأرزاق بيده تعالى وقدرته أو كل أمر من أمور الدين أو لا يكون الفقاة من شأنهم لجهلهم بالله وبصفاته وهذه الجملة معترضة منسوقة لإبطال لما زعموا من أن نفاقهم وعدم إنفاقهم يؤدي إلى انفضاض الفقراء أي تفرقهم من حوله عليه السلام ببيان أن مقاليد الأرزاق وخزائنه بيده تعالى خاصة على ما يدل عليه تقديم الخبر ييسره لمن يشاء ويقدر وإنه غير مختص بالإنفاق.

قوله تعالى: يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلَهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَّقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

قوله: ﴿يقولون﴾ [المنافقون: ٧] الآية) يدل من الأول لكن المبدل منه ليس في

حكم المطروح لئن رجعنا أي والله لئن رجعنا إلى المدينة كلمة الشك لعدم القطع بالرجوع لاحتمال الانصرام.

قوله: (روي أن أعرابياً نازع أنصارياً في بعض الغزوات على ماء فضرب الأعرابي رأسه بخشبة فشكى إلى ابن أبي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) إن أعرابياً هو جهجاه وفي الكشف جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه نازع أنصارياً وهو سنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي رئيس المنافقين في بعض الغزوات وهو غزوة بني المصطلق على ماء واقتتلا على ماء مزدحم ويسمى ذلك الماء المريسيع كما في الكشف فضرب الأعرابي رأسه فيه نوع مخالفة لما في الكشف لفظاً لكنه موافق معنى للاختصار المطلوب في القصص والروايات وعن هذا لم يصرح أساميههم ولعدم تعلق الغرض بها فشكى المضروب الأنصاري إلى ابن أبي لما عرفت من أنه حليفه ومعينه فقال ابن أبي حينئذ لا تنفقوا الخ مع كلمات قبيحة مذكورة في الكشف تركها المص لأن ذكرها قليل الجدوى بل اكتفى بما ذكر في النظم الكريم لتيقنه دون ما عداه.

قوله: (وإذا رجعنا إلى المدينة فليخرج الأعرز الأذل) الأولى ولئن رجعنا كما في النظم الجليل فليخرج الأعرز أشار به إلى أن المضارع بمعنى الأمر لانتضائه المقام ولقصده التام ظن تحقق وقوعه.

قوله: (هني بالأعرز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لقيام قرينة على أن القائل لا يبريد ذل نفسه لكنه لم يصرحه احترازاً عن كمال ظهور نفاقه بحيث لا مجال لإنكاره مثل التعريضات.

قوله: (وقرى ليخرجن يفتح الباء وليخرجن على البناء للمفعول ولنخرجن بالنون ونصب الأعرز والأذل على هذه القراءة) وأما في القراءة الأولى فالفعل من الأفعال على البناء للفاعل مسند إلى الأعرز والأذل مفعول به.

قوله: (مصدر) أي مفعول مطلق.

قوله: (أو حال على تقدير مضاف كخروج أو إخراج) كخروج ناظر إلى كونها مفعول مطلق وكذا إخراج.

قوله: (أو مثل) ناظر إلى كونه حالاً على طريق اللف والنشر العرتب فكونهما مصدرأ

قوله: والأذل على هذه القراءة الخ بيان للقراءة الثلاث المذكورة على النشر بعد اللف فالتقدير على قراءة «ليخرجن» [المنافقون: ٨] يفتح الباء ليخرجن الأعرز منها خروج الأذل وعلى قراءة ليخرجن بضم الباء وفتح الراء ليخرجن الأعرز منها إخراج الأذل وكذا على قراءة لتخرجن بضم النون وكسر الراء هذا كله إذا كان انتصاب الأذل على المصدرية وإن قدر نصبه على الحال من الأعرز يكون التقدير في الكل مثل الأذل.

لقيامها مقام المصدر وفي الكشف ومعناه خروج الأذل وإخراج الأذل مثل الأذل انتهى ولم يتعرض الأعر لأنه فاعل على القراءة بفتح الياء من الثلاثي أو نائب الفاعل على قراءة ليخرجن على البناء للمفعول وأما على قراءة لنخرجن يالنون فالأعر على النصب فالأعر على هذه القراءة مفعول لنخرجن والمراد به حينئذ عليه السلام فابن أبي أظهر عزه بنون العظمة وأراد بإخراج الأذل تحفيره عليه السلام خذله الله تعالى فيوافق القراءات الباقية هذا ظاهر كلام الكشف وكلام المصنف والمقام لا يخلو عن دغدغة فلا تغفل.

قوله : ﴿ والله العزة ﴾ [المنافقون : ٨] رد وإبطال لما يقولونه بأبلغ وجه حيث حصر العزة له تعالى على أنها ذاتية ولرسوله بواسطة الرسالة وللمؤمنين بواسطة الإيمان .

قوله : (والله الغلبة والقوة ولمن أعزه الله من رسوله والمؤمنين) إشارة إلى ما ذكر والقرينة عليه قوله تعالى في موضع آخر فإن العزة لله جميعاً فلا يتعزز إلا من أعزه وفيه إثبات المذلة للكافرين والمنافقين على وجه العموم فيدخل هؤلاء المنافقون دخولاً أولاً فنفي عنهم العزة فضلاً عن الأعزية وإعادة الجار للتنبيه على الاستقلال في باب فإنه تعالى مستقل بالعزة الذاتية والرسول مستقل في ثبوت العزة للرسالة والمؤمن مستقل في ثبوت العزة له بواسطة إطاعة الله تعالى ورسوله فيلاحظ العطف قبل الحكم حتى لا يتأني الحصر ولو قيل الإسناد قبل العطف إذ الحصر فيه تعالى بالنسبة إلى ذاته وفيهما بالنظر إلى غيره يكون^(١) حسناً .

قوله : (من فرط جهلهم وغرورهم) ذكر هنا يعلمون للتنبيه على أن ذلك أمر ظاهر لا يحتاج إلى إمعان نظر ومع ذلك لا يعلمون وللإشارة إلى ذلك قال من فرط جهلهم وغرورهم لأن غرورهم يمنع التوجه إليه بأدنى فكر وذكر في ما مر لا يفقهون لأن كون الأرزاق بيده تعالى غامض يحتاج إلى تدقيق نظر .

قوله : من فرط جهلهم وغرورهم ولم يقدر مفعول العلم في فاصلة هذه الآية وقدر مفعول الفقه في فاصلة الآية السابقة وأيضاً علل رحمه الله انتفاء العلم هنا بفرط الجهل وعلل انتفاء الفقه هناك بنفس الجهل فلا بد من بيان نكتة في ذلك أما النكتة في قضية تقدير المفعول وعدم تقديره في موضعين أن كون العزة لله ولمن أعزه الله تعالى أمر بعلمه من له أدنى شيء من المعرفة ولما لم يعرفه المنافقون اقتضت الحال أن ينفي منهم العلم بطريق المبالغة فلم يقيّد العلم بالمسلوب منهم شيء من القيود بل نفى عنهم أصل العلم لا العلم المقيد بالمتعلق ونفى العلم المقيد بقيد فالمعنى ولكن المنافقين ليسوا من أهل علم ومعرفة ولما كان بعض الأرزاق يصل إلى المرتزق من جهة العبد صار ذلك محلاً لأن يتردد فيه بعض القاصرين في إدراك أن الأرزاق كلها من عند الله تعالى فقدر مفعول لا يفقهون ليبين أنهم فاقدو العلم بذلك فلم ينف منهم أصل الفقه بل نفى الفقه المتعلق بذلك وهذه النكتة بعينها تصلح أن تكون نكتة لقضية التعليل المذكور فليستدبر وأما

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾

قوله: (لا يشغلکم تدبیرها والاهتمام بها عن ذکر الله) لا يشغلکم أموالکم كما أشغلت المنافقین وبهذه الملاحظة يظهر ارتباطه بما قبله.

قوله: (كالصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود) كالصلاة خصها بالذكر صراحة لأنها أم العبادات جامعة لأنواع المبرات فالذكر شامل لجميع الطاعات حقيقة لأن الذكر مفهوم كلي شامل لها ويتنوع بفصول مقومه وهذا أولى من القول بأن الذكر مجاز عن مطلق العبادات المذكرة للمعبود قوله المذكرة للمعبود بيان للعلاقة وهي السببية لأن العبادة سبب لذكره تعالى وعلى ما ذكرنا إشارة إلى مفهوم كلي متنوع بفصول.

قوله: (والمراد نهيبهم عن اللهو بها وتوجيه النهي إليها للمبالغة) والمراد نهيبهم عن اللهو بها أي كناية وظاهره ليس بمقصود وتوجيه النهي إليها مع أنها ليست من العقلاء للمبالغة إذ الكتابة أبلغ من التصريح أو لأنها لقوة سببيتها للهو وكمال مدخلتها فيه جعلت لاهية مجازاً فنهيت عنه إذ النفي والنهي تابعان للإثبات فأصل الكلام إذا لم يرد المبالغة لا تلهوا بأموالکم بالسعي في تدبيرها والتهالك على طلب النماء بالتجارة وغيرها ولا أولادکم يسوؤکم بها وكمال شغفتکم عليهم بحيث يخل بإقامة الحدود وإطاعة المعبود فالتجاوز في الإسناد وقيل إنه تجوز بالسبب عن المسبب كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف: ٢].

قوله: (ولذلك قال ومن يفعل ذلك أي اللهو بها وهو الشغل) ولذلك أي ولكون المقصود نهيبهم قال الخ دليل إني لكن لا حاجة إليه لظهور أنها ليست من العقلاء ومراده مزيد التوضيح وعبر بمن العام لهم ولغيرهم للمبالغة والفعل كناية عن اللهو بالأموال والأولاد للإيجاز وقدم الأموال لأن اللهو بها أكثر بل اللهو بالأولاد اللهو بالأموال لأن السرور بهم إنما يتم إذا كان ذا مال.

تخصيص الآية السابقة بلا يفقهون وهذه الآية بلا يعلمون فلأنه قد مر أن إثبات الفقه للإنسان أبلغ من إثبات العلم له فيكون نفي العلم أبلغ من نفي الفقه فأثر ما هو أبلغ لما هو ادعى له.

قوله: (والمراد نهيبهم عن اللهو بالمعنى لا تكونوا بحيث يلهيكم الأموال والأولاد بالتهالك في جمعها والتلذذ بها والانهماك فيها والتعزز بهم والتكاثر بعددهم أي لا تلهوا ولا تغفلوا بسبب الأموال والأولاد عن ذكر الله لكن عدل عن كلام أدى به أصل المعنى ووجه النهي إلى الأموال والأولاد للمبالغة من حيث إنه أسند الإلهاء إلى سبب اللهو وأنه من إطلاق اسم السبب على المسبب توسل بنهي الأموال والأولاد عن الإلهاء المسبب عن كينونتهم بحيث يؤدي إليه إلى النهي عن السبب فجاءت منه المبالغة على ما مر في قوله عز وجل: ﴿فَلَا يَصْدَنُكُ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ [طه: ١٦].

قوله: (ولذلك قال ومن يفعل أي ولأجل أن المراد نهيبهم عن اللهو بها قال عز وجل: ﴿ومن

قوله: (لأنهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني) أشار به إلى أن الخسران استعارة شبه اشتغالهم بها بحيث يضر آخرته وإيثار الدنيا على الآخرة وتركهم الباقي واختيار الفاني بالتجارة التي ضاعت فيها رأس المال وبقي خائباً وللأصل فاقداً قوله باعوا أي تركوا العظيم الباقي واختاروا الحقير الفاني فهذا خسران وغبن لا خسران ولا غبن فوقه.

قوله تعالى: وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَهُ أَجَلٌ قَرِيبٌ فَأَصْدَقَ وَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٠﴾

قوله: (بعض أموالكم ادخاراً للآخرة) إشارة إلى أن من تبعية فيه وفيه منع عن الإسراف المنهي في الإنفاق وفي قوله تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [فاطر: ٢٩] أي مما ملكناكم ترغيب إلى الإنفاق وفي قول المص بعض أموالكم إشارة إلى ما ذكرنا من أن معنى رزقناكم ملكناكم والأمر للجواب إن أريد الإنفاق الواجب وإلا فللقدر المشترك بين الوجوب والتدب.

قوله: (أن يرى دلائله) وأماراته وقدر المضاف ليصح تقرير قوله: ﴿فَيَقُولُ رَبِّ﴾ [المنافقون: ١٠] الآية وأشار أن الإتيان استعارة للحصول والحضور والمراد بالرؤية المعرفة سواء كان يحس البصر أو لا ولا بعد في إرادة الرؤية البصرية فقط لولا تحضيضية فاصدق بالنصب جواب التمني أي سأل الرجعة لتدارك ما فاتته من الزكاة فتحسر على الفوات ولا يعطاها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها نزلت في ماتمي الزكاة كما في الكشف فالأمر للجواب (أمهلني أمد غير بعيد فأصدق).

قوله: (بالتدارك) وفيه إشارة إلى أنه لا تقصير فيه إلا ترك الزكاة إذ من المعلوم أن الصلاح لا يتحقق بالإنفاق فقط وفيه تنبيه على أعظمية الزكاة.

قوله: (وجزم أكن للمعطف على موضع الفاء وما بعده) لأنه في معنى إن أخرتني

يفعل ذلك ﴿[المنافقون: ٩] أي ومن يفعل اللغو عن ذكر الله ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ [المنافقون: ٩] أسند فعل اللغو إليهم وورد الوعيد على فعلهم اللغو ففعل منه أن المراد نهيمهم عن اللغو لأن الوعيد يرد على ترك الانتهاء بالنهي ثم في التعريف الحسني في الخاسرون وتوسيط ضمير الفصل بينهم وبين المبتدأ إشعار بأن الكاملين في الخسران هؤلاء اللاهون عن ذكر الله فإن خسارهم فوق كل خسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني ودخل في هذا العموم وعيد كل من ذهل عن الجهاد في سبيل الله وشغل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن طلب العلم وعن التصيحة للمسلمين بسبب مراعاة شأن الأموال والأولاد.

قوله: وجزم أكن للمعطف على موضع الفاء حملاً على المعنى فإن موضع الفاء مع أصدق جزم على أنه جواب لولا ومعناه هلا أخرتني على معنى إن أخرتني أصدق وأكن قال صاحب الكشف جزم أكن بالحمل على موضع ﴿فأصدق﴾ [المنافقون: ١٠] فإن موضع الفاء مع الفعل

أصدق كما قاله أبو علي الفارسي واختاره الشيخان ومختار الخليل وسيبويه أنه عطف على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني لأن الشرط غير ظاهر ولا مقدر حتى يعتبر العطف على الموضع كقوله تعالى: ﴿من يضلل الله فلا هادي له ويلزمهم﴾ [الأعراف: ١٨٦] ونقل عن العصام أنه قال أعلم أن المنصوب بعد الفاء في غير النفي يتجزم بعد سقوط الفاء فتقول في زرني فأكرمك زرني أكرمك ولذا يعطف المجزوم على المنصوب بعد الفاء نحو فاصدق وأكن انتهي كأنه قيل لولا أخرتني أكن من الصالحين ونبه المصنف على ذلك بقوله وجزم أكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقول أبو علي الفارسي لأنه في معنى إن أخرتني أصدق يشير إلى ذلك ولا حاجة إلى أن الشرط متوهم الخ لأن التمني كاف في ذلك كما أشرنا بقولنا كأنه قيل لولا أخرتني أكن وما قاله الفارسي من قوله لأنه في معنى إن أخرتني أصدق فميل إلى حاصل المعنى لا لأنه لازم ولما كان قول الفارسي ظاهراً راجحاً اختاره المصنف.

قوله: (وقرأ أبو عمرو وأكون منصوباً عطفاً على أصدق) فيكون الفاء معتبراً في فوق أكون فيكون منصوباً لما عرفت مما نقل عن العصام وأما في الأول فالعطف على مجموع الفاء وما بعده فلا يكون الفاء معتبراً في فوق أكن فيكون مجزوماً كما كان كذلك إن كان جواباً بنفسه بدون عطف نظيره عطف على محل أن وما بعده^(١) فلا يكون إن معتبراً في الجملة المعطوفة أو عطف على مدخول إن فيكون إن معتبراً في المعطوفة وليس مراده وجزم أكن للعطف على موضع الفاء وما بعده لكونه مجزوماً حتى يعترض بأن موضع الفاء وما بعده ليس في موضع الجزم كما نقله السعدي وأجاب بما بعد عن الأذهان لدى أهل العرفان بل مراده ما ذكرناه مما نقلناه عن العصام.

قوله: (وقرئ بالرفع على وأنا أكون فيكون عدة بالصلاح) النحويون وأهل المعاني يقدرون المبتدأ في أمثاله من الأفعال المستأنفة لا لأن الفعل لا يصلح للاستئناف مع الواو الاستئنافية كما هنا وبدونها فإنه لم يذهب إليه أحد من علماء العربية وقد صرح الشيخان في مواضع عديدة أن الفعل مستأنف سواء بالواو أو لا ولعل تقدير المبتدأ في مثله للتنبيه على أن الواو استئنافية لا عاطفة إذ عطف الجملة الاسمية على الفعلية ليس من المحسنات مطلقاً وأما الفعل فيحسن عطفه ولو بالتمحل وقد جوز الفاضل السعدي في الرفع أيضاً

جزم ومن قال وأكون حملة على لفظ ﴿فأصدق﴾ [المنافقون: ١٠] لأن الحمل على اللفظ عندهم أحسن إذ لم يظهر على الموضع إعراب وما لا يظهر يجري مجرى المطروح المرفوض روي عن صاحب الكشف أنه قال ليس في الزجر عن التفريط في هذه الحقوق أعظم من ذلك فلا أحد يؤخر ذلك إلا ويجوز أن يأتي الموت عن قرب فيلزمه التمرز الشديد من هذا التفريط في كل وقت. تمت السورة والله سبحانه وتعالى أعلم بأسرار كلامه أحمد الله مفتحاً ومختتماً أقول.

(١) قال المصنف في قوله تعالى: ﴿علام الغيوب﴾ في أواخر سورة سبأ صفة محمولة على محل إن واسمها.

العطف على أصدق لأنه في محل رفع أو لتوهم رفعه كما في الجزم وهو بعيد لما عرفته من أن الجزم ليس بناء على التوهم بل لأنه جواب التمني بواسطة العطف بلا فاء كما مر مراراً.

قوله تعالى: **وَكَيْفَ يُؤْخِرُ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴿١١﴾

(ولم يمهلهما)

قوله: (آخر عمرها فيجازي عليه وقرأ أبو بكر بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة) آخر عمرها أي المراد بالأجل آخر العمر لا بمعنى مجموع العمر قيل هذه السورة الثالثة والستون وفيه إشارة إلى عمره عليه السلام وليس يبعد كما أنه ليس بسديد. قوله (عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المنافقين برىء من النفاق) موضوع. الحمد لله على جلائل نعمه المتكاثرة. لا سيما على التوفيق وإتمام ما يتعلق بسورة المنافقين. والصلاة. والسلام على من جاهد الكفار والمنافقين. وعلى من أعانه بأنفسهم. وأموالهم أجمعين. نفعنا الله تعالى بشفاعتهم. في يوم الحساب والدين. تمت السورة الكريمة في يوم الخميس وقت العصر من الشوال الشريف في سنة ١١٩١.

سورة التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثمان عشرة آية) مختلف فيها لا خلاف في عدد آياتها وإنما الخلاف في كونها مكية أو مدنية أو بعضها^(١) مكِّي وبعضها مدني كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ﴾ [التغابن: ١٤] الآية على أقوال ثلاثة فقوله مختلف فيها أي في كونها مكية أو مدنية بقرينة قوله وهي ثمان عشرة آية أي بالاتفاق.

قوله تعالى: يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

قوله: (بدلائنها على كماله واستغناؤه) أي بدلالة ما في السموات وما في الأرض مراداً بهما جميع الموجودات الممكنة كما مر بيانه ولذا أتت الضمير الراجع إلى الموصول فالمراد بالتسبيح ما هو بلسان الحال وصاحب التوضيح حملة ما هو بلسان المقال والعلم عند الله الملك المتعال والتعرض بالدلالة على الكمال لأن التنزيه عن سمات النقصان يستلزم الوصف بالكمال.

قوله: (قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الأمرين به من حيث الحقيقة) أي من حيث أنهما مختصان به تعالى في نفس الأمر وإن كانا لغيره تعالى بحسب الظاهر وقدم الملك لأنه سبب الحمد أي المحمودية فإن المراد بهما الحاصل بالمصدر والحصر المستفاد من الكلام كون الملك والحمد مقصوران على الاتصاف بكونهما له تعالى وما ذكره المصنف حاصله ولما كان اللام للاختصاص في الإثبات عزى الاختصاص إلى

سورة التغابن مختلف فيها

وآيها ثمان عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الأمرين به من حيث الحقيقة فلا ينفاه ذلك الاختصاص إضافتهما إلى العبد من حيث الظاهر.

(١) وهو قول الكلبي وكونها مكية قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه وكونها مدنية قول الأكثرين.

تقديم الظرف لأن مراد الاختصاص في الثبوت وهو معنى الحصر والقصر وكون اللام مفيداً للاختصاص في الثبوت مختلف فيه فلا يحتاج إلى تقدير المضاف بأن يقال أي لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام وأيضاً لا يحتاج إلى حمل اللام على معنى الاستحقاق دون الاختصاص .

قوله : (لأن نسبة ذاته مقتضية للقدرة إلى الكل على سواء) أي لأن ذاته تعالى مقتضية لقدرته كسائر صفاته فلا ينفك عنها فيكون نسبتها إلى جميع الأشياء الممكنة على السواء وإلا لزم الترجيح بلا مرجح فلا يتصور كون بعض الممكنات مقدوراً دون البعض وقد مر تفصيله في سورة البقرة .

قوله : (ثم شرع فيما ادعاء فقال : ﴿هو الذي﴾ [التغابن : ٢] الآية) فيه بيان ارتباط ما بعده به .

قوله تعالى : **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فِكُرْ كُفْرًا وَنَسَكُمْ مُؤْمِنًا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴿٢﴾

قوله : (﴿هو الذي خلقكم﴾ [التغابن : ٢]) أطواراً وثارات إذ خلقكم أولاً عناصر ثم مركبات أي مأكولات ثم أخلاطاً ثم نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظاماً ولحوماً ثم أنشأكم خلقاً آخر وهذا يدل على عظم القدرة وتعمام الحكمة ومع ذلك كنتم حاوين مبادي الكمالات العلمية والعملية وهذا دليل آخر على القدرة التامة ولعل لهذا قدم بيان خلقه .

قوله : (مقدر كفره موجه إليه ما يحمله عليه إليه ﴿ومتكم مؤمن﴾ مقدر إيمانه موفق لما يدعوهم إليه) مقدر كفره بزنة اسم المفعول أوله لأنهم حال الخلقة ليسوا بكافرين بالفعل بل بالقوة بسبب التقدير والتقدير بسبب علمه تعالى بأنهم صرفوا الإرادة الجزئية إلى الكفر أو إلى الإيمان فلا يلزم الجبر والفناء للتفصيل مع التعقيب لأنه بعد الخلق والتقدير وإن كان قبل الخلق لكن ظهوره بعده والأولى كون الفناء للتفصيل إذ معنى التعقيب مشكل فيكون قوله : ﴿خلقكم﴾ [التغابن : ٢] ليبيان إجمالاً إذ المراد من قوله : ﴿خلقكم﴾ [التغابن : ٢] ذلك فيكون إجمالاً قوله : ﴿فتمتكم﴾ [التغابن : ٢] الخ تفصيل بعد الإجمال وفيه ما فيه فالأولى لتفصيل ما في الذهن والعلم أي خلقكم على استعداد الحق لكنكم متفاوتون في ذلك فتمتكم من أبطل استعدادهم واختار الكفر المقدر ومنكم من استمر على ذلك واختار الإيمان المقدر فلا يكون عاطفة وقيل للعطف على الصلة ولا يضره عدم العائد لأن المعطوف بالفاء يكفيه وجود العائد في إحدى الجملتين كما قرروه في نحو الذي يطير الذباب فيغضب عمرو أو يقال فيها رابط بالتأويل لأنها بمعنى وقد كفرتم أي وقد كفر بعضهم أو معطوفة على جملة ﴿هو الذي﴾ [التغابن : ٢] الخ والكل تعسف أما الأخير

قوله : ثم شرع فيما ادعاء يعني ادعى سبحانه أولاً ﴿إنه على كل شيء قدير﴾ [الأحقاف : ٣٣] ثم شرع في تقرير ما ادعاء فقال : ﴿هو الذي خلقكم﴾ [غافر : ٦٧] الآية .

فلأنه يلزم منه أن لا يكون مربوطاً بقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ [التغابن: ٢] ولا يخفى فساده وأما الثاني فلأنه يرفع الأمان أما الأول فلأنه يحتاج إلى النقل من الثقة والمثال المذكور مصنوع فالأولى كون الفاء للتفصيل المحض بلا عطف.

قوله: (فيعاملكم بما يناسب أعمالكم) فيه وعد على الإيمان ووعد على الكفر والطغيان.

قوله تعالى: خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَقِّيْ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيْرُ ﴿٢﴾

قوله: (بالحكمة البالغة) أي المراد بالحق الحكمة البالغة أي مشحونة بضروب البديع تبصرة للنظر وتذكراً لأولي الاعتبار وتسبيحاً لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد ومعنى البالغة هنا العظيمة.

قوله: (فصوركم من جملة ما خلق فيهما بأحسن صورة حيث زينكم بصفوة أوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم أنموذج جميع المخلوقات) من جملة ما خلق فيهما أي في السموات والأرض بأحسن صورة ولا مخلوق فيهما أحسن صورة من البشر ولا مساوٍ له في ذلك فيلزم منه أنه أحسن صورة من الملك كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] بأن خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات فإن الرأس نظيره سقف السماء والروح كالشمس والعقل كالقمر والحواس كالكواكب السيارات والبطن كالبحر والظهر كالبر والصوت كالرعد والضحك كالبرق وشعره كالنبات وإلى ما ذكرنا أشار بقوله وجعلكم أنموذج جميع المخلوقات وفي قوله من جملة ما خلق فيهما إشارة إلى وجه تأخير ذكر ﴿وصوركم﴾ [التغابن: ٣] وذكر عقيب خلق السموات الخ والظاهر ذكره عقيب ﴿خَلَقَكُمْ﴾ [التغابن: ٢] فتدبر.

قوله: (فأحسنوا سرائركم) بالعقائد الصحيحة والأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة فإن منشأها استقامة البواطن وتبته به على مناسبتها بابتداء الكلام حتى يكون ترشيعاً.

قوله: (حتى لا تمسخ بالعذاب ظواهركم) المسخ بالخاء المعجمة تغيير الصورة فإنه بالعذاب يبدل أحسن صورة إلى أقيح صورة.

قوله تعالى: يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْكِنُونَ وَمَا تُقْلُونَ وَلِلَّهِ عِلْمٌ يَذَاتُ الْمُشْدُودِ ﴿١﴾

قوله: (ويعلم ما تسرون) [التغابن: ٤] فيما بينكم وما تظهرونه من الأحوال والأمور

قوله: (فأحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم معنى الحث على إحسان السرائر مستفاد من ذكر ﴿وإليه المصير﴾ [التغابن: ٣] عقيب قوله: ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ [التغابن: ٣] المشير إلى مجازاة الآخرة التي في ضمنها الوعد على من أحسن الله صورته وهو أقيح سيرته بسوء العقائد والنيات وسائر الصفات الباطنة المدنسة لجوهر القلب كالحقد والحسد والبخل والشهوة والغضب وغيرها.

وذكره مع دخوله فيما قبله لأنه هو المناسب لقوله : ﴿هو الذي خلقكم﴾ [التغابن : ٢] وذكر الأول ليبان عموم علمه تعالى كأنه قيل وهو بكل شيء عليم لكنه تفتن هنا في البيان وأيضاً العلم الذي يترتب عليه الجزء هذا العلم ثم قال : ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ [التغابن : ٤] وهو المخفيات قبل إظهارها وهو داخل فيما تسرون أو مغاير له إن أريد بما تسرون ما تسرون فيما بينكم كما أشرنا إليه وهو الظاهر وتغيير الأسلوب لتأكيد ذلك بالجملة الاسمية وذكر اسم الأعظم لمزيد التقرير .

قوله : (فلا يخفى عليه ما يصح أن يعلم كلياً كان أو جزئياً لأن نسبة المقتضى لعلمه إلى الكل واحدة) فلا يخفى تفريع على مجموع ما ذكر قوله ما يصلح الأولى تركه إذ لا شيء لا يصلح أن يعلم كلياً كان أو جزئياً أي على وجه جزئي فيه رد على الفلاسفة لأنهم ينكرون علمه تعالى بالجزئيات على وجه جزئي وقيل تفريع على قوله : ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ [التغابن : ٤] وإشارة^(١) إلى أنه كالتعليل لما تقدمه فإنه تعالى إذا علم ما في الصدور وهي أخفى ما يكون كان أعلم بغيرها ولك أن تقول إنه تعالى إذا علم جميع ما يسرون يكون عالماً بمضمرات الصدور لاندراجها تحت ما يسرون فالأمرح بالعكس إلا أن يخص ما تسرون بما عدا ما في الصدور كما مر وحاصل قوله أنه ليبان شمول علمه تعالى بجميع الأشياء فيكون علة آنية وقوله لأن نسبة المقتضى الخ يكون دليلاً لعمى على إحاطة علمه تعالى كما في القدرة وحاصله أن علمه تعالى ذاتي وما هو بمقتضى الذات لا يتفاوت ولا يختص ببعض المعلومات دون بعض وإلا لزم الترجيح بلا مرجح وبيان أن علمه تعالى شامل وأنه تعالى يعلم ما تسرون وما تعلنون التنبيه على أنه حقه أن يتقوى ويحترز فيراعي المكلف الحدود فيما يأتون ويتركون ولأجل تقرير الوعد والوعيد كمر العلم واختير صيغة المضارع لإفادة الاستمرار .

قوله : (وتقديم تقرير القدرة على العلم لأن دلالة المخلوقات على قدرته أولاً وبالذات وعلى علمه بما فيها من الائتقان والاختصاص ببعض الأنحاء) وما ذكره المصنف في بيان

قوله : كلياً كان أو جزئياً رد على الفلاسفة القائلين إن الله تعالى غير عالم بالجزئيات على الوجه الجزئي قال الزمخشري في قوله عز وجل : ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ [التغابن : ٣] فإن قلت فكيف ديم مشوه الصورة سمح الخلقة فتتحمة العيون قلت لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلا انحطاط بعض الصور عن مراتب فوقها انحطاطاً بيناً وإضافتها إلى الموصى عليها لا تستلحق وإلا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة من حده ألا ترى أنك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى أملح وأعلى في مراتب الحسن فيشعر عن الأولى طرفك وتستثقل النظر إليها بعد افتتانك بها ونهاالكك عليها وقالت الحكماء شيطان لا غاية لهما الجمال والبيان .

(١) وفي الكشاف إشارة إلى ما ذكرناه .

العلم مسلك من استدل على علمه تعالى بما في المخلوقات من الاتقان والأحكام والتمط البديع والانتظام والبعض من المتكلمين استدلوا عليه بأنه فاعل بالاختيار وهو يقتضي العلم حتى فرقوا بين الخلق والكسب بأن الأول يقتضي العلم تفصيلاً والثاني يكفي فيه العلم الإجمالي فدلالة المخلوقات على علمه تعالى أولاً وبالثبات كالقدرة فلا يتم ما ذكره إلا أن يقال كلام المصنف بناء على المسلك الأول فتأمل وأيضاً يعارض ما ذكره كون تعلق العلم بالمخلوقات مقدماً على تعلق القدرة بها لأنها تابعة للإرادة وهي تابعة للعلم فالأولى أن يقال إن القدرة تناسب التسبيح فإنه التنزيه عن المعجز وهو لا يكون إلا بالقدرة التامة.

قوله تعالى: **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَمْ يَأْتِكُمْ أَلِيمٌ** ﴿٥﴾

قوله: (أيها الكفار) خص الخطاب بالكفار بقرينة قوله: ﴿نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التغابن: ٥] مع أنه وعد بأن ما أصابهم يصيبكم مثله فلهذا تلوين الخطاب والاستفهام لإنكار النفي وتقرير المنفي أي قد أناكم ولكنكم لم تعتظوا به (كقوم نوح وهود وصالح عليهم السلام).

قوله: (ضرر كفرهم في الدنيا) متعلق بذاقوا بقرينة قوله: ﴿وَلَمْ يَأْتِكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [التغابن: ٥] أي في الآخرة كما قاله المصنف.

قوله: (وأصله الثقل ومنه الويليل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار) وأصله أي أصل الوبال الثقل فاستعير للضرر والعذاب بجامع الثقل المطلق فهو في المشبه به حسي وفي المشبه معنوي ﴿وَلَمْ يَأْتِكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ (في الآخرة).

قوله تعالى: **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكُفِّرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى**

اللَّهُ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَيُّ ﴿٦﴾

قوله: (أي المذكور من الوبال والعذاب) إشارة إلى وجه إفراد ذلك مع تعدد المشار إليه وصيغة البعد للتخمين.

قوله: (بسبب أن الشأن بالمعجزات) بسبب أن الشأن أي الباء سببية والضمير للشأن وسبب ذلك قد علم من قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التغابن: ٧] إذ تعلق الحكم بالمشقق يفيد عليه مأخذ الاشتقاق إذ المراد بالتأنيب ذوق الوبال وشدة النكال فهذا تصريح بما علم التزاماً وتفصيلاً لما أجمل أولاً والباء في البينات للتعدي أو للملابسة.

قوله: (أنكروا وتعجبوا أن يكون الرسل بشراً والبشر يطلق للواحد والجمع) أنكروا أي الهمزة الاستفهامية للإنكار الوقوعي والتعجب منهم من عرض الكلام ولذا ذكره بالواو والبشر لكونه اسم جنس يطلق الخ والمراد الجمع بقرينة يهدوننا.

قوله: والبشر يطلق للواحد والجمع هذا تأويل لرجع ضمير الجمع في يهدوننا إلى البشر وهو مفرد اللفظ.

قوله: (فكفروا بالرسل) صرح به مع أنه معلوم مما تقدم لتسجيله على كفرهم والعطف لتغاير المفهومين ﴿وتولوا﴾ (عن التدبير في البينات).

قوله: (واستغنى الله عن كل شيء فضلاً عن طاعتهم) واستغنى الله حال من ضمير تولوا بتقدير قد أو بدونه مثل قوله جاءني زيد والشمس طالعة ومثله مأول بالمقارنة أي فكفروا وتولوا حال كونهم مقارنين باستغناء الله تعالى وأما العطف على ما قبله فليس بمناسب لعدم الجامع.

قوله: (والله غني عن عبادتهم وغيرها) جملة معترضة وتذييلية مقررة لمنطوق ما قبله.

قوله: (يدل على حمده كل مخلوق) فاعل يدل أي أنه تعالى محمود وجميع المخلوقات يدل على أنه محمود بلسان الحال لأن حقيقة الحمد إظهار صفات الكمال والمخلوقات بأسرها مظهر أي دال على كمال صانعه وهو تعالى حامداً أيضاً بهذا الإظهار كما قال عليه السلام اللهم لا أحصي ثناء عليك كما أثنيت أنت على نفسك فيصح أن يكون المعنى يدل على حامديته كل مخلوق وعلى كلا المعنيين فيه تقرير لغناه عن العبادة وغيرها.

قوله تعالى: زَمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ كُنْ يُعْتَذِرُ لَكَ رَبِّي لَتَنْتَحِينَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ

عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ

قوله: (زعم الذين كفروا) بيان جنابة أخرى وهي إنكار الآخرة إثر بيان إنكارهم الرسل ومتناً زعمهم ادعاء استحالة المعدوم وامتناع قبول الحياة ما هو يس رميم.

قوله: (الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى إلى مفعولين وقد قام مقامهما أن مع ما في حيزه) ادعاء العلم غالب في البطلان ولذلك أي لما فيه من ادعاء العلم قوله إن الخ وهي مخففة بقرينة لن.

قوله: ﴿يَبْلَى تَبْعُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦] لأن بلى لإيجاب النفي أثبت أولاً البعث ثم بينه تفصيلاً بأن الله تعالى ليعيهم ثم يجازيهم والمراد بعث المكلفين جميعاً إذ لا قائل بالفصل (قسم أكد به الجواب).

قوله: (بالمحاسبة والمجازاة) أي المراد بالنبا الخبر بالفعل وهو أبلغ من النبا بالقول وإن كان مجازاً.

قوله: (لقبول المادة وحصول القدرة التامة) لقبول المادة الحياة كما قبلتها أولاً وما بالذات لا يزول وحصول القدرة التامة فيقدر على جمع الأجزاء المتفرقة وإحيائها وكذا حصول العلم الكامل فيعلم أمكنة الأجزاء الممتزجة ولا بد من التعرض لهذا ولا وجه لتركه إذ صحة حشر الأجساد مبنية على هذه الأمور الثلاثة كما بينه في البقرة.

قوله: (يعني القرآن فإنه بإعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه) يعني

القرآن فالنور مستعار له وجه المشابهة ما أشار إليه بقوله فإنه بإعجازه ظاهر أي ظاهر حقيقته وجه المشابهة معقول في المشبه ومحسوس في المشبه به .

قوله تعالى: **فَقَاتِلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أُنْزِلَ وَأَلَهُ بِمَا صَعَلُونَ خَيْرٌ** ﴿٨﴾

قوله: (فيجازي عليه) أي بالخير أو بالشر إن جعل الخطاب عاماً أو بمعنى فيعاقبكم إن خص بالكفار والقرآن إيمانه مستلزم للإيمان باليوم الآخر ولذا أمروا بالإيمان عقيب إثبات البعث بالقسم رداً لمتركبه وفاء فأمروا للتفريع على إخبار البعث .

قوله تعالى: **يَوْمَ يَجْمَعُ رَبُّهُمُ الْجَمْعَ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ الْقَرُّ الْعَظِيمُ** ﴿٩﴾

قوله: (ظرف لتتبعون) كونه ظرفاً متروكاً وكون اللام مكسوراً أولى من كونه مضافاً إلى ما بعده على أن اللام من الكلمة مفتوحاً .

قوله: (أو مقدو باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم) أو مقدر باذكر على أن يوم مفعول به أو المفعول به محذوف أي اذكر الحادث ويوم ظرف لذلك المقدر والخطاب إما له عليه السلام أو لمن يصلح الخطاب به فعلى الأول فيه تلوين الخطاب وأما تعلقه بخير فلا يصح إلا بتمحل بعيد .

قوله: (لأجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين) لأجل ما فيه أي المضاف مقدر واللام للتعليل ولم يتعرض لكون اللام بمعنى في مع استغنائه عن تقدير المضاف لأنه لا جزالة فيه .

قوله: (يغبن فيه بعضهم بعضاً لنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار) يغبن فيه الخ حمل التفاعل على ظاهره قوله مستعار من تغابن التجار وفيه تهكم بالأشقياء لأن تلك المنازل ليست ناقعة لهم أو جعل تغابناً مبالغة على طريق المشاكلة وفي الحديث الشريف «ما من عبد يدخل الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً وما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة» .

قوله: يعني يغبن فيه بعضهم بعضاً غبن السعداء للأشقياء حقيقة لأنهم يغبنون الأشقياء بنزولهم منازلهم في الجنة ولكن غبن الأشقياء للسعداء ليس يغبن حقيقة بل هو مجاز من باب الاستعارة التهكمية فإن الأشقياء لا يغبنون السعداء بنزولهم منازلهم في النار لو شقوا إلا بالاستعارة التهكمية كذا قالوا أقول على هذا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ التغابن ومن قال بعموم المجاز فعليه البيان وجعل الواحدي التغابن من طرف واحد للمبالغة حيث قال يغبن فيه أهل الحق أهل الباطل وأهل الإيمان أهل الكفر والأغبين أبين من هذا هؤلاء يدخلون الجنة وهؤلاء يدخلون النار وأحسن منها ما ذكره محيي السنة قال هو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ والمراد فالغبنون من غبن في أهله ومنازله في الجنة فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان .

قوله: ﴿وَاللَّامِ فِيهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ التَّغَابِنَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ التَّغَابِنُ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ لِعَظَمَتِهَا وَدَوَامِهَا﴾ أي تعريف التغابن بلام الجنس يفيد الحصر أي ذلك اليوم يوم التغابن فقط لا يوم التغابن غيره وأشار إلى وجهه أن المراد التغابن الحقيقي فهو مقصور على ذلك اليوم فلا ينافي الحصر وجود التغابن في الدنيا والمراد بالحقيقي نفس الأمر وفي الواقع لا أنه موضوع له فإنه بالنظر إلى الوضع مجاز ولذا قال مستعار من تغابن التجار قوله لعظمها بيان كفيته ودوامها بيان كميته وأما تغابن الدنيا فهو زائل مع حقاوته.

قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ وينطوي الإيمان بسائر المؤمنين به.

قوله: ﴿أَيَّ عَمَلًا صَالِحًا﴾ ويدخل فيه الاجتناب عن الكبائر والمراد بالسيئات الصغائر (وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما).

قوله: ﴿الْإِشَارَةُ إِلَى مَجْمُوعِ الْأَمْرَيْنِ﴾ بتأويل ما ذكر أو مجموع الأمرين كما نبه عليه.

قوله: ﴿وَلِذَلِكَ جَعَلَهُ الْفَوْزَ الْعَظِيمَ لِأَنَّهُ جَامِعٌ لِلْمَصَالِحِ مِنْ دَفْعِ الْمَضَارِّ وَجَلْبِ الْمَنَافِعِ﴾ ولذلك أي لكونه إشارة إلى مجموع الأمرين جعله الفوز العظيم وقد يجعل دخول الجنة وحدها فوزاً عظيماً لاستلزامه تكثير السيئات فلا ينافيه ما ذكر هنا.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هَٰئِلِينَ فِيهَا وَيَشْنَ الْمَصِيرُ﴾

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التغابن: ١٠] غير الأسلوب للتفنن ولذا ذكر بآياتنا هنا بدل بالله هناك وقدم الأول لشرافته وفي بعض المواضع قدم الثاني لكثرتة كما في أول السورة حيث قال تعالى: ﴿فَمَنْكُمْ كَافِرٌ وَمَنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] وقيد أبدأ معتبر هنا أيضاً ولم يقل هنا يدخلهم النار للتنبيه على أنه تعالى يتولى إثابة المؤمن بما يليق ببلطفه وكرمه وأما عذاب الكفار فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم ولذا لم يجيء ومن يكفر بالله أو بآياتنا الخ إذ لو قال هكذا لقال يدخله النار ولغات التنبيه المذكور وهذا وجه آخر لتغيير الأسلوب غير التفنن.

قوله: ﴿كَانَها وَالآيَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ بَيَانٌ لِلتَّغَابِنِ وَتَفْصِيلٌ لَهُ﴾ بيان للتغابن لاشتغالها منازل

قوله: ﴿وَاللَّامِ فِيهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ التَّغَابِنَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ التَّغَابِنُ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ وَجِهَ دَلَالَةُ اللَّامِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى هُوَ إِفَادَتُهُ مَعْنَى الْجِنْسِ عَلَى مَتَوَالٍ هُوَ الرَّجُلُ كُلُّ الرَّجُلِ أَيْ هُوَ الْكَامِلُ فِي الرَّجُولِيَّةِ فَكَأَنَّهُ لِكَمَالِهِ فِي الرَّجُولِيَّةِ هُوَ الرَّجُلُ وَمِنْ سِوَاهُ بِمَعزِلٍ مِنَ الرَّجُولِيَّةِ وَكَذَا الْمَعْنَى هُنَا وَأَيْضاً لَوُقُوعِ يَوْمِ التَّغَابِنِ خَيْرٌ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ لِلْإِشَارَةِ إِلَى الْبَعِيدِ وَالْمَشَارِ إِلَى قَرِيبٍ مَدْخُلٍ فِي الْاسْتِعْظَامِ.

قوله: ﴿الْإِشَارَةُ إِلَى مَجْمُوعِ الْأَمْرَيْنِ وَهُمَا الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ الْمَدْلُولُ عَلَيْهِمَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾﴾ [التغابن: ٩].

قوله: ﴿كَانَها وَالآيَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ أَيْ كَانَ هَذِهِ الْآيَةُ وَهِيَ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾﴾ [التغابن: ١٠] وَالْآيَةُ السَّابِقَةُ وَهِيَ ﴿مَنْ يَعْمَلْ﴾ الْآيَةُ بَيَانٌ لِلتَّغَابِنِ.

السعداء ومقامات الأشقياء وإنما قال كأنها لأنه لا تعرض هنا لنزول السعداء منازل الأشقياء وبالعكس وتمام بيان التغابن إنما يتعرض ذلك لكن لما فهم من ذلك ضمناً قال بيان التغابن إشارة إلى ارتباطه بما قبله وقيل تأدياً على عادته في عدم الجزم بمراد الله تعالى قوله وتفصيل له أي كأنها تفصيل له وإن لم يصدر بحرف التفصيل .

قوله تعالى: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا يَأْتِيهِ أَقْوَمًا وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾

قوله: (إلا بتقديره وإرادته) أي الإذن يراد به هذا المعنى مجازاً ومن في «مصيبة» [التغابن: ١١] زائدة لاستغراق النفي .

قوله: (للثبات والاسترجاع عند حلولها) للثبات وهذا معنى هداية القلب أي للثبات على الصبر ولا يجزع قوله والاسترجاع عند حلولها أي المصيبة كاليان للثبات والاسترجاع قوله: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ [البقرة: ١٥٦] .

قوله: (وقرىء «يهد قلبه» [التغابن: ١١] بالرفع على إقامته مقام الفاعل وبالنصب أي على قراءة يهد بالمبني على المفعول .

قوله: (على طريقة سفة نفسه) يعني أنه تمييز بناء على أنه يجوز تعريف التمييز وقد مر توضيحه في سورة البقرة أو منصوب بنزع الخافض والتقدير يهد لقلبه أو إلى قلبه فيملك قلبه الذي هو كالمملك في الجسد فيصلحه فإذا صلح صلح الجسد وعن هذا أخص الهداية بالقلب ويفهم منه أن من لم يؤمن بالله إيماناً معتداً به يفسد قلبه فإذا فسد فسد سائر أعضائه فيجزع عند حلول المصيبة فيحرم من الأجر فيتضاعف مصيبته .

قوله: (ويهدأ بالهمز أي يسكن ويعظمثن) أي يسكن عند المصيبة ولا يضطرب بل يثبت طمعاً للأجر العظيم الذي يستحق لأجله تلك المصيبة النازلة .

قوله: (حتى القلوب وأحوالها) تنبيه على اتصاله بما قبله .

قوله تعالى: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾

قوله: («وأطيعوا الرسول» [التغابن: ١٢]) وعطفه على «أطيعوا الله» [التغابن: ١٢] مع أن إطاعة الرسول إطاعة الله لتغايره مفهوماً صرح به صاحب التوضيح في بحث الإجماع .
قوله: (أي فإن توليتم فلا بأس عليه) نبه به على أن الجزاء محذوف أقيم علته مقامه .

قوله: وبالنصب على طريقة سفة نفسه أي قرىء بنصب قلبه على تقدير قراءة يهد على البناء للمفعول على التمييز أي يهد من جهة قلبه كما أن معنى من سفة نفسه من جهة نفسه .

قوله: ولا تأمنوا غوائلهم جمع غائلة وهي الشر .

قوله: (إذ وظيفته التبليغ وقد بلغ) أي البلاغ اسم مصدر للتبليغ كالسلام بمعنى التسليم وقد بلغ مفهوم من الخارج.

قوله تعالى: **أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْإِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ أَلِفِهِ لَحْمٌ مِّمَّا فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ** ﴿١٣﴾

قوله: (وعلى الله فليتوكل المؤمنون فإن إيمانهم بأن الكل منه يقتضي ذلك) وعلى الله فليتوكل المؤمنون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص فلم يوجد توالي الحرفين كأن الواو للعطف والفاء للسببية إذ التوحيد سبب للتوكل ففي قوله لأن إيمانهم بأن الكل الخ إشارة إليه إذ التوحيد والإيمان واحد وأيضاً فيه تنبيه على أن من لا يتوكل ليس بمؤمن كامل ومن لا يتوكل أصلاً فليس بمؤمن قطعاً.

قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَزْنِجُوا فَيَافِكُمْ وَأُولَٰئِكَ عَدُوٌّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَلَا تَعْفُوا وَتَصَفَّحُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿١٤﴾

قوله: (يشغلكم عن طاعة الله تعالى) وهذا معنى العداوة وهي عداوة عظمى.
قوله: (أو يخاصمكم في أمر الدين أو الدنيا) فحينئذ يكون العداوة حقيقة وعلى الأول يكون مجازاً والمخاصمة في أمر الدنيا ظاهرة وأما في أمر الدين كالمنع عن الهجرة والتفقه في الدين كما نقل عن عون الأشجعي كان إذا أراد الغزو تعلق به أهله فيكون فرجع ونقل أيضاً أنهم منعوا عن الهجرة والتفقه في الدين وقيل إنه سبب النزول والحكم عام ونبه بمن التبعية على أن بعض الأزواج والأولاد ليس كذلك إذ امرأة صالحة نعمت العون في دين الله تعالى قال عليه السلام «ما استفاد المرء بعد تقوى الله خيراً من امرأة صالحة» وكذا الأولاد المطيعون يتصرفون في دينه ودنياه.

قوله: (فاحذروهم) الفاء لأن عداوتهم سبب للأمر بالحدز وللحدز وفي ضميرهم تغليب.
قوله: (ولا تأمنوا هؤلاءهم) بالغين المعجمة جمع غائلة وهو الضرر المترتب على عداوتهم فقوله ولا تأمنوا الخ بيان المراد من الحدز فالمعنى فاحذروهم ولا تطيعوا آراءهم غير ما ساعده الشرع ولذا ورد شاوروهن خالفوهن أي فيما لا يوافق الشرع.

قوله: (عن ذنوبهم بترك المعاينة بالأعراض وترك التثريب عليها) عن ذنوبهم المتعلقة بكم قوله بترك المعاينة حسبما ساعده الشرع قوله وترك التثريب التثريب التثريب الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه.

قوله: (بإخفائها وتهديد معذرتهم فيها) أي بإخفاء الذنوب والمص أشار إلى الفرق بين العفو والصفح والمغفرة وكلمة الشك بالنظر إلى ما في نفس الأمر.

قوله: (فإن الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم) فإن الله

الخ جواب الشرط فإنه في قوة فيعاملكم بمثل ما عملتم كما نبه عليه ومآله أنه علة الجزاء إن أقيم مقامه وكون المغفرة مثل ما عملوا بناء على أن مآل العفو والصفح والمغفرة واحد قوله: يعاملكم بمثل ما عملتم ويفضل عليكم معنى رحيماً أي يحسن إليكم مع الغفران.

قوله تعالى: **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴿١٥﴾

قوله: (اختبار لكم) أي امتحان لكم أو محنة من الله ليلوكم فيه فلا يحملكم جهم على الخيانة والجناية وترك الحدود حتى لا يخل بالمقصود أو فتنة لأنهم سبب الوقوع في الائم والعقاب كذا قاله في سورة الأنفال.

قوله: (لن أثر محبة الله وطاعته على محبة الأموال والأولاد والسعي لهم) هذا بقرينة ما قبله وأشار به إلى أن كونها فتنة إذا أثر محبتهم على طاعة الله تعالى قوله وطاعته بيان محبة الله تعالى وفيه مبالغة حيث صدر باسم الجلال وذكر عنده والتعبير بالأجر والوصف بالعظيم.

قوله تعالى: **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرَ أَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ فَإِنَّكُمْ لَهُمُ الْمَقْصُودُونَ** ﴿١٦﴾

قوله: ﴿فاتقوا الله﴾ [التغابن: ١٦] الفاء لجواب الشرط المحذوف أي إذا كان عنده أجر عظيم ﴿فاتقوا الله﴾ [التغابن: ١٦] الآية.

قوله: (أي ابدلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم) البذل في تقواه است فراغ الوسع في القيام بالموجب والاجتناب عن المحارم وهو المراد بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ [آل عمران: ١٠٢].

قوله: (مواظفه) أي اسمعوا بأذن واعية مقرون بالانعاظ والخشية الكاملة.

قوله: (أو أمره) ويدخل فيه الاجتناب عن نواهي.

قوله: (واتفقوا في وجوه الخير خالصاً لوجهه) تخصيص بعد التعميم اظهاراً لإضافته والمراد الاتفاق الواجب قوله في وجوه الخير العموم مستفاد من الاطلاق قوله خالصاً لوجهه إذ الشارع لا يأمر بالعبادات إلا بشرط الاخلاص.

قوله: (أي افعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر) أي افعلوا

قوله: وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر وهي تقوى الله وسماع المواظف والإطاعة والإنفاق في وجوه الخير المأمور بها بقوله: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا﴾ [التغابن: ١٦] فإن المقصود من هذه الأوامر الحث على فعل هذه الخيرات ثم قال بعد ذلك خيراً لأنفسكم أي افعلوا خيراً لأنفسكم تأكيداً للحث على الامتثال بها.

الخ أشار به إلى أنه مفعول به للفعل المقدر قوله وهو تأكيد للحث أي تأكيد له بحسب المعنى فلا ينافي العطف .

قوله : (ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف تقديره اتفاقاً خيراً) فحينئذ لا يكون تأكيداً له آخره لاحتياجه إلى تقدير الموصوف وأيضاً هذا لا يلائم قوله : أولاً في وجوه الخير الخ .

قوله : (أو خيراً لكان المقدر جواباً للأوامر) أي يكن ذلك خيراً الخ .

قوله : (سبق تفسيره) في سورة الحشر حيث قال حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الاتفاق قال تعالى : ﴿ وَأَحْضَرْتُ الْأَنْفُسَ الشَّحَّ ﴾ [النساء : ١٢٨] أي جعلها حاضرة له مطبوعة عليه ولذا اضيف الشح إلى النفس وفي إيراد ﴿ يوق ﴾ [التغابن : ١٦] بالمبني للمفعول تنبيه على أن الوقاية أي الحفظ أمر صعب يحتاج إلى وقاية الله تعالى فأولئك هم المفلحون أي الفائزون بالثناء العاجل والثواب الأجل وبهذا الاعتبار يكون الحصر حقيقياً وإن آيت عنه قلل إنه إضافي بالنسبة إلى الشحيح الخاسر .

قوله تعالى : **إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ** ﴿١٧﴾

قوله : (إن تقرضوا الله بصرف المال في أوامره) إن تقرضوا الله جملة مقرر لخيرية الاتفاق وعن هذا اختير الفصل ولذا قال المصنف بصرف المال فيما أو أمره ارتباطاً بما قبله مع أنه قال في البقرة وإقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه قرضاً أي إقراضاً مفعول مطلق بحذف الزوائد .

قوله : (مقروناً بإخلاص وطيب قلب) تفسير حسناً والمراد الحسن الشرعي وإن كان المعنى مقرضاً على أن المصدر بمعنى المفعول يكون معنى حسناً حلالاً طيباً .

قوله : (يجعل لكم بالواحد عشرة إلى سبعمائة وأكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم) قوله عشرة أو زائداً عليه إلى سبعمائة ولا بد من هذا التأويل في تعلق إلى إلى عشر ليحصل الفعل الممتد .

قوله : (بركة الاتفاق) لأن الحسنات يذهبن السيئات .

قوله : (يعطي الجزيل) معنى الشكور في حقه تعالى الإثابة^(١) وإعطاء الجزيل أي الكثير مستفاد من صيغة فعمل فيكون راجعاً إلى صفات الفعل .

قوله : أو خيراً لكان المقدر جواباً للأوامر والمعنى يكن خيراً لأنفسكم . تمت السورة حامداً لله ومصلياً على نبيه مستعيناً بك أشرع وأقول .

(١) وحقيقة الشكر صرف العبد جميع ما أئتم عليه إلى ما خلق له في العرف أو فعل هو يشهد عن تعظيم المنعم .

قوله: (بالقليل) أي بالعمل القليل إذ هو إذا كان كثيراً وأعطى الأجر الجزيل لا يوجد فيه التضعيف فلا جرم أن ما يعطى جزيل بالنسبة إلى العمل وإن كان العمل في نفسه كثيراً ولذا قيده بالقليل.

قوله: (لا يعاجل بالعقوبة) أي حين لم يمثل الأوامر لا يعاجل بالعقوبة وبهذا الاعتبار يظهر مناسبة حلیم بابتداء الكلام.



قوله تعالى: عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(لا يخفى عليه شيء).

قوله: (تام القدرة والعلم) تام القدرة معنى العزيز فهو راجع إلى الصفات الذاتية وقوله والعلم أي تام العلم معنى الحكيم قال في أوائل سورة البقرة وإن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم وهنا حمل الحكمة على العلم والتفصي عنه أن ما ذكره في البقرة فيما اجتماعاً فلا تغفل.

قوله: (عن النبي ﷺ من قرأ سورة التغاين دفع عنه موت الفجأة) موضوع لا أصل له الحمد لله على ما انعمنا من إتمام ما يتعلق سورة التغاين والصلاة والسلام على من بين التغاين وعلى آله وأصحابه الذين نصبوا أنفسهم على التعاون في السر والعلن تمت في يوم الخميس بين الصلوتين من الشوال الشريف في سنة ١١٩١.

سورة الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الطلاق وهي مدنية وآيها اثنا عشرة) مدنية لا خلاف فيها واختلف في آيها فقيل اثني عشرة واختاره المص وقيل إحدى عشرة في التيسير الاختلاف في قوله: ﴿يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] نقل عن الداني أنه قال في كتاب العدد الاختلاف في ثلاث آيات ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الطلاق: ٢] ﴿وَيَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] ﴿وَيَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الطلاق: ١٠] انتهى فحينئذ يكون هذا قولاً ثالثاً غير القولين المذكورين.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ مِنْ عَدَّتِھِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَتْحَةٍ مُبِينَةٍ وَلكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

قوله: (خص النداء وعم الخطاب بالحكم) خص النداء أي بالنبي عليه السلام وعم الخطاب إلى غيره عليه السلام أيضاً نيه به على أن إذا طلقتم ليس خطاب له عليه السلام فقط للتعظيم فإن الحكم عام والمراد بالحكم الحكم الشرعي وهو وجوب التطلق لعدهن وقد جوز كون المراد الحكم الشرطي والتصدير بإذا والماضي لتحقيق وقوعه في نوع بني آدم إذ الخطاب عام للمعدوم أيضاً إلى يوم القيامة تغلياً.

قوله: (فإنه إمام أمته فتدأه كنداتهم أو لأن الكلام معه والحكم بعمهم) فإنه إمام أمته الخ علة التخصيص علة مصححة فتدأه كنداتهم لأنه متبوع ومنزل منزلتهم فيدل الكلام على ندائه عليه السلام بالمطابقة وعلى نداء غيره بالالتزام فلا يلزم الجمع بين الحقيقة

سورة الطلاق

مدنية وآيها اثنا عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: على تنزيل المشارف له منزلة الشارع على طريقة قوله سبحانه: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] الآية والمعنى إذا أردتم القيام إلى الصلاة فاغسلوا وقوله: ﴿وَأَنْ

والمجاز ففي قوله: ﴿طَلَقْتُمْ﴾ [الطلاق: ١] تلوين الخطاب^(١) قوله بالحكم متعلق بالخطاب قوله أو لأن الكلام الخ علة مصححة أيضاً وفيه إظهار شرافته عليه السلام.

قوله: (والمعنى إذا أردتم تطبيقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه) فيكون مجازاً مرسلاً أولاً كما هو الظاهر من قوله على تنزيل المشارف الخ والقرينة عليه قوله: ﴿فَطَلَقُوهُنَّ﴾ [الطلاق: ١ الآية^(٢)] أو مجازاً بطريق ذكر المسبب وإرادة السبب^(٣) للقرينة المذكورة ولم يلتفت إلى ما قيل من أن تقديره يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم الخ لأنه مع أنه خلاف الظاهر وكثرة التقدير يفوت النكتة المذكورة وإظهار شرفه عليه السلام.

قوله: (أي وقتها وهو الطهر فإن اللام في الأزمان وما يشبهها للتوقيت) أي اللام للوقت كقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكَ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨] ونحو قوله لسع خلون أي مضين أشار إليه بقوله فإن اللام في الأزمان الخ يعني إذا لم يوجد صارف عنه فلا إشكال بنحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩] فإنها للتعليل كما مر بيانه من المصنف ولا عمامة على ما ذكره سابقاً ذكر هنا على إطلاقه وما قيل إنه يلزم من كون اللام للتأنيث في الأزمان تكرير الوقت فهو مدفوع بأن المراد بالتوقيت هنا كونها بمعنى في وهي تدخل على الظرف وما ضاهاه أو المراد بالوقت المستفاد من اللام مغاير للوقت المدخول عليها بالكلية والجزئية والاطلاق والتقييد.

قوله: (ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات) الحيض بكسر الحاء وفتح الياء جمع حيضة وهو مذهبنا الحنفية علق اللام أي لام لعدتهن بمحذوف دون طلقوهن وفي تعبيره ترجيح مذهبه على مذهب الشافعي وهو كون اللام متعلقة بطلقوهن على أن اللام للتوقيت وعندنا متعلق بمحذوف مثل مستقبلات بكسر الباء حال من ضميرهن واللام صلته لا بمعنى التأنيث بدلالة قراءة النبي عليه السلام من قبل عدتهن كقوله أنيته الليلة خلت من شهر كذا والمراد أن يطلقن في طهر لا جماع فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن ولا نزاع بيننا وبين الشافعي في كون الطلاق في طهر وإنما النزاع في العدة وجعل إمامنا العدة بالحيض فحينئذ لا مسأغ لحمل اللام على التأنيث وجعل الشافعي العدة بالطهر فاحتاج إلى جعل اللام للتأنيث لما عرفته من أن الطلاق السني ما كان في الطهر وتعمام البحث في فن الأصول وعندنا لما كان المعنى مستقبلات لعدتها يلزم كون الطلاق في الطهر فإن المرأة إذا طلقت في طهر يعقبه القرء الأول أي الحيض من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها وهي الحيض.

تعادوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [إبراهيم: ٣٤] أي إذا أردتم عد نعمة الله لا تحصوها وكقوله صلى الله تعالى عليه وسلم «من قتل قتيلاً قله عليه» أي من قتل المشارف إلى القتل.

(١) ولا ينافي تغليب المخاطب على الغائب فإن التلوين يطلق عليه أيضاً ثم إن فيه تليان فلا تغفل.

(٢) ولو لم يأول يلزم تحصيل الحاصل إذ الجزء متحد مع الشرط.

(٣) وبه عليه المصنف في قوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَقْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦] الآية.

قوله: (فظاهره يدل على أن العدة بالأطهار) هذا بناء على أن اللام للتأنيث وهو موقوف على أن المراد بالعدة الاطهار فيه نوع شائبة من الدور فتدبر ونحن نقول وظاهره أن العدة بالحيض إذ المعنى مستقبلات لعدتهن فما هو جوابكم فهو جوابنا.

قوله: (وأن طلاق المعتدة بالأقراء) وفيه تنبيه على أن المراد بالنساء ذوات الحيض لا مطلق النساء فإن الصغيرة والأيسة والحامل لا يحتمل أن يكون طلاقهن في حال الحيض وهو المنهي هنا بطريق اللزوم فلا جرم أن المراد هنا النساء ذوات الحيض وعدتها بالإقراء.

قوله: (ينبغي أن يكون في الطهر وأنه يحرم في الحيض) هذا من قبيل الاكتفاء بالأدنى وإلا فمقتضى قوله وأنه يحرم في الحيض أن يقال يجب كما صرح به المحشي لكن قيل عليه إن إيقاع الطلاق في الطهر لم يقل أحد بوجوبه انتهى مع أن قول المصنف إذ الأمر بالشئ الخ يقتضي كون الأمر للوجوب فإن أراد أن نفس إيقاع الطلاق ليس بواجب فلا كلام فيه وإن أراد أن إيقاع الطلاق بعد إرادة إيقاعه ليس بواجب في الطهر فهو خلاف ما صرح به المصنف إذ حرمة ضد المأمور به إنما هو بوجوب المأمور به وحرمة ضده بدون وجوبه لم يقل به أحد.

قوله: (إذ الأمر بالشئ يستلزم التنيه عن ضده) قال صاحب التوضيح هذا ليس على إطلاقه بل إذا كان الضد مفوتاً للمقصود وبالأمر وما نحن فيه كذلك إذ الطلاق في الحيض يفوت الطلاق في الطهر فيكون حراماً لكونه في الطهر واجباً.

قوله: (ولا يدل على عدم وقوعه) عطف على قوله يستلزم لقرينه وفيه ما فيه أو عطف على يدل في قوله وظاهره يدل الخ أي ولا يدل ظاهره على عدم وقوع الطلاق في الحيض فضمير لا يدل راجع إلى ظاهره وضمير عدم وقوعه للطلاق في الحيض وهذا هو الصواب وأما الأول فغير صحيح إذ ضميره يستلزم راجع إلى الأمر بالشئ مطلقاً فإن عطف لا يدل على يستلزم يكون المعنى ولا يدل الأمر بالشئ مطلقاً على عدم وقوع الضد وفساده ظاهر إذ الأمر بالشئ كثيراً ما يدل على عدم وقوع الضد شرعاً وهو المراد هنا مثلاً الأمر بالصلاة

قوله: فظاهره يدل على أن العدة بالإطهار وإن طلاق المعتدة بالأقراء ينبغي أن يكون في الطهر وأنه يحرم في الحيض هذه المعاني الثلاثة مستفادة من وقوع لعدتهن قيد للتطبيق بتقدير وقت مضاف إلى العدة حيث وقع ظرفاً له فيدل على أن عدة الطلاق بالأطهار لأن الله تعالى أمر بالتطبيق المقيّد بوقت العدة الذي هو وقت الطهر لأن وقت الحيض ليس محلاً للتطبيق وإذا كان وقت العدة وقت الطهر يلزم أن يكون العدة بالأطهار لا بالحيض وكذا يدل على أن طلاق المعتدة بالإقراء ينبغي أن يكون في الطهر هو ظاهر وأما وجه دلالة على حرمة التطبيق في الحيض فقد ذكره رحمه الله في الكتاب على أصل الشافعي.

قوله: (ولا يدل على عدم وقوعه أي لا يدل النهي عن التطبيق حالة الحيض على عدم وقوع الطلاق بالتطبيق الواقع حالة الحيض إذ النهي عن التطبيق لا يستلزم فساد الطلاق بل وقع الطلاق بالتطبيق المنهي عنه.

بالوضوء وستر العورة وغيرهما من الشروط والأركان يستلزم النهي عن ضده ويدل على عدم وقوعه شرعاً.

قوله: (إذ النهي لا يستلزم الفساد) أي النهي المعمود وهو النهي عن الطلاق في الحيض لا يستلزم الفساد فاللام للعهد لا للجنس قال المص في منهاج الأصول النهي شرعاً يدل على الفساد في العبادات وفي المعاملات إذا رجع إلى نفس العقد أو إلى أمر داخل فيه أو لازم له فإن رجع إلى أمر مقارن له كالبيع وقت النداء فلا انتهى ملخصاً كذا قيل ولاعتماده على هذا البيان أجمل في البيان هنا وما نحن فيه النهي لأمر مقارن وهو زمان الحيض كزمان النداء في نهي البيع قيل هذا عند الشافعية وفي هذه المسألة خلاف لهم أيضاً وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى النهي مطلقاً لا يفيد الفساد كما فصل في جمع الجوامع وشروحه انتهى والبحث مستوف في فن الأصول وذكره مجملأً بشوش خواطر الفحول وكيف يصح ما ذكره من أن النهي مطلقاً لا يفيد الفساد مع أن الصلاة بكشف العورة وفي المكان النجس مثلاً فاسدة ونظائره كثيرة فكلام جمع الجوامع مأول فتأمل.

قوله: (كيف وقد صح أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لما طلق امرأته حائضاً أمره عليه السلام بالرجعة) هذا دليل آني على المطلوب وما ذكر أولاً دليل لمي ووقوع طلاق ابن عمر في الحيض لما ذكر من الدليل اللمي.

قوله: (وهو سبب نزوله) أي ما ذكر من تطليق ابن عمر سبب نزول هذه الآية واختاره المصنف لدليل لاح له وذكر الأقاويل في سبب نزوله ومن جعلتها أنه قيل السبب تطليق النبي عليه السلام حفصة رضي الله تعالى عنها ولم يلتفت إليه لكمال ضعفه ونقل عن القرطبي أنه نقل عن علماء الحديث أن الأصح أنها نزلت ابتداء لبيان حكم شرعي وكل ما ذكر من أسباب النزول لها لم يصح ولم يلتفت إليه أيضاً إذ الحكم بعدم الصحة إن كان بطريق الجزم فغير مسلم وإن كان بطريق الظن فغير مضر إذ ما روي في أسباب النزول ظني.

قوله: (واضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء) أصل الاحصاء العد بالحصاء كما كان معتاداً في الأصل قديماً ثم صار بالغلبة حقيقة عرفية في مطلق الضبط سواء كان بالحصاء أو لا قوله وأكملوها ثلاثة أقراء بيان فائدة الضبط وكونها ثلاثة قروء إذا كانت المطلقة حرة وإذا كانت أمة منكوحة فقرآن.

قوله: (في تطويل العدة والإضرار بهن) بيان لحكمة كون الطلاق في الطهور على مذهب المصنف وعندنا تطويل العدة بأن يراجع يطول العدة كقوله تعالى: ﴿ولا

قوله: وفي الجمع بين التبيين دلالة على استحقاتها السكنى وجه الدلالة أن في الجمع بينهما استيعاب أقسام العناية بعدم الخروج وفي المطلع وإنما جمع في النهي بين الإخراج والخروج إيذاناً بأن لا أثر لإذن الأزواج في إباحة خروجهن لأنه حق الشرع فلا يسقط بإسقاط العبد.

تمسكوهن ضرراً لاتعتدوا﴾ [البقرة: ٢٣١] الآية وهذا على مذهب الشافعي أيضاً كما أن الأول منتظم على مذهبنا أيضاً لأن الحيض الذي وقع الطلاق فيه لا يحتسب من العدة فيطول العدة وذكر اسم الرب هنا والإضافة إلى الرجال لمزيد الترغيب على التقوى في شأن تطويل العدة.

قوله: (من مساكتهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن) أشار إلى أن الإضافة لأدنى ملابسة فالإضافة ليست لكونها ملكاً لها بل للسكنى المخصوصة فلو كانت ملكاً لهن فلا يقدر الرجال إخراجهن فلا يكون فائدة في النهي قوله حتى تنقضي عدتهن هذا القيد منفي مما قبله.

قوله: (باستبادهن) فيه به على أن المراد ليس بمطاع الإخراج بل الخروج بأنفسهن بدون إخراج.

قوله: (أما لو اتفقا على الانتقال جاز إذ الحق لا يعدوهما) هذا مذهب الشافعي وعند أئمتنا الحنفية لا يجوز كما قاله الفاضل السعدي.

قوله: (وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله: ﴿إلا أن يأتين﴾ [الطلاق: ١] الآية مستثنى من الأول) على استحقاقها السكنى هذا مفهوم من قوله تعالى: ﴿ولا تخرجوهن﴾ [الطلاق: ١] قوله ولزومها بالجر معطوف على الاستحقاق مصدر مضاف إلى مفعوله وفاعله ملازمة مسكن الفراق ناظر إلى ولا يخرجن ولو اكتفى بأحدهما لاختل المقصود وتقديم الأول لأنه أهم لأن الطلاق الناشئ من الغضب في الأغلب يستدعي إخراجهن.

قوله: ﴿إلا أن تبذوا على الزوج فإنه كالنشوز في إسقاط حقها أو إلا أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها﴾ إلا أن تبذوا على الزوج أي المرأة وفي نسخة إلا أن تبذون أي النسوة وهذا هو الموافق لما قبله في الجمعية وتبذوا من البذاء بالياء الموحدة والذال المعجمة الكلام القبيح كالنشم فحينئذ يصح إخراجهن لسقوط حقهن بالكلام القبيح قوله أو إلا أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها إما بالرجم إن كانت محصنة أو بالجلد إن لم تكن محصنة وبعد الحد هل ترد إلى منزل الفراق أو لا ولم يبين فليطلب من محله والفاحشة في عرف الشرع شائع في الزنا فلو قدم لكان أولى بالاستثناء من عموم الأوقات.

قوله: مستثنى من الأول والمعنى إلا أن يبذون على الزوج فالمعنى ولا تخرجوهن في وقت من الأوقات إلا وقت أن يبذون أي يفحش على الزوج ويؤيده قراءة أبي إلا أن يفحش عليكم قيل الاستثناء عند الجمهور من الجملة الأولى وقيل هو منقطع أي إلا أن يفحش فيخرجن أي من خرجت أنت بفاحشة فعلى هذا يحتمل أن يكون الاستثناء من الجملة الثانية ويحتمل أن يكون متصلاً روي عن صاحب الكشاف أنه قال أي لا يطلق لهن في الخروج إلا في الخروج الذي هو فاحشة وقد علمنا مما ذكر في المطلع أنه لا يطلق لهن في الخروج وإن أذن لهن الأرواح في الخروج لأن حق الشرع لا يسقط بإسقاط العبد.

قوله: (أو من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على أن خروجها فاحشة) والمعنى ولا يخرج من حال من الأحوال إلا حال اثباتهن بفاحشة لعدم امتثال النهي وجه المبالغة في النهي هو أن الاستثناء منه يدل على أنه ليس بمنهي عنه فإذا أريد بالفاحشة الخروج نفسه يكون أبليغ في النهي لإشعاره بعدم ارتداعه بالنهي فهو مستحق لما هو أشد منه وهذا مثل:

لا عيب فيهم غير أن سيوفهم

الخ كأنه قيل ولا يحسن خروجهن إلا أن يأتين الفاحشة فالفاحشة إن كانت حسنة يكون خروجها حسناً وهذا تعليق بالمحال فيكون مبالغة في النهي وإلى هذا أشار بقوله والدلالة على أن خروجها فاحشة.

قوله: (الإشارة إلى الأحكام المذكورة) من التطليق في الطهر وضبط العدة وعدم الإضرار بهن وحرمة الإخراج والخروج.

قوله: (حدود الله) الحد في اللغة المنع وفي الشرع ما منع الناس عن مخالفتها ومن يتعد حدود الله أظهرها لأن هذه الحدود غير المذكورة أولاً لكونها عامة لها ولغيرها فتندرج في تحتها اندراجاً أولاً.

قوله: (بأن عرضها للعقاب) أي في الآخرة ولم يتعرض الضرر الدنيوي لأنه في جنب العقاب الأخروي كلا ضرر ومراده تعميم الضرر إليهما لكن تعرض الضرر الأخروي لكونه أقوى في نفسه.

قوله: (لا تدري أي النفس أو أنت أيها النبي أو المطلق) لا تدري الآية جملة مستأنفة لتعليل مضمون الشرط وقد صرح به المصنف وغيره بأن الأمر الذي يحدثه الله تعالى أن يقلبه الله تعالى عما فعله المتعدي إلى خلافه تبه عليه بقوله إجمالاً وهو الرغبة في المطلقة الخ فلا بد أن يعم الضرر إلى الضرر الدنيوي ولا ينكره المص بل أشار إليه بقوله وهو الرغبة الخ وعدم تعرضه صريحاً لما قلنا وتخصيص التعليل بالضرر الدنيوي لكون احتراز الناس منه أشد والاهتمام بدفعه أقوى على ما قيل أو لكون الضرر الأخروي معلوماً من التعبير بالظالمين أنفسهم فلا إشكال في كلام المص أصلاً.

قوله: (وهو الرغبة في المطلقة برجمة أو استئناف) برجمة متعلق بالرغبة هذا قبل انقضاء العدة أو باستئناف إن كان الرغبة بعد انقضائها إذ بعد انقضاء العدة يكون المطلقة باينة وإن كان الطلاق رجعياً فلا يقتضي التناول المطلقة البائية حتى يقال إن ما بعده يدل على أن الكلام في المطلقة الرجعية وقبل أو استئناف لعقد النكاح إذا لم تكن رجعية فهو

قوله: أو من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على أن خروجها فاحشة وجه المبالغة هو هذه الدلالة فكان عطف للدلالة على المبالغة عطف تفسير فإنه يكون المعنى على ما ذكر إلا أن يفحش فيخرجن أي من خرجت منهن كانت أنت بفاحشة فيفيد أن خروجهن عين فاحشة وهذا هو معنى المبالغة وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه فإنه يحل إخراجهن حينئذٍ لأنه فاحشة.

شامل للباينة وقوله: فراجعوهن لا ينافي عموم صدره لأنه من ذكر الخاص بعد العام انتهى وقد صرح الفقهاء أن لفظ الطلاق صريح في الطلاق الرجعي والمبتدأ من النظم الكريم ما يقع بلفظ الطلاق فلا يتناول البينة فالظاهر ما قررناه والكلام وإن كان قبل انقضاء العدة بدلالة ما بعده لكن جعل الصدر عاماً لما بعد انقضائها فيقال إنه من ذكر الخاص بعد العام كما مر وهذا أوفق بلفظ الطلاق وأشار المصنف إلى أن لا تدري إما غائب مؤنث وضميره للنفس المتفهمة من سوق الكلام أو مخاطب إما خطاب للنبي عليه السلام وهو الأوفق لقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [المتنحة: ١٢] لكن بملاحظة كونه مطلقاً وخطاب غيره معلوم التزاماً أو خطاب للمطلق مراداً به الجنس فيوافق ما قبله من صيغ الجمع وهذا الاحتمال هو الراجح المعول مع ملاحظة المتعدي فالمعنى لا تدري أيها المطلق المتعدي فلا يناسب خطاب النبي به وصيغة الترخي بالنسبة إلى المخاطب.

قوله تعالى: فَإِذَا بَلَغَ أَحْلَاهُنَّ فَأْتِيكُنَّ مَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ مَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ بَيْنَكُمْ وَآيُمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ بَقِيَ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١٣﴾

قوله: (شارفنا آخر عدتهن) أي بلغن مجاز أولى والقرينة ما بعده إذ الإمساك بالمعروف لا يكون بعد بلوغ الأجل آخره.

قوله: (فراجعوهن) الأمر للندب وكذا فارقوهن بقرينة أو لأنه للتخيير قدم الأول للترغيب والتحريض عليه والإمساك ليس مشروطاً ببلوغ الأجل بل يجوز كونه عقب الطلاق لكنه مع التخيير بين الإمساك والمفارقة مشروط بذلك البلوغ (بحسن عشرة وانفاق مناسب).

قوله: (بإيفاء الحق وانتقاء الضرار مثل أن يراجعها ثم يطلقها تطويلاً لعدتها) وانتقاء الضرار بيان لإيفاء الحق ومن جملة الإيفاء إعطاء المهر كاملاً.

قوله: (على الرجعة أو الفرقة) اختار أو لأن الواقع أحد الأمرين وإن كان الإشهاد على كلاهما وبالنظر إلى ذلك قال المحشي الأولى والفرقة بالواو كما في التعليل وحمل أو على منع الخلو فقط بالنظر إلى الأشهاد بالنظر إلى الواقع.

قوله: (تبرياً من الرية وقطعاً للتنازع) تبرياً الخ ناظر إلى الإشهاد على الرجعة قوله وقطعاً للتنازع هذا بالنسبة إلى الأشهاد على الفرقة فالأولى كونهما تعليلاً لهما فإن المرأة قد تنكر الرجعة أو يموت أحدهما بعد الفرقة فتدعي ثبوت الزوجية للإرث ونحوه ويؤيده العطف بالواو.

قوله: (وهو ندب) لأنه للترفيه بنا ولو وجب لكان علينا لا لنا كقوله تعالى: ﴿فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢] الخ وما ذكر من النكته في الأشهاد نفع لنا.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]) قال هناك وهذا

للاستحياب عند الأئمة وقيل بوجوبها ثم اختلف في أحكامها ونسخها ولم يلتفت إلى الاختلاف هنا إذ المختار عنده كونه للندب.

قوله: (وعن الشافعي وجوبه في الرجعة) هو قوله القديم أي قوله في البغداد والأول قوله الجديد وهو قوله في المضر المفتى به عندهم.

قوله: (أيها الشهود عند الحاجة خالصاً لوجهه) ففيه تلويح الخطاب لظهور القرينة وهذا أبلغ من قوله ولا ياب الشهود إذا ما دعوا لأن الإقامة تشعر بالاداء على الوجه الصواب بلا ارتياب قوله لله يقرره قوله عند الحاجة إشارة إلى قوله إذا ما دعوا قوله خالصاً لوجهه لا لغرض حطام الدنيا وإن ترتب عليه بلا طلب لا بأس به قيل فيه دليل على بطلان قول من قال إذا تعاطف أمران لمأمورين يلزم ذكر النداء أو يقبح تركه نحو اضرب يا زيد وقم يا عمرو انتهى قال المص في قوله تعالى: ﴿ويشر الذين آمنوا﴾ [البقرة: ٢٥] الآية من سورة البقرة عطف على ﴿فأتقوا النار﴾ [البقرة: ٢٤] الخ يتأويل فأنذرهم مراعاة للقاعدة المشهورة وكذا ذهب صاحب الكشاف إلى ذلك فالأولى أن يقال هنا لأمر فأقيموا الشهادة وإن كان خطأ بالشهود كما صرح به المصنف لكنه أمر بالمطلقين مآلاً أي واستشهدوا أو ادعوا الشهود بإقامة الشهادة إذ الكلام معهم ومحافظة القاعدة بالتأويل أولى وأصوب من الرد والتخطئة كما نبه عليه الشيخان والله المستعان (يريد الحث على الإشهاد والإقامة أو على جميع ما في الآية).

قوله: (فإنه المتنتفع به والمقصود تذكيره) بيان وجه التخصيص به وتخصيص الإيمان بالله واليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الأعظم قوله والمقصود تذكيره والانتفاع بالتذكير مختص به وإلا فالوعظ عام.

قوله تعالى: وَزَيَّنَّا لَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ فَدَجَّلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَفَعْدًا ﴿٢٦﴾

قوله: (جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الانتفاء عما نهى عنه) اعتراضية أي بين المتعاطفين ونكتة الاعتراض ما ذكره بقوله مؤكدة لما سبق الخ.

قوله: (صريحاً أو ضمناً من الطلاق في الحيض والإضرار بالمعتدة وإخراجها من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة) صريحاً وهو الإخراج والخروج ولظهوره لم

قوله: من الطلاق في الحيض بيان لما نهى عنه ضمناً والنهي الضمني مستفاد من تنقييد التطبيق بقيد لعدتهن في قوله: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ على ما ذكره رحمه الله أنه يدل على أن الطلاق يحرم في الحيض بناء على أن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده قوله: ﴿يجعل الله له مخرجاً﴾ [الطلاق: ٢] متعلق بالوعد في قوله بالوعد على الانتفاء وقوله أو بالوعد عطف على الوعد على الانتفاء وقوله أو كلام جيء به عطف على جملة اعتراضية يعني أو هو كلام جيء به على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله: ﴿ذلكم يوعظ به﴾ [الطلاق: ٢] يعني لما أمر المؤمنين بأمر

يتعرض له هنا قوله من الطلاق في الحيض هو المثل لما نهي ضمناً وكذا الإضرار بالمعتدة هو المنهي ضمناً فالمعنى حيثئذ ومن يتق الله فطلق للسنة وهو التطليق في الطهر الذي لم يجامعهن فيه ثم يخلين حتى تنفضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق وسنته وأبعد من التدم قوله وتعدى حدود الله من عطف العام على الخاص.

قوله: (وتوقع جعل على إقامتها) بضم الجيم أي أجرة على الشهادة.

قوله: (بأن يجعل الله له مخرجاً مما في شأن الأزواج من المضائق والعموم ويرزقه فرجاً وخلفاً من وجه لم يخطر بباله) بأن يجعل الله متعلق بالوعد وفي كلامه إشارة إلى أن الحكم في الجزاء والشرط قيد له كما هو مسلك صاحب المفتاح قوله من وجه أي من جهة أخرى لم يخطر بباله هذا مستفاد من السوق يفهم من ظاهر الكلام^(١).

قوله: (أو بالوعد لعامة المتقين بالخلاص من مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون أو كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين) أو بالوعد عطف على

تتعلق بالنساء بالمجاملة معهن في الفراق والطلاق والإمساك وأتى باسم الإشارة فذلك وإن المذكور تذكير من الله عز وجل وموعظة للمتقين من المؤمنين أتى بكلام جامع منوط به أمور الدين ظاهرة وباطنة وفائدة الإشارة أن أمور النساء من عظام الشؤون في الدين لا سيما المفارقة بعد العلقلة الثامة فيجب على المتقي أن يكون على حذر من جانبهن وأن لا يقصر في المجاملة معهن ولكون هذه الآية من الكلام الجامع قال صلى الله تعالى عليه وسلم إني لأعلم آية الحديث بشماه مروي عن الإمام أحمد بن حنبل عن أبي ذر ورواه ابن ماجه والدارمي عنه وليس فيه لما زال يقرؤها ويعيدها ولكون أمور النساء من جلائل الخطب وعظام الشؤون كرر الأمر بالتقوى في هذه السورة الكريمة في عدة مواضع وختمها بوعيد شديد وتهديد عظيم حيث قال: ﴿فكأن من قرية عتت﴾ [الطلاق: ٨] ثم قال: ﴿فأتقوا الله يا أولي الأبواب﴾ مقررًا لذلك المعنى وعقب بقوله: قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً الخ امتناناً لمزيد التوصية قال الراغب إنما اقترن بالطلاق والعدة هذا الطلاق لأن الطلاق رفض حال متمهدة والعدة باستيفائها يخلص النسب ويصح للزوج الثاني الولد ولو لم يكن هذا الحد الذي حده الله تعالى لكان الفساد متصلاً إلى انقضاء الدنيا فهو أمر الاحتياط بالمراعاة وتأكيد المقال فيه والوصاية وذكر يعد الطلاق: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢، ٣] أي من تمسك بتقوى الله فيما يحل ويعقد ويصدر ويورد فإن الله يكتفيه في شدته فرجاً ويجعل له مما يكره مخرجاً ويمتنع له محبوه من حيث لا يقدروا ويوجهه رزقه من حيث لا يحتسب وفي ضمنه إذ أطلق لكراهة أحد القرينين لصاحبه وقارن ذلك تقوى الله فإن الله تعالى يهب له القرينة الصالحة ولها القربى الصالح من حيث لا يبلغه تقديره وهذا وعد منه في الدنيا ويصح له مثله في الآخرة لأنه يجعل للمتقين منجى من عذابه وإمنا من مخالفة فيخرجهم من الغم إلى السرور ومن الفزع إلى الأمن ويعملهم من كرامته ونعمته ما يكتفون به ولا يحتاجون معه إلى غيره.

(١) وهو قوله: ﴿من حيث لا يحتسب﴾.

قوله بالوعد على الانتفاء ولذا أعاد الباء الجارة قوله لعامة المتقين فيدخل المتقين عما نهى عنه صريحاً أو ضمناً دخولاً أولياً وبذلك يتصل بما قبله وإنما قدم الأول لظهور ارتباطه بما قبله قوله بالخلاص عن مضار الدارين فيدخل الخلاص عن المضائق في شأن الأزواج الخ وبالجمله الاحتمال الثاني هو المرجح لتكثير الفائدة والأول^(١) وهو الظاهر بالنسبة إلى وضوح الارتباط لكون المراد المضائق المتعلقة بالزوجية والثاني عام لها ولغيرها ولم يتعرض في الأول النجاة عن المضار في الآخرة اكتفاء بما سبق له الكلام ولا ريب في كونه مراداً أو كلام جيء به الخ أي ليس بوعد لا خاص ولا عام كما هو الظاهر من المقابلة إذ الأول والثاني لتقرير الحكم السابق إما بخصوصه أو في ضمن العام وهنا لا يلاحظ ذلك وإن لزم بل لما ذكر المؤمنون استطرد ذكر بعض أحوالهم وأنه تعالى يرزقهم من حيث لا يحتسبون وأنهم على السعة يعيشون فيندرج فيه المطلوقون المتقون عما نهى عنه الخ فيحصل الاتصال بما قبله أيضاً والظاهر من كلام الكشاف أنه على هذا ليس بمعترض لكن صرح البعض بأنه معترض أيضاً خلافاً لمن توهم خلافه كان المتوهم نظر إلى كلام المصنف حيث قال أولاً جملة اعتراضية ثم قال أو كلام جيء به الخ فقابله لكونها جملة معترضة فإنها ما اعترضت بين شيئين لافادة الكلام تقوية وأنت خيرر بأنه يفيد تقوية الحكم السابق بسبب الاندراج تحته وإن لم يكن مقصوداً إلا أن يقال إن القصد شرط في الاعتراض.

قوله: (وعنه عليه السلام «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفنتهم»: «ومن يتق الله» [الطلاق: ٥] الآية فما زال يقرؤها ويعيدها) وعنه عليه السلام الخ مؤيد للقولين الأخيرين ولأن المراد العموم لا الخصوص وقد قرر في الأصول أن خصوص السبب لا ينافي عموم الحكم وكذا هنا أن الخصوص لاتساق النظم وللارتباط صريحاً لا ينافي عموم الحكم إذ علة الحكم وهي الانتفاء تقتضي العموم ولو إشارة أو دلالة فلا تأييد مع أن الحديث قال بعضهم إنه موضوع فلا تأييد وقول بعضهم إنه ضعيف فيضعف التأييد.

قوله: (وروي أن سالم بن عوف بن مالك الأشجعي أسره العدو فشكا أبوه إلى رسول الله ﷺ فقال اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها وفي رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع) وروي أن سالم الخ وهذا تأييد للقولين الأخيرين أيضاً وقد عرفت ما فيه وأيضاً قوله عليه السلام وأكثر قول لا حول الخ يوهن التأييد قوله فشكا أبوه الخ لأنهم كلّفوه بما لا يطيقه من الفداء كما قيل لكن لا حاجة إليه وإن صرح به في الرواية الأخرى قوله غفل الخ وفي نسخة تغفل فيكون متعدياً من تغفلت الرجل عن كذا إذا أخذته على غفلة منه ولا يناسب هذا المعنى هنا (كافيه).

(١) ومال المصنف إلى الأول وعادته كذلك.

قوله: (يبلغ ما يريد ولا يفوته مراد) أي الأمر بمعنى الشيء مفرد الأمور وهو مراده قصيصة المضارع للاستمرار قوله ولا يفوته مراد بيان ما هو المراد من بلوغ أمره وظاهره ليس بمراد إذ البلوغ إلى الشيء من خواص الأجسام ويكون بالحركة أيضاً فالمراد لازمه.

قوله: (وقرأ حفص بالإضافة وقرئ بالغ أمره أي نافذ أمره) بالغ أمره برفع أمره على سياق صفة جرت على غير ما هي له أي نافذ وهو مجاز أيضاً فهو لازم وفي الأول متعدد بالحذف والايصال أي بالغ إلى أمره كقوله تعالى: ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس﴾ [الكهف: ٨٦] الآية.

قوله: (وبالغا أمره على أنه حال) أمره مفعول على الحال من الفاعل في ﴿قد جعل الله﴾ [الطلاق: ١] أو من اسم أن على من جوز كون الحال من المبتدأ أو باعتبار كونه فاعلاً في ﴿قد جعل الله﴾ [الطلاق: ١].

قوله: (والخير) ﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ [الطلاق: ٣] تقدير أو مقدراً وأجلاً لا يتأني تغييره) تقدير أي قدراً بمعنى تقدير أو قدراً وهو الظاهر أو قدراً بمعنى مقدراً أي مقدراً بقاءه وأجلاً أي مدة بقاءه أو آخر وجوده قوله لا يتأني أي لا يمكن تغييره قيد للمجموع أو للأخير فقط.

قوله: (وهو بيان لجوب التوكل) لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق وغيره لا يكون إلا بتقدير الله تعالى لا يبقى إلا التسليم للقدر والتوكل عليه تعالى كما في الكشف كأنه اختار كونه بمعنى التقدير كما يشعر به تقديمه ويحتمل أن يكون الوجوب مستفاداً بطريق إشارة النص ويحتمل أن الأمر بالتوكل مطوياً قبل قوله: ﴿ومن يتوكل على الله﴾ [الطلاق: ٣] أي فتوكلوا على الله ﴿ومن يتوكل على الله﴾ [الطلاق: ٣] الآية وبقيده وهو بيان وجوب التوكل ولم يقل وهو يفيد وجوب التوكل.

قوله: (وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان العدة والأمر بإحصائها وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها) وتقرير لما تقدم ناظر إلى أن كون قدراً بمعنى مقدراً وأجلاً قالوا في قوله وتقرير بمعنى أو فإنه تعالى لما جعل لكل شيء مقدراً وأجلاً كان الطلاق كذلك لأنه من جملة الأشياء الشرعية فيكون له مقدار كونه واحداً واثنين وثلاثاً ولعدته زمان فلزم إحصاءه وضبطه.

قوله تعالى: وَاللّٰهُ يَخۡبُرُ مِنَ الْمَرۡجِيِّۢمِۙ اِنْ اَرۡبَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُۥنَّ ثَلَاثَةَ اَشۡهُرٍ وَاللّٰهُ لَرَبِّۙحۡضٍ وَالۡاَۡمَآلِۙ اَۡجَلُهُۥنَّ اَنْ يَّضَعَنَّ حَمَلُهُۥنَّ وَۡمَنۡ يَّبۡقِۙ اَللّٰهُ يَجۡعَلُ لَكُمۡ مِنْ اَمۡرِهِۦۙ شَرًّا ﴿١٠﴾
قوله: (الكبرهن) وقد قدروه بستين سنة أو بخمسة وخمسين.

قوله: (يبلغ ما يريد قال الراغب يبلغ مراده في الوقت الذي قدره وإذا كان قد جعل لكل شيء حيناً يقع عنده لا يتعجل قبله ولا يتباطأ بعده).
قوله: وقرئ بالغ أمره برفع أمره أي نافذ وهو تفسير باللازم.

قوله: ﴿شَكَكْتُمْ فِي عِدَّتِهِنَّ أَيَّ جَهْلْتُمْ﴾ وفي الكشف ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ [الطلاق: ٤] إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتدين وهذا حكمهن أو المعنى إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدره بـستين سنة أو بخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة فعِدَّتِهِنَّ ثلاثة أشهر وهذا هو الظاهر فإن الأول قليل الجدوى إذ كل أحكام شأنها قبل النزول كذلك فتخصيص الارتياح بهذا المعنى بالآيسة لا يظهر له وجه فإذا كان حكم المرتاب كذلك فحكم غير المرتاب كذلك بطريق الأولوية والارتياح بالمعنى الأول عام ولذا لم يتعرض المصنف لغير المرتابة لأنها غير موجودة بهذا المعنى والمصنف اختار هذا المعنى لأنه موافق لسبب النزول حيث قيل فما عدة اللائي الخ فيندفع الإشكال المذكور في الجملة والظاهر حيث أن أن بمعنى إذا وأما الثاني فعلى بابهِ وصيغة التشكيك بالنسبة إلى ما في نفس الأمر واللائي لم يحضن بعد أي الصغيرة كذلك^(١) وفي هذا الأسلوب تنبيه على أن عدة الآيسة كذلك وعدة الصغيرة تغير بعد البلوغ واللائي يثنى مبتدأ خبره جملة ﴿فَعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ٤] و﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ [الطلاق: ٤] جوابه محذوف تقديره فاعلموا أنها ثلاثة أشهر والشرط وجوابه المقدر جملة معترضة كذا قيل وفيه تكرار واعتبار كونها ثلاثة أشهر قبل ذكرها ولو قيل ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ [الطلاق: ٤] شرط جوابه فعِدَّتِهِنَّ ثلاثة أشهر والجملة خبر للمبتدأ لسلم من الحذف وشأبة التكرار والارتياح وإن لم يكن سبباً للجزء لكنه سبب للإخبار عنه كقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَعِنَّا اللَّهُ﴾ [النحل: ٥٣] (روي أنه لما نزلت: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قيل فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت: ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] أي واللائي لم يحضن بعد كذلك منتهى عدتهن).

قوله: (وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن والمحافظة على عمومه أولى من محافظة عموم قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ يَذَرُونِ أَزْوَاجاً﴾ [البقرة: ٢٤٠] لأن عموم أولات الأحمال بالذات وعموم أزواجهن بالعرض) وهو حكم الخ فنسخ به قوله

قوله: أي ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] بعد كذلك أي والمطلقات اللائي لم يحضن بعد من الصغائر كذلك أي فعِدَّتِهِنَّ ثلاثة أشهر حذف الخبر لدلالة خبر واللائي يثنى من المحيض عليه.

قوله: لأن عموم أولات الأحمال بالذات وعموم أزواجهن لعرض أي عموم أولات الأحمال بوصف ذاتي وهو صفة الحمل وعموم أزواجهن بوصف عرضي وهو صفة الزوجية فإن الزوجية إضافة تعرض لأحد المتضايقين بالقياس إلى الآخر وقد علم في الأصول أن وجوه الترجيح إذا تعارضت فما كان بالذات أولى من الترجيح بالوصف العارض كما تعارض جهتا الفساد والصحة في صوم رمضان إذا لم ينو الصوم من الليل فإنه لا يصح الصوم عند الشافعي ويصح عندنا فإن

(١) إشارة إلى أن الخبر محذوف.

تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ [البقرة: ٢٣٤] بالنسبة إلى أولات الأحمال قال صاحب التوضيح فجعل قوله تعالى: ﴿وأولات الأحمال أجلهن﴾ [الطلاق: ٤] ناسخاً لقوله تعالى: ﴿يتربصن بأنفسهن﴾ [البقرة: ٢٣٤] في مقدار ما يتناولوه الاتيان وهو ما إذا توفي عنها زوجها وتكون حاملاً لأن عموم أولات الأحمال بالذات لأنه جمع محلى باللام وأما أزواجاً فجمع منكر فعمومه بالعرض لأنه صلة والموصول عام فيعم ما في صلته فيكون عمومه بالعرض وما يكون عمومه بالذات أولى مما يكون بالعرض واختلف في عموم المنكر بالذات والأكثر اختاروا عدم عمومه كما في التوضيح.

قوله: (والحكم معلل هنا بخلاف ثمة) أي أن قوله تعالى: ﴿وأولات الأحمال﴾ [الطلاق: ٤] من تعليق الحكم المشتق لأنه في معنى والحاملات أجلهن أن يضعن حملهن لبراءة الرحم بالشغل بالولد فإذا وضعن علم براءة الرحم عن الشغل المذكور فيصلح أن يتزوج بخلاف الآية الأخرى فإنها غير معللة وإنما هو أمر تعدي والمعلل أفوتى فیرجع قال المصنف في تفسير: ﴿والذين يتوفون﴾ [البقرة: ٢٣٤] الآية ولعل المقتضى لهذا التقدير أن الجنين في غالب الأمر يتحرك لثلاثة أشهر إن كان ذكراً أو لأربعة إن كانت أنثى وهذا يفيد أن هذه الآية معللة أيضاً لكن لا يضر المصنف فلا تغفل.

الشافعي يرجع الفساد بسبب كونه عبادة ونحن نرجح الصحة بسبب كون النية في أكثر اليوم فالترجيح بالكثرة ترجيح بالوصف الذاتي وذلك بالوصف العارض وذلك لأن بعض الصوم وقع فاسد لعدم النية فإنه لا عبادة بدون النية والبعض وقع صحيحاً لوجود النية لكن الصوم لا يتجزأ فإما أن يفسد الكل وإما أن يصح الكل فلا بد من ترجيح أحدهما على الآخر فالشافعي رحمه الله رجح الفاسد على الصحيح بوصف العبادة فإن وصف العبادة توجب الفساد وهو وصف عارضي لأن وصف العبادة للإمساك عارضي لأن الإمساك من حيث الذات ليس بعبادة بل صار عبادة بجعل الله تعالى وهو أمر خارج عن الإمساك ونحن نرجح الصحيح على الفاسد بكون النية واقعة في أكثر النهار والترجيح بالكثرة ترجيح بالوصف الذاتي لأن الكثرة وصف يقوم بالكثير بحسب أجزائه فيكون وصفاً ذاتياً إذ المراد بالوصف الذاتي وصف يقوم بالشيء بحسب ذاته بحسب بعض أجزائه والوصف العارض والشيء يقوم بحسب أمر خارج عنه.

قوله: (والحكم معلل هنا بخلافه ثمة أي حكم العدة معلل هنا بالعلة التي هي وصف الحمل بخلافه في تلك الآية وفي الكشف اللفظ مطلق في ﴿وأولات الأحمال﴾ [الطلاق: ٤] فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وأبي وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن علي وابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها أبعد الأجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته أن سورة النساء القصوى نزلت بعد التي في البقرة يعني أن هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروى أم سلمة أن سبيعة الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال لها «قد حلت فاتكحي» إلى هنا كلام الكشف لاعنته بأهلته عن محمد بن سيرين أنه قال كنت في حلقة فيها عيد الرحمن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه فذكر أحد الأجلين بحديث سبيعة بنت الحارث إلى

قوله: (ولأنه صبح أن سبعة بنت الحارث وضمت بعد وفاة زوجها بلبالٍ فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال قد حللت فتزوجي) هو مروي في البخاري وهو حديث صحيح قول بلبالٍ وقع في البخاري أربعين ليلة.

قوله: (ولأنه متأخر النزول) كما رواه البخاري وغيره عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن علياً رضي الله تعالى عنه قال عدتها أبعد الأجلين من شاء لاعنته أن سورة النساء القصصى نزلت بعد التي في البقرة والعمل بالمتأخر لازم وفي التوضيح عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فمن شاء باهلته أن سورة النساء القصصى بعد سورة النساء الطولى: ﴿وَأَن أُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] الآية نزلت بعد قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَتوفُونَ مِنْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٤] الآية ولا يخفى أن هذا يكفي في إثبات المطلوب وما ذكره قبل هذا فمع ما فيه من التكلف لا حاجة إليه عن أن ما روي من قصة سبعة فبناء على هذه الرواية من تأخر النزول.

قوله: (فتقديمه في العمل تخصيص) أي ترجيح قوله: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ [الأنفال: ٧٥] في العمل تخصيص قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتوفُونَ مِنْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٤] ويراد به ما عدا الحامل بقرينه وأولو الأحمال أجلهن الآية والمعنى ﴿وَالَّذِينَ يَتوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجاً﴾ [البقرة: ٢٣٤] غير حامله يترخص بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً وهذا مذهب الشافعي فإنه جوز تراخي مخصص العام عن العام وعندنا هو نسخ لا تخصيص إذ المخصص لا يد وأن يكون متصلاً بالعام فقوله تخصيص يعم النسخ حتى يتناول مذهب الحنفية ولذا قال فيما سيأتي والأول راجح للوفاء عليه.

قوله: (وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص) أي العمل به وهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتوفُونَ مِنْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٠] الآية وكون المعنى ﴿وَالَّذِينَ يَتوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجاً﴾ [البقرة: ٢٤٠] سواء كانت حوامل أو لا يترخص بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً بناء خبر لقوله وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص أي تخصيص العام وهو وأولات الأحمال بالخاص المتأخر وهو ﴿وَالَّذِينَ يَتوفُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٠] الآية قال المحشي ومذهب الشافعي أن العام يبنى على المتأخر وتخصيص له سواء علم تأخر الخاص أو لا انتهى وعن

قوله قال أبو عطية كنا عند عبد الله فقال أتجعلون عليها التغليف ولا تجعلون لها الرخصة نزلت سورة النساء القصصى بعد الطولى ﴿وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] وفي رواية عن علقمة أن ابن مسعود قال: من شاء لاعنته ما نزلت ﴿وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها وإذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلت ورواه ابن ماجه عن مسروق والقصصى تأنيث الأقصر وهي هذه السورة والطولى هي البقرة وما في البقرة هو قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَتوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجاً يترخص بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ [البقرة: ٢٣٤] فهذه الآية ناسخة أو مخصصة لتلك وعن بعضهم ما في البقرة محمول على غير الحامل إذ لو أريد به الحامل لم يتعين عدتها بأربعة أشهر وعشر وهي متعنة بالنص.

هذا تمسك المصنف بالوجه الأول والثاني ولم يكتف بقوله لأنه متأخر النزول لأن لهم أن يعملوا بما هو المتأخر نزولاً لما ذكر من جواز تخصيص الخاص المتأخر بالعام المتقدم وهم لم يعملوا به فحاول ترجيح قوله تعالى: ﴿وأولات الأحمال﴾ [الطلاق: ٤] الخ والعمل على ﴿والذين يتوفون﴾ [البقرة: ٢٤٠] الآية فينبه بوجود كثيرة وأما أئمتنا اكتفوا في الترجيح بأنه متأخر النزول وناسخ له في الأصول وفي التفسير.

قوله: (والأول راجع للوافق عليه) لما عرفته من أن مراده بالتخصيص ما يعم النسخ مجازاً فيتناول مذهبا والثاني مذهب الشافعي فقط وتوضيح المقام أن بين الآيتين عموماً وخصوصاً من وجه مادة الاجتماع المرأة التي توفي عنها زوجها وهي حامل وإحداهما متحققة في المطلقات دون الأخرى وبالعكس في المتوفى عنها زوجها وهي غير حامل فوقع التعارض بحسب الظاهر في مقدار ما يتناول الآيةان فدفعه إما بتخصيص الأولى بالثانية أو بالعكس لما عرفته من أن كلا منهما عموم من وجه وخصوص من وجه فإذا دفعناها بتخصيص وأولات الأحمال بقوله: ﴿والذين يتوفون﴾ [البقرة: ٢٤٠] بناء على جواز تخصيص الخاص المتأخر العام المتقدم يلزم العمل بالمختلف فيه وإذا دفعناها بالعكس يلزم العمل بالمتفق عليه فهو أولى بالعمل هذا مراد المصنف والله أعلم فعلم منه أن في الاحتمالين تخصيص العام لكنه تفنن في البيان وعبر في الثاني وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص.

قوله: (في أحكامه فيراعى حقوقها) قيد التقوى بهذا لكمال اتصاله بالمقام.

قوله: (يسهل عليه أمره ويوفقه للخير) أشار به إلى أن من أمره مقدم لفظاً لكنه مؤخر معنى قدم لرعاية الفاصلة ولم يلتفت إلى كون من بمعنى في أو للتعليل فحينئذ لا تقديم لكونه خلاف الظاهر بل أشار إلى أن من زائدة وقيل للبيان وصلة يسراً وهو عليه محذوف قوله ويوفقه للخير حاصل معنى يسهل إذ ليس المراد تسهيل كل أمر بل تسهيل أمر الخير.

قوله تعالى: ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَنْتَهِ عَنْ مَكَاتِبِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا

قوله: (ذلك إشارة إلى ما ذكر من الأحكام) بتأويل ما ذكر.

قوله: ﴿أمر الله﴾ [الطلاق: ٥] الآية في أحكامه فيراعى حقوقها) أمر الله مفرد الأوامر وبعض الأحكام المذكورة وإن كان نهياً لكنه مستلزم للأمر بضده كعكسه أنزله بواسطة جبريل إليكم فابقاع الإنزال على الأحكام مجاز عقلي ثم جملة ذلك الخ فذلك لما قبله وإجمال بعد تفصيل لكمال التقرر.

قوله: ﴿فإن الحسنات﴾ [هود: ١١٤] نعم الوجوديات والعمديات.

قوله: ﴿بهذهن السيئات﴾ [هود: ١١٤] أي يحمين السيئات الصغيرة ولما كان الجزاء مغايراً لما تقدم لا تكرر في ﴿ومن يتق الله﴾ [الطلاق: ٢] ولم يعطف الجزاء على الجزاء الأول حتى يستغني عن ذكر الشرط لوجود الفاصلة.

قوله: (بالمضاعفة) أي المراد العظم كما يفهم منه العظم كفيماً قدم الأول إذ التحلية بعد التخلية.

قوله تعالى: **أَسْكَنْهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارِّوهُمْ لِنَفْسِكُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا تَكُنْ أُولَئِكَ حَمَلَ فَاؤُفْقُوا عَلَيْهِمْ إِنَّ رَبَّكُمْ لَخَرِيفٌ إِذَا أَرَادَ لَكُمْ شَيْئًا قَالَ فَقَاطَوْهُمْ لَأُجْرُهُمْ وَتَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ رُفُوفًا إِنَّ رَبَّكُمْ فَاسْتُخْبِعَ لَكُمْ الْآخَرَى ۝٦**

قوله: (أسكنوهم) شروع في بيان أحكام تترتب على الطلاق بعد بيان الطلاق الأحسن والاتقاء عن خلافه والوعد عليه مع تأكيده وبيان لقوله: ﴿وَلَا تَخْرُجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِهِمْ﴾ [الطلاق: ١] ولذا ترك العطف.

قوله: (أي مكاناً من مكان سكناكم) أي مكاناً سكناً ونبه به على أن المفعول محذوف وهو مكان ومن تبعيضية وفي الكشف هي من التبعيضية بعضها محذوف معناه أسكنوهم مكاناً من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم وأسقط المصنف حيث وذكر حاصله وفيه إشارة إلى أن إضافة بيوتهم لأدنى ملاسة كما أشرنا إليه هناك.

قوله: (من وسعكم أي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله: ﴿مَنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ [الطلاق: ٦]) أي مجسوم الجار والمجرور عطف بيان للجار والمجرور لا المجرور فقط وهذا من مسامحة المشايخ وإلا فلا مدخل للجار في مثل ذلك وعن هذا حمل أبو حيان على المجرور فاعترض بأن إعادة الجار إنما هو في البذل لا في عطف البيان فالوجه كونه بدلاً وإذا حمل مراد المصنف على ما ذكر ولو كان مسامحة لا إشكال أصلاً.

قوله: ﴿وَلَا تَضَارُّوهُمْ﴾ [الطلاق: ٦] في السكنى ﴿وَلَا تَضَارُّوهُمْ﴾ [الطلاق: ٦] ولا تستعملوا معهم الضرر لتضييقوا عليهم في المسكن ببعض الأسباب كإزالة من لا يوافقهم.

قوله: (فتلجثوهم إلى الخروج) جواب النهي وهذا إخراجهم في الحقيقة وقد نهى الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَلَا تَخْرُجُوهُمْ﴾ [الطلاق: ١] الخ وهذا عام لهذا أيضاً ﴿وَأَنْ كُنْ أُولَاتِ حَمَلٍ﴾ [الطلاق: ٦] كلمة الشك بالنظر إلى ما في نفس الأمر.

قوله: (فيخرجون من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من

قوله: وهو عطف بيان لقوله: ﴿مَنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ [الطلاق: ٦] كأنه قيل: ﴿أَسْكَنْهُمْ﴾ [الطلاق: ٦] مكاناً من الحامل من المعتدات مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرى بالحركات الثلاث.

قوله: وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والأحاديث يؤيده والسكنى والنفقة واجبان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي ليس للميتة إلا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحمام لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس أن زوجها بت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «لا سكنى لك ولا نفقة» وعن عمر رضي الله عنه لا ندع

المعتدات) وهو مذهب الشافعي ومالك وأما عندنا فلكل مطلقة نفقة كالسكنى فحيثما ما فائدة قوله: ﴿وإن كن أولات حمل﴾ [الطلاق: ٦] الآية فائدته أن مدة الحمل ربما طالت فظن ظان أن النفقة تسقط إذا مضى مدة الحائض أي غير الحامل فنفي ذلك الوهم كما في الكشف فهذا من مفهوم الموافقة معتبر بالاتفاق وما ذكره المصنف بناء على مفهوم المخالفة معتبر عند الشافعي وغير معتبر عند أئمتنا الحنفية فما ذكره لا يكون حجة علينا مع أن مذهبهم أن ذلك المفهوم غير معتبر إن كان للنفقة فائدة أخرى غير مفهوم المخالفة وقد عرفت إن قيد الشرط له فائدة أخرى ذكرت في الكشف كأنهم ذهبوا عنها أو لم يعدوا تلك الفائدة فائدة معتد بها وعلّة وجوب السكنى وهي الاحتباس تقتضي وجوب النفقة أيضاً وأيضاً يؤيد مذهبنا ما روي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله عليه السلام يقول «لها النفقة والسكنى».

قوله: (والأحاديث تؤيده) قيل الجمع لتعدد طرقه إذ المروي فيه حديث فاطمة بنت قيس وقد طعن فيه الصحابة كعمر وعائشة وأسامة وغيرهم من كبار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فهو حجة عليه لا له وحديث فاطمة بنت قيس أنه عليه السلام لم يجعل لها نفقة ولا سكنى وقد طلقها ثلاثاً فرده عمر وغيره من الصحابة وقال لا ندع كتاب ربنا ولا سنة نبينا بقول امرأة لا ندري أصدقت أم كذبت أحفظت أم نسيت فهو حديث مستنكر لأنه رده الكل كما عرفته وأيضاً هذا يعارض قوله تعالى: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم﴾ [الطلاق: ٦] أما في السكنى فظاهر وأما في النفقة فلأن قوله تعالى: ﴿ومن وجدكم﴾ [الطلاق: ٦] يحمل عندنا على قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وهي وانفقوا عليهن من وجدكم وليت شعري كيف يعمل بهذا الحديث مع أنه مخالف لقوله: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم﴾ [الطلاق: ٦] بالاتفاق هذا في المطلقات وأما المتوفى عنها زوجها فلا نفقة لها كما لا سكنى لها.

قوله: ﴿فإن أرضعن لكم﴾ [الطلاق: ٦] قوله لكم إشارة إلى أن النسب للأباء (بعد انقطاع علاقة التكاح على الإرضاع).

قوله: (وليأمر بعضكم بعضاً بجميل في الارضاع والأجر) أشار به إلى أن الافتعال بمعنى التفاعل والإيتمار بمعنى التأمر وحاصله أمر بعضكم بعضاً مع القبول قوله بجميل ناظر إلى أمر الرجل لها والأجر ناظر إلى عكسه.

قوله: (تضايقتن) أي ضيق بعضكم على الآخر بالمنازعة في الأجرة بزيادة طلب أو بإيتاء نقصان أو بالمشاحة.

كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لها السكنى ومعنى اختصاص استحقاق النفقة بالحامل مستفاد من الآية على أصل الشافعي وهو أن الأمر بالشئ يتضمن النهي عن شدة فعندنا لا دلالة للآية على ذلك المعنى أي على معنى الاختصاص فلذا يجب النفقة عندنا للمبتوتة بالطلاق أيضاً.

قوله : (امرأة أخرى وفيه معاتبة للام على المعاصرة) والاب أيضاً معاتب بطريق الرمز بل هو أشد معاتبة حيث أسقط في الجواب من شرفه الخطاب مع الإشارة إلى أن الام إذا امتنعت من الارضاع لامتناع الاب عن إيقاع الأجرة فلا بد من إرضاع امرأة أخرى وهي أيضاً تطلب الأجر في الأغلب عادة مع أن الام أحق به لكونها أشفق فيحتلج يكون الاب مخطأ في ذلك وأما إذا امتنعت الام بالكلية أو طلبت زيادة الأجر فلا معاتبة عليه حينئذ وكذا الام إن امتنعت لعذر شرعي أو طبيعي فلا لوم عليها ومثل هذه المواضع مستثنى من هذا الحكم فيكون معنى ﴿ فترضع له أخرى ﴾ [الطلاق : ٦] فليطلب له الاب مرضعة أخرى ولو قبل إن قوله : ﴿ فترضع له أخرى ﴾ [الطلاق : ٦] يدل باقتضاء النص على طلب الأجر مرضعة أخرى فإنه ما لم يطلبها الاب ورضي بها لا مساغ لإرضاع امرأة أخرى فهو لازم مقدم فيثبت اقتضاء فلا حاجة إلى التقدير المذكور وبهذا يحصل الارتباط ولم يعكس لأن شحة اللين أشنع من بخل المال فجنايته من هذه الحثية أوفر وأشد .

قوله تعالى : يُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعِيَّتِهِ وَمَن فُجِرَ عَلَيْهِ فَرَّاقٌ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مِمَّا آتَاهَا سَيِّئًا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

قوله : (أي فلينفق كل من الموسر والمعسر) أشار به إلى أن ضمير فلينفق راجع إليهما بتأويل كل منهما لا راجع إلى من قدر فقط كما يوهمه عقيب ذكره ويظن أن الغاء جواب من قدر وليس كذلك بل الغاء تفسير لينفق ومن قدر معطوف على ذو سعة وتغيير الاسلوب للفتن .

قوله : (ما يبلغه وسعه) أي طاقته وقدرته .

قوله : (فإنه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها) إشارة إلى أن قوله : ﴿ لا يكلف الله ﴾ [الطلاق : ٧] كالتعليل لما قبله ونفساً أبلغ من قوله نفوساً إذ استغراق المفرد اشمل قوله : ﴿ إلا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٣٣] معنى إلا ما آتاها عبر به تنبيهاً على أنه لطف من الله تعالى وإن ضائق .

قوله : (وفيه تطيب لقلب المعسر) أي في قوله : ﴿ لا يكلف الله ﴾ [الطلاق : ٧] الخ تطيب أي تسلية له حيث كلفه بما في وسعه ولم يكلفه بما كلفه الموسر وتحريض على بذل المجهود وفي كلامه إشارة إلى أن الكلام في الزوج المعسر أي ذو إعسار وفقر لا مطلق الفقراء كما جوزة الزمخشري إذ الكلام فيه لا في مطلق الفقراء وصاحب الكشف نظر إلى أنه يدخل في عموم الفقراء دخولاً أولياً فيتصل بما قبله بهذا الاعتبار ولكل وجهة .

قوله : وفيه معاتبة للام على المعاصرة وهو كما تقول لمن تستغني حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى حاجتي غير مقتضية إن لم تقضها أنت .

قوله: (ولذلك وعد له باليسر فقال: ﴿سيجعل﴾ [الطلاق: ٧] الآية) أي لكون هذا تطبيقاً لقلب المعسر دون الموسر وعد له باليسر.

قوله: (أي عاجلاً وأجلاً) أخذه من عموم التنكير ولأن كثيراً من المعسر لا يحصل له اليسر عاجلاً أي في الدنيا بل يحصل له في الأجل أي في الآخرة وبهذه القرينة القوية يؤخذ العموم واو لمنع الخلو فقط.

قوله تعالى: **وَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ عَثَتْ عَنْ أُمِّ رَبِّهَا وَرَبِّهَا فَمَاسَتْهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَظَّمَا عَذَابَ التَّكْوِينِ** ﴿٨﴾

قوله: (من أهل قرية) إما بتقدير المضاف أو المجاز المرسل بقرينة إسناد العتو.

قوله: (أعرضت عنه إعراض العائي المعاند) إشارة إلى أن تعدية عثت بعن لتضمنته معنى أعرضت قوله إعراض العائي المعاند إشارة إلى وجه التعبير بالعتو.

قوله: (بالاستقصاء والمناقشة) ولذا ورد «من نوقش في الحساب عذب» فحساب شديد كناية عن الاستقصاء طلب اقضاء ونهايته أصل المناقشة إخراج شوكه بشوكه أخرى ثم صار حقيقة عرفية في الدقة والسؤال بالشدة.

قوله: (وعذبناها عذاباً نكراً منكرأ والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق) وعذبناها تصريح بما علم التزاماً ولتقييده بالمنكر أي غير متعارف ولا يخطر ببال أحد وتنكيره يفيد فخامة.

قوله تعالى: **فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبَ أَمْرِهَا خُسْرًا** ﴿٩﴾

قوله: (فذاقَتْ) تفرع على ما قبله على سبيل المبالغة لأن الذوق استعارة تهكمية.

قوله: (عقوبة كفرها ومعاصيها) أي الويال بمعنى العذاب والعقوبة والأمر واحد الأمور بمعنى الشيء والمراد به الكفر قوله ومعاصيها لأن الكفار مكلفون بالفروع عند أصحاب الشافعي وعند بعض أصحابنا.

قوله: (لا ربح فيه أصلاً) أي الخسر استعارة لعدم الربح قوله أصلاً لأن التنكير يفيد العموم بمعونة المقام مثل قوله: ﴿علمت نفس﴾ [التكوير: ١٤] الخ وتخصيص العاقبة بالذكر لأن الاعتبار بالخواتيم.

قوله تعالى: **أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ**

إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾

قوله: (﴿أعد الله لهم عذاباً﴾ [الطلاق: ١٠]) وهو كناية عن إعداد دار العذاب.

قوله: (تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور به في قوله: ﴿فاتقوا الله﴾

[الطلاق: ١٠] الآية تكرير للموعيد لأن ما مر عذاب الآخرة والتعبير بالماضي لتحقيق وقوعه كما صرح به قوله وبيان الخ تنبيه على أنه ليس بتكرير له فقط بل له فائدة أخرى وهو بيان لما يوجب أي إعداد العذاب سبب للأمر بالتقوى وموجب التقوى والغاء في فاتقوا نداء عليه فالمعنى فاتقوا الله بامتنال الأوامر والاجتناب عن النواهي حتى تنجوا من العذاب الشديد إذ اللب وهو العقل الكامل يقتضيه وعن هذا قال: ﴿يا أولي الألباب﴾ [الطلاق: ١٠].

قوله: (ويجوز أن يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم وإثباتها في صحائف الحفظه وبالعذاب ما أصيبوا به عاجلاً) ويجوز الخ فتح صيغة الماضي في بابها وقوله عتت صفة قرية لا خبر كما في الاحتمال الأول وأعد الله خبر لكائن وليس بتكرير للموعيد مرضه لأن المحاسبة متعارفة في الاستقصاء والمناقشة في الآخرة وأما الاستقصاء في ذنوبهم فليس المحاسبة شائعة فيه والعذاب النكر متبادر في العذاب الأخروي.

قوله تعالى: رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَةً يُخْرِجُ الَّذِينَ آمَنُوا وَمَحَلُوا الصَّلَاحَتِ مِنَ الظَّالِمَاتِ إِلَى التَّوْبِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَعَلَ صَاحِبًا يُدْخِلْهُ حَسَنًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ رِزْقًا ﴿١١﴾

قوله: (يعني بالذكر جبريل عليه السلام لكثرة ذكره) فيكون وصفاً بالمصدر للمبالغة وقوله لكثرة ذكره إشارة إليه كرجل عدل قدمه لأن فيه مدحاً له بأنه ذاكر ربه ذكراً كثيراً لا يشغله عنه تدبير أمر الوحي وغيره مما أمر بتدبيره.

قوله: ويجوز أن يكون المراد بالحساب عطف على قوله والمراد حساب الآخرة فعلى هذا يكون حاسبنا وعذبنا ماضيين على ظاهرها وقوله: ﴿عتت﴾ [الطلاق: ٨] وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله خبر الكائن فإنه بمعنى كم الخيرية وعلى الأول عتت خبر لكائن ﴿وأعد الله﴾ [الطلاق: ١٠] تكرير وبيان أقول وجه صرف العذاب إلى عذاب الآخرة على الوجه الأول وإلى عذاب الدنيا على الثاني إن عتت على الثاني صفة واتصاف أهل القرية بالعتو يكون سبباً لتعجيل العقوبة عليهم كما قال عز وجل: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفينها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾ [الإسراء: ١٦].

قوله: يعني بالذكر جبريل لكثرة ذكره ذكر رحمة الله في لفظ ذكراً إذا أريد به جبريل وجوهاً أربعة الوجه الأول مبني على أن يكون من باب الاستعارة سمي به جبريل لأنه لكثرة ذكره كان كأنه ذكر مصور فأبدل منه رسولاً بدل الكل والوجه الثاني والثالث من باب المجاز المرسل فإن كانت العلاقة السببية فهو الوجه الثاني فإنه أطلق اسم المسبب على السبب وإن كانت اللزوم فهو الوجه الثالث من باب إطلاق اللزوم على الملزوم وإطلاق المصدر في كل موضع على المفعول من هذا القبيل والوجه الرابع على أن يكون ذكراً بمعنى شرفاً فإن جبريل عليه السلام ذو شرف ومجد فقوله أو ذو ذكر عطف على خبر إن في قوله أو لأنه مذكور في السموات ما وجد في بعض النسخ أو ذا ذكر فمشوش لأنه إن كان معطوفاً على جبريل يكون المراد به غير جبريل فيشكل عطف قوله أو

قوله : (أو لنزوله بالذكر وهو القرآن أو لأنه مذكور في السموات أو ذا ذكر أي شرف) أو لنزوله بالذكر فيكون مجازاً يتسميته باسم ما حمله للمجاورة وهو القرآن وسائر الكتب الألهية أو لأنه مذكور فيكون مجازاً مرسلأً بذلك المتعلق بكسر اللام وأريد المتعلق ولما كان جبريل من الملائكة السماوية قال مذكور في السموات وإلا فهو في الأرض مذكور أيضاً أو ذا ذكر أي شرف أي ذكر بمعنى الشرف بتقدير المضاف ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر لقوة شرافته ويجوز في الأول تقدير المضاف أيضاً.

قوله : (أو محمداً عليه السلام لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه) عطف على جبريل فيكون وصفاً بالمصدر للمبالغة وحمل الذكر على تلاوة القرآن لكونه فرداً أكمل وإلا فالمراد كثرة ذكره أو تبليغه فيكون مجازاً للمجاورة أو ذا ذكر أي شرف واكتفى بذكره فيما مر كلمة أو لمنع الخلو فقط.

قوله : (وعبر عن إرساله بالإنزال ترشيحاً) أي المعنى حيثنذ قد أرسل الله إليكم الخ فيكون أنزل حيثنذ حقيقة ولهذا التكلف أخره قوله ترشيحاً أي للمجاز المرسل إذ الإنزال شأن القرآن وإطلاق على نبينا مجازاً والترشيح ليس بمختص بالاستعارة بل يجري في المجاز المرسل أيضاً بأن يقارن المعنى المجازي بما هو من خواص المعنى الحقيقي.

قوله : (أو لأنه مسبب عن إنزال الوحي إليه) أو لأنه أي الإرسال الخ فيكون أنزل مجازاً مرسلأً ولا يتنافي كونه ترشيحاً كما صرحوا به في ترشيح الاستعارة.

قوله : (أو أبدل عنه رسولاً للبيان) أي على الوجهين فهو بدل الكل فهو للبيان والتقريب ولم يجعله عطف البيان لأن كون التكرة عطف البيان مختلف فيه.

محمداً على جبريل وإن كان معطوفاً على يعني حتى يكون عطف التفسير على التفسير فهو لا يتنافي إرادة جبريل من ذكر فما فائدة العطف بأو.

قوله : (وعبر عن إرساله بالإنزال ترشيحاً يعني على تقدير كون المراد بذكر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يكون معنى أنزل ذكرأً أنزل محمداً ولما كان معنى الإنزال على هذا التقدير غير ظاهر حمله على الاستعارة المصراحة والترشيح حيث شبه محمد صلوات الله عليه وسلامه بالذكر المنزل من السماء لمواظبته على تلاوة الذكر أي القرآن أو لتبليغه ثم أطلق اسم المشبه به على المشبه وذكر معه ما يلائم المشبه به وهو الإنزال ترشيحاً للاستعارة أقول الترشيح في اصطلاح علماء البيان أن يذكر بعد تمام الاستعارة بقرينتها ما يلائم المستعار منه وقرينة الاستعارة ههنا تعلق الإنزال بذكرأً وقد سمي رحمه الله قرينة الاستعارة ترشيحاً وهو خلاف ما تعورف واصطلاح عليه فيما بينهم.

قوله : أو لأنه عطف على لمواظبته ذكر رحمة الله في إطلاق الذكر على محمد ﷺ وجهين الوجه الأول من باب إطلاق المصدر على الذات مبالغة نحو رجل عدل والثاني من إطلاق السبب على المسبب وعلى التقديرين يكون إبدال رسولاً منه لبيان أن المراد بذكرأً محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم لا نفس المعنى المصدري.

قوله: (أو أراد به القرآن ورسولاً منصوب بمقدر مثل أرسل أو ذكراً مصدر ورسولاً مفعوله) أو أراد به القرآن فغنن في البيان قال فيما مر يعني بالذكر الخ وهنا أراد والمعنى واحد وصيغة المضارع لقصد الاستمرار والماضي لكونه نازلاً قبل هذا الآن ولم يقل أو القرآن لطول العهد فهو معطوف على قوله يعني الخ ورسولاً أي أي على هذا الاحتمال وأما الاحتمالات الآخر فلا حاجة إلى التقدير قوله أو ذكراً عطف على مقدر أي رسولاً منصوب بذكر مذكور والرسول مفعوله أي مفعول ذكر على أعمال المصدر المنون والذكر وإن أريد به القرآن لكن أعماله باعتبار أصله فلا حاجة إلى ما قبل ولا يمنع إرادة القرآن من الذكر بالمعنى المصدري عن أعماله في المفعول كما ظن فإن إرادته منه بعد الأعمال فالقرآن هو ذكر الرسول لا الذكر وحده وهذا مع كونه بارداً لا يلائم كلام المصنف فإن قوله أو أراد به أي بالذكر القرآن صريح في أن القرآن هو الذكر وحده وكذا قوله والرسول مفعوله.

قوله: (أو بدله على أنه بمعنى الرسالة) أي بدل القرآن بدل الاشتمال فلا إشكال بأن القرآن كما أنه ليس مرسلأ ليس برسالة بل مرسل به فإن فتح باب التأويل لم يبق حاجة إلى جعل الرسول بمعنى الرسالة.

قوله: (حال من اسم الله) فيلزم نسبة التلاوة إلى الله تعالى فيكون مجازاً في النسبة بسبب كونه تعالى أمراً بتلاوة الآيات مثل بنى الأمير المدينة.

قوله: (أو صفة رسولاً) على كون المراد معناه الحقيقي لا الرسالة والاحتمال الأول جار في كلها.

قوله: (والمراد بالذين في قوله تعالى: ﴿ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [الطلاق: ١١] الذين آمنوا بعد إنزاله أي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح) أي المراد المؤمنون بالفعل ولا يلزم تحصيل الحاصل لأن الإخراج بعد إنزال الذكر فيصح جعله غاية بمنزلة العلة الغائية ومراداً منه وصيغة الماضي لسبق إيمانهم على نزول هذه الآية لا على إخراجهم فقوله ليخرج متعلق بأنزل لا يبتلوا فلا إشكال بأن الذين

قوله: أو ذكراً عطف على المجرور في قوله منصوب بمقدر أي أو منصوب بذكر أي قد أنزل ذكراً «ورسولاً» [آل عمران: ٤٩] مفعولاً به له أو بدل من ذكر أي أن المراد برسولاً معنى المصدر أيضاً ليتناسباً.

قوله: حال من اسم الله يعني جملة ﴿يتلو عليكم آيات الله مبينات﴾ [الطلاق: ١١] حال من لفظ الجلال في أنزل الله إليكم ويجوز أن يكون حالاً من ﴿ذكراً﴾ [الطلاق: ١٠] على أن يراد به جبريل أو محمد صلوات الله عليهما.

قوله: أي ليحصل أي ليحصل الله لهم ما هم عليه الآن فعلى هذا يجوز أن يكون الذين آمنوا وضماً للظاهر موضع المضمر للذكر الذين آمنوا سابقاً للإشعار بالإيمان والعمل الصالح نور.

آمنوا قد خرجوا من الظلمات بالإيمان فكيف تكون التلاوة عليهم لإخراجهم منها فبالنظر إلى إنزال القرآن فهم يؤمنون لا أنهم آمنوا وفيه نظر إذ المراد بإنزال الذكر أي القرآن إنزاله جميعه بحيث لا يشذ منه آية ما وصيغة الماضي وإن كان بعضه مترقياً تغلياً للموجود على ما لم يوجد أو تنزيلاً للمتظن بمنزلة الواقع كما قاله المصنف في قوله تعالى: ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾ [البقرة: ٤] الآية فهذه الآية داخلة في ذكر أفلا يحسم ما ذكره مادة الإشكال إلا يتمحل أن يقال إن هذه الآية وإن دخلت في الذكر مجازاً لكن دخولها على وجه المجاز فلا تكون داخلة في الحقيقة.

قوله: (أو ليخرج من علم أو قدر أنه مؤمن من الضلالة إلى الهدى) أو ليخرج من علم أو قدر فصيغة الماضي بالنظر إلى علمه تعالى وتقديره فاعلم تعلقه ماضي أزلي وكذا التقدير وإن كان تحقق المعلوم والمقدر في المستقبل فلا تغفل ولو قيل المراد من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوسواس الغير المؤدية إلى الكفر لسلم من الإشكال بالمرة وجمع الظلمات لأن المراد بها الأسباب التي تؤدي إلى الكفر وهي ظلمة الجهل والهوى وقبول الوسواس وأفرد النور لأن المراد به الهدى والظلمة والنور مستعاران للضلالة والهدى قيل ووقع في بعض النسخ والمراد بالذين ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهو سهو من قلم الناسخ أي قوله بعد إنزاله مدار جواب الإشكال المذكور كما عرفته وإذا لم يوجد هذا القيد فدفع الإشكال مشكل إلا يتمحل مذكور وهو كون المعنى ليخرج من علم وقدر أنه مؤمن الخ (وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون).

قوله: (فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب) أي قوله: ﴿قد أحسن الله﴾ [الطلاق: ١١] لفظه خير ومعناه إنشاء التعجيب أي تعجبوا من حسن هذا الرزق الغير المعهود ولا يخطر ببال أحد وهذا تعظيم له وإظهار فخامته ولو لم يحمل على ذلك لم يظهر فائدة إخباره إذ المراد ما ذكر هنا وتكثير رزقاً للنوع أي نوع من الرزق لا يعرف كتبه وهذا يستلزم التعظيم.

قوله تعالى: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَنْحُرُ بَيْنَهُنَّ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

قوله: (مبتدأ وخبر) أي الله مبتدأ خبره الذي خلق الآية وهذا على ظاهره إن لم يعرف ذلك قبل هذا وإلا فالمراد لازمه وهو اظهار قدرته الكاملة وعظمته أو ترغيب في الشكر أو تهديد لقوله: ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ [الطلاق: ١٢].

قوله: أو ليخرج من علم أو قدر أنه يؤمن فعلى الأول لفظ الإيمان في ﴿آمنوا﴾ [الطلاق: ١٠] حقيقة وعلى الثاني مجاز تسمية للمشاركة على الشيء باسم ذلك الشيء والمعنى الذين شافوا إلى الإيمان نحو على ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة: ٢] على أحد وجهيه.

قوله: (أي وخلق مثلهم في العدد)^(١) من الأرض وقرىء بالرفع على الابتداء والخبر في العدد اختار ما قاله الجمهور من أنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة خمسمائة عام وغلظ كل أرض كذلك وفي الكشف قيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والأرضون مثل السموات وفي كل أرض سكان من خلق الله تعالى إما ملائكة أو جن قال الماوردي وعلى هذا تخص دعوة الإسلام بأهل الأرض العلباء دون من عداهم وإن كان فيهم من يعقل من خلق وهم يشاهدون السماء واستمدادهم الضوء وقيل لا يشاهدون السماء وأن الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وقال الضحاك مطابقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والأول أصح لأن الأخبار دالة عليه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها سبع أرضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء ويقربه ما قيل المراد الأقاليم السبعة وقول الجمهور هو المشهور المعول عليه لموافقة ظاهر الآية.

قوله: (ينزل الأمر) وهو النزول على مهل وقتاً غيب وقتاً لأنه مطاوع نزل ولا يخفى أنه أنسب هنا لأن جريان قضاء الله تعالى بينهم وقتاً بعد وقت.

قوله: (أي يجري أمر الله وقضاؤه بينهم وينفذ حكمه فيهم) أي النزول مجاز عن ذلك إذ النزول هو الحركة من العلو وهي من خواص الأجسام فالمراد الجريان والنفوذ إذ النزول يستلزمه قوله وقضاؤه تنبيه على أن الأمر واحد الأمور بمعنى القضاء أي الحكم وعن قتادة في كل سماء وفي كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضى من قضاؤه انتهى وفيه دليل على أن في كل أرض خلق مكلفون كما فصله صاحب الباب في سورة البقرة وبالجمل لا قطع في شيء من الاحتمالات فلا يكفر من أنكراها أو تردد فيها وإنما القطع كون الأرض مثل السموات في العدد وفي كونها سبعاً بأي معنى أريد إجمالاً وهذا القدر قطعي يكفر جاحده أو متردده.

قوله: أي وخلق مثلهم في العدد من الأرض قيل ما في القرآن آية تدل على أن الأرض سبع إلا أنه روي عن الإمام أحمد بن حنبل والترمذي وأبي هريرة رضي الله عنهم قال بينما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جالس وأصحابه قال «هل تدرون ما فوقكم؟» قالوا الله ورسوله أعلم قال «فإنها الرقيق سقف محفوظ وموج مكفوف» قال «هل تدرون ما بينكم وبينها؟» قالوا الله ورسوله أعلم قال «بينكم وبينها خمسمائة عام» ثم قال «هل تدرون ما فوق ذلك؟» قالوا الله ورسوله أعلم قال «سماء وإن بعد ما بينهما خمسمائة سنة» ثم قال «كذلك» حتى عد سبع سموات مما بين كل سماءين ما بين السماء والأرض ثم قال «هل تدرون ما تحتكم؟» قالوا الله ورسوله أعلم قال: «إنها الأرض» ثم قال: «هل تدرون ما تحت ذلك؟» قالوا الله ورسوله أعلم قال: «إن تحتها أرض أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة» حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين خمسمائة سنة الحديث.

(١) أي خلق مثلهم في العدد يحتمل أنه بيان لحاصل المعنى وهو معطوف على قوله: «سبع سموات» والفصل بين الواو والمعطوف بالجاء والمجرور جائز ويحتمل أنه قدر له عاملاً وهو الظاهر.

قوله: (علة لخلق أو يتنزل) أي تحصيلية ودلالة خلق السموات والأرض على كل شيء قدير لأن خلق هذه الأجسام لا يكون إلا بالقدرة التامة ولا فرق بين ممكن وممكن فيعلم قدرته على كل ممكن وأما العلم فلأن المراد بالعلم العلم الفعلي والأفعال الاختيارية لا يوجد إلا بالعلم على التفصيل قدم القدرة لأن الممكنات إنما توجد بتعلقها وصفة العلم ليست بمؤثرة.

قوله: (أو مضمر يعمهما فإن كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه) يعمهما مثل فعل ما فعل فإن كلا منهما أي من الخلق والتنزل يدل على كمال قدرته أي أولاً وبالذات وعلمه بواسطة ما فيهما من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء.

قوله: (وعن النبي عليه السلام من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله ﷺ) حديث موضوع الحمد لله على تسهيل إتمام ما يتعلق بسورة الطلاق وهو نعمة جليلة على الإطلاق والصلاة والسلام على نبيه الموصوف بمكارم الأخلاق وعلى آله وأصحابه الذين داوموا على الانفاق تمت السورة الكريمة في وقت ظهر يوم الأحد من الشوال المكرم في سنة ١١٩١.

قوله: (أو مضمر يعمهما مثل ما فعل ذلك لتعلموا تمت السورة الحمد لله على التوفيق مستعيناً بالله أقول وعليه التكلان).

سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة التحريم مدنية وآيها ثنتا عشرة آية) مدنية وقيل الأيتان من آخرها وآيها ثنتا عشرة بالاتفاق.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَ لَكَ مِمَّا يَتْلَىٰ تَرَىٰ أَنَّكَ وَآلُكَ عَفْوَرٌ رَّحِمٌ ﴿١﴾

قوله: (روي أنه عليه السلام خلا بمارية في يوم عائشة أو حفصة فاطلمت على ذلك حفصة فعاتبته فيه عليه السلام فحرم مارية فنزلت) وفي سبب نزولها قولان قصة مارية وقيل قصة العسل ونقل عن شرح مسلم الصحيح أنها في قصة العسل لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح والمصنف اختار كونه قصة مارية كالزمخشري لدليل لاح له وإلا فإن صح ما نقل عن شارح مسلم فلا وجه لاختياره ومارية جاريته التي اهداها المقوقس ملك مصر وهي أم إبراهيم رضي الله تعالى عنه قوله عند حفصة وقيل عند زينب بنت جحش وقيل عند سودة.

قوله: (وقيل شرب عسلاً عند حفصة فواطأت عائشة وسودة وصغية فقلن له عليه السلام إنا نشم منك رائحة المغافير فحرم العسل فنزلت) ونقل عن النووي أنه قال في شرح

سورة التحريم

وهي ثنتا عشرة آية وتسمى سورة النبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: إنا نشم منك ريح المغافير الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن عائشة وفيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم شرب العسل في بيت حفصة وأما القائلة فهي سودة وصغية وفي رواية شرب في بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها كما رواه صاحب الكشف مع اختلاف وفيه قالت سودة يا رسول الله أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الرياح التي أجد منك قال سقنتي حفصة شربة عسل فقالت جرست بنحلة العرط قال الطيبي أما الحديث الأول فما وجدته في الكتب المشهورة قال الجوهري والجرس الصوت الخفي يقال سمعت جرس الطير إذا سمعت صوت مناقيرها على كل شيء تأكله وفي الحديث فيسمعون جرس طير الجنة وفي النهاية واحد المغافير مغفور بضم الميم وله ريح كريهة منكورة وهذا البناء قليل في العربية وفي النهاية العرط شبه الصمغ ذو رائحة كريهة.

مسلم والصواب أنه شرب عند زينب رضي الله تعالى عنها قوله نشم من باب نصر المغاير بفتح الميم والغين المعجمة وفاء بعدها ياء ثم راء مهملة جمع مغفور بضم الميم وهو صمغ حلولة رائحة كريمة وفي بعض اللغة هو كصمغ شجرة ذي شوكة ولم يتعرض كونه ذا رائحة كريمة وتسمى تلك الشجرة العرطف.

قوله: (تفسير لتحريم أو حال من فاعله أو استثناء ببيان الداعي إليه) تفسير لتحريم لكمال سببته كأنه نفس التحريم والمعنى لم يتبع مرضاة أزواجك أو حال من فاعله مفيدة للعلية أو استثناء أي استثناء بياني أو نحوي مسوق لبيان الداعي ولذا اختير الفصل فالسؤال عن سببه بقوله لم ليس على ظاهره أي لأي شيء تحرم أي لا شيء يصلح أن يكون علة للتحريم والداعي المذكور وهو ابتغاء رضا الأزواج لا يكون سبباً له فلاستفهام للإنتكار الوقوعي قوله فحرم في الموضوعين إشارة إلى أن المضارع في الموضوعين لحكاية الحال العاضية أو للاستمرار إلى وقت النزول.

قوله: تفسير لتحريم أو حال من فاعله أو استثناء والفرق بين هذه المعاني أنه على التفسير يكون ابتغاء مرضاتهن يكون مسبباً عن التحريم ويكون هو المنكر بالاستفهام الإنكاري وإنما ذكر التحريم للإبهام تفخيماً وتهويلاً فإن ابتغاء مرضاتهن من أعظم الشؤون وعلى الحال الإنكار وارد على مجموع القيد والمقيد دفعة واحدة ويكون هذا التقيد مثل التقيد في قوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠] وعلى الاستثناء لا يكون الثاني غير الأول لأنه سؤال عن كيفية التحريم فإنه لما قيل: ﴿لَمْ تَحْرَمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [التحريم: ١] قال كيف أحرم فأجيب بتبغني مرضاة أزواجك وفيه تكرير الإنكار وتظهير قوله تعالى: ﴿عَفَى اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] على أنه صلوات الله عليه ما ارتكب عزيمة بل كان ذلك فيه من باب ترك الأولى والامتناع من المباح وإنما شدد ذلك التشديد في ترك الأولى رفعاً لمحلّه ومنزلته ألا يرى كيف صدر الخطاب بذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقرن ببيان الموضع للنداء إلى البعيد وهاء التنبيه أي تنبه لجلالة شأنه وورقة رتبك فلا يتبع مرضاة أزواجك فيما أبيع لك يؤيده قول صاحب الكشف ولم يثبت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لما أحله الله هو حرام علي وإنما امتنع عن مارية ليعين تفهمت منه وهو قوله والله لا أقربه بعد اليوم فقل له: ﴿لَمْ تَحْرَمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ﴾ [التحريم: ١] أي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني أقدم علي ما حلفت عليه وكفر أقول والعجب من صاحب الكشف أنه قال ههنا لم يثبت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لما أحل الله هو حرام علي وقد قال فيما قبله وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله دل كلامه هذا على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما أحله الله هو حرام علي وكان هذا القول زلة منه وإلا لمجرد الامتناع عن الحلال لا يكون زلة وإن كان مقروناً باليمين ومشروعية الكفارة إنما هي لانحلال اليمين لا لكونه زلة قال صاحب الانتصاف افترى صاحب الكشف على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بتحريم ما أحل الله باعتقاد ما حله وهو لا يصدر من مؤمن وأما مجرد الامتناع عن الحلال وقد يكون مؤكداً باليمين فليس من ذلك في شيء ولو أنكر ذلك لاستحالت حقيقة المباح وغايته أنه حلف ما يقرب مارية فنزلت آية كفارة اليمين ومعاذ الله وحاشا لله مما نسبوه وهذه جرأة.

قوله: (لك هذه الزلة) فإنه ترك الأولى بالنسبة إلى علو منزلته ولعله وإن حط عن الأمة لم يحط عن الأنبياء عليهم السلام لعظم قدرهم ولذا قال عليه السلام «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأئمة فالأئمة» كذا قاله المصنف في قصة آدم عليه السلام في قبيل قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا﴾ [البقرة: ٤٧] الآية فلا وجه لإشكال صاحب الانتصاف بأن تحريم الحلال مطلقاً أو مؤكداً يمينين بمعنى الامتناع عنه ليس بزلة وكم من مباح يتركه المرء باختياره ولا يلحقه منه شيء وأما اعتقاد الحلال حراماً وعكسه مما يلحق به الائم فلا يصدر عنه عليه السلام وحاشاه من نسبة مثله إليه انتهى ولا يخفى أن مراد الشيخين هو المعنى الأول إذ لا يخطر الاحتمال الثاني ببال أحد فضلاً عن الشيخين وقد عرفت أن هذا بالنسبة إلى الأمة وأما بالنسبة إلى الأنبياء فلا يحط لا سيما إذا كان ذلك لا ابتغاء رضاه غيره تعالى فلا ريب أنه ترك الأولى وصاحب الانتصاف ذهل عن نكتة قوله تعالى: ﴿نَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ [التحريم: ١١] الآية فإن الالتفات إلى ما سوى الله تعالى يعد ذنباً عند العارفين قال ابن الفارض:

ولو خبطرت لى في سواك إرادة على خاطري يوماً حكمت برديتي

ولذا قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين الأحرار وقال الإمام الأعظم في الفقه الأكبر الأفخم وقد كانت منهم أي من الأنبياء زلات أي بالنسبة إلى مقاماتهم العاليات.

قوله: (فإنه لا يجوز تحريم ما أحل الله) بالمعنى المذكور وهو الامتناع عنه مع اعتقاد حله بالنسبة إليهم ابتغاء لمرضاة غيره تعالى إذ الكلام فيه فلا تغفل عن هذا القيد والمفهوم منه أن تحريم الحلال بمعنى الامتناع عنه كسراً للشهوة الردية وطلباً لرضاه ربه العلية لا بأس به بل يرجى كونه مأجوراً إن لم يؤد إلى مفسدة ومن هذا القبيل تحريم يعقوب عليه السلام بعض الطعام على نفسه قال تعالى: ﴿كُلِ الطَّعَامَ كَانَ حَلَالاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [آل عمران: ٩٣] الآية.

قوله: (رحمك حيث لم يؤاخذك به وعتابك محاماة على عصمتك) أي محافظة والمعاتبة على سبيل اللطف قال القاضي عياض في الشفاء في قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ [التوبة: ٤٣] عتاب على سبيل اللطف ولذا قدم ﴿عفا الله عنك﴾ [التوبة: ٤٣] الآية وهنا كذلك لكنه أخر هنا المغفرة مع انضمام الرحمة فاللطف هنا أشد من اللطف هناك.



قوله تعالى: قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

قوله: (قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة) الخطاب له عليه السلام ولأئمة فقيه تلوين الخطاب أو خطاب له عليه السلام تعظيماً له والأول أولى لعموم الحكم صريحاً وفي الثاني يعلم بدلالة النص وفيه إشارة إلى أن التحلة مصدر بمعنى التحليل إذ أصله تحللة بوزن تذكرة من الحل بفتح الحاء ضد العقد وهنا المراد الحل والعقد المعنويين

لأن اليمين على فعل الشيء أو تركه كأنه عقد عليه لعدم مساع الإقدام عليه شرعاً فإذا كفر أو استثنى فكأنه حله فهو مستعار له مثل العقد عقدته بالخطاب فاعله والضمير البارز راجع إلى ما وجعله غائباً بقاء التأنيت فاعله ضمير مستتر راجع إلى الإيمان ضعيف لأنه مجاز في الإسناد ولا داعي له بالكفارة متعلق بحل قوله أو الاستثناء معطوف على الكفارة ومعنى الحل هنا منع العقد وفي الأول رفعه فهو مجاز وقدم الأول لكونه حقيقة عرفية وإن كانت استعارة بالنظر إلى اللغة.

قوله: (أو الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا تحت من قولهم حلل في يمينه إذا استثنى فيها) بأن يقول عقيب اليمين إن شاء الله سواء كان اليمين بالله أو بالطلاق أو العتاق.

قوله: (واحتج به من رأى التحريم مطلقاً أو تحريم المرأة يميناً وهو ضعيف) واحتج به البخ وهو إمامنا أبو حنيفة رحمه الله تعالى خلافاً للشافعي رحمه الله تعالى ودليله أنه لو لم يكن يميناً لم يوجب الله تعالى فيه كفارة اليمين لكن التالي باطل فالمقدم مثله وأيضاً قال تعالى أولاً ﴿لم تحرم﴾ [التحريم: ١] ثم قال: ﴿تحلة أيمانكم﴾ [التحريم: ٢] فعلم أن التحريم يمين والرواية المذكورة وهي أتى عليه السلام بلفظ اليمين وإن سلم صحته لكن لا يقاوم ما فهم من ظاهر الآية.

قوله: واحتج به من رأى التحريم مطلقاً أو تحريم المرأة يميناً وهو ضعيف أي احتج بقوله عز وجل: ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ [التحريم: ٢] من ذهب إلى أن تحريم الحلال مطلقاً أو تحريم المرأة يمين وجه الاحتجاج به أن الله تعالى أرشد إلى طريق كفارة اليمين بعد معاتبة نبيه بتحريم ما أحل الله له فعلم منه أن تحريم الحلال يمين وإن لم يكن بلفظ اليمين إذ لو لم يكن يميناً لما فرض عليه كفارة اليمين وهذا الاحتجاج ضعيف لأن وجوب كفارة اليمين في تحريم الحلال لا يدل على أنه يمين لجواز أن يشترك أمور مختلفة في كفارة معينة على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يجوز أن يأتي بلفظ اليمين حين حرم مارية كما روي ذلك عنه وهو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا أقربها بعد اليوم وهذا رد على أبي حنيفة رحمه الله فإنه الذي يرى تحريم الحلال يميناً في كل شيء ومن تبعه قال صاحب الكشاف قد اختلف في حكم تحريم الحلال فأبو حنيفة يراه يميناً في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود بما يحرمه فإذا حرم طعاماً فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية وإن نوى الظهار فظهار وإن نوى الطلاق فطلاق باتن وكذلك إن نوى شنتين أو ثلاثاً فكما نوى وإن قبل نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله ولا يدين في القضاء بإبطال الإيلاء وإن قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو وإلا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يميناً ولكن سبباً في الكفارة في النساء وحدهن وإن نوى الطلاق فهو رجعي عنده إلى هنا كلام الكشاف روى البخاري ومسلم وابن ماجه والنسائي عن ابن عباس قال من حرم امرأته فليس بشيء. وقرأ ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب: ٢١] وفي رواية إذا حرم الرجل امرأته فهي يمين يكفرها وقال: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب: ٢١] والنسائي أنه أثناء رجل فقال جعلت امرأتي علي حراماً قال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا هذه الآية: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله

قوله: (إذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يميناً مع احتمال أنه عليه السلام أتى بلفظ اليمين كما قيل) إذ لا يلزم من وجوب النكاح لجواز اشتراك الأمرين المتغايرين في حكم واحد فيجوز أن يجب الكفارة فيه لمعنى آخر ولو سلم أن هذه الكفارة لا تكون إلا مع اليمين فيجوز أن يكون أقسم مع التحريم فالكفارة لذلك اليمين لا للتحريم والكل ضعيف لما عرفته من أن ظاهر الآية يدل على ما ذكرناه على أن التقدير بدون قرينة قوية لو جوز لارتفع الأمان لأن كل خصم له أن يقدر في الكلام أمراً يتنظم به الكلام مذهبه فلا يوجد إلى الزامه سبيلاً (متولي) أمركم بما يصلحكم المتقن في أفعاله وأحكامه.

قوله تعالى: **وَإِذَا أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا بَيَّنَّ يَوْمَئِذٍ مَا عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُمْ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَهُ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ** (يعني حفصة بنت عمر).

قوله: (تحريم مارية أو العسل) وقد صححه بعضهم إلا أنه لم يكن عند حفصة وإنما هو عند زينب.

قوله: (أو أن الخلافة بعده لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما) أخره لعدم اتصاله بما قبله ظاهراً ولعل مساسه بما قبله لتأديه إلى تطليقه إياها وهذا هو الملازم لتحريم مارية فلا تغفل وإسرار أمر الخلافة ذكره ابن حجر عن الطبراني ولا ينافيه كون الخلافة لعثمان وعلي رضي الله عنهما لأن خلافتهما بعد الشيوخين وأيضاً لا حصر في الكلام ولو سلم الحصر فالمراد خلافة لا تكون فيها منازعة قوله عائشة منعه من الرواية.

قوله: (أي فلما أخبرت حفصة عائشة رضي الله عنهما بالحديث واطلع النبي ﷺ على الحديث أي على إقشائه عرف الرسول عليه السلام حفصة بعض ما فعلت) أي على إقشائه

لك ﴿التحريم: ١﴾ عليك أغلظ الكفارة عتق رقبة قال محيي السنة اختلف أهل العلم في لفظ التحريم فقال قوم ليس هو يمين فإن قال لزوجه أنت علي حرام أو حرمتك فإن نوى به طلاقاً فهو طلاق وإن نوى ظهاراً فهو ظهار وإن نوى عتقاً عتقت وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة وإن قال لعلام حرمت علي نفسي فلا شيء عليه وهذا قول ابن مسعود وإليه ذهب الشافعي وذهب جماعة إلى أنه يمين فإن قال لزوجه أو جاريته فلا تجب الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف أن لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكل يروى ذلك عن أبي بكر وعائشة وبه قال الأوزاعي وأبو حنيفة.

قوله: واطلع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على الحديث على لسان جبريل عن أعلام بعض تكراً قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقيل:

ليس الغيبي سيئاً في قومه لكن سيئ قومه المستغفابي
قوله: ويؤيده القراءة بالتخفيف وجه التأييد إن عرف يستعمل في كثير من كلام العرب بمعنى المجازاة ومنه قولك للمسيء لأعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت ومنه قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ (النساء: ٦٣) وكان جزاء تطليقه إياها وهؤلاء يحتمل ههنا غير معنى المجازاة لتعاوض القرائن بذلك.

قدر المضاف لأنه عليه السلام مطلع على نفس الحديث قبل هذا ويحتمل المجاز اللغوي وكذا قوله عن اعلام بعضه وعلل اعراض اعلامه بالتكرمة ولم يعلل اعلام بعضه ومقتضى التكرم وعدم اعلامه أيضاً ولعل وجه التنبيه على عدم إصابتها في الإفشاء ولما حصل المقصود به أعرض عن اعلام بعض وأما القول بأن ما عرفه حديث الإمامة روي أنه عليه السلام قال لها ألم أقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحاً بالكرامة التي خص الله تعالى بها إياهما وما أعرض عن اعلامه حديث مارية ضعيف أما أولاً فلأن إخبار بعض الأزواج إما حديث الخلافة أو حديث مارية لا كلاهما معاً إلا أن يقال أن أو في قوله أو إن الخلافة النخ لمنع الخلو فقط وأما ثانياً فلأن تعيين الحديث مشكل ولو سلم ذلك فلا يكون ذلك باعثاً الاعلام في الأول والاعراض عنه والأولى أن لا يعين من غير قاطع كما لم يعين في الآية كما قاله المصنف في قصة أكل الشجرة.

قوله: (عن اعلام بعض تكرماً أو جازاها على بعضه بتطليقه إياها وتجاوز عن بعض) وروي أن عمر رضي الله تعالى عنه قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فتزل جبرائيل عليه السلام وقال راجعها فإنها صوامع قوامع وإنما لمن نسائك في الجنة.

قوله: (ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف فإنه لا يحتمل ههنا غيره) أي عرف بعضه من الثلاثي فإنه على هذه القراءة أي التخفيف لا يحتمل ههنا غيره أي غير المجازاة ولا يحتمل معنى العلم إذ العلم تعلق به كله بدليل قوله تعالى اظهره قوله وتجاوز معنى اعرض عن بعض أي لم يجاز بها وهذا يحتمل اعلامه مع عدم المواخذه أو عدم اعلامه أيضاً وإنما قال ويؤيده ولم يقل ولم يدل إذ توافق القراءتين في المعنى ليس بلازم نقل عن الأزهري أنه من قرأ بالتخفيف بمعنى غضب من ذلك وجازى عليه كما تقول للرجل المسيء إليك والله لأعرفن لك ذلك وهو حسن وكذا في الكشف وهو كثير في القرآن وهو مجاز يذكر السبب وإرادة المسبب إذ الجزء لا يكون بدون المعرفة.

قوله: (لكن المشدد من باب إطلاق المسبب للسبب والمخفف بالعكس ويؤيد الأول قوله: ﴿فلما نبأها به﴾ [التحريم: ٣] الآية فإنه أوفق للإسلام) لكن المشدد أي المعنى وإن

قوله: (لكن المشدد من باب إطلاق المسبب على السبب والمخفف بالعكس فإن التعريف مسبب عن المجازاة لأن المجازاة معرفة للمجزئ الذي جوزي عليه ومعنى كون المخفف بالعكس أن معرفة فعل شخص سبب للمجازاة على فعله لا مسبب عنها يؤيد الأول قوله: ﴿فلما نبأها به﴾ قالت من أنبأك [التحريم: ٣] وجه التأييد ظاهر لأن نبأها بمعنى أخبرها به وهذا إنما يناسب التعريف لا المعرفة قال الزجاج من قرأ بالتخفيف معناه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد عرف كل ما أسره والإعراض لا يكون إلا عما يعرفه وتأويله جازي عليه كما تقول لمن تتوعد قد علمت ما عملت وعرفت ما صنعت أي فسأجازي لك عليه ولا تقصد به المعرفة فقط وقال صاحب الكشف من قال عرف بالتخفيف لا يجوز أن يكون بمعنى علم لأنه إذا أعلمه الله فقد أعلمه جميعه

كان واحداً وهو المجازاة^(١) فيهما لكن بينهما فرقاً من جهة أخرى وهو أن المشدد إذ المجازاة بالتطليق مثلاً سبب لتعريفها بالخيانة والمخفف بالعكس إذ المعرفة بجنائيتها سبب لتطليقها لكن كون التطليق سبباً لتعريفها بالجناية إذا لم يوجد التعريف بالمقال وأيضاً التعريف بالجناية تعريف لها بالفعل والمتبادر التعريف باللسان.

قوله تعالى: **إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ** ﴿٤﴾

قوله: (خطاب لحفصة وعائشة رضي الله تعالى عنهما على الالتفات للمبالغة في المعاتبه) هذا ثابت بالرواية لكن لا قطع فيه على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لأن الخطاب أشد عناباً وقد يعكس للتبعد عن ساحة الحضور.

قوله: (فقد وجد منكما ما يوجب التوبة) أشار بهذا إلى أن الجواب محذوف وما ذكر هنا علته القائمة مقامه وحاصله ﴿إِنْ تَوْبَا﴾ (التحريم: ٤) حق لكما ذلك ووجب وما ذكره المصنّف حاصل ذلك وقال ابن هشام هذا كقوله إِنْ تَكْرَمْنِي الْيَوْمَ أَكْرَمْتِكَ أَمْسِ أَيِ الشَّرْطِ لَيْسَ سَبَباً لِلجَزَاءِ بَلْ سَبَبٌ لِلإِخْبَارِ عَنْهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] فالشرط إما سبب للجَزَاءِ نَفْسَهُ تَاماً أَوْ نَاقِصاً أَوْ سَبَبٌ لِلإِخْبَارِ عَنْهُ وَهَذَا ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ﴾ (التحريم: ٤) سبب للإِخْبَارِ عَنْ قَوْلِهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَالْجَزَاءُ هُنَا وَفِي مِثْلِهِ سَبَبٌ لِنَفْسِ الشَّرْطِ وَالْمَصْنُفُ مَالٌ إِلَى أَنَّ الْجَوَابَ مُحذُوفٌ تَطْبِيقاً لِلْكَلامِ عَلَى الْمَشْهُورِ وَهُوَ كَوْنُ الشَّرْطِ سَبَباً لِنَفْسِ الْجَزَاءِ وَلَمْ يَجِءْ قَلْباً كَمَا لَأَنَّ إِضَافَةَ التَّنْثِيَةِ إِلَى التَّنْثِيَةِ قَبِيحَةٌ عِنْدَ الْفَصَحَاءِ وَالْمِيلُ أَسَدٌ إِلَى الْقَلْبِ لِأَنَّهُ كَالْمَلِكِ فِي الْجَسَدِ فَإِذَا مَالٌ عَنِ الْوَاجِبِ مَالٌ سَاطِرُ الْأَعْضَاءِ أَيْضاً.

قوله: (وهو ميل قلوبكما عن الواجب) إذا عدي مال يعن يكون بمعنى الاعراض

وإنما معناه جازى عن بعض ولم يجاز عن بعض نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧] أي يجازاه الله.

قوله: خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات التثنية من الغيبة إلى الخطاب فإنه سبحانه ذكر حفصة أولاً في قوله إلى بعض أزواجه وفي قوله: ﴿قَالَتْ﴾ [التحريم: ٣] بلفظ الغيبة ثم ذكرها ثانياً بلفظ الخطاب حيث قال: ﴿إِنْ تَوْبَا﴾ [التحريم: ٤] وفي التعبير الثاني تغليب المخاطب على الغائب أيضاً إن كانت المخاطبة حفصة وحدها وإن كانت عائشة حاضرة عند حفصة ووجه الخطاب إليهما لا يكون ثمة تغليب.

قوله: وهو ميل قلوبكما عن الواجب معنى صغت مالت من صفا يصغو ويصغى صفواً أي مال ومنه قولهم صغت النجوم إذا مالت للغروب والمعنى فقد مالت قلوبكما عن الواجب في

(١) فهو مجاز مرسل فيهما كما أشرنا إليه.

معنى صغت فإن قيل لم لم يفسر بميل قلوبكما إلى الحق أو إلى الواجب حتى يصلح كونه جواباً من غير احتياج إلى تقدير فإنه حيثلذ يكون بمعنى الرغبة فالتوبة تكون سبباً للرغبة إلى الواجب والحق قلنا سوق الكلام يقتضي بيان جنايتهما وقراءة ابن مسعود زاعت تؤيد ما ذكر وتعرض التوبة بدون ما يوجب التوبة لا يناسب ما قبله وأيضاً هذا غير متعارف إذ المتعارف ذكرها مع ما يوجبها.

قوله: (من مخالفة الرسول ﷺ يحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه) من مخالفة الرسول بالخاء المعجمة واللام والقاف موافقة أخلاقه والتخلق بأخلاقه بيان الواجب قوله يحب الخ متعلق بالمخالفة وهو من جوامع الكلم إذ كل ما يحبه من الواجبات بناء على حملة على الفرد الكامل وكل ما كرهه فتركه إما واجب أو مندوب فالمراد هو الفرد الكامل أيضاً وبهذا الاعتبار يحسن أن يكون بياناً للوجوب والفاء تحريف من الناسخ.

قوله: (وإن تنظروا عليه بما يسهو وقرأ الكوفيون بالتخفيف) بما يسهو هذا القيد

مخالصة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وإنما فسر رحمه الله جواب الشرط بقوله فقد وجد منكما ما يوجب التوبة لأن قوله: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم: ٤] لا يصح أن يكون جواباً للشرط المذكور إلا بهذا التأويل لأن الشرط يجب أن يكون سبباً للجزاء والتوبة ههنا ليس سبباً لميل قلوبهما عن الواجب بل الأمر بالعكس فإن الذنب موجب التوبة وسببها فالمذكور في حيز الجزاء ليس جزءاً في الحقيقة بل هو دليل الجزاء فكأنه قيل إن توباً إلى الله فذلك لأن فيكما ما يوجب التوبة وهو في كون الواقع في حيز الجزاء دليل الجزاء مثل قوله:

وإن تفسق الأنعام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

وقال بعضهم التقدير أن توباً فلتوبتكما موجب وسبب كقوله من كان عدواً لجبريل فإنه نزله فلعمادته موجب وسبب وقال ابن الحاجب في الأمالي جواب الشرط ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم: ٤] على الإخبار كقولهم إن أكرمتمني اليوم فقد أكرمتمك أمس فالإكرام المذكور شرط وسبب الإخبار بالإكرام الواقع من المتكلم لا نفس الإخبار لأن ذلك غير مستقيم لوجهين أحدهما أن الإكرام الثاني سبب للأول فلا يستقيم أن يكون سبباً عنه وثانيهما أن ما في حيز الشرط في معنى المستقبل وهذا ماضٍ وعلى ما ذكرنا يحمل الجواب في الآية على أن توباً إلى الله يكن سبباً لذكر هذا الخبر وهو قوله: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم: ٤] أي وجد منكما ما يوجب التوبة فإن قلت الآية سبقت في التحريض على التوبة فكيف تجعل سبباً لذكر الذنب قلت ذكر الذنب متوياً منه لا ينافي التحريض ولا سيما الذنب مشهور المعنى أن توباً إلى الله يعلم براءتكم من إثم هذا الصغو لأن الخبر بالصغو سبب لذكره والذكر متوياً عنه سبب العلم براءتهما من إثم واستغنى عنه بسبب السبب ولو جعل الجواب محذوفاً لجاز تقدير أن توباً إلى الله يمح إثمكما ثم قيل فقد صغت قلوبكما جواباً لتقدير سؤال سائل عن سبب التوبة الماحية إلى هنا كلام ابن الحاجب قال الطيبي الفاء مائة لأن موقع الاستئناف بين الجملتين خلو عن العاطف وأقول الفاء لا يمنع ذلك بل هو واقع في كثير من الجمل المستأنفة منها قولك: اعبد ربك فإن العبادة حق له وإن شئت فعليك بمطالعة علم البلاغة في باب الفصل والوصل وقال أبو البقاء جواب الشرط محذوف أي فذلك واجب ودل عليه قوله: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم: ٤] لأن ميل القلب سبب للذنب.

مستفاد من لفظة على والمفهوم من كلام المصنف أن التظاهر واقع منهما حيث قال وهو ميل الخ ولا يخفى أن ميل القلوب عن الواجب تظاهر عليه بما يسوؤه فالمراد به التظاهر بعد ذلك بقرينة قوله: ﴿إِنْ تَوْبًا﴾ [التحريم: ٤] الخ كلمة الشك في الموضعين بالنظر إلى ما في نفس الأمر كما مر في نظائره مراراً.

قوله: (فلن يعدم من يظاھره من الله والملائكة وصلاح المؤمنين فإن الله ناصره) فلن يعدم من باب علم قوله من يظاھره مفعول يعدم قوله من الله بيان له ويحتمل أن يكون فاعل يعدم ولو اكفى بقوله فإن الله ناصره الخ يدون ذكر قوله من الله الخ لكفى ناصره معنى موليه.

قوله: (وجبريل رئيس الكرويين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه وأعوانه) الكرويين وهم سادات الملائكة كجبرائيل وإسرافيل من كرب إذا قرب قال ابن مكنوم بفتح الكاف وتخفيف الراء قرينه خبر جبريل قدر خبراً لجبريل يناسبه ولم يقدر مولا بمعنى ناصره كما هو مقتضى العطف لأن كونه ناصره مع الله لا يخلو عن كدر وكذا الكلام في قوله اتباعه ولا يبعد أن يكون الخبر مولا في الكل لكنه يتنوع بالإضافة فبالإضافة إليه تعالى يكون بمعنى الناصر وبالإضافة إلى جبريل يكون بمعنى القرين وبالإضافة إلى الصلحاء يكون بمعنى الاتباع نظيره لفظ الصلاة^(١).

قوله: (متظاهرون) بمعنى المظاهرون فالفاعل بمعنى المفاعلة أي معاونونه والتعبير بالتفاعل لتشارك بعضهم بعضاً في إعانة الرسول عليه السلام ولم يلتفت إلى كون ظهيراً خيراً لأنه مع كونه خلاف الظاهر يغوت المبالغة التي ذكرها المصنف وأشار بقوله متظاهرون إلى أن ظهيراً فعيل بمعنى الجمع لأن فعلاً يستوي فيه الواحد والجمع كما ذكره الجوهري والقرينة على كونه جمعاً كونه خبراً للجمع.

قوله: (وتخصيص جبريل لتعظيمه) لأن التخصيص كما يكون بعد ذكر العام يكون قبل ذكر العام وتوسط الصالح بين جبريل والملائكة لأنهم ظهير جبريل إلا أنه ظهير له عليه السلام بالتأييدات الإلهية وهو ظهير معنوي والصلحين ظهير له عليه السلام في تدبير أمر الرسالة وتمشية أحكامها إلى يوم الدين وما رفع إلى النبي عليه السلام من أن المراد بصلالح المؤمنين أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما أمثلة للمراد بها لا تخصيص له^(٢) غاية الأمر أنهما لكونهما وزيريه فرد أن أكملان من المعينين وهذا

قوله: وصلاح المؤمنين فسر رحمه الله صالح وهو مفرد بالجمع بناء على أن المراد منه الجنس قال صاحب الكشاف في تفسير صالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحاً ويجوز أن يكون أصله صالحو لمؤمنين بالواو فكتب بغير واو كما في التلغظ فإن الواو ساقط في اللفظ فسقط في الكتابة موافقاً للفظ.

(١) لكن هذا بناء على أن المولى مشترك اشتراكاً معنوياً كالصلاة وفيه تأمل.

(٢) جواب لأبي السعود.

لا يقتضي التخصص كيف لا وقد روي أن العلماء ورثة الأنبياء الورثة تأييدهم أمر الرسالة وتبليغ أحكام الشريعة .

قوله : (والمراد بالصالح الجنس ولذلك عمم بالإضافة) الإضافة للاستغراق وهذا هو المتبادر من عبارة الكشف وما ظهر من قول المص أن المراد بالصالح الجنس والمراد العامة الشاملة للقليل والكثير فبالإضافة كان عاماً بحمل الإضافة على الاستغراق ولا حاجة إلى ذلك لأنه بحمل الإضافة على الاستغراق يحصل المرام كما حمل على الاستغراق في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خَسْرٍ﴾ [العصر : ٢] والإضافة كلالام والملائكة اللام للاستغراق فتتناول السماويات والأرضيات وفي الكشف والملائكة مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم والظاهر منه أنه حملهم على السماويات وأن جبريل غير داخل فيهم إذ تقدمت نصرته الله وجبريل وصالح المؤمنين كما في الكشف وقد عرفت أن المص لم يرض به بل قدر خير جبريل قرينة وخير صالح المؤمنين أتباعه لأن نصر الله تعالى أغنى عن ذلك إلا أن يقال في نصرهم ما قيل في نصر الملائكة فحيثئذ مآل كلام المص الحمل على النصرة فيكون معنى ذلك بعد نصرته الله تعالى وناموسه وصالحه المؤمنين فوج مظاهر لهم كأنهم يد واحدة على من يعاديه فإذا يفيد تظاهر امرأتين حفصة وعائشة رضي الله تعالى عنهما على من هؤلاء ظهراؤه فأتضح من هذا البيان أن جواب أن تظاهرا فلا يفيد تظاهرا كما لأن الله ناصر الخ فقوله : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مَوْلَاهُ﴾ [التحريم : ٤] الآية علة الجزاء القائمة مقامه وهذا أظهر مما ذكره المصنف وإن كان مآله ما ذكرناه .

قوله : (وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به) أي بعد

قوله : بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به يعني موقع بعد ذلك في هذا التركيب موقع ثم في قوله : ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد : ٩٠] في إعطاء معنى التفاوت في العربة نص عليه صاحب الكشف في قوله تعالى : ﴿عَتَلْ بَعْدَ ذَلِكَ زُنَيْمٌ﴾ [القلم : ١٣] فيرد عليه أن يكون نصرته الملائكة أعظم من نصرته الله تعالى وهو محال فأشار رحمه الله إلى جوابه بقوله من جملة ما ينصره الله به يعني أن وجوه نصرته الله كثيرة وأعظمها نصرته بالملائكة فإن مظاهرة الملائكة من جملة نصرته الله قال صاحب الكشف فإنه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه قوله لفضلهم على جميع خلقه إشارة إلى مذهبه من أن الملائكة أفضل من البشر أقول تعليله هذا لا وجه له لأنه لا يخلو إما أن يكون جبرائيل وصالح المؤمنين عطفاً على محل وأن اسمها أو يكون مبتدأ والملائكة معطوفاً عليه وظهير خير الجميع وهو واحد في معنى الجمع ذكره أبو البقاء فيلزم من الأول أما نقض معنى الحصر المستفاد من تعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل لأنه لا يقال زيد هو المتطلق وعمرو بل يقال لا غير نص عليه صاحب المفتاح وأما هدم قاعدته من أن الملائكة أفضل من البشر فإنه قال وجبريل رأس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفرداً له من الملائكة تعظيماً له لأن اعتبار التعظيم حيثئذ من اقتران المعطوف بالمعطوف عليه ومن التخصصي بالذكر من بين الملائكة فيكون صالح المؤمنين جبريل والملائكة دونهم ويلزم على الثاني نقض معنى الحصر أيضاً لكونه حيثئذ من قبيل زيد هو المتطلق

هنا مستعارة للتراخي الرتبي فيفيد تعظيم مظاهرتهم من جملة ما ينصره الله به أي جميع النصرة من الله تعالى حقيقة وإسناد النصر إلى ما سوى الله تعالى مجاز لكونه سبباً لنصر الله تعالى وآلة له فنصر الله تعالى بواسطة الملائكة أعظم من نصره تعالى بسبب غير الملائكة فلا إشكال بأن نصر الله تعالى أعظم من نصرهم لكن نصر الله بواسطة جبريل داخل في نصره تعالى بالملائكة أو خص به عام الملائكة ونصرهم وهذا وإن كان في شأن امرأتين لكن الحكم عام لمن يعاديه مطلقاً.

قوله تعالى: عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مِثْلَ مَا مُوسَىٰ قُوتِلَتْ قُوَّتُهُ فَجَبَّتْ عَيْدَتُهُ فَجَاحَتْ يُجِبَّتْ وَأَكْبَرَا ﴿٥﴾

قوله: (عسى ربه) قد مر غير مرة وسيجيء قريباً أن صيغة الاطماع جريا على عادة المملوك.

قوله: (على التغليب) أي تغليب الغائب على المخاطب إذ المخاطب أولاً شتان منهن والتقدير إن طلقكما أو غيركما.

قوله: (أو تعميم الخطاب) إلى جميع الأزواج فيكون من قبيل تلوين الخطاب من شتين إلى الكل فمآل الوجهين واحد لكن لا تغليب في الثاني كما لا تلوين الخطاب في الأول.

قوله: (وليس فيه ما يدل على أنه لم يطلق حفصة) جواب سؤال مقدر.

قوله: (وإن في النساء خيراً منهن لأن تعليق طلاق الكل لا يتنافى تطبيق واحدة) أي الكل المجموعي من حيث المجموع إذ مدلول صيغة الجمع الكل المجموعي إلا إذا كان صارفاً عنه فلا إشكال بأنه إذا كان المراد الكل الإفرادي يدل على عدم تطبيقها.

وعمره منطلق ويكون تقديم صالح المؤمنين على الملائكة للتشريف والنحوي وإن قال بعدم الترتب في الواو لكن صاحب المعاني يراعي النظم والتقديم فحينئذ يصلح الآية لأن يتمسك بها أهل السنة في مسألة الأفضلية ويلزم منه هدم قاعدة الاعتزال أيضاً في هذه المسألة فعلى هذا يكون لفظة بعد ذلك لبيان تفاوت نصرة المخلوق من نصرة الخالق على عكس قوله: ﴿ثم الذين آمنوا﴾ [البلد: ١٧] فإن ذلك في الترتب وهذا في التنزل ويكون العطف من عطف الجملة على الجملة قال الطيبي وإنما عدل على هذا من عطف المفرد إلى عطف الجملة ليؤذن بالفرق وإن نصرة الله هي النصرة في الحقيقة وأنه تعالى إنما ضم إلى نصرته المظاهرة بجبريل وبصالح المؤمنين وبالملائكة للتعميم تطبيقاً لقلوب المؤمنين وتوقيراً لجانب الرسول وإظهاراً للآيات البينات كما في يوم بدر وحنين ونحوه قوله تعالى: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾ [المؤمنون: ١٥] أي ثم إنكم بعد تغلبكم في تلك الأطوار التي تخرق العقول تموتون ويسلب منكم ذلك الكمال الذي من صفته أن يصاب من النقص لقوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤].

قوله: لأن تعليق طلاق الكل لا يتنافى تطبيق واحدة لتعليل لعدم دلالة الآية على أنه عليه الصلاة والسلام لم يطلق حفصة وقوله والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه لتعليل لعدم دلالتها على أن في النساء خيراً منهن على طريق اللف والنشر.

قوله : (والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه) هذا تعليل لقوله وإن في النساء خيراً منهن كما أن قوله لأن تعليق طلاق الكل الخ تعليل لقوله لم يطلق حفصة الخ على طريق اللف والنشر المرتب والمراد بالمعلق بتبدل خيراً منهن بما لم يقع وهو طلاق مجموعهن لا يجب وقوعه فلا يلزم وجود نساء في ذلك العصر خيراً منهن كأن لم يرض ما في الكشف من أنه إنطلقن عليه السلام لإيذانهن إياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الصفة مع الطاعة له عليه السلام والنزول على رضاه خيراً منهن أو مآله ما لخصه المصنف وإن سلم الدلالة على ذلك كما بينه الزمخشري لم يبعد وأيضاً لو سلم الدلالة على عدم تطبيق حفصة رضي الله تعالى عنها وأريد أن تطليقها كلا تطبيق لرجوعه عليه السلام عنه فلم يوجد تطبيق يؤدي إلى التبدل لكان أبعد من الاشتباه إذ المتبادر الكل الإفرادي .

قوله : (وقرأ نافع وأبو عمرو أن يبدله بالتشديد) هكذا في بعض النسخ وهو الصواب وفي بعضها بالتخفيف وهو سهو من قلم الناسخ .

قوله : (مقرات) معنى مسلمات والإسلام هو الانقياد في اللغة والإقرار باللسان هو الانقياد الظاهري .

قوله : (محصنات) معنى مؤمنات إذ ركن الإيمان الأعظم هو التصديق ولا يعتد به ما لم يكن بالاخلاص وقدم الإسلام لأنه دليل على التصديق وأمانة له وإن جاز التخلف عنه كإسلام المنافقين .

قوله : (أو متقادات مصدقات) أو متقادات أعم من مقررات .

قوله : (مصلبيات أو مواظبات على الطاعة) مصلبيات طاعة مخصوصة أم العبادات ولذا قدمها .

قوله : (تأثبات عن الذنوب) ذكرها في الوسط لأن التوبة دون الإيمان والإسلام وإن كان مقدماً لكونها تخلية كما في أكثر المواضع .

قوله : (متعبدات أو متذللات لأمر الرسول عليه السلام) متعبدات فالفرق بينها وبين فائتات بحسب المفهوم والتعبير بالتعبد إذ العبادة إنما يعتد بها إذا كانت بالتكفل وهو بمحافضة الحدود وكذا الكلام في التذلل وهذا مغاير للفقنوت بالذات والعبادة غاية التذلل كما مر في الفاتحة .

قوله : (صائمات سمي الصائم سائحاً لأنه يسبح في النهار بلا زاد) أي استعارة أصل السياحة الذهاب في الأرض للعبادة وشبه الصائم بأهل السياحة للعبادة في عدم الزاد نهائراً أشار إليه بقوله لأنه يسبح في الخ .

قوله : (أو مهاجرات) سمي الهجرة بالصوم استعارة لأنها تشبه الصوم في ترك المألوف أو الهجرة من المعاصي إلى الطاعة إذ المهاجر من هاجر إلى الله ورسوله وهذا المعنى أنسب للمقام .

قوله: (وسط العاطف بينهما لتنافيهما) أي ترك العطف فيما قبلهما وذكر هنا فلا بد من نكتة أما الأول فلأنها صفات يمكن اجتماعها في ذات واحدة بدون ملاحظة التبعية بينها وأما الثاني فلأنهما صفتان متقابلتان فلا يمكن اجتماعهما في ذات واحدة في وقت واحد وبالنظر إلى ذلك المناسب العطف بأو الفاصلة لكن بالنظر إلى النوع يمكن اجتماعهما إحداهما في بعض أفرادها والآخرى في بعض آخر من أفرادها ولو عطف بأو بالنظر إلى فرد واحد لكان له وجه أشار به إلى أن الواو عاطفة وليست واو الثمانية^(١) كالواو في قوله تعالى: ﴿وَرِثَانَهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] وتفصيله في المعنى وذكر فيه أن الواو واو الثمانية والصواب أن هذه الواو وقعت بين صفتين على تقسيم لمن اشتمل على جميع الصفات السابقة فلا يصح إسقاطها إذ لا يجتمع الثبوتية والبكارة وواو الثمانية^(٢) عند القائل بها صالحة للسقوط.

قوله: (ولأنهما في صفة واحدة إذ المعنى مشتملات على الثبوت والابكار) أي بمعنى أن المراد أحد هذين الوصفين فالعطف للدلالة على ذلك وليس المراد أنه من قبيل حلو حامض حتى يقال هذا يقتضي ترك العطف كقوله تعالى: ﴿وَالرَّكْعَ السُّجُودَ﴾ [البقرة: ١٢٥] وعدم العطف بأو قد مر وجهه.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَكِيلٌ يَغْلظُ شِدَادُ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾

قوله: (يترك المعاصي وفعل الطاعات) قدمه إذ التخلية متقدمة على التحلية.

قوله: (بالنصح والتأديب وقرىء أهلوكم عطفاً على واو قوا فيكون أنفُسكم أنفس القبيلتين على تغليب المخاطبين) عطفاً على واو قوا أي على الضمير المرفوع المتصل

قوله: وسط العاطف بينهما لتنافيهما قال صاحب الكشف وسط العاطف بين الثبوت والابكار لأنهما صفتان متقابلتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو قال صاحب الانتصاف ذكر أبو عمرو بن الحاجب أن القاضي عبد الرحمن النسائي كان يعتقد أن الواو واو الثمانية قال ابن الحاجب فذكر القاضي ذلك يوماً مستحسناً بحضرة أبي الجواد التحوي المقرئ فيبين أنه واهم في معناها من هذا القسم وذكر له نحو ما ذكره الزمخشري من دعاء الضرورة إليها واستحالة المعنى بعدمها وواو الثمانية لا يرد إلا حيث لا حاجة إليها إلا الإشعار بتعام عدد السبعة فقال أرشدتنا يا أبا الجود.

قوله: فيكون أنفُسكم أنفس القبيلتين على تغليب المخاطبين أي على تغليب المخاطبين

(١) ذكر قاضي الفاضل أن الواو في آية التحريم واو الثمانية وتسبح باستخراجها وقد سبقه إلى ذكرها الثعلبي كذا في معني اللبيب.

(٢) وزعم القائل بها أن العرب إذا عدوا قالوا ستة وثمانية إيداناً بأن السبعة عدد تام وإن ما بعدها عدد مستأنف كذا في المعني.

وحسن العطف بدون تأكيد لوجود الفاصل فالظاهر حينئذ كون التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم لكن الأمر ليس كذلك لأن المعطوف مقارن في التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنفسكم وأهلوكم أنفسهم بأن بقي كل نفسه عما يريدها فقدّم الأنفس وغلّب أنفس المخاطبين على أنفس الأهل فشمّلهم الخطاب جميعاً والتغليب في كم وفي ﴿قوا﴾ [التحريم : ٦] أيضاً كذا فهم من الكشف وأشار المصنف إلى ذلك بقوله : فيكون أنفسكم الخ تجاوزاً لله تعالى عنا وعنه .

قوله : (ناراً تنقد بهما انتقاد غيرهما بالخطب) ناراً تنقد بهما أي تشتعل بهما أشار به إلى أن الوقود بالفتح ما يوقد به النار كالخطب وبالضم مصدر والمراد بالناس الكفار وبالحجارة الأصنام أو الذهب والفضة نكر ناراً لعدم معهوديتها قد مر تفصيله في البقرة قوله إيقادها أي كإيقادها بالخطب إشارة إلى أنها لعظم لهيها تنقد بما لا تنقد غيرها وفيه تهويل شأنها فتتوّن ناراً للتهويل .

قوله : (بل أمرها وهم الزبانية) من الولاية معنى عليها فهم موكلون^(١) عليها وهم الزبانية يجرون أهل النار إلى جهنم على مراتبهم واحدها زبنيّة كعفوية من الزبن وهو الدفع وهو في الأصل الشرط وهم تسعة عشر ملكاً أو صنفاً من الملائكة كما فصل في سورة المدثر (غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة) .

على الغائبين في ضمير الخطاب في أنفسكم إذ المعنى حينئذ قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم ومقتضى الظاهر أن يقال قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم عدل عن الظاهر وجمع أنفس القبيّلتين في ضمير الخطاب على التغليب وإنما جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير تأكيد بمنفصل للفصل بأنفسكم قال صاحب الكشف فإن قلت أليس التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم قلت لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وأنفسهم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته فجعلت ضميرها معاً على لفظ المخاطب إلى هنا كلامه قيل معنى كلامه أنه لما كان الأمر للفاعل المخاطب بالصيغة وللغائب باللام كان يخيّل أن التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم ناراً فيكون من عطف الجملة على الجملة وأجاب بأن ليس التقدير كذلك لأنه لما أريد الوقاية من المخاطب والغائب غلب جانب المخاطب على الغائب وقدم المفعول قال الطيبي معنى جوابه أن أهلوكم الذي هو معطوف على وأوقوا في التقدير مقارن للواو وأنفسكم الذي هو المفعول يقدر بعد أهلوكم لأن أصل الكلام قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم وأنفسهم فلما وقع الفاصل بين الواو وأهلوكم بأنفسكم استغنى عن أنتم لصحة العطف على الضمير بدون التأكيد لوجود الفصل ولما غلب في المفعول الذي هو أنفسكم المخاطب على الغائب اكتفى بأنفسكم عن أنفسهم .

(١) فلا يكون الاستعلاء الحسي مراداً بل استعارة تبعية أو تمثيلية .

قوله: (فيما مضى) قيد ما أمرهم ولا يعصون على التنازع ولا يعصون لحكاية الحال الماضية.

قوله: (فيما يستقبل) على التنازع أيضاً على ظاهره.

قوله: (أو لا يمتنعون عن قبول الأوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به) فحينئذ لا يعصون للاستمرار وليس شائبة التكرار حينئذ أصلاً إذ المراد بالجملة الأولى قبول أوامره والتزامهم بلا إباء وإنكار ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به بدون تناقل وتوان وهذا هو المذكور في الكشف وعدم التكرار في الوجه الأول بملاحظة فيما مضى في الجملة الأولى وفيما يستقبل في الثانية أخرى لأن فيه ارتكاب مجاز لأن معنى لا يعصون الله ما أمرهم أي يفعلون أمره تعالى ومعنى قبول الأوامر وعدم الامتناع عنها معنى مجازي له بذكر المسبب وإرادة السبب وللحقيقي مساغ بتقدير فيما مضى وفيما يستقبل وفي الأول مجاز في ﴿لا يعصون﴾ [التحريم: ٦] قوله ما أمرهم بدل اشتغال من الله والظاهر أن ما موصولة في الموضعين وإن جعلت مصدرية فالمصدر المنسبك منه يراد به الحاصل بالمصدر فيتحد مع الموصولة وخطاب المؤمنين بوقاية أنفسهم عن النار لا يقتضي خلود عصاة المؤمنين في جهنم ومشى الزمخشري هنا على مذهب الاعتزال والتوفيق من الله الملك المتعال وقيل إنه من الطرد والعكس وهو أن يكون في كلامين مقدر منطوق أحدهما مفهوم الآخر وبالعكس وهذا هو الأخرى بالاعتبار إذ التكرير لأجل التأكيد من شعب البلاغة قبل وهنا بحث وهو أن الجار والمجرور هنا ليس من القرآن والتنازع في مذكور لا في مقدر والمقدرات القرآنية ليس منه كما تقدم في سورة الفاتحة وما وقع في التسهيل من أن نحو ما قام وقعد إلا زيد من التنازع عند الكسائي لا يقتضيه لأن فيه ما يقوم مقام المقدر وما نحن فيه ليس كذلك فليحرر فإنه من المباحث المهمة انتهى والمقدرات القرآنية وإن لم تكن من القرآن لكنها من مدلولات القرآن فيجري فيه التنازع ولنا رسالة مستقلة في بيان مقدرات القرآن.

قوله تعالى: يَكَايِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْتِدُوكَ الْيَوْمَ إِلَّا مَجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

قوله: (أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار) أي القول مقدر إذ لا يربط بدونه قوله عند دخولهم النار أي أن اليوم عبارة عن ذلك على أن اللام للعهد وكذا ما بعد دخولها وقبله فالأولى إطلاق اليوم يوم القيامة.

قوله: (والنهي عن الاعتذار لأنهم لا عذر لهم أو العذر لا ينفعهم) لا عذر لهم وهو الراجح لأن الوجه الثاني يوهم أن لهم عذراً لكن لا ينفعهم وليس كذلك والنهي عن الاعتذار لا يقتضي اعتذارهم لقوله تعالى: ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ [المرسلات: ٣٦] فلا عذر لهم لا حقيقة ولا صورة.

قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نَوْمَهُمْ يَسْعىٰ بَيْنَهُمْ وَيُقَالُونَ رَبُّنَا أَتَمَّ أَنْوَمَنَا وَعَفُّرًا لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

قوله : (أي بالغة في النصح وهو صفة الثابت فإنه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الإسناد المجازي مبالغة) كان النصح من الثابت بلغ مبلغاً في القوة والخلوص بحيث يسري إلى صفته التي هي التوبة وهذا قريب من التجريد.

قوله : (أو في النصيحة وهي الخياطة كأنها تنصح ما خرق الذنوب) أو في النصيحة عطف على النصح أي بالغة في النصيحة قوله كأنها الخ إشارة إلى أن الكلام استعارة تشبيه المعقول بالمحسوس شبه التوبة الخالصة بالخياطة وذكر اسم المشبه به وأريد المشبه وبواسطة هذا التشبيه شبه بالخياط وهو المراد بالنظم.

قوله : (وقرأ أبو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور أو النصيحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح أو تنصح نصوحاً) ذات نصوح أي على تقدير المضاف فيرجع إلى قراءة نصوحاً بفتح في الوجهين أو تنصح نصوحاً فيكون مفعول مطلق حيثل والجملة صفة توبة على أنه مجاز في الإسناد ويفيد الاستمرار دون الأول.

قوله : وهو صفة الثابت قال الراغب النصح تحري فعل أو قول فيه صلاح قال تعالى : ﴿لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم﴾ [الأعراف : ٧٩] وقال تعالى : ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ [الأعراف : ٢١] فهو من قولهم نصحت له الود أي أخلصت له وناصح العسل خالصه أو من قولهم نصحت الجلد خلة والناصح الخياط والنصاح الخيط وقوله تعالى : ﴿توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾ [التحريم : ٨] من أحد هذين إما الإخلاص وأما الأحكام يقال نصوح ونصاح كذهوب وذهاب قال :

أحببت حباً خالطته نصيحة

قال صاحب الكشف والنصح صفة التائبين وهو أن يتصحوا بالتوبة أنفسهم قياتوا بها على طريقته متدركة للفرطات ماحية للسينات وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مفتحين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح إلى أن يعود اللبث في الضرع موطنين أنفسهم على ذلك قيل قوله لا يعودون في قبيح من القبائح إشارة إلى مذهبه لأن عندهم أن التوبة عن بعض المعاصي مع الإصرار عن بعض غير صحيح.

قوله : أو في النصيحة وهي الخياطة وفي المطلق نصيحة الثوب خياطته والنصاح الخياط أي توبة تدلو خروكك في دينك فهي استعارة.

قوله : تقديره ذات نصوح يعني على تقدير كونه مصدراً انتصابه إما على أنه صفة التوبة فيكون التقدير ذات نصوح أو على أنه مفعول مطلق فلعله الناصب له محذوف أو على أنه مفعول له أي توبوا نصوحاً لأنفسكم أي لأجل نصوح.

قوله: (أو توبوا نصوحاً لأنفسكم) فيكون مفعولاً له على أنه علة تحصيلية أخرى لأنه لا يفيد كون نفس التوبة نصوحاً فيفوت المبالغة.

قوله: (ووستل علي رضي الله تعالى عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال أي الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية) عن التوبة أي عن التوبة النصوح أو عن التوبة الكاملة وكما لها وهي المختار عند الخواص فلا يتأني تحقيق أصل التوبة بالندم والعزم على أن لا يعود عند أهل السنة كما فصل في الكتب الكلامية ولكن لما كان نفع التوبة موقوفاً على قضاء الفرائض الفائتة ورد المظالم واستحلال الخصوم عدها رضي الله عنه من أركان التوبة مبالغة وأما تربية النفس بالطاعة أي بالطاعة النافلة فلكمال تهذيب النفس المتلوثة بأوساخ المعصية حتى تستلذ بالعبادة مستقيحة بالسيئة وعن هذا قال رضي الله تعالى عنه وأن تربي نفسك الخ فعلم أن المراد بإعادة الفرائض قضاؤها وقيل وإعادة الفرائض أن يقتضي منها ما وقع في زمان معصيته كشارب الخمر يعيد صلاته قبل التوبة لمخامرته للنجاسة غالباً انتهى وضعفه لا يخفى إذ حينئذ يكون الكلام ساكتاً عن قضاء الفوائت مطلقاً صلاة أو صوماً أو غيرهما وما ذكره داخل في هذا العموم إن كانت فاسدة وإلا فلا غاية الأمر أنه عبر عن القضاء بالإعادة مجازاً إذ الإعادة يستلزم القضاء.

قوله: (ذكره بصيغة الإطعام جرياً على عادة الملوك) مع أن المقام بحسب الظاهر مقام الجزم والإطعام بكسر الهمزة وصيغته لعل وعسى جرياً على عادة الملوك فإن عاداتهم ذكر صيغة الإطعام والترجي في مقام الجزم للتعاظم ونزول القرآن على محاورات العرب فالظاهر أن المراد ملوك العرب فإنهم أرباب البلاغة وأصحاب البراعة دون غيرهم قال في سورة آل عمران ولعل وعسى في أمثال ذلك دليل على عزة التوصل إلى ما جعل خيراً له وهذا أولى مما ذكره هنا.

قوله: (وإشعاراً بأنه تفضل والتوبة غير موجبة وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء) وإشعاراً فيه تنبيه على أن الترجي والطمع من المخاطب وفي الأول^(١) من المخاطب أيضاً لكن على عادة الملوك قوله وإن العبد ينبغي الخ صريح فيما قلنا فالأولى أو

قوله: ذكر بصيغة الإطعام جرياً على عادة الملوك فإن من عاداتهم أن يجيئوا بعسى ولعل في مواقع القطع والبت دلالةً منهم ويجوز أن يكون ذلك تعليماً للعباد بأن يكونوا على تردد بين الخوف والرجاء ولا يأمنوا عن وبال ما فرط منهم قبل التوبة اعتماداً لتوبتهم ويؤيد الوجه الأول وأنه في معنى البت قراءة ابن أبي عيلة ويدخلكم بالجزم عطفاً على محل عسى أن يكفر كأنه قيل توبوا إلى الله يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات.

(١) وفي الكشف إطعام من الله تعالى لعباده فالظاهر أن الطمع من المخاطب في الوجهين تأمل.

إشعاراً بأو الفاصلة إذ جمع المعنيين مشكل ويؤيده اكتفاؤه بالوجه الثاني في قوله تعالى : ﴿لعلكم تتقون﴾ [الأعراف : ١٧١] (طرف ليدخلكم).

قوله : (عطف على النبي عليه السلام إحماداً لهم وتعريضاً لمن ناوهم) أي جعلهم محمودين وسعيهم مشكورين وهذا هو الظاهر لأن فيه تصريحاً بعدم خزيهم مع التعريض المذكور ومعنى ناوهم عاداهم من الكفار دون عصاة المؤمنين كما زعمه الزمخشري فإن لهم خزيًا أبدياً بخلاف عصاة الموحدين فإن خزيهم منقطع فهو كلا خزي.

قوله : (وقيل مبتدأ خبره نورهم الآية أي على الصراط) وقيل مبتدأ أي والذين آمنوا مبتدأ والواو ابتدائية لا عاطفة مع أنها الأصل حسبما أمكن وهذا وجه الضعف أيضاً وعلى الأول نورهم مبتدأ خبره يسمى وفيه تخصيص سعي النور بالمؤمنين وفي الأول عام لهم وللمنبي وهذا النور متولد من المعارف الإلهية والأخلاق الفاضلة والأعمال المرضية ولا يبعد أن يكون تلك المعارف والأخلاق والأعمال أنواراً بعينها في النشأة الأخرى بين أيديهم أي قدامهم ولعل التخصيص بهما إذ الانتفاع بالنور إنما كان بالسعي في أمامهم وبالسعي^(١) في إيمانهم يكون الانتفاع تاماً واكتفى بالإيمان عن اليسار أو السعي في الإيمان يكفي.

قوله : (إذا اطفئ نور المنافقين) وهذا النور حاصل لهم أولاً بسبب إقرارهم ثم زال لعدم تصديقهم.

قوله : (وقيل تنفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلاً) أشار به إلى أن النور اسم جنس والمراد الكثير على أن الإضافة للاستغراق بحسب أعمالهم أي بقدرها وأما

قوله : إحماداً لهم وتعريضاً لمن ناوهم أي عاداهم وأصله الهمز لأنه من التؤم وهو النهوض معنى الإحماد مستفاد من سلب الخزي عنهم ومعنى التعريض بفهم من حيث إن في ضمن سلبه عمن اتصف بصفة الإيمان إثباته لمن اتصف بضدها وهو صفة الكفر.

قوله : وقيل تنفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم قال صاحب الكشاف قال ابن عباس يقولون ذلك إذا اطفئ نور المنافقين إشفاقاً وعن الحسن الله منته لهم ولكنهم يدعون تقرباً إلى الله كقوله : ﴿واستغفر لذنبك﴾ [محمد : ١٩] وهو مغفور له وقيل يقوله أذناهم منزلة لأنهم يعطون من النور قدر ما يهضرون مواطئ أقدامهم لأن النور على قدر الأعمال فيسألون إتمامه تفضلاً وقيل السابقون إلى الجنة يعمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفاً فأولئك الذين يقولون : ﴿ربنا أتمم لنا نورنا﴾ [التحریم : ٨] تم كلامه فسر «أتمم لنا نورنا» [التحریم : ٨] بالنظر إلى قوله تعالى : «نورهم» يسمى بين أيديهم وبإيمانهم» [التحریم : ٨] بوجوه أربعة أحدها أنهم يطلبون الدوام إشفاقاً وخوفاً بسبب ما ينظرون إلى نور المنافقين واتطامسه جزاء لما كانوا يخادعون الله والذين آمنوا وبه فسر قوله : «ذهب الله بنورهم» [البقرة : ١٧] في وجهه قال الواحدي ومعنى إذهب الله نورهم هو أن الله تعالى سلب المنافقين ما أعطوا من النور مع المؤمنين

(١) والمراد يسمى النور لمعانيه على وجه المبالغة كأنه يسمى في اللعان فهو استعارة.

التصديق فلا تغاوت له وإن جوز زيادته كيفاً ونقصانه لكن الأعمال شاملة للأخلاق هنا فيسألون إتمامه ويؤيده بنوع التأييد قولهم: ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ [التحريم: ٨] فالإتمام بمعنى الزيادة فحينئذ يكون القائلون من هو ناقص العمل والظاهر العموم ولعل لهذا مرضه قوله وقيل معطوف بحسب المعنى على قوله إذا اطفأ من باب علم وهذا لا يتنافى ذهاب نور المنافقين لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْظِرْنَا نَقْتَسِمَ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] الآية ثم معنى الإتمام على الأول الإدامة إلى أن يدخلوا الجنة قولهم: ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ [التحريم: ٨] اعتراف بالقصور المؤدي إلى ذهاب النور.

قوله تعالى: يَكْتَابُهَا الَّذِينَ هُمْ أَلْكَفَارُ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَفُ عَلَيْهِمْ وَمَا وَهُمْ جَهَنَّمَ

وَيَسْأَلُ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾

(بالسيف).

قوله: (بالحجة) إذ المنافقون لم يجاهدوهم بالسيف والمجاهدة بالسيف بعد المجاهدة بالحجة والياس عن الإطاعة.

قوله: (واستعمل الخشونة فيما تجاهدوهم إذا بلغ الرفق مداه) يؤيد ما ذكرناه مداه أي غايته ونسخة إذا بلغ أولى من إذ بلغ أي إذا لثت لهم غاية اللينة فلم يقدروا فاستعمل الخشونة الخ وهكذا تربية الغافلين بالرفق أولاً ثم الخشونة^(١) ثانياً.

قوله: (جهنم أو ماواهم) مخصوص بالدم وهو الأولى.

قوله تعالى: حَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ

عِدَّتِي مِنْ عِبَادَتَا سَكِينَتِي فَأَخَذَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقَبَلَ أَمْسَلَا أَلْتَارَ مَعَ

الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿١٠﴾

قوله: (مثل الله تعالى حالهم في أنهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين من النسبة بحالهما) مثل الله تعالى حالهم الخ أي الممثل لهم حال الكفار بتقدير مضاف في للذين والممثل به امرأة نوح وامرأة لوط وجه الشبه عدم نفع ما بينهم وبين النبي وصلة وقرابة نسيية أو صهرية وإلى ذلك أشار بقوله في أنهم يعاقبون الخ ولا يحابون بالحاء المهملة والباء الموحدة من المحابة في البيع وهي هنا

في الآخرة وثانيها يظليون الدوام لا خوفًا بل تقرباً وثالثها يظليون المزيد النقصان نورهم من نور غيرهم ورابعها أن ذلك النور الذي يسعى بين أيديهم هو نور السابقين وهم يظليون ابتداء إتمام النور أي هب لنا نورنا وأتممه لنا.

قوله: إذا بلغ الرفق مداه أي غايته فيه إشعار بأنه لا يخاشن بهم ما دام الإرشاد ممكنًا بالرفق.

مجاز عن عدم الانتفاع قوله بحالهما متعلق بمثل بتقدير المضاف كانتا تحت استئثار بياني تحت عبيد كناية عن كونهما منكوحتين وهذا وإن فهم مما قبله لكنه أريد به تعظيم نوح ولو ط عليهما السلام كما صرح به المصنف من عبادنا صالحين أبلغ من تحت عبيد صالحين (يريد به تعظيم نوح ولو ط عليهما السلام).

قوله: (بالنفاق)^(١) لا بالفعل القبيح إذ لا يتصور أزواج الأنبياء عليهم السلام مثل ذلك الفعل السوء.

قوله: (فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج غناء ما) فشيئاً منصوب على المصدرية كما هو في نظائره ويجوز أن يكون مفعولاً به لكن اكتفى هنا بالمصدرية لأن فيها مبالغة فحال سائر الكفرة كحالهما في عدم إغناء النسب الفاخر عنهم والقرابة الشريفة وبالجملته وصلة المؤمنين لا ينفعهم كما أن وصلة الكافرين لا تضر المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْسَ الْوَعْدُ لِلْكَافِرِينَ﴾ [التحريم: ١١] الآية (أي لهما عند موتهما أو يوم القيامة مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء).

قوله تعالى: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْسَ الْوَعْدُ لِلْكَافِرِينَ وَنَجَّى مِنَ الْقَوْرِ الْأَظْلَمِينَ

قوله: (شبه حالهم في أن وصلة الكافرين لا تضرهم بحال أسية ومنزلتها عند الله مع أنها كانت تحت أعدى عدو الله) شبه حالهم فغن في البيان فقال أولاً مثل الله الخ وثانياً قال شبه الله حالهم الخ وثبه به على أن المراد بالتمثيل التشبيه وعبر بالتمثيل لكونه تشبيه المركب بالمركب قوله حالهم إشارة إليه قوله في وصلة الخ بيان وجه التشبه وهذا البيان لتوضيح الأول إذ الكلام مسوق لبيان أن وصلة الكافرين بالمؤمنين لا تنفع أصلاً كما أن وصلة الكافر بالمؤمن لا تضر بالمثاليين ولهذا قدم الأول ولأن الثاني طويل الذيل يبيان حال مريم عطفاً على امرأة فرعون.

قوله: (ظرف للمثل المحذوف) فيكون تقديره مثل امرأة فرعون حين قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي﴾ [التحريم: ١١] الخ تفيد المثل بهذا الحين لكونه أشرف الأحيان وإلا فمثلها عام لجميع الأحيان قوله ابن مجاز عن إيجاد بيت لكونه مستلزماً له.

قوله: إغناء ما معنى التقليل مستفاد من تنكير شيئاً ومن التعبير بخصوصية لفظه شيئاً أي لم يغنيا شيئاً من الإغناء فنصبه على المصدر لأنه عبارة عن إغناء ما فإن المعنى فلم يغنيا إغناء ما.

قوله: ظرف للمثل المحذوف أي للمثل المحذوف المضاف في التقدير إلى امرأة فرعون والمعنى ضرب الله مثلاً للذين آمنوا مثل امرأة فرعون إذ قالت الآية.

(١) وإبطائهما الكفر وتظاهرها على «رسولين فامراة نوح قالت لقومه «إنه مجنون» وامراة لوط دلت على ضيغته كما في الكشف.

قوله: (قريباً من رحمتك) معنى عندك فيكون استعارة تمثيلية ثم بنت مكان القرب بقولها في الجنة فهو أبلغ من رب ابن لي بيتاً في الجنة.

قوله: (أو في أعلى درجات المقربين) لما مر من أن عند استعارة تمثيلية تفيد الشرف والعز والعلو وعن هذا قال في أعلى درجات المقربين والمراد بالمقربين غير الأنبياء والمرسلين والجمع بين المعنيين أولى لفظة أو لمنع الخلط قوله في الجنة متعلق بقوله: ﴿ابن لي﴾ [التحريم: ١١] وهذا أولى من كونه بدلاً أو عطف بيان لقوله: ﴿عندك﴾ [التحريم: ١١] والمراد جنة الفردوس لقوله عليه السلام «سلاوا الله الفردوس فإنها وسط الجنة وأعلاها» وهذا هو الظاهر وفي الكشف وهي جنات المأوى قوله عندك حال من ضمير المتكلم ولذا قال المصنف قريباً من رحمتك وهذا أولى من كونه حالاً من بيتاً لتقدمه عليه والظاهر أن قوله أو في أعلى درجات المقربين ناظر إليه كما أن الأول إشارة إلى كونه حالاً من الضمير.

قوله: (من نفسه الخبيثة وعمله السيئ) وهو الكفر وعبادة الأصنام والظلم والتعذيب بغير جرم فلا يغني طلب النجاة من أحدهما عن الآخر وقدم الأول لأنه أهم لأن وقوع

قوله: قريباً من رحمتك لما كان لفظ عندك للقرب المكاني والله تعالى منزّه عن المكان حملته على المجاز المستعار شبه القرب من رحمته بالقرب منه فاستعمل ما هو الموضوع لأن يستعمل في المشبه به قوله أو في أعلى درجات المقربين هذا محصل ما في الكشف حيث قال فإن قلت ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة قلت طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه ثم تبنت مكان القرب بقولها في الجنة أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة وأن يكون جنتها من الجنان التي هي أقرب إلى العرش وهي جنات المأوى فعبرت عن القرب إلى العرش بقولها عندك ثم كلامه معنى السؤال أن المقام المعين عند الله تعالى في الدار الآخرة إنما هو الجنة فما معنى الجمع فأجاب أولاً بأن في الجنة غير متعلق بابن لي عندك بيتاً بل هو للبيان كأنها حين قالت: ﴿رب ابن لي عندك بيتاً﴾ [التحريم: ١١] فقبل لها في ابن فقالت في الجنة نحوه قوله تعالى: ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ [يوسف: ٢٠] فإن لفظة فيه بيان لما زهدوا فيه وإن مرادها بيان المقامات والمنازل طلبت بقولها: ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾ [التحريم: ١١] القرب من رحمة الله تعالى وبقولها: ﴿ونجني من فرعون وعمله﴾ [التحريم: ١١] الآية البعد من أعدائه ولا ترتيب للقرب له مراتب لا تنحصر فادمجت بقولها عندك معنى أصل المراتب وأقربها عند الله فعلى هذا قوله في الجنة صفة بيتاً.

قوله: من نفسه الخبيثة وعمله السيئ وفي الكشف ﴿من فرعون وعمله﴾ [التحريم: ١١] من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصاً من عمله وهو الكفر وعبادة الأصنام والظلم والتعذيب بغير جرم يعني أن قوله: ﴿من فرعون وعمله﴾ [التحريم: ١١] يجوز أن يكون من باب أعجبني زيد وكرمه ويجوز أن يراد نجني من نفس فرعون الخبيثة ثم قيل خصوصاً من عمله وهو قريب من عطف الخاص على العام.

الضرر منه كالمتيقن فأنجاها الله تعالى منه حيث أراد التعذيب فرفعها إلى الجنة تأكل وتشرب وتتمتع فيها كذا في الكشف مع تفصيل فيه .

قوله: (من القبط التابعين له في الظلم) فاللام للمهد وهو تعميم بعد تخصيص أو عام يراد به ما وراء الخاص والمراد طلب النجاة من ظلمهم كما أشار إليه بقوله التابعين له في الظلم إذ لا معنى لطلب النجاة من الذوات إلا طلب الخلاص من شروهم ومن ثمة يراد في الأول سلطانه كما في الكشف .

قوله تعالى: وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظِّلْمُ ۝١٢

قوله: (عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل) لأن المعنى حينئذ وضرب الله مثلاً للأرامل مريم ابنة عمران وأنه جمع بين من لها زوج وهي آسية بنت مزاحم وقيل^(١) عمة موسى عليه السلام وبين من لا زوج لها وهي مريم رضي الله عنهما الأرامل جمع أرملة وهي التي لا زوج لها سواء كان لها زوج أولاً ثم مات عنها أو طلقها أولاً وجه تسلية لها أن مريم مع علوها لم يكن لها زوج قط فصبرت فح يحصل للأرامل طيب نفس وصبر نفس .

قوله: (التي أحصت فرجها من الرجال) وبه تمت التسلية .

قوله: (فنفختنا) لا مدخل لها في التسلية وإنما هو بيان نعمة أنعم الله عليها مما لم يؤت أحداً من النساء .

قوله: (في فرجها وقرىء فيها أي في مريم أو الحملة) في فرجها بتقدير المضاف لأنه مذكور أولاً وقرىء فيها كما في سورة الأنبياء أي في مريم بمعنى في فرجها أو الحبل أي الحمل وهو عيسى عليه السلام أي أحبيته .

قوله: من القبط التابعين له في الظلم قال الزمخشري وفيه دليل على الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والتوازل من سير الصالحين وسنن الأنبياء ﴿فافتح بيني وبينهم فتحاً وتجنني ومن معي من المؤمنين﴾ [الشعراء: ١٨] ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ [يونس: ٨٥] .

قوله: في فرجها والمعنى نفختنا في عيسى في فرجها وقد مر في هذا الظرف كلام في سورة الأنبياء وذلك أن قوله: ﴿فنفختنا فيها من روحنا﴾ [الأنبياء: ٩١] يدل على إحياء مريم والمراد إحياء عيسى عليه السلام فيها والتقدير فنفختنا الروح في عيسى فيها أي أحبيته فيها .

قوله: والحملة بالحاء المضمومة الغير المعجمة وسكون الميم بمعنى المحمول وهي ما في البطن من الجنين .

(١) آمنت حين سمعت تتلفع عصا موسى الإلك فعذبها فرعون فأنجاها الله تعالى منه ومن عذابه .

قوله: (من روح خلقناه بلا توسط أصل) من روح الخ وهو المادة فإضافة الروح للتشريف كقوله تعالى: ﴿فنفخ فيه من روحي﴾ [الحجر: ٢٩].

قوله: (بصحفه المنزلة أو بما أوحى إلى أنبيائه) التي أنزلها على إدريس وغيره كما في الكشاف والظاهر أنها غير شاملة للتوراة وكونه بمعنى كلامه القائم بذاته وإطلاق الكلمات عليه لتنوعه خيراً وإنشاء وأمرأ ونهياً تكلف بل تصف.

قوله: (وما كتب في اللوح) وهذا شامل للكتب المنزلة أيضاً ولذا قدمه للمبالغة في المدح.

قوله: (أو جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه) فالإضافة للجنس بمعنى الاستغراق وهو الكتب الأربعة لأن الإيمان قبل النزول صحيح والتردد في كونه واجباً أو التوراة والزبور ولم يعمم الصحف المنزلة لأنها قد ذكرت أولاً بكلمات ربه.

قوله: (أي يعيسى والإنجيل) يعيسى ناظر إلى كلمة الله لأنه سمي كلمة كما مر شرحه في سورة آل عمران والإنجيل ناظر إلى كتابه وهذا دليل على صحة الإيمان قبل النزول إن قيل إن المراد قبل النزول.

قوله: (من عداد المعواظيين على الطاعة) والفنوت له معان كثيرة متقاربة والمناسب هنا ما ذكر المصنف ومن حينئذٍ للتبويض أي هي مع كونها من النساء عدت من جملة الرجال المداومين على المبرات والمجتبين عن المنكرات.

قوله: (والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين

قوله: بلا توسط أصل معنى هذا القيد مستفاد من الإضافة في ﴿من روحنا﴾ [الأنبياء: ٢١].
قوله: بصحفه المنزلة أو بما أوحى إلى أنبيائه قال الزمخشري ويجوز أن يراد بكلماته صحفه التي أنزلها على إدريس وغيره سماها كلمات لقصرها ويكتبه الكتب الأربعة وأن يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره قال صاحب الانتصاف هو يجحد الكلام القديم فلا جرم أن كلامه يشعر بأن كلمات الله متناهية لأنه جمعها في الأول جمع قلة لقصرها وفي الثاني حصرها بقوله وجميع وأين هو من قوله تعالى: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي﴾ [الكهف: ١٠٩] ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ [لقمان: ٢٧] وكلمات الله تعالى أزلية أبدية غير متناهية وقال الطيبي وأما معنى الجمع في ﴿بكلمات﴾ [التحریم: ١٢] فهو ما ذكره الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وأخرج به من الثمرات رزقاً لكم﴾ [البقرة: ٢٢] من أن المراد والقصد بها جماعة الشجرة التي في قولك فلان أدركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويطرة لقصيدته.

قوله: والتذكير للتغليب يعني كان مقتضى الظاهر أن يقال وكانت من القانتات لكن غلب الذكور على الإناث فجيء على صيغة التذكير للإشعار بأن طاعة مريم لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين معنى الكمال مستفاد من لفظ الفنوت المدلول عليه بقائتين.

حتى عدت من جعلتهم) والتذكير للتغليب إذ الظاهر من القانتات والقنوت صفة تشمل للرجال والنساء فغلب الذكور على الإناث فالقانتين عام للرجال والنساء مجازاً في الصيغة فمريم رضي الله تعالى عنها جعلت من أفرادهم ومن أفراد إناثهم قوله والإشعار بالخ بيان وجه التغليب قوله الكاملين فيه تنبيه على أنها سبقت الرجال الغير الكاملين.

قوله: (أو من نسلهم فيكون من ابتدائية) عطف على قوله من عداد المواظبين فيجئ لا تغليب فيه فيفوت المبالغة في المدح ولذا أخره معنى من نسلهم من ذريتهم سميت به لأنها تنسل به أي تنفصل والمراد به الجنس المراد به الكثير فيحسن دخول من التبعية عليه.

قوله: (عن النبي عليه السلام «كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام») حديث صحيح وفي كمال ثلاث لغات لكن كسر الميم ضعيف والمراد بالكمال هنا التناهي في الفضائل والبر والتقوى وحسن الأخلاق بقدر الاستطاعة والكمال يختلف بين الأشخاص وكمال الرجال مغاير لكمال النساء فإن بعض الأحكام يجب على الرجال دون النساء وكذا الكمال بين الرجال وبين النساء وكم من شخص يجب عليه الزكاة والحج دون آخر لفقره وقس عليه وذهب بعضهم إلى نبوة مريم وآسية بهذا الحديث وهو ضعيف لأن مبناهما الظهور بالدعوة إلى الحق والكمال في حقهن الاستتار وكذا القول بنبوة سارة وهاجر وحواء وأم موسى رضي الله تعالى عنهن أجمعين والصحيح أن النبوة ليست بكمال لهن لما مر من أن الاستتار واجب لهن بل الكمال لهن الصديقية ثم اختلف في أنهن خير نساء عصرهن أو خير نساء العالمين والأول صحيحه بعض شراح الحديث وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه والترتيب المذكور لا يدل على أفضلية المقدم ثم المقدم لأنه جاء في بعض الرواية على خلاف الترتيب المذكور لكن قوله عليه السلام وفضل عائشة رضي الله تعالى عنها الحديث يدل بظاهره أنها فضلى على سائر النساء لأن الثريد فيه نفع وقوة للبدن فهو أنفع الأطعمة وألذها والثريد خبز يجعل في مرقى عليه لحم والتشبيه به يشعر بأفضليتها من نساء الأرض كلهن كما ذهب إليه بعض الأئمة ولو قيل إن كل واحدة منهن فضلى من الأخرى بخصلة ومنقبة وبوجه دون وجه لكان أقرب إلى القول أما فاطمة رضي الله تعالى عنها فلها زيادة كمال من كمال أبوين وأنها بضعة من سيد العالمين وأما خديجة رضي الله تعالى عنها فلأنها آمنت قبل النساء قاطبة وأعانت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بإعطاء المال حين كذبه

قوله: أو من نسلهم عطف على من عداد القانتين وعلى هذا لا يكون تذكير القانتين من باب التغليب تمت السورة الحمد لله على كل فاتحة وخاتمة أبداً مستعيناً بالله أشرع.

عليه السلام وحرمة من إكمال كما ورد في الخير وأما عائشة رضي الله تعالى عنها فلأنها سعت في رواية الأحكام حتى روي أن ربع الشريعة مروى عنها ولحللو لسانها ولقرط جمالها المنبئ عن حسن خصالها وغير ذلك من كمال الصدق والورع وقس عليها من عداها قبل والحديث الذي ذكره المص رواه البخاري .

قوله: (وعنه عليه السلام من قرأ سورة التحريم أتاه الله توبة نصوحاً) موضوع لا أصل له الحمد لله على تسهيل إتمام ما يتعلق بسورة التحريم . مغارناً بأنواع النجيل والتعظيم . والصلاة والسلام على من أوتي الحكمة بقلب سليم . وعلى آله وأصحابه الذين تمسكوا بالشرع القويم . والصراط المستقيم . تمت وقت الضحى من يوم الاثنين في شهر ذي القعدة الشريعة في سنة ١١٩١ .

سورة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الملك مكية وتسمى الواقعة والمنجية لأنها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر) سورة الملك وهي المشهورة ولذا قدمها وتسمى الواقعة بالقاف لأنها تقي على الإنسان المجازي وكذا إسناد الإنجاء من عذاب القبر كما ورد في الخبر ولم يذكر وجه التسمية في الأولى لظهورها أي لأنها ذكر فيها الملك وليس عادته ذكر وجه التسمية إلا إذا كان فيه خفاء وتسمى أيضاً تبارك والماتعة وفي قوله وتسمى الواقعة الخ تنبيه على أن الاسم الواقعة وحدها لمضافة السورة إليها من إضافة العام إلى الخاص وقد مر التفصيل في أوائل الفاتحة.

قوله: (وآيها ثلاثون) نقل عن الداني أنه قال وآيها إحدى وثلاثون في المدني وثلاثون في غيره واختاره المصنف لقوته ولذا قال المحشي ثلاثون بالاتفاق ولم يلتفت إلى ما قاله الداني لو أنه فكأنه لا خلاف فيه وهي مكية على الأصح وقيل غير ثلاث منها وقيل إنها مدنية وهو قول غريب والقاتل لم يحين ثلاث آيات منها فهو أيضاً عجيب.



قوله تعالى: **بِئَرِّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**

قوله: (﴿تبارك﴾ [الملك: ١]) أي تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير وصيغة التفاعل للمبالغة قد مر تفصيله في الفرقان وقال هناك إنه لا يتصرف أي لم يكن له مضارع ولا اسم فاعل وغيرهما رتب كون الملك بيده على تكاثر خيره لأن ظهور الخير الكثير إنما هو بالتصرف في الأمور كلها فهو أبلغ من سائر ما صدر بقوله: ﴿تبارك﴾ [الملك: ١] لأن هذا عام لجميع ما ذكر في سائر المواضع حتى تنزيل القرآن.

قوله: (بقبضة قدرته) حمل اليد على القدرة مجازاً وهذا مسلك الخلف اختاره المصنف

سورة الملك مكية

وتسمى الواقعة والمنجية لأنها تقي وتنجي قارئها

من عذاب القبر وآيها ثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: بقبضة قدرته التصرف في الأمور كلها وفي الكشف ﴿بيده الملك﴾ [الملك: ١] على

هنا والسلف ثم يأولوه بل قالوا إنه وصف له تعالى أصله معلوم ووصفه وكيفيته غير معلوم وهو مختار إمامنا الإمام الأعظم والقبضة بالفتح وبالضم أيضاً المقبوض بالكف تسمية له بالمصدر وفيه استعارة مكنية وتخييلية كذا قاله السعدي لكن فيه خفاء^(١) إذ الظاهر أن مراده أنه شبه القدرة باليد وهذا استعارة مكنية وأثبت لها القبضة وهي من خواص اليد مع أن اليد مجاز مرسل للقدرة وقيل فإضافة قبضة إلى القدرة كلجين الماء واليد بمعنى القبضة مجاز عن القدرة وهذا بناء على أن القبضة شاعت عرفاً بمعنى الكف وهو المراد هنا وهذا عجيب أيضاً لأن ما فهم منه أن القدرة مشبه والقبضة مشبه به كما أن الماء مشبه واللجين مشبه به وهذا مثل ما مر من أن اليد مجاز أريد به القدرة وجعله عكساً في كلام المصنف مما لا يظهر وجهه والظاهر أن مراده أن اليد في النظم مجاز مرسل للقدرة والمراد بالقبضة معناها المصدري ضم إلى القدرة من الفحوى للمبالغة ويؤيده قول صاحب الكشاف وذكر اليد مجاز عن الإحاطة بالملك والاستيلاء عليه قوله والاستيلاء عليه معنى القدرة قوله والإحاطة بالملك معنى القبضة فهو من إضافة الصفة إلى الموصوف أي بقدرته المحيطة الشاملة لجميع الممكنات والكاملة الذاتية.

قوله: (التصرف في الأمور كلها) هذا معنى الملك قال في سورة الفاتحة والملك يضم الميم التصرف بالأمر والنهي في الأمورين والملك بكسر الميم هو التصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء وكلامه هنا يشعر بأن الملك هو التصرف في الأمور كلها سواء كانت أعياناً أو أعراضاً إيجاباً أو إعداماً وسواء كان التصرف بالأمر والنهي أو غيرهما وظاهره يخالف ما في الفاتحة إلا أن يقال إن ما ذكره في الفاتحة أصل معناه وهنا عدل عنه وأريد العموم بقرينة أن الكلام مسوق لبيان عظمتة وإظهار جلاله وإن اللام للاستغراق فهو معنى مجازي له على ما بينه بطريق ذكر المقيّد وهو التصرف بالأمر والنهي وإرادة المطلق وهو مطلق التصرف ثم صار حقيقة عرفية ويحتمل أن يكون هذا معنى آخر له فيكون حقيقة ويؤيده أن التصرف هنا غير التصرف المذكور هناك إذ المراد به هنا التصرف إيجاباً وإعداماً قبضاً وبسطاً ولذا قال في أوائل سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿لله ملك السموات﴾ [البقرة: ١٠٧] الآية فإنه الموجد لهما والمتصرف فيهما وبالجملتين معاني الألفاظ في حقه

كل موجود وجعل ﴿بيده الملك﴾ [الملك: ١] بمعنى التصرف والاستيلاء ولذلك عداه بعلی في قوله على كل موجود قال الراغب في قوله: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء﴾ [آل عمران: ٢٦] الملك ضبط الشيء المتصرف فيه بالحكم والعدل والملك كالجنس له فكل ملك ملكاً وليس كل ملك ملكاً.

(١) وقد جوز كونه استعارة تمثيلية شبه إحاطته تعالى بالملك واستيلائه عليه بحيث يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء بكون الشيء في يد شخص يتصرف فيه كيف يشاء قبضاً وبسطاً إعطاءً وأخذاً ثم قيل: ﴿بيده الملك﴾ وأريد أنه محيط به ومستول عليه وإليه أشار المصنف بقوله بقبضة قدرته انتهى ولا كلام في حسن الاستعارة التمثيلية لكنها غير شاملة لقدرة تعالى على جميع الممكنات كما فهم من تقريرها.

تعالى يراد بها ما هو لائق في شأنه تعالى وباب المجاز واسع فلا تغفل وقيل هذا يشمل عالم الأجسام وعالم الأرواح والغيب والشهادة وقد يخص بعالم الشهادة ويقابله الملكوت وليس بمراد هنا وهو دليل على ما ذكرناه فظهر ضعف ما ذكره بعضهم من أن الملك على ظاهره لا بمعنى التصرف وذكر التصرف لبيان كون الملك في يده لا لأنه بمعناه انتهى لأن تفسيره بالموجد لهما والمتصرف فيهما في أوائل الحشر يدل على أن التصرف معناه ولم يذكر اليد هنا.

قوله: (على كل ما يشاء قدير) سواء كان موجوداً أو معدماً أما القدرة على الموجود فبالإعدام وعلى المعدوم فبإيجاده فسرّه بالمشي لما عرفته من العموم إلى الموجود والمعدوم فالشيء على عمومه بلا استثناء إذ لا يتناول الباري تعالى وفيه رد للكشاف حيث

قوله: على ما يشاء قدير إشارة إلى أن الشيء مصدر شاء يشاء قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة: ١٠] والشيء يختص بالموجود لأنه في الأصل مصدر شاء أطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل أي شيء أكبر شهادة قل الله وبمعنى شيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة: ٢٠] ﴿الله خالق كل شيء﴾ [الزمر: ٦٢] فهما على عمومهما والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح أن يوجد وهو يعم الواجب والممكن أو ما يصح أن يعلم وبخبر عنه فيعم الممتنع أيضاً لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل فإن تعلق القدرة به يدل على أن المراد به الشيء الممكن إذ الممتنع بالذات لا يدخل تحت القدرة قال صاحب الكشاف في تفسير ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ [البقرة: ٢٠] وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة قدير خصص الشيء هنا بمعدوم ممكن لم يوجد بعد ومقصوده رعاية الطيبات يذكر الموجود والمعدوم لما خصص الملك في القرينة الأولى بالموجود خصص الشيء في القرينة الثانية بالمعدوم الممكن رعاية للطيبات قال صاحب التفسير وفيه نظر لأن الشيء إما أن يختص بالموجود أو يشمل الموجود والمعدوم على المذهبين فلا وجه لتخصيصه بما لم يوجد مع اتضام كل إليه اللهم إلا أن يقال خصصه به لتغاير ما قبله إذ خصصه بالموجود قيل لو عزم الثاني لتحقق التغاير أيضاً على أن في تخصيص الأول بالموجود أيضاً نظر لأن اليد مجاز عن القدرة فإن تخصصت القدرة بالمعدوم كما هو مذهبه تخصص الأول بالمعدوم وإن لم تخصص لم يتخصص الثاني بالمعدوم والتحقيق أن الأول مطلق والثاني عام لما وضع له الشيء فقصد بيان أصل القدرة أولاً وعمومها ثانياً والظاهر أن الآية من باب التكميل فالقرينة الأولى تدل على التصرف التام في الموجودات على مقتضى إرادته ومشئته من غير منازع ولا مدافع تصرف الملاك في ملكهم لا يتصرف فيها غيره حقيقة ولذلك قدم الطرف للتخصيص قال الإمام هذه اللفظة إنما تستعمل لتأكيد كونه سبحانه وتعالى ملكاً ومالكاً كما يقال بيد فلان الأمر والنهي والحل والعقد والقرينة الثانية دالة على القدرة الكاملة الشاملة ولو اقتصر على القرينة الأولى لأوهم أن تصرفه مقصور على تغيير أحوال الملك فقررت بالثانية ليوذن أنه عز سلطانه قادر على التصرف وعلى إيجاد الأعيان المتصرف فيها وعلى إيجاد عوارضها الذاتية وغيرها ومن ثم عقب ذلك الوصف بالوصف المتضمن للعوارض وهو قوله: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ [الملك: ٢] الخ.

قال على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة وهو المعدوم الممكن وجه الرد أن الشيء لغة يعم الموجود والمعدوم وخص في العرف بالموجود لكنه يعم المعدوم أيضاً مجازاً أو معنى القدرة على الموجود حال وجوده أنه إن شاء عدمه أعدمه وإن لم يشأ عدمه لم يعدمه والقدرة على المعدوم حال عدمه أنه إن شاء إيجاده أو وجوده أوجده وإن لم يشأ وجوده لم يوجد فلا وجه لتخصيصه بما لم يوجد وهو المعدوم ولأرباب الحواشي مقالات كثيرة في بيانه فقل إن تخصيصه بالمعدوم لاستغناء الموجود عن الفاعل عند الزمخشري كأكثر المتكلمين يعني حال البقاء وأما في ابتداء الوجود فلم يقل أحد باستغنائه عن الفاعل قال المصنف في تفسير رب العالمين وفيه دليل على أن الممكنات كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة إلى المبقي حال بقائها وهذا مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري لكن أكثر المتكلمين والزمخشري ذهبوا إلى خلافه كما عرفته وأما القول بأن القصد إلى إيجاد الموجود محال فلا بد أن يكون مقارناً لعدم الأثر فمدفوع بأن تقدم القصد على الإيجاد كتقدم الإيجاد على الموجود في كونهما بالذات فيجوز مقارنتهما للوجود زماناً لأن المحال هو القصد إلى إيجاد موجود بوجوده لا بوجوده وهو أثر لذلك الإيجاد وهذا البحث قد فصل في المواقف وشرحه ولا يعرف وجه إيراده هنا وجميع ما ذكره المحشون بناء على الذهول عن معنى تعلق القدرة بالموجود حال وجوده كما ذكرناه من أنه إن شاء عدمه أعدمه وإن لم يشأ لم يعدمه الخ كما أشار إليه المصنف في سورة البقرة وصرح به مولانا خسرو وكذا معنى تعلقه بالمعدوم وبهذا ظهر ضعف ما قيل إن قوله ما يشاء يجوز أن يراد به ما لم يوجد لأن تعلق المشيئة في المستقبل يقتضي عدم وقوعه في الماضي والحال فلا يكون مخالفاً لكلام الزمخشري إذ تعلق المشيئة بالموجود بالمعنى المذكور في المستقبل كتعلقها بالمعدوم بقي الكلام في بيان الفرق بين قوله: ﴿بيده الملك﴾ [الملك: ١] وبين قوله: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ [الملك: ١] على ما اختاره المصنف فإن الفرق على مسلك الزمخشري ظاهر حيث خص الأول بالموجود والثاني بما لم يوجد وهو أن المراد بالأول التصرف بالفعل وبالثاني القدرة وآخر الثاني لأنه كالدليل على الأول.



قوله تعالى: اَللّٰهُ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيٰوةَ يَسْئَلُكُمْ اَنْتُمْ اَنْتُمْ اَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ اَعَزُّ الْقَوُوۡمِ

قوله: (قدرهما) هذا معنى لغوي لخلق وإنما اختاره لأن الموت أمر عديم وهو عدم

قوله: قدرهما أو أوجد الحياة وأزالها حسب ما قدره يريد أن الخلق هنا إما بمعنى التقدير فقط بدون اعتبار معنى إحداث فعل معه أو بمعنى التقدير مع الإحداث حسب التقدير وأظن أن لفظة أو هنا وقعت من قلم الناسخ فإن الأنسب أن يكون قوله أوجد الحياة وأزالها حسب التقدير بياناً لقوله: قدرهما لأن أصل الخلق هو الفعل مع التقدير قال الزمخشري والحياة ما يصح لوجوده الإحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حياً وهو الذي يصح منه أن يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه قال صاحب الانتصاف مذهب

الحياة عمن من شأنه أن يكون حياً فلا يتعلق به الإيجاد والتفدير يتعلق بالمعدوم كتعلقه بالموجود وهذا بناء على أن المراد بالموت ما هو المقدم على الحياة وهو عدم الحياة كما أشار إليه بقوله وقدم الموت لقوله: ﴿وكنتم أمواتاً﴾ [البقرة: ٢٨] الآية وهذا عدم صرف وأزلي فلا يتعلق به الإيجاد إذ لو تعلق به الخلق لكان حادثاً.

قوله: (أو أوجد الحياة وأزالها) فحينئذ يراد بالموت ما هو بعد الحياة فيعرف بعدم الحياة عمن اتصف به وهذا التعريف لا يتناول ما هو قبل الموت فهو أخص من الأول مطلقاً فإطلاق الموت على ما قبل الحياة مجاز واستعارة وصاحب الكشف اكتفى بهذا المعنى وهو الأولى لأنه المناسب لقوله: ﴿ليلوكم﴾ [الملك: ٢] الخ فحينئذ تعلق الخلق بالموت ظاهر لأن عدم الملكة يتعلق به الخلق قال في سورة الأنعام ومن زعم أن الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم أن عدم الملكة كالعنى ليس عدم الصرف حتى لا يتعلق به الجعل انتهى ويقال هنا أيضاً ومن زعم أن الموت عرض يضاد الحياة احتج بهذه الآية ولم يدرك أن عدم الملكة كالصمم ليس عدم الصرف حتى لا يتعلق به الخلق فحينئذ لا مجاز في إطلاق الخلق على الموت بهذا المعنى كما لا مجاز في إطلاق الجعل على الظلمة كما صرح به المصنف فلا تغليب في الخلق على الإزالة ولا جمع بين الحقيقة والمجاز وإنما عبر عن خلق الموت بالإزالة تنبيهاً على أن المراد بالموت ما يعد الحياة ومعناه عدم الحياة عمن اتصف بها لثلاث يذهب الوهم إلى المعنى الأول وإن سلم أن الموت عرض موجود يضاد الحياة فالأمر واضح والحياة هي القوة الحساسة أو مبدؤها على ما اختاره المصنف في البقرة وفي الباري تعالى إذا وصف بها أريد صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا.

القدرة أن الموت عدم واعتقاد أهل السنة أنه صفة ثبوتية تضاد الحياة وكيف يكون عدماً وقد وصف بكونه مخلوقاً وعدم الحوادث أزلي ولو كان المعدوم مخلوقاً.

قوله: وقوع الحوادث أزلاً هو ظاهر البطلان وقال صاحب الفرائد لو كان الموت عدم الحياة استحال أن يكون مخلوقاً وقد قال بعد ذلك معنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه وهذا أيضاً منظور فيه وقال الإمام الحياة هي الصفة التي يكون الموصوف بها بحيث يصح أن يعلم ويقدر واختلفوا في الموت قيل إنه عبارة عن عدم هذه الصفة وقيل صفة وجودية مضادة للحياة لقوله تعالى: الذي خلق الموت والعدم لا يكون مخلوقاً هذا هو التحقيق قال الراجح أنواع الموت بحسب أنواع الحياة الأول ما يبرزه القوة النامية الموجودة في الإنسان والحيوان والنبات نحو ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾ [الحديد: ١٧] ﴿وأحيينا به بلدة ميتاً﴾ [ق: ١١] الثاني دون القوة الحساسة قال تعالى: يا لئنني قدمت قبل هذا ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران: ١٨٥] والثالث زوال القوة العاقلة وهي الجهالة نحو قوله تعالى: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه﴾ [الأنعام: ١٢٢] الرابع الحزن المكدر للحياة نحو وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت الخامس المنام فقد قيل المنام موت خفيف والموت نوم ثقيل نحو ﴿الله يتوفى الأنفس حين

قوله: (حسبنا قدره) حسب هنا بمعنى القدر وما مصدرية أو موصولة عبارة عن زمان تقدير وهو الأولى لوجود الضمير الراجع إليه والمعنى قدر زمان قدره الله تعالى للحياة وزوالها وهكذا حال كل مخلوق فإنه تعالى قضى له في الأزل زماناً ومدة معينة فلا يتغير بشيء أصلاً ولعل ذكره هنا للتنبيه على أن الموت بسبب القتل والإحراق والإغراق واقع حسبما قدره الله تعالى ولا يمكن وقوعه في غير ذلك بسبب من الأسباب كما زعم بعض الناس وإلا فذكره هنا دون سائر المواضع لا يعرف له وجه وما قاله الفاضل المحشي من أنه إشارة إلى أن التقدير معتبر في مفهوم الخلق فليس بمرجح ذكره هنا وإن كان له وجه في الجملة والقول بأن الظاهر أن المراد أن إيجادهما عبارة عن إيجادهما زماناً مجازاً سخيلاً جداً لأن الحياة عرض موجود يحتاج في وجوده إلى الإيجاد وكذا الموت كما عرفته ولأن الزمان عند المتكلمين أمر موهوم^(١) غير موجود فلا إيجاد ولو أثبت الإيجاد له يكون مجازاً عن إيجاد ما وجد فيه عكس ما ذكره القليل.

قوله: (وقدم الموت لقوله: ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ [البقرة: ٢٨] ولأنه ادعى إلى حسن العمل) وقدم الموت أي مع أنه متأخر عن الحياة فأجاب أولاً بمنع تأخره بحمل الموت على ما تقدم على الحياة كما عرفته مفصلاً وثانياً بتسليم تأخره عنها في الوجود بحمل الموت على إزالة الحياة فحيث وجّه التقديم كونه ادعى إلى حسن العمل وهو أهم هنا فقدم لكونه أهم لأن فيه تذكرة وموعظة وداعية إلى ترك حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة وإنما قال ادعى إلى العمل باسم التفضيل لأن الحياة أيضاً لكونها نعمة عظيمة داعية إلى حسن العمل والإطاعة لمولها.

قوله: (ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف) أصل البلاء الامتحان والاختبار وهو

موتها والتي لم تمت في منامها [الزمر: ٤٢] وقوله: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر: ٣٠] قيل سيموت على أنه لا بد لكل أحد من الموت وقيل فيه إشارة إلى ما يعترى الإنسان في كل حال من التحلل وإن البشر ما دام في الدنيا يموت جزءاً فجزءاً وقد عبر عن هذا المعنى بالمات.

قوله: ولأنه ادعى إلى حسن العمل لما كانت الحكمة من خلق الموت والحياة اختبار العباد أيهم أحسن عملاً في طاعة الله تعالى قدم الموت على الحياة لأن الموت ادعى للخلق على حسن العمل للخالق من الحياة فإن الموت دليل على انقراض العمر وانصرامه وأن ليس لهذا البقاء دوام فمن علم أن هذا شأنه أوجب على نفسه التأهب للأخرة والعمر السرمد بحسن العمل فالتقديم للعناية والاهتمام.

قوله: ليعاملكم معاملة المختبر لما لم يصح إستاد حقيقة الاختبار إلى علام الغيوب والخفايا حمله على المجاز المستعار شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختبار فاستعمل اللفظ الموضوع للمشبه به في المشبه.

(١) وإن ناقش فيه قدس سره في شرح المواقف بأن مقتضى كلامهم كون الزمان أمراً موجوداً.

يقضي عدم علم المختير وهو محال في حقه تعالى فأشار إلى أنه استعارة تمثيلية شبه الهيئة المنزعة من أمور عديدة من الأمر وأمره وتكليفه بالأمور الشاقة والوعد لمن أطاعه والوعيد لمن خالفه هل تتجهدون في إقامة الأمور به أم لا أو ليعلم المطيع عن العاصي بالهيئة المأخوذة من أشياء كثيرة المختير بكسر الباء واختيار غيره بالمنحة أو المحنة ليعلم حاله هل هو صديق أو زنديق فلذكر ما هو موضوع للمشبه به وأريد المشبه وجه الشبه ترتب علم حال المختير بفتح الباء لكن في المشبه به ترتب العلم بالنسبة إلى الممتحن وفي المشبه بالنسبة إلى غيره تعالى وحاصله تميز المطيع من العاصي واحتمال كونه استعارة تبعية ضعيف وإن صحت بتشبيهه تكليفه تعالى بالامتحان واللام الدالة على الغرض مستعارة للمصلحة كما مر غير مرة وقد يعبر عنها بلام العاقبة وفي جعل البلاء والاختبار في صورة الغرض لخلق الحياة وإزالتها تنبيه على أنهما ادعى إلى حسن العمل كما مر توضيحه قوله بالتكليف متعلق بيعالمكم لا بقوله المخبر إذ لا معنى لتكليف المختير.

قوله : (أيها المكلفون) كالصريح فيما ذكرناه أشار به إلى أن الخطاب للمكلفين من المؤمنين أو منهم ومن الكافرين على القول بأنهم مكلفون بالفروع وهو المتبادر من كلامه حيث لم يقل أيها المؤمنون وفيه تنبيه على أن غير المكلفين لا يجري عليه البلاء والامتحان والمخصص العقل كما في سائر الخطابات من الأوامر كما صرح به أرباب الأصول.

قوله : (أصوبه وأخلصه وجاء مرفوعاً أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعته) أصوبه وأخلصه الضميران للعمل أشار به إلى أن عملاً تمييز من الفاعل وصواب العمل ما حسنه الشرع وسوغه وإخلاصه كونه لله تعالى خالصاً خالياً عن الرياء بالكلية ونبه بالإخلاص على وجه كون الحسن بصيغة التفضيل أي العمل بعد كونه وارداً من الشارع ينبغي أن يعمل في مرتبة الإحسان المفسر بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فالمراد الأحسن كيفاً ولا يبعد أن يضم إليه الأحسنية كماً والعمل كما يعمل فعل القلب والجوارح يعمل أيضاً كف النفس عن السيئات كما أشير إليه في الحديث الشريف بقوله وأورع عن محارم الله تعالى أي أيكم أكمل علماً أشار به إلى أن العقل في الحديث الشريف بمعنى العلم لا القوة العاقلة فالمراد بالعمل في النظم الجليل ما يعمل القلب وهو الاعتقاد الحق وعمل الجوارح والأخلاق قدم وأورع الخ إذ التخلية مقدمة والمراد بالمحارم المناهي وأتى باسم التفضيل وإن عم الخطاب لجميع المكلفين تحريضاً على أحسن المحاسن والتحضيض على الترقى دائماً في العلم والعمل وقد مر تمام الكلام في أوائل سورة هود.

قوله : (جملة واقعة موقع المفعول ثانياً لفعل البلوى المتضمن معنى العلم) أي لتضمنه معنى العلم فمثل هذا التوصيف متضمن للتعليل فكانه قيل لعلمكم أيكم الخ كما في الكشف والمراد أنه مستعارة للعلم لا التضمن المصطلح كذا قيل وفيه نظر إذ معنى الاختيار مراد هنا ولذا جعلوا الكلام استعارة تمثيلية فالمراد التضمن اللغوي أي يلاحظ في

ضمته العلم لأن المقصود من البلوى العلم ولو قيل هنا ليعلمكم الخ لم يحتاج إلى كون الكلام استعارة تمثيلية لكون المعنى حينئذ ليعلمكم علماً يترتب عليه الجزاء كما في قوله تعالى: ﴿وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم﴾ [آل عمران: ١٤٠] الآية فكما لا استعارة هناك كذلك لا تكون هنا فقول صاحب الكشف فكأنه قيل ليعلمكم أيكم الخ مبني على المسامحة وإنما احتيج إلى هذا التضمن لأن فعل البلوى لا ينصب مفعولين بلا واسطة فتعديته هنا إلى المفعولين بلا واسطة لهذا التضمن ولو قيل بالحذف والإيصال لم يحتاج إلى هذا التضمن وما يترتب عليه أي ليلوكم أيكم أحسن عملاً فلا تغفل وتأمل في جوابه^(١).

قوله: (وليس هذا من باب التعليق لأنه يخل به وقوع الجملة خبراً فلا يعلق الفعل عنها) وليس هذا الخ لأن البلوى هنا محمول على التضمن اللغوي كما عرفته وحاصله نفى التعليق الذي هو من خصائص أفعال القلوب لأنه ليس من أفعال القلوب وهو ظاهر ولا يقدر فيه العلم من حيث إنه طريق إليه كالنظر والاستماع وما أثبت من التعليق في سورة هود فلأن العلم مقدر فيه لكون البلوى سبباً للعلم فتقدير الكلام ﴿ليلوكم﴾ [الملك: ٢] فيعلم ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ [الملك: ٢] وبين التقدير والتضمن بون بعيد ولا يبعد حمل الكلام الواحد على الوجهين المختلفين للتفتن انتهى وتوضيحه أن المراد بتعليقه هنا تسليطه على أيكم أحسن عملاً وأعماله فيه فإنه وقع موقع المفعول الثاني مع أنه لا يتعدى بدون الحرف إلا إلى واحد لا التعليق النحوي وقد نقل عن الكشف أن من شرط التعليق عند النحويين أن لا يذكر شيء من المفعولين كقولك علمت أيهم أخوك وعلمت أزيد منطلق وأما إذا قلت علمت القوم أيهم أفضل فهذا الكلام صحيح عندهم في نفسه ولكن لا يكون تعليقاً عندهم ثم قال وإذا كان كذلك فما نحن فيه وهو قوله تعالى: ﴿ليلوكم أيكم﴾ [الملك: ٢] الخ ليس من التعليق في شيء لسبق المفعول وهو الضمير المنصوب كذا نقل عن صاحب الكشف بعض المحشيين وصرح بذلك في المفصل فعلم أن مراد المصنف بالتعليق الأعمال في أيكم^(٢) لا التعليق النحوي وسره ما مر من أنه اعتبر هنا التضمن في

قوله: (وليس هذا من باب التعليق لأنه تحل به وقوع الجملة خبراً أي تحل بالتعليق وقوع جملة ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ [الملك: ٢] خبراً عن المفعول الأول الذي هو ضمير المخاطبين في ﴿ليلوكم﴾ [الملك: ٢] فإن فعل البلوى يتضمن معنى العلم المتعدي إلى مفعولين ومفعولاً أفعال القلوب مبتدأ وخبر في الحقيقة والحاصل أن وقوع جملة ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ [الملك: ٢] مفعولاً ثانياً يمنع التعليق لأن الجملة المعلق عنها يجب أن يقع موقع المفعولين نحو علمت أزيد منطلق أم عمرو وليس منه قولك علمته أزيد أحسن عملاً أم هو ألا يرى أنه لا فرق بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدراً بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقاً لافتقرت

(١) والحوار أن سبب الابتلاء التكليف فلا وجه لإدخال الباء السببية على أيكم.

(٢) وكلام الزمخشري صريح فيما ذكر حيث أثبت المتعلق أولاً بمعنى أنه عامل فيه ثم نفى التعليق وبينه بما لا مزيد عليه.


﴿ليبلوكم﴾ [الملك: ٢] فلا جرم أن المفعول الأول سبق وأما في سورة هود فقدر حيث قال لما فيه من معنى العلم فذكر السبب واستغنى عن ذكر المسبب كأنه قيل ليلوكم فيعلم أيكم أحسن عملاً فتحقق شرط التعليق النحوي وهو أن لا يذكر شيء من المفعولين وعن هذا قال هناك وهذا من باب التعليق الخ فظهر مما ذكرناه أن جواز تعليق المتعدي إلى واحد مما أنكره صاحب الكشف وقوله ولكن لا يكون تعليقاً عنهم يشعر بذلك ولذا قال ابن الحاجب في إيضاح المفصل أن قوله فلا يكون التعليق في غيرها ليس بمستقيم على ظاهره فإن عرفت علمت الذي بمعنى عرفت يعلق أيضاً وقال الفاضل الاسترابادي أن الجملة المعلق عنها قد تكون في موضع المفعول الثاني وحده نحو علمت زيداً أبوه من هو وأن الفعل المعلق قد يطلب مفعولاً واحداً نحو عرفت هل زيد في الدار أي عرفت هذا الأمر كذا نقل عنه بعض المحشيين فعلم من هذا أن جواز تعليق الفعل في مثل علمت القوم أيهم أفضل مختلف فيه وصاحب الكشف بين عدم جوازه هنا وتبعه المصنف ويمكن أن يقال إن المصنف اختار هنا مسلك الزمخشري وفي سورة هود مذهب غير فلا منافاة لكن ما ذكره هنا من أنه يخل به وقوع الجملة خبراً أي في الأصل فإن العلم من نواسخ المبتدأ جار في سورة هود والتفصي عنه أنه جوز أيضاً كون الإنشاء خبراً كما ذهب إليه البعض أيضاً ومن الغرائب أن الفاضل الاسترابادي ذكر في شرح الكافية أن إعراب الجملة المعلق عنها كإعرابها إذا لم يقدم فعل القلب فيلزم ما ذكر من أن الجملة الاستفهامية خبراً والإنشاء لا يقع خبراً كما هو المشهور في النحو وقد نقل عنه أنه قال إن الجملة المعلق عنها قد تكون في موضع المفعول الثاني وحده^(١).

الحالتان كما افترقتا في قولك علمت أزيد منطلق وعلمت زيداً منطلقاً كذا ذكره صاحب الكشف قال الزجاج المعلق بأيكم مضمرة أي ليلوكم فيعلم أيكم أحسن عملاً وارتفعت أي بالابتداء لا يعمل فيها ما قبلها لأنها على أصل الاستفهام أقول ما قاله القاضي رحمه الله وصاحب الكشف هنا مخالف لما ذكره في سورة هود فإني لم يجعلها هنا من باب التعليق وجعلها منه هناك والجواب ما يفهم من كلام الإمام حيث قال فيه وجهان أحدهما قول الفراء والزجاج أن الفعل المعلق مضمرة تقديره ليلوكم فيعلم أيكم أحسن عملاً وثانيهما قول صاحب الكشف ﴿ليبلوكم﴾ [الملك: ٢] في معنى ليعلمكم ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ [الملك: ٢] وجه استخراج الجواب مما ذكره الإمام إنما ذكره في سورة هود محمول على الإضمار وما ذكره هنا محمول على التضمين قال الطيبي صاحب الكشف ذهب في هود إلى مذهب الفراء والزجاج واختار ههنا مذهباً آخر وهو صحيح من حيث العربية لأن باب التضمين باب واسع وإليه الإشارة بقوله من حيث إنه تضمن فكأنه قيل ليعلمكم أيكم أحسن عملاً أقول الأظهر مما ذكره في سورة هود معنى التضمين حيث قال هناك فإن قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختيار من معنى العلم لأنه طريق فهو ملائس له كما تقول انظر أيهم أحسن وجهاً وأسمع أيهم أحسن صوتاً تم كلامه. فالمفهوم من كلامه هذا

قوله: (بخلاف ما إذا وقعت موقع المفعولين) فإن التعليق فيه لا يستلزم كون الخير إنشاء إذ المفعولان وقعا في حيز الاستفهام.

قوله: (الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل) قيد به للإشارة إلى ارتباطه بما قبله فلا مفهوم ولو قال لا يعجزه أحد فدخل من أساء العمل فيه دخولاً أولياً مكان أبعد من الارتياح والمعنى من أساء العمل في دفع عذابه.

قوله: (لمن تاب منهم) الظاهر لمن تاب من الكفر منهم الظاهر منكم بدل منهم فيه التفات وقيل الضمير لمن أساء فلا التفات لكن المراد به الفرد الكامل وهو الكافر ولو أريد العموم لكان التحضيض لأجل أن المغفرة بالتوبة المقرونة بشرائطها واقعة ولا ينافي عمومها في نفس الأمر والقول بأنه نبي فيه الزمخشري ضعيف لأن معنى القول يعلم من مذهب قاله فكيف يتوهم أنه تكلم على مذهب المعتزلة مع أنه من عظماء أهل السنة.

قوله تعالى: **الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَاتَّخِذِ الْبَصَرَ**
هَلْ تَرَىٰ مِن فُتُورٍ 

قوله: (مطابقة بعضها فوق بعض) مطابقة بفتح الباء إما مصدر مطابق مثل طباقاً ولشبهة المفاعلة في مصدر فاعل فسر الطباق بها فحينئذ يكون قوله بعضها فوق بعض مبتدأ وخبر تفسير لقوله مطابقة أو بدل منها أو اسم مفعول أي طباقاً مصدر بمعنى اسم المفعول والضمير المستتر فيها نائب الفاعل لقوله بعضها فوق بعض بدل منه ويجوز أن يكون مستنداً إلى بعضها لأنه يكتسب التأنيث من الإضافة فيكون صفة جرت على غير ما هي له لكن يفوت المبالغة قوله فوق بعض منصوب بنزع الخافض متعلقاً بمطابقة بالتضمين أي كائنة بعضها فوق بعض هذا على تقدير كون مطابقة اسم مفعول مسندة إلى بعضها.

قوله: (مصدر طابقت النعل إذا خصفتها طبقاً على طبق) والخصف اللزق في الجلد كالخياطة في الثور لكن اللزق والاتصاق ليس بصحيح هنا إذ بين كل سماء خمسماية عام ومذهب الحكماء ليس بمتبر في الشرع قوله طبقاً بفتحيتين.

قوله: (وصف به) أي سبع سموات به أي بالطباق مع أنه مصدر للمبالغة في توصيف

أو الأقرب إلى العقل معنى التضمين لا الإضمار قال صاحب الانتصاف التعليق عن أحد المفعولين فيه خلاف والأصح هو الذي اختاره الزمخشري هنا إلى هنا كلامه ويمكن أن يحمل التناهي الواقع بين كلاميه هنا وهناك على هذا الخلاف بأن يكون جواز التعليق مبنياً على قول المجوز وعدم الجواز على قول المتابع.

قوله: لمن تاب منهم أي ممن أساء العمل جمع الضمير حملاً على المعنى.

قوله: إذا خصفتها من خصفت النعل أي خرزتها وجعلت بعضها على حذر بعض كما إن طابقت بين الشيتين بمعنى جعلتهما على حذر واحد والزرقتها.

سبع سموات بالطباق كأنه عين المصدر وتقدير المضاف أي ذا طباق أو التأويل باسم المفعول يخرج من المبالغة فالأولى الإبقاء على حاله إلا أن يراد به بيان أصل المعنى إذا لم يقصد المبالغة.

قوله: (أو طويقت طباقاً) عطف على مطابقة فحينئذ يكون طباقاً مفعولاً مطلقاً والجملة صفة سبع والتأنيث لأنها تابع للمعدد.

قوله: (أو ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال أو طبقة) أو ذات طباق وإنما احتيج إلى تقدير المضاف مع أنه مستقيم بدونه إذ الطبق عبارة عن نفس السماء قيل لأنه جامد لا يوصف به ولا يخفى أن الذات جامد لكن بمعنى الصاحب وكذا الطباق يفهم منه المطابقة فيصح كونه صفة لدلالته على المعنى مثل ذو مال وأيضاً يلزم أن يكون الشيء صاحب نفسه فالأولى ما ذكره الفاضل المحشي من أن الأولى أو جمع طبق إذ يصح المعنى بدون تقدير المضاف وكذا الكلام في قوله أو طبقة فإنها بمعنى الطبق ولو جعلت بمعنى المرتبة لاحتاج إلى تقدير المضاف لكن الظاهر أنها كالطبق نفس السماء كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿لتركين طباقاً عن طبق﴾ [الانشقاق: ١٩] قال المصنف لتركين طباقاً من أطباق السماء والمركوب نفس السماء لا المراتب وغاية التوجيه أن المصنف أراد به هنا المرتبة وإن كان الطباق نفس السموات ولعل قول المحشي والأولى أو جمع طبق إشارة إليه بقوله والأولى وقائدة هذا الوصف احتراز عن كونها سبع سموات بعضها في جنب بعض الخ.

قوله: (كرحبة ورحاب) كرحبة بفتح الحاء لا بسكونها وهي الساحة.

قوله: (وقرأ حمزة والكسائي من تفوت ومعناها واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فإن كلاً من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر) فإن كلا الخ تعليل لكونه من الفوت الخ والتفاوت بالزيادة والنقصان فات في الناقص ما في الزائد ولا عكس له وأيضاً التفاوت بالعظم والصغر وبالكواكب وبالحرارة إن قيل بحرکتهم وغير ذلك فالواجب أن يفسر التفاوت بتفسير لا يتناول مثل التفاوت المذكور وهو ما أشار إليه بقوله الآتي لتغابن ما أخبر به عن تناسبها واستقامتها واستجماع ما ينبغي لها فإنه يفهم من ذلك أن التفاوت عدم تناسبها وعدم استقامتها وعدم استجماع ما ينبغي لها فهي مستجمعة ما ينبغي لها ولا اختلاف فيها بهذا المعنى لتناسبها في ذلك فمعنى قوله فإن كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر من عدم استجماع ما ينبغي والاختلاف فيه وبهذا المعنى لا تفاوت في الزائد والناقص وأمثالهما وإن كان تفاوتاً بالمعنى المذكور.

قوله: (والجملة صفة ثانية لسبع) لكن بولغ فيها بنفي الرؤية كناية عن نفي التفاوت وهي أبلغ من التصريح فهو أبلغ من قوله طباقاً لا تفاوت فيها وإن كان أخصر.

قوله: (وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير) وهو فيه من باب وضع الظاهر موضع المضمّر لأن المشهور وضع الظاهر المرجع إليه للضمير وهنا ليس كذلك ولذا قال وضع فيها خلق الرحمن الخ ولم يقل وضع الظاهر الخ.

قوله: (للتعظيم) لإضافته لاسمه تعالى للتعظيم ولا رابط في الجملة الواقعة صفة مع أنه لازم والظاهر أن الشيخين جوزا خلو الجملة الواقعة صفة ولو قيل إن الضمير محذوف أي في خلقهم الرحمن لكان أقرب إلى القبول ولذا قال ابن هشام في المعني في الباب الرابع الجملة الموصوف بها لا يربطها إلا الضمير إما مذكوراً أو مقدراً والقول بأنه لا يلزم المصنف اتباعه والتوفيق بينهما بأنه إذا لم يقصد التعظيم ضعيف إذ قصد التعظيم لا يكون رابطاً وهو ظاهر نعم قد يقوم الظاهر مقام المضمّر في الربط إذا كان اسم الظاهر مرجع الضمير نحو قوله تعالى: ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ [الحاقة: ١، ٢].

قوله: (والإشعار بأنه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلاً) فاسم الرحمن هنا أوقع من سائر أسمائه تعالى للتنبيه المذكورة.

قوله: (وإن في إبداعها نعماً جليلة لا تحصى) لأنها مشحونة بضروب البدائع وبصورة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار ومحل نزول الأرزاق وسبب لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد وكذا يعرف به أوقات الصلوات وسائر المبرات.

قوله: (والخطاب فيها للرسول عليه السلام) وهو المختار وخطابه بعم خطاب الأمة فحيثما يكون ضمير أنت حقيقياً.

قوله: (أو لكل مخاطب) فيدخل الرسول عليه السلام فيه دخولاً أولاً فيكون أنت مجازاً إما مرسل أو استعارة.

قوله: (وقوله: ﴿فارجع البصر هل ترى من فطور﴾ [الملك: ٣] متعلق به على معنى التسبب) هذا بيان تعلقه بما قبله تعلقاً معنوياً.

قوله: (أي قد نظرت إليها مراراً فانظر إليها مرة أخرى متأملاً فيها لتعاین ما أخبرت

قوله: وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير فإن الأصل أن يقال ما ترى فيه من لكن عدل عن الأصل فوضع موضع الضمير قوله: ﴿خلق الرحمن﴾ [الملك: ٣] تعظيماً لخلقهم وتنبيهاً على سبب سلامتهم من التفاوت وهو كونهم خلق الرحمن وأنه بياهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب وهذا المعنى مستفاد من لفظ الرحمن وذلك أن الرحمن كالمترادف لاسم الله الأعظم كما في قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ [الإسراء: ١١٠] فيكون حكمه فدل في مقام القدرة والخلق على كمالها فيكون في وضع الرحمن موضع الضمير إشعاراً بأن لا يكون في خلق السموات نوع نقصان وتفاوت ثم لا يخلو إتيان لفظ الرحمن على لفظ الله في هذا المقام من نكتة وهي الإشعار بأن خلق هذه الأجرام العظام نعمة جليلة توجب الحمد على خالقها لأنها مسارج أنظار المتفكرين ومهابط أنوار رب العالمين.

به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها) هذا متفهم من ترى فإنه مستلزم للنظر إليها إذ عدم الرؤية بعد النظر وقوله مراراً معلوم بالمشاهدة ونفس النظر أيضاً كذلك لكن قوله: ﴿فارجع﴾ [الملك: ٣] الخ يدل على سبق النظر بحسب الظاهر قوله واستجماعها الخ هذا دليل على أن المراد من التفاوت نقصان والمراد من البصر العضو لأنه أشد مناسبة للرجع وإدراك العين والقوة الباصرة لا يناسب هنا نعم يتبع إدراك العين يرجع العضو ولذا قيل ﴿هل ترى من فطور﴾ [الملك: ٣] قوله ارجع أمر من الرجع المتعدي مصدره رجع ومصدر اللازم الرجوع والاستغناء بهل لإنكار الوقوعي أي ما ترى من فطور كما لا ترى شيئاً يوجب النقصان والتخصيص بالفطور لكونها أظهر العيوب فالمراد مطلق العيوب.

قوله: (والفطور الشقوق والمراد الخلل من قطره إذا شقه) إشارة إليه ومن زائدة إذ الكلام على النبي.



قوله تعالى: ثُمَّ أُنْجِ الْأَصْرَ كَرِيمًا بَقَلْبِكَ إِلَيْكَ الْأَصْرَ حَاسِبًا وَهُوَ حَسِيرٌ

قوله: ﴿ثم ارجع البصر﴾ [الملك: ٤] أي لا تقنع بالرجعة الأولى وبالنظرة الحقة فإن الخسوء قد لا يقع بالنظر الأولى بل يحتاج إلى كثرة المعاودة وعن هذا استدل المص بالجواب المذكور على أن المراد طول المعاودة ولم يعتد بالنظر إليها مراراً قبل المراجعة لعدم التأمل فيها فهو كلا نظر ولذا أمر بالمراجعة بالتأمل فيها وفرع عليه عدم رؤية خلل ما ثم أمر بالرجع متفكراً فيها ليرتب عليه الانقلاب المذكور فلا تكرار لاختلاف ما يترتب عليهما وللتنبية على ذلك أظهر البصر في ﴿ثم ارجع البصر﴾ [الملك: ٤] وأما إظهاره في إليك البصر فلكون ذي الحال صريحاً أو لكمال التقرر في الذهن ولزيادة البيان وكلمة ثم للتراخي الرتبي ويجوز التراخي في الزمان ورجع البصر إلى السماء الدنيا أمرها معلوم بالعيان وأمور سائرها معلومة بالبرهان وبالقياس على السماء القربى إذ لا فرق بين سماء وسماء في المقدورية.

قوله: (أي رجعتين آخرين في ارتداد الخلل) بيان معناه اللغوي قوله آخرين مفهوم من المقابلة وفيه تنبيه على أن كرتين مفعول مطلق بغير لفظه فإن كرتين بمعنى رجعتين.

قوله: (والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك أجاب الأمر بقوله: ﴿ينقلب﴾ [الملك: ٤] الآية) والمراد بالتثنية أي معناه اللغوي ليس بمراد لما مر من

قوله: والفطور والشقوق قال الراغب أصل الفطر الشق طولاً يقال فطر فلان كذا فطراً وفطر هو فطوراً أي انفطر انفطاراً قال تعالى: ﴿هل ترى من فطور﴾ [الملك: ٣] أي اختلال ومنه الفطرة وفطر الله الخلق وهو إيجادهم وإبداعهم وقوله: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ [الروم: ٣٠] إشارة منه إلى ما أبدع وركن في الناس من معرفته المشار إليها بقوله: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات الأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ [الزخرف: ٩] والفطر ترك الصوم.

قوله: (والمراد بالتثنية التكرير والتكثير والمعنى ﴿فارجع البصر﴾ [الملك: ٣] رجعة بعد

أن الخسوء والكلال قد لا يقع بالمرة ولا بالمرتين فالمراد التكثير مجازاً بذكر المقيد وإرادة المطلق إذ التثنية تدل على الكثرة المقيدة بالاثنيبة والمراد مطلق الكثرة كما في لبيك الخ وقد فصل بيانه في النحو ولذلك أي لكون المراد الكثرة الخ دليل إني على ذلك.

قوله: (بعيداً عن إصابة المطلوب كأنه طرد عنه طرداً بالصغار) وفيه إشارة إلى أن خاستاً استعارة تبعية قال في الصحاح خسأت الكلب طردته وخساً الكلب بنفسه يتعدى ولا يتعدى والخساً الكلب أيضاً انتهى قوله بعيداً عن إصابة المطلوب فيه تنبيه على أن خاستاً من خساً الكلب بنفسه وإذا جعل من الخساً بمعنى الكلب يكون فيه لطافة جداً ولم يلتفت إلى كون المعنى متحيراً من خساً بصره أي تحير لانتفاء المبالغة المذكورة واللطافة المزبورة مع أن مآله معنى حسيير فيلزم التكرار والصغار بفتح الصاد الذل والهوان الحسي فاستعير هنا للذل المعنوي وهو ذل الخيبة.

قوله: (وهو حسيير قليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة) وهو حسيير قال من ضمير خاستاً أو البصر وكلال البصر مستلزم لكلال صاحبه واختير الجملة هنا لأن الكلal الدوام والثبوت بخلاف الخسوء.

قوله تعالى: وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ آلَ الْدُّنْيَا مِمَّا يَشْتَهُونَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ

الْعَمِيرِ

قوله: (أقرب السموات إلى الأرض) إشارة إلى أن الدنيا صفة لا اسم مقابل للأخرة وأنها من الدنو أي القرب لا من الدناءة والمعنى السماء القريبى منكم وما ذكره حاصل المعنى والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد والمراد هنا الواحد وقيل جمع سماء ويرد هذا القول الكريم حيث أطلق السماء على الواحد منها والمجاز خلاف الظاهر وكونه للتعظيم بعيد.

قوله: (بكواكب مضية بالليل) الأولى منورة.

رجعة وليس المراد الأمر يرجع البصر رجعتين اثنتين فقط قوله ولذلك أجاب الأمر بقوله: ﴿ينقلب إليك البصر خاستاً وهو حسيير﴾ [الملك: 4] فائدة التعليل بقوله هذا يظهر في قيد الجواب وهو الجملة الحالية أعني وهو حسيير فتأمل.

قوله: بعيداً عن إصابة المطلوب أي إن رجعت البصر وكررت النظر متصيحفاً أو متتبعاً في التماس الخلل والعيب فيهن يرجع إليك بصرك بالخسوء والحشور أي بالبعد عن إصابة الملتبس كأنه يطرد عن ذلك طرداً بالصفاء وبالإعياء والكلال لطول الإجالة والترديد بلغظ البصر الثاني والثالث موضوع موضع المضمر فإن الأصل أن يقال: «ثم أرجعه ينقلب إليك خاستاً» فلعل فائدة وضع الظاهر موضع الضمير على ما قال صاحب الانتصاف الإشعار بأن الأبصار التي تدرك بها كل موجود ترجع خاصة.

قوله: أقرب السموات الدنيا تأنيث الأدنى وهو افعل من الدنو بمعنى القرب.

قوله : (إضاءة السرج فيها) أشار إلى أن المصابيح استعارة للكواكب والعلاقة الإضاءة والكواكب شاملة للقمر دون الشمس لأن قوله بالليل يأبى عن شمولها إياها ولو ترك بالليل لكانت شاملة لجميع الكواكب .

قوله : (ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في السموات فوقها) إذ الكواكب السبع السيارات في السموات السبع والقمر في السماء الدنيا والكواكب الثابتة في الفلك الثامن والفلك التاسع أطلس لا كوكب فيه وهذا مذهب الفلاسفة والمتفلسفة وعلى مذهب أهل الحق فالكلام على ظاهره فالسماوات الدنيا مزينة بالكواكب وكلامه غير متناول لسماوات الدنيا مع أن القمر مركوز فيها وما ذكر في النظم سبع سموات لا يتناول الفلك الثامن مع أن الكواكب الثابتة مركوزة فيه قال في البقرة فإن قيل أليس أن أصحاب الأرصاد أثبتوا تسعة أفلاك قلت فيما ذكره شكوك وإن صح فليس في الآية نفي الزائد مع أنه إن ضم إليه العرش والكرسي لم يبق خلاف انتهى انظر إلى ما في كلامه من الخلل والاضطراب يتحير منه أولو الأبواب فإن الكرسي عنده ليس على الحقيقة كما صرح به في الآية الكرسي ولو ثبت عنده لم يثبت كون الكواكب مركوزة فيه وليس له حركة وكذا الكلام في العرش والتزام ما في الشرع على وجه يطابق اصطلاح الحكماء خارج عن الإنصاف وبالجملية يجب صون الكتب الشرعية عن مزخرفات الفلاسفة فضلاً عن تفسير كلام الله تعالى به لكن المصنف قد تعرض ذلك في بعض المواضع تبعاً للإمام الرازي تجاوز الله تعالى عنا وعنهم .

قوله : (إذ التزين بإظهارها عليها) فيه تنبيه على أن تخصيص التزين بالسماوات الدنيا لأنها إنما ترى وتظهر فيها دون غيرها .

قوله : (والتكثير للتعظيم) أي تكثير مصابيح للتعظيم أي تلك المصابيح مما لا تعرف وليست كمصابيحكم وقد مر أنها مستعارة للكواكب ولا تجوز على تجوز كما قيل .

قوله : (وجعلنا لها فائدة أخرى وهي رجم أعدائكم) إشارة إلى وجه الامتنان .

قوله : (بانقضا الشهب المسببة عنها) أشار أيضاً إلى مسلك الفلاسفة من أن الكواكب غير منقضة وإنما المنقض الشهب والشهاب شعلة نار ساطعة تحدث من أجزاء متصاعدة لكرة النار قوله المسببة عنها به على أن تلك الشعلة تحدث بواسطة تسخين الكواكب الأرض ولذا قال تعالى : ﴿وجعلناها﴾ [الملك : ٥] فإيقاع الجمل عليها مجاز

قوله : إضاءة السرج فيها إشارة إلى أن لفظ المصابيح مجاز مستعار .

قوله : ولا يمنع ذلك أي لا يمنع تزين السماء الدنيا كون بعض الكواكب فيما فوقها من السموات لأن ما هو فوق سماء الدنيا يزينا أيضاً بظهورها عليها .

قوله : وهي رجم أعدائكم بانقضا الشهب المسببة عنها يريد أن لفظ الرجوم مجاز مرسل فإن المراد بالرجم هنا ما يرمج به الخلق أطلق اسم السبب على السبب .

عقلي أو الكواكب مرجع ضمير جعلناها مجاز للشهب بعلاقة السببية ولا مانع من حمل الكلام على ظاهره وهو كون نفس منفضة الكواكب كما هو مذهب المتكلمين .

قوله : (وقيل معناه وجعلناها رجوماً وظنوناً لشياطين الإنس وهم المنجمون) مرضه لأنه خلاف الظاهر من وجهين الأول حمل الرجم على الظن مجازاً بدون القرينة المانعة القوية والثاني كون المراد بالشياطين المنجمون المشابهون لهم في الإفساد ومضرة العباد ولعمري أن ضررهم أشد وأقوى من شر الشيطان فحينئذ يكون الرجم عبارة عن التكلم بالظن كما في قوله تعالى : ﴿ رَجِماً بِالْغَيْبِ ﴾ [الكهف : ٢٢] والمراد المنجمون الذين يعتقدون تأثير النجوم ويجزم بما ينسب لها من الأحكام وهو حرام وأما غيره فغير حرام كذا قبل وفيه ما فيه .

قوله : (والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرمج به) جمع رجم بالفتح وسكون الجيم قوله سمي به ما يرمج به مجازاً في اللغة وصار حقيقة اصطلاحية وإنما جمع لأن له حكم الاسم الجامد ولو لم يجمع باعتبار أصله لم يبعد .

قوله : (في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا) فإن الشيطان ليس من النار الصرف ولو سلم فالنار القوية إذا استولت على الضعيفة استهلكتها كذا قاله المصنف في سورة والصافات فلا إشكال بأن الشيطان من النار فلا يحترق لكن هذا بناء على القول بأنه يحترق به وقيل إن المرجوم يتأذى به فيرجع مع أنه قد لا يصيب الشهاب الصاعد فالأولى إطلاق الكلام عن قوله بعد الإحراق الخ .

قوله تعالى : وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَاءَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾

قوله : (من الشياطين وغيرهم) أي مطلقاً سواء كانت مرجومة أو لا فلا تكرار فظهر ضعف ما قيل إنه لو حمله على غير الشياطين ليدخل عن شبهة التكرار ويوافق قراءة النصب لما عرفته من أن الشياطين المذكورين المرجومين فلا يتناول غير المرجومين فالتكرار بالنسبة إلى المرجومين لا مطلقاً والأمر به فيه سهل وفي قراءة النصب المعنى مثل قراءة رفع عذاب جهنم ولا مانع فيها حمل الذين كفروا بربههم على مطلق الشياطين وغيرهم

قوله : ﴿ وجعلناها رجوماً وظنوناً ﴾ [الملك : ٥] قال الراغب الرجام الحجارة والرجم الرمي بها قال تعالى : ﴿ ولولا رمطك لرجمناك ﴾ [هود : ٩١] ويستعار الرمي بالظن وللتوهم والشتيم والطرده نحو قوله : ﴿ رَجِماً بِالْغَيْبِ ﴾ [الكهف : ٢٢] ﴿ لَارْجَمَنَّكَ ﴾ [مريم : ٤٦] ﴿ واهجرني ملياً ﴾ [مريم : ٤٦] أي لأقولن فيك ما تكرهه والشيطان الرجيم المبطود والمراجعة المشائمة الشديدة استمارة كالمقابلة والرجمان تفعلان منه .

قوله : من الشياطين وغيرهم معنى العموم مستفاد من الشياطين وضع الذين كفروا موضع الضمير فإن الأصل أن يقال : ﴿ ولهم عذاب جهنم ﴾ [البروج : ١٠] فعدل عن الأصل إرادة التعميم فيدخل فيه الشياطين دخولاً أولياً .

والمناقشة في مثل هذا ليس بمستحسن على أن التكرار لمزيد التفرير من شعب البلاغة والمراد بهذا دفع إيهام اختصاص العذاب بهم لكن هذا ضعيف إذ لا حصر في الكلام وإن العذاب في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا مختص بهم فلا ضير في إيهام اختصاص هذا العذاب بهم لو سلم الاختصاص فالمراد تفصيل أحوال الكفار والأبرار في الآخرة وقدرته على إثابة المطيعين وعقاب العصاة أثر ذكر أنه العزيز الغفور الدال على أنه قادر بالقدرة الذاتية الكاملة وعالم بالعلم الشامل قوله الذي خلق الخ من ثمرة قوله: ﴿وهو العزيز الغفور﴾ [الملك: ٢] وقرئ بالنصب على أن للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير).

قوله تعالى: **إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ** ﴿٧﴾

قوله: (إذا ألقوا) الإلقاء الطرح أي إذا طرحوا في جهنم مثل طرح الحطب في النار العظيمة فإنهم وقودها.

قوله: (لها شهيقاً صوتاً كصوت الحمير) لها صلة شهيقاً لا سمعوا قدم لأن الأهم كون الشهيق لها أي لجهنم كما هو الظاهر ولا حاجة إلى تقدير المضاف أي لأهلها ممن تقدم طرحهم فيها أو من أنفسهم لقوله تعالى: ﴿لهم فيها زفير وشهيق﴾ [هود: ١٠٦] لأن جعل الصوت لها لا استحالة فيه غاية الأمر أن صوتهم شبه بالشهيق في التنفر عنه وكونه منكراً فذكر اسم المشبه به وأريد المشبه قوله صوتاً كصوت الحمير إشارة إليه نعم إن صاحب الكشف تعرض الوجهين الأولين والظاهر أن المصنف لم يرض به لا لعدم صحتهما بل لعدم الاحتياج إليهما فهو استعارة مصرحة لحسب جهنم فلا إشكال بأن الشهيق لأهلها بعد القرار في النار وبعد ما قيل لهم: ﴿اخشوا فيها ولا تكلمون﴾ [المؤمنون: ١٠٨] ولا حاجة في دفعه إلى أن يقال بأن ما ذكر يدل على انحصار حالهم بعد ذلك في الزفير والشهيق لا على عدم وقوعهما منهم قبل ذلك الزفير إخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في أول النهيق وآخره كذا قاله المصنف في سورة هود فالزفير معتبر أيضاً لما عرفته من أنهما لا ينفكان ويرد على الأول أن من طرح في النار مقدماً يلزم أن لا يسمع شهيقاً في حال الدخول وعلى الثاني أنه لا معنى لسمع الشهيق من أنفسهم لأن كلا منهم إذا سمع الشهيق من أنفسهم يلزم أن يسمع من غيرهم وبالعكس فالتقابل يحتاج إلى التحمل.

قوله: وقرئ بالنصب أي قرئ ﴿عذاب جهنم﴾ [الملك: ٦] عطفاً على مفعول ﴿اعتدنا﴾ [الملك: ٥] وهو عذاب السعير فالمعنى واعتدنا للذين كفروا بربهم عذاب جهنم على منوال قولك هيات لزيد قيداً ولعمرو أسراً أقول موضع قوله وقرئ بالنصب ما قيل: ﴿ويش المصير﴾ [الملك: ٦] قوله قلعه سهو من الناسخين.

قوله: (تغلي بهم غليان المرجل بما فيه) نه به على أن الكلام محمول على التشبيه أو المراد بذكر التشبيه توضيح ذلك لا الإشارة إلى الاستعارة.

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ لَكُمَا الْيَمِينُ فِيهَا فَوْجٌ سَلَمٌ خَرْنَهَا أَلَمْ يَأْكُرْ نَبِيرٌ﴾

قوله: (تتفرق غضباً عليهم) معنى تميز هنا مجاز إذ التفرق لا يستلزم للتمييز قوله غضباً عليهم أشار إلى أن الغيظ بمعنى الغضب الكامن للعاجز عن الانتقام كما في الصحاح وذكر غضباً بلا قيد الكامن يشعر بأن الغيظ هو الغضب أو أسوءه.

قوله: (وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم) يعني أنه استعارة تمثيلية شبه الهيئة المنتزعة من أمور عديدة وهي النار وشدة الاشتعال بها وحصول الألم الشديد بها بهيئة أخرى مأخوذة من أشياء كثيرة المغتاط واغتياطه وكمال حرصه في إيصال الألم الفادح إلى من غضب عليه بحيث يكاد المغتاط يتفرق من كمال غضبه وجه الشبه قوة التأثير لكن في المشبه أقوى وفي المشبه به أعرف والأعرفية تكفي في كونه مشبهاً به وأما كونه أقوى فليس بشرط والتمثيل كالتصريح في الاستعارة التمثيلية وقيل التمثيل في كلامه بمعنى التشبيه فالاستعارة تصريحية لأن اشتعال النار بهم شبه باغتياط المغتاط ويجوز أن يكون المصرحة هنا تخيلية نابعة للمكنية بأن شبه جهنم في شدة غليانها وقوة تأثيرها في أهلها بإنسان شديد الغضب على غيره مبالغ في إيصال الضرر فتوهم صورة كصورة الحالة المحققة الوجدانية وهي الغضب الباعث على ذلك واستعير لتلك الحالة المتهومة الغيظ كما في شرح المفتاح الشريفي والكل يخالف لما يتبادر من كلام المصنف على أن ما نقل عن السيد قدس سره مسلك صاحب المفتاح فهو قدس سره بين المقام هناك على مذاق السكاكي فلا يناسب حل كلام القاضي بذلك المسلك المرود والقول بثبوت الغيظ الحقيقي بأن يخلق الله تعالى فيها إدراكاً جواب آخر لا يوافق كلام المصنف قوله: ﴿تَكَادُ﴾ [الملك: ٨] يقرب الغلول وهو المبالغة التي هي غير ممكن عقلاً ولإعادة إلى الصحة وهذا لا ينافي الاستعارة ألا يرى أنه لو قيل تكاد تميز من الاشتعال وقوته لكان استعمال تكاد في بابه إذ به يصح إسناد التفرق إليها حينئذ.

قوله: تتفرق غضباً عليهم قال الراغب الميز والتمييز فصل بين المشابهات يقال مازة ميزاً ويميز تمييزاً والتمييز يقال تارة للفصل وتارة للقوة التي في الدماغ وبها يستنبط المعاني يقال فلان لا تمييز له ويقال التماز وامتاز قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا نِزْوَةُ الْيَوْمِ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَةً﴾ [يس: ٥٩] وتمييز كنا انفصل وانقطع قال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨].

قوله: وهو تمثيل لشدة اشتغالها بهم معنى الشدة مستفاد من لفظ الغيظ قال الراغب الغيظ أشد الغضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه قال تعالى: ﴿قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩] فإذا وصف الله تعالى به فإنما يراد به الانتقام وكذلك جاء اتقوا الغضب فإنه جمة في قلب ابن آدم ألم تر انتفاخ أوداجه وجمة عينه.

قوله: (ويجوز أن يراد غيظ الزبانية) أي لام الغيظ عوض عن المضاف إليه وهو الزبانية فلا استعارة في الغيظ لكن في إسناد التفرق إلى جهنم لأجل غيظ الزبانية مجازاً ويقدر المضاف في ضمير تميز أي تكاد تميز زبانيتهما والظاهر من كلام أرباب الحواشي أن إسناد الغيظ إلى جهنم مجاز والمراد الزبانية أسند إلى جهنم للملازمة وأن يقدر المضاف ولا يخفى أن الغيظ لم يسند إليها صريحاً بل من كون اللام عوضاً عن ذكر جهنم وأنت تعلم أن كون المضاف إليه يحتمل أن يكون زبانية والغضب فوران دم القلب لإرادة الانتقام ولذلك جاء اتفقا الغضب فإنه جمرة في قلب ابن آدم ألم تر انتفاخ أوداجه وحمرة عينه والغيظ أشد الغضب أو الغضب الكامن للعاجز فتحقق الغيظ في الزبانية بهذا المعنى محل نظر فلا فائدة في تقدير المضاف وإسناد الغيظ إلى الزبانية فلا تغفل.

قوله: (جماعة من الكفرة) قيد الكفرة منهم مما قبله وما بعده أيضاً وتعذيب العصاة من الموحيدين ثابت من النص فقول المرجئة لا يدخل النار غير الكفرة احتجاجاً بهذه الآية باطل.

قوله: ﴿سألهم خزنتها﴾ [الملك: ٨] وهذا أبلغ من قولهم وقال لهم خزنتها لأن فيه إجمالاً أولاً وتفصيلاً ثانياً فهو أوقع في النفوس لأن قوله: ﴿ألم يأتكم نذير﴾ [الملك: ٨] بيان للسؤال المذكور فالمعنى سألهم خزنتها قائلين ﴿ألم يأتكم نذير﴾ [الملك: ٨] لكن هذا يدل على أن السؤال حين طرحهم في النار وما في الزمر السؤال حين فتحت أبواب جهنم فالمراد حين فتحت أبوابها وطرحوا فيها إذ الفتح لطرعهم أو السؤال وقع مرتين أو بعضهم سألوها في حين الوصول إلى جهنم والبعض الآخر حين الطرح وهذا لا يلائم ﴿كلما ألقى﴾ [الملك: ٨] الخ.

قوله: (يخوفكم بهذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت) الإشارة إلى نوع العذاب قوله وهو توبيخ الخ إشارة إلى أن الاستفهام لإنكار النفي وإثبات المنفي أي قد أناكم نذير رسول الله

قوله: وهو توبيخ وتبكيت قال الزمخشري ﴿ألم يأتكم نذير﴾ [الملك: ٨] توبيخاً يزدادونه عذاباً إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم وقوله تعالى: ﴿قالوا بلى﴾ [الملك: ٩] اعتراف منهم بعدل الله وإقرار بأن الله عز وجل أزاح عنهم بيعة الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه وأنهم لم يؤثروا من قدره كما يزعم المجبرة وإنما أوتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختاره الله فأمر به وأوعده على ضده يريد أن قولهم بلى تقرير للمنفى ﴿وقد جاءنا نذير﴾ [الملك: ٩] قول بالموجب يعني أن الله تعالى ما أبلى لهم من الإرشاد والهداية شيئاً إلا فعل وقولهم: ﴿فكذبنا﴾ [الملك: ٩] وقلنا ما نزل الله من شيء إقرار بأن التكذيب إنما نشأ من قبل أنفسهم لا من قضاء الله وقدره واعلم أن الجواب والسؤال مبني على ظاهر الحال وإثبات الكسب قال الطيبي وفي قوله واختيارهم خلاف ما اختاره الله وأمر به إشارتان إلى مذهبه أحدهما في إيقاع خلاف مفعول واختيارهم إشارة إلى أن اختيارهم غلب اختيار الله تعالى وإرادته وثانيتهما في عطف وأمر به وأوعده على ما اختار الله على سبيل البيان والتفسير إشعاراً بأن الإرادة والأمر متحدان.

من الله تعالى قوله توبيخ ناظر إلى الإنكار وأما التبيكيت أي إسكاتهم عن المَعذرة فهو مفهوم من الإنكار فلا جمع بين المعنيين المجازيين.

قوله تعالى : **قَالُوا لَيْتَ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن نَّذِيرٍ إِلَّا فِي سَكَلٍ كَبِيرٍ** ﴿٩﴾

(قالوا بلى) جواب سؤال مقدر وإنما قالوا بلى مع أن الكلام مثبت لكون الاستفهام لإنكار النفي لما قال أبو حيان من أن النفي إذا دخل عليه الاستفهام وإن كان تقريراً في بعض الكلام هو معامل معاملة النفي المحض في الجواب كقوله تعالى : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى﴾ [الأعراف : ١٧٢] قولهم : ﴿قد جاءنا نذير﴾ [الملك : ٩] تصريح بما علم من قولهم بلى لمزيد التأسف ولتمهيد قولهم : ﴿فكذبنا﴾ [الملك : ٩] الخ.

قوله : (أي فكذبنا الرسل) بيان المفعول المحذوف ولم يقدر نذيراً للإشارة إلى أن المراد به الرسل بالمعنى الأعم وهم يعلمون الأحكام والحكمة ويشرحهم وينذرهم وتخصيص الإنذار لأن المقام يقتضي ذكر الإنذار عن العذاب المعذبين به وذكر الإرسال لأن إنكارهم الإنزال يستلزم إنكار الإرسال كعكسه.

قوله : (وأفرطنا في التكذيب حتى نفينا الإنزال والإرسال رأساً) أي بالكيفية هذا مستفاد من شيء لأنه نكرة في سياق النفي فيفيد العموم وزيادة من نص في الاستغراق.

قوله : (وبالفناء في نسيهم إلى الضلال) حيث جعلنا الضلال ظرفاً لهم مجازاً ليفيد أنه محيط بهم كحاطة الظرف بالمظروف مع قصرهم على كونهم في الضلال وفيه اعتراف بأن ما نسبوههم حال أنفسهم حيث أحاط الضلال بهم من القرن إلى القدم فلم يتخلصوا عن الضلال البعيد حتى قضوا نحبتهم.

قوله : (فالنذير إما بمعنى الجمع) تفريع على قوله : فكذبنا الرسل لكن الأولى فالنذير بمعنى الجمع ويحتمل أن يكون مصدراً الخ.

قوله : فالنذير إما بمعنى الجمع لما فسر ﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ [الملك : ٩] على أنه من مقول قول الكفرة لزمه أن يكون المراد بالنذير الجمع لأن أنتم في قولهم هذا خطاب للرسل الذين أنذروهم في دار التكليف حكوا خطابهم هذا عند سؤال الخزنة بألم يتاكم نذير فورد عليه أنه ينبغي حينئذ أن يجيء نذير على صيغة الجمع ويقال ألم يأتكم نذر بلى قد جاءنا نذر ليطابق أنتم فأول رحمه الله بوجوه الأول أنه بمعنى الجمع وترك المطابقة لأنه فعيل فإن فعلاً بمعنى فاعل قد يراعى فيه المشابهة بما هو بمعنى مفعول فيترك مطابقتها لموصوفه كما في قوله عز وجل : ﴿إن رحمه الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف : ٥٦] والثاني أن يكون مصدراً والمصدر يستوي فيه الأفراد والجمع لأنه موضوع للحقيقة من حيث هي ولا كثرة في الحقيقة وإنما هي في أفرادها والثالث أن يكون بتقدير مضاف أي أهل إنذار والرابع أن ينعت به للمبالغة مثل رجل عدل وقوله أو الواحد عطف على الجمع في قوله إما بمعنى الجمع فيجب تأويل مجيء الخطاب في أنتم على الجمع بأن يكون الخطاب له ولأمثاله على التغليب أو يقام تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل

قوله: (لأنه فعيل) يستوي فيه الواحد والجمع والمراد هنا الجمع بقريئة إن أنتم ولم يجعل جمعاً كالعبيد جمع عبد إذ الاشتراك خلاف الأصل وأما التعليل بأنه لصعوبة مفردة فتضعف لأن مفردة حيثل فعل كالعبد.

قوله: (أو مصدر مقدر بمضاف أي أهل إنذار أو منعتو به للمبالغة) أو مصدر بمعنى الإنذار فلا يصح الحمل بالمواطأة فيقدر مضاف وهو الأهل وهو في معنى الجمع لأن المصدر جنس يحتمل القليل والكثير والمراد هنا الكثير لما مر أو منعتو به للمبالغة فإنهم عليهم السلام لكما لهم في الإنذار كأنهم عين الإنذار على أن المراد هنا الكثير أي الإنذارات لما عرفته من أنه مصدر يحتمل القليل والكثير قوله أو منعتو به أي معنى إذ التقدير بلى قد جاءنا فوج نذير.

قوله: (أو الواحد والخطاب له ولأمثاله على التغليب أو إقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل) أو الواحد عطف على الجمع أو بمعنى الجمع والخطاب له ولأمثاله على التغليب أي تغليب المخاطب على الغائب فالتقدير أنت وأمثالك فادخلوا في الخطاب تغليبا ولذا جاء أنتم بصيغة الجمع وكذا قوله أو إقامة تكذيب الواحد الخ ولذا جاء ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ [الفرقان: ٣٧] الآية قال هناك أو نوحاً ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل لأن الكل مثقفون في الدعوة إلى التوحيد وسائر المعتقدات ولا يضره تخالفهم في بعض الجزئيات من الأحكام الفرعية فاحتج الخطاب للواحد المعين والجمع لاستلزامه تكذيب الكل فيكون ادعائياً.

قوله: (أو على أن المعنى قالت الأفواج قد جاء إلى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم) معنى قالوا إذ ضميره لكل فوج وحاصله الأفواج قد جاء إلى كل فوج منا رسول أي نذير واحد فكذبناهم ولم يقل فكذب كل نوع منا رسوله كما هو الظاهر لمكان قولهم إن أنتم بالجمع فإفراد النذير بالنظر إلى كل فوج منهم وجمع أنتم لما مر من أن تكذيب الواحد تكذيب الكل فكل فوج جاءهم رسول واحد فكذبه وبواسطته كذب رسلاً جاؤوا قبلهم أو بعدهم لا قال كل فوج قد جاءنا رسل فكذب كل واحد منا رسلاً جاؤونا لأن كل واحد من الأفواج لم يكذب رسلاً متعددة جاؤوهم لأن قوم هود مثلاً جاءهم هود فقط فكذبوه وتكذب غيرهم للاستلزام المذكور.

أو يكون المعنى قالت الأفواج قد جاء لكل منا رسول فكذبناهم وقلنا لهم ﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ [الملك: ٩] يعني أن يكون ضمير الفاعل في ﴿قالوا﴾ [الملك: ٩] عبارة عن جميع أفواج الكفرة وضمير المفعول في ﴿قد جاءنا﴾ [الملك: ٩] عبارة عن كل واحد من تلك الأفواج وضمير المفعول فكذبناهم والمخاطبون بأنتم عبارة عن جميع الرسل الذين أنذروهم هذه التأويلات كلها على تقدير كون إن أنتم إلا في ضلال مبين من جملة مقول قول الكفرة وأما إن كان من كلام الخزنة للكفار أو من كلام الرسل لهم فلا حاجة إلى التأويل ويكون الوقف على شيء وفقاً حسناً وقوله: ﴿إن أنتم﴾ [الملك: ٩] استئنافاً بتقدير القول.

قوله: (ويجوز أن يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على إرادة القول) أي ويجوز أن يكون إن أنتم من كلام الخزنة للكفار فلا تمحل في أنتم لأن خطاب الزبانية لجميع الكفار في يوم القيامة ولذا تصدى لتصحيح الضلال بقوله فيكون الضلال الخ وهذا على إطلاق النذير سواء كان بمعنى الجمع أو المفرد وإن كان المتبادر الأخير لذكره عقبه فجملة الوجوه سبعة والفضل للمتقدم لفظة التكلف فيه لكن المراد انقسام الأحاد إلى الأحاد أو جمع أنتم في الحكاية لا في المحكي وما سواء كله ظاهر والتقديم والتأخير يعلم وجهه بالتأمل الجدير وإنما قدر القول للارتباط.

قوله: (فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا أو عقابه الذي يكونون فيه) فيكون مجازاً باعتبار ما كان لأنهم ليسوا الآن في الضلال إذ الآخرة ليست دار التكليف غاية الأمر أنهم في إثر الضلال وإلى ذلك أشار بقوله أو عقابه الخ فذكر السبب وأريد المسبب وفي الكشف أو أرادوا بالضلال الهلاك أو سموا عقاب الضلال باسمه ولا يخفى أن المراد بالهلاك أيضاً العذاب ولذا اكتفى المصنف بالأول وهو عقابه الخ.

قوله تعالى: وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾

قوله: (كلام الرسل ونقبله جملة من غير بحث وتفنيش اعتماداً على ما لاح من صدقهم بالمعجزات أو نعقل فتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصر) ونقبله به به على أن المراد بالسمع السمع مع القبول لأنه فرد كامل ألا يرى أن السمع نفى عن لم يقبل مع أن له سمعاً وكذا الكلام في نعقل إذ العقل بدون تفكر كلا عقل والظاهر أن لفظة أو لمنع الخلو إذ السمع وحده لا يكفي بلا تعقل والتعقل لا يمكن بدون سمع وإنما اختاروا كلمة أو للتنبية على أن أحدهما سبب النجاة لاستلزامه الآخر كأنه ترديد في العبارة وإنما قدم السمع لأنه مقدم في الوجود ولم يذكروا البصر إذ الكلام في تكذيب رسلهم فالتأسف على عدم سمع كلامهم وعدم تعقلهم ولا مدخل للبصر فيه.

قوله: ﴿ما كنا في أصحاب السعير﴾ [الملك: ١٠] جواب لو أي لآمنا بالرسل وما جاؤا به ولو آمنا به ما كنا في أصحاب السعير على التأييد ﴿فلو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ [الملك: ١٠] واكتفى بالنتيجة ولم يذكر الحد الأوسط لظهوره وللإيجاز وما ذكره التحرير التفازي في المطول من أن لو لم يستعمل في القياس الافتراضي في فصيح الكلام وإنما يستعمل في القياس الاستثنائي غير مسلم إذ الاستقراء التام غير متحقق والتاقص غير مفيد بل مثل هذا النظم الكريم شاهد على وقوعه ولو سلم فيحمل

قوله: فتفكر في حكمه ومعانيه قال صاحب الكشف قبل إنما جمع بين السمع والعقل لأن مدار التكليف على أدلة العقل والسمع قال صاحب الانتصاف إن أراد الأحكام التكليفية مستفاد من العقل فهو من العقائد الفاسدة وإن عني أن العقل يزيد في العقائد الصحيحة والسمع يخص الأحكام الشرعية فهو حق.

هذا على أن الجزء المذكور محذوف والجواب المذكور بالشرط المحذوف والمراد بالسعير مطلق جهنم لا الدرك المخصوص وما كنا لنفي الدوام وهذا أبلى من قوله: ﴿وما كنا في السعير﴾ [الملك: ١٠] ولذا اختير عليه مع أنه أخصر والظرفية فيه ظاهرة.

قوله: (في عدادهم ومن جعلتهم) توجيه للظرفية من قبيل ظرفية الكلي للجزئي أو الكل للجزء بالتأويل ومن جعلتهم بيان حاصل المعنى.

قوله تعالى: **فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴿١١﴾

قوله: (حين لا ينفعهم والاعتراف إقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لأنه في الأصل مصدر) حين لا ينفعهم أشار به إلى أن الإخبار باعترافهم مع ظهوره مما مر لإفادة عدم نفعهم كأنه قيل لا ينفع هذا الاعتراف ولذا قيل ﴿فسحقا﴾ [الملك: ١١].

قوله: (أو المراد الكفر) وهو الظاهر إذ الكلام فيهم وأيضاً الكفر بأنواعه فرد كامل للذنب وللتنبية على ذلك عبر بالذنب دون الكفر.

قوله: (فأسحقهم الله سحقاً أي أبعدهم من رحمته) أشار إلى أن سحقاً مفعول مطلق يحذف الزوائد والقول بأنه يجوز أن يكون التقدير فأسحقهم الله وسحقوا سحقاً كما في ﴿أنبتكم نباتاً﴾ [نوح: ١٧] ضعيف إذا سحقهم مقدر ولو كان المراد ذلك لقدر فسحقوا سحقاً إلا أن يقال إن في هذا تنبيهاً على أنه يجازيهم بذلك على أفعالهم الشنيعة ولم يقل فسحقهم الله سحقاً لأن سحق كونه متعدياً أنكره بعضهم وادعى الفاضل السعدي ثبوته على قلة ثم المراد بالماضي إما دعاء عليهم وهو طلب من ذاته أن يبعدهم من رحمته وفيه إظهار مقت شديد أو الخير ولكونه محقق الوقوع عبر بالماضي.

قوله: (والتغليب للإيجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثنية) قيل والظاهر أن

قوله: والتغليب للمبالغة والإيجاز والتعليل معنى التغليب هنا بمعنى التعميم أي تعميم حكم الإبعاد والسحق على الكفرة المخلص وغيرهم من عصاة المؤمنين حيث عبر عن الجميع بقوله: ﴿أصحاب السعير﴾ [الملك: ١٠] مع أن الكلام سبق في حق الكفرة خاصة إنما هو للمبالغة في التهديد بالوعيد في حق العصاة وإلا فهم ليسوا بمباعدين عن رحمة الله لأن مصيرهم آخرأ بعد استيفاء الحقوق إلى الجنة والإيجاز من حيث إنه لم يعبر أهل النار بأسماء أشخاصهم وأصنافهم بل عبر بلفظ عام وقيل أصحاب السعير نعم هذا وضع الظاهر موضع المضمر فلو قيل على الأصل لهم بدل لأصحاب السعير لكان أوجز منه لكن لما أوجب قصد التعميم والتعليل أن يقال لأصحاب السعير في موضع لهم اكتفى به عن ذكر الفريقين بوصفيهما فإن ﴿فسحقاً لأصحاب السعير﴾ [الملك: ١١] أوجز من أن يقال فسحقاً للذين كفروا والذين عصوا من أهل الإيمان وأما التعليل فمن جهة أن الآية أفادت بأن بئسهم عن رحمة الله يكونهم مستحقين النار وأصحاب السعير فمعنى التعليل استيفاد من ترتب الحكم على الوصف المناسب.

قوله: وقرأ الكسائي بالتثنية أي قرأ فسحقاً بضمين والياقون بسكون الحاء.

أصحاب السعير له معنى في اللغة وهو كل من دخل ناراً مسعرة مطلقاً أو لازمها كما يفيد الصحبة في عرف اللغة وفي عرف الشرع السعير نار مخصوصة إذ ورد أن جهنم سبع طبقات لكل طبقة منها اسم يخصها والسعير واحدة منها فهي الطبقة المخصوصة المعدة للشياطين فحيث قامت القرينة على إرادة معناه اللغوي أو العرفي يعمل بها ويكون هذا كالدابة وهنا ما قبله دل على أن المراد منها الطبقة المخصوصة فيكون مجازاً في الأخرى والتغليب وغيره ظاهر كما فسروه بذلك وهو الذي أراده ذلك القائل وحينئذ فلا إشكال عليه أصلاً وهذا كلام لا غبار عليه انتهى قال المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ يَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] فجهم لعصاة الموحدين ولظى لليهود والحطمة للنصارى والسعير للصائين الخ فظهر ضعف القول بأن المراد أن أصحاب السعير وهم الشياطين غلبوا على الكفرة إذ الظاهر أن يقال فسحقاً لهم أي للقائلين ﴿بلى قد جاءنا نذير﴾ [الملك: ٩] ولأصحاب السعير الذين هم الشياطين فغلب للإيجاز وهو ظاهر والقائل المذكور أراد توضيح مراد هذا القائل دفعاً للإيراد عليه كأنهم لم ينظروا إلى كلام المصنف في سورة الحجر فوقعوا ما وقعوا من حل كلام المصنف على خلاف مذاقه إذ السعير التي اسم للدركة المخصوصة ليست معدة للشياطين بل مهية للصائين فالمراد بالسعير هنا وفيما قبله مطلق جهنم كما هو في أكثر المواضع كذلك فلا تغليب هنا بهذا المعنى والقول بأنه يكفي في التغليب كون الشياطين أصلاً في دخول السعير الحق بهم الكفار سخيف جداً لأن كون الشياطين أصلاً في ذلك غير مسلم لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالاً وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤] وأيضاً لا يفيد ذلك التغليب كما لا يخفى على اللبيب وأغرب منه ما قيل إن مراده تغليب الكفرة على الفسقة والأصل فسحقاً لهم ولسائر أصحاب السعير فغلب الأكثر على الأقل لأن ما قبل الآية في حق الكفار خاصة وهذه الآية مسوقة لبيان حالهم واعتراف ذنبهم وبعدهم عن الرحمة فجعلها عامة لعصاة الموحدين يخل الانتظام ويجب الصون عنه في كلام الملك العلام على أنه لا يطلق عليهم أصحاب السعير لأنه يفيد التأييد في عرف القرآن لإشعار الملازمة والمصاحبة وكذا لا يستحق عصاة الموحدين الدعاء بالإبعاد عن الرحمة لأنه اللعن مآلاً فلعنة الله على الكافرين فقط وقيل وأيضاً لا تجوز فيه حينئذ والتغليب كله مجاز وهذا غير وارد لأن القائل به حمل التغليب على معناه اللغوي وهو إيراد اللفظ الغالب أي المتناول لما سبق لهم الآية وهم الكفرة ولغيرهم من العصاة دون التغليب العرفي إذ إطلاق أصحاب السعير على كل من يدخلها من العصاة والكفرة إطلاق بحسب الحقيقة ففي كلامه مصرح بعدم التجوز فلا وجه للاعتراض به نعم أنه ليس بصحيح كما عرفت ولهذه الاعتراضات عليه قيل إنه من مشكلات هذا الكتاب نادباً مع القاضي وإلا فالظاهر أنه من تحريف الناسخ فالصحيح التعبير بالراء يعني أن الأصل ذكر الفعل أي اسحقهم وبالصغير لكن غير الأسلوب بحذف الفعل للإيجاز

وهو ظاهر والمبالغة لأن سحقاً ذكر أولاً مجملاً من غير بيان من يسحقه ولمن هو ثم جاء بقوله لأصحاب السعير بياناً للمعنى المراد إذ البيان بعد الإجمال أوقع في النفوس وأضرر في موضع المضمر للتعليل فإن علة اللعن في الآخرة كونهم من أصحاب السعير وإن كان علة كونهم أصحاب السعير اللعن في الدنيا بسبب كفرهم فلا دور وفي نسخة التغليب الإيجاز لجمع الفريقين بلفظ واحد وفي حذف الفعل أيضاً وإن سكتوا عنه أرياب الحواشي والمبالغة فيه في إبعاد الكفرة إذ أفرد بالذكر لأمكن أن يقال إن إبعادهم دون إبعاد الشياطين وأيضاً فيه التفصيل بعد^(١) الإجمال والتعليل مثل ما مر ومنهم من قال في توضيح هذا الغرام إن مساق الكلام يقتضي أن يقال فسحقاً لهم ولغيرهم من أصحاب السعير لأن ترتب السحق على المعترفين بذنبهم وهم من جملة أصحاب السعير فترتب السحق على جميع أصحاب السعير تغليب من قبيل إسناد حكم البعض إلى الكل كما في قوله تعالى خطاباً لشعيب عليه السلام ﴿أو لتعودن في ملتنا﴾ [الأعراف: ٨٨] فإن التغليب كما يكون في المجاز اللغوي كذلك يكون في المجاز العقلي فيحمل هنا على هذا انتهى والاعتراف عام لجميع الكفار إذ قولهم: ﴿بلى قد جاءنا﴾ [الملك: ٩] الخ صادر من كل أمة كما مر بيانه في توجيه إن أنتم وإن أراد أن الشياطين غير معترفين فيكفي في الترتيب كونه بالنسبة إلى البعض بلا حاجة إلى اعتبار النسبة إلى الجميع وبالجمله ترتب الشيء على المجموع لا يقتضي ترتبه على كل واحد واحد قال المصنف في قوله تعالى: ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء﴾ [المنحène: ٤] الآية ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه انتهى وما ذكرناه أهون من ذلك وفي المطول ومنه تغليب الأكثر على الأقل من جنس بأن ينسب إلى الجميع وصف مختص بالأكثر كقوله تعالى حكاية ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾ [الأعراف: ٨٨] الآية وصرح بأن التغليب تغليب الأكثر على الأقل لا تغليب في الإسناد غاية الأمر إن في التغليب اعتبر الإسناد ولو سلم فلا إسناد للترتيب إلى الكل صريحاً.



قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**

قوله: (يخافون عذابه) أي يخشون بمعنى يخافون وإن العذاب مقدر.

قوله: (غائباً عنهم لم يعاينوه بعد) أي بالغيب ظرف مستقر حال إما من المفعول وهو الراجح للمبالغة في مدح الخائفين أو من الفاعل وهما متلازمان والباء للملابسة.

قوله: (غائباً عنهم يريد أن بالغيب إما ظرف مستقر متعلق بمحذوف على أنه حال من المفعول والمعنى غائباً عنهم أو من الفاعل والمعنى غائبين عنه أو عن الناس وأما ظرف لغو متعلق يخشون فالباء على الأول للمصاحبة وعلى الثاني للآلة.

(١) ولم يذكر المحشون ذلك في التغليب.

قوله: (أو غائبين عنه أو عن أعيين الناس) أي لا يراؤون الناس كالمنافقين سواء كانوا في خلوة أو في حضور ولا يراؤون.

قوله: (أو بالمخفي عنهم) عطف على غائباً عنهم بحسب المعنى فلام الغيب اسم موصول لأنه بمعنى غائباً مصدر بمعنى اسم الفاعل أو مخفف غيب كما مر في سورة البقرة فالباء ح للالة.

قوله: (وهو قلوبهم) لا بإظهار الخوف بألسنتهم وهو المراد هنا فلا إشكال بأن محل الخوف القلب فما الفائدة في ذلك ولعل لهذا آخره قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ [الملك: ١٢] جملة مستأنفة مسوقة لبيان حال السعداء إثر بيان حال الأشقياء كما هو عادة القرآن حيث شفع الترغيب بالترهيب ترغيباً لما ينبغي وتثغيراً عما يردى.

قوله: (للدنوبهم) والمغفرة لا تكون إلا للذنوب ففائدة القيد التنبيه على أن خوفهم وإن بلغ مرتبة الكمال لا يخلو عن تقصير وذنب والتعبير بالأجر بناء على وعده وإلا فهو تفضل وعطاء وكبير صفة مؤكدة لما يستفاد من التثوين.

قوله: (يصفر دونه للذات الدنيا) دونه أي عنده فالمراد بالكبير الكبير كيفاً والكبير وإن كان دون العظيم في الأصل لكن المراد هنا بمعنى العظيم بقرينة قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلو قال يحقر دونه لكان أبطل.



قوله تعالى: وَأَيُّسِّرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾

قوله: (وأيسروا) عطف على مقدر أي فاحذروه في السر والعلن والأمر للتسوية نحو اصبروا ولا تصبروا والمعنى إسرار قولكم وجهه سواء قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَلِيمٌ﴾ [الملك: ١٣] تعليل للاستواء المذكور وكذا الأفعال سرأ أو جهراً مستويان في تعلق العلم والتخصيص بالأقوال لما سيحيى من سبب النزول.

قوله: (بالضمائر قبل أن يعبر عنها) فيعلم الله إياها بالتعلق القديم بأنه سميع عنها فيعلم بعد التعبير عنها بالتعلق الحادث بأنه عبر عنها الآن أو قبل وهو المراد هنا فإن هذا علم يترتب عليه الجزاء وأما العلم بالتعلق القديم فلا يترتب عليه الجزاء وإنما تعرضه هنا للمبالغة في وقوع الأول.

قوله: (سرأ أو جهراً) أي في السر والجهر منصوبان بنزع الخافض.



قوله تعالى: أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾

قوله: (ألا يعلم السر والجهر) مفعوله المحذوف والتعرض لعلم الجهر للتنبيه على أن علمه بالسر والجهر سواء لا سر بالنسبة إلى علمه تعالى.

قوله: ألا يعلم السر والجهر من أوجد الأشياء حسبما قدرته وحكمته يعني قوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤] تذييل متصل بما قبله لتعليلاً له فإن المراد بقوله: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ﴾

قوله: (من أوجد الأشياء) أي خلق بمعنى أوجد لا بمعنى قدر والمفعول محذوف للتعميم مع الاختصار فيدخل خلق السر والجهر دخولاً أولاً فكيف لا يعلمه والإيجاد يستلزم العلم الفعلي على التفصيل ولو قال ألا يعلم من أوجد السر والجهر على أن المراد بهما الحاصل بالمصدر لكان أمس بالمرام كما اكتفى بهما في تقدير مفعول يعلم والقول بأن تقدير العموم إشارة إلى صغرى الدليل وهي أن كلاً منهما شيء وكل شيء مخلوق لأن قوله: ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك: ١٤] سبق لإفادة استلزام الخلق للعلم ضعيف لأنه يقتضي تقدير مفعول يعلم عاماً للإشارة إلى صغرى دليل علمه بالسر والجهر وهو أهم فما هو جوابكم فهو جوابنا وعادة المصنف تقدير الخاص في مثل هذا المقام لأنه أشد اتصالاً بما قبله.

قوله: (حسبما قدرته حكمته) أي اقتضت حكمته هذا بيان للمواقع لا المستفاد من الكلام.

اجهروا به﴾ [الملك: ١٣] بيان استواء الحالين بالنسبة إلى علمه الشامل وهو كالمدهي وقوله: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ [الملك: ١٣] دليله وقوله: ﴿ألا يعلم من خلق﴾ [الملك: ١٤] دليل الدليل الأول وبرهانه المثبت له والدليل الأول برهان المدهي فقوله: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك: ١٤] تعليل لإحاطة علمه بجميع الكائنات جزئياً وكلّياً ظاهراً وباطناً قال الإمام الآية تدل على أن العبد غير موجد لأفعاله وذلك أنه تعالى لما قرر أنه عالم بالسر والجهر وبكل ما في الصدور قال بعده ألا يعلم من خلق وهذا الكلام إنما يتصل بما قبله لو كان تعالى خالقاً لكل ما يفعلونه في السر والجهر وفي القلوب والصدور فإنه تعالى لو لم يكن خالقاً لها لم يكن قوله ألا يعلم من خلق مقتضياً كونه تعالى عالمًا بتلك الأشياء فإن قيل لم لا يجوز أن يكون المراد ألا يعلم من خلق الأجسام فيلزم منه أن يكون عالمًا بهذه الأشياء قلنا إنه لا يلزم من كونه خالقاً لغير هذه الأشياء كونه عالمًا بها لأن من يكون فاعلاً لشيء لا يلزم أن يكون عالمًا بشيء آخر لكن يلزم من كونه خالقاً لها كونه عالمًا بها وقال الطيبي إنما لا يلزم منه ذلك إن لم يفيد خلق بقوله: ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك: ١٤] فالمعنى خلق الأجسام وهو عالم بأحوالها ما ظهر منها وما بطن والحق أن قوله: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ [الملك: ١٣] تذييل في معرض التعليل وقوله: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك: ١٤] تذييل لذلك التذييل واقع في موقع التعليل أيضاً ومن حقه أن يكون أعم من التذييل الأول وأشمل منه فيدخل فيه دخولاً أولاً فعلى هذا يجب أن يكون مفعول خلق عاماً شاملاً للأشياء خصوصاً إذا قيد بقوله: ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك: ١٤] ولذا فسر رحمه الله تعالى من خلق بقوله من أوجد الأشياء وما قرره الإمام مبني على اعتبار الخصوص في المفعول فإن المعنى على تقريره ألا يعلم سرهم وجهرهم من خلقهما قال صاحب الانتصاف هذه الآية حجة على الزمخشري فإن العبد لا يخلق أفعال نفسه لأنه لا يعلمها وهو استدلال بثبوت الخلق على ثبوت العلم فالوجه في الآية إن من فاعل يعلم ومفعول الخلق محذوف وهو السر والجهر تقديره ألا يعلم السر والجهر من خلقهما وغير هذا الوجه تكلف وهذا نظر دقيق فإن في تخصيص ذكر الخالق دون سائر الأسماء في مقام إثبات العلم إشعار بأن الخالق ينبغي أن يكون عالمًا بما خلقه وبتفصيله وفيه إدماج لمعنى أن العبد غير خالق لأفعاله لأنه لا يعلمها.

قوله : (المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن) معنى اللطيف بقرينة مقابلته بالخبير إذ معناه العالم ما بطن والمشهور أن معنى اللطيف عالم الخفيات وهو مستلزم العلم بالظاهر ولذا فسرهُ بالعالم بما ظهر احترازاً عن التكرار واللطيف والخبير معان آخر ذكرهما المصنف في غير هذا الموضع قوله المتوصل علمه الخ الأولى ترك لفظ المتوصل .

قوله : (أو ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة) فيكون من خلق مفعول يعلم وفاعله ضمير راجع إلى الله تعالى فيكون من عبارة عن المخلوق كله تغليبا فيتناول السر والجهر بطريق التغليب آخره مع استغنائه عن الحذف لاحتياجه إلى التغليب فحينئذ يكون معنى اللطيف العالم بدقائق الأمور وغوامضها والخبير هو العالم بالمغيبات مطلقاً أو بالعكس أو الخير تأكيد للطف فلا إشكال بأنه تقييد الشيء بنفسه وجعل من خاصاً بذوي العقول غير مناسب لعدم تناوله إلى السر والجهر من القول مع أن الكلام مسوق لبيان علمهما قوله وهو بهذه المثابة إشارة إليه .

قوله : (والتقييد بهذه الحال يستدعي أن يكون ليعلم مفعول ليفيد) نبه به على أن قوله : ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك : ١٤] حال في قوة التعليل قوله يستدعي أن يكون ليعلم سواء كان مقدراً خاصاً أو مذكوراً عاماً كما في الوجه الثاني إذ لو لم يكن له مفعول بأن ينزل منزلة اللازم لكان المعنى ألا يعلم وهو عالم فلا يفيد وأما إذا كان المعنى ألا يعلم السر والجهر وهو عالم بكل شيء أو ألا يعلم جميع من خلقه وهو عالم بال دقائق والغوامض والمغيبات مطلقاً لكان مفيداً فائدة تامة ولو كان المعنى ألا يعلم كيف لا يثبت له أصل العلم وهو عالم بكل شيء لم يفد أيضاً إما لأنه لم ينكر أحد ثبات أصل العلم كما قبل أو لأن من أنكر ثبات أصل العلم أنكر أيضاً علمه بكل شيء فلا يفيد أصلاً أو لأنه إذا نزل منزلة اللازم يكون للعموم في المقام الخطابي كما نقل عن صاحب المفتاح كالعلم المدلول باللطيف الخبير فإنه مستقر فلا يكون المعنى دعوى ثبوت أصل الفعل المستفاد من إنكار عدم العلم بل يكون عاماً فيكون بمنزلة تقييد الشيء بنفسه .

قوله : (روي أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون أسروا قولكم لتلا يسمع إله محمد فنه الله على جهلهم) وعن هذا خص القول بالذكر كما نبهنا عليه فيكون قوله : ﴿إنه عليهم بذات الصدور﴾ [الملك : ١٣] تعليلاً لاستواء الأسرار والجهر في تعلق العلم بهما كما مر قوله ألا يعلم الخ بأي معنى كان تذييل

قوله : والتقييد بهذه الحال يستدعي أن يكون ليعلم مفعول ليفيد إذ لو لم يقصد تعلقه بمفعول بل جعل من قبيل فلان يعطي ويمنع لا يفيد الكلام إذ يكون التقدير حينئذ ألا يعلم وهو عالم وهو تقييد للشيء بنفسه وإذا قصد تعلقه بمفعول يكون معناه ألا يعلم السر والجهر وهو عالم بكل شيء وهذا كلام مفيد ومعناه معنى صحيح .

أي تأكيد لمنطوق قوله: ﴿إِنَّ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣] أو لمفهومه فإنه فهم أنه عالم بالأشياء^(١) فلا تغفل.

قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ

الْمُشُورُ ﴿١٥﴾

قوله: (الينة) أشار به إلى أن ذلولاً من الذل بكسر الذال لا من الذل بضمها وإن لم يبعد كل البعد إذ الكلام أن الذلول من الذل بالكسر إما تشبيه بليغ كما هو الظاهر في أمثاله نحو ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢] ونحو ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ [النبا: ٦] ونحو: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا﴾ [نوح: ١٩] أو استعارة كما ذهب إليه البعض ويمكن هذا في ذلول من الذل بالضم إذ الانتقاد وهو معنى الذل بالكسر يستلزم الذل.

قوله: (يسهل لكم السلوك فيها) جعل اللين ضد الصعوبة وهو السهولة لا ضد الخشونة لأنه غير ملائم هنا إذ المراد سهولة السلوك الخ ولو كانت صخرة أو صلبة شديدة ما تيسر المشي عليها ولو كانت لينة جداً لما سهل السلوك فقوله يسهل لهم السلوك احتراز عن ذلك ويسهل أيضاً حفر الآبار وشق الأنهار وغرس الأشجار وبناء الأبنية والدور ولم يتعرض لها إذ سهولة السلوك مستلزمة لسهولة غيرها مع أنه المقصود الأصلي ولذا قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥] فمقتضى الفاء التفرعية اعتبار السهولة في المشي.

قوله: (في جوانبها أو جبالها) في جوانبها فالمناكب استعارة مصرحة شبه الجوانب بالمناكب فذكر لفظ المشبه به وأريد المشبه وكذا الكلام في قوله أو جبالها مشابهة الجبال بمناكب البعير أظهر في الارتفاع وهي قرينة للمكنية حيث شبه الأرض بالبعير في المركوبة وأثبت لها المناكب التي من خواص المشبه به فهما استعارتان تحقيقيّة ومكنية وقرينة المكنية هنا ليست استعارة تخيلية بل مصرحة تحقيقيّة وهذا من مواد تحقق الاستعارة المكنية بدون الاستعارة التخيلية وأن الاستعارة المكنية المشبه به المرموز إليه لا التشبيه المضمر ولا المشبه كما ذهب إليه الخطيب والسكاكي.

قوله: (وهو مثل لفرط التذلل) الواو بمعنى أو لأن كونه مثلاً أي استعارة تمثيلية ينافي كون المناكب مستعارة للجوانب أو للجبال لما عرفت في موضعه أن المفردات في الاستعارة التمثيلية باقية على حالها وفي الكشف وهو مثل لفرط التذلل وبين مراده في شرح مقاماته فقال المشي في مناكبها مثل لفرط التذلل ورشح معنى الذل بوطىء المناكب وتقلبه فيها كما ذكرناه في الكشف انتهى ولم يتعرض كون المناكب وحده استعارة

قوله: وهو مثل لفرط التذلل يريد أن لفظ الأرض مجاز مستعار استعارة مكنية فذكر الذلول تخيل والمنكب ترشح والمشى تحريد.

(١) إذ العلم بالسمائر يستلزم العلم بغيرها بالأولوية.

للجوانب أو للجبال والمصنف لما تعرض لهما أولاً ثم قال وهو مثل الخ حمل الفاضل السعدي الواو الواصلة على معنى أو الفاصلة وقيل بعد نقل كلام الزمخشري في شرح مقاماته فالمعنى أنه ليس هنا أمر بالمشي حقيقة وإنما القصد به إلى جعله مثلاً لفرط التذلل سواء كانت مفسرة بالجوانب أو الجبال وسواء كان ما قبله استعارة أو تشبيهاً بليفاً ومن لم يقف على المراد منه قال الواو بمعنى أو فإنه إذا جعل مثلاً لم تكن المناكب مستعارة للجوانب أو الجبال بل تشبيه الأرض بالبعير على نهج الكناية وبثبت لها المناكب تخيلاً انتهى ولا يعرف وجه عدم وقوف المراد من حمل الواو على معنى أو بل هو مطابق لما قرر في محله كما ذكرناه آنفاً نعم قول المحشي بل تشبيه الأرض بالبعير الخ يخالف أيضاً ما قرر في موضعه من أن المفردات في الاستعارة التمثيلية باقية على حالها إذ هي عبارة عن تشبيه الهيئة بالهيئة إلا أن يقال إن الأرض شبه أولاً بالبعير ثم جعل الاستعارة التمثيلية في الهيئة فحينئذ يقال^(١) في كلام المصنف مثل ذلك فلا حاجة إلى جعل الواو بمعنى أو فيكون استعارتان استعارة في المفرد واستعارة أخرى في الهيئة فيكون المفردات باقية على حالها.

قوله : (فإن متكب البعير ينو عن أن يطأه الراكب ولا يتذلل له فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يمشي في متاكبها لم يبق شيء لم يتذلل) الأولى فإن متكب الحيوان إذ المتكب ليس بمختص بالبعير إلا أن يقال إن خيار أموال العرب وأكثر مراكبهم البعير وإذا عبر بغير البعير فالمقصود حاصل أيضاً وهذا الكلام يؤيد عدم استعارة المفردات في الاستعارة التمثيلية هنا فلا تغفل وتصوير الاستعارة التمثيلية هنا أن الهيئة المأخوذة من الأرض وجعلها سهلة يسهل المشي عليها والسلوك في جوانبها شبهت بالهيئة المؤلفة من البعير المفروض المشي على متكبها المشعر لفرط التذلل حيث إن البعير يأبى عن أن يطأه الراكب ولا يتذلل له فذكر اللفظ المستعمل في الهيئة المشبه بها وأريد الهيئة المشبهة قوله فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يمشي في متاكبها بناء على أن الهيئة المشبهة جعلت من أفراد الهيئة المشبه بها وإلا فالظاهر أن يقال فإذا جعل البعير في الذل بحيث يمشي في متاكبها لم يبق شيء لم يتذلل وينتقل منه إلى فرط تذلل الأرض ولما لم يشترط كون المشبه به محققاً بل يكفي التقدير والقرض جعل البعير الذي في متكبه يمشي وينقاد له مقدراً ومفروضاً ومشبهاً به قوله في الذل يكسر الذال أي في السهولة.

قوله : (والتمسوا من نعم الله) نه به على أن المراد بالأكل الطلب مطلقاً أكلاً كان أو غيره وتخصيص الأكل بالذكر لأن غالب حاجات الإنسان المعطاعم فذكر الأمر بالأكل وأريد

قوله : (والتمسوا من نعم الله) وإنما فسر الأكل بالمعنى المجازي لجريان ذكره بعد ذكر الأرض وتذليلها فإن الأرض ليست مبدأ لأكل الرزق في أول الحال بل هي مبدأ لالتماس الرزق بالحرارة.

(١) وهذا لإلزام المحشي لا لكونه مراداً.

الأمر بطلب النعم مجازاً والرزق بمعنى النعم حقيقة إذ هو في العرف تخصيص الشيء بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والجامع بين المتعاطفين السببية إذ الأرض وكونها سهلة سبب الرزق فالمشي في مناكبها أي جوانبها يكون سبباً لحصول الرزق.

قوله: (المرجع فيسألکم عن شکر ما أنعم علیکم) بالجزاء خيراً أو شراً نبه به على مناسيته بما قبله والواو ليست للمعطف بل استثنائية مسوقة للتغريب على الشكر والترهيب عن تركه.



قوله تعالى: «أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَمُورُ»

قوله: (يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم) أي المراد بمن الملائكة وهو الظاهر لاستغنائه عن التحمل وإن إسناد الخسف إليهم حقيقة لكونهم كاسبين له وعن هذا قدمه.

قوله: (أو الله تعالى على تأويل من في السماء أمره وقضاؤه) بتقدير المضاف أي أمتم من أمره أي ملكوته وسلطانه في السماء فحذف المضاف أو أقيم المضاف إليه مقامه وكونه مجازاً عقلياً ليس بمناسب هنا.

قوله: (أو على زعم العرب فإنهم زعموا أنه تعالى في السماء) فحيث لا حاجة إلى تقدير المضاف بل قيل لهم على حسب اعتقادهم والمعنى أمتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بإرسال حاصب وإيراد الكلام على اعتقاد المخاطب شائع في استعمال الفصحاء وإن لم يطابق للواقع لكن هذا ليس بمناسب هنا وعن هذا أخره وادعى بعضهم أن تركه أولى من ذكره لأن بناء الكلام على زعم بعض الجهلة غير مناسب لكن صاحب الكشف أشار إلى دفع هذا الإشكال بقوله وهو متعال عن المكان فهو لإلزامهم وإسكات الخصم بما فيه عندهم شائع أوفى بالمرام.

قوله: (وعن ابن كثير من رواية قتيل وأمتم بقلب الهمزة الأولى واو الانضمام ما قبلها والبيز أمتم بقلب الثانية ألفاً وهو قراءة نافع وأبي عمرو ورويس) لانضمام ما قبلها وهو ضم الراء قوله لانضمام ما قبلها إشارة إلى أن هذا القلب إذا لم يوقف على الشور.

قوله: (فيفيكم فيها كما فعل بقارون) كون الفاء تفسيرية أولى من كونها تفرعية إذ هذا التغييب عين الخسف في الخارج وفي القاموس خسف الله بفلان الأرض أي غيبه فالظاهر أن الباء للتعدية قال الراغب يقال خسفه الله وخسف هو قال تعالى: ﴿وَحَسَفْنَا بِهِ﴾ [الأنكبوت: ٤٠] وبداره الأرض ولذا قيل إن الباء للملابسة وقد أشار المصنف إلى جواز كون الباء للسببية في سورة الإسراء فلاحتمالات الثلاثة ممكنة في

قوله: فيسألکم عن شکر ما أنعم علیکم هو بيان لارتباط وإليه الشور بقوله: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥].

الباء والراجع كون الباء للتعدي والارض منصوب بنزع الخافض أي في الأرض قوله فيغييكم من التفعيل إشارة إليه .

قوله : (وهو بدل من من بدل الاشتغال) فيكون من منصوباً على أنه مفعول آمنتم وهذا أولى من أنه على حذف الجار أي من أن يخسف بكم الأرض .

قوله : (تضطرب والموتر التردد في المجيء والذهاب) هذا هو المعنى المراد هنا مجازاً وأصل معناه كما قال التردد في المجيء والذهاب وهذا مستلزم للاضطراب .

قوله تعالى : أَمْ أَمِنتُمْ مِّنْ أَن يَسْمَلَوكَ أَنَّ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾

قوله : (أن يمسطر عليكم حصاباً) بالمد هي الحصى جمع حصاة .

قوله : (كيف إنذاري إذا شاهدتم المنذر به ولكن لا يتفهم العلم حينئذ) أي النذير مصدر بوزن وجيف بمعنى الإنذار وجعله اسم مصدر أقرب إذ مصدر الثلاثي بمعنى المزيد بعيد ولا بعد في كونه اسم مصدر للمزيد كسلام بمعنى التسليم وكذا الكلام في تكير وكيف في مثله متسلخ عن معنى الاستفهام وليس بسؤال عن الحال بل المراد بها بيان شدة الحال أي فستعلمون إنذاري مكيفاً بكيفية مخصوصة حال من إنذاري قدم عليه لصدارته وكذا كيف تكير والمصنف اختار إثبات الباء تنبيهاً على أنه حذف اكتفاء بالكسر رعاية للفاصلة وقيل أي ستعلمون ما حال إنذاري وقدرته على إيقاعه وعدمه إذا شاهدتم المنذر به وهذا لا يقتضي الوقوع حتى يقال إن الخسف لم يقع وإن المنذر به عذاب الآخرة وما بينهما اعتراض فإنه خلاف المتبادر .

قوله تعالى : وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَكَفَّكَانَ نَذِيرِ ﴿١٨﴾

قوله : (إنكارى عليهم بإتزال العذاب) يأبى عن حمله على العذاب الأخروي ونبه به على أن الإنكار الإنكار بالفعل لا بالقول وهو أبلغ من الإنكار بالقول وإن كان مجازاً .

قوله : (وهو تسليية للرسول عليه السلام وتهديد لقومه) إذ البلية إذا عمت سهلت وأيضاً فيه إشارة إلى أخذ قومه إذ هلاك الأمم الخالية سببه تكذيب رسلهم ولهذا قال وتهديد لقومه فإن هذا سبب لهلاكهم أيضاً فيعلم الوعيد بأخذ كفار قريش من ذكر أخذ الأمم الماضية بتكذيب رسلهم .

قوله : (وهو بدل من بدل الاشتغال التقدير آمنتم من في السماء خسفه بكم الأرض على نحو أعجبني زيد رميه في كون البدل فعل المبدل منه قال الراغب قدم الوعيد بالخسف على الوعيد بالحاصب لأنه لما كانت الأرض التي مهدها لهم لاستقرارهم يعبدون فيها خالفها فعبدوا الأصنام التي هي من شجرها أو حجرها خوفاً بما هو أقرب إليهم والتخويف بالحاصب من السماء التي هي مصاعدة كلمهم الطيبة ومعارض أعمالهم الصالحة لأجل أنهم بدلوها بسينات كفرهم وقبائح أعمالهم .

قوله تعالى: **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٌ وَقَبْضٌ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا أَلَمُ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ يُكَلِّمُ الْغُفَّ**

بَصِيرٌ

قوله: (أو لم يروا) أي أذهلوا عن الفكر ولم ينظروا إلى الطير اسم جمع وقيل جمع طائر فوقهم قيد به لقوله صافات إذ الاستدلال على كمال قدرته على الأخذ والعذاب بأحوال الطير المذكورة من كونها صافات وقبضهن كأنه قيل أولم ينظروا إلى كون الطير فوقهم صافات الخ صافات حال من الطير وفوقهم ظرف لها قدم عليها إذ الأهم كونها صافات فوقهم لا مطلقاً وهذا أولى من كون فوقهم ظرفاً مستقراً حالاً وصافات حالاً من الضمير في فوقهم وقد عرفت أن المراد التوبيخ على عدم رؤيتهم ونظرهم إلى تلك الحال لكن أجمل أولاً ثم فصل ثانياً لكونه أوقع في الذهن.

قوله: (بأسطاط أجنحتهن في الجو عند طيراتها فإنهن إذا بسطنها صفتن قوادمها صفاً) وهذا حاصل المعنى نبه عليه بقوله فإنهن إذا بسطنها صفتن الخ فأشار إلى أن الصف ليس هو البسط حقيقة بل الصف لازم له فهو كناية عنه أو مجاز عنه ولما كان كناية عن البسط جعل المفعول المحذوف الأجنحة هنا وحين يراد به المعنى الحقيقي في قوله إذا بسطنها صفتن جعل المفعول قوادمها ولم يجعل المفعول المقدر قوادمها أولاً بحمل الصف على معناه الحقيقي لقوله: ﴿ويقبضن﴾ [الملك: ١٩] فإن مقابله البسط قوادم جمع قادمة وهي مقدم ريش الجناح.

قوله: (ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن وقتاً بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به إلى صيغة الفعل للفرقة بين الأصل في الطيران والطارء عليه) ويضممنها الخ أشار به إلى أن المفعول المقدر الأجنحة أيضاً وهنا بلا تحمل وما مر بالتكلف كما عرفت من أن الصف كناية عن البسط قوله إذا ضربن الخ نبه به على أن المراد بالقبض القبض عند الطيران لا القبض وقت ترك الطيران كما قال وقتاً بعد وقت هذا مستفاد من التعبير بالمضارع والصف كذلك لما مر من أنه يحصل بالبسط فمتى تحقق القبض انتفى البسط فينتفي الصف وإذا تحقق البسط انعدم القبض فما وجه التعبير هنا بالمضارع دون

قوله: صفتن قوادمها قوادم الطير مقاديرهم ريشه وهي عشرة في كل جناح والخوافي ما دون الريشات العشرة من مقدم الجناح.

قوله: ولذلك عدل منه إلى صيغة الفعل يريد بيان نكتة في مجيء صافات على صيغة الاسم ولفظ يقبضن على صيغة الفعل وتقريره أن الأصل في الطيران صف الأجنحة ويسطها كالسباحة في الماء وأما القبض فطارء على البسط للاستعانة به على التحرك فجاء بما هو طارئ غير أصيل بلفظ الفعل على معنى إنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة قال صاحب الانتصاف ويلاحظه: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة﴾ [ص: ١٨، ١٩] حيث لم يقل مسبحات.

هناك قوله للتمييز بين الأصل الخ إشارة إلى وجه ذلك أي لما كان البسط في الطيران أصلاً والقبض طار عليه للاستظهار وإن الغالب البسط والقبض يفعل في بعض الأحيان عبر بالمضارع تنبيهاً على تجده وأما الصف فلقلة تجده وكثرة دوامه عبر بالاسم وفهم منه وجه تقديم الصف واستوضح بالسائح في الماء فإنه يضم يديه أحياناً وبسطهما أصل وكثير وكذا الطيران في الهوى فإنه كالسباحة في الماء قوله ولذلك أي ولكون ضم الأجنحة طارناً يحدث على سبيل التجدد وقتاً فوقتاً وبسطها أصلاً غالباً عدل به أي في الضم إلى صيغة الفعل الخ يفهم منه أن صيغته وإن كانت فعلاً لكنه في قوة اسم الفاعل أي قابضات وإلا لما صح العطف على صافات ويمكن عكسه لكن تناسب الجملتين إنما يجب إذا لم يمنع مانع منه وهنا منع كون الجملتين متناسبتين التجدد في الثاني والدوام في الأول فيحسن العطف بلا تأويل.

قوله: ﴿مَا يُمْسِكُهُ﴾ [الملك: ١٩] مستأنفة جواب سؤال هذا أو إلى من كونها حالاً من ضمير يقبضهن إذ الإمساك ليس في حال قبضهن فقط.

قوله: (في الجو على خلاف الطبع) إذ طبع الأجسام الثقيلة يقتضي النزول إلى جهة السفلى.

قوله: (الشامل رحمته كل شيء) حتى الكفرة اختار كون المبالغة في الرحمن باعتبار الكم وجوز أيضاً في الفاتحة كونها كيفاً.

قوله: (بأن خلقهن) متعلق بيمسكن أي بيمسكهن بأن خلقهن على وجه قابلية الإمساك وهذا لا يلائم حصر الإمساك على رحمة الرحمن إلا أن يقال إن عادة الله تعالى جرت على ربط المسببات على الأسباب وهذا الخلق سبب للإمساك عادي والسبب في الحقيقة الرحمة.

قوله: (على اشكال وخصائص هيأهن للجري في الهواء) على اشكال أي هينات من إحاطة ريش وخفة بالنسبة إلى غيره من الأجسام الثقيلة بحيث يقدر الصعود إلى الهواء بقدر ما يشاء والتحرك فيه حسب ما يسع له الطاقة.

قوله: (يعلم كيف يخلق العوائب ويدير العجائب) أي بصير بمعنى المضارع الذي للاستمرار والبصر إدراك المحسوسات استعمل هنا بمعنى العلم لكونه سبب العلم ونقل عن الإمام أنه قال البصر دقة في العلم فإن أراد به ما ذكرنا فلا إشكال وإن أراد غير ما ذكرنا فهو ضعيف لأنه إرجاع البصر إلى صفة العلم وهو منقول عن الشيخ الأشعري ولم يرض به المحققون.



قوله تعالى: أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جَنَدٌ لَّكَ يَصْرِفُكَ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّا الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ

قوله: (عديل لقوله: ﴿أولم يروا﴾ [الملك: ١٩] أي أم متصلة لأنه الأصل ولا

قوله: عديل لقوله: ﴿أو لم يروا﴾ [الملك: ١٩] حمل رحمه الله كلمة أم على الاتصال لثلا

يعدل عنه مهما أمكن ولم يلتفت إلى جواز كونها منقطعة كما ذهب إليه أبو حيان وغيره لما ذكرناه ولا مانع منه اجتماع الاستفهام إذا جعل منقطعة لأن معناه بل مع همزة الاستفهام وكلمة من استفهامية لأن ذلك يسوغ للتأكيد وأيضاً أشار إلى جواب آخر بقوله إلا أنه أخرج مخرج الاستفهام وقيل يجوز أن يكون من موصولة.

قوله: (على معنى أولم ينظروا في أمثال هذه الصنائع) حمل الرواية على النظر مع أنه متعمد بإلى فهو إما بيان حاصل المعنى أو في بمعنى إلى في أمثال هذه الصنائع أي في هذه الصنائع كناية مثل قوله مثلك لا يخل أي أنت لا تبخل والصنائع القبض والبسط والإسك لكون القبض والبسط مخلوق الله تعالى وإن أبيت عنه وقلت إنهما فعلاً الطير فعل الإسك بمنزلة الصنائع لتحقيقه كل حين حال القبض والبسط والعروج والنزول.

قوله: (فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وإرسال حاصب) على تعذيبهم أي في الدنيا بنحو خسف الخ أشار به إلى أن قوله: ﴿أولم يروا﴾ [الملك: ١٩] مسوقة لبيان قدرته تعالى على تعذيبهم بنحو خسف الخ ليظهر اتصاله بما قبله قول فلم يعلموا تنبيه على أن المراد بانتفاء النظر انتفاء العلم على القدرة على ذلك بانتفاء سببه.

قوله: (أم لكم جند ينصركم من دون الله إن أرسل عليكم عذابه) أي أحد الأمرين واقع والسؤال للتعيين والمعنى أم لهم علم بالقدرة على ذلك بالنظر القويم لكن لهم جند يدفع عنهم العذاب بنحو خسف الخ كون السؤال لتعيين أحد الأمرين المستويين باعتبار أصل وضعه فالمراد هنا إنكار ذلك للتوبيخ في الأول والإنكار الإبطالي في الثاني والثالث ولك أن تقول إن الإنكار في الأول الإنكار الواقع وفي الآخرين الإنكار للوقوع والالتفات في الآخرين لكمال التهديد في الوعيد الأكيد.

يلزم اجتماع استفهامين فإنها لو حملت على الانقطاع ينبغي أن يكون من استفهامية ويكون من مبتدأ وهذا خبره والذي مع صلته نعتاً لهذا ﴿وينصركم﴾ [الملك: ٢٠] نعتاً لجند محمولاً على اللفظ ولو جمع حملاً على المعنى لجاز والظاهر من كلام الكشاف وإن موصولة وهذا الذي هو جند لكم صلته وينصركم خبر فحينئذٍ يحتمل أن يكون أم متصلة والقرينة المعادلة محلوفة فالمعنى الله الذي له هذه الأوصاف الكاملة والقدرة القاهرة ينصركم وينجيكم من الخسف والحصب وغيرهما إن أصابكم أم الذي يشار إليه ويقال في حقه هذا الحفير الذي تزعمون أنه جند لكم ينصركم من دون الله الرازق ذي القوة المتين أم الذي يقال في حقه هذا الضعيف المهين الذي تدعون أنه يبرزكم أوقع ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾ [الملك: ٢٠] اعتراضاً وضماً للظاهر موضع المضمر نسجياً على غرورهم وتجهيلاً بعد تجهيل ويمكن أن يجعل أم منقطعة ويقال قل يا محمداً لم ينظروا في أمثال هذه الصنائع العجيبة حتى يعرفوا أنه هو وحده قادر على الخسف وإرسال الحاصب وعلى إنجائكم منها ثم اضرب عن ذلك وقيل بل أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن أي لا تسأل عن ذلك لأنه مفروغ منه فإنهم كانوا إذا أخر بهم خطب عظيم دعوا الله مخلصين له الدين دون شهادتهم وأصنامهم بل سل عن هذا تقيعاً وتوبيخاً.

قوله : (فهو كقوله : ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ [الأنبياء : ٤٣]) الآية أشار به إلى أن المراد بالجند هنا الأصنام إذ المخاطب كفار قريش فالتعبير بالجند للتهكم .

قوله : (إلا أنه أخرج مخرج الاستفهام) لكن أخرج الخ ولم يعد لزوم اجتماع الاستفهامين محذوراً في مثله إذ الاستفهام ليس بمراد وهذا استدراك من قوله : أَمْ لَكُمْ جند في حل قوله تعالى : ﴿أَمْ هَذَا الَّذِي هُوَ جند لَكُمْ﴾ [الملوك : ٢٠] حيث اسقط لفظة من الاستفهامية ولفظة هذا والموصول وصدر الصلة وتقديم لَكُمْ على جند للتنبيه على أن مقتضى الظاهر أن يقال هكذا لكن عدل عنه إلى ما ذكر في النظم لرعاية مقتضى الحال وهو الاشعار المذكور وهو اعتقادهم هذا القسم حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله إما في الدنيا في بعض مصالحنا أو في الآخرة إن قامت القيامة والتعبير بمن إذ النصر من خواص العقلاء وفيه تهكم وجعل الزمخشري ذلك على القرض والتقدير ولم يتعرض له المص لتكلفه وما اختاره من كون المراد الأوثان وهو المذكور في الكشف ثانياً أشد تكلفاً لاحتياجه إلى تنزيلها منزلة العقلاء وأيضاً النصر مفروضة إذ معناها دفع المضرة وأنها غير قادرين عليها واعتقادهم النصر لهم غير هذا المعنى وهو كونهم منصورون ببركتها على زعمهم .

قوله : (عن تعيين من ينصرهم إشعاراً بأنهم اعتقدوا هذا القسم) فبرد عليه ما فائدة إيراد العدل الأول فتأمل .

قوله : (ومن مبتدأ وهذا خبره والذي يصلته صفته) أي لفظة هذا خبره أو هذا إشارة إلى هذا في النظم الكريم ففيه لطافة ومن استفهامية عنده كما صرح به آتفاً لا موصولة وهذا مذهب سيبويه وفيه الإخبار بالمعرفة عن النكرة وهو جائز عنده إذا كان المبتدأ اسم استفهام كما فيما نحن فيه أو أفعال تفضيل كما صرح به في كتب النحو والمص اختاره لقوة دليله وقد يجعل من موصولة مبتدأ وهذا مبتدأ ثانٍ والموصول مع صلته خبره والجملة صلة من بتقدير القول وإنما قدر القول ليحصل الرابط في صلة من وجعل هذا أي اسم الإشارة قائماً مقام العائد على تقدير أن يقال الذي الخ لا يخلو عن سماجة كذا قيل وينصركم خبره وأم متقطعة أو متصلة وهذا مختار المص وعلى تقدير كونها متقطعة أن أم بمعنى بل فقط نقل عن أبي حيان وقد عرفت من بيان المصنف أن الاستفهام ليس بمراد ففي مثله يجوز اجتماع الاستفهامين قال الفاضل المحشي وعلى تقدير كون أم متصلة قرينته محذوفة بدلالة السابق على أن يكون المعنى الذي له هذه الأوصاف الكاملة والقدرة الباهرة الشاملة ينصركم وينجيكم من الخسف والحصباء إن أصابكم أم الذي يشار إليه ويقال في حقه هذا الحقير الذي تزعمون أنه ينصركم وفي كلام المص العدل قوله : ﴿أَمْ لَمْ يَرَوْا﴾ [الملوك : ١٩] الآية فلا تغفل .

قوله : (وينصركم وصف لجند محمول على لفظة) ولفظ جند مفرد ومعناه جمع فلو حمل على المعنى لقليل ينصرونكم وفي مراعاة اللفظ تنبيه على أن ليس لهم جند واحد فضلاً عن جنود .

قوله: (لا معتمد لهم) أصلاً وأما تغرير الشيطان من الجن والإنس فليس من المعتمد في شيء وفي ظرفية الغرور لهم مبالغة لا تخفى.

قوله تعالى: **أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكَ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَكَ بَلْ لَّخَوَافُكَ عُتُوٌّ وَتُفُورٌ** ﴿٢١﴾

قوله: (أم من يشار إليه ويقال هذا الذي يرزقكم) اختار هنا كون من موصولة وفيما سبق حملة على الاستفهام للتفنن لا لعدم صحته وإذا جعل موصولة فلا مساغ لجعل هذا خبراً فهو مبتدأ والموصول مع صلته خبره والجملة صلة من ظاهراً أو في التقدير مقول القول كما أشار إليه بقوله ويقال هذا الذي الخ وخبر من محذوف وهو يرزقكم أي أمن هذا الذي يرزقكم وإنما قدر القول لاستهجان أن يقال هذا الذي يرزقكم لإيهام أن هذا الكلام مطابق لما في نفس الأمر فالمعنى أم من يشار إليه لأجل التحقير ويقال على زعمكم هذا الذي يرزقكم ومعنى يشار إليه يراد الإشارة إليه ويقال الخ وإن جعل من هنا استفهامية كما مر لم يحتج إلى تقدير القول وإن جعل من موصولة هناك احتج إلى تقدير القول أيضاً بهذه العلة والحاصل أن أم في الموضعين يحتمل أن يكون متصلة أو منقطعة ولقطة من إما موصولة أو استفهامية لكن المصنف جعل أم متصلة ومن استفهامية في الأول ومنقطعة وموصولة في الثاني كما عرفته وأشار بهذا التفنن إلى صحة كل منهما في الموضعين وإذا جعل أم هنا متصلة يكون عديله محذوفاً أي الذي رازق الثقلين أم من يشار إليه الخ كما يدل عليه قوله: ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ [الملك: ٢١] (بإمسك المطر وسائر الأسباب المحصلة والموصلة له إليكم).

قوله: ﴿بَلْ لَّجَوَابُ﴾ [الملك: ٢١] تبادوا بل إضراب عما فهم من المقام وهو ليس لهم رأي مستقيم جداً بل لجوا في عتو الخ (في عناد وشراد عن الحق لتنظر طباعهم عت).

قوله تعالى: **أَفَمَنْ يَتَّبِعُنِي تُكِبًّا عَلَيَّ وَجْهَهُ أَهْدَىٰ سَبِيلًا أَمَّنْ يَتَّبِعُنِي سَوَاءً عَلَيَّ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴿٢٢﴾

قوله: (أفمن يمشي) بالقاء عطف على محذوف أي أمن يفضل فيمشي مكباً حال من الفاعل على وجهه متعلق بمكباً أهدي خبر من.

قوله: (يقال كبته فأكب وهو من الغرائب) حيث كان الثلاثي متعدباً وباب الأفعال لازماً مع أن الثلاثي اللازم إذا نقل إلى الأفعال يكون متعدباً مثل ذهب وأذهب كرم وأكرم وهو مع غرابته لا يخل بالفصاحة فإن الغرابة ليست من جهة المعنى بل من جهة مخالفته الاستعمال المعروف في اللغة ومثل هذا لا يخل بالفصاحة.

قوله: شراد عن الحق من شرد البعير يشرد شروداً وشراداً أي نشر.

قوله: وهو من الغرائب أي من قبيل غريب الاستعمال فإن الأكثر والغالب في الاستعمال أنه إذا كان الفعل لازماً في الثلاثي فهو من باب الأفعال يكون متعدباً وهذان الفعلان وهما أكب وأشع عكس ذلك الاستعمال ولهما نظائر مثل انفض وآلام يقال انفض القوم إذا هلكت أموالهم وآلام الرجل إذا أتى بما يلام عليه.

قوله: (كفشع الله السحاب فاقشع) أي أزال الله السحاب فاقشع أي قبل الكشف وحكى ابن الأعرابي كبه الله وأكبه بالتعدية فيهما على القياس وحكاه في القاموس لكن معنى التعدية فيما في النظم الكريم غير متصور.

قوله: (والتحقيق أنهما من باب انقض بمعنى صار ذا كب وذا قشع) أي همزة الأفعال للصيرورة كأمشى الرجل أي صار ذا مشي فالمعنى هنا أي صار ذا كب وهذا مسلك الزمخشري ورضي به المصنف لأنه يخل الفصاحة بنوع ما وما ذكر أولاً من فهم من كتاب سيبويه كما في الكشف وقد مر أنه لا يخل الفصاحة على أنه إذا جعل الصيرورة من تأثير الغير يؤول إلى ما ذكره القوم إذ لا استحالة في اجتماع الصيرورة والمطوعة يقال فلان منغطر أي ذا انقطاع مع أنه مطاوع فطر أي شق وكذا انشقت الأرض وشقت ومعنى انقض بالفاء والضاد المعجمة إذا فني زادهم وقد يكتنى به عن الهلاك أيضاً.

قوله: (بل المطاوع لهما انكب وانقشع) بناء على القاعدة المقررة وإلا فإن سمعا هكذا من العرب كيف يذهب إلى ما ذكره أولاً إمام النحاة وتبعه كثير من الثقات أو على تقدير سماعهما بخصوصها لا يتأني كون أكب أيضاً مطاوعاً لجواز تعدد صيغة المطاوع لفعل واحد والإنكار مكابرة.

قوله: (ومعنى مكباً أنه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه) كل ساعة من الساعات الشرعية هذا ثابت باقتضاء النص إذ العثار لازم متقدم على الخرور على وجهه.

قوله: (لوعورة طريقه واختلاف أجزائه ولذلك قابله بقوله: «أم من يمشي» [الملك: ٢٢] الآية) لوعورة طريقه أي لصعوبة المشي فيها إما لما فيها من الحجارة الكثيرة والشوك العظيم أو لفرط رخاوته وعورة بوزن دحرج واختلاف أجزائه يكون بعض أجزائه ذلولاً سهلاً وبعض أجزائه الآخر صلبة يصعب السلوك عليها وعن هذا يمشي في أجزائه السهلة ويخر على وجهه في أجزائه الصعبة ذات الحجارة وهو كالتفسير لما قبله وأما اختلاف الأجزاء بالانخفاض والارتفاع فلا يوجب الخرور لأن أكثر البلدان يختلف أجزائه أرضه بالارتفاع والانخفاض ولا بجامع المشي مع الخرور على وجهه فكونه حالاً من فاعل يمشي إما لقرب زمانه فهو منزل منزلة الاتحاد أو لتحقق المشي مع الخرور وهو أقيح الحال كما ورد في الحديث في أهل جهنم رواه المصنف في أواخر سورة الإسراء أو المراد التمثيل كما سيجيء والممثل به يكفي فيه الفرض والتقدير.

قوله: لوعورة طريقة الوعورة الخشونة قوله والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين أي تمثيل المشرك والموحد بالسالكين وتمثيل دينهما بالمراطين أي المراد تمثيل حالي المشرك والموحد في كونهما مشغولين بدينهما بحال السالكين اللذين يمشي أحدهما في طريق يوصله إلى مطلوبه والآخر في طريق لا يوصله إلى مطلوب بل يفضل في طريقه ويقف حائراً.

قوله: (قائماً سالماً من العثار) لأن سويّاً بمعنى مستوي القامة وعن هذا فسرهُ بقوله قائماً وهذا يؤيد ما ذكرناه من أن المراد المشي على وجهه ولو مفروضاً قوله سالماً من العثار مستفاد من المقابلة وكونه منفهماً من كونه حالاً من فاعل يمشي ضعيف وكونه مستفاداً من قوله: ﴿على صراط مستقيم﴾ [الملك: ٢٢] ليس ببعيد.

قوله: (مستوي الأجزاء والجهة) مقابل لاختلاف الأجزاء وهذا مزيد لكون اختلاف الأجزاء كالتفسير لما قبله حيث لم يذكر هنا ما يقابل قوله لوعورة طريقه ولو ترك قوله والجهة لكان أولى لأنها لم يتعرض لها في المقابل الأول.

قوله: (والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين) أي المراد بقوله: ﴿أفمن يمشي مكباً﴾ [الملك: ٢٢] الخ استعارة تمثيلية استعيرت الهيئة المنتزعة من الماشي ومشيه وعثاره في كل ساعة وخروره على وجهه لصعوبة طريقه للهيئة المأخوذة من المشرك وإشراكه وعثاره المعنوي في كل آن وقربه إلى الهلاك في كل لحظة فاستعمل اللفظ المركب الموضوع للهيئة المشبهة بها في الهيئة المشبهة وجه الشبه التأدية إلى الهلاك مطلقاً هلاك حسي في المشبه به ومعنوي في المشبه والمراد بالسالكين المكب على وجهه والماشي سويّاً فاللام للمعهد سواء كان حرف تعريف أو اسم موصول والمراد بالدينين الدين الحق والدين الباطل لأن الدين مشترك بينهما اشتراكاً لفظياً فالتشبيه بالتأويل عند البعض أي المسميين بالدين وعند البعض لا يحتاج إلى التأويل قوله والدينين بالمسلكين يوهم أن التمثيلات أربعة لكن الظاهر أنهما تمثيلان لا أربعة لأن تشبيه الدينين بالمسلكين مندرج في الاستعارة التمثيلية على ما صورناها فلا تغفل.

قوله: (ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للإشعار بأن ما عليه المشرك) ولعل الاكتفاء أي عن ذكر المسلك حيث لم يذكر على صراط عوج كما ذكر في الثاني ﴿على صراط مستقيم﴾ [الملك: ٢٢] وقد أشار المص إلىها بقوله لوعورة طريقه الخ قوله بما في الكب الباء للسببية من الدلالة الخ بيان لما ويرد عليه أن سويّاً يدل على حال المسلك فلم لم يكتف به وأشار إلى الجواب عنه بقوله للإشعار بأن ما عليه الخ.

قوله: (لا يستأهل أن يسمى طريقاً) لا يصير أهلاً ويستحقه وقد استعمل هذا اللفظ المصنف في سورة الفاتحة واستعمله أيضاً جم غفير من الفحول وقد بين هناك أنه لفظ فصيح وارد في كلام العرب العرباء فلا يلتفت إلى إنكار صاحب درة الغواص كمشي المتعسف والمراد بالمتعسف هنا هو الذي يمشي في مكان غير اللائق المشي فيه فإنه لا يستأهل أن يسمى طريقاً وإن جعله السالك سلكاً فكذا ما نحن فيه لأن الطريق إنما سمي طريقاً لتطرق الأقدام فيها وهذا في الطريق الحسي الحقيقي وكذا الكلام في الطريق المعنوي المجازي ولا تسامح في العبارة إذ الكاف قد تدخل على غير الممثل المشي فيه فكانه لا مكان معتاد يفهم الممشى وهذا كاف في صلاحيته مثلاً للطريق كما في قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه﴾ [الكهف: ٤٥] الآية وفي بعض النسخ ممشى

اسم مكان فحينئذ يكون الكاف داخلاً على الممثل به لكن قوله في مكان معناد تعلقه بالمشي باعتبار ملاحظة العموم والخصوص فيكون الظرفية حينئذ مجازاً والنسخة الأولى هي الأولى.

قوله : (كمشي المتعسف في مكان معناد غير مستو) معناد تفاعل من العداوة وهو من الاستعارة البدئية لأن المراد غير مستوي كما صرح به وهو بمعنى مختلف الأجزاء ارتفاعاً وانخفاضاً أو صلاباً وسهلاً مشتمل الأحجار أو غير مشتمل لها وبهذا الاعتبار كان بعض أجزائه متعادياً لبعض آخر ومن هذا ظهر أن إسناد معناد إلى الطريق مجاز عقلي ويقال لضعفه متناصف كان بعضه يتصف بعضاً على المجاز العقلي بعد اعتبار الاستعارة.

قوله : (وقيل المراد بالمكب الأعمى فإنه يتعسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكباً هو الذي يحشر على وجهه إلى النار ومن يمشي سوياً الذي يحشر على قدميه إلى الجنة) وقيل المراد بالمكب الأعمى فلا يتعلق على وجهه به بل يتعلق بيمشي وقد عرفت صحة المشي على الوجه إما محققاً أو مفروضاً ومعنى الأعمى للمكب إما مجاز أو كناية جعل بعد ذلك تمثيلاً للمشرك فإنه لا يتأني التجوز في مفرداته قبل التمثيل ولذا قال أرباب البيان مفردات الاستعارة التمثيلية باقية على حالها حقيقة كانت أو مجازاً أو بعضها حقيقة وبعضها مجازاً والقول بأنه لا تمثيل حينئذ ضعيف ومرضه لما فيه من التكلف في تعلق الجار وارتكاب التجوز وكذا الكلام في قوله وقيل من يمشي مكباً الخ فحينئذ من يمشي على وجهه في بابه.

قوله تعالى : قُلْ هُوَ الْوَحْدُ أَنْشَأَ رَجَمًا وَجَمَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾

قوله : ﴿وجمل لكم السمع﴾ [الملك : ٢٣] لتسمعوا المواعظ) قدمه لأنه أشرف من البصر ووحيد للأمن من الالتباس واعتبار الأصل لأنه في الأصل مصدر واخر الأفئدة لأنها كالجاسوس (لتنظروا صنائعه لتفكروا وتعتبروا).

قوله : (باستعمالها فيما خلقت لأجلها) كما نبه عليه بقوله : تسمعوا سمعاً مقارناً لقبولها قليلاً ما تشكرون أي تشكرون شكراً قليلاً أو زمناً قليلاً تقدم مثله مراراً والقللة على ظاهرها إذ الخطاب هنا للعموم ولو خص بالكفرة لكان بمعنى النفي وجملة تشكرون مستأنفة جواب سؤال مقدر وكلمة ما زائدة وفي كلامه إشارة إلى أن المراد بالشكر الشكر العرفي وفهم منه أنهم لم يستعملوا سائر القوى فيما خلقت لها وصيغة الماضي في أنشأ وذراً إما لتغليب الموجود على الم معدوم أو لتنزيل منظر الوقوع كالواقع.

قوله : كمشي المتعسف في مكان متعاد قال الجوهري نمت على مكان متعاد إذا كان متفاوتاً ليس بمستوي يقال هذه أرض متعادية ذات حجرة الحجرة بكسر الجيم وفتح الحاء جمع حجر.

قوله تعالى: قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

قوله: ﴿وإليه تحشرون﴾ [الملك: ٢٤] للجزاء) وإليه لا إلى غيره تحشرون الجزاء خيراً أو شراً أو شراً فقط قيده به إذ الغرض من الحشر الجزاء واعتباره لقوله: ﴿ذرأكم﴾ [الملك: ٢٤] وتعلقه به دفعاً للتكرار سخيّف لأن هذا القيد أو نحوه مذكور في ذيل ﴿تحشرون﴾ [الملك: ٢٤] مع عدم ذكر ﴿ذرأكم﴾ [الملك: ٢٤].

قوله تعالى: وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾

قوله: (أي الحشر أو ما وعدوا من الخسف والحاصب) وتركه أولى أما أولاً فلأن ذكره عقيب قوله: ﴿وإليه تحشرون﴾ [الملك: ٢٤] يتبادي الاحتمال الأول وأما ثانياً فلأن قوله قل إنما العلم عند الله يرجح كون الوعد الحشر وأما ثالثاً فلأن الخسف والحاصب لم يقع لهذه الأمة فيحتاج إلى الاعتذار إذ تخلف الوعيد لا ضير فيه وقيل إنه وقع الخسف والحاصب بمعنى التذليل وقد قال المص هناك كما فعل بقارون وهذا المعنى لا يصح أن يراد هنا (يعنون النبي والمؤمنين).

قوله تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُهُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَئِنِّي أَنَا بِنَزَرٍ مُّشِينٌ ﴿٢٦﴾

(أي علم وقته لا يطلع عليه غيره).

قوله: (والإنذار يكفي له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه) وفهم بعضهم أن هذا إشارة إلى الجواب عن إشكال خلف الوعيد لأنه صرح بأن العلم بل الظن بوقوع الظن المحذر منه وهذا ضعيف إذ المراد به أن الإنذار لا سيلتزم العلم بوقت وقوع بل يكفي العلم ولا مساس له في دفع الإشكال المذكور.

قوله تعالى: قُلَّمَا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِي هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾

قوله: (أي الوعد فإنه بمعنى الموعد) وهذا أب عن حمل الوعد على الخسف والحاصب (ذا زلقة أي قرب منهم).

قوله: ﴿سَيَّتَتْ وجوه الذين كفروا﴾ [الملك: ٢٧] بأن عليها الكتابة وساءتها رؤية العذاب) وجوه الذين كفروا أظهر لبيان علة الحكم وتخصيص الوجوه لظهور آثار هنا عليها الكتابة أي الغم وفرط الحزن قوله وساءتها رؤية العذاب أي أحزنتها رؤية العذاب فاعله للمحذوف لكون سَيَّتَتْ جواب قلما رأوه الخ.

قوله: (به تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء أو تدعون أن لا بعث لهم فهو من الدعوى) تطلبون أن تهكماً إذ استعجال العذاب إنما هو بالاستهزاء لا بالجد وهذا

قوله: (والإنذار يكفي فيه العلم بل الظن بوقوع المحذر منه أي لا يلزم فيه العلم بوقته).

قوله: (تفتعلون من الدعاء فإن كان من الدعاء يكون الباء في به صلة للتضمين أي لتضمينه معنى الاستعجال ولذا قال يطلبونه ويستعجلون به وإن كان من الدعوى فالباء للتسيب).

أبلغ من ﴿كنتم به تكذبون﴾ في توبيخ الكفرة فالباء صلة الفعل على الأول يقال دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه وللسببية على الثاني أو للملابسة باعتبار ذكره قدم الأول لأنه يناسب قولهم: ﴿متى هذا الوعد﴾ [الملك : ٢٥] فإنه استعجال منهم استهزاء كما هو الظاهر وقد صرح في سورة يونس أن هذا القول استبعاد واستهزاء ويؤيده أيضاً قراءة تدعون بالتخفيف .

قوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي أَلَهُ وَمَنْ نُعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُحْيِي الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾

قوله: ﴿قل أرايتم﴾ [الملك : ٢٨] إعادة قل لمزيد الاعتناء بالمفعول أرايتم أي أخيرتم قد مر تفصيله في سورة الأنعام .

قوله: ﴿أمانتي﴾ أي بتعجيل آجالنا كقوله بتأخير آجالنا ولهذا أورده بكلمة الشك وإلا فالإماتة مقطوع بها .

قوله: (من المؤمنين) والمعية لا تقتضي الاتحاد في الزمان بالاتصاف بالإيمان .

قوله: ﴿أو رحمنا﴾ [الملك : ٢٨] بتأخير آجالنا) أو رحمنا جعله مقابلاً للإيمان إشارة إلى أن الإماتة قهر في نفسها وإن كانت نعمة ورحمة لكونها موصلة إلى النعم الأبدية الباقية .

قوله: (أي لا يتجهم أحد من العذاب متناً أو بقينا) نيه به على أن من استفهامية وأنها للإنكار الوقوعي وأنه من إقامة الظاهر مقام المضمر للذم بالتسجيل على كفرهم وأنه سبب الهلاك فكيف ينخلصون عن الهلاك .

قوله: (وهو جواب لقولهم: ﴿نترى به ريب المنون﴾ [الطور : ٣٠]) وهذا وإن لم يذكر هنا لكنه مذكور في موضع آخر والقرآن كله بمنزلة آية واحدة ريب المنون أي حوادث الدهر والمنون الدهر والزمان والحوادث أي المصائب لاقتضائها التقلقل سميت ريباً إذ

قوله: وهو جواب لقولهم: ﴿نترى به ريب المنون﴾ [الطور : ٣٠] حوادث الدهر قال صاحب الكشف كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم نحن مؤمنون مترصدون لإحدى الحسينين إما أن نهلك كما تتمنون فنقلب إلى الجنة أو نرحم بالنصرة والأدلة للإسلام كما نرجو فأنتم ما تصنعون من يجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه يعني إنكم تطلبون لنا الهلاك هو استعجال للفوز والسعادة وأنتم في أمر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وأنتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه أو إن أهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هذاتكم والآخذين يحجركم من النار وإن رحمنا بالإمهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فإن المقتول على أيدينا هالك أو إن أهلكنا الله في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم وإن رحمنا بالإيمان فمن يجير من لا إيمان له إلى هنا كلامه الأدلة الغلبة يقال اللهم أدلني على فلان وانصرني عليه فقوله عز وجل

أصل الريب التقليل والاضطراب قوله متنا أو بقينا أي هذان الأمران متساويان لا يضران لنا ولا ينفعان لكم فإننا مؤمنون إن أهلكنا ومتنا كما تتمنون فنعم المتقلب إذ تنقلب إلى دار السرور والجنة الجبور أو بقينا فتعمل الصالحات وتكمل المراتب العاليات لا سيما المجاهدة ونرجو النصرة بالرحمة الواسعة فما لنا إلا أحد الحسين وأنتم أعداء الله تعالى لا ينجيكم أحد من عذاب أليم في الدنيا والآخرة فالهم لكم أيها السفهاء طلب ما ينجيكم من الإيمان والعمل الصالح فتمني هلاكنا لا ينفعكم بل ينفعنا وهذا في غاية من السفاهة حيث يتمنون سعادة أعدائهم وزعمهم أن هلاكهم ينفعهم وبهذا يظهر سر كون فمن يجير الكافرين من عذاب أليم جواب ﴿إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ﴾ [الملك: ٢٨] الخ وأنه علة الجواب القائمة مقام الجزء أي فلا ينفعكم هلاكي لأنه لا يجيركم أحد من عذاب أليم بعد هلاكي وذكر رحمتنا في الجواب عن قولهم: ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ﴾ [الطور: ٣٠] الخ للإشعار بأن موتى كالحياة في عدم النفع لكم وعدم ضررنا.



قوله تعالى: قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

قوله: (الذي ادعوكم إليه) بيان مرجع ضمير هو والمراد بالمرجع الذات لا يلاحظ الوصف فيه فقوله ادعوكم الخ متفهم من مذاق الكلام.

قوله: (مولي النعم) تفسير رحمن أي معطي.

قوله: (كلها) إذ الرحمن أبلغ من الرحيم إما كيفاً أو كمّاً واختير المبالغة كما أي النعم جليلها وغير جليلها أخروية ودنيوية روحانية وجسمانية كسبية وموهبية إلى غير ذلك والرحمن أوقع هنا من سائر الأسماء السامية.

قوله: (للعلم بذلك) أي يكون معطي النعم كلها أشار به إلى أن المعرفة بذاته وبعض صفاته العلى عقلي يستدل بالكائنات الممكنات عليها والموجودات الحادثة كلها رحمة ونعمة قوله للعلم بذلك بناء على ذلك آمنّا به فعل إخباري لا إنشائي.

قوله: (للولوق عليه والعلم بأن غيره بالذات لا يضر ولا ينفع) بالذات متعلق بقوله لا يضر إشارة إلى الحصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور.

فمن يجبرني جزاء للشرط على سبيل الاستخبار مع الإنكار فذكر فيه وجوهاً ثلاثة جعل في الوجهين الآخرين لكل من الإهلاك والإجارة جزاء وشرطاً على حياله وفي الأول جعل الجزاء مشتركاً لأنه أخذ الزبدة من المعطوف والمعطوف عليه في الجزاء وجعلهما كالشيء الواحد وهو تربص إحدى الحسينين فلذلك أتى في الجواب بقوله: فأنتم ما تصنعون وأما قوله: فمن يجيركم فجعلته مستأنفة مبيتة للجواب.

قوله: (والعلم بأن غيره بالذات لا يضر ولا ينفع) بالذات احتراز عن صفاته تعالى.

قوله: (وتقديم الصلة للتخصيص) تأويله توكلنا مقصور على الاتصاف بكونه على الله تعالى لا يتجاوز به إلى غيره فهو من قصر الموصوف على الصفة وذكره عقيب أمنا به للتثنية على أن كمال الإيمان بالتوكل عليه تعالى.

قوله: (والإشعار به) أي بأن غيره لا يضر ولا ينفع وفي الإشعار إشعار بأنكم أيها الكفرة الفجرة لا تقدرون على الإضرار بنا بالذات إلا أن يشاء الله ربنا وسع كل شيء علماً.

قوله: ﴿فَتَسْلَمُونَ﴾ [الملك: ٢٩] أي في يوم القيامة الفاء للتفريع أي إذا كنا أمنا به وبما جاء من عنده تعالى وكنتم مصرين على الكفر فتسلمون حين أخذتكم العذاب وكشف عنكم الحجاب وقد مر مراراً أن مثل هذا الكلام من كلام المصنف المسكت للخصم المشاغب.

قوله: (منكم) وقرأ الكسائي بالياء) على الظاهر وأما القراءة بالتاء فلا الثقات.



قوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَمْسَحَ مَا زُكِّرْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَلَوَعِينَ

قوله: (غائراً في الأرض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به) أي غوراً مصدر بمعنى اسم الفاعل وتقدير ذا غور صحيح لكن هذا التأويل لا يلائم قوله مصدر وصف به إلا أن يقال إن مراده لو لم يقصد المبالغة لكان حق الكلام غائراً الدلاء جمع دلو أشار به إلى أن المراد ليس العدم بالكلية ولا الغور اليسير بل الغور بحيث لا يناله الدلاء فاعل على الإسناد المجازي وفي نسخة لا ينال بالدلاء وهو الظاهر أي لا ينال بالدلاء وإن اطالوا

قوله: للتخصيص والإشعار به أي وللإشعار بأن غيره لا يضر ولا ينفع كأنه قيل وعليه توكلنا دون غيره لأن غيره لا يقدر على النفع والضر وفي الكشف آخر المتعلق في أمنا وقدم في توكلنا لوقوع أمنا تعريضاً بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كأنه قيل أمنا ولم تكفر كما كفرتم ثم قال: ﴿وعليه توكلنا﴾ [الملك: ٢٩] خصوصاً لم تنكل على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم يعني كان من حق الظاهر أن يقال: فمن يجيركم لأن الشرط ﴿قل أرايتم إن أهلكني الله﴾ [الملك: ٢٨] فعدل إلى المظهر إشعاراً بأن الكفر هو سبب الهلاك فإن الإيمان هو الوسيلة في النجاة ثم جيء بقوله: ﴿قل هو الرحمن أمنا به﴾ [الملك: ٢٩] جواباً لقوله: ﴿قل أرايتم إن أهلكني الله ومن معي﴾ [الملك: ٢٨] على سبيل التبكيت أي هو الرحمن يجيرنا لأننا أمنا به ولم تكفر كما كفرتم ولما لم يكن المقصود في الإيراد نفى الشرك وإثبات التوحيد لأن الكلام في الإهلاك والإنجاء جيء بقوله: ﴿أمنا به﴾ [الملك: ٢٩] وأما تركيب به أمنا فإنما يجاء في مقام إثبات التوحيد ونفي الشرك وأما في قوله: ﴿وعليه توكلنا﴾ [الملك: ٢٩] فالتقديم واجب لأن مقام الخلاص والنجاة يقتضي حصر المتوكل عليه في المنجي الحق وهم كانوا متوكلين على الرجال والأموال فعلى المؤمنين أن يقولوا نحن لا نتوكل على ما أنتم متكلون عليه بل على الرحمن توكلنا خصوصاً تمت السورة ومعاني القرآن لا غاية لها أحمد الله مفتتحاً ومختتماً وبالله افتتح وباستعانة اشرع في حل ما في تفسير سورة نون.

الحبل بقدر الوسخ والظاهر أن المراد الذهب في الأرض بالكلية ولا يظهر لطف قوله بحيث لا ينال بالدلاء.

قوله: ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠] أي ممن سوى الله تعالى أي لا يأتيكم أحد إلا الله تعالى.

قوله: (جار أو ظاهر سهل المأخذ) أشار به إلى أن معيناً فاعيل من معن إذا جرى فيكون الميم من الكلمة والياء زائدة فاعيل بمعنى الفاعل والثاني بالعكس لأن ظاهر معنى سهل المأخذ مأخوذ من عين فهو حيثلذ اسم مفعول من العين يقال عانه أي أصابه بعينه فهو عاين وذاك معين كميع من البيع فمعنى ظاهر أي للعيون فعلى هذا من العين بمعنى الباصرة فيكون مشتقاً من الجامد وهو قليل ولذا أخره أو الأول مستلزم للظهور دون العكس فهو أحق بمقام الامتتان ولا صابة العين به أطلق عليه المعين كما عرفته.

قوله: (عن النبي ﷺ من قرأ سورة الملك فكانت له ليلة القدر) موضوع والعجب من المصنف أنه ترك الأحاديث الصحيحة الواردة في فضائل هذه السورة الكريمة واقتصر على ما هو ليس بثابت ومن جعلتها أنه قال رسول الله ﷺ إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر وهي تبارك الذي بيده الملك وقال عليه السلام في آخر حديث شريف هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب الله تعالى الحمد لله على تمام ما يتعلق بهذه السورة الكريمة والصلاة والسلام على رسولنا سيد البرية وعلى آله وأصحابه ذوي النفوس الزكية تمت في وقت الضحى من يوم السبت في المحرم الحرام في سنة ١١٩٢.

سورة ن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة ن مكية) إلا أنه قيل استثنى منها ﴿إنا بلوناهم﴾ [القلم: ١٧] إلى ﴿يعلمون﴾ [القلم: ٣٣] ومن ﴿فاصبر﴾ [القلم: ٤٨] إلى ﴿الصالحين﴾ [القلم: ٥٠] والمصنف لم يلتفت إليه لعدم وثوقه بتلك الرواية.

قوله: (وهي ثتان وخمسون آية) لا خلاف في عدد آياتها.

قوله تعالى: ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾

قوله: (من أسماء الحروف) قد مر بيانه في أول البقرة ويؤيده كتابته بالحرف الأول من الاسم المركب كما في ص وق وسائر أخواتها كما قال المصنف ويؤيد الأول النخ ويحتمل أن يكون اسماً للقرآن أو للسورة التي صدرت بها وغير ذلك من الاحتمالات التي ذكرها في أوائل البقرة.

قوله: (وقيل اسم الحوت) وجه التمرير ظاهر مما ذكرناه.

قوله: (والمراد به الجنس) لعدم قرينة قوية على أن المراد به فرد معين فيراد به فرد غير معين أو جميع الأفراد وفي التلويح قد يعم التكرة بدليل يدل على العموم^(١) والدليل هنا عليه عدم اختصاص القسم بفرد دون فرد^(٢) ومثل هذا كاف في الخطأ بيانه ووجه القسم عليه أنه تعالى من على عباده بأنه ﴿سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ [النحل: ١٤] الآية^(٣) ومثل هذا

سورة النون

مكية وآياتها ثتان وخمسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

(١) إذ النون بمعنى السمكة كما في قوله تعالى: ﴿وفا النون إذ ذهب مغاضباً﴾ [الأنبياء: ٨٧] الآية.

(٢) وعموم ﴿علمت نفس﴾ وتمره خير من جرادة لدليل يقتضي العموم.

(٣) ومنهم من قال الله تعالى أقسم بالحوت الذي احتبس يونس عليه السلام في بطنه ومنهم من أقسم بالحوت الذي لطيح سهم نمرود بدمه لما رمى السهم نحو السماء عاد السهم بدم سمكة في بحر معلق في الهواء فأكرمه الله تعالى ذلك الحوت بأن أقسم به حصراً.

يشعر انافته وشرافته والفرد الذي يظن أنه ينبغي أن يقسم عليه كحوت يونس أو الحوت الذي لطخ سهم نمرود بدمه^(١) حين رمى سهمه نحو السماء أو اليهموت يدخل في الجنس دخولاً أولياً فلا وجه للتخصيص.

قوله: (أو اليهموت وهو الذي عليه الأرض) اليهموت يفتح الياء المشناة التحتية وسكون الهاء قوله وهو الذي عليه الأرض فخلقه^(٢) قبل خلق الأرض فوضعت الأرض عليه كما صرح به في المعالم وجه القسم عليه ظاهر وإنما مرّضه مع ظهور شرفه لما مر من أنه داخل تحت العموم والتخصيص خلاف الظاهر.

قوله: (أو الدواة فإن بعض الحيتان يستخرج منه شيء أشد سواداً من النفس يكتب به) أو الدواة أي المراد من أن الدواة مجازاً كما أشار إليه بقوله فإن بعض الحيتان الخ يريد أنه تجوز بعلاقة المشابهة في احتواء النفس واستخراجه فذكر المشبه به وأريد المشبه فيكون استعارة مصرحة وصاحب الكشف أنكروا ورود النون بمعنى الدواة في اللغة أو في الاستعمال المعتد به وظاهره أنه لم ينكر الزمخشري كونه مجازاً وكون مراد المصنف الرد على الزمخشري غير ظاهر وإن كان محتملاً له وأن المشبه به وهو الحوت الذي يستخرج منه الخ يجوز أن يكون أشهر عند من يلقى إليه الكلام وهو عليه الصلاة والسلام فمن أنكروه فعليه البيان بالبرهان فلا مناقشة في تقرير المصنف النفس بالسین المهملة كالحبر لفظاً ومعنى.

قوله: (ويؤيد الأول سكونه وكتابتة بصورة الحرف) لأنه لو كان اسم جنس أو مستعاراً للدواة لكان معرباً إما متوناً أو غير منصرف وهذا يقتضي عدم جواز السكون إلا أن يقال السكون^(٣) لإجراء الوصل مجرى الوقف وله نظائر ولذا قال ويؤيد ولم يقل ويدل عليه الخ قيل ثم لا دلالة في النون المنكر على ذلك الصنف يرد عليه أنه لا دلالة في النون المنكر على فرد معين مثل اليهموت وحوت يونس عليه السلام فما هو

قوله: يؤيد الأول سكونه وكتابتة بصورة الحرف أي يؤيد كونها من أسماء الحروف وجه التأييد أنه حينئذ يكون في حكم أسماء الأعداد نحو واحد اثنان ثلاثة ولو كان اسماً للحوت أو للدواة لأعرب.

أقول: يرد كونه من أسماء الحروف كتابته على صورة المسمى فقلع مراده أنه لو كان اسماً للحوت مثلاً لكتب على صورة اسم الحرف هكذا نون وقد بين النكتة في كتابته أسماء الحروف على صور مسمياتها ومخالفة كتيبتها لقاعدة الخط في بحث فواتح السور في أول سورة البقرة.

(١) أي يدم حوت معلق في الهواء.

(٢) قد التقى طرفاه في السماء على رواية وفي رواية معلق طرفاه بالعرش قيل وما تحت الحوت الهواء والظلمة وانقطع العلم والحوت على صخرة والصخرة بيده الملك.

(٣) المراد بالسكون سكون وقف لا سكون بناء كما فصله المصنف في أوائل سورة البقرة.

جوابكم فهو جوابنا على أن والقلم يدل عليه ولو ظناً وكتابه بصورة الحرف مع أن هذا مختص بأسماء الحروف دون سائر الاسماء لكنه يمكن أن يقال إنه يحتمل بأنه اكتفى في الكتابة ببعض حروف الكلمة كقوله:

قلت لها قضي فقلت قاف

لكن هذا في الشعر ومع هذا يشعر الصحة في النثر في الجملة أو كم في خط المصحف من أشياء خارجة عن قياس الخط فليكن هذا من ذلك الخارج وبالجملة لا مجال لمنع أصل الصحة لوجود نظائره لكنه ضعيف.

قوله: (هو الذي خط^(١) اللوح) وهو من نور طوله خمسمائة عام وأول ما خلق الله القلم كما ورد في بعض الروايات^(٢) وفي بعض الرواية أول ما خلق الله العقل وفي بعضها أول ما خلق الله نوري فاللام للعهد وسبب المهدية كونه معلوماً بين الأنام وفي الشرع العظام^(٣) قال عليه السلام جف القلم ولذا قدمه أيضاً هو أجدر بأن يقسم عليه وهو ظاهر مما مر.

قوله: (أو الذي يخط به أقسم به لكثرة فوائده) المتداول بين الناس أو كل قلم يكتب به في السماء والأرض لكن الظاهر قلم الناس أشار إليه المصنف بقوله لكثرة فوائده لأن صلاح العيش به وكذا قيام الدين ذكر علة كونه مقسماً عليه لخفائه وأما الأول فأجلى من الكوكب المنور.

قوله: (واخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون إجراء للواو المتفصل مجرى المتصل) المراد بالإخفاء هنا ما اصطلاح القراء وأرباب علم التجويد وهو صفة حرف بين الاظهار عار من التشديد مع بقاء الغنة في الحرف الأول ومنه ظهر مفارقة الادغام والإخفاء فهنا لا إخفاء بهذا المعنى ولهذا حمل المحشي الاخفاء على الادغام قوله ابن عامر في رواية هشام وأما ابن ذكوان فقد روي عنه الادغام والاظهار قال ابن الجزري الوجهان صحيحان عن ابن ذكوان قوله إجراء للواو الخ قرينة على أن المراد بالإخفاء الادغام فإن

قوله: هو الذي خط اللوح أو الذي يخط به الوجه الأول على أن يكون التعريف فيه للعهد الخارجي والثاني على أن يكون للجنس.

قوله: وأخفى ابن عامر الخ وفي التيسير وورش وأبو بكر وابن عامر والكسائي يدغمون نون الهجاء في الواو ويبقون الغنة في يس وكذلك في «نون والقلم» [القلم: ١] وقال الزجاج والمختار إدغام النون في الواو كانت النون ساكنة أو متحركة إجراء للواو المتفصل مجرى المتصل كمنوان وصفوان وقنوان.

(١) أي هو الذي خط على اللوح.

(٢) تنامه ونظر إليه فانتش بتصفين ثم قال له أجر بما هو كائن إلى يوم القيامة فجري على اللوح المحفوظ بذلك من الآجال والأعمال والأرزاق ثم ختم قم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة.

(٣) جمع العظام باعتبار أن الشرع مشتمل لأحكام كثيرة.

الادغام اخفاء لغوي لكن اعترض عليه بأنه لا وجه له فإنه إن أراد انفصالها بحرف آخر فليس بصحيح وإن أراد الانفصال عن الكلمة بأن يكون في كلمة أخرى فليس كونهما من كلمة واحدة شرطاً عند أحد من القراء انتهى مراده الشق الثاني والانفصال إذا كان بنية الوقف بدلالة اجتماع الساكنين وجب الإظهار لأنه حينئذ يكون منفصلاً مما بعدها انفصلاً تاماً لكونه في حكم الموقوف عليه لا يتأثر الادغام وإذا لم يلاحظ نية الوقف يكون هذا الانفصال في حكم الاتصال فيدغم النون في الواو كادغام نون يس في الواو في ﴿والقرآن الحكيم﴾ [يس: ٢] وإلى بعض ما ذكرناه أشار الإمام.

قوله: (فإن النون الساكنة تخفى مع حروف الفم إذا اتصلت بها) أي^(١) تدغم مع حروف الفم أي الحروف الشفوية والمراد بها ما عدا حروف الحلق معنى لغوي كما أن المراد بالإخفاء معنى لغوي له حيث أريد به الادغام ولعل وجه هذا حسن مقابلته للإظهار المشار إليه بقوله واخفى ابن عامر الخ والقول^(٢) بأن مراد المص بالإخفاء ما يعمه والقلب لا يظهر وجهه.

قوله: (وقد روي ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد) ذلك أي الادغام والإظهار عنهما قوله وقرئت بالفتح لانتقاء الساكنين مع أنه أخف الحركات والكسر لانتقاء الساكنين والكسر أصل في تحريك الساكن ومر تفصيله في صاد قدم الكسر هناك واخره هنا للتفنن.

قوله: (﴿وما يسطرون﴾ [القلم: ١] وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الأول على التعظيم) ﴿وما يسطرون﴾ [القلم: ١] أي وما يكتبون لأن السطر في الأصل الكتب قوله على التعظيم لأن الراجح جواز تعبير الواحد بلفظ الجمع في الغائب المخاطب تعظيماً وإنكاره المحقق في المقول غير مناسب.

قوله: فإن النون الساكنة تخفى مع حروف الفم مثل جنب وذنب.

قوله: وقرئت بالفتح والكسر هذا على أن يكون من أسماء الحروف لأنه يكون حينئذ مبنياً وكان الأصل في المبني أن يكون ساكناً ولما اضطر بسبب لزوم انتقاء الساكنين إلى تحريك النون انتمز إلى التحريك بالفتح لخفته وبالكسر لأن الأصل في تحريك الساكن.

قوله: والضمير للقلم بالمعنى الأول على التعظيم يعني الفاعل وهو ضمير الجمع في ﴿يسطرون﴾ [القلم: ١] للقلم بالمعنى الأول وهو أن يكون المراد به القلم الذي خط اللوح على التعظيم وفيه نظر لأن الجمع للتعظيم في غير التكلم لا يعد من البلاغة عند أربابها.

(١) وإنما فسرنا قوله تخفى بتدغم لأن يكون صالحاً لكونه دليلاً على المطلوب لما عرفت من أن المراد بالإدغام.

(٢) في دفع إشكال على قول من حروف الفم بأنه محل نظر فإنها تدغم عند حروف يرملون.

قوله: (أو بالمعنى الثاني على إرادة الجنس وإستناد الفعل إلى الآلة وإجرائه مجرى أولي العلم لأقامته مقامه) على إرادة الجنس الشامل الكثير أيضاً وإسناده إلى الآلة إذ الكاتب حقيقة ذو الآلة فيكون مجازاً للملابسة قوله وإقامته الخ أي لما أقيم مقام ذوي العلم والكثابة فعل العقلاء عبر عنه بصيغة العقلاء مجازاً فمنا مجازان مجاز في الإسناد ومجاز في الهيئة.

قوله: (أو لأصحابه) لدلالة القلم عليه فيكون مذكوراً حكماً معطوف على قوله للقلم.

قوله: (أو الحفظة وما مصدرية أو موصولة) أو الحفظة هذا بناء على أن المراد بالقلم قلم الحفظة حتى يفهم منه الحفظة ولم يتعرض له فهذا الاحتمال ضعيف ولذا أخره والقول بأنه أشار به إلى جواز كون المراد بالقلم قلم الحفظة كما اختاره البعض لا يدفع الضعف وما قيل يعني إذا أريد بالقلم ما خط في اللوح فأشد ضعفاً من ذلك وما مصدرية فيكون القسم على الكتابة وهو الظاهر إما لفظاً فلاستغنائك عن تقدير العائد وإما معنى فلأن الكتابة يدور عليها صلاح الدارين أو موصولة فيكون القسم على المكتوب لكون بعضه أشرف وهو تكلف مع احتياجه إلى تقدير العائد.



قوله تعالى: مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ

قوله: (جواب القسم والمعنى ما أنت بمجنون متنعماً عليك بالنبوة وحصافة الرأي) أي انتفى عنك الجنون متنعماً عليك بالنبوة إشارة إلى أن النعمة التي تفرد بها وحصافة الرأي أي استحكام الرأي الناشئ من كمال العقل والتعرض بهذه النعمة دون غيرها لأن الكلام مسوق لرد قول المشركين أنه مجنون ولما قصد الرد فلا إشكال بأنه لا فائدة في الخير ولازمها بحسب الظاهر إذ كل أحد يعرف حال نفسه فيكون مجازاً لكون الرد لازماً له وأشار إلى أن بنعمة ربك حال والباء للملابسة أي ملابساً بنعمة ربك قوله متنعماً عليك حاصل المعنى متنعماً اسم فاعل ضميره راجع إلى الرب.

قوله: (والعامل في الحال معنى النفي) أي انتفى عنك الجنون وذو الحال الضمير في عنك ولما كان رائحة الفعل كافياً في عمل الجار والمجرور قال والعامل في الحال الخ ولم يلتفت إلى جواز كون بنعمة ربك قسماً اعتراضاً بين المحكوم عليه والحكم على سبيل

قوله: أو بالمعنى الثاني وهو أن يكون المراد به القلم الذي يخط به مطلقاً على إرادة الجنس الخ يعني إذا كان المراد به المعنى الثاني أشكل أمور ثلاثة رجع ضمير الجمع إلى المفرد وإستناد الفعل إلى الآلة مع أن الفعل لصاحبها وجمعه بالواو والنون المخصوص بالعقلاء فالوجه في الأول إرادة الجنس في القلم الدال على الكثرة وفي الثاني حملة على المجاز العقلي وفي الثالث أن يجعل من الاستعارة بالكتابة.

قوله: والعامل في الحال معنى النفي جعل الظرف أعني «بنعمة ربك» (القلم: ٢) حالاً من أنت ولما كان أنت مبتدأ في المعنى والحال من المبتدأ لا يجوز على الأصح أوله بأنه فاعل في المعنى لمعنى النفي والتقدير لست كائناً بنعمة ربك بمجنون وتفسيره بقوله متنعماً عليك بالنبوة أخذ بالزيادة من مضمون هذا الحال بقرينة الخصوص.

التأكيد والتشديد وانتفاء الوصف الذميمة لأنه تكلف لأنه جواب القسم كما صرح به واعتبار القسم الآخر في جواب القسم لم يعهد في كلامهم.

قوله: (وقيل مجنون والباء لا تمتنع عمله فيما قبله لأنها مزيدة) أي العامل في الحال مجنون كما ذهب إليه الزمخشري قوله والياء الخ جواب سؤال مقدر وهو أن معمول المجرور سواء كان بالحرف أو بالإضافة لا يتقدم عليه صرح به النحاة فأجاب بأن الياء زائدة زيدت لتحسين اللفظ فهي كالعدم ولذا قال والعامل مجنون باسقاط الباء.

قوله: (وفيه نظر من حيث المعنى) لأنه يقتضي أن انتفاء الجنون في هذه الحال وقد لا ينتفي في غيرها وكونها حالاً لازمة لا يدفع الإيهام والجواب أن هذا مفهوم المخالفة وليس بمعتبر عند أئمتنا الحنفية والزمخشري منهم على أنه ليس بحال غيرها فإن التوبة وحصافة^(١) الرأي لا يتفكان عنه عليه السلام أصلاً فهي لبيان الواقع فالغرض من هذا القيد بيان دوامه وقد صرح الأئمة الشافعية بأنه إذا كان في القيد فائدة أخرى غير المفهوم فلا مفهوم قال في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْ مِنْ بَالِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] الآية ليس المراد منه نفي تقييد الحل بإيمانهم بل التنبيه على أنه ينافي الإيمان وهنا المراد التنبيه على أن هذه النعمة لا تنفك أصلاً فكيف ينسب إليه الجنون فها هو جوابكم هنا فهو جوابنا هناك ونظائر ما ذكر في كلام المصنف كثيرة جداً غاية الأمر أن النفي هنا متوجه إلى العقيد دون القيد لقيام قرينة على أن المراد نفي الجنون وهو مقيد وإثبات النعمة العظيمة نعم الأكثر الأغلب توجه النفي إلى القيد ولو روعي ذلك لقليل ما أنت متعم مجنوناً لكن ما اختير في النظم أبلغ إذ الأهم نفي الجنون لتفوله الكفرة الفجرة.



قوله تعالى: وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ

(على الاحتمال والابلاغ «غير ممنون» مقطوع أو ممنون به عليك من الناس فإنه تعالى يعطيك بلا توسط).

قوله: (وفيه نظر من حيث المعنى وجه النظر أنه يلزم منه نفي الجنون المقيد عنه ﷺ ونفي الجنون مطلقاً أدخل في وصفه بكمال العقل قال الزجاج أنت اسم ما وبمجنون الخبر وبنعمة ريك كما تقول أنت بنعمة الله فهم وما أنت بنعمته بجاهل وهذا جواب لقولهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] فالمراد نفي ما كان ينسبه إليه كفار مكة عداوة وحسداً وأنه في إنعام الله تعالى عليه بحصافة العقل بمنزلة عظيم قال محيي السنة إنك لا تكون مجنوناً وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة وقيل بعصمته ريك وقيل هو كما يقال: ﴿وما أنت بمجنون﴾ [القلم: ٢] والحمد لله وقيل معناه «ما أنت بمجنون» [القلم: ٢] والنعمة لربك قال الطيبي ويمكن أن يقال إن الباء قسمية والجملة معترضة.

قوله: على الاحتمال أي على احتمال أعباء التوبة ومشاق تبليغ الرسالة.

قوله: أو ممنون به من الناس فإنه تعالى يعطيك بلا توسط فلو كان ذلك النعمة عليه بتوسط أحد من الناس تكون بمنة منه.

قوله تعالى: **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴿٤﴾

قوله: (إذ تتحمل من قومك ما لا يحتمله أمثالك) ومن جعلته أنك قلت في غزوة أحد اللهم اهد قومي وفي رواية اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون مع أذى كثير حتى شهد رباعيته وشج رأسه قوله ما لا يحتمله أمثالك من الرسل أو أولي العزم منهم صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين فضلاً عن غيرهم.

قوله: (ومثلت عائشة رضي الله تعالى عنها عن خلقه عليه السلام فقالت كان خلقه القرآن ألتست تقرأ القرآن ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [المؤمنون: ١] إلى تمام عشر آيات إلى ﴿أولئك هم الوارثون﴾ [المؤمنون: ١٠] بدل من القرآن بدل البعض من الكل وترك العائد فإنه يجوز تركه في بعض المواضع مثل كلمة التوحيد أو العائد مقدر وجهه أن القرآن قد يطلق على البعض كما يطلق على المجموع صرح به المصنف في أوائل سورة يوسف والمعنى خلقه ما دل عليه القرآن والخصال الحميدة المذكورة في تلك الآية.

قوله تعالى: **فَسَتُبْصِرُ وَيَصْبِرُونَ** ﴿٥﴾ **يَأْتِيَكُمُ الْمَفْتُونُ** ﴿٦﴾

قوله: (أيكم الذي فتن بالجنون) فيه تنبيه على الارتباط بما قبله فتن أي ابتلي به وهذا الكلام من قبيل كلام المص المسكت للخصم حملة على أنه اسم مفعول من فتن بمعنى ابتلي إذ المصدرية غير مشتهرة.

قوله: (والباء مزيدة أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود) والباء مزيدة لأنه مبتدأ مؤخر وهذا يؤيد قول سيبويه فإنه جوز زيادة الباء في المبتدأ لكنه ليس بنص في ذلك لجواز أن يكون مصدراً فحينئذ يكون الباء للملابسة كما قال أو بأيكم الجنون الخ فيكون الباء متعلقاً بالمحذوف وهو خبر مقدم والجنون مبتدأ مؤخر والجملة معلق عنها على طريق التنازع وإنما ذكر فستبصر مع أنه عليه السلام غير متردد في كون المشركين مجنوناً مطبقاً بحيث لا يرجى زواله لما مر من أن مثل هذا الكلام من كلام المصنف المسكت للخصم المشاغب وتقديمه يعين ذلك وزيادة السين هنا تأكيد بصيرته عليه السلام بحيث يترتب عليه زيادة اليقين وأما المشركون فلا فائدة في إصغارهم وعن هذا ترك سين التأكيد هنا.

قوله: فقالت كان خلقه القرآن الحديث من رواية مسلم وأبي داود والإمام أحمد بن حنبل والدارمي وابن ماجه والنسائي عن سعد بن هشام قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها يا أم المؤمنين اتبيني عن خلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالت ألتست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فإن خلق نبي الله كان القرآن الحديث وليس فيه ذكر ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [المؤمنون: ١] قال شيخ الإسلام في الموارف قولها رضي الله تعالى عنها كان خلقه القرآن فيه سر كبير غامض وذلك أن النفوس مجبولة على طبائع من البهيمية والسبعية والشيطانية والله تعالى بمعظم عنايته نزع نصيب الشيطان عنه صلوات الله عليه لقوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ [الشرح: ١].

قوله: كالمعقول والمجلود يقال ما يفلان مجلود ومعقول أي جلادة وعقل.

قوله: (أو بأي الفريقين منكم الجنون أبقريق المؤمنين أم بفریق الکافرين أي في أيهما يوجد من يستحق لهذا الاسم) أشار به إلى أن خطاب الرسول عليه السلام خطاب شامل لأمته فإنه إمام أمته كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١] الآية فخطابه كخطابهم وإنما أوله إذ لا يستقيم أن يقال لجماعة وواحد في أيكم زيد فلا بد من تقدير الفريقين كذا نقل عن ابن الحاجب في شرح المفصل وهذا لا يلزم بيان المصنف حيث بين أولاً بلا تقدير الفريقين فالظاهر أن مراده بيان جواز الاحتمالين وفي قوله: ﴿منكم﴾ [الطلاق: ٢] تغليب قوله أي في أيهما يوجد من يستحق بيان حاصل المعنى لا إشارة إلى أن الباء بمعنى في وإن صح ذلك قوله يستحق الخ بناء على أنه في أيهما يوجد من يستحق لهذا الاسم.

قوله تعالى: **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ** ﴿٧﴾

قوله: (وهم المجانين على الحقيقة) أي في نفس الأمر اضاعوا عقولهم وأبطلوا استعدادهم لمعرفة الحق فيقوا مجنونين على الحقيقة فالحقيقة هنا ليست بمقابلة المجاز فإن إطلاق المجنون على هؤلاء الضالين مجاز نظراً إلى الوضع اللغوي والشرعي فالمراد بها ما ذكرناه.

قوله: (وهو أعلم بالمهتهدين) عطف على هو أعلم هذا أبلغ من عطف على بمن ضل والقول وبالمهتهدين تنبيهاً على تباين من المعلومين ولم يجهى وبمن اهتدى لرعاية الفاصلة وبأن الاهتداء أمر ثابت له غير زائد أو غير مستحق للزوال وأما الضلال فأمر زائل أو معرض الزوال.

قوله: (الفانزين بكمال العقل) حيث استعملوا العقل فيما خلق له فكمل عقولهم وأما المشركون فلا يصفرون عقولهم إلى ما فيه صلاحهم فاعتبر عدمها لانتهاء المعاني المقصودة منها كاعتبار عدم سمعهم وأبصارهم في قوله تعالى: ﴿صم بكم عمي﴾ [البقرة: ١٨] الخ لذلك قوله كمال العقل إشارة إلى ما ذكرناه فإطلاق المجنون على الكفار لانتهاء الكمال لا لانتهاء أصل عقولهم والمراد بإخبار العلم بذلك افادة جنونهم في الأول وكمال عقولهم في الثاني وقدم الأول لفرط اتصاله بما قبله.

قوله تعالى: **فَلَا تُطِيعُوا الْمُكَذِّبِينَ** ﴿٨﴾

قوله: (تهيبج للتصميم على معاصاتهم) إذ لا يتوقع الإطاعة لهم منه عليه السلام فالمراد أمر بدوام عدم الاطاعة وتهيبج أي ترغيب على معاصاتهم أي على عصياتهم ومخالفتهم فيما يخالف الحق القويم والدين المستقيم وقد مر توضيح هذا في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧].

قوله: تهيبج للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد أرادوه على أن يعبدوا الله مدة وألتههم مدة ويكفوا عنه شروطهم.

قوله تعالى: وَدُّوا لَوْ تَدْرُهُنَّ يُقَدِّرُونَ ﴿٩﴾

قوله: (تلاينهم بأن تدع نهيم عن الشرك) أي تداينهم صيغة المفاعلة للمبالغة أو على أصله قوله بأن تدع نهيم عن الشرك بيان لمعاملتهم باللين احتراز عن كون المراد ما ذكر في قوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ [آل عمران: ١٥٩] فإن المراد به اللين على أهل أحد وعلى سائر أهل الإسلام.

قوله: (أو توافقهم فيه أحياناً) هذا رد المشركين كما فصل في سورة الإسراء ومن جملة ما قاله قريش لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك انتهى لكن لو اكتفى بالأول لكان أولى.

قوله: (فيلابنونك يترك الطعن والموافقة والفاء للعطف أي ودوا التداين وتمنوه) والفاء للعطف على تدهن فيكون من جملة ودادهم ولذا قال أي ودوا التداين الدال على وقوع الأدهان من الطرفين وفي التعبير بالمصدر تنبيه على أن لو بمعنى أن المصدرية لوقوعه بعد فعل ودوا قال المص في البقرة في قوله تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم﴾ [البقرة: ١٠٩] أن يردوكم فإن لو تنوب عن أن في المعنى دون اللفظ أي لا يعمل مثل أن.

قوله: (لكنهم آخروا أدهانهم حتى تدهن) إذ الفاء العاطفة للترتيب.

قوله: (أو للسبية أي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذٍ) للسبية أي للسبية المحضة وليست للعطف قوله فهم يدهنون قدر المبتدأ ليظهر عدم كونها عاطفة إذ حينئذٍ تكون الجملة اسمية وما قبلها جملة فعلية وتوضح السبية وأنت خير بأن السبية لا تنافي العطف كما صرح به الجامي في قوله وإنما جاز الذي يطير إلى قوله لأنها فاء السبية وفي الاحتمال الأول فهي للعطف بلا ملاحظة السبية فلا يضر التقابل وقيل تقدير المبتدأ إذ لولاه لكان الفعل منصوباً الخ وفيه نظر إذ في احتمال الأول لم يقدر المبتدأ إلا أن يقال إن في الأول لم يلاحظ السبية لكن قوله آخروا أدهانهم حتى تدهن يشعر بالسبية.

قوله: (أو ودوا أدهانك فهم الآن يدهنون طمعاً فيه) فصيغة المضارع للحال وفي الأول للاستقبال والسبية هنا ذهناً وفيما قبله خارجاً أو الفاء داخلية على السبب وفيما قبله داخلية على المسبب كما هو الأصل.

قوله: والفاء للعطف كان الظاهر أن ينصب ويقال: فيدهنوا لأنه جواب التمني لكن عدل به إلى طريق آخر وهو إما أن لا يكون ﴿فيدهنون﴾ [القلم: ٩] جواباً بل يكون معطوفاً على تدهن والمعنى ودوا التداين لكنهم آخروا إدهانهم حتى تدهن معنى التأخير مستفاد من الفاء التعقيبية أو يكون جواباً لكن بتقدير مبتدأ أي ودوا لو تدهن فيهم يدهنون حينئذٍ على أن يكون يدهنون بمعنى الاستقبال أو ودوا إدهانك فهم الآن يدهنون على أن يكون بمعنى الحال فعلى التقديرين يكون الفاء للتسبيب لا للعطف لكن على التقدير الأول يكون مداة سبباً ومدهانهم مسبباً عنها وعلى الثاني يكون الأمر بالعكس.

قوله: (وفي بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمني) فالمعنى ليتك تدهن فيدهنوا والتمني مفهوم من ورود لفظة لو فإنه قد يستعمل في التمني مع أن لو هنا بمعنى أن المصدرية كما عرفته نقلاً من المصنف فهذا بناء على التوهم لا على التحقيق وقيل خرجت هذه القراءة على أنها عطف على التوهم بناء على أن لو مصدرية فتوهم وقوع أن موقعها ونصب الفعل بها والتمني من ودوا أو لو انتهى وجهه ما ذكرناه من أن لو تنوب عن أن في المعنى دون اللفظ فاحتاج إلى هذا التوهم وكون التمني مستفاداً من لو أولى من استفادته من ودوا إذ لم يشتهر نصب جوابه ولم يلتفت إلى القول بأن جواب لو مقدر أي لو تدهن لسروا بذلك ومفعول ودوا محذوف وهو التدهن لأنه محل بضان عنه كلام البليغ فضلاً عن كلام الله تعالى.

قوله تعالى: وَلَا تُطِيعْ كُلَّ سُلَافٍ مِّمِّينَ ﴿١٠﴾

قوله: (ولا تطع) تهيب على ما كان عليه من عدم الإطاعة كما سبق كل حلاف مثل هذه العبارة يفيد سلب العموم لكن لا يصح هنا بل المراد عموم السلب.

قوله: (كثير الحلف في الحق والباطل) أي حلاف للمبالغة في الكم دون الكيف مع أنه الأكثر استعمالاً قوله في الحق إذ الكثرة مذمومة ولو في الحق لما فيه من ترك تعظيم اسم الله تعالى (حقير الرأي من المهانة وهي الحقارة).

قوله تعالى: هَكَازِ مَثَلَيْهِ وَيَسِيرِ ﴿١١﴾

قوله: (عياب) كقوله تعالى: ﴿وبل لكل همزة لمزة﴾ [الهمزة: ١] إذ الهمز في الأصل الكسر كالهز ثم شاع في كسر أعراض الناس والطنن فيهم على وجه السعاية أي قصد الانقساد والضرر (نقال للحديث على وجه السعاية) يمنع الناس عن الخير من الإيمان والانفاق والعمل الصالح متجاوز في الظلم).

قوله تعالى: مَنَّاخٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ ﴿١٢﴾

قوله: (كثير الأثام) أي بخير ما ذكر أيضاً كأنه تعميم بعد التخصيص.

قوله تعالى: عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ دَرِينِ ﴿١٣﴾

(جاف غليظ من عتله إذا قاده بعنف وغلظة).

قوله: (بعد ما عد من مثالب) بالشاء المثلثة والباء الموحدة بمعنى القبايح والمعائب ضد المفازر والمناقب تبه به على أن ذلك إشارة إلى جمع ما ذكر وافراد

قوله: وفي بعض المصاحف فيدهنوا قال سيبويه وزعم هارون أنها في بعض المصاحف «ودوا لو تدهن» [القول: ٩] فيدهنوا الضمير في قوله إنها للقراءة أي إن القراءة في بعض المصاحف فيدهنوا بالنصب على أنه جواب التمني.

ذلك بتأويل ما عدا وما ذكر لفظة بعد كشم يفيد التراخي الرتبي لا سيما إذا كان المراد بالزنييم ولدا الزنا كما في الكشف وأشار إليه المصنف بقوله ادعاء أبوه الخ فإن الأبناء عن الدعوة لأجل ظن الزنا.

قوله: (دعي مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من أذنهما وحلقهما قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاء أبوه بعد ثمانين عشرة من مولده) من زنمتي الشاة الزنمة بفتححات ما يتدلى في حلق المعز وفي الكشف الزنييم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة يقطع فيتخلى معلقة في حلقها لأنه زيادة معلقة بغير أهله أي شبه من انتسب لغير أبيه بذلك لكونه زيادة معلقة بغير أهله كالزنييم.

قوله: (وقيل الأخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده في زهرة) الأخنس بالخاء المعجمة والسين المهملة شريق بوزن شقيق اسم أبيه أصله ابن ثقيف أي هو من قبيلة ثقيف وعداده في زهرة أي فالتحق ببني زهرة حتى كان يعد منهم في الجاهلية والحاصل أن المراد بالزنييم الدعي وهو ملحق بالقوم وليس منهم سواء كان بالزنا أو لا فالقول بأن الزنييم ولد الزنا الملحق بالقوم وليس منهم في النسب والوليد كذلك ضعيف لأن المصنف فسره بالدعي وهو متعارف بالتبني قال تعالى: ﴿وما جعل أدياءكم أبناءكم﴾ [الأحزاب: ٤] وكون الوليد ولد الزنا قول البعض وفي الكشف وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزل هذه الآية.

قوله تعالى: أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَنَبِيٍّ ﴿١٤﴾ إِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْكَ فَاِتْنَا قَالَ أَصْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

قوله: (أي قال ذلك حينئذ لأنه كان متمولاً مستظهِراً بالبنين من قرط غروره) قال ذلك أي أساطير الأولين ح حين تلاوة آياتنا لأنه كان الخ نيه به على أن أن مصدرية حذف عنها لام الجارة لكونه قياساً قوله متمولاً معنى ذا مال قوله مستظهر بالبنين معنى وبنين إذ المقصود الاستظهار بالبنين في الحياة والممات بالخلفية والمال معظم الفائدة فيه التزين به وإن كان الاستظهار متحققاً به كما أن التزين مقصود بالبنين أيضاً والاعتبار بالأغلب.

قوله: (لكن العامل مدلول قال لا نفسه لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله) أشار إلى أن إذا للشرط هنا لا ظرفية محضة وإن صح أيضاً والمناسب كون إذا للكلية لا

قوله: دعي مأخوذ من زنمتي الشاة الزنمة شيء يقطع من أذن البعير فيتترك معلقاً وإنما يفعل ذلك بالكرام من الإبل ولا يكون ذلك في الضأن وإنما يكون في الإبل والمعز والزنييم أيضاً المستلحق في قوم ليس منهم لا يحتاج إليه وكان له فيهم زنمة قال عكرمة الزنييم هو اللثيم الذي يعرف بلومه كما تعرف الشاة بزنتها.

قوله: أي قال ذلك حينئذ لأن كان متمولاً أي قال: ﴿أساطير الأولين﴾ [القلم: ١٥] حين إذا تليت عليه آياتنا لكونه متمولاً مستظهِراً بالبنين فاللام مقدرة قبل أن.

قوله: لكن العامل مدلول قال لا نفسه يعني العامل في إن كان قال المقدر قبل إذا لا قال

للإهمال والمعنى كلما تتلى عليه آياتنا قال الخ لأن شرط غرورهم يقتضي عموم الأوقات.
قوله: (ويجوز أن يكون علة للا تطع أي لا تطع من هذه مثالبه لأنه كان ذا مال) علة
للا تطع هذا مقدم في الكشف لكن آخره المصنف لضغفه أما أولاً فلأنه لا يتوقع منه عليه
السلام الإطاعة ليساره وحظه من الدنيا قطعاً كما لا يتوقع نفي الإطاعة وأما ثانياً فلأنه يومه
أن عدم الإطاعة لأجل غنائه منهي لا أصل للإطاعة وإن أمكن دفعه بأنه أخرج مخرج العادة
فلا مفهوم ولذا تعرضه المصنف ثانياً فيكون قوله: ﴿إِذْ تَتْلَى عَلَيْهِ﴾ [القلم: ١٥] الخ جملة
ابتدائية مسوقة لبيان سوء أدبه وكمال تمرده حين قراءة القرآن عليه.

قوله: (وقرأ ابن عامر وحزمة ويعقوب وأبو بكر إن كان على الاستفهام غير أن ابن
عامر جعل الهمزة الثانية بين أي الآن كان ذا مال كذب أو أنطيعه لأنه كان ذا مال) على
الاستفهام أي للإنكار الواقعي أو للتقرير أي قد كان ذلك قوله أي الآن كان ذا مال كذب
إشارة إلى الوجه الأول قوله انطيعه أي متعلق الجار المحذوف تطيعه لا قال إشارة إلى
الوجه الثاني على الاستفهام الإنكار الوقوعي لا مجال للتقرير هنا.

قوله: (وقرىء إن كان بالكسر على أن شرط الغنى في النهي عن الإطاعة كالتعليل
بالفقر في النهي عن قتل الأولاد) جواب عن لزوم مفهوم الشرط يعني فلا يلزم جواز
الإطاعة عند فقد الشرط لأنه يعلم عدم جوازها بطريق الدلالة أو هذا أخرج مخرج العادة
كما مر فإن العادة جارية على إطاعة الغني لغنائه قوله كالتعليل الخ شاهد على ما قلنا من
أن التعليل بالغنى يشعر بالمفهوم واحتياجه إلى دفعه بنحو ما ذكرناه.

قوله: (أو أن شرطه للمخاطب أي لا تطعه شارطاً يساره لأن إذا أطاع للغنى فكأنه
شرطه في الطاعة) أو أن شرطه للمخاطب وهو عليه السلام أي لا تطعه شارطاً يساره

المذكور فالمعنى قال: ﴿إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ [القلم: ١٥] ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥] لأن
كان ذا مال.

قوله: ويجوز أن يكون علة للا تطع على أنه علة للمعنى لا للشيء أي لا تطعه لأجل كونه
متمولاً وهذا وإن أوهم معنى لا تطعه لهذا السبب المخصوص وأطعه لسبب آخر لكن هذا
المعنى ليس بمراد هنا بل المراد إن كثيراً من الناس يطيعون المتمول لأجل كونه ذا مال فأنت
لا تفعل ذلك.

قوله: أو إن شرطه للمخاطب يعني أو يكون التعليق بالشرط للمخاطب وهو رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وإن كان ظاهره للمتكلم والمعنى لا تطع شارطاً يساره أي لا تطع
يا محمد كل خلاف شارطاً أنت يساره ومثل هذا الشرط في كونه راجعاً إلى المخاطب الترجي
في قوله تعالى: ﴿فَقُولْ لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤] فإن ظاهر اللفظ
الترجي للمتكلم وهو الله تعالى وهو في الحقيقة للمخاطبين بقولا وهما موسى وهارون أي
عاملاء معاملة من لا يعلم العاقبة يا موسى وهارون قال بعضهم حاصل هذا الشرط أنه نهى عن
طاعة مشروطة لا نهى مشروط وقال الطيبي الظاهر إن هذا الشرط تعليل لأن من نهى أن يطاع

تشبيهاً حاله بحال الشارط كما يدل عليه قوله فكأنه شرطه الخ ولما كان الشرط من المخاطب لم يكن الغنى شرطاً في النهي عن الإطاعة فلا يحتاج إلى الاعتذار المذكور لكنه تكلف بل تعسف جداً وعند التأمل الصادق يظهر أنه يرد عليه مثل ما يرد على الأول فلا فائدة في هذا التكلف البعيد قوله شارطاً يساره بيان حاصل المعنى لا إشارة إلى كون جملة إن كان حالاً وصرف الشرط إلى المخاطب كصرف الترجي إليه في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّه يَتَذَكَّرُ﴾ [طه: ٤٤] ونحوه فلا حاجة إلى جعل إن كان ذا مال قول المخاطب آخره لكونه خلاف الظاهر.

قوله تعالى: مَسِيْمٌ عَلَى الرُّمُوشِ ﴿١٧﴾

قوله: (بالكي) فإسناد السمة إليه تعالى مجاز.

قوله: (على الأنف) وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقي أثرها وقيل هو عبارة عن أن يذله غاية الازدلال) على الأنف أشار به إلى أن الخرطوم مجاز للأنف لأن الخرطوم للفقيل وفي التعبير عن الأنف بالخرطوم إشارة إلى كمال غلظته وقبحه يوم بدر لعل هذا رواية أخرى وإلا فالوليد من المستهزئين وكلهم هلكوا قبل بدر كما صرح به المصنف في أواخر سورة الحجر وهي مكية وقصة بدر يعد الهجرة فالظاهر ما زيفه بقوله وقيل هو عبارة وهو المناسب بالتقابل ما عد من مثالبه فإنه يدل على كبره وتعاضله وهذا كناية مشهورة عند العرب حتى يقولون وسمته بمسيم السوء يريدون أنه ألصق به من العار والذل ما لا يفارقه ولذا عبر بالخرطوم ولذا قدم الرمخشري هذا الوجه وزيف ما قدمه المص.

قوله: (كقولهم جدد أنفه ورغم أنفه لأن السمة على الوجه سيما على الأنف شين ظاهر أو يسود وجهه يوم القيامة) جدد بالذال المهملة على المبني للمفعول أي قطع ورغم أنفه أصل الرغم اللصاق بالتراب وكلاهما كناية عن غاية الذل أشار إليه بقوله لأن السمة على الوجه لكونه أشرف أعضاء الإنسان سيما على الأنف إذ الأنف أشرف مواضع الوجه شين أي عيب ظاهر فذكر سمة الأنف وجدعه ورغمه وأريد كمال الذل والازدلال استعمال سيما بلا لا صحة الشيخ الرضي فلا اعتبار لإنكار الدماميني في شرح التسهيل شين من شأن الأجوف لا من شأن المهموز.

قوله تعالى: إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْبَنَاءِ إِذْ أَقْبَتُوا بِعِمَّتِهِمْ مُمِصِّجِينَ ﴿١٨﴾

قوله: (بلونا أهل مكة بالقحط) بلونا أصبناهم ببلية ومحنة والمراد هنا بلية القحط

وهو الوليد كان ذا مال وبين كما سبق في قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ إِن كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا﴾ [المتحنة: ١] قال الرمخشري ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا﴾ [المتحنة: ١] متعلق بلا تتخذوا وقد مر إن الشروط كالتعليل ولذلك جعله حالاً من فاعل لا تطع حيث قال شارطاً يساره والحال قد يجيء في مقام التعليل فحيث يرجع معنى أن المكسورة إلى معنى أن المفتوحة في أن المراد التعليل.

ولذا قال بالقسط لأنه يناسب التشبيه المذكور كما بلونا صفة مصدر مقدر أي بلونا هم ابتلاء كابتلاء أصحاب الجنة بدعوة رسول الله عليه السلام.

قوله: (يريد البستان الذي كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل أو ألقته الريح أو بعد من البساط الذي يسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق الأمر علينا فاحلقوا «ليصمرنها» [القلم: ١٧] وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال: «إذا قسموا» [القلم: ١٧] الآية) يريد بستاناً إذ الجنة في الأصل الأشجار المتكاثفة المظلمة ثم أطلقت على البستان لما فيه من الأشجار المظلمة وهي المراد هنا ثم أطلقت على دار الثواب كان دون صنعاء أي عند صنعاء قوله وقت الصرام بكسر الصاد قطع الثمار وحصاد الزرع ويترك لهم أي للفقراء ما أخطأه المنجل بكسر الميم في الحصاد قوله أو ألقته الريح أو بعد الخ في قطع الثمار.

قوله: (إذ أقسموا) ظرف لبلونا والمراد وقت متسع شامل لوقت القسم ووقت هلاك البستان ولو جعل إذ للتعليل لأسلم من التحمل وضمير «ليصمرنها» [القلم: ١٧] للجنة والمراد ثمارها وزرعها وصيغة الغائب لكونها حكاية عن قسمهم ولو قيل إذ أقسموا ليصمرنها لكان فصيحاً أيضاً وفي مثله يجوز الوجهان مصبحين داخلين الصباح.

قوله: (فبقطعتنا داخلين في الصباح) تفرع على ذلك.

قوله تعالى: وَلَا يَسْتَنْوْنَ ﴿١٨﴾

قوله: (ولا يستنون) إما حال أو عطف على أقسموا والظاهر هو الأول إذ المدلول عن الماضي في المعطوف لا يظهر له وجه.

قوله: (ولا يقولون إن شاء الله وإنما سماء استثناء لما فيه من الإخراج غير أن المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه) لما فيه من الإخراج لأن الاستثناء في الاصطلاح إخراج بعض ما دخل في المستثنى منه ثم أطلق على الإخراج مطلقاً وهو المراد بقوله لما فيه من الإخراج مطلقاً ثم فصل بقوله غير أن المخرج به الخ أي المخرج به ما لم يشأ الله تعالى والمذكور ما شاء الله تعالى وهو أي ما لم يشأ الله خلاف ما شاء الله نظيره الاستثناء بلا سيما فإنه للاستثناء عن الحكم المتقدم ليحكم عليه على وجه أتم من جنس

قوله: غير أن المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه أي غير أن المخرج بأن شاء الله خلاف ما ذكر بعده والمخرج بالاعين ما ذكر بعده كما في قولك اخرج إن شاء الله فإن المخرج في قولك اخرج إن شاء الله هو الخروج الذي لم يتعلق به مشيئة الله تعالى وهذا غير الخروج المذكور بعد كلمة إن شاء الله فإن المذكور بعده هو الخروج الذي يتعلق به المشيئة وهو مفعول المشيئة المحذوف والمقدر والمقدر في حكم المذكور فإن التقدير إن شاء الله خروجي فالخروج المخرج بها غير الخروج المذكور بعده وأما المخرج بإلا فهو نفس المذكور بعده.

الحكم السابق فهو مغاير لسائر اداة الاستثناء وكذا ما نحن فيه وهذا بغاير الاستثناء المنقطع لأنه يكون بإلا وأخواتها والمخرج به قد يكون من أفراد المستثنى لكن المراد بها ما هي غير داخل في المستثنى منه .

قوله: (أو لأن المعنى لأخرج إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد) واحد خبر لأن فيكون الاستثناء حينئذ على مصطلح النحاة معنى إذ إطلاقه على الشرط المذكور لمشابهة معنى الاستثناء الذي هو يكون بإلا وأخواتها وفي الأول المراد بالاستثناء معنى لغوي وهو مطلق الإخراج وهو المناسب هنا لأن القرآن نزل على اللغة العربية دون اصطلاح النحاة فإنه حادث بعد نزول القرآن فلا وجه لتحمل التكلف المذكور .

قوله: (أو لا يستثنون حصّة المساكين كما كان يخرج أبوهم) فهو بمعنى الإخراج الحسي وهذا المعنى غير متعارف لا في اللغة لأنه استفعال من الشئ وهو التكرار والرجوع يقال شئ عنان فرسه إذا منعه عن المضي في الصوب الذي هو متوجه إليه كما في التوضيح ولا في اصطلاح النحاة وهو ظاهر وأيضاً نفى الإخراج الحسي موقوف على بقاء الثمار كما يقتضيه قوله كما كان يخرج أبوهم وأيضاً تفريع فطاف عليها على عدم الإخراج غير ظاهر فيحتاج إلى التأويل بالزميمة على عدم الإخراج وهو تعسف .

قوله تعالى: طَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾

(على الجنة) .

قوله: (بلاء طائف) قدر الموصوف البلاء وهو نار فاحترقت كما روي عن الكلبي أن الله تعالى أرسل نارا فاحترقت فالتعبير بالطواف عن الإرسال للمبالغة في الإحراق والاحاطة بجميع جوانبه كالطواف وهو استعارة مصرحة تيعية غريبة ومعنى طائف أي من شأنه الطواف بقرينة إسناد طاف وقبل الطائف ملك اقتلعها وطاف بها حول الكعبة ثم وضعها بقرب مكة وهي البلدة التي تسمى طائفاً كما في القاموس وغيره كذا قيل فإسناد طائف إلى طائف على حاله لكن عليها لا يلائم هذا المعنى ولذا لم يتعرض له الشيخان .

قوله: (مبتدأ منه) أي من ابتدائية .

قوله: (وهم نائمون) استئناف وجعلها حالاً يحتاج إلى تمحل بأن يقال فطاف عليها طائف حال كون الطائف مقارناً بنومهم والمقارنة كيفية ذي الحال .

قوله: أو لأن عطف على قوله لما فيه وهو تعليل آخر لتسمية كلمة إن شاء الله استثناء يريد لما كان مؤدي لأخرج إن شاء الله بعينه مؤدي لا أخرج إلا أن يشاء الله سميت استثناء وإن لم يكن المخرج عين المذكور وتعدية الفعل بعلى الخ يعني كان الظاهر أن يقال إلى حرثكم لكن عدل عن الظاهر إما لتضمن الغدو معنى الإقبال أي أن اغدوا مقبلين على حرثكم أو لتشبيه الغدو للصرام بقد العدو فعلى هذا أيضاً لا يخلو الغدو عن معنى التضمن إذ ح يتضمن معنى الاستيلاء المتعددي بعلى فعلى الثاني يكون من باب الاستعارة المصرحة التبعية .

قوله تعالى: فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾

قوله: (كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول) صرم ثماره أي قطع ثمراته بحيث لم يبق فيه شيء من الثمار وهذا منتهى من ﴿فطاف﴾ [القلم: ١٩] الخ وهذا لا يلائم ما نقل عن القاموس إلا بتكلف.

قوله: (أو كالليل باحتراقها واسودادها) أي المراد بالصريم الليل فحينئذ وجه الشبه الأسوداد بالاحترق وهذا مراده باحتراقها واسودادها لكنه تسامح لظهور المراد.

قوله: (أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سمي بالصريم لأن كلا منهما ينصرم عن صاحبه) أو كالنهار أي الصريم النهار بابيضاضها وفيه غرابة حيث أثبت لها السواد والبياض لكن بالاعتبارين إن قيل إنها احترقت فصارت كالليل وإن قيل إنها يبست وذهب خضرتها فتصير كالنهار أشار إليه بقوله من فرط اليبس وقد قال أولاً باحتراقها أي احترقت فاسودت سمي أي الليل والنهار بالصريم لأن كلا منهما ينصرم أي ينقطع عن صاحبه فالظاهر أن إطلاق الصريم عليهما حقيقة ويحتمل أن يكون مجازاً بملاقة القطع.

قوله: (أو كالرمال^(١)) لأنها تسمى صريماً أيضاً لكونها منقطعة عن غيرها من الأرض.

قوله تعالى: فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَلَيْسَ لَنَا بِمَدِينَةٍ مَّوَدَّةٌ أَلَيْسَ لَنَا بِمَدِينَةٍ مَّوَدَّةٌ ﴿٢٢﴾

قوله: (أي اخرجوا أو بأن اخرجوا إليه غدوة) أي اخرجوا على أن تفسيرية لأن النداء متضمن للقول أو بأن اخرجوا على أن مصدرية بتقدير الباء الجارة والمعنى فتنادوا مصبحين بإخراجكم لأن معنى الأمر غير مراد فالمراد المصدر وسيجيء التفصيل في أوائل سورة نوح غدوة أي وقت الصباح فاغدوا معناه اخرجوا غدوة بفتح الغين قيل لأنه يقال غدا عليهم إذا غار فشب غدوة لقطع الثمار يغدو الجيش للغارة فيكون استعارة تبعية أو تمثيلية وهذا بناء على أن غدا يتعدى إلى دون على إلا في معنى الغارة وهذا معنى غدا المتعدي بعلی إذ تعدية الفعل بحروف متعددة إنما هي بمعانٍ متعددة في الأغلب آخره لأن فيه تكلفاً وأنت خير بأن فيه مبالغة ولذا قدمه صاحب الكشف.

قوله: (وتعدية الفعل بعلی إما لتضمنته معنى الاقبال أو لتشبيه الغدو وللصرام يغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء) يعني في مطلق القطع فالجيش يقصدون قطع العدو وإهلاكهم فأصحاب الجنة يطلبون قطع الثمار.

قوله: (﴿إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾ [القلم: ٢٢] قاطعين له) إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ أي إِنْ كُنْتُمْ قاصدين الصرام وجوابه محذوف أي فاغدوا يتسارون من السر.

(١) وهذا زائد لكونه موشعاً لمفهوم كل صادق على هؤلاء المذكورات.

قوله تعالى: فَأَطْلِقُوا وَهَرَّ بِتَحَفُّونَ ﴿٢٣﴾

قوله: (بتشاورون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش) بفتح الفاء من خفي بمعنى كتم وكسر الفاء هو المشهور وبين خفت وخفد جناس ناقص وسمي الخفاش خفدوداً لاختفائه بالنهار.

قوله تعالى: أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾

قوله: (أن مفسرة) فالمعنى أي لا يدخلها صرح به هنا ولم يصرح به في أن اغدوا بل أشار إليه وإلى المصدورية للتنبيه على أن كونها مصدرية ليس بمناسب هنا إذ طرحها بناسب التفسيرية دون المصدورية فإن حذفها غير متعارف.

قوله: (وقرئ بطرحها على إضمار القول والمراد ينهي المسكين عن الدخول للمبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقوله لا أرينك ههنا) على إضمار القول أي يقولون حال أو يقولون على أنها عطف والتخافت وإن تضمن قولاً مطلقاً لكن المراد القول المعين فلا خدشة في الحالية والعطف قوله للمبالغة لأنه كناية كقوله لا أرينك هنا كناية مشهورة يستوضح بها سائر الكنايات فإنه كناية عن عدم مجيئه إلى هنا.

قوله تعالى: وَغَدُوا عَلَى حَرٍّ قَدِيمٍ ﴿٢٥﴾

قوله: (وغدوا قادرين على نكد لا غير) نكد معنى حرد بفتح الكاف ومتعلق بقادرين آخر لرعاية الفاصلة مع الحصر ولذا قال لا غير لكن الحصر ادعائي.

قوله: (من حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر وحاردت الإبل إذا تمتعت درها) من حاردت السنة الخ أي مأخوذ منه فإنه أعم من الاشتقاق الدر اللبن.

قوله: (والمعنى أنهم عزموا أن ينكدوا على المساكين فنكد عليهم) يعني أن عزيزتهم

قوله: إن مفسرة لوقوعها بعد معنى القول وهو التخافت فإن الخفت هنا بمعنى كتم القول.

قوله: على إضمار القول فالتقدير قائلين لا يدخلها.

قوله: وغدوا قادرين على نكد لا غير هذا على تقدير أن يكون على حرد ظرفاً لغواً متعلقاً بقادرين قدم عليه لإفادة لمعنى الحصر والتخصيص ولذا قال لا غير وأن يترك حرد مطلقاً عن التعلق بأمر مخصوص كقولهم فلان لا يملك إلا الحرمان والنكد اشتداد العيش يقال نكد عيشهم أي اشتد ونكد الركية قل ماؤها.

قوله: من حاردت السنة قال الراجح الحرد المنع عن حدة وغضب قال تعالى: ﴿وغدوا على حرد﴾ [الفلم: ٢٥] قادرين أي على امتناع من أن يتناولوه قادرين على ذلك ونزل فلان حريداً أي متمتعاً على مخالطته وهو حريد المحل وحاردت السنة تمتعت مطرها والناقة تمتعت درها وحرد غضب وحردة كذا.

ذلك كان سبباً لنكدهم فكما أنهم يمنعونهم عن الانتفاع باليستان على الوجه المذكور يحرمون عن الانتفاع به أيضاً.

قوله: (بحيث لا يقدرون فيها إلا على النكد) وفهم منه أن هذا الحصر حقيقي ادعائي جعل قدرتهم على غير النكد من مقدوراتهم عدماً على الادعاء والنكد شدة العيش وعسره وقيل وفي كلامه إشارة إلى أن الواقع حصولهم على النكد جعل قدرة على التهكم يعني جعل الله حرمان أصحاب الجنة انتفاعاً مكسوباً بقدرتهم تهكماً أي استعارة تهكمية على منوال ﴿فيشرهم يعذاب أليم﴾ [الانشقاق: ٢٤].

قوله: (أو غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع) أي وغدوا للانتفاع واختصاص الانتفاع بهم فلم يحصل لهم غير الحرمان ففي عبارته نوع مسامحة إذ كونهم حاصلين على النكد لا حاصل له سوى ما ذكر من أن المراد حصول الحرمان بدل الانتفاع وعلى هذا القصر إضافي.

قوله: (وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به أي لم يقدروا إلا على خنق بعضهم لبعض كقوله: ﴿يتلاومون﴾ [الفلم: ٣٠]) بمعنى الحرد بفتحين أي الغيظ والغضب كما قال أي لم يقدروا إلا على خنق بعضهم بفتحين الغيظ وشدة فلا تهكم حيثن في إثبات القدرة مرضه لأنه يخالف السوق ولأنه مأل ما بعده وقيل الحرد القصد والسرعة.

قوله: (وقيل الحرد القصد والسرعة قال:

أقبل سبيل جاء من أمر الله بحرد حرد الجنة المفضل

أي وغدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها) قال أي

قوله: أو وغدوا حاصلين على النكد هذا على تقدير أن يكون حرد متعلقاً بغدوا أو يلاحظ تعلق حرد بأمر مخصوص أي على منع من جنتهم مكان الانتفاع منها وإيراد لفظ حاصلين في هذا الوجه لتصور تعلق على بغد والإذهاب إلى أن على حرد ظرف مستقر متعلق بمحذوف ذكره الزمخشري في هذا التقدير أي في تقدير تعلق على حرد بغدوا وجهاً آخر حيث قال أو لما قالوا: ﴿اغدوا على حرككم﴾ [الفلم: ٢٢] وقد ثبت نيتهم عاقبتهم الله بأن حارثت جنتهم وحرموا خيرها فلم يقدروا على حرث وإنما غدوا على حرد قادرين من عكس الكلام للتهكم أي قادرين على ما غرموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين.

قوله: وقيل الحرد بمعنى الحرد بفتحين وهو الغضب فيكون حرد بالسكون مخفف حرد بالتحريك أي لم يقدروا إلا على حنق بعضهم بعضاً الحنق بفتحين والحاء الغير المعجمة الغيظ والغضب وهذا الوجه على تقدير أن يكون على متعلقاً بقادرين كالوجه الأول لكن معنى الحرد فيه غير ما في الأول.

قوله: وقيل الحرد القصد والسرعة فعلى هذا يكون على حرد متعلقاً بمعنى الاستمرار حالاً من واو غدوا أي غدوا إلى جنتهم مسرعين ومتعلق قادرين محذوفاً أي قادرين على صرامها.

الشاعر أقبل سيل من أمر الله بحذف الألف للضرورة لأنه من الرجز يحرد أي يقصد حرد الجنة أي جانبها ويحرد محل الاستشهاد قادرين عند أنفسهم زاعمين قدرتهم على صرامها فلا تهكم أيضاً وإنما قيده به لأن الثمار هالكة لا قدرة لهم على صرامها فيكون قادرين وارداً على زعم المخاطبين قيل وعلى تأويلها فهي حال محققة لا مقدرة كما توهم إن أريد بالقادرين ظاهره فالحق مع للتوهم المحقق وإن أريد به زاعمين قدرتهم فالصواب مع المعارض قوله عند أنفسهم ليس بصريح في الزعم فلا تغفل.

قوله: (وقيل علم للجنة) أي حرد علم للجنة فالمعنى وغدوا قادرين عند أنفسهم على صرامها بتقدير المضاف.

قوله تعالى: ﴿فَلَا زَاوِيَاً لَّآلِئُواْ إِنَّا لَمَّا لُونُ﴾ (٢٦)

قوله: (أول ما وأوها) لدفع المخالفة بينه وبين قولهم: ﴿بل نحن محرومون﴾ [القلم: ٢٧].

قوله: (طريق جنتا) فالضلال بالمعنى اللغوي هذا التقدير بقرينة السياق.

قوله: (وما هي بها) ما نافية أي ليست ما رأينا جنتنا كالبيان لقوله طريق جنتنا والمعطف عطف العلة على المعلول أو موصولة والباء للظرفية عطف على طريق أي لضاؤون ما هي أي جنتنا فيها والأول هو الظاهر.

قوله تعالى: ﴿بَلْ عَنُّ عَنُّوْهُمْ﴾ (٢٧)

قوله: ﴿بل نحن محرومون﴾ [القلم: ٢٧] أي بعد ما تأملوا وعرفوا أنها هي ﴿بل نحن محرومون﴾ [القلم: ٢٧] إضراب عن كونهم ضالين إلى كونهم محرومين وتقديم المسند إليه على الخبر المشتق لتقوية الحكم لا للحصر وإن صح بالإضافة إلى بسايتين غيرهم.

قوله: (حرمتا خيرها) إشارة إلى أن المحرومين بمعنى الماضي.

قوله: (لجنتائنا على أنفسنا) حيث منعنا المساكين عن دخولها فعاقبتنا الله تعالى بمثل فعلنا وهذا القيد مستفاد مما مر.

قوله: وقيل علم للجنة أي قيل لفظ حرد علم لجنتهم تلك وهذا أيضاً على أن يتعلق على حرد بقدوا أي غدوا على جنتهم بمعنى غدوا مقبلين عليها ويحتمل أن يراد بقادرين مقدرين وإليه أشار الزمخشري حيث قال أو مقدرين أن يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان قالوا في بديهة وصولهم وهذا الوجه أيضاً على تقدير أن يتعلق على غدوا ويكون مفعول قادرين محذوفاً وهو أن يتم لهم مرادهم وامتناز بعض هذه الوجوه المذكورة عن بعض حق التمييز إنما يظهر بما شرحناه ويمكن أن يوجد هنا تقاسيم آخر غير الوجوه المذكورة يطول الكلام بذكرها.

قوله تعالى: **فَلَا أَوْسَطُكُمْ أَوْ أَقَلُّ لَكُمْ وَلَا تَسْبَحُونَ** ﴿٢٨﴾

قوله: (وأياً أو سناً) أي الأوسط من الوسط بمعنى الخير كقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ [البقرة: ١٤٣] والثاني ظاهر قدم الأول لأن هذا القول الحسن إنما صدر من الرأي الحسن قوله أو سناً يحتمل كونه لمنع الخلط.

قوله: ﴿ألم أقل لكم﴾ [القلم: ٢٨] إنكار للنفي وإثبات المنفي أي قد قلت لكم ولم تقبلوا فكنتم مصابين وسرى مضررتكم إلي.

قوله: (لولا تذكرون وتتوبون إليه من خيب نيتكم) أي لولا تذكرون نعم الله تعالى عليكم فتتفقدون المساكين تشكراً كإتفاق أبيكم لولا تحضيضه والنسيح بمعنى الذكر والتوبة مجازاً بذكر المفيد وإرادة المطلق ثم المفيد الآخر لكونه أفراداً من المطلق.

قوله: (وقد قاله حيث ما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى ﴿قالوا﴾ [القلم: ٢٩] الآية) إنما دل عليه لأن قولهم: ﴿إنا كنا ظالمين﴾ [القلم: ٢٩] اعتراف بالذنب إظهاراً للتندامة والتندامة ركن أعظم للتوبة ويفهم منه العزم على عدم العود وذكر التسييح لأنه مفتاح التوبة كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿سبحانك تبت إليك﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قوله تعالى: **قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴿٢٩﴾

قوله: (أي لولا تستثنون فسمى الاستثناء تسييحاً لتشاركهما في التعظيم) بيان وجه

قوله: أوسطهم رأياً أي أفضلهم في الرأي من الوساطة وهي الفضلى من جواهر العقد وأوسطهم في السن فيحتلوا بكون من الوسط قال الزمخشري أوسطهم أعدلهم وخيرهم من قولهم وهو من سطة قومه وأعطني من سطات مالك ومنه قوله تعالى: ﴿أمة وسطاً﴾ [البقرة: ١٤٣] قال الراغب وسط الشيء بالتحريك ما له طرفان متساويان القدر ويقال ذلك في الكمية المتصلة كالجسم الواحد إذا قلت وسطه صلب ووسط بالسكون يقال في الكمية المنفصلة كشيء يفصل بين شيئين نحو وسط القوم كذا والوسط بالتحريك ثارة يقال فيما له طرفان مذمومان كالجود الذي بين البخل والسرف فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط فيمدح به نحو السواء والعدل والنصفة نحو ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ [البقرة: ١٤٣] وعلى ذلك قال أوسطهم ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ [القلم: ٢٨] وثارة يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر ويكتفى عن الرذل نحو قولهم فلان وسط من الرجال تنبيهاً على أنه خرج من حد الخير.

قوله: ويدل على هذا المعنى ﴿قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ [القلم: ٢٩] أي يدل على أن المعنى ﴿لولا تسبحون﴾ [القلم: ٢٨] تحريض على التوبة من تلك العزيمة الخبيثة وحث على التصديق على المساكين على عادة أبيهم تداركهم حين لا ينفعهم بقوله سبحانه: ﴿ربنا إنا كنا ظالمين﴾ [القلم: ٢٩] وجه دلالة عليه أن قولهم هذا في جواب ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ [القلم: ٢٨] التزام منهم للتوبة وندم على عزمهم ذلك لأنهم نزحوا ربه عن أن يترك ما يريد ويفعل ما يريدونه واعترفوا بأن عزمهم ذلك ظلم على المساكين وتضرعوا لربهم بقولهم هذا.

الشبه وهو مطلق التعظيم المشترك بينهما فإن التسبيح تعظيم خاص لأنه تنزيه له عن سمات القصد والاستثناء وهو إن شاء الله تعظيم خاص أيضاً وهو اعتراف بأن وجود الشيء إنما هو مشيئته وعدمه بعدم مشيئته.

قوله: (أو لأنه تنزيه عن أن يجري في ملكه ما لا يريده) فيكون تسمية الاستثناء تسبيحاً حقيقة إذ معنى التعليق أنه لا يقع شيء لا يريده كما أن وقوع الشيء إنما هو بمشيئته ويلزمه بعكس النقيض ما ذكر أولاً من أنه ما لم يشأ لم يكن والتنزيه إنما حصل من هذا اللازم دون المنطوق ولذا أخره مع كونه حقيقة.

قوله تعالى: فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَمَذُونَ ﴿٣٠﴾

(يلوم بعضهم بعضاً فإن منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضياً ومنهم من أنكره).

قوله تعالى: قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾

قوله: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ [القلم: ٣١] متجاوزين حدود الله) قالوا يا ويلنا نادوا الهلاك للتحسر وفرط الندامة أي تعال فإن هذا أوانك ﴿إنا كنا طاغين﴾ [القلم: ٣١] من جهة العمل فمن كان حاله كذلك ينبغي له أن يتأدي الهلاك تأسفاً على ما فات لا لكون ظاهره مراداً فلا إشكال بأن تمنى الهلاك ليس بمستحسن قولهم: ﴿إنا كنا طاغين﴾ [القلم: ٣١] تعليل لنداء الهلاك كما أشرنا إليه.

قوله تعالى: عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾

قوله: (ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي أنهم أبدلوا خيراً منها) وفي الكشف وروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بلغني أنهم أخلصوا وعرف الله تعالى منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل الابل عنقوداً.

قوله: (وقرىء يبدلنا بالتخفيف) وهذا من القراءة المتواترة فإنه قد يذكر المتواترة بصيغة المجهول وفي الشواذ يذكر بصيغة المجهول في عموم المواضع قبل ذكر القالي في أماليه للمجرد معاني القصد أو القلة والمنع والغضب والحقد انتهى وقد تعرض المصنف لبعض منها المناسب هنا.

قوله: (راجعون العفو طالبون الخير) وهذا معنى الرغبة إلى الله تعالى لا سيما إذا كانت الرغبة نسبت إليه تعالى بلا تعيين المرغوب فيه.

قوله: (وإلى الانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع) وإلى أي تعديته إما بفي أو عن

قوله: (وإلى الانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع يعني كان الأصل في تعدية رغب كلمة في يقال رغب فيه لكن عدل عن الأصل إلى كلمة إلى لقصد انتهاء الرغبة أو لتضمنين الرغبة معنى الرجوع المتعدي بإلى أي إنا راجعون إلى ربنا راغبين في رضاه والمقصود من إيراد القصة إن الله

ولا يتعدى إلى فلفظ إلى هنا إما لانتهاه الرغبة وهو قريب من التضمن أيضاً كما قيل لكن الانتهاء معنوي أي إنا راغبون راجعين إلى ربنا أو بالعكس.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْمَنَاقِبُ وَلَمَّا نَبُذَ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٣)

(مثل ذلك العذاب الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة العذاب في الدنيا أعظم منه).

قوله: (لاحتروزوا عما يؤذيهم إلى العذاب) أي لو كانوا يعلمون كناية عن الاحتراز الخ أو جوابه المحذوف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ (٣٤)

قوله: (أي في الآخرة) فالمراد العندية المكائنة لا المكاني ففيه استعارة تمثيلية شبه حال الثواب والتنعيم بالجنات وهي اختصاصه به تعالى بحيث لا يقدر عليه غيره تعالى بحال شيء يكون بحضرة ملك لا يد لغيره فاستعمل ما هو الموضوع للمشيء به في المشبه.

قوله: (أو في جوار القدس) وهو أظهر في الاستعارة التمثيلية المراد بها الجوار المعنوي فإضافتها إلى القدس من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة وهي المقامات العالية.

قوله: (جنات ليس فيها إلا التنعيم الخالص) القصر مستفاد من الإضافة اللامية الاختصاصية فإنها عند بعضهم تفيد الحصر في الثبوت وعند البعض تفيد الحصر في الإثبات لا في الثبوت والقصر المصطلح هو الاختصاص في الثبوت فالأولى أنه متفهم من الفحوى.

تعالى قال إن كان ذا مال وبينين إذا تتلى عليه آياتنا قال: ﴿أساطير الأولين﴾ [القلم: ١٥] أي كفر ذلك الحلاف بآيات الله ويجحد الحق جل أن الله تعالى أعطاه المال والبنين واغتر بذلك ولم يعلم أن ذلك استدراج وإيهام من الله تعالى فإذا صرف تلك المكنته إلى الكفر دمر الله عليه كما أن أصحاب الجنة لما أتوا قدراً يسيراً من المعصية دمر الله على جنتهم فإذا كان حالاً من فعل هذا القدر من العصيان ذلك فكيف حال من عائد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وأصر على الكفر والمعصية فكذا أهل مكة لما خرجوا إلى بدر وأرادوا الكيد بمحمد ﷺ وأصحابه وأفسدوا عاقبتهم الله في الدنيا بالقتل والأسر ولما خوف الله تعالى الكفار قال مستأنفاً ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ [القلم: ٣٣] قال بعضهم: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ [القلم: ٣٣] في محل التنصب أي ولعذاب الآخرة أكبر مجهولاً عندهم.

قوله: لاحتروزوا تقدير لجزاء الشرط.

قوله: جنات ليس فيها إلا التنعيم الخالص أي لا يشوبه ما يكدره كما يشوب جنات الدنيا معنى التخصيص والخلوص مستفاد من دلالة المقام التعريضي ومن مجيء هذه الآية عقيب ذكر قصة الجنة المنفضة لعيش أصحابها وعقيب ذكر أحوال قريش واردة فيها بقوله: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ [القلم: ٣٥] ومن إضافة جنات إلى التنعيم فإنه إذا قيل دار السلام ودار الكرامة يفهم منه عرفاً أن ليس فيها ما يتنافى السلامة والكرامة بل فيها السلامة الخالصة والكرامة الصافية لا غير ألا يرى إذا بنيت دار ليخزن فيها أنواع الحبوب من البر والشعير وغيرهما لا يقال لها دار البر وإنما يقال ذلك إذا بنيت للبر فقط.

قوله تعالى: **أَفَنَجْعَلُ الْكَاذِبِينَ كَالصَّادِقِينَ** ﴿٣٥﴾

قوله: (أفنجعل المسلمين كالمجرمين إنكار لقول الكفرة فإنهم كانوا يقولون إن صح أنا نبعت كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون أحسن حالاً منهم كما نحن عليه في الدنيا) أفنجعل المسلمين كالمجرمين والظاهر أفنجعل المجرمين كالمسلمين لكن المراد التشابه وإن المجرمين لما اعتقدوا أن المجرمين كانوا على الحق قبل هكذا إنكاراً للتسوية بينهما في الآخرة لا في الدنيا وقد مر التفصيل في سورة ص.

قوله تعالى: **مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴿٣٦﴾

قوله: (التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له) التفات من الغيبة إلى الخطاب لأن المخاطبين هم المجرمون فيه تعجب من حكمهم من أنهم أحسن حالاً من المسلمين يعني أن الاستفهام وهو ما لكم للتعجب مجازاً قوله واستبعاداً له لازم للتعجب فلا إشكال بأن فيه جمعاً بين المعنيين المجازيين إذ المراد أحدهما والآخر لازم له.

قوله: (وإشعار بأنه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأي) هذا من معونة المقام لأن معنى ما لكم وإن كان أي شيء حصل لكم لكن لا تعيين لخلل الفكر إلا بمعونة المقام.

قوله تعالى: **أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ** ﴿٣٧﴾

قوله: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ [القلم: ٣٧] من السماء) هذا مقابل لما قبله نظراً إلى المآل أي اختل فركم وفسد رأيكم حتى حكمتكم بهذا قياساً بأمر الآخرة على أمر الدنيا أم لكم كتاب رباني نازل من السماء فأتوا بكتابتكم إن كنتم صادقين.

قوله: (تقرؤون) أي على الدوام ولذا لم يجرى الماضي.

قوله تعالى: **إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَذِكْرًا لِمَنْ يُعَذِّبُ** ﴿٣٨﴾

قوله: (إن لكم ما تختارونه وتشتهونه) ومن جعلته نفويض أمر الآخرة إليكم حتى قلتم ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ [فصلت: ٥٠] وفيه صلة تدرسون قدم

قوله: (التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له وأشار بأنه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأي معنى التعجب مستفاد من لفظ كيف ومعنى الإشعار من لفظ ما في ﴿ما لكم﴾ [القلم: ٣٦] أي ما حصل لكم من آفات الإدراك حتى حكمتكم هذا الحكم المستغرب المستبعد وجه إشعاره بذلك المعنى أن الاستفهام بما لكم لا يكون إلا بعد ما كان المستفهم منه حاصلًا فيهم لا على التعيين فيقصد بالاستفهام تعيينه.

أقول: معنى التعجب والإشعار بالمعنى المذكور لا يختص بالالتفات فإن كيف وما يفيد أن هذين المعنيين سواء عبر عن المقصود بصيغة الغيبة والخطاب لأدخل للالتفات في ذلك فإنه إذا قيل: ما لهم كيف تحكمون بطريق الغيبة يحصل ذلك المقصود نعم في التعبير باللفظ الخطاب مزيد توبيخ لهم وتقرع.

عليه لرعاية الفاصلة فحيتئذ الضمير للكتاب ويجوز تعلقه بمتعلق الخبر والضمير لحكمهم فحيثئذ تدرسون استئناف وكونه حالاً ضعيف إذ المقارنة تحتاج إلى التمثل والظاهر هو الأول إذ الثاني يحتاج إلى تقدير المضاف أي في بيان حكمهم.

قوله: (وأصله أن لكم بالفتح لأنه المدروس) أي المفعول فهو واقع موقع المفرد والفتح أصل في موضع المفرد.

قوله: (فلما جيئت باللام كسرت) فيكون مراده ولولا اللام لزم فتح إن فلما دخلت اللام كسرت مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون: ١] وسره أن أفعال القلوب وما في حكمها تكون معلقة بسبب اللام عن العمل وهذا ظاهر في الآية المذكورة وأما فيما نحن فيه فالدراسة لكونه سبباً للعلم بمنزلة أفعال القلوب ولا لم يعمل لم يكن مفعولاً واقعاً موقع المفرد فلا يلزم الفتح.

قوله: (ويجوز أن يكون حكاية للمدرس أو استئنافاً) وهو مكسور لعدم كونه واقعاً موقع المفرد فذات المدروس قبل الدرس مكسور لكونه واقعاً موقع الجمل وبعد كونه مدرسوً أبغى على الكسر لقصد الحكاية فيكون الكسر بعينه لفظ الكتاب من غير احتياج إلى أن الكسر محول من الفتح وضمير فيه للكتاب على الوجه الأول فيكون تأكيداً لما مر وعلى الثاني للحكم المذكور فيكون ما كتب أن الحكم مفوض لكم وكذا الكلام في كونه استئنافاً إذ الضمير للحكم أيضاً ويصح الوقف في تدرسون.

قوله: (وتخير الشيء واختاره أخذ غيره) على أن باب التفعّل للأخذ هذا بحسب الاشتقاق ثم صار شائعاً في أخذ ما يريد وما في النظم معنى الاشتقاق.

قوله: لأنه المدروس يعني أن أصله الفتح لأن له محلاً من الإعراب فإنها مع اسمها وخبرها منصوب المحل على أنه مفعول تدرسون.

قوله: فلما جيئت باللام كسرت كقولك علمت إن في الدار لزيداً بكسر همزة إن فلا يجوز الوقف على ما قبلها لأن الهمزة وإن كانت مكسورة صورة موهمة لاستقلال ما بعدها عما قبلها لكنها في موضع الفتح والكسر لأجل اللام.

قوله: ويجوز أن يكون حكاية للمدرس يعني يجوز أن يكون كسر الهمزة حكاية لما سطر في الكتاب والمسطور أن لكم لما تخبرون بالكسر ثم يحكي ذلك كما هو من غير تغيير قال صاحب التقریب فيه نظر إذ لفظ فيه لا يساعده وجه النظر أنه لا يجوز أن يكون لفظ فيه من ألفاظ المحكي إذ لا معنى له فيه لأن ضمير فيه راجع إلى الكتاب.

أقول: لم لا يجوز أن يكون لفظ فيه من الألفاظ المحكية ويصح المعنى بأن يكون الضمير في فيه راجع إلى يوم البعث ويفرض جريان ذكر يوم البعث في الكتاب المستفهم منه المفروض ويحكي هذا الكلام من بين ألفاظه.

قوله: أو استئنافاً فعلى هذا يجوز الوقف على ما قبلها.

قوله تعالى: **أَمْ لَكُمْ أَيْسَرُ عَلَيْنَا بَلْعَةُ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ إِذْ لَكُمْ لَمَّا فَخَكُّوْنَ** ﴿٣٩﴾

قوله: (عهود مؤكدة بالإيمان) ولما كان الإيمان دالة على اليهود بمعونة المقام أشار المصنف إلى أن المراد بالإيمان عهود الخ مجازاً بذكر الجزء القوي وإرادة الكل لا يذكر اللازم وإرادة الملزوم فإنه لا لزوم بينهما.

قوله: (متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الطرفين) متناهية في التوكيد أي تأكيداً لا فوفه تأكيد وهذا معنى متناهية في التوكيد وهو معنى بالغة فإن معناه بالغة أقصى ما يمكن فحذف منه لدلالة البلوغ عليه مع الاختصار والمراد بأحد الطرفين لكم أو علينا وهو الظاهر لقربه والعامل في الحقيقة متعلق الظرف فهو حال من الضمير المستتر في الظرف المتغفل من عامله.

قوله: (متعلق بالمقدر في لكم أي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا نخرج عن عهده حتى نحكمكم في ذلك اليوم) أي ثابتة لكم علينا الخ وثابتة أيضاً في يوم القيامة بناء على أن الغاية داخلية في حكم المغيأ قوله لا نخرج الخ إشارة إلى ما ذكرناه قوله حتى نحكمكم حتى نجعلكم حاكماً في ذلك اليوم فنخرج عن عهده.

قوله: (أو متعلق ببالغة أي إيمان تبلغ ذلك اليوم) أي واصلته إليه فح فوت المبالغة المذكورة.

قوله: (جواب القسم لأن معنى أم لكم إيمان علينا أم أقسمنا لكم) لأنه بمعنى العهد المؤكدة بالإيمان فباشتمالها الإيمان يجاب بما يجاب به القسم المحض.

قوله: والعامل فيها أحد الطرفين فالتقدير أم حصل لكم علينا إيمان بالغة أو أم لكم إيمان كائنة علينا بالغة.

قوله: حتى نحكمكم أي حتى نجعلكم حاكماً فيه من حكمته في ما لي إذا جعلت إليه الحكم فيه.

قوله: أي إيمان تبلغ ذلك اليوم فلفظ إلى تضمين البلوغ معنى الانتهاء قال صاحب الكشف إلى يوم القيامة متعلق بالمقدر في الظرف أي هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا يخرج عن عهدها إلا يومئذ إذا حكمناكم وأعطيناكم ما تحكمون ويجوز أن يتعلق ببالغة على أنها تبلغ ذلك اليوم وينتهي إليه وافرة لم تبطل منها يمين إلى أن حصل المقسم عليه من التحكيم قال الطيبي فإن قلت لم قال في الوجه الأول لا يخرج عن عهدها إلا يومئذ وفي الثاني وافرة لم تبطل منها يمين قلت لأنه إذا علق إلى يوم القيامة بالفقد لكم يدخل الأجل في حكم الوجوب المستفاد من نفس الخير ومتعلقة أعني لكم أصالة وإذا علق ببالغة وهي صفة للإيمان يكون الكلام أصالة في الإيمان وبلوغها إلى ذلك اليوم وأن تكون محفوظة من النقصان مودة وافرة تامة ألا يرى كيف أهمل معنى بالغة في الأول واعتبره في الثاني فقوله إذا حكمناكم شرط جزاءه ما دل عليه لا يخرج عن عهدها إلا يومئذ تلخيص المعنى أم لكم إيمان علينا ثابتة أن نحكمكم بأن تسووا بين المسلمين والمجرمين ولا نخرج عن عهدها إلا إذا حكمناكم يوم القيامة أو إيمان وافرة فلا تؤذيها كاملة إلا إذا حكمناكم يوم القيامة.

قوله تعالى: سَلَّمَهُ أَيُّهُمْ لِلَّهِ زَعِيمٌ ﴿١٥﴾

قوله: (بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه) قائم يدعيه الخ معنى زعيم لأنه بمعنى كفيل مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢] أي كفيل لكن المراد هنا الرئيس الذي يتكلم في أمور قومه ولذا قال قائم يدعيه إذ الكفاية تستلزم دعوى أداء ما يلزم المكفول عنه وتصحيحه قوله ويصححه إشارة إلى أن المراد تصحيح تلك الدعوى لا الدعوى نفسها إذ الدعوى صادرة عنهم بأسرها فلا سؤال عنها بل السؤال عن تصحيحها ولهذا عبر بالزعيم.

قوله تعالى: أَمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿١٦﴾

(يشاركونهم في هذا القول).

قوله: (في دعواهم) وبطلان هذا الدعوى يديهي ومقطوع الانتفاء والتعبير بكلمة الشك بناء على اعتقاد المخاطب.

قوله: (إذ لا أقل من التقليد) أي لمن شاركهم في قول مثل ما قالوه لكن ليس لهم شركاء في هذا القول حتى يقلدوهم فلا تقليد أيضاً بل هو كذب محض يخترعونه من تلقاء أنفسهم فقوله إذ لا أقل من التقليد أي إذ لا بد منه لتعليل للأمر بإتيان شركائهم.

قوله: (وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن أن يتشبثوا به من عقل) المشار إليه بقوله: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٦].

قوله: (أو نقل يدل عليه) الدال عليه قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ [القلم: ٣٧] الآية.

قوله: (لاستحقاق أو وعد أو محض تقليد على الترتيب تنبيهاً على مراتب النظر) لاستحقاق متعلق لقوله يتشبثونه قوله أو وعد المفهوم من قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ إِيْمَانٌ﴾ [القلم: ٣٩] الآية لكن الأولى أو عهد مؤكدة كما صرح به أنفأ أو محض تقليد المستفاد من قوله: ﴿أَمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ﴾ [القلم: ٤١] الآية عطف على نقل أو على عقل ولو أخر قوله لاستحقاق أو وعد عن هذا لأسلم من التعقيد قوله تنبيهاً على مراتب النظر عد التقليد من مراتب النظر لاعتقاد صحة دليل من قلده قدم العقل لأنه الأصل المرجع ولم يتعرض

قوله: تنبيهاً على مراتب النظر ابتدء من الأعلى وهو العقل مترتباً في مراتب النزول فالإنزال إلى التقليد الصرف فعلى ما ذكر رحمه الله لا يحسن أن يجعل عامل ﴿يوم يكشف﴾ [القلم: ٤٢] فليأتوا بل العامل حينئذ يكون أذكر أو كان كيت وكيت أما نفي متشبثهم من جهة العقل فمستفاد من ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٦] فإنه يدل على أن حكمهم ذلك ناشئ من اختلال عقولهم ونفي النقل من أم لكم كتاب ونفي الوعد من أم لكم إيمان والتقليد من أم لهم شركاء أي أم لهم ناشئ من يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه فليأتوهم إن كانوا صادقين في دعويتهم ذلك يعني أن أحداً لا يسلم لهم هذا القول ولا يساعدهم عليه كما أنهم لا كتاب لهم ينطق به أو لا عهد لهم به عند الله ولا زعيم يقوم به ولا أحد يوافقهم فيه حتى يقلدوه.

لإبطال قياسهم حال الآخرة على حال الدنيا مع أنه متمسكهم قال في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ رَجَعْتَ إِلَى رَبِّي إِنْ لَمْ يَرْحَمْهُ لِحُسْنِهِ﴾ [فصلت: ٥٠] وذلك لاعتقادهم أن ما أصابه من نعم الدنيا فلاستحقاقه لا ينفك عنه لأنه داخل في الدليل العقلي وقد أشير إلى رده في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: ٢٦] الآية.

قوله: (وتزيفاً لما لا سند له) أي إبطالاً وهو مشهور لتمييز الراجح من الزيف المغشوش واستعير للإبطال وشاع فيه حتى صار ملحقاً بالحقيقة قوله لما لا سند له من الدليل العقلي والتقليدي من يصح تقليده وهذا شائع في مثل هذا المقام ولا وجه لأن يراد به سند المنع هنا وقد ذكر في نفي ما يمكن أن يشبثوا به العقل والنقل والتقليد وهو صريح في كون المراد بالسند ما ذكر.

قوله: (وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كأنه لما نفى أن يكون النسوة من الله نفى بهذا أن يكون مما يشركون الله به) وقيل أي المراد بالشركاء معبوداتهم الباطلة التي يزعمون أنها شركاء في الألوهية قوله لما نفى أن يكون النسوة به على أن قوله: أم نجعل المسلمين الخ نفى التشابه لا يقصد به التشبيه فلا إشكال بأن الظاهر أفنجعل المجرمين كالمسلمين كما أشرنا إليه هناك.



قوله تعالى: يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُورِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

قوله: (يوم يكشف) أي اذكر الحادث يوم كذا أو متعلق بقوله خاشعة وتعلقه بقوله فليأتوا ضعيف.

قوله: (يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك وأصله تسمير المخدرات عن سوقهن في الهرب) وكشف الساق مثل في ذلك أي في شدة الأمر وصعوبته

قوله: وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة أقول هذا التفسير لا يساعده سبب النزول فإن سبب نزول الآية أنهم ادعوا الأفضلية في الآخرة على تقدير تسليمهم وقوع البعث لا المماثلة اللهم إلا أن يكون دعوهم أنهم يكونون مثل المؤمنين في الدار الآخرة على ذلك التقدير يدل عليه حرف الإنكار والتشبيه في قوله عز وجل: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥] فإنه ناطق بنفي المماثلة لا بنفي الأفضلية أو يكون المراد من قوله عز وجل: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥] نفى الأفضلية بطريق برهاني فكأنه قبل لا نجعلهم مثلهن فضلاً عن الأفضلية.

قوله: وكشف الساق مثل في ذلك في اشتداد الأمر وصعوبة الخطب قال الزمخشري فمعنى ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ [القلم: ٤٢] في معنى يوم يشتد الأمر ويتفاقم ولا كشف ولا ساق يعني هو من الكناية الإيمانية التي يؤخذ منها الزبدة والخلاصة من المجموع ولا ينظر إلى مفردات التركيب حقيقة ومجازاً كما مر في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

أي استعارة تمثيلية شبه الهيئة المنتزعة من أمور عديدة وهي يوم القيامة وشدة أمر الإنسان وشدة السؤال وطول الحبس في المحشر والمناقشة في الحساب وظهور علامة العذاب بالهيئة المأخوذة من أشياء كثيرة وهي المخدرات وظهور الأمر الشديد لها وكشف الساق للهرب عنها فذكر اللفظ المستعمل في المشبه به وأريد المشبه ويحتمل أن يكون استعارة تمثيلية وتبعية وكناية لكن الفضل للمتقدم فلا تغفل وإنما فرض المخدرات الهاربة من الأعداء لأنها لا تكشف ساقها إلا لحاجة تجعلها مضطرة لكشف ساقها كأنها ذهلت عن نفسها وخرج ذمام الاختيار عن أيديها وأما سائر النساء أو المخدرات في الغير الأمر الصعب فلا كشف لساقها والساق فوق القدم وكشفها حرام لها وعدي الكشف يعن لأن فيه معنى البعد والمجازاة فقله عن الساق نائب الفاعل.

قوله: (قال حاتم:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا)
قال حاتم أي الطائي أخو الحرب كناية عن ملازمة الحرب مثل ملازمة الأخ لأخيه إن عضت به الحرب أي اشتدت وكثر الطعن والقتال عضها أي صبر لها وعبر عنه بالعض مشاكلة لعضت وهو كناية عن كمال الاشتداد والمقصود من إيراد الشعر للاستشهاد على أن الكشف عن الساق والتشهير عنها جرى مجرى المثل حيث استعمل فيما لا يتصور فيه ساق وحاصل المعنى أنه لا يبالي باشتداد الحرب كلما زادت شدة بكثرة الجرح زاد شجاعة كما في الحاشية السعدية.

قوله: (أو يوم يكشف عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عياناً مستعار من ساق الشجر وساق الإنسان) فالكشف بمعنى الإظهار والساق بمعنى الأصل أشار إليه بقوله مستعار من ساق الشجر الخ وجه الشبه الأصل مطلقاً وفي المشبه به معنى الأصل بالمعنى الثابت عليه قرر عليها في الشجر والقيام عليها في ساق الإنسان والأصل بالمعنى اللغوي موجود فيهما وفي المشبه معنى الأصل حقيقة الأمر وما هو في نفس الأمر فهو أصل يبتني عليه الحساب والميزان والصراط والوعد والوعيد فالساعة أصل بالمعنى اللغوي أيضاً فيكون الساق استعارة مصرحة أخرى لأن في الأول بيان شدة يوم القيامة وإن المعنى الثاني منهم منه.

قوله: (وتنكيره للتحويل أو التعظيم) أي على الوجهين فإن الأول وإن كان تمثيلاً لا نظر فيه للمفردات لكن قبل اعتبار التمثيل ينظر إليها مثل كونها حقيقة أو مجازاً وكذا تنكيره وتعريفه ولفظه أو لمنع الخلو إذ التحويل ناش من التعظيم والقول بأن التحويل على الأول والتعظيم على الثاني ليس في موقعه.

قوله: أخو الحرب أي هو أخو الحرب وإنما سمي به لمباشرته الحرب كثيراً يقول هو مباشر للحرب يفعل من الحرب ما يباشره في الشدة والصعوبة ولا يتركها بحال.

قوله: (وقرىء وتكشف بالناء على بناء الفاعل والمفعول والفعل للساعة أو للحال) قيل جعل الفعل للساعة أو الحال على تقدير البناء للفاعل فيكون تمثيلاً لكمال الشدة كما مر لا المفعول إذ ليس معناه تكشف الساعة عن ساق والكشف والساق عبارة عن الشدة أراد أنك إذا قلت كشف الله الساعة عن ساقها لم يستقم لاستدعائه إبداء الساق وإذهاب الساعة كما تقول كشفت عن وجهها القناع فالساعة ليست بمستتر على الساق انتهى وهذا الإشكال إنما يرد إن كان المراد ظاهره والكلام على التمثيل كما في القراءة بالياء والظاهر أن هذا الإشكال يرد أيضاً على الأول نظراً إلى الظاهر ويندفع بالحمل على الاستعارة التمثيلية فكذا هنا ألا يرى ما وقع في البيت من إضافة الساق إلى ما يتصور فيه الساق وكذا التشمير غير متصور فلا وجه للجواب عن هذا الإشكال بأن الساعة جعلت سترأ مبالغة فإن المخدرة تبالغ في الستر جهداً فكأنها نفس الستر وأيضاً قيل الإذهاب ادعائي وهذا أشد تعسفاً فالمعنى على القراءة للمفعول كما مر في القراءة بالياء على البناء للمفعول وأرياب الحواشي تصدوا لهذا الإشكال والجواب ولم يظهر لنا وجهه على نهج الصواب مع اتفاقهم على أنه لا نظر للمفردات في التمثيلات المتداولة لذي أولي الألياب .

قوله: (توبيخاً على تركهم السجود إن كان اليوم يوم القيامة) على تركهم السجود الناسى عن عدم الإيمان وفيه دليل على أن الكفار مكلفون بالفروع إن كان اليوم يوم القيامة إذ التقدير ويوم يدعون لأنه معطوف على يكشف ولا تكليف فيه فالمراد من الدعوة التوبيخ على ما فرطوا بهذه القرينة .

قوله: (أو يدعون إلى الصلاة لأوقاتها إن كان وقت النز) أي المراد بالسجود الصلاة مجازاً قوله لأوقاتها متعلق بالصلاة واللام بمعنى في أي في وقتها لأن وقتها باقي بعد ولهذا حمل السجود على الصلاة هنا دون الأول ولو حمل على السجود هنا والصلاة هناك لم يبعد لحصول التوبيخ بهما قوله إن كان وقت النز وحمل الحال فيما مر على حال النز لهذه القرينة والمراد به التنذير أيضاً .

قوله: (للذهاب وقته أو زوال القدرة عليه) لذهاب وقته وهو وقت التكليف ومن جملة استطاعتهم بقاء الوقت وإن كان أصل القدرة موجوداً ولذا لم ينف القدرة كما نفى في الوجه الثاني فالاستطاعة هي القدرة التي بها الفعل فهي أخص من القدرة مطلقاً ولا يلزم من انتفاء الأخص انتفاء الأعم الفاء في ﴿فلا يستطيعون﴾ [القلم: ٤٢] للترتيب في الذكر .

قوله: توبيخاً لتركهم السجود ولما أوهم الدعوة إلى السجود معنى التكليف به ولا تكليف ثمة رد ذلك الوهم بقوله توبيخاً يعني لا يدعون إليه تعبداً وتكليفاً ولكن يدعون إليه توبيخاً وتعنيفاً على تركهم السجود مع بيس أصلابهم وتفرق مفاصل عظامهم وعجزهم عنه تحسيراً لهم وتنديماً على ما فرطوا حين دعوا إلى السجود وهم سالمون الأصلاب المفاصل ممكتون مزاحو العلل فيما كلفوا به .

قوله تعالى: خَلِقْنَاهُ أَصْرَهُمْ رَفَعْنَاهُمْ إِلَهُ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى الشُّجُورِ وَمَنْ سَكُنُوا

قوله: (خاشعة أبصارهم) إسناد الخشوع إلى الأبصار مجاز لظهور آثار الخشوع فيها.
قوله: (تلتحقهم ذلة) معنى ترهقهم تنكير ذلة للتعظيم.

قوله: ﴿وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾ [القلم: ٤٣] في الدنيا أو في زمان الصحة وقد كانوا يدعون حال من فاعل فلا يستطيعون في الدنيا ناظر إلى كون المراد باليوم يوم القيامة قوله أو في زمان الصحة إن كان المراد به حالة النزاع.
قوله: (تمتكنون منه) معنى سالمون بمعنى القدرة عليه وبقاء وقته.

قوله: (مزاحو العلل فيه) أي مرفوعة العلل عنهم قوله فيه أي في الدنيا هكذا في النسخ لكن الأولى فيها قوله لأنهم مكلفون فيها بلسان الشرع فلا عذر لهم في الترك والدعوة إلى السجود أي الصلاة بالأذان أو غيره.

قوله تعالى: قَدَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ يَكْذِبْ كَذِبًا كَلِيدًا مَسْتَدِرًّا هُمْ فَيَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ

قوله: (كله إلي فإني أكفيكه) كله أمر من وكل يكل بوزن عد أي اتركه وأمره إلي فإني كاف له.

قوله: (سندنيهم من العذاب درجة درجة بالإمهال وإدامة الصحة وازدياد النعمة) أي درجة بعد درجة بالإمهال الخ مع اصرارهم على الكفر والطغيان فيظنون أنه لطف لهم منه تعالى ويحسبون أنهم أحسن حالاً فيزدادون كفرًا وعتوًا حتى يأتيهم أمر الله تعالى صباحاً ومساءً وأصل الاستدراج الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة ثم نقل إلى ما ذكر قوله درجة بعد درجة إذ الاستفعال يدل على التدرج.

قوله: (أنه استدراج وهو الإنعام عليهم لأنهم حسبوه تفضيلاً لهم على المؤمنين) أنه استدراج مفعول مقدر وعدم علمه لاختلال نظره وفساد عقله وإلا فتوافر النعم مع الإصرار على المعصية كونه استدراجاً يعرفه من له أدنى دراية.

قوله: سندنيهم من العذاب أي ستقريهم إلى العذاب من الإدناء وهو التقريب يقال استدراج إلى كذا إذا استنزله إليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العصاة أن يبرقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة إلى ازدياد الكفر والمعاصي.

قوله: وهو الإنعام عليهم أي لا يعلمون أن ذلك الإمهال وإدامة الصحة وازدياد النعمة استدراج حال كونه إنعاماً عليهم فهو جملة وقعت حالاً من واو يعلمون أي لا يعلمون أنه استدراج متعمداً عليهم به أو من مفعوله أي لا يعلمونه استدراجاً حال كونه نعمة فوجدت فيما نظر إليه من النسخ وهو الإنعام عليه بإفراد التضمير المجرور ولعله سهو من قلم الناسخ والأصل عليهم ولعل إفراده بالنظر إلى لفظ من لكنه لا يوافق ما في الآية من جمع الضمائر قال صاحب الكشف والصحة والرزق والمد في العمر إحسان من الله وإفضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سبباً في الكفر باختبارهم فلما تدرجوا به إلى الهلاك وصف المتعم بالاستدراج.

قوله تعالى: وَأَتْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي سَتِيرٌ ﴿٤٥﴾

(وامهلهم)

قوله: (لا يدفع بشيء وإنما سمي إنعامه استدراجاً بالكيد لأنه في صورته) أي في صورة الكيد حيث أوهم ما أعطي الإتمام مع أنه أشد الانتقام فيكون استعارة تشبيهاً بالصورة للصورة.

قوله تعالى: أَمْ تَتْلُوهُمْ أُخْراً فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّتَقَلِّونَ ﴿٤٦﴾

(على الإرشاد من غرامة بحملها فيعرضون عنك).

قوله تعالى: أَمْ يَتْلُوهُمْ أَغْلِبٌ فَهَمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾

قوله: (اللوح أو المغيبات) أي اللوح المحفوظ اطلق الغيب عليه مجازاً لأنه محل المغيبات فذكر الحال وأريد المحل لكن لا حاجة إليه لإمكان إرادة الحقيقة ولذا قال أو المغيبات كأنه روجه لقوله تعالى: ﴿فهم يكتُمُونَ﴾ [القلم: ٤٧] إذ الكتابة تناسب اللوح وفيه نظر.

قوله: (منه ما يحكمون به أو يستغنون به عن علمك) ما يحكمون به وهو المكتوب بمعونة المقام قوله ويستغنون به الخ لازم.

قوله تعالى: فَأَسْرِ بِأَخِيكَ زَيْدَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْاُخْتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْشُومٌ ﴿٤٨﴾

قوله: (وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم) وهو إمهالهم بالقضاء الأزلي وكذا تأخير نصرتك عليهم لكونه قدراً مقدوراً.

قوله: (يونس) عليه السلام حيث التقمه الحوت ولذا سمي بصاحب الحوت فإنه لم يصبر حين وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى إلى آخر ما ذكره في أواخر والصفات (في بطن الحوت).

قوله: (مملوء غيظاً في الشجرة فتبتلى ببلائه) في الشجرة متعلق بلا تكن وبيان وجه الشبه المنهي عنه قوله فتبتلى ببلائه أي بمثل بلائه جواب النهي أي لا يكن منك شبه لصاحب الحوت ولا ابتلاء بمثل بلائه نهى عن السبب والمسبب جميعاً بمقتضى القاعدة للمبالغة.

قوله تعالى: قُلْ لَا أَن تَذَكَّرُمْ يَمَةً مِّنْ رَبِّيَ لَنُذِ بِالْعَرَّةِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾

قوله: (يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل) وهو تداركه ولم يجرى تداركته ولا حاجة إلى هذا الاعتذار لأن الفعل مسند إلى الظاهر وأنه مؤنث غير حقيقي وفي مثله جاز الأمر إن وجد الفصل أولاً.

قوله: لأنه في صورته أي لأن إنعامه استدراجاً في صورة الكيد حيث كان سبباً مورطاً للهلاك.

قوله: وحسن تذكير الفعل للفصل وهو ضمير المفعول.

قوله: (وقرىء تداركته) بالتأنيث وتداركه بفتح التاء وتشديد الدال على أنه فعل مضارع كما قاله أي تداركه فأبدل التاء بالدال وأدغم.

قوله: (وتداركه أي تداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا إن كان يقال فيه تداركه) إنما أوله بما ذكر إذ إرادة الحال مع وجود إن الدالة على الاستقبال مشكل فكيف يقال إن صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية فأوله ليتمكن أن يكون حالاً ثم يحكي إذ حكاية الحال أن يقدر إن القصة الماضية عبر عنها حال وقوعها بالمضارع الدال على الحال كما هو حقها ثم حكى بعد الماضي وهذا أولى مما قيل وإنما أوله لأن لولا تقتضي امتناع الثاني لتحقيق الأول ودخول إن الاستقبالية فيه تنافي تحققه ولذا قدر دخولها على الماضي لما عرفت معنى حكاية الحال الماضية وجه الأولوية إن هذا يقتضي امتناع دخول لولا على إن المصدرية والمضارع مطلقاً بدون تأويل ولا تعلق له بحكاية الحال الماضية مع أن الكلام فيه وإن أمكن الجواب بأنه إذا امتنع دخول لولا على أن مع الفعل مطلقاً بدون تأويل بأن عدم كونه حكاية الحال الماضية وإنما قال كان يقال دون قيل للإشارة إلى أن هذا القول يجوز أن يكون تقديرية ولا يلزم أن يكون ذلك القول تحقيقياً.

قوله: (بالأرض الخالية عن الأشجار) لثلا بقي نفسه بالأشجار عن حر الشمس وعن هذا قال وهو مذموم.

قوله: (مليم مطرود عن الرحمة والكرامة) مليم أي داخل في الملامة أو آت بما يلام عليه.

قوله: (وهو حال معتمد عليها الجواب لأنها المنفية دون النفي) أي المراد من الجواب قيده لأنه محط الفائدة لأنها أي الحال المنفية فمقتضى لولا وهو انتفاء جوابه متحقق باعتبار قيده دون مقبده إذ النفي قد وجد كقوله تعالى: ﴿فنبذناه بالعراء وهو سقيم﴾ (الصافات: ١٤٥) والمنفي المذمومة.

قوله تعالى: ﴿فَاجْلِبْهُ رَبُّهُ لِمَجْلَمٍ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

قوله: (بأن رد إليه الوحي أو استنبأه إن صح أنه لم يكن نبياً قبل هذه الواقعة)

قوله: بمعنى لولا أن كان يقال فيه تداركه أي لولا كان يرجى حينئذ في حق يونس تداركه بالثبوت وهذه القراءة رواها أبو حاتم عن الأعرج لا غير قال وسئل عنها أبو عمرو فقال لا قال أبو خاتم لا يجوز ذلك لأنه فعل ماض وليست فيها إلا تاء واحدة ولا يجوز تداركه قال ابن جني هذا خطأ وذلك أنه يجوز على حكاية الحال الماضية المنقضية أي لولا أن كان يقال فيه تداركه كما تقول كان زيد سيقوم أي كان متوقفاً منه القيام فكذلك هذا أي لولا إن كان يقال فيه تداركه نعمة من ربه ﴿لنبيذ بالعراء﴾ (القلم: ٤٩) وهو مفيد بقوله: ﴿وهو مذموم﴾ (القلم: ٤٩) والمقصود الأولى منه الحال ولولا لم يكن لقوله: ﴿لنبيذ بالعراء﴾ (القلم: ٤٩) فائدة إلى هنا كلامه.

قوله: وهو حال يعتمد عليه الجواب أي قوله تعالى: ﴿وهو مذموم﴾ (القلم: ٤٩) جملة حالية يعتمد عليه جواب لولا وهو لنبيذ لأن لولا لانتفاء الثاني لوجود الأول والثاني هنا وهو لنبيذ ليس يعتمد لوقوع النبيذ بالعراء وإنما المنفي النبيذ على وجه الدم ولولا أخذ الجواب مفيداً

وهذا لا يقتضي زوال الوحي فإن معناه بأنه أوحى إليه كما كان قبل الإباقة أو استنبأه أي بأن جعله نبياً على أن بناء استفعل للتعدي إن صح إشارة إلى ضعفه لأن قوله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين إذا أبق﴾ [المرسلات: ١٣٩، ١٤٠] الآية يدل على نبوته قبل الإباقة.

قوله: (من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل ما تركه أولى) أي المراد الفرد الكامل لكونهم نبيين معصومين ويونس عليه السلام من جملتهم فهذا أبلغ من قوله فجعله صالحاً.

قوله: (وفيه دليل على خلق الأفعال) أي دليل على أن فعل العبد بخلق الله تعالى لا بخلق العبد كما زعمه المعتزلة لأن جعله صالحاً بخلق صلاحه وكذا خلق صلاح سائر الأنبياء فيهم ولا قائل بالفرق والتصوص تحمّل على ظواهرها حسبما أمكن فتأويله بأن يحمل على المجاز خلاف الظاهر.

قوله: (والآية نزلت حين هم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يدعو على ثقيف) لما آذوه حين عرض نفسه على القبائل بمكة.

قوله: (وقيل بأحد حين حل به ما حل فأراد أن يدعو على المنهزمين) فحينئذ تكون الآية مدنية مرضه إذ الآية مكية على ما اختاره المصنف وأيضاً الرواية المشهورة الدعاء لهم حيث دعا اللهم اهد قومي وفي رواية اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

قوله تعالى: **وَإِنْ يَكَذِّبُنَّ السَّيِّئِينَ لَنُكَفِّرَنَّهُمْ وَلَنُنصِّرَنَّ لِمَنَاصِحُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمُنْجُونَ ﴿٥١﴾**

قوله: (إن هي المخففة واللام دليلها) لأنها لا تدخل بعد النافية ولذا سمي اللام الفارقة واللام الفاصلة.

قوله: (والمعنى أنهم لشدة عداوتهم ينظرون إليك شرراً) بكسر الشين المعجمة وسكون الراء المهملة بعدها زاء معجمة نظر الغضببان بمؤخر عينه.

بعضمون الحال لم يكن في جواب لولا نفي فيخرج عن أصله فيالتقيد بالحال صلح استعمال لولا فيه فحاصل المعنى لولا نعمة التوفيق من ربه للتوبة لكان حاله على الذم.

قوله: من الكاملين في الصلاح معنى الكمال في الصلاح من جعل الصالح صالحاً فإنه من حيث الظاهر إثبات الثابت ولا معنى له فهو مجاز في إكمال الصلاح وكذا يفيد لفظ من الصالحين فإن قولك زيد من الصالحين أبلغ في وصف زيد بالصلاح من زيد صالح.

قوله: وفيه دليل على خلق الأفعال وجه الدلالة أن معنى جعله من الصالحين خلق فعل الصلاح فيه فإن متعلق الجعل ليس ذات يونس فإنه موجود بل فعل الصلاح فيه كأنه قيل فجعل فيه فعل الصلاح ولم يخلق فعل ما تركه أولى فالآية حجة على المعتزلة.

قوله: ينظرون إليك شرراً الشرز نظر الغضببان بمؤخر العين يقال نظر إلى شرراً بمؤخر العين ويقال في نظره شرز بفتحيتين.

قوله: (بحيث يكادون يزولون قدمك ويرمونك من قولهم نظر إلي نظراً أيكاد يصرعني أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله) هذا أمر مستحيل عقلاً وعادة بقرينه الصحة لفظ يكاد كقوله تعالى: ﴿يكاد زيتنها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ [التور: ٣٥] الآية فإن كاد من أفعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد إما لفقد شرط أو لعروض مانع وهنا لم يوجد لفقد شرطه مع عروض سببه وهو النظر المذكور بفرض إمكان سببته كما نبه عليه بقوله أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله وهنا يقال إنه لو أمكن بالنظر إزلاق القدم وزلله لفعله وفيه بيان كمال شدة عداوتهم وهو من أطف المعاني وأقصها .

قوله: (أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين) فيكون ليزلفونك بأبصارهم كناية عن الإهلاك أو مجازاً عنه .

قوله: (عيانون) أي كثيرون في الإصابة بالعين يقال عانه يعينه إذا نظر فائر نظره فيه بنحو ضرر .

قوله: (إذ روي أنه كان في بني أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي الكشف فقال الرجل العاين لم أر كاليوم رجلاً فعصمه الله تعالى فعلم أن الإرادة مع الفعل .

قوله: (فنزلت) وعن الحسن رحمه الله تعالى دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية كذا في الكشف أي إن قراءة هذه الآية تدفع بإذن الله تعالى إصابة العين وضررها وهذا مراد الحسن رحمه الله تعالى رحمة واسعة وإن أمكن أن يراد ظاهره وهو أن يكون دواء وشفاء بعد إصابة العين .

قوله: (وفي الحديث أن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر) حديث صحيح ذكره الإمام السيوطي في الجامع الصغير أن العين أي إصابة العين لتدخل الرجل أي يكون سبباً لذلك بخلق الله تعالى وهذا ظاهر وأما إدخاله الجمل في القدر فبناء على الفرض .

قوله: (ولعله يكون من خصائص بعض النفوس) هذا بخلق الله تعالى تلك الخصلة في بعض النفوس وكون تلك الخصلة سبباً للتأثير بخلق الله تعالى أيضاً ولا ينكر السبب العادي فهذا عين مذهب أهل السنة ونقل عن كتاب الروح أنه قال تأثير النفس لا تنكر لا سيما عند تجردها عن علائق البدن فمن نظر إلى حجر عظيم فشقه وإلى نعمة فأزالها وهو مما يشاهد على اختلاف الأعصار ويضيفونه إلى العين باعتبار أن النفس تؤثر بواسطتها غالباً وقد لا يكون بواسطتها كان بوصف له شيء فتوجه له نفسه فتفسد^(١) انتهى فقول المص من خصائص بعض النفوس دون بعض العيون إشارة إلى ما ذكر فمعنى الحديث المذكور أن

(١) وقال قاضي عياض يجنب من عرف بذلك وينبغي للإمام حبه ومنعه عن مخالطة الناس كفاً لضرره فيرزقه من بيت المال كذا قيل وينبغي للإمام أن يمنع سائر الناس عن دخولهم في محبته لتلا يضيف له شيء فتوجه له نفسه فتفسد كما قال في كتاب الروح .

النفس بواسطة العين لتدخل الرجل الخ ويخدشه ما قال بعض أصحاب الطبائع أنه ينبعث من العين قوة سمية تؤثر فيما نظره كما فصل في شرح مسلم كما قيل فإنه ظاهر في أن تلك الخصلة من خواص العيون ولا بعد في ذلك مع أن ظاهر الآية والحديث يدل على أنها من خواص العين.

قوله: ﴿وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق أي كحزنته فحزن وقرىء ليزهقونك أي ليهلكونك﴾ من زلقته أي يستعمل زلق متعدياً ولازماً وما في القراءة متعدد مثل حزن فإنه متعدد من الباب الرابع ولازم من الباب الأول كحزنته بكسر الزاء فحزن بفتحها فهذه القراءة توافق القراءة من الأفعال في المعنى.

قوله: ﴿أي القرآن أي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم﴾ مجازاً لاشتغاله ذكر الله تعالى كأنه عين الذكر وجواب لما محذوف دل عليه ما قبله وهو لم يملكوا أنفسهم حسداً على ما أشير إليه في الكشف أو ينبعث عند سماعه الخ كما نبه عليه المص.

قوله: ﴿ويقولون﴾^(١) عطف على الجواب المحذوف أو استئناف.

قوله: ﴿حيرة في أمره عليه السلام وتنفيراً عنه﴾ حيث سمعوا منه كتاباً بدت بلاغته على كل بليغ واشتمل حكماً لا تحصى وأحاط علماً لا يقضى مع أنه أُمي لم يمارس خطاً ولم يدارس علماً فاستوعب الحيرة لهم واستولى الدهشة عليهم فقالوا ذلك كأنهم لا شعور لهم فأشار المصنف بقوله حيرة الخ إلى أنهم يعقلون ويعلمون أنه عليه السلام أعقل الناس فقولهم ذلك لا لجهلهم بل لكمال حيرتهم وفرط دهشتهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾

قوله: ﴿وما هو﴾ [القلم: ٥٢] أي القرآن ﴿إلا ذكر للعالمين﴾ [القلم: ٥٢] أجمعين لكنه إنما ينتفع به ويتعظ المتقون فالقصر قصر الموصوف على الصفة فهو إضافي.

قوله: ﴿لما جنتوه لأجل القرآن﴾ لما جنتوه أي لما نسبوه إلى الجنون فصيغة التفعيل للنسبة ومراده بيان ارتباطه بما قبله إذ فيه خفاء قوله لأجل القرآن بقرينة ذكر ﴿ويقولون إنه لمجنون﴾ [القلم: ٥١] عقب ذكر لما سمعوا الذكر.

قوله: ﴿لما جنتوه لأجل القرآن﴾ معنى تجنبتهم إياه عليه السلام لأجل القرآن أنهم قالوا إن هذا القرآن ليس بذكر من رب العالمين بل هو من قبل الجن والكهانة وصاحبه مجنون كاهن ولذا قيل في جوابهم ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ [التكوير: ٢٥] فأين تذهبون فقوله: ﴿وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ [القلم: ٥٢] جواب لقولهم هذا فقولهم: ﴿إنه لمجنون﴾ [القلم: ٥١] من باب ذكر المسبب وإرادة السبب فإن مرادهم من إن القرآن الذي أتى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قول الجن ومن قبيل الكهانة لا أنه عليه الصلاة والسلام مسلوب العقل لأنه عندهم أعقل الناس

قوله : (بين أنه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه إلا من كان أكمل الناس عقلاً وأمتهم رأياً) بين أنه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه أي رده الله تعالى ببيان أنه ذكر عام لكافة الأنام وهذا منطوق الكلام قوله لا يدركه الخ لازم له ويدل عليه الكلام التزاماً وفيه وتعرض لهم بأنهم ليسوا من العقلاء بل من المجانين حقيقة كما مر في صدر السورة الكريمة من أنهم نسبوه عليه السلام إلى الجنون فرد الله تعالى ذلك وأثبت لهم الجنون فيكون من رد العجز على الصدر وهذا من المحسنات البديعية.

قوله : (عن النبي عليه السلام من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم) حديث موضوع الحمد لله الذي سهل لنا إتمام هذه السورة البديعية . والصلاة والسلام على خير البرية . وعلى آله وأصحابه العلية . تمت هذه السورة الكريمة . في يوم الأربعاء في وقت الظهور . في شهر المحرم الحرام في سنة ١١٩٢ .

وكمال عقله مسلم فيما بينهم فكيف يريدون بقولهم : ﴿إنه لمجنون﴾ [القلم : ٥١] أنه عليه الصلاة والسلام فاقد العقل فالظاهر أنه من باب الكناية . تمت السورة والله هو الهادي إلى الرشيد الحمد لله على هدايته إلى سواء السبيل فالآن أشعر مستعيناً بقوله المتين فيما في حل تفسير سورة الحاقة فحامداً لله أقول وأفتح .

سورة الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الحاقة مكية وآبها اثنان وخمسون) لا خلاف في كونها مكية بلا منقوبة ولا في عدد آياتها.

قوله تعالى: الْحَاقَّةُ ﴿١﴾

قوله: (أي الساعة) سميت القيامة الساعة وهي من الأسماء الغالبة بالغلبة التحقيقية ولوقوعها بغنة ساعة.

قوله: (أو الحالة التي يحق وقوعها) صفة لكل من الساعة والحالة على سبيل البديل يحق من باب ضرب ونصر أي يجب وقوعها وتفسيره بيليق من باب الاكتفاء بالأدنى أشار بهذا إلى أن الحاقة صفة لموصوف مقدر وهو إما الساعة أي القيامة وإن لامها اسم موصول وإنها مأولة بالمضارع لكن التأويل بالماضي بمعنى وجب وقوعها هو المناسب إذ وجوبها أزلي وإن كان وقوعها مستقبلاً ولم يكتف بالساعة وتعرض بتقدير الحالة تنبيهاً على أن المراد إما الزمان الممتد فيقدر الساعة أو الزمان الغير الممتد فيقدر الحالة أو المراد التردد في العبارة إذ المراد بالحالة القيامة أيضاً ولذا اكتفى في الكشف بالساعة قدم هذا لاستغنائه عن التكلف وإن الغرض بيان وجوب قيام الساعة كقوله تعالى: ﴿إن الساعة آتية لا ريب فيها﴾ [الحج: ٧] وهذا معنى الوجوب هنا.

قوله: (أو التي يحق فيها الأمور أي تعرف حقيقتها) ويحق هنا ليس بالمعنى المذكور

سورة الحاقة

مكية وآبها إحدى وخمسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الحاقة﴾ [الحاقة: ١].

قوله: أي الساعة فيكون الحاق بمعنى الثابت أي الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها.

قوله: أو الحالة التي يحق وقوعها أي التي ستقع حقاً.

قوله: أو التي تحق فيها الأمور تحق على صيغة المبني للمفعول أي تعرف حقيقتها من

بل بمعنى يتحقق ولذا قال المصنف أي تعرف حقيقتها من حققته إذا عرفت حقيقته والحاصل أن يحق يستعمل لازماً تارة وهو المذكور أولاً ويستعمل متعدياً وهو المعنى الثاني من حق الأمر إذا عرف حقيقته وصار على يقين منه فالمعنى الحاقة أي الساعة العارفة لحقيقة الأمر مع أن العارف أهلها ولذا قال المصنف أر التي يحق فيها الأمور وزاد فيها تنبيهاً على أن إسناده العرفان إليها لكونها محلاً للمعرفة فيكون مجازاً لملاسة الظرفية وهذا الوجه أفيد معنى لأنه يعلم تحقق نفس الساعة^(١) ويعرف حقيقة الأمور من السؤال والحساب والميزان والصراط وغيرها لكنه آخر لبعده لفظاً لاحتياجه إلى التقدير وكذا الكلام فيما بعده.

قوله: (أو يقع فيها حواق الأمور من الحساب والجزاء على الإسناد المجازي وهو مبتدأ خبره ﴿ما الحاقة﴾ [الحاقة: ٢]) حواق الأمور فيكون الحاقة من حق الأمر إذا وجب وثبت فمعنى حواق الأمور أي واجباتها وثوابتها وقيل أوساطهما إذ الحاق قد يستعمل بمعنى الوسط وهو الخير لكن مناسبتها هنا غير ظاهرة فعلى هذا يكون الحاقة من حق اللازم كما في المعنى الأول لكن في الأول الإسناد حقيقي إذ المراد نفس وقوع الساعة وهنا المراد وقوع ما فيها ولذا عبر بما يقع فيها حواق الأمور وزاد حواق تنبيهاً على وجوب وقوعها وثبوتها ولو قال ما يقع فيها الأمور لم يفهم ذلك وإن كفى في أداء أصل المعنى وإنما أخره مع أنه كالأول في كونه لازماً لأن التكلف فيه أكثر لاحتياجه إلى تقدير كثير دون الثاني وقيل ليظهر تعلق قوله على الإسناد المجازي به أيضاً ولا يتوهم اختصاصه بالثاني فيتوهم عكسه فلا يكون باعثاً للتأخير فقوله على الإسناد المجازي ناظر إلى الاحتمالين الأخيرين كما يفهم من تقريره ولم يلتفت إلى تقدير ذوا الحاقة على الوجه الثاني لأن ذا الحاقة هو الله تعالى وليس من تسمية الشيء باسم ملابسه وتقليل لتأويل أولى كما قيل ولك

قولهم لا أحق هذا أي لا أعرف حقيقته فيثبت برده عليه أن الأصل أن يقال المحقوقة بمعنى الأمور المحقوقة أي المعروفة حقيقة لكن عدل عن الأصل وجعل الفعل لتلك الأمور والحال أنه لأهلها تجوزاً على نحو ﴿عيشة راضية﴾ [الحاقة: ٢١] حيث جعل فعل الرضى للعيشة وهو في الحقيقة لصاحبها.

قوله: أو يقع فيها حواق الأمور أي الساعة التي يقع فيها الأمور الحاقة من قبيل وصف الزمان بصفة ما فيها على نحو نهارة ضائم وليله قائم على التجوز في الإسناد قال الواحدي الحاقة القيامة في قول جميع المفسرين وسميت بذلك لأنها ذوات الحواق من الأمور وهي الصادقة الواجبة الصدق وجميع أحكام القيامة صادقة واجبة الوقوع وقال الطيبي معنى حواق الأمور أوساطها قال الجوهري سقط فلان على حاق رأسه أي على وسط رأسه وجنته في حاق الشتاء أي وسطه.

(١) بمنزلة الهلية المركبة والأول بمنزلة الهلية البسيطة مثل هل زيد موجود ومثل هل زيد في الكوفة.

أن تقول إن ذا الحاقة بمعنى خالقها هو الله تعالى وأما بمعنى معرفة حقيقة الأمور فهي حال الأمور فإطلاقها على الساعة إما مجاز في الإسناد أو بتقدير المضاف وهو ذو فيكون من تسمية الشيء باسم ملابسة والثبوت ووجوبه وإن كان الساعة وما فيها متساويين فيه لكن الكلام مسوق على وجه الترهيد فإن أريد بالحاقة نفس الساعة كما في الوجه الأول فلا مجاز ولا احتياج إلى التقدير وإن أريد بها ما في الساعة من الأمور فيحتاج إلى تقدير المضاف أو يحتمل على الإسناد المجازي وكون القرينة ضعيفة ثابتة في أن يراد بالكلام معناه الحقيقي مرة ومعناه المجازي أخرى وإلا فيتعين المجاز إذا كانت القرينة قوية وبهذا يحصل التوفيق بين قولهم ولا يصار إلى المجاز متى أمكن الحقيقة وبين تجويزهم معناه الحقيقي مرة والمجازي أخرى كذا نقل عن التحرير التفازاني في حواشي الكشف وكذا الكلام في الوجه الثالث ذكره على وجه الاحتمال فإن أريد بالحاقة التي يقع فيها حواك الأمور لا بد من تقدير المضاف أو القول بالإسناد المجازي ومثل هذا كثير في كلامهم ومحاوراتهم.

قوله تعالى: مَا الْحَاقَّةُ ﴿١﴾

قوله: (وأصله ما هي أي شيء هي على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لأنه أهول لها) لأن الظاهر إنما يوضع موضع المضمّر لنكتة وهي هنا بيان تهويل الساعة بأي معنى كان فلما وضع الظاهر موضع المضمّر وجد ربط الخبر بالمبتدأ أهول لها اسم تفضيل من الهول والغزع ونبه به على أن المضمّر وإن دل على الهول لدلالة مرجعه عليه لكن الظاهر يدل عليه دلالة واضحة على هوله الشديد إذ الساعة علم لها أشير إليه في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣] حيث قال أي لا تعلم كنهها الخ.

قوله تعالى: وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾

قوله: (وأي شيء أعلمك ما هي أي أنك لا تعلم كنهها فإنها أعظم من أن تبينها دراية أحد وما مبتدأ وإدراك خبره) وأي شيء أعلمك ما هي أي ما استفهامية سئل بها عن ماهية الشيء وتعيينها قوله أي شيء رمز إلى أن السؤال عن التعيين هذا هو أصله لكن المراد هنا الإنكار ولذا قال أي لا تعلم كنهها وإنما قال كنهها لأن نفس الساعة معلومة وما

قوله: وأصله ما هي أي مقتضى الظاهر الإضمار لجريان ذكر المرجوع إليه لكن عدل عن الأصل إلى الإظهار لبغيد زيادة التأويل فإن أصل التهويل والتعظيم حاصل بكلمة ما الاستفهامية فإن كلمات الاستفهام قد تفيد معنى التعظيم كما في ما أحسن زيداً فإن معناه شيء عظيم أحسن زيداً ومنه يلزم معنى التعجب وكذا قولك هو الرجل أي الرجل معناه الكامل في الرجولية.

قوله: إنك لا تعلم كنهها هذا المعنى مستفاد من لفظ ما في ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ [الحاقة: ٣] المفيد للإنكار والمعنى ليس لك دركها على الحقيقة لعظمها من أن يصل إلى كنهها إدراك.

أدراك علق عنها إدراك وساد مسد مفعولين لأنه بمعنى أعلم الخطاب له عليه السلام ونفي العلم به عن غيره عليه السلام يعلم بالأولية أو الخطاب لكل من يصلح الخطاب له قوله دراية أحد يلائم الاحتمال الأخير قوله وما مبتدأ وإدراك خبره وليس بالعكس وأما قوله: ﴿ما الحاقة﴾ [الحاقة: ٢] يحتمل أن يكون ما مبتدأ خبره الحاقة وبالعكس.

قوله تعالى: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ بِالْقَارِعَةِ ﴿١﴾

قوله: (بالحالة التي تفرق الناس بالإفزع والاجرام بالانفطار والانتشار) أي العصاة أو مطلقاً في أول الأمر فهو فرع معنوي والاجرام أي تفرق الاجرام بالانفطار حال السماء والانشقاق حال الأرض أو حال السماء أيضاً ومعنى كذبت أي أنكرت ثمود وقدم ثمود لأن عاداً فصل حالهم فالمراد بالقارعة القيامة أشار إليها بقوله وإنما وضعت موضع ضمير الحاقة الخ.

قوله: (وإنما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها) إذ القرع في الأصل ضرب شيء في شيء فيفيد من المبالغة ما لا يفيد الحاقة بأي معنى كانت فشبه الإصابة بالقرع فذكر القرع وأريد الإصابة بالإفزع مثلاً واشتق منه القارعة فهي استمارة تبعية ثم صار أسماء للساعة بالغلبة كالحاقة فإنها أسماء لها بالغلبة والباء في الإفزع إما للالة أو للتعدية لتضمن تفرع معنى تفجّر والمراد بالحاقة هنا القيامة وكذا فيما مر في تفسير الحاقة وإن عطف على الساعة لأنها ترديد في العبارة وأما كون المراد بها ما يحل بهم من العذاب أو عدوا به فلا يناسب هنا.

قوله تعالى: فَأَنَّا ثَمُودُ فَأُفْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٢﴾

قوله: (بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة) بالواقعة أي الحادثة المجاوزة للحد في الشدة إشارة إلى وجه التعبير بالطاغية إذ الطغيان تجاوز الحد فإن أريد به تجاوز الحد في المعصية فهنا يكون مجازاً بعلاقة المشابهة وإلا فهو حقيقة هنا أيضاً ويعرف تجاوز الحد في الشدة أن ما دون الواقعة كونه كافياً في الهلاك.

قوله: (وهي الصيحة أو الرجفة لتكذيبهم بالقارعة) الصيحة أي صيحة جبريل أو الرجفة أي الزلزلة وقد يقال إن مباديه صيحة وأخرها رجفة قوله لتكذيبهم بالقارعة بقرينة الفاء في ﴿فأما ثمود﴾ [الحاقة: ٥] الدالة على سببية ما قبلها لما بعدها وهو سبب في الجملة فلا ينافي سببية تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة.

قوله: بالحالة التي تفرق النفوس يريد به أن هذا وضع للظاهر موضع المضمهر لكن بغير لفظه المذكور أولاً من باب أبي ذكر الموصوف وإقامة الصفة مقامه ولذا أورد لفظ الحالة ووصفها بالقرع.

قوله: ﴿أو بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على أنها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله: ﴿وأما عاد﴾ [الحاقة: ٦] الآية) أي الباء للسببية وفي الأول للالة قوله على أنها مصدر كما نيه عليه بقوله أو بسبب طغيانهم وفي الأول اسم فاعل والتأنيث لكون موصوفا المقدر مؤنثاً أي الواقعة قوله وهو لا يطابق قوله الخ لأن الباء فيه للالة لأنها دخلت على نفس الواقعة المهلكة فينبغي أن يكون الباء في الأول للالة أيضاً حتى يطابق قوله: ﴿وأما عاد﴾ [الحاقة: ٦] الخ لكن لما لم يكن المطابقة المذكورة واجبة جوزه مع تزييفه بالتأخير ولو قيل إنه من صنعة الاحتباك لم يبعد.

قوله تعالى: وَلَمَّا عَادَ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾

قوله: (أي شديدة الصوت أو البرد من الصر أو الصر) أي شديدة الصوت من الصر بفتح الصاد أو البرد أي أو شديدة البرد من الصر بالكسر فقوله من الصر أو الصر لف ونشر مرتب والظاهر أن كلاهما مراد إما بعموم المشترك أو بأن أحدهما مدلول مطابق والآخر مدلول التزامي فكلمة أو لمنع الخلو فقط.

قوله: (شديدة العصف كأنها عتت على خزائنها فلم يستطيعوا ضبطها) شديدة العصف

قوله: أو بسبب طغيانهم عطف على الواقعة فالأولى على أن يكون الطاغية صفة مشتقة والياء للالة والثاني على أن تكون مصدراً والياء للسببية.

قوله: ولا يطابق قوله: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر﴾ [الحاقة: ٦] وجه عدم مطابقة الطاغية بمعنى المصدر لهذا كون الريح من الأعيان والطاغية من المعاني وأن الباء في ﴿بريح﴾ [الحاقة: ٦] للالة وفي ﴿بالطاغية﴾ [الحاقة: ٥] للتسبب بخلاف الوجه الأول فإن المراد بالطاغية على الأول الواقعة وهي من الأعيان كالريح لأن الواقعة شيء له الوقوع فالواقعة ذات لها وصف فهو من قبيل ما هو قائم بنفسه وإن كان ما صدق عليه هي الحاصل بالمصدر وهو الصحيحة أو الرجفة وأن الباء فيه للالة أيضاً.

قوله: من الصر أو من الصر الصر بالفتح الصحيحة وبالكسر البرد وصرة القبط شدة حره والقيظ اشتداد الحر يقال قاط يومنا أي اشتد حره.

قوله: شديدة العصف العصف شدة هبوب الريح من عصف الريح أي اشتدت وهي ريح عاصف وعصوف ويوم عاصف أي تعصف فيه الريح.

قوله: كأنها عتت على خزائنها يريد أن العتو هنا مجاز مستعار استعارة مصرحة حيث شبه اشتداد الريح بعنو العاتي فاستعمل في المشبه لفظ المشبه به ومعنى عتت على خزائنها فخرجت بلا كيل ولا وزن أو على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء والتجاء إلى جبل أو اختفاء بحفرة فإنها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم يزيد الأول ما روي عن رسول الله ﷺ ما أرسل الله سفينة من ريح إلا بمكيال ولا قطرة من مطر إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم نوح فإن الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ: ﴿إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية﴾ [الحاقة: ١١] وإن الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ: ﴿بريح صرصر عاتية﴾ [الحاقة: ٦] ولعل ذلك في الحديث أيضاً عبارة عن الشدة والإفراط فيها.

أي شديدة الهبوب قوله كأنها عنت الخ نيه به على أن عاتية استعارة تبعية والظاهر أنه تشبيه بليغ لكون الطرفين مذكورين والعن أي فرط العصيان من صفات العقلاء فأطلاقه على غير العقلاء بناء على التشبيه شبهت شدة هبوبها مع بردها زائدة على العادة بالعتو فأطلق عاتية عليها وخزاتها الملائكة الموكلون بها .

قوله : (أو على عاد فلم يقدروا على ردها) أو لمنع الخلو فلم يقدروا أي فلم يطبقوا ردها ولتضمن القدرة معنى الإطاقة عدي بنفسه .

قوله تعالى : سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَينَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ عُثُلٍ خَوَادٍ ﴿٧﴾

قوله : (سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف أو صفة جيء به لنفي ما يتوهم من أنها كانت من اتصالات فلكية إذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب) وهو استئناف معاني ولذا لم يعطف قوله أو صفة لريح احترازية كما قال جيء به والمراد باتصالات فلكية اتصالات بعض الكواكب ببعض واجتماعها في بعض المنازل بحيث ينبعث منه الريح شديدة الهبوب قوله إذ لو كانت إذ لو وجدت الاتصالات الفلكية فكانت بمعنى وجدت تامة أو ناقصة محذوف الخبر أي إذ لو كانت مقتضية لكان الله هو المقدر لها أي للاتصالات الفلكية والمسبب بكسر الباء فالتسخير من الله تعالى أيضاً هذا مراد المصنف ولا يخفى عليك أن فيه نوع تعقيد فإن مراده المنع أولاً كون ذلك بالاتصالات والتسليم ثانياً ولا نفي عبارته ذلك إلا بتمحل قوله سلطها الخ إشارة إلى أن التسخير هنا تسخير العذاب والقهر لتعديته بعلى دون تسخير اللطف والرحمة لأن تعديته باللام كقوله تعالى : ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ [النحل : ١٢] قوله بقدرته إشارة إلى رد ما يتوهم ثم صرح به .

قوله : (سبع ليال) ظرف لسخر وقدم الليالي مع أن ابتداءه من صبيحة الأربعاء لنقصان عددها أو لأن الليل مقدم .

قوله : (متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة إذا تابعت بين كيهما) اختار كونها جمع حاسم كقعود جمع قاعد لأنه الظاهر المتبادر غير محتاج إلى التقدير من حسمت الدابة أي مأخوذ من هذا المعنى فيكون مجازاً مراسلاً بذكر المقيد وإرادة المطلق ثم إرادة المقيد الآخر فيكون مجازاً بمرتين أو إرادة المقيد الآخر على أنه فرد من المطلق فيكون مجازاً بمرتبة واحدة أو استعارة بتشبيه تتابع الريح المنقطعة دأبرهم بتتابع الكي المتتابع القاطع للداء والمرض في مطلق التابع .

قوله : (أو نحسات) فحسوم بمعنى القواطع من حسم بمعنى قطع فقوله أو نحسات عطف على متابعات فهي جمع حاسم بمعنى القاطع .

قوله : (حسمت كل خير واستأصلته) نيه به على أن حسوماً على هذا متعد إلى مفعول

مقدر وهو الخيرات أي قواطع للخيرات بنحوستها واتصاف الزمان بالنحوسة لعارض كونه زمان العذاب .

قوله : (أو قاطعات قطعت دايرهم) أي آخرهم فيلزم قطع أولهم وأوسطهم فيكون كناية عن إهلاكهم بالمرة والفرق أن في الأول المراد قطع الخير والمقدر الخير وهنا المراد قطع دايرهم والمحذوف الدابر وعلى كل تقدير حسوماً حال من الريح وجمعه باعتبار الليالي والأيام .

قوله : (ويجوز أن يكون مصدراً منتصباً على العلة بمعنى قطعاً) على العلة أي المفعول له والمراد العلة التحصيلية .

قوله : (أو المصدر لفعله المقدر حالاً أي تحسمهم حسوماً) حال مقدرة وجه التأخير لاحتياجه إلى التقدير دون الأول وزيف مصدريته مطلقاً لأن في الجمع وصف الريح بالشدة فهو أوفق لما قبله وما بعده .

قوله : (ويؤيده القراءة بالفتح) أي حسوماً بفتح الحاء فيكون مصدراً مفرداً لا محالة لكنه قراءة شاذة نقل عن سدي وتوافق القراءتين حسباً أمكن حسن لا واجب وعن هذا قال وتؤيده ولم يقل ويدل الخ .

قوله : (وهي كانت أيام العجوز من صبيحة الأربعاء إلى غروب الأربعاء الآخر) وهي أي تلك الواقعة كانت في أيام العجوز وهي أيام آخر الشتاء مشهورة معروفة بين العرب سميت بها عجوزاً لأن عجوزاً كاهنة أخبرت ببرد شديد يهلك المواشي فلم يكثرثوا بقولها وأرسلوا مواشيهم لما قرب الربيع فوقع برد شديد أهلك المواشي فسميت بذلك هي وكل ما وافقها في كل سنة قوله من صبيحة الأربعاء قيل لثمان يقين من شوال إلى غروب الأربعاء الآخر بكسر الخاء تمام الشهر صرح به المصنف في حم السجدة وكل عذاب نزل على الكافرين في يوم الأربعاء ذكره المصنف في سورة هود في قصة نوحود فهو يوم عذاب للكفار ويوم رحمة وبركة للأبرار لما مر من أن النحس لا لذات اليوم بل لما وقع فيه فيختلف بالاضافات وعن هذا بدؤوا تدريس العلوم وهو أشرف الأمور في يوم الأربعاء وقد مر تمام الكلام فيه في سورة القمر .

قوله : (وإنما سميت عجوزاً لأنها عجز للشتاء) أي آخر الشتاء فعجوز بمعنى العجز وهذا وجه آخر للتسمية بأيام العجوز .

قوله : (أو المصدر عطف على العلة أي أو منتصباً على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف وقع حالاً من مفعول سخر .

قوله : ويؤيده القراءة بفتح الحاء وجه التأييد أنه حينئذ يكون صفة مشتقة متعينة للحال والقراءتان تناسبان في معنى الحالية قوله إذ لو كانت لكان هو المقدر لها أي لو كانت لأجل الاتصالات الفلكية لكان الله تعالى هو المقدر لها لا المسخر فكان الأنسب حينئذ أن يقال قدرها لهم مكان سخرها .

قوله : (أو لأن عجوزاً من عاد توارث في سرب فانشزعتهما الريح في الشامن فأهلكتهما) توارث أي اختفت في سرب بفتح السين والراء المهملتين حفير تحت الأرض تحضت به عجوز من عاد لوجهها أنها تنجو بسببه من إصابة الريح الشديد وعذاب الله فسميت تلك الأيام أيام العجوز لأدنى ملاينة وعلى هذا فالتسمية بعد إصابة الريح العاصفة وعلى الأولين قبل هذه الواقعة سميت بها وهو الظاهر ولذا قدمها وفي الأيام تغليب على الليالي^(١).

قوله : (فترى) الفاء للسببية القوم أي قوم عاد على أن اللام للعهد لأنه في موضع المضمر أظهر لكمال التفرر والتعبير بالقوم للتنبية على الاستئصال وأن القوم عام للنساء أيضاً تغليباً.

قوله : (إن كنت حاضريهم) أي الخطاب فرضي سواء كان الخطاب له عليه السلام أو لكل من يصلح أن يخاطب وهو الظاهر مثل قوله تعالى : ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ [الأنعام : ٢٧] الخ.

قوله : (في مهاهما أو في الليالي والأيام) في مهاهما أي في مواضع هبوب الريح وهذا معلوم من ذكر ريح قدمه لأن كونهم صرعى في المكان أظهر من كونهم صرعى في الأزمنة.

قوله : (موتى جمع صريع) بمعنى قتيل مثل قتلى جمع قتيل.

قوله : (كانهم أعجاز نخل ﴿خاوية﴾ أصول نخل متأكلة الأجواف) كأنهم حال من الضمير في صرعى وصرعى حال من القوم أي حال كونهم مشابهي إعجاز نخل خاوية في الخلو عن الأرواح أو عن الحشو إذ روي أن الريح دخلت في أفواههم فأخرجت ما في بطونهم من الحشو من أديارهم وهذا أقوى إن صح وخص النخل بالذكر لأنها أشهر الأشجار فيما بين العرب وأنفعها وأعجازها أساسها فإذا أكلت يهلك النخل ولذا خص الأعجاز بالذكر وقيل شبهوا بالأعجاز لأن الريح طيرت رؤوسهم وطرحت أجسادهم ولما كان كونها متأكلة الأجواف مستلزماً لسقوطها على الأرض زائلة عن مقارها قال تعالى في سورة القمر : ﴿نخل منقعر﴾ [القمر : ٢٠] أي منقلع عن مقارها.



قوله تعالى : فَهَلْ رَءَى لَهُمْ نَزْلاً بِأَيْسَرٍ

قوله : (من بقية أو نفس باقية أو بقاء) من بقية تبه بها على أن باقية اسم لا وصف والنشاء للنفل إلى الاسمية وما فهم من كلامه في أواخر سورة هود أن البقية خيار القوم

قوله : توارث في سرب السرب بالتحريك بيت في الأرض تقول تسرب الوحشي في سربه وتسرب الثعلب في حجره وتسرب أي دخل.

(١) أو المراد بالأيام مطلق الأوقات لا يياض النهار.

فحينئذٍ لا يناسب إرادتها هنا أو نفس باقية أي أنها صفة وموصوفها نفس فالتاء للتأنيث أو بقاء أي باقية مصدر كالطاغية فالتاء للوحدة النوعية فخير الأمور أوساؤها .

قوله تعالى : وَجَاءَ قَرْعُونَ وَمَنْ قَبْلَهُمُ الْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾

قوله : (ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائي ومن قبله أي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه أنه قرىء ومن معه) ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء بمعنى الجانب والجهة وحاصله ما ذكره المصنف وقرءاءة من معه شاذة مروية عن أبي وابن مسعود رضي الله عنهما .

قوله : (قرىء قوم لوط عليه السلام) التي انتفكت بأهلها أي انقلبت والجمع هنا ظاهر وأما إفراده في أواخر سورة النجم فلتأويل القرى بالجماعة .

قوله : (والمراد أهلها) بقرينة جاء إذ المعنى وجاء المؤتفكات وإطلاق المؤتفكات عليها مجاز أولى .

قوله : (بالخطأ) أي الخاطئة مصدر كما مر والباء للتعدية أو للملابسة والخطأ ليس ضد العمد بل ضد الصواب .

قوله : (أو بالفعل أو بالأفعال ذات الخطأ) أي الخاطئة من صيغ النسب وموصوفها إما الفعل على أن التاء للوحدة النوعية فيؤول إلى معنى أو بالأفعال الخ أو اسم فاعل على كون الإسناد مجازاً أو استعارة .

قوله تعالى : فَصَوَّرَ رَسُولٌ رَّبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ لَذَّةَ رَابِيَةٍ ﴿١٠﴾

قوله : (أي فعصى كل أمة رسولها) كل أمة من الأمم المذكورة رسولها الظاهر أنه جعل هذا من قبيل انقسام الآحاد على الآحاد إذ رسول ربهم في قوة الجمع لأنه جنس والإضافة للجنس وقيل الظاهر إنه إبقاء أفراد الرسول على ظاهره وتأويل عصوا بكل طائفة وهذا في المال ما ذكرناه لأن كل طائفة لم يعصى رسولاً واحداً بل عصى كل واحدة من الطائفة رسولهم الذي أرسل إليهم .

قوله : (زائدة في الشدة) إذ رابية بمعنى زائدة كقوله تعالى : ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذاً وَبِيلاً﴾ [المزمل : ١٦] .

قوله : (زيادة أعمالهم في القبح) إشارة إلى جواب إشكال بأن هذا الأخذ موافق لعملهم الذي زائد في القبح على سائر المعاصي لأن قبح الكفر لذاته والمراد القبح الشرعي .

قوله تعالى : إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْوَابِيَةِ ﴿١١﴾

قوله : (إنا لما طغى الماء) تذكير ببعض النعم الذي يدور عليه فلك سائر النعم إثر ذكر جناتية قوم عاد وثمود وسائر الكفرة الفجرة إشارة إلى أنهم لم يشكروا على هذه النعمة الجسيمة بل كفروا هذه المنح الجسيمة فأخذوا أخذة رابية .

قوله: (جاوز الحد المعتاد أو طغى على خزانه وذلك في الطوفان) أي في لما طغى الماء استعارة تبعية كما مر في قوله: ﴿فَاهْلَكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥] وفيه ملاحظة تجاوزه بالنسبة إلى غيره وذلك بالطغيان على خزانه لكن لا يلاحظ فيه وكذا الكلام في طغى على خزانه فإنه مستلزم لتجاوز الحد المعروف بلا ملاحظة ذلك.

قوله: (وهو يؤيد من قبله) بفتح القاف وسكون الباء أي هذا يؤيد قراءة من قبله لأن طوفان قبل فرعون.

قوله: (أي حملنا آباءكم) بتقدير المضاف أو مجاز^(١) في الإيقاع بإيقاع الحمل على الأبناء مع أنه حال الآباء وما ذكره المص حاصل المعنى.

قوله: (وأنتم في أصلابهم)^(٢) أي بالواسطة إن كان الخطاب للحاضرين وقت النزول أو بالذات وبالواسطة إن كان الخطاب لفرعون ومن قبله على أن الخطاب للمعدومين فقط وفيه نوع بعد فالأولى كون الخطاب للحاضرين ولفرعون ومن قبله.

قوله: (في سفينة نوح عليه السلام) أي جعلناكم مستقرين في سفينة نوح وهذا معنى حملناكم إذ ظاهره ليس بمراد.



قوله تعالى: لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَاءَ آذُنٍ وَعَيْةً

قوله: (لنجعل الفعلية وهي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين) مرجع الضمير متفهم مما قبله والثاء في فعلية للوحدة النوعية فيتناول الإنجاء المفهوم من حملناكم في الجارية والإغراق المندلول عليه لقوله: إنا لما طغى الماء (عبارة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته).

قوله: (وتحفظها وعن ابن كثير تعيها لسكون العين تشبيهاً بكثف والوغي أن تحفظ الشيء في نفسك والإيعاء أن تحفظه في غيرك) وعن ابن كثير تعيها واعترض عليه بأنه لم تنسب هذه القراءة في كتب الأداء إليه والمذكور فيها أن العامة على كسر العين وتخفيف الياء بالفتح عطفاً على نجعلها وابن مصرف وأبو عمرو في رواية هارون عنه وقيل بإسكانها تشبيهاً لها بريح وروي عن حمزة إخفاء الكسرة في رواية شاذة.

قوله: (وهو يؤيد من قبله بفتح القاف وسكون الباء وجه التأييد إن قوم نوح قبل فرعون والطوفان عقوبة هؤلاء القوم).

قوله: (لنجعل الفعلية رجع الضمير المفعل إلى الفعلية المتناولة للإنجاء والإهلاك لأن المذكور الأخلة والحمل في الجارية الأخلة إهلاك والحمل إنجاء).

(١) وأما التجوز في المخاطبين بإرادة آباءهم المحمولين بملاقة الحلول لضعيف.

(٢) وهذا إشارة إلى اتصالهما بما قبله.

قوله: (من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره وإشاعته والتفكير فيه والعمل بموجبه) وإنما أوله بذلك لإسناد تعيها إليها الضمير في حفظها راجع إلى ما لأنها عبارة عن المجموعات فالمصدر مضاف إلى المفعول أو الضمير للإذن فيكون مضافاً إلى الفاعل والعائد محذوف أي حفظها إياه وفيه تنبيه على الإذن خلقت لحفظ ما يجب حفظها ويحسن فإن لم تحفظها فليت بإذن وصاحبها أصم وأسند التذكر إلى الإذن وأخواته مع أنها حال صاحبها مشكلة لما في النظم من قوله وإعية فإنها مجاز في الإسناد وكذا هنا لكونها سبباً لذلك وبذلك يعرف أن حاسة السمع أفضل نعمة من حاسة البصر والضمائر في بتذكره ونظائره لما باعتبار لفظه.

قوله: (والتذكير للدلالة على قلتها) ولا يبعد أن يكون للتعظيم مع الدلالة على التقليل الخ لأن التكرة ولو كانت جمعاً في الإثبات من ألفاظ الخاص عند الأكثرين وعند البعض الجمع المنكر وإن كان عاماً لكن عمومه على قدر شموله للأفراد وهنا أقل قليل فما ظنكم بالأفراد كما هنا.

قوله: (وإن من هذا شأنه مع قلته تسبب لإنجاء الجرم الغفير وإدامة نسلهم) تسبب لأن وتعيها عطف على علة الإنجاء فيكون هذا أيضاً علة له لكن المعطوف عليه علة تحصيلية والمعطوف علة حصرية.

قوله: (وقرأ نافع إذن بالتخفيف) أي بسكون الذال وهو متعارف فيما هو بضمين.



قوله تعالى: ﴿إِنَّا نُنْخِصُ فِي الصُّورِ نَفْحَةً وَزَيْدَةً﴾

قوله: (لما بلغ في تهويل يوم القيامة وذكر مآل المكذبين بها) وذكر مآل المكذبين واكتفى يذكره إذ التهويل إنما يعرف به مع أن مآل المصدقين يعلم إشارة لدلالة المذكورة عليه كدلالة الحر على البرد.

قوله: (تفخيماً لشأنها) إذ التهويل يدل على فخامة شأنها فضلاً عن المبالغة فيه وذكر

قوله: (وإن من هذا شأنه مع قلته سبب لإنجاء الجرم الغفير وإدامة نسلهم وجه دلالة التنكير على هذا المعنى كون إذن فاعل تعيها لا مطلقاً بل من حيث إن «وتعيها» [الحاقة: ١٢] عطف على نجعلها المقيّد بلكم والواو يشركه معه في حكم ذلك القيد والمعنى وتعيها لكم والخطاب في لكم خطاب عام لكل من يصلح أن يخاطب به وهو المراد بالجرم الغفير أي وتعيها لكم أيها المكلفون «إذن وإعية» [الحاقة: ١٢] حتى تتذكروا وتتمطلوا بتلك التذكرة وتنجوا عن أن تهلكوا بما هلك به هؤلاء المجرمون من قبائح أعمالهم فيكون ذلك سبباً ليقانكم ودرام تسلكم وفي الكشف توحيد لفظ إذن وتنكيره للإيدان بأن الوعاة فيهم قليلة والتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على أن الإذن الواحد إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله وإن ما سواها لا يبالي بهم بألة وإن ملؤوا ما بين الخافقين.

قوله: تفخيماً لشأنها وتبيهاً على إمكانها معنى التفضيخ مستفاد من لفظ ما في الحاقة على ما

مآل المكذبين كتفصيل التهويل الإجمالي في قوله: ﴿ها الحاقة وما أدراك ما الحاقة﴾ [الحاقة: ٢، ٣].

قوله: (وتنبهها على إمكانها عاد إلى شرحها) لأن إهلاك الأمة العاصية وإنجاء الجماعة العالية يدل على كمال القدرة والحكمة التامة فيدل على قدرة إحياء الموتى وعلمه تعالى بالأجزاء المتفرقة ومكانها ومعلوم بالبدئية أن مواد الأبدان قابلة للاجتماع بعد التفرق كما كان كذلك في حال الابتداء فيوافق ما ذكره في البقرة من قوله وأعلم أن صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات الخ وأما وقوعها بالفعل فمعلوم بإخبار الشارع لكن بعد ثبوت إمكانها وعن هذا تعرض لبيان إمكانها وفي نسخة وتنبهها على مكانها أي عظمها ورفعها إذ المكان كالرتبة يستعار للرفعة والنسخة الأولى هي الأولى.

قوله: (وإنما حسن إسناد الفعل إلى المصدر لتقييده وحسن تذكيره) إسناد الفعل أي مجازاً لتقييده بالوحدة أشار به إلى أنه لو لم يقيد لكان إسناد الفعل إليه قبيحاً إذ الفعل دال على المصدر تضمناً فلا يفيد الإسناد إليه فائدة معتداً بها فإذا قيد بقيد فائدة تامة باعتبار القيد وهنا قيد بالوحدة ويرد عليه أن الفعل يدل على الزمان مع أنه أسند إليه بدون تقييد فما هو جوابكم فهو جوابنا وحله أن الفعل وإن دل على المصدر لكن لا يدل على إسناده إليه فإذا أريد المبالغة يسند إلى المصدر قيد بقيد أولاً مثل جد جده^(١) وشعر شاعر وقد صرح به أئمة البلاغة في كتبهم مع أنهم لم يشترطوا التقييد فمراد المصنف أن إسناد الفعل إلى المصدر مفيد لكن مع القيد يكون حسناً وفيه تأمل وكلام الكشف خال عن هذا.

قوله: (للفصل) والفعل مسند إلى الظاهر المؤنت الغير الحقيقي وفيه التذكير حسن وقع الفصل أولاً وغاية الأمر أن الحسن يزداد بالفصل.

قوله: (وقرىء نفخة بالنصب على إسناد الفعل إلى الجار والمجرور) مجازاً وكون الصور ظرفاً للنفخ مستفاد من الهيئة.

مر ومعنى التنبيه على إمكانها مستفاد من لحوق العقوبة لمكذبيها إذ لو كانت ممنوعة لما أوجب تكذيبها العقوبة وقيل معنى التنبيه مستفاد من لفظ تذكرة لأن المراد بها العبرة والدلالة على قدرة الصانع وحكمته وفيه نظر لأن نفوذ قدرة الله تعالى في شيء يتوقف على إمكان ذلك الشيء في نفسه فإن الممتنع بالذات لا يدخل تحت القدرة فلو علل إمكانه بالقدرة يلزم الدور.

(١) ونقل عن شرح الرضي في المفعول المطلق أن لا يكون لمجرد التأكيد إذ النائب عن الفاعل يجب أن يكون مثله في إفادة ما لم يفده الفعل حتى يبين احتياج الفعل إليه ليصير معاً كلاماً فلو قال ضرب ضرب لم يجز لأن ضرب مستغن بدلالته عن ضرب ضرب بل يقال ضربة أو الضرب الفلاني انتهى ولعل هذا بناء على تخالف الاصطلاحين لأرباب المعاني لأنك قد عرفت في أصل الحاشية أن أرباب المعاني لم يتصدوا لهذا القيد والنحاة تعرضوا له لأن أرباب المعاني يبحثون عن البلاغة والنحاة نظرهم الإعراب والبناء فلا تغفل.

قوله: (والمراد بها النفخة الأولى التي عند خراب العالم) كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهي المناسب لما بعدها بلا تحمل فإن ما بعدها بيان خراب العالم وأما الرواية الثانية عنه رضي الله تعالى عنهما وهي النفخة الثانية فلا يلائم لما بعدها إلا بأن يقال إن الواو ليس للترتيب وهو خلاف الظاهر ولذا رجح الرواية الأولى.

قوله تعالى: وَجَلَّتِ الْأَرْضُ وَجَلَّتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ دُكَّةً وَجَدَةً ﴿١٤﴾

قوله: (رفعت من أماكنها بمجرد القدرة الكاملة أو بتوسط زلزلة أو ريح عاصفة) كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ [الزلزلة: ١] الآية لم يجعل الزلزلة حاملة حتى يقال إن الزلزلة لا حمل فيها كما قاله أبو حيان فلا حاجة إلى الاعتذار بأن التوسط في الحمل غير الحمل وتحريك المحمول من مقدمات الحمل عادة بل يكفي أن يقال إن الزلزلة جعلت واسطة للحمل كريح عاصفة مع أن الحمل ليس على ظاهره بل بمعنى الرفع.

قوله: (فضربت الجبلتان بعضها ببعض) أي جملة الأرض بجملة الجبال وفيه إشعار بأن الجبل غير الأرض بالنظر إلى كونها أوتاداً لها وأما إذا قوبلت الأرض بالسماء فهي شاملة للجبال.

قوله: (ضربة واحدة فتصير الكل هباء) وفيه بيان كمال القدرة حيث يكفي ضربة واحدة في كون الكل هباء مثوراً.

قوله: (أو فبسطنا بسطة واحدة فصارت أرضاً لا عوج فيها ولا أمناً) هذا معنى مجازي له ولذا أخره قوله بسطة واحدة لكونها حاصلة بدكة واحدة وإلا فلا يتصور التعدد في البسطة حتى يحتز عنه بقيد الوحدة لا عوج فيها ولا أمناً إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً﴾ [طه: ١٠٧] أي اعوجاجاً ولا نتوا مسيراً^(١).

قوله: (لأن الدك سبب التسوية) أي الدك في الأصل بمعنى الضرب على ما ارتفع ليكون منخفضاً ويلزمه التسوية لزوماً عربياً لما عرفته من أن الدك ليس مطلق الضرب بل بمعنى الضرب على ما ارتفع لقصد أن ينخفض ويصير مستوياً فيكون مجازاً ولشيوعه فيه صار ملحفاً بالحقيقة.

قوله: (ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا ستام لها وأرض دكاء للمتسعة المستوية) ولذلك أي ولكونه يلزمه التسوية قيل ناقة الدك دليل إني لذلك والمذكور دليل لهذا القول فلا دور.

قوله تعالى: فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾

قوله: (فحينئذ) أي حين حمل الأرض والجبال.

(١) إشارة إلى وجه التشبيه في ﴿فَكَانَتْ دُكَّةً﴾ والقياس فد كان فجعل الجبال كلها جملة وكذا الأرض فحسن التعبير بالتشبيه قال المصنف في سورة الأنبياء وإنما قال كأننا ولم يقل كن لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرض.

قوله: (قامت القيامة) الأولى حدثت القيامة كما قاله في سورة الواقعة أشار بقوله فحينئذ إلى أن فيومئذ عبارة عن مطلق الوقت لا عن بياض النهار لكونه ظرفاً لأمر غير ممتد وهو حدوث القيامة فإنه إنني أوفى زمن يسير.

قوله تعالى: ﴿وَأَنشَأَتِ السَّمَاءَ فَبِئْسَ يَوْمُهُمُ الْيَوْمِ﴾ (١٧)

قوله: (لنزول الملائكة) بصحائف أعمال العباد لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] والغمام سبب ناقص للانشقاق إذ المص صرح في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءُ مَطْفُورَةٌ﴾ [المزمل: ١٨] أي بهول القيامة وشدة فالمراد في الموضعين السبب الناقص.

قوله: (ضعيفة) هذا معنى واهية يقال فلان واه أي ضعيف.

قوله: (مسترخية) بيان^(١) المعنى المراد كال تفسير لقوله ضعيفة أي ساقطة القوة جداً مع أنها مستحكمة مستمسكة بقدرة الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ (١٧)

قوله: (والجنس المتعارف بالملك) ولذا لم يسمى والملائكة لأن استغراق المفرد أشمل وفي الكشف والملك أعم من الملائكة يريد به أن استغراق المفرد أعم وأشمل وفيه بحث مذكور في المطول حاصله أن هذا وإن سلم في النكرة الواقعة في سياق النفي لكنه غير مسلم في المحلى بلام الاستغراق.

قوله: (جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء أهلها إلى أطرافها وحواليها) ولعله تمثيل لخراب أي قوله: ﴿وَأَنشَأَتِ السَّمَاءَ﴾ [الحاقة: ١٦] تمثيل لما ذكر أي استعارة تمثيلية إذ لا ملك حينئذ حتى يكون في أطرافها وانضواء أهلها بمعنى التجائهم وذهابهم إلى أطرافها فإن تشبيه الهيئة بالهيئة لا يستلزم أن يعتبر في جانب الهيئة المشبهة جميع ما اعتبر في جانب الهيئة المشبهة بها كيف لا وقد جوزوا كون الهيئة المشبهة بها مفروضاً لا محققاً.

قوله: والجنس المتعارف بالملك يعني ليس المراد ملكاً واحداً بل المراد الجنس الكثير الأفراد.

قوله: جوانبها جمع رجا، ﴿إِلَّا رَجَاءُ﴾ النواحي والجوانب والرجا بالقصر الناحية والجانب والمعنى أن السماء إذا انشقت عدلت الملائكة من مواضع الشق إلى جوانب السماء وفي كشف الحقائق فإن قيل الملائكة يموتون في الصعقة لقوله تعالى: ﴿فَصُفِّعُوا فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨] فكيف تقفون على أرجاء السماء الجواب عنه من وجهين أحدهما أنهم يقفون لحظة ثم يموتون وثانيهما المراد الذين استثناهم الله في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

(١) كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٩] كما سيجيء قريباً إن شاء الله تعالى.

قوله: (وإن كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة إثر ذلك) وهذا ما قاله الإمام إنهم يقفون لحظة على أطراف السماء ثم يموتون وهذا غير ملائم لقوله تعالى: ﴿ويوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات﴾ [الزمر: ٦٨] الآية ولذا قال فلعل هلاك الملائكة الخ ولم يلتفت إلى الجواب بأن المراد بالملائكة هم الذين استثناهم الله بقوله: ﴿إلا من شاء الله﴾ [النمل: ٨٧] لأنه في غاية الضعف لأن المستثنين جماعة مخصوصة والمراد به جنس الملائكة كما صرح به رداً لهذا الجواب والجواب الأول هو المعول.

قوله: (فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء) وهذا هو الملائم لو كان الملائكة إحياء حينئذ وقد عرفت أن المصنف حمل الكلام على الاستعارة التمثيلية أو الهلاك إثر ذلك فالأولى الاكتفاء بالوجه الثاني.

قوله: (أو فوق الثمانية لأنها في نية التقديم) لكونها فاعلاً فهي متقدمة رتبة وإن تأخرت لفظاً نحو ضرب غلامه زيد فلا يلزم الإضمار قبل الذكر فحينئذ يكون المعنى ويحمل عرش ربك ثمانية فوق رؤوسهم لا فوق مناكبهم فلا وجه لما قيل إن المراد بالفوقية معنوية بمعنى زيادة العدد هرباً عن أن يكون فوق أنفسهم وتقدير الرؤوس يتدفع المحذور.

قوله: (أي ثمانية أملاك لما روي مرفوعاً أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله تعالى بأربعة أخرى وقبل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله) لما روي مرفوعاً مراده تأييد هذا وتزييف قوله ثمانية صفوف إذ كون عددهم ثمانية أدل على القدرة مع تأييد الحديث المرفوع.

قوله: (ولعله أيضاً تمثيل لعظمته بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال: ﴿يومئذ﴾ [الحاقة: ١٨] الآية) ولعله أيضاً تمثيل أي استعارة تمثيلية اختيرت في الموضوعين لكونها أبلغ وإمكان حملها على ظاهر قال ولعل بصيغة الترجي فعلى هذا جملة تعرضون استعارة كما أشار إليه بقوله وعلى هذا قال الخ وإن كان المراد ظاهره فتعرضون لا يكون مستعاراً بل العرض عرض احتجاج وتوبيخ وفي الكشف وروي أن في القيامة ثلاث عرضات فأما العرضان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة فنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله.



قوله تعالى: يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ

قوله: (تشبيهاً للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليعرف أحوالهم) ليعرف أي السلطان أحوالهم وأما المحاسبة فليعرف أحوالهم للمخلوقين.

قوله: لأنها في نية التقديم فإن رتبة الفاعل التقديم على سائر متعلقات الفعل.

قوله: ولعله أيضاً تمثيل لعظمته يعني أنه تعالى خاطبهم بما يتعارفونه فإن من شأن الملك إذا أراد محاسبة أعماله يجلس على سرر ووقف الأعوان حوله على ما عرف.

قوله: تشبيهاً للمحاسبة تعرض السلطان يعني أن العرض هنا مجاز مستعار استعارة

قوله: (هذا وإن كان بعد النفخة الثانية) هذا الخ جواب إشكال بأن هذه بعد النفخة الثانية والمراد بالنفخة المذكورة النفخة الأولى كما صرح بها ومقتضى النظم وقوع هذا وأمثال بعد الأولى وليس كذلك فأجاب بأن هذا إنما يرد إذا كان المراد بالزمان المفهوم من قوله: ﴿فَبِأَمْرِئِكُمْ﴾ [الحاقة: ١٥] وقعت الواقعة الزمان المعين الغير الممتد وكذا المراد بـ ﴿فَبِأَمْرِئِكُمْ تَعْرِضُونَ﴾ [الحاقة: ١٨] لكن المراد الزمان الممتد المتسع وقوع هذه الأمور نظيره قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] إلى قوله: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] قال المص هناك جواب إذا وإنما صح والمذكور في سياقها ثنتا عشرة خصلة إلى قوله لأن المراد زمان متسع شامل لها الخ وسره أن اليوم هنا بمعنى مطلق الزمان لا بياض النهار فبمعونة المقام يراد به الزمان المتسع.

قوله: (لكن لما عرض كان اليوم اسماً لزمان متسع يقع فيه التفختان والصعقة والنشور والحساب وإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار صح جعله ظرفاً للكل) مجازاً إذ الزمان الممتد كل وأجزاؤه ظرف كل جزء ما وقع فيه من هذه الأمور حقيقة فإذا كان جزء معين ظرفاً الشيء معين يصح جعل الكل ظرفاً له وإن لم يكن معياراً له ومنطبقاً عليه.

قوله: (سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وإنما المراد منه إقشاء الحال والمبالغة في العدل) سريرة تفسير خافية ولوقوعه في سياق الإنفي يفيد العموم وقيد منكم إذ الكلام في شأنهم فلا مفهوم قوله حتى يكون العرض للاطلاع فيكون لا تخفى منكم من قبيل الاحتراس والتكميل لدفع إيهام خلاف المقصود.

قوله: (أو على الناس كما قال: ﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل) أو على الناس أي المراد من العرض اطلاع الناس على أعمالهم خيراً كانت أو شراً قوله: ﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] أي تتعرف فتظهر للناس وليس بالنسبة إليه تعالى السرائر ولا الضمائر قوله للفصل ولكونه مؤنثاً غير حقيقي مع إسناده إلى الظاهر.

مصرحة شبه المحاسبة والسؤال بعرض السلطان عسكره ليعرف أحواله فاستعمل في المشبه اللفظ الموضوع للمشبه به.

قوله: وإنما المراد منه إقشاء الحال والمبالغة في العدل وفي كشف الحقائق في الآية وجهان أحدهما تقدير الآية يعرضون لا لخفاء أمرهم فإنه عالم بكل شيء ولا يخفى عليه منكم خافية قال تعالى: ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ﴾ [إبراهيم: ٢٨] فيكون الغرض منه المبالغة في التهديد يعني يعرضون على من لا يخفى عليه شيء أصلاً وثانيهما المراد لا يخفى يوم القيامة ما كان محققاً منكم في الدنيا فإنه يظهر أحوال أهل الثواب فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر أحوال أهل العذاب فيظهر بذلك حزنهم وهو المراد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾ فما له من قوة ولا ناصر [الطارق: ٩، ١٠] وفي هذا أعظم الزجر والوعيد ثم كلامه وإلى هذين الوجهين أشار القاضي رحمه الله بقوله سريرة منكم على الله أو على الناس.

قوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَوْفَ كَتَبَتْ يَسْطِيبُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَعْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴿١٩﴾

(تفصيل للمرض)

قوله: (تيجحاً) بتقديم الجيم على الحاء أي سروراً وافتخاراً.

قوله: (هه) اسم لخذ وفيه لغات أجودها هاء يا رجل وهاء يا امرأة وهؤما يا رجلان وامرأتان وهؤما يا رجال وهؤان يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابه مفعول أقرأوا) اسم لخذ أي اسم فعل وفيه لغات وفي شرح الرضي هاء اسم لخذ وفيه ثمان لغات الأول بالكاف مفردة ساكنة للواحد والاثني والجمع مذكراً كان أو مؤنثاً الثانية أن تلحق هذه المفردة كاف الخطاب الحرفية كما في ذلك وتصرفها مثل تصصرف ذلك نحو هاك هاكم هاكم هاكم هاكم الثالثة أن تلحق الألف همزة مكان الكاف تصرفها تصصرف الكاف نحو هاء هؤما هؤم هاء هؤما هؤان إلى آخر كلامه وهذه الثالثة ما قاله المص أجودها هاء بفتح الهمزة يا رجل وهاء بكسر الهمزة يا امرأة وهؤما تنثية هاء بفتح الهمزة وكسرها والفرق تقديري ولذا قال يا رجلان ويا امرأتان وهؤم جمع هاء بفتح الهمزة يا رجال وهؤان جمع هاء بكسر الهمزة يا نسوة ولما كان هؤم بمعنى خذوا يقتضي مفعولاً وعن هذا قال ومفعوله محذوف قوله وكتابه الخ جواب سؤال.

قوله: (لأنه أقرب العاملين) ورجح لقربه وهو مختار^(١) البصريين في التنازع وبهذا استدل على رجحان هذا المذهب.

قوله: (ولأنه لو كان مفعولاً لهؤم لقبل أقرؤوه إذ الأولى إضماره حيث أمكن) دليل آخر على رجحان هذا المذهب قوله إذ الأولى إضماره باتفاق الكوفيين لأنه لو أعمل الأول أضمر في الثاني لأن الأولى إضماره حيث أمكن كما هنا وإنما لم يضم في الأول لأنه على اللغة الجيدة اسم فعل فلا يتصل به الضمير وأما إذا كان هاء فعلاً صريحاً بمعنى خذ فيتصل به الضمائر البارزة قبل فإذا كان فعلاً ففيه لغات إحديها أن تكون بوزن عطى يعاطي فيقال هاء يا زيد هاني يا هند وهائياً يا زيدان ويا هندان وهؤوا يا زيدون وهائين يا نسوة والثانية مثل هب والثالثة أن يكون كخف وهي متعدية بنفسها.

قوله: ومفعوله محذوف لما تنازع الفعلان في المفعول أعمل الثاني فيه لقربه منه وحذف مفعوله الأول تقديره خذ كتابي فاستحب الوقف قال الزجاج الوجه أن يوقف على هذه الهاءات ولا يوصل لأنها أدخلت للوقف وهذه رؤوس الآيات وقد حذفها قوم في الوصل ولا أحب مخالفة المصحف قال صاحب الانتصاف تعليل القراءة باتباع المصحف غلط وإنما القراءة معتمداً النقل المتواتر تم كلامه قبل فيه نظر لأن الوقوف والابتداء غير متوقفة على النقل ولذلك حد صاحب الكواشي السبعة بما صح سند واستفهام وجهه في العربية ووافق لفظه خط الإمام وما لم يوجد فيه مجموع هذه والتواتر وموافقة خط الإمام فهو شاذ.

(١) وأصله هؤم كتابي أقرؤوا كتابي فحذف الأول لدلالة الثاني عليه.

قوله : (والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف ونسقط في الوصل) للسكت لا ضمير عنه فحقها أن يثبت وقفاً ويحذف وصلاً كما قاله المص لنقصان حركة الموقوف عليه فإذا وصل استغنى عنها .

قوله : (ولهذا استحب الوقف لثباتها في الإمام ولذلك قرئء بإثباتها في الوصل) ولما ثبت هذه الهاءات في الإمام حسن الوقف ليكون ثباتها موافقاً لما هو الأصل من ثبوتها في الوقف دون الوصل فإذا لم يوقف فلما أن يثبت الهاء أو لا والأول مخالف للأصل المقرر والثاني يخالف للإمام فيستحب الوقف دفعاً للمحذور وإنما قال فيستحب الوقف لأنه إذا وصل بنية الوقف لم يخالف الإمام فلا يجب الوقف بل يستحب فإثباتها وصلاً بنية الوقف قراءة صحيحة وليست بلحن كما زعم بعض النحاة والوصل بنية الوقف شائع بين الأئمة القراء في مثل ص وق و ن حيث جوزوا التقاء الساكنين في الوصل بنية الوقف فكذا هنا وبهذا ينحل ما أشار إليه الزمخشري بقوله وقرأ جماعة بإثباتها وقفاً ووصلاً اتباعاً للمصحف إلى أن تعليل القراءة باتباع الإمام عجب مع أن المعتقد الحق أن القراءة بتفاصيلها منقولة عن النبي عليه السلام كما نبه عليه بعض شراح الكشاف لأن ما ثبت في الإمام منقول عن النبي عليه السلام إذ المراد بالإمام مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه فالتعليل باتباع الإمام تعليل بأنه منقول عن النبي عليه السلام حتى قيل إن من أسقط الهاء عند الوصل فقد تجاسر على الإمام .

قوله تعالى : إِيَّاكَ نَعْتَذِرُ إِنْ كُنَّا مِنْكَ بِحَقِّ عَذَابٍ

قوله : (أي علمت ولعله عبر عنه بالظن إشعاراً بأنه لا يقدح في الاعتقاد وما يهيجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالباً) وصيغة الترجي لعدم القطع فيه لجواز أن يكون الظن بمعنى العلم^(١) البقيني مجازاً كقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة : ٤٦] على وجه أو الترجي في مقام القطع من عادة العظماء قوله ما يهيجس أي ما يقع في النفس من الخطرات الخ أي من الشبهات التي الخ لكن يجب عليه دفعه ولم يتعرض له لظهوره وكون إيمان المقلد ذا اعتبار وكون الظن الغالب الذي لا يخطر نقيضه في البال أصلاً لا مساس له هنا لأن من أوتي كتابه بيمينه عام لأرباب اليقين من العلماء المستدلين والصدقيين بل الأولياء الواصلين فلا بد من تيقن هذه الأمور من الحساب والصراط وغيرهما فالتعبير بالظن للإشعار بما ذكر فلا وجه للبحث المذكور في الحاشية السعدية هنا نعم له وجه في

قوله : ولعله عبر عنه بالظن الخ وفي الكشف وإنما أجري الظن مجرى العلم لأن الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام ويقال أظن ظناً كاليقين أن الأمر كيت وكيت .

(١) فمحتمل لا إشعار كما لا إشعار في هذه الآية ولو سلم الإشعار لا يضر لوجوب دفعه .

الجملة بالنسبة إلى المقلد وأصحاب الظن الغالب المذكور والكلام ليس بمختصر بهما كما عرفته وما قاله السعدي في سورة الانشقاق نقلاً عن أبي حيان من أن عصاة الموحدين حالهم مسكوت عنها ولا ريب أن المقلد وأرباب الظن من الآثمين لترك الاستدلال فالنظم لا يعمهما فشاهد عليه فلا تغفل وتأمل حق التأمل .

قوله تعالى: **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ** ﴿٢١﴾

قوله: (ذات رضاء على النسبة بالصيغة) أي راضية من صيغ النسبة فيكون المعنى ملتبسة بالرضى فتكون العيشة مرضية فلا مجاز فحينئذ التاء فيه للمبالغة لا للتأنيث أو يقال إن ما قصد به النسبة لا يلزم تأنيثه لا أنه لا يجوز تأنيثه .

قوله: (أو جعل الفعل لها مجازاً وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم) مجازاً في الاستناد لكون الرضاء فعل صاحبها فأصل الكلام راض صاحبها عنها وأسند الرضى إليها وجعلت فاعلة لخلوصها عن الشوائب على الدوام^(١) كأنها في نفسها راضية وإن رضاء صاحبها بلغ مبلغاً في المبالغة كأنه سرى إلى العيشة فصارت راضية مرضية هذا هو المشهور وقد جوز صاحب المفتاح كونه استعارة مكنية وتخييلية بأن يشبه الفاعل المجازي بالفاعل الحقيقي في تعلق الفعل وأثبت له شيء من لوازم المشبه به والتفصيل في المطول والمصنف اختار الأول لأن في الثاني دغدغة عظيمة .

قوله تعالى: **فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ** ﴿٢٢﴾

قوله: (في جنة)^(٢) اسم جنس يراد به الكثير أي في جنات متفاوتة فيدخلون بحسب أعمالهم وإخلاصهم .

قوله: (مرتفعة المكان لأنها في السماء) إذ العرش سقف الجنة والسماء تتناول العرش .

قوله: (أو الدرجات أو الأبنية والأشجار) أو الدرجات أي مرتفعة الدرجات فوصف الجنة بالارتفاع مجاز لعلو درجاتها وهو الظاهر لا لقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [ملء: ٧٥] .

قوله تعالى: **فُتُورُهَا دَائِمَةٌ** ﴿٢٣﴾

قوله: (جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر) جمع قطف يكسر القاف اسم ما يجتنى بسرعة .

قوله: (دائمة) قريبة .

قوله: (يتناولها القاعد) والمضطجع كقوله تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ﴾ [الرحمن: ٥٤] الخ .

(١) مقرونة بالتعظيم أي تعظيم أهل الجنة لا الاستهزاء ولا الاستدراك وبه يتم كونها مرضية .

(٢) بدل من عيشة .

قوله تعالى: كُؤُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ ﴿٢٤﴾

قوله: (بإضمار القول)^(١) إذ لا ربط بدونه.

قوله: (وجمع الضمير للمعنى) وجمع الضمير الراجع إلى من للمعنى لأنه عبارة عن جماعة كثيرة جداً وإن كان لفظه مفرداً ولذا جيء أوتى بالإنفراد رعاية لللفظ وكذا قوله: ﴿إني ظننت﴾ [الحاقة: ٢٠] الآية.

قوله: (أكلأ وشربأ هنيئأ أو هنتئم هنيئأ) شربأ هنيئأ وكذا مرينأ صفتان من هنيئ الطعام ومرأ إذا ساع من غير غصص أقيم هنيئأ هنا مقام مصدرهما أشار إليه بقوله أكلأ وشربأ هنيئأ لا غصص فيه وسهل الانحدار فهو فعليل بمعنى فاعل وجعله صفة للأكل والشرب مجاز في الإسناد إذ الهنيء هو المأكول والمشروب أو هنيئأ مفعول مصدر لفعله المحذوف أي هنتئم على البناء للمفعول إما دعاء أو خير وإن قرئ أكلأ بضم الهمزة وشربأ بكسر الشين فيكون هنيئأ صفة لمفعول به إذ الأكل هو المأكول والشرب هو المشروب فلا مجاز في إسناد الهنيء إليه والظاهر ما ذكرناه أولاً من أن الأكل يفتح الهمزة والشرب مصدران وهنيئأ أقيم مقام مصدريهما كما صرح به المصنف في أوائل سورة النساء وجعله صفة لهما لأن فعيلاً يستوي فيه الواحد فما فوقه وهنيئأ على الوجه الثاني مصدر لأن فعيلاً من صيغ المصادر مثل وجيف وجوز كون النذير (مصدراً بما قدمتم من الأعمال الصالحة الماضية)^(٢) من أيام الدنيا.

قوله تعالى: وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَ بِشَيْئِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَأَرْثَنَّ كَيْفَهُ ﴿٢٥﴾

لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة).

قوله تعالى: وَلَئِنْ أَدْرَىٰ مَا يَكْسِبُهُ لَيَنْتَهِ لَكُنَّ الْفَاضِيَّةُ ﴿٢٦﴾

قوله: (يا ليت الموتة التي منها) أي الضمير راجع إلى الموتة التي علم من سوق الكلام وإن لم يسبق ذكرها صريحاً.

قوله: (الفاطمة لأمرى) فلم أبعث بعدها أو يا ليت هذه الحالة) فالضمير للحالة التي شاهدها عند إتياء كتابه المفهوم حكماً وإن لم يسبق ذكره لفظاً.

قوله: وجمع الضمير للمعنى فإن من وإن كان مفرداً في اللفظ فهو مجموع في المعنى.

قوله: أكلأ وشربأ وزن هنيئأ فاعيل فإن اعتبر كونه صفة مشتقة يكون انتصابه على أنه صفة مصدر محذوف وذلك المحذوف مفعول مطلق لكلوا واشربوا وإن اعتبر كونه مصدرأ كالوجيف والبريق يكون نصبه على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره هنتئم هنيئأ.

قوله: يا ليت الموتة التي منها رجع الضمير إلى الموتة وهي وإن لم تكن مذكورة إلا أنها تظهرها في حكم المذكور وكذلك الوجه في رجعه إلى الحالة أو حياة الدنيا.

(١) والمعنى يقال لهم أو مقولاً فيها.

(٢) في الأيام أي في الأوقات الماضية.

قوله : (كانت الموتة التي قضيت علي كأنه صادفها أمر من الموت فتمناه عندها) تمنى أن يكون بدل هذه الحالة الموتة القاضية قوله التي قضيت على معنى القاضية على أن اللام اسم موصول واسم الفاعل بمعنى الماضي قوله كأنه صادفها الخ الأولى إسقاط كأنه أي لما صادف الحالة الشديدة تمنى الموت عندها لكن بالغ حيث تمنى أن تكون تلك الحالة الشديدة الموت والمراد أن يكون بدلها الموت قال قتادة تمنى الموت ولم يكن في الدنيا شيء أكره من الموت لأنها أعظم شراً منه ويطلب الموت مما هو شر منه .

قوله : (أو يا ليت حياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق حياً) أي الضمير راجع إلى الحياة الدنيا المفهوم من الفحوى حكماً قوله كانت الموتة الموتة بمعنى القاضية إذ معناها القاطعة للحياة سواء كانت قاطعة لها بعد وجودها أو قاطعة لها قبل وجودها بالمنع عن الوجود نحو ضيق فم البئر^(١) وإنما أخرى لأنه خلاف الظاهر لأن المتبادر هو المعنى الأول وحاصله ما ذكره المصنف ولم أخلق حياً في الدنيا وكنت باقياً على كونه تراباً ولم أكلّف كقولہ تعالى : ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾ [النبا : ٤٠] وفي المعنى الأول حاصله يا ليتني كنت تراباً فلم أبعث بعد الموت ويحتمل أن يكون المعنى يا ليتني كنت تراباً بعد البعث كسائر الحيوانات وما نحن فيه لا يجري هذا المعنى لقوله القاضية ولذا لم يتعرض له المصنف هنا والمعنى أيضاً يا ليت حياة الدنيا كانت بدلها الموتة وبهذا يكون مناسباً لما قبله مع بعده في الجملة ولذا قدم الثاني عليه فلا إشكال بأن هذا المعنى يناسب المعنى الأول في كون الموت قاطعاً للحياة فالأولى ذكره عقيه .

قوله تعالى : مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّ

قوله : (مالي من المال والتبعية وما نفى والمفعول محذوف أو استفهام إنكار مفعول لأغني) مالي من المال تبه به على أن ما في مالي موصولة واللام جارة والهاء للسكت ليعم المال والاتباع كما قال من المال والتبعية إذ الإغناء كما يكون بالمال يكون بالتبعية بل الاتباع لكونهم مبعوثين يظن إغناؤه ونفعه دون الأموال لفنائها وما نفى وهو الظاهر فحينئذ يكون المفعول محذوفاً حذف للاختصار مع التعميم أي شيئاً من الأشياء أو استفهام إنكار إيطالي فمآله النفي فيكون مفعولاً لأغني أي مفعول به أو مفعول مطلق قدم للصدارة أخرى لأن مآله

قوله : كأنه صادفها أمر من الموت فتمناه قبل لبعض الحكماء ما أشد من الموت فقال الذي يتمنى فيه الموت .

قوله : والمفعول به محذوف أي ﴿ما أغنى عني﴾ [الحاقة : ٢٨] مالي شيئاً من العذاب أي لم يدفع مالي عني من عذاب الله شيئاً .

قوله : أو استفهام إنكار مفعول لأغنى والمعنى أي شيء أغنى ما كان لي من اليسار .

(١) فلا وجه للإشكال بأن القاضية تقتضي تجدد أمر ولا تجدد في الاستمرار على العدم .

النفي فالأولى النفي ومراده إظهار التحسر والتندامة لا الخير إذ لا فائدة فيه وكذا قوله هلك فيكون مجازاً بإرادة لازمه أو إنشاء.

قوله تعالى: هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾

قوله: (ملكي وتسُلْطِي على الناس أو حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا) أي المراد به حجتي إذ السلطان بمعنى الغلبة والحجة ما يغلب به ورجح هذا بأن من أوتي كتابه لا يختص بالسلطين والمصنّف رجع الأول لأن السلطان ظاهر فيه والسلطان لا يراد به السلطان عرفاً بل المراد كل من تسلط على غيره ولو سلم الاختصاص فلا يضر لأن حال غيره يعلم بدلالة النص.

قوله تعالى: خَذُوا فَعْلَاوَهُ ﴿٣٠﴾

قوله: (يقوله الله تعالى لخزنة النار) أشار به إلى أن الكلام بتقدير القول والقائل هو الله تعالى إذ لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى أو من أمره به^(١).

قوله تعالى: تَرَى الْجَحِيمَ سَالُوهُ ﴿٣١﴾

قوله: (ثم لا تصلوه إلا الجحيم) إشارة إلى أن تقديم المفعول على الفعل للحصر. قوله: (وهي النار العظمى لأنه كان يتعظم على الناس) فالجزء الواقع له تعظيم عذابه لجمعه الكبير والتعاطف مع الشرك فيه إشارة إلى رجحان الوجه الأول في سلطانيته لشدة مناسبته لما بعده وقد عرفت أن حال غيره يعلم بدلالة النص قيل ولا ضير في كونه بياناً

قوله: ملكي وتسُلْطِي على الناس وبقيت فقيراً ذليلاً وعن ابن عباس أنها نزلت في الأسود بن عبد الأسد وعن فتاحسرو الملقب بالعضد أنه لما قال عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر لم يفلح بعده وجن وكان لا يتطلق لسانه إلا بهذه الآية قال الراغب السلاطة التمكن من القهر يقال سلطته فتسلط قال تعالى: ﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ [الحشر: ٦] ومته سمي السلطان والسلطان يقال في معنى السلاطة نحو ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً﴾ [الإسراء: ٣٣] وقد يقال لذي السلاطة وهو الأكثر وسمى الحجة سلطاناً لما للحق من الهجوم على القلوب لكن أكثر تسلطه على أهل العلم والحكمة من المؤمنين قال: يجادلونك في آيات الله بغير سلطان آتاهم وقوله تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ٢٩] يحتمل السلاطة وسلاطة النساء القوة على القتال وذلك في الدم أكثر استعمالاً.

قوله: ثم لا تصلوه إلا الجحيم معنى التخصيص مستفاد من تقديم المفعول على الفعل وهو صلوا المحذوف المفسر بصلوه تقديره الجحيم صلوا وصلوه المذكور يفسره وهو في إفادة التخصيص مثل قوله تعالى: ﴿وإياي فارهبون﴾ [البقرة: ٤٠] أي إياي أرهبا فارهبون.

(١) كونها حجة في زعمه وإلا فهي شبهة تزعج بها رسولنا عليه السلام في الدنيا بأن يقول شركاؤنا يشفعون لنا بالتقرب إلى الله تعالى مثلاً.

لحال بعض من أوتي كتابه بشماله كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْضُ﴾ [الحاقة: ٣٤] فكمن منهم من يحض على الطعام من أهل الشمال والمراد بالجحيم مطلق دار العذاب لا اسم طبقة منها لأن من أوتي كتابه بشماله عام لأنواع الكفرة بأسرهم حتى إلى المنافقين فالطبقة المخصوصة لنوع واحد منهم.

قوله تعالى: تُرْفِي سَلْسَلَةً دَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾

قوله: (أي طويلة) جعله كناية عن كمال الطول لأن السبعة والسبعين شاعت في التكثير^(١) والمبالغة فيه اختاره لأن فيه تهويلاً عظيماً وإن أمكن حمله على ظاهره لكن يفوت تلك المبالغة.

قوله: (فأدخلوه فيها بأن تلقوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة) فأدخلوه فيها أي فاسلكوا متعد بمعنى الإدخال والضمير راجع إلى من وحذف فيها أي في سلسلة جعل السلسلة طرفاً إذ السلسلة حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة ولا يتصور إدخال المشرك في كل حلقة حلقة بل المعقول عكسه فأشار المصنف إلى توجيهه فقال بأن تلقوها على جسده بيان لإدخاله في السلسلة فإنه يكون تلفها عليه حتى يكون داخلها وهو أي العاصي مرهق مضيق عليه بوزن اسم مفعول قوله لا يقدر على حركة بيان كونه مرهقاً من أرهقه عسراً بمعنى مغمى بها قوله وهو فيما بينهما غير ملائم لكونه محمولاً على القلب حيث جعل الكافر مستقراً فيما بين السلسلة أي فيما بين حلقتها وبعضهم حملوه على القلب كما في أدخلت إصبعي في الخاتم وأدخلت القلنسوة في رأسي وقد ذهب إلى القلب في قوله تعالى: ﴿إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ [غافر: ٧١] واعتبار القلب هنا أيضاً لم يبعد لتضمنه اعتباراً لطيفاً يعرف بالتأمل الأخرى.

قوله: (وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر أنواع ما يعذب به) كذا^(٢) في الكشف لكن الظاهر وتقديم في السلسلة ولا يعرف وجه إسقاط

قوله: طويلة يعني ليس المراد بوصف السلسلة بهذا الوصف تقدير طولها بهذا المقدار وإنما المراد به وصفها بالطول كما قال: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠] أي مرة كثيرة.

قوله: وهو فيما بينها مرهق أي مغمى بها من أرهقه إذا غشاه من رهقه إذا غشيه ويجوز أن يكون من أرهقه عسراً أي كلفه إياه يقال لا ترهقني لا أرهقك الله أي لا تعسر لي لا أعسرک الله أي وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة.

قوله: وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم أي هو مثله في إفادة التخصيص أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة كأنها أفضل من سائر مواضع الإرهاق الجحيم.

(١) والذرع في اللغة التقدير بالذراع يقال ذرع الثوب أي قدره بقراعه فحينئذ يظهر وجه قوله: ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ إذ الذرع غايير الذراع.

(٢) وفي الكشف سلكه في سلسلة أن تلوى على جسده حتى تلتصق عليه أثناءها وهو فيما بينها.

كلمة في فالمعنى ثم لا تسلكوه إلا في سلسلة مستثنى من عموم الظرف والفاء في فاسلكوه ليس للعطف بل هي جزائية كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ فَكْبَرٌ﴾ [المدثر: ٣] قال المصنف هناك فكانه قال وما يكن من شيء فكبر ربك فالمعنى هنا ثم ما يكن من شيء ففي سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً أسلكوه ومثل هذا الكلام يفيد المبالغة في وقوع الجزء أي الأمر بالسلك فلا يلزم توارد حرفي عطف على معطوف واحد فتقديم في سلسلة على الفعل للتخصيص وتقديمه على الفاء بعد الشرط إذ محل الفاء في سلسلة كما عرفت في توضيح المعنى لأنه للتعويض عن الشرط المحذوف مثل أما زيد فمنطلق كما يجب توسط الفاء هناك يجب أيضاً هنا فمراد المصنف بالتقديم التقديم الأول قال في قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهِ فليتوكل المتوكلون﴾ [يوسف: ٦٧] جمع بين حرفي العطف في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص أي صح ذلك الجمع لانتفاء توالي الحرفين بذلك ويمكن أن يقال مثل ذلك ههنا فإنه لما قدم في سلسلة على ﴿فاسلكوه﴾ [الحاقة: ٣٢] للاختصاص لم يلزم توالي حرفي عطف^(١) فصح الجمع وثم لإفادة التفاوت والفاء لإفادة التعقيب.

قوله: (وتم لتفاوت ما بينهما في الشدة) أي بين المعطوف والمعطوف عليه وهو الغلة أي جمع اليبين والتصلة^(٢) بالبحيم في الأول وبين التصلة وبين السلك في السلسلة والتصلة أشد من الغل والسلك أشد من التصلة وإنما حملة على التراخي الرتبي.



قوله تعالى: إِنَّكُمْ كَأَن لَّيُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ

قوله: (تعلييل على طريقة الاستئناف للمبالغة) فإنه جواب لسؤال لم يستحق هذا فأجيب ببيان سببه وهو عدم الإيمان بالله تعالى وعدم إطعام المساكين فالمراد تعلييل بالعلة اللمية قوله للمبالغة في بيان عظم جرمه والاستئناف أبلغ من التصريح لأن السؤال المقدر فيه تكثير المعنى مع تقليل لفظه وأن الشيء بعد السؤال والطلب يتقرر في الذهن كمال التقرر.

قوله: (وذكر العظيم للإشعار بأنه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك) فمن تعظم أي تكلف في العظمة في الدنيا واستنكف عن الإيمان استوجب أي استحق ذلك.

قوله: (وتم لتفاوت ما بينهما في الشدة أي لفظ ثم للتفاوت الرتبي لا الزماني أي للدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلة وما بين التصلة بين السلك في السلسلة فبدل على أن ما بعدها أشد مما قبلها).

قوله: تعلييل على طريقة الاستئناف للمبالغة وجه المبالغة كون ما سبق من الكلام مظنة للسؤال عن السبب الخاص للحكم فإن الأمر بأغلظ العذاب يخطر بالبال أن سببه أشد الجرائم فلما أجيب بأنه لا يؤمن بالله يعلم منه أن ترك الإيمان به تعالى من أشد الإجرام وأغلظها.

(١) أي لم يلزم الجمع هكذا ثم ﴿فاسلكوه﴾ وهو المحذوف.

(٢) والتصلة إدخال النار مع الإحراق فهي أخص من الإدخال ولذا اخترت على الإدخال.

قوله تعالى: وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿٣٤﴾

قوله: (ولا يحض على بذل طعامه أو على إطعامه فضلاً أن يبذل من ماله ويجوز أن يكون ذكر الحض للإشعار بأن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل) ولا بحث غيره على بذل طعامه أشار إلى أن المضاف مقدر وهو البذل إذ الحث إنما يكون على الفعل أو الطعام بمعنى الإطعام فوضع الاسم موضع المصدر ولو جعل من قبيل ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ [المائدة: ٣] الآية من غير تقدير مضاف كما هو مذهبنا لم يعدد قوله فضلاً أن يبذل من ماله ففيه مبالغة في الوصف بالبخل قوله فكيف بتارك الفعل فإن العذاب عليه أولى يدل عليه النظم الجليل بدلالة النص.

قوله: (وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع) بمعنى أنهم يعاقبون على تركها فإنها تجب عليهم بتحصيل شرطه وهو الإيمان بالله تعالى كما أن المحدث بالحدث الأصغر أو الأكبر يجب عليه الصلاة بتحصيل شرطه وهو الوضوء أو الغسل ولا يكلف بالأداء حال الكفر اتفاقاً قد مر هذا البحث مراراً.

قوله: (ولعل تخصيص الأمرين بالذكر لأن أقبح العقائد الكفر بالله) لأن قبحه لذاته فلا يرتفع بعذر أصلاً وإدخال كان على لا يؤمن لإفادة الاستمرار إلى أن يموت على الكفر ويدخل في الكفر بالله الكفر بسائر المؤمنين به والتخصيص لأن الكفر بالله تعالى بوجوده أو بوحديته وسائر صفاته العلى أشنع من سائره.

قوله: (وأشنع الرذائل البخل) وهو إمساك بذل المال فيما يجب بذله وفيما يحسن بذله مروءة والمراد في النظم الأول ويحتمل العموم وكونه أشنع الرذائل وأقبح الخلق لكونه منشأ لأمور قبيحة مثل ترك الزكاة والحج بل ترك الصلاة فيما يحتاج إلى صرف المال وحب الدنيا والحسد والغضب وغير ذلك وكون الكبر أقبح الخصال الذميمة لكونه منازعاً له تعالى.

قوله: (وقسوة القلب) كعطف تفسير للبخل أو عطف العلة على المعلول لأن قسوة القلب مثل في بعده عن الاعتبار والمرحمة وأصلها عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر والحاصل أنه جمع بين أقبح العقائد وأقبح الأخلاف والأعمال.

قوله: وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع أي بفروع الشرائع من الصوم والصلاة والزكاة وجه الدلالة أن الحث على الإطعام من جملة الفروع كما فعل منها فقوله: ﴿إنه لا يؤمن بالله العظيم﴾ [الحاقة: ٣٣] إشارة إلى فساد القوة العلمية وقوله: ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ [الحاقة: ٣٤] إشارة إلى فساد القوة العملية.

قوله: لأن أقبح العقائد الكفر بالله وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فلذلك استحق فاعلهمم بأبشع العذاب وأفظعه.

قوله تعالى: فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾
(قريب يحميه).

قوله تعالى: وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينِ ﴿٣٦﴾

قوله: (غسالة أهل النار وصديدهم) عطف تفسير للغسالة بضم الغين ما يسيل من صديدهم.
قوله: (فعللين من الغسل) قيل هو من أوزان الأسماء كصفين فالياء والتون زائدتان
وسيجيء من المصنف التلقيب بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾
(الغاشية: ٦ الآية).

قوله: (لا يأكله إلا الخاطئون) صفة غسلين أو استئناف والظاهر أن المراد بالأكل
الشرب لأن الغسلين ما يسيل من الصديد وهو المشروب كما قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا
بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا﴾ [النبا: ٢٤، ٢٥] الآية والغساق هو الصديد.

قوله تعالى: لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾

قوله: (أصحاب الخطايا من خطيء الرجل إذا تعدد الذنب لا من الخطأ المضاد
للصواب وقرئ: الخطايون بقلب الهمزة ياء والخطاؤون بطرحها) من خطيء الخ هذا
التفصيل بناء على قول أبي عبيدة من أن أخطأ^(١) وخطأ لغتان بمعنى واحد وأما القول بأن
الخطأ المضاد للصواب ففعله أخطاء فهو مخطيء وأما الخطاىء فهو من خطيء يخطأ من
باب علم فعلى هذا القول لا يحتاج إلى التفصيل وإنما تعرضه للتوضيح قوله بطرحها أي
بطرح الهمزة بعد قلبها ياء ولم يلتفت إلى القول بأنه من خطأ يخطو بمعنى تجاوز من الحق
إلى الباطل لعدم دلالاته على المقصود إلا كناية فإنه حينئذ يكون كناية عن المذنبين والمراد
بالخطاؤون الكافرون والتعبير به لدمهم بوجه آخر وهذا أيضاً بيان عذابهم بنوع آخر إثر بيان
أنواع عذابهم من الإحراق والغل والسلسلة.

قوله: من خطيء الرجل ومصدره الخطيء بالكسر وهو الذنب ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ قَتَلْتُمْ
كَانَ خَطَأً كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١] أي إنما والأسم منه الخطيئة والخطأ بفتححتين مصدر أخطأ في
الأمر أي ارتكب الخطأ وفيه معنى السهو ولذا لا يقتصر فاعله في الدم.

قوله: قريب يحميه قال صاحب الكشف فليس له اليوم هنا حميم الجار والمجرور خير ليس
ليصح قوله: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينِ﴾ [الحاقة: ٣٦] ولا يكون الخير هنا لأنه بصير التقدير ولا
طعام هنا إلا من غسلين وهو غير جائز إذ هناك طعام غير غسلين أقول فيه نظر لأنه لا بد من تقدير
له وهما في المعطوف فإن المعطوف يشترك المعطوف للمعطوف عليه في حكم القيد والخير والمعنى
ولا له طعام هنا فحينئذ يكون المحصر في حق الكافر المخصوص سواء كان الخير هنا أوله فلا
ينافي أن يكون لغيره طعام هناك غير غسلين كما هو المعنى بالمحصر في كون الخير له فقط.

(١) أي الثلاثي والمزيد بمعنى واحد يستعمل كل منهما في الخطأ بمعنى تعدد الذنب وفي الخطأ ضد العمد.

قوله تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ بِمَا تُبَيِّرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿وَمَا لَا تُبَيِّرُونَ﴾ ﴿٣٩﴾

قوله: (لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق بالقسم) أي الكلام على ظاهره من أن لا نافية والمنفي القسم قوله لظهور الأمر أي كون القرآن قول رسول الخ.

قوله: (أو فأقسم أي لا زائدة) فالقسم مع ظهور أمره لرد كلام المنكرين بأبلغ الرد أو نزول ظهوره منزلة عدم ظهوره لكثرة المرتابين وإن كان ظاهراً في نفسه لاشتماله أنواع البلاغة وأصناف البراعة والظهور وعدم الظهور تختلفان بالإضافة فترك القسم بالنظر إلى ظهوره في نفسه والقسم بالنسبة إلى عدم ظهوره بالنسبة إلى المنكرين فلا إشكال أصلاً.

قوله: (أو فلا رد لإكثارهم البعث وأقسم ولا مستأنف) أي لا نافية كما في الأول والفرق أن المنفي هناك القسم وهنا المنفي المحذوف أي فلا يكون الأمر كما زعمتم من إنكار البعث فحينئذ يكون القسم كلاماً مستأنفاً أي مبتدأ غير متصل بما قبله فالمراد الاستئناف النحوي والغاء للسببية لأن بيان وقوع القيامة وأحوال السعداء وعذاب الأشقياء في ذلك اليوم سبب للقسم على أن القرآن الناطق بوقوع يوم الجزاء قول رسول كريم الخ فهذا القسم مقرر لما قبله بهذا الاعتبار واتضح بهذا البيان اتصاله بما قبله.

قوله: (بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات بأسرها) يتناول الخالق لأنه من المغيبات لكن أقيم عليه برهان فتقديم بما تبصرون مع أن الخالق مما لا تبصرون لأن المشاهدات دليل عليه وحق الدليل التقديم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿٤٠﴾

قوله: (أي القرآن) فإنه وإن لم يسبق ذكره لكن ما بعده يدل عليه فهو مذكور حكماً. قوله: (يبلفه عن الله فإن الرسول لا يقول عن نفسه) إشارة إلى دفع إشكال بأن الإضافة إلى رسول لأدنى ملازمة لكونه مبلغه والتعبير به لمناسبة ما بعده وقبل الإضافة الاختصاصية تدل على أن اختصاصه من جهة التبليغ وهذا تكلف ومثل هذه الإضافة لأدنى ملازمة كما في نظائره.

قوله: (على الله وهو محمد أو جبريل عليهما السلام) وهو محمد عليه السلام قدمه لأنه قول الأكثر وسره هو أن قوله تعالى: ﴿وما هو بقول شاعر ولا بقول كاهن﴾

قوله: وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أو جبريل أي رسول في ﴿لقول رسول﴾ [الحاقة: ٤٠] محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أو جبريل لأن كلا منهما موصوف بالرسالة لكن المقام يقتضي أن يكون المراد به محمداً ﷺ لإردافه بقوله: ﴿وما هو بقول شاعر﴾ [الحاقة: ٤١] فإن القوم يتسبون الشعر والكهانة إليه عليه الصلاة والسلام لا إلى جبريل بخلاف ما في سورة التكويد فإن المقام هناك يستدعي أن يكون المراد بالرسول جبريل إذ ذكر هناك بعد الآيات ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ [التكوير: ٢٥] كان المعنى أنه لقول ملك كريم لا قول شيطان رجيم.

[الحاقة: ٤١، ٤٢] إنما كان في حقه عليه السلام لا في شأن جبريل عليه السلام لأن من تحدثهم وأعجزهم هو النبي عليه السلام وفي سورة التكويد حمله على جبريل عليه السلام فقط لقوله تعالى: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ [التكويد: ٢٢] والمقصود إثبات حقبة القرآن على أن القرآن لبلاغته يدل على حقيقته أيضاً.

قوله تعالى: وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

(كما تزعمون تارة).

قوله: (تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقاً قليلاً لفرط عنادكم) تصدقون الخ أشار به إلى أن قليلاً منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف وإن القلة بمعناها الظاهر لا بمعنى العدم والنفي كما قاله الزمخشري وقد ادعى أبو حيان أن قليلاً إذا كان منصوباً لا يجوز أن يكون في معنى النفي وإنما كان ذلك إذا كان مرفوعاً كقوله قليل من الأصوات إلا فاعها وصرح في سورة الملك كون قليلاً في معنى النفي^(١) فرحم الله تعالى من لقن بين الكلامين وأيضاً قيل هذا دعوى لا نسمع على مثل الزمخشري بغير دليل وقد يجعل قليلاً صفة لزمان محذوف والناصب تؤمنون وتذكرون وما مزيدة أشار إليه المصنف ونقل عن ابن عطية أنه قال يحتمل أن تكون نافية ومصدرية.

قوله تعالى: وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾

قوله: (كما تزعمون أخرى) أي مرة أخرى إشارة إلى اضطرابهم.

قوله: (تذكرون تذكراً قليلاً فلذلك يلتبس الأمر عليكم وذكر الإيمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين لا ينكرها إلا معاند) فلا عذر في ترك الإيمان.

قوله: لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين والحاصل أن كون القرآن غير مماثل للشعر أمر ظاهر مكشوف فالقول بأنه شعر قول صادر من محض الجهل وعدم الشعور بالأمر الظاهر فيناسبه نفي أصل العلم المستفاد من ﴿قليلاً ما تؤمنون﴾ [الحاقة: ٤١] فإن القلة يستعمل كثيراً في مقام النفي وأما القول بأنه كهانة فإنما هو ناشئ من عدم التذكر في الدلائل إذ لو تذكر فيها لانتبه على أن أسلوبه ومعانيه ليس على طريق الكهانة فيناسبه نفي التذكر المفهوم من ﴿قليلاً ما تذكرون﴾ [الحاقة: ٤٢] وهذا الذي ذكره رحمه الله من وجه المناسبة مذكور في التفسير المسمى بكشف الحقائق فإنه قيل هناك قال الله تعالى في نفي الشاعرية ﴿قليلاً ما تؤمنون﴾ [الحاقة: ٤١] وفي نفي الكاهنية ﴿قليلاً ما تذكرون﴾ [الحاقة: ٤٢] كأنه تعالى قال ليس هذا القرآن قولاً من شاعر لأنه مباهن لصنوف الشعر وقواعدها إلا أنكم لا تؤمنون أي لا تقصدون الإيمان فلذلك تعرضون عن التدبر ولو قصدتم لعلمتم كذب قولكم إنه شاعر ولا أيضاً قولاً من كاهن لأن ذلك الهام الشياطين إلا أنكم لا تذكرون كيفية نظم القرآن واشتماله على شتم الشيطان.

(١) إذا كان الخطاب للكفار وهنا الخطاب لهم متعين.

قوله: (بخلاف مبادئه للكهانة فإنها تتوقف على تذكر أحوال الرسول ومعاني القرآن المناهية لطريقة الكهانة ومعاني أقوالهم) لف وتشر مرتب فالكاهن بصدق ثارة في إخباره الغيب ويكذب كثيراً ويأخذ الجعل والأجرة على ذلك ويقتصر على من يسأله بخلافه عليه السلام في ذلك كله وأيضاً معاني القرآن كلها مطابقة للواقع ومعاني الكهانة أكثرها كاذبة خاطئة وأيضاً معاني القرآن بلغت في البلاغة إلى حد الإعجاز كنظمه بخلاف معاني الكهانة فالالتباس إنما هو على الحمقاء قبل التذكر إذ منشأ الالتباس إخبار الكاهن بعض المغييات بإلقاء الجن بكلام مشور فهو وإن وقع الأمر كما قال مرة لكنه لم يقع ألف مرة.

قوله: (وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء فيهما) أي على الالتفات.

قوله تعالى: نَزَّلَ مِنْ رَبِّكَ آيَاتٍ ۝٤٣

قوله: (هو تنزيل) أشار به إلى أن تنزيل خير لمبتدأ محذوف وتنزيل بمعنى منزل والجملة مستأنفة مسوقة لرد القول المذكور بأنه منزل من رب العالمين نزله على لسان جبريل بعد الرد بأنه قول رسول كريم فهذا يشبه باب الترقى.

قوله: (نزله على لسان جبريل) إشارة إلى وجه إضافته إلى الرسول ولو قال على محمد عليه السلام بعد قوله على لسان جبريل لثم الإشارة.

قوله تعالى: وَكَوْنُ لَقَوْلٍ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوَالِ ۝٤٤

قوله: (سمي الافتراء تقولاً لأنه قول متكلف والأقوال المفتراة أقاويل تحقيراً بها كأنها جمع أفعولة من القول كالأضاحيك) سمي الافتراء أي الكذب على الغير تقولاً من باب التفعّل لأنه قول متكلف وللإشارة إليه قيل تقول من التفعّل ولم يجرىء ولو قال والأقوال المفتراة أي وسمي الأقوال المفتراة أقاويل ولم يجرىء الأقوال تحقيراً بها لأن هذه الصيغة إنما تستعمل في الأمور الغريبة المحقرة قوله كأنها جمع أفعولة جواب إشكال بأن هذا الجمع مختص بوزن أفعولة ولم يجرىء أقوولة فأجاب بأنه جمع على الغرض والتقدير كما

قوله: وهو تصوير لأهلكتنا يعني هذا الكلام من باب التمثيل ليس تمة أخذ باليمين ولا وتين ولا قطع حقيقة بل المراد أهلكتنا على وجه الفظاعة أي لو كذب وافترى علينا لأمتناه.

قوله: والأقوال المفتراة أقاويل تحقيراً بها يعني صيغة الأفاعيل في الجمع إذا لم يكن جمع الجمع كالأنعام تختص بما يحقر به فسمى الأقوال المفتراة بها تحقيراً هذا إذا كان الأقاويل جمع أقوولة كالأعاجيب والأضاحيك في جمع أعجوبة وأضحوكة ومعنى التحقير مستفاد من لفظ مفردة لا من لفظ وزن الأفاعيل فإنه يمكن أن يكون جمع الجمع على أن يكون جمع أقوال جمع قول ولذا قال رحمه الله كأنها جمع أفعولة من القول حيث لم يقع بأنها جمع أفعولة وفي الكشف وسمى الأقوال المنقولة أقاويل تصغيراً بها وتحقيراً كالأعاجيب والأضاحيك كأنها جمع أفعولة قال صاحب الانتصاف هو معنى غريب خارج عن قياس التصريف ويحتمل أن يكون الأقاويل جمع جمع كالأنعام.

قالوا في أحاديث جمع أحذوثة على الفرض فكذا هنا وإنما قال كأنها لاحتمال أنه جمع الأقوال جمع قول كأناعيم جمع أنعام جمع نعم فحيثل التحقير مستفاد من كونه جمعاً على وزن جمع أفعولة وهذا كاف في مقام الخطابي.

قوله تعالى: لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾

قوله: (بيمينه) أي اللام عوض عن المضاف إليه والمراد باليمين يمين المفتري المقتول وأنه تفصيل بعد الإجمال لأنه بيان لأخذنا منه فيكون كقوله تعالى: ﴿وَرَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥].

قوله تعالى: ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾

قوله: (أي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لإهلاكه بأفطع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو أن يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده) وهو تصوير لإهلاكه أي أنه استعارة تمثيلية والهيئة المشبه بها ما أشار إليه بقوله وهو أن يأخذ القتال بالقالف واللام أي الجلاذ قوله بيمينه أي يمين من أريد قتله ويكفحه بالفاء والحاء المهملة يعني يواجهه بالسيف ويضرب جيده بكسر الجيم وسكون الياء العنق والهيئة المشبهة إهلاك الله بإزائل المصيبة العظيمة وهم يرونها فذكر اللفظ المركب المستعمل في الهيئة المشبهة بها وأريد الهيئة المشبهة قوله بأفطع أي بأشد إذ القتل مواجهة مع النظر إلى السيف أشد وأمر وإذا أخذ بيساره وضرب عنقه من خلفه كان أهون في الجملة.

قوله: (وقيل اليمين بمعنى القوة) فالمعنى حيثل لسلبنا منه القوة والباء على هذا يكون صلة كما أشرنا إليه آنفاً واليمين مجاز في القوة بذكر اللزوم وإرادة اللزوم لأن اليمين يلزمه القوة في الأغلب وجه التمريض ظاهر مما ذكرناه^(١) وقيل ويصير قوله منه زائد وهو ضعيف إلا أن يراد باليمين^(٢) يمين الأخذ بل الزائد لفظة الباء.

قوله تعالى: فَمَا يَسْكُرِينَ أَلَمْ يَعْلَمُوا حَيْثُ يَنْزِلُ السَّيْلُ ﴿٤٧﴾

قوله: (عن القتل) أي لا يمنع أحد عن قتله.

قوله: (أو المقتول) أي لا يحول بيننا وبين المقتول أحد ولا بد من هذا التأويل حيثل فالوجه الأول هو الراجح ولذا قدمه ثم الظاهر أن المراد بالقتل أو المقتول الإهلاك

قوله: أي نياط قلبه أي عروق قلبه المتصلة بالرأس فإن الوتين هو العرق المتصل من القلب بالرأس إذا قطع مات الحيوان.

قوله: وقيل اليمين بمعنى القوة فحيثل تكون الباء في اليمين مزيدة والمعنى سلبنا منه قوته.

(١) وأيضاً يفوت التصوير المذكور.

(٢) فإذا أريد يمين الأخذ يكون من زائدة والياء للالة.

والمهلكين والتعبير بالقتل إشارة إلى التصوير المذكور وكلمه من في من أحد صلة .

قوله : (دافعين وصف لأحد فإنه عام والخطاب للناس) وصف لأحد وهذا على لغة بني تميم وهي إن ما المشبهة بليس لا يعمل عندهم فعلى هذا إن من أحد مبتدأ ومن زائدة ومنكم خبره وحاجزين صفة لأحد مجرور حملاً على لفظ أحد وجمعه لأن أحداً في سياق النفي يعم وإن همزة أحد أصلية غير مبدلة من الواو معناه أن يصلح لأن يخاطب واحداً أو جمعاً مذكراً أو مؤنثاً فعلى هذا يكون عاماً وإن لم يقع في سياق النفي لكن مختار المصنف عمومه لوقوعه في سياق النفي كما أشار إليه في آخر البقرة والإعراب عند الحجازيين أن من أحد اسم ما وحاجزين منصوب بالخبرية لها^(١) ومنكم على هذا حال وعنه متعلق بحاجزين على الوجهين والخطاب للناس هذا إذا أريد بالقتل قتل الملك حقيقة لا إشارة إلى إهلاك الله تعالى فحينئذ يكون المجموع من حيث المجموع تصوير إهلاكه فقوله فما منكم الخ من تنمة الكلام المستعار للمثبه .

قوله تعالى : وَإِنَّ لِّلذِّكْرِ لَلْشَّقِيقِينَ ﴿٤٨﴾

قوله : (وإن القرآن) ﴿للتذكرة للمتقين﴾ لأنهم المتصفون به) وإن القرآن الخ بيان حكمة الإنزال وإن غير المتقين لحرمانهم الانتفاع به قال ما قال من أنه قول شاعر وكاهن والمتقون هم المشارفون للتقوى أو المتقون بالفعل والتذكرة للزيادة على ما كانوا عليه .

قوله تعالى : وَإِنَّا لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ مَنكُم مُّكْذِبِينَ ﴿٤٩﴾

قوله : (فيجازيهم على تكذيبهم) لأن العلم المتعلق بالشيء متعلقاً حادثاً بأنه وقع يترتب عليه الجزاء .

قوله تعالى : وَإِنَّ لَّحَسْرَةً عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾

قوله : (إذا رأوا ثواب المؤمنين) أي المراد حسرتهم وندامتهم في الآخرة .

قوله تعالى : وَإِنَّ لَّحَقَّ الْيَقِينَ ﴿٥١﴾

قوله : (اليقين الذي لا ريب فيه) أي لا ينبغي أن يرتاب فيه لا أن أحداً لا يرتاب

قوله : فإنه عام لتعليل لوصف المفرد بالجمع .

قوله : إذا رأوا ثواب المؤمنين به أي بالقرآن هذا على رجع ضمير أنه إلى القرآن ويجوز أن يكون راجعاً إلى تكذيبهم بالقرآن كما قال مقاتل وإن تكذيبهم بالقرآن لحسرة عليهم ودل عليه قوله : ﴿وإن منكم مكذبين﴾ [الحاقة : ٤٩] .

قوله : لليقين الذي لا ريب فيه لليقين بفتح اللام الأولى وهي اللام في لحق أدخله على

(١) ولا يجوز أن يكون خير ما لأن خبر المبتدأ إذا تقدم بطل عمل ما عندهم .

فيه لكثرة المرتابين وفي قوله اليقين الذي الخ تنبيه إلى أن إضافة الحق إلى اليقين من إضافة الصفة إلى الموصوف أي اليقين الحق على أنه صفة مادية لأن كل يقين وهو العلم الذي لا يحتمل النقيض أصلاً يوصف بالحق أي الثابت الذي يطابق الواقع هذا هو الأصل وهنا أريد به القرآن حيث حمل عليه فهو بمعنى المتيقن المجزوم مجازاً ذكر المتعلق بكسر اللام وأريد المتعلق قال الإمام وإنه لحق اليقين معناه أنه حق يقين أي حق لا بطلان فيه ويقين لا ريب فيه ثم أضيف أحد الوصفين إلى الآخر للتأكيد وفيه خفاء إذ المراد باليقين المتيقن به وهو موصوف لا صفة فالصواب ما ذكرناه من أن الحق صفة مادية للمتيقن به لا تقييد فقوله اليقين المتيقن به الذي لا ريب فيه إشارة إلى ما ذكرناه من أنه موصوف والحق صفته.

قوله تعالى: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

قوله: (فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيهاً له عن الرضاء بالتقول عليه وشكراً على ما أوحى إليك) فسبح الله أي المفعول محذوف بذكر اسمه بتقدير المضاف العظيم وصف لاسمه لدلالته على العظيم قوله عن التقول عليه الخ إشارة إلى ارتباطه بما قبله وقد مر الكلام في أواخر سورة الواقعة.

قوله: (عن النبي ﷺ من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حساباً يسيراً) حديث موضوع. الحمد لله الذي أنعمنا بإتمام ما يتعلق بسورة الحاقة. بالطافه العميمة الحاقة. والصلاة والسلام على رسولنا المجتبي. وعلى آله وأصحابه المرتضى. تمت في يوم الاثنين بعد العصر من صفر الخير في سنة ١١٩٢.

المفسر ونفي الريب مستفاد من إضافة الحق وإن كان اليقين نفسه ينفي الريب لأن العلم اليقين هو التصديق الجازم المطابق للواقع الحاصل بنفي الشك فالمراد بحق اليقين زيادة اليقين والحق أن اليقين قابل للزيادة والنقصان فإن من المعلوم أن تصديق أبي بكر بالقرآن في كمال الجزم ليس كتصديق عوام المؤمنين وفي كشف الحقائق «وإنه لحق اليقين» [الحاقة: ٥١] أي لحق لا بطلان فيه ويقين لا ريب فيه ثم أضيف أحد الوصفين إلى الآخر للتأكيد وفي الكشف وإن القرآن لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين تم كلامه اليقين اسم لعلم تقدمه ليس وإذا لم يتقدمه ليس لا يكون يقيناً من يقن الماء في الحواض إذا استقر فيه وسكن والمناسبة أن استقرار الماء وسكونه إنما يكون بعد الحركة والعلم كالماء فمادام في الشك واللبس لا يخلو عن اضطراب وحركة حاصلة من تردد قلب واختلاج رأي فإذا حصل بعده يقين سكن النفس واطمأنت. تمت السورة الحمد لله على توفيقه. مستعيناً بالله أشرع وأقول.

سورة المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة المعارج مكية وآبها أربع وأربعون) مكية بالاتفاق وهي أربع وأربعون وفي التيسير ثلاث وأربعون وما ذكره المص مختار وأكثر المفسرين كشاف وغيره.

قوله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾

قوله: (أي دعا داع به بمعنى استدعاء) والباعث على هذا التفسير تعديته بالياء قال في سورة الفرقان والسؤال كما يعدي بمن لتضمنه معنى التفتيش يعدي بالياء لتضمنه معنى الاعتناء وما ذكره هنا لا يلائم ذلك قوله بمعنى استدعاء أي الطلب.

قوله: (ولذلك عدي الفعل بالياء) أي لكونه بمعنى الاستدعاء عدي الفعل بالياء مثل قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ أَمْنِيْنٍ﴾ [الدخان: ٥٥] ولم يلتفت إلى كون الباء زائدة فيكون السؤال يتعدى بنفسه أو بمعنى عن فيكون متعدياً بمن وكلاهما مشهوران في الاستعمال لأنه خلاف الظاهر إذ كون الباء زائدة في المفعول به غير متعارف وكونها بمعنى عن قليل في الاستعمال فالتصرف في السؤال بحمله على معنى الدعاء بمعنى الاستدعاء والطلب أولى لأنه بهذا المعنى شائع الاستعمال والظاهر أنه حقيقة ويحتمل المجاز.

قوله: (والسائل نضر بن الحارث فإنه قال: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ وَآتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْقُرْآنُ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ يَا اللَّهُ ولم يكن أساطير الأولين فأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ عقوبة على

سورة المعارج

مكية وآبها أربع وأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: ولذلك عدي الفعل بالياء لما كان سأل هنا متعدياً بالياء وهو مما يتعدى بنفسه صير إلى التضمين ضمن سأل معنى دعا يقال دعا به إذا استدعاء وطلبه وفي الكشف ضمن سأل معنى دعا فعدي بتعديته كأنه قيل دعا داع بعذاب واقع قال الواحدي الباء في ﴿بعذاب﴾ [المعارج: ١] زيادة للتوكيد كقوله تعالى: ﴿وهزي إليك يذراع النخلة﴾ [مریم: ٢٥] والمعنى سأل سائل عذاباً واقعاً.

إنكارنا وهذا الطلب لكونه جاز ما لكونه أساطير الأولين فعلى هذا السؤال واقع في الماضي لكن كون العذاب واقعاً على هذا وعلى ما بعده لتحقق وقوعه في الآخرة وأما لكون جنسه واقعاً في الدنيا فغير مناسب لأن وقوع جنسه غير وقوعه.

قوله: (أو أبو جهل فإنه قال: «فأسقط علينا كسفاً من السماء» [الشعراء: ١٨٧])
أخره لأن الأول قول الجمهور فأسقط علينا كسفاً من السماء أي قطعة منها والظاهر من سوق تلك الآية أن هذا قول أصحاب الأيكة لشعيب عليه السلام.

قوله: (سأله استهزاء) ناظر إلى القولين.

قوله: (أو الرسول عليه السلام استعجل بعذابهم) أي دعا عليهم بعد اليأس عن إيمانهم وكمال أذاهم أخره تنبيهاً على ضعفه لأنه عليه السلام دعا لهم في الأحد بقوله اللهم اهد قومي فإنهم لا يعرفون مع كمال أذيتهم في ذلك اليوم.

قوله: (وقرأ نافع وابن عامر سال) بوزن قال أجوف واوي وهو إما من السؤال بالواو الصريحة بكسر السين وضمها وفي كتاب سيبويه أن لغة أهل الحجاز همزة وأن الألف مبدلة من الهمزة وأنه على خلاف القياس المقصور على السماع وكيف لا وقد ورد القرآن بخلافه وهو قد نزل على لغة قريش إلا ما ندر يعني أن إبدال الهمزة ألفاً في اختيار الكلام ليس بقياس بل هو مقصور على السماع فعلم من كلام سيبويه أن كون الواو فيه أصلية على لغة قريش منظور فيه وما في الكشف من أن فعله أجوف واوي فليس بتام والظاهر أن المصنف تبع فيه صاحب الكشف فقله إما من السؤال بالواو الصريحة فسال بوزن قال مشتق منه لكن معناه بمعنى المهموز قال الفاضل المحشي ويمكن أن يقال لا منع في كلام المصنف عن كون السؤال مهموزاً والمراد أنه على لغة قريش في الهمزة والتخفيف كما يدل عليه إنشاء بيت حسان فيتضمن كلامه الرد على الزمخشري لكن يرد عليه أن إبدال الهمزة ألفاً في اختيار الكلام ليس بقياس فانظر ما وقع في حل كلامه من الاضطراب يتحير منه أولو الأبواب فالأولى أنه تبع فيه الزمخشري واختار كونه أجوفاً واوياً إذ الزمخشري من أئمة اللغة فلا يناقش بأن كلامه مخالف لكلام سيبويه وغيره من أئمة اللغة على أن بعض المحشي قال لما روي أن سيبويه قال إن لغة قريش أن يقولوا سلت تسال كخفت تخاف

قوله: (وقرأ نافع وابن عامر سال بالألف نحو هاب وخاف وهو إما من السؤال قلبت الهمزة ألفاً على لغة قريش ولا يجوز ذلك في غير تلك اللغة غايته أن تجعل بين بين وقال أبو علي من قرأه سال غير مهموز جعل الألف متقلبة عن الواو التي هي عين الفعل مثل قال وخاف وحكى أبو عثمان عن أبي زيد أنه سمع من يقول هما متساولان وقال ابن مالك ليس سال في القراءات مخففاً من سال إنما هو مثل هاب وقول الزمخشري وهو لغة قريش يقولون سلت تسأل وهما متسايلان قريب من هذا القول ومن أبيات الكتاب قول حسان سألت هذيل البيت استدعى هذيل من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينتج لهم الزنا فقال حسان ذلك أو من السيلان وعلى كلتا القراءتين ينبغي أن يكون سائل بالهمز إما أن يكون مهموزاً فظاهر وإن كان أجوفاً تكون مثل قائل وبائع.

وإن ألف سال يسأل منقلبة عن الواو وأنهم يقولون هما يتساولان والهمزة على هذا منقلبة عن الواو كالهزمة في خائف وخطأ الجاربردي صاحب الكشاف في قوله هما يتسايلان حيث قال الصواب يتساولان بالواو انتهى . والمعدة عليه فحينئذ لا يرد عليه شيء أصلاً وقد نقل بعض أرباب الحواشي خلافه من سيويه ولعلهما رواية عنه .

قوله : (وهو إما من السؤال على لغة قريش قال :

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سألت ولم تصب)

قال أي حسان :

سالت هذيل رسول الله عليه السلام فاحشة ضلت هذيل بما سألت ولم تصب

مراده هجو هذيل حيث سألوا أن يبيع لهم الزنا إذ الفاحشة شاعت في الزنا بالغلبة يحتمل أن يكون سألت مهموزاً بقلب الهمزة ألفاً لضرورة الشعر وأن يكون أجوفاً وأوياً فألفه منقلبة عن الواو فهذا استشهاد على ما ذكره المصنف في كلا الوجهين وليس بصريح في الاحتمال الأول فما قاله الفاضل السعدي من أن مراد المصنف أنه على لغة قريش في تخفيف الهمزة كما يدل عليه إنشاده بيت حسان فسخيف جداً .

قوله : (أو من السيلان ويؤيده أنه قرئء سال يسيل على أن السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب) أو من السيلان فتكون همزته منقلبة عن الياء نحو باع يباع قوله ويؤيده يدل عليه أنه قرئء قراءة شاذة وهي قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو من السيل المعروف وعن هذا قال والمعنى سال واد على أنه مجاز إذ السيلان أي الجريان حال الماء في الوادي كجري النهر قوله بعذاب فيكون استعارة مكنية وتخيلية شبه العذاب بالماء الجاري وأثبت له السيلان على أنه تخيلية سواء كان السيلان باقياً على معناه أو مستعاراً لإطباق العذاب عليهم روي أن نضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط قُتلا يوم بدر صبراً أي جساً ولم يقتل صبراً غيرهما .

قوله : (ومضى الفعل لتحقق وقوعه) أي على هذا الوجه لتحقق وقوعه فيكون استعارة تبعية وقد عرفت أنه على الأول حقيقة والتجوز في واقع .

قوله : (إما في الدنيا وهو قتل بدر أو في الآخرة وهو عذاب النار) وهو قتل بدر وهو لم يحل بهم وقت النزول لأن السورة مكية فيكون إخباراً بالغيب أيضاً أو في الآخرة أو لمنع الخلو فقط .



قوله تعالى : لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ

قوله : (صفة أخرى لعذاب أو صلة لواقع) فاللام للتعليل أو بمعنى على أو للنفع

قوله : صفة أخرى لعذاب أي بعذاب واقع كائن للكافرين أو صلة لواقع فعلى هذا يكون اللام للتعليل أي واقع لأجل الكافرين .

تُهَكِّمًا وَجَمَعَ الْكَافِرُونَ لِأَن النُّصْرَ وَأَبَا جَهْلٍ يَدْخُلَانِ فِيهِمْ دَخُولًا أَوَّلِيًّا مَعَ تَعْمِيمِ الْحُكْمِ .
قوله : (وإن صح أن السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جواباً) وإن صح إشارة إلى منع صحته إذ قائله قتادة والحسن إذ روي عنهما أن أهل مكة قالوا لما خوفهم الله يعذب الله سلوا محمداً عليه السلام عنه فسأله فأنزلت كما في المعالم وهذا غير مشهور والمتعارف ما قدمه من الرواية فعلى هذا يكون قوله للكافرين جواباً لذلك السؤال ولا يكون صلة للواقع بل خير المبتدأ محذوف أي هو للكافرين .

قوله : (والياء على هذا المعنى لتضمن سأل معنى اهتم) قد مر أنه قال في سورة الفرقان إن السؤال كما يتعدى بمن لتضمنه معنى التفتيش يتعدى بالياء لتضمنه معنى الاعتناء فمن قال إن الياء بمعنى عن^(١) كما في قوله تعالى : ﴿فَسَأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان : ٥٩] فقد دخل عن بيان المصنف هنا وهناك والحاصل أن السؤال قد يكون سؤال استعلام وقد يكون سؤال الاستعطاء وهما يتعديان إلى الثاني بنفسه وقد يتعديان إليه بمن وأما إذا كان بمعنى الدعاء والطلب فتعديته بالياء وما نحن فيه بمعنى الطلب والدعاء في الاحتمال الأول فتعدي بالياء وفي الاحتمال الأخير بمعنى الاستعطاء فيتعدى بمن وبالياء كما مر وقد يتعدى إلى المفعول الأول بمن كما في الحديث الشريف والمسؤول عنه ليس بأعلم من السائل وبعضهم حمل ما يتعدى إلى الثاني بنفسه على الحذف والإيصال^(٢) فلا تسأل عن أحوال السؤال فإنه لا يخلو عن دغدغة وتشويش البال (برده) .

قوله تعالى : مِّنْ أَقْوَدَى الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾

قوله : (من جهته تعالى لتعلق إرادته به) أي من ابتدائية متعلق بدافع لتعلق إرادته التابع لتعلق علمه وهذه الجملة تذييلية مقررة لوقوع العذاب ولذا لم يعطف وإن جعلت صفة أخرى للعذاب يكون صفة مؤكدة معنى ولم يلتفت إلى تعلقه بواقع لبغده لفظاً وأيضاً وقوعه من جهته تعالى ظاهر وأما الدفع بعد وقوعه فمحتاج إلى البيان ففيه حكم بخلودهم .

قوله : (وإن صح أن السؤال كان عمن يقع به كان جواباً وعلى هذا يكون سأل مضمناً معنى اهتمنى واهتم أي سأل سائل مهتماً بشأن عذاب واقع من الله أو اهتم يعذب سائلاً عنه قائلاً على من ينزل ولعن يقع ذلك العذاب فيكون للكافرين جواباً أي جواباً للسؤال المقدر لا للسؤال المذكور كأنه لما قيل سأل سائل يعذب أي اهتم سائل يعذب واقع أتجه القائل أن يقول لمن سأل بالعذاب واهتم به فقبل للكافرين لكن ظاهر كلام القاضي وصاحب الكشف رحمهم الله أنه جواب للسؤال المذكور الذي تضمنه سأل وهذا لا يستقيم لعدم ارتباط قوله للكافرين حيثل بالسؤال المذكور جواباً له .

(١) قال المحشي قال البصريون إن الياء لا يجيء بمعنى عن أصلاً وأولوا المستشهد به تارة بجعل الياء سببية وأخرى بجعلها تجريدية .

(٢) حتى قالوا في قوله تعالى : ﴿وَسَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة : ٢١٩] ويسألونك عماذا ينفقون .

قوله: (ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلام الطيب والعمل الصالح أو يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم أو في دار ثوابهم) ذي المصاعد أشار به إلى أن العروج بمعنى الصعود والمعارج جمع معرج بفتح الميم هو موضع الصعود وهي الدرجات وسميت معارج لأنها التي يصعد فيها الكلام الخ فقوله التي تصعد الخ صفة كاشفة لها والمراد بالكلم الطيب التوحيد وقد مر التفصيل في قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠] الآية فالمراد بالمعارج معارج الاعتقادات والأعمال فإنها تتفاوت بحسب اشتغالها بالأداب والمستحبات وبحسب خلوص النية وبحسب الأزمنة والأمكنة ولذا فسرها بالدرجات المشعرة بالتفاوت فعلم منه أن المراد منها مقامات معنوية كما أشرنا إليه بقولنا فإنها تتفاوت الخ ويوافقه قوله أو يترقى فيها المؤمنون إذ المراد مراتب السلوك فلا شك أن مراتب السلوك معنوية إلى مراتب الوصول فبين أول مراتب السلوك وانتهاها مراتب متفاوتة لا تحصى وهذا متصور في شخص واحد كما يتصور بين الأشخاص وكذا^(١) الحال في الأعمال إذ العمل الواحد له درجات معنوية بالنسبة إلى شخص واحد وإلى أشخاص فعلم منه أن بين الوجهين تلازماً قوله أو في دار ثوابهم فح المراد الدرجات الحسية وهذا الترقى يسبب ترقى الأعمال ولذا قدمه وإن كلمة أو لمنع الخلو دون الجمع.

قوله: (أو مراتب الملائكة أو السموات فإن الملائكة يعرجون فيها) أو مراتب الملائكة معنوية كانت أو حسية فإن لهم مراتب معنوية في المعارف الإلهية والطاعة والمبرات وفي تدبير العالم قوة وضعفاً وأيضاً لهم مراتب حسية متفاوتة فإن بعضهم سكان الأرض وبعضهم سماوية السماء الدنيا ثم فثم إلى العرش والعراتب عامة لهما ولذا لم يقيد ما قوله أو مراتب الملائكة عطف على الدرجات ولا شك أن تلك العراتب درجات أيضاً لكن غير الأسلوب للتمييز بين المؤمنين وبين الملائكة المقربين أو السموات عطف على العراتب أي المراد بالمعارج السموات السبع والكرسي والعرش قوله فإن الملائكة الخ بيان وجه كونها معارج والمعارج على جميع التقادير بقدرة الله تعالى فلذا وصف ذاته بذوي المعارج وهذا الوصف أوقع هنا لأنه لما بين أن العذاب واقع لا محالة للكافرين إثر حكاية سؤالهم تعنتاً واستهزاء وصف ذاته بكونه ذا المعارج أي الأعمال للإشارة إلى أن هؤلاء الكفار إنما حرّموا من تلك المعارج بانهمكهم في التقليد وإصرارهم على الكفر والعناد فيعلم وجه تقديم ما ذكره أولاً ثم ثانياً.



قوله تعالى: تَرْجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْيَوْمَ كَانَ مَقْدَرُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ

قوله: (استئناف) نحوي غير متعلق بما قبله بحسب الإعراب.

(١) إن قيل بالانتهاء قال بعض المفسرين كلما ألقى العصا بدا له سفر فلا نهاية لمراتب السلوك.

قوله: (لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل) مداها أي غايتها وضمير إليه راجع إلى المعارج باعتبار المكان^(١) أو إلى أعلى المعارج قوله لبيان ارتفاع تلك المعارج إشارة إليه وقيل الضمير راجع إلى الله تعالى ولا يخفى بعده إما لفظاً فظاهراً وإما معنى فلأن الغرض ببيان ارتفاع تلك المعارج كما بينه المصنف وأيضاً يحتاج إلى التمثل^(٢) في لفظ إليه مع الاستغناء عنه.

قوله: (والمعنى) بيان كونه على التمثيل الخ يعني هذا ليس على التحقيق بل على سبيل التمثيل أي على طريق الاستعارة التمثيلية والممثل له مفروض متخيل لا محقق شبه الهيئة المأخوذة من مبدأ العروج وتفاوت مراتبهم وغاية تلك المعارج بالهيئة المنتزعة من مسافة أهل الدنيا وعروجهم إليها بحركة أهل الدنيا فيها مع التفاوت بين مراتب تلك المسافة فذكر اللفظ الموضوع للمثبه به وأريد المثبه.

قوله: (إنها بحيث لو قد قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين ألف سنة من سني الدنيا) لو قدر أي فرض قطعها في زمان مع أنه لا يتصور قطعها في زمان لأنها ليست من قبيل المسافة وحاصله أنه لو قدر قطعها في زمان قطع المسافة مثلها من المسافة وهذا أيضاً مفروض.

قوله: (وقيل معناه تخرج الملائكة والروح إلى عرشه في يوم كان مقداره خمسمائة ألف سنة من حيث إنهم يقطعون فيه ما يقطعته الإنسان فيها لو فرض لا أن ما بين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة لأن ما بين مركز الأرض ومقر

قوله: وبعد مداها على التمثيل والتخييل المدى الغاية أي المراد به بيان رفعة تلك المعارج وبعد غايتها وطول مسافتها على وجه التمثيل لا أن هناك عروجاً ومسيراً ويوماً مقداره مثل ذلك حقيقة والمعنى أن تلك المعارج لو فرض قطعها لكان في زمان طوله مثل ذلك المقدار.

قوله: وقيل معناه تخرج الملائكة والروح إلى عرشه إلى آخره الفرق بين هذا الوجه وبين الوجه الأول أن هذا الوجه ليس على طريق التمثيل والتخييل فإن في هذا الوجه العروج والمسير واليوم ولو بالفرض وإن المراد ببيان سرعة عروج الملائكة والروح إليه والمعنى أن الملائكة والروح يعرجون إليه أي إلى عرشه على تقدير مضاف في مقدار يوم واحد من أيام الدنيا مقدار جنس ذلك اليوم بالنسبة إلى زمان سير الإنسان كمقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا فعلى هذا يكون الضمير في مقداره راجعاً إلى يوم أيضاً لكن المراد بضميره الجنس وبظاهره الفرد على سبيل الاستخدام المذكور في علم البديع ولولا هذا التأويل في رجوع الضمير يلزم أن يكون مقدار زمان عروج الملائكة والروح مساوياً لمقدار زمان سير الإنسان في الطول لو فرض قوله من حيث إنهم يقطعون فيه ما يقطعته الإنسان فيها لو فرض أن زمان قطع الإنسان من أسفل العالم إلى العرش خمسون ألف سنة يقطع الملائكة ذلك في يوم واحد من أيام الدنيا لا أن مقدار زمان سير الإنسان

(١) أو إلى أعلى المعارج ومنتهى المفهوم من الفحوى.

(٢) كما أشار إليه الزمخشري بقوله أي إلى عرشه وحيث تهبط منه ألامره.

السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وتخن كل واحد من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك) وقيل معناه قائله صاحب الكشاف فالضمير راجع إليه تعالى وجه التعريض ما ذكرناه آنفاً والمراد بالروح جبريل عليه السلام وهو أوضح الأقاويل فيه كما سيبيء فحينئذ يكون المراد بالعروج العروج الحسي لكن قوله مقداره خمسين ألف سنة من باب التشبيه البليغ أشار إليه المصنف بقوله من حيث إنهم إلى قوله لو فرض وليس ما بين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة لأن ما بين مركز الأرض الخ فيكون مجموعه على ما ذكر خمسة آلاف سنة قوله لا إن ما بين أسفل العالم بلا النافية وإن المشددة قبل وقوع في نسخة لأن وهو من غلط الناسخ وأنت خير بأن هذا السقيم لا بعد نسخة بل من سقامة النسخة.

قوله: (وحيث قال ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة﴾ [السجدة: ٥] يريد به زمان عروجهم من الأرض إلى محذب السماء الدنيا) مراده دفع المناقاة بين هذا القول وبين ذلك القول قوله من الأرض إلى محذب السماء الدنيا فحينئذ كان قوله مقداره ألف سنة على ظاهره ولا يكون من باب التشبيه وقد مر أن المراد باليوم مطلق الوقت لا بياض النهار فيجوز أن يراد باليوم الزمن البسيط من أيام الدنيا إذ المقصود بيان سرعة الملائكة في عروجهم متطوقاً وفي نزولهم دلالة وتقدم في سورة السجدة كلام في حل هذا المرام.

قوله: (وقيل في يوم متعلق بواقع أو مسائل إذا جعل من السيلان) لا متعلق بيعرج كما في الأول فحينئذ لا حاجة إلى التمثل المذكور قوله إذا جعل من السيلان فإن المعنى حينئذ سال واد بعذاب واقع في يوم أي في يوم القيامة وأما إذا جعل من السؤال فلا يتعلق به إذ السؤال لم يقع فيه بل في يوم الدنيا.

منه إليه كذلك في نفس الأمر لأن مقداره في نفس الأمر على ما دل عليه الحديث النبوي تسعة آلاف سنة إن اعتبر بعد ما بين كل سماءين خمسة آلاف سنة إن لم يعتبر ذلك وقد نقلنا الحديث في تفسير سورة الطلاق في قوله تعالى: ﴿الذي خلق سبع سموات﴾ [الطلاق: ١٢] فقوله رحمه الله لا إن الخ رد على القائلين بأن مقدار ذلك خمسون ألف سنة بسير الإنسان.

قوله: على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وتخن كل واحد من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك لم يتعرض رحمه الله لما بين كل سماءين من المسافة وهو مذكور في الحديث فلعلة رحمه الله رمز إلى مذهب الحكماء فإنهم قالوا مفر كل سماء مماس لمحذب ما تحتها.

قوله: وحيث قال: ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة﴾ [المعارج: ٤] يعني أن المراد من قوله عز وجل في سورة السجدة ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما يعدون﴾ [السجدة: ٥] بيان مقدار زمان عروجهم من الأرض إلى محذب السماء الدنيا لا إلى محذب العرش.

قوله: أو سأل إذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة يعني تعلقه يسأل إنما يصح إذا جعل سأل من السيلان واليوم يوم القيامة لأنه إذا جعل من السؤال وكان المراد من اليوم يوم الدنيا

قوله : (والمراد به يوم القيامة واستطالته إما لشدة على الكفار أو لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات) والمراد به أي باليوم على هذا المعنى يوم القيامة والوصف به إما مجاز لشدة على الكفار وإما بالنسبة إلى الأبرار فذلك اليوم كساعة وعن هذا سميت ساعة أو لكثرة ما فيه بحيث لو وقع على العادة من غير إسراع الحاسبين لوقع في خمسين ألف سنة لكن وقع ما فيه في أسرع المدة فيكون إطلاق خمسين ألف سنة على ذلك اليوم مجازاً عما يلزمه من كثرة ما فيه وعلى الأول مجازاً عما يلزمه وهو الاستطالة لكمال الشدة كما قيل تمتع بأيام السرور فإن أيام الغموم طوال.

قوله : (أو لأنه على الحقيقة كذلك) أي طويل حقيقة فيوم القيامة مقداره خمسين ألف سنة فالمراد بيوم القيامة من وقت الحشر إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وقد يراد به من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى ولا يمكن أن يراد هذا المعنى هنا كما لا يخفى ولا يخفى عليك أن المعنى الحقيقي متى أمكن لا يصار إلى غيره كما صرح به أئمة الأصول فتأمل في جوابه.

قوله : (والروح جبريل وإفراده لفضله أو خلق أعظم من الملائكة) أي ذكره بعد الملائكة مع دخوله فيهم لفضله على غيره من الملائكة لأنه أمين الوحي المنزل أو خلق أعظم فلا يكون من عطف الخاص على العام.

قوله تعالى : فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾

قوله : (لا يشويه استعجال واضطراب قلب) معنى جميلاً واضطراب قلب والمراد بالاضطراب ما يكون اختيارياً بمباشرة سببه كالاستعجال.

قوله : (وهو متعلق بسأل) تعلقاً معنوياً لكونه متفرعاً عليه إذ السؤال المذكور سبب للامر بالصبر وإن لم يكن سبباً للصبر نفسه.

أو يوم الآخرة أو جعل من السيلان واليوم يوم الدنيا لا يجوز تعلقه به إذ يصير المعنى على الأول وقع السؤال يوم الآخرة وليس كذلك أو وقع يوم الدنيا مقداره ذلك وليس كذلك وعلى الثاني وقع سيلان العذاب في يوم من أيام الدنيا كان مقداره خمسين ألف سنة وليس كذلك لأن المراد باليوم حيثئذ يوم بدر وليس مقداره خمسين ألف سنة وكذا إذا تعلق بواقع يجب أن يكون المراد باليوم يوم الآخرة إذ لو كان المراد به يوم الدنيا يكون المعنى واقع في يوم من أيام الدنيا مقداره ذلك وليس كذلك.

قوله : واستطالته إما لشدة يعني على تقدير تعلقه بواقع أو سال يكون وصف اليوم بالطول إما لشدة الخ.

قوله : أو خلق أعظم من الملائكة على ما قيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس وعن مجاهد الروح خلق على صورة بني آدم يأكلون ويشربون وليسوا بناس.

قوله: (لأن السؤال كان عن استهزاء وتعنت وذلك مما يشجره) يؤيد ما ذكرناه قوله عن استهزاء إن كان السائل النضر أو أبا جهل قوله وتعنت إن كان السؤال عمن وقع به العذاب فحينئذ السائل كفار مكة وكلامه على نهج اللف والنثر المرتب والتعنت تفعل من العنت وهو الجهد في المكابرة عتاداً.

قوله: (أو عن تضجر واستبطاء للنصر) عطف على قوله عن استهزاء وهذا إن كان السائل هو النبي عليه السلام آخره عن تعنت مع أنه مقدم هناك لأن السؤال عن تعنت يناسب السؤال عن استهزاء.

قوله: (أو يسأل سائل أو سال سبل لأن المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام) أو يسأل بالألف على أنه من السيلان كما في قراءة سال سبل ولذا قال لأن المعنى الخ وأما إذا كان من السؤال فتعلقه به مثل تعلق سأل بالهمزة قوله قرب وقوع الخ وهذا وجه آخر غير ما ذكره فيما مر من قوله والمضي لتحقيق وقوعه كما هو عادته فقد شارفت الانتقام في يوم بدر فاصبر وكن مترقباً لوروده مستعداً لشكره وهذا اختيار منه كون العذاب في الدنيا وقد جوز فيما سلف كونه في الآخرة ويمكن تطبيق كلامه عليه بالتمحل.



قوله تعالى: إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا

(الضمير للعذاب أو ليوم القيامة).

قوله: (من الإمكان) فضلاً عن الوقوع بعيداً مفعول ثانٍ لأن الرؤية قلبية إما من الظن أو من العلم اليقين وأما في نريه بمعنى اليقين.

قوله: أو عن تضجر عطف على عن استهزاء أي أو لأن السؤال عن تضجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستبطائه النصر الوجه الأول مبني على أن يكون السائل نضر بن الحارث لأنه هو الذي سأل العذاب قائلاً فأسقط علينا كسفاً من السماء استهزاء فتضجر منه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستعجل بعذابهم فقال الله تعالى: ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ [المعارج: ٥] والوجه الثاني مبني على أن يكون السائل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث تضجر عن استهزاء ذلك الكافر واستبطاء النصر فسأل نزول العذاب عليهم مستعجلاً به فقال له عز وجل: ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ [المعارج: ٥] على ما ذكر في كشف الحقائق روي هناك أنه قال بعضهم هذا السائل هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم استعجل بعذاب الكافرين فبين الله تعالى أن هذا العذاب واقع لهم فلا دافع له قالوا والذي يدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى: ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ [المعارج: ٥] فإنه يدل على أن ذلك السائل هو الذي أمره بالصبر الجميل إلى هنا كلامه.

قوله: أو يسأل عطف على قوله يسأل لكن المراد يسأل المعطوف معنى السيلان بخلاف المعطوف عليه فإنه من السؤال والمعنى سال العذاب أي وقع سيلان العذاب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة واليوم يوم القيامة فوجه صيغة المضي في سال ويوم القيامة مستقبل قرب وقوعه جعل ما هو قريب الوقوع كالواقع الماضي وهو المعنى بقوله المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر.

قوله تعالى: وَرَبَّهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾

قوله: (منه أو من الوقوع) منه أي من الإمكان أو من الوقوع فالأول على أن السؤال عن الإمكان على وجه الاستهزاء والثاني على أن يكون السؤال عن العذاب بمن يقع وهذا ليس بمناسب لأنه يشعر أنهم يعترفون بإمكانه ولذا لم يقل بعيداً من الوقوع لإشعاره الإمكان عندهم فمراده أن المعنى ونحن نراه قريباً من الوقوع فضلاً عن الإمكان لكن غير الأسلوب فقال أولاً من الإمكان وثانياً أو من الوقوع ليرافق ما قبله أولاً ثم ذكر ما هو المراد ثانياً.

قوله تعالى: يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ﴿٨﴾

قوله: (ظرف قريباً أي يمكن يوم تكون السماء أو لمضمر دل عليه واقع) أي يمكن الخ أشار بذلك إلى أن قريباً بمعنى الإمكان لأنه لازم له والمعنى يمكن إمكاناً مجامعاً للوقوع والتعبير بالإمكان للرد عليهم فلا إشكال بأن الإمكان ثابت في كل حين إذ الثابت في كل زمن الإمكان الذاتي والإمكان الثابت في ذلك اليوم هو الإمكان المجامع للفعل ويدل على ما ذكرناه قوله أو لمضمر دل عليه واقع فإن العامل يقع ولم يجعل ظرفاً لواقع لأن أن في إنهم الخ مانع عنه.

قوله: (أو يدل من في يوم إن علقه به والمهل العذاب في مهل كالفلزات أو دردي الزيت) إن علق به أي بالواقع وإن تعلق بيعرج فلا يصح البدلية وإنما جعله بدلاً من مجموع الجار والمجرور ليصح نصب البدل لأن مجموع الجار والمجرور منصوب على الظرفية وهنا أيضاً نصب على الظرفية بتقدير في ففي الحقيقة بدل مجموع الجار والمجرور من مجموعهما فلا يرد إشكال أبي حيان بأن مراعاة المحل إذا كان الجار زائداً أو شبيهاً بالزائد كرب إذ البدل ليس من محل المجرور بل من المجموع والفرق بينهما واضح وبعضهم أجاب بأن هذا الاشتراط غير صحيح عندهم وقد مر في قراءة ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾

قوله: أو من الوقوع عطف على من الإمكان لا على الضمير في منه فعلى هذا يكون الضمير في منه راجعاً إلى الوقوع بخلافه في الوجه الأول فإنه يعود إلى الإمكان أو لمضمر دل عليه واقع أي يقع يوم يكون ويجوز أن يدل عليه قريباً كما دل على يمكن لأن المراد به قريب الإمكان أو قريب الوقوع.

قوله: أو يدل من يوم إن علق به وإنما قيد احتمال البدلية منه بتعلقه بواقع لأنه إذ تعلق بتعرج لا يصح المعنى إذ يكون التقدير حينئذٍ تعرج الملائكة والروح إليه ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ [المعارج: ٨] وعدم صحة المعنى على هذا لأن ذلك مبني على التمثيل والتخييل في الوجه الأول وعلى الفرض والتقدير في الوجه الثاني ولا يجوز إبدال المحقق من المصغيل أو المفروض لأنه ليس هو هو نعم يصح أن يكون بدلاً منه إذا تعلق بتعرج أيضاً إذا أريد من اليوم المبدل منه يوم القيامة على ما قيل وكذا يجوز أن يكون بدلاً منه إذا تعلق بسال الذي هو الأجوف بمعنى وقع سيلان العذاب يوم تكون السماء كالمهل.

[الشعراء: ٤٩] مراعاة المحل وهذا جيد لكن لا حاجة إليه وفي الكشف أو ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ [المعارج: ٨] كان كيت وكيت إشارة إلى أنه إذا كان المراد بالعذاب عذاب الدنيا فيوم يكون متعلقاً بمحذوف نحو كان كيت وكيت أو أذكر ولم يتعرض له المص لأنه نيه به على أن كون المراد بالعذاب عذاب الآخرة هو الراجح^(١) فإن ما ذكره من التقادير الثلاثة ينتظم عذاب الآخرة فقط قوله المذاب في مهل أي في زمان ممتد بنوع امتداد لا ما يذاب بسرعة كالدهن والعسل فإنه لا يقال له مهل كالفلزات جمع فلز بكسر الفاء واللام وتشديد الزاء من المعادن أي ما يقبل السبك والدق بالمطارق كالذهب والفضة والصفرة والنحاس وغيرها والدردى بضم الدال وتشديد الباء ما يتجمد في قعره ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].

قوله تعالى: وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾

قوله: (كالصوف المصبوغ ألواناً لأن الجبال مختلفة الألوان) قال تعالى: ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر﴾ [فاطر: ٢٧] الآية.

قوله: (إذا بشت وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح) فإذا بشت أي فتت وتفرقت وطيرت بسبب الريح شبهت بالعهن في التطير واختلاف الألوان إذ المراد بالعهن الصوف المصبوغ ألواناً إذا طيرته الريح قيد للأخير ومعتبر في الأول أيضاً.

قوله تعالى: وَلَا يَسْأَلُ قَرِيبٌ قَرِيبًا عَنْ حَالِهِ ﴿١٠﴾

قوله: (ولا يسأل قريب قريباً عن حاله) أي المفعول الثاني محذوف بمعونة المقام إذ الكلام مسوق لبيان شدة الحال وتشتت البال لأنه مشغول بحاله قال تعالى: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ [النحل: ١١١] تجادل عن ذاتها تسعى في خلاصها لا يهمها شأن غيرها فيقول نفسي نفسي فعلى هذا السؤال بمعنى الاستعلام.

قوله: والمهل المذاب في مهل أي الشيء الذي يذاب على مهل وبطء قال الجوهري يقال هو النحاس المذاب.

قوله: كالفلزات الفلز بالكسر وتشديد الزاء ما ينفيه الكبر مما يذاب من جواهر الأرض وقال أبو عمرو المهل دردي الزيت.

قوله: كالصوف المصبوغ ألواناً لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود.

قوله: فإذا بشت البس السق إذا سقت من مقارها.

قوله: لا يسأل قريب قريباً عن حاله أي لا يقدر قريب لشدة تشاغله بحال نفسه أن يقول لقريبه كيف حالك لأن بكل أحد من شدة الحال ما يشغله عن المسألة.

(١) وقد أشار إلى ترجيح عذاب الدنيا فيما مر.

قوله: (وعن ابن كثير ﴿ولا يسأل﴾ [المعارج: ١٠] على بناء المفعول أي لا يطلب من حميم حميم أو لا يسأل منه حاله) فالسؤال بمعنى الطلب ولا حذف في الكلام سوى حرف الجار أو لا يسأل عنه حاله فالسؤال سؤال استعمال لكن السائل في المعنى الأول يسأل حميمه عن حاله بالمواجهة لو اشتغل بالسؤال وفي الثاني يسأل غير الحميم عن حال حميمه وفي كل من القراءتين اعتبر معنى منطقاً ويفهم منه معنى آخر بدلالة النص.



قوله تعالى: يَصْرُوهُ يَوْمَ ذُ الْقَحْرِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِمْ يَسْتَسِي

قوله: (استئناف أو حال يدل على أن المانع من السؤال هو التشاغل دون الخفاء أو ما يفني عنه من مشاهدة الحال كيباض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم) استئناف أي استئناف معاني جواب سؤال مقدر كأنه قيل لعله لا يبصره فويل يصرونهم ولكن لتشغلهم لا يسأل وهذا لا يلائم قراءة ابن كثير فإنه يشعر بأنهم لا يصرونهم ومع ذلك يمكن السؤال عن حال حميمه لكن لتشغله لا يسأل كما عرفته إلا أن يقال إنه يفهم بدلالة النص كما مر بيانه قوله يدل أي على الوجهين ولم يتعرض لكونه صفة كما تعرضه الزمخشري لأن الحال في قوة الوصف وكون ذي الحال نكرة لأن العموم مسوغ له والوصف بالنظر إليه أولى ما قيل من أن الحالية أنسب معنى لأن التقييد بالوصف في مقام الإطلاق والتعميم غير مناسب بخلاف الحالية كما ذكره فلا يظهر وجهه إذ الحال قيد يخرج صاحبها عن الإطلاق والتعميم ولعل هذا في موطن والخفاء الذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه﴾ [عبس: ٣٤] الآية في موطن آخر.

قوله: أي لا يطلب حميم عن حميم ولا يسأل منه أي لا يقال لحميم أين حميمك ولا يطلب منه لأنهم يصرونهم فلا يحتاجون إلى الطلب والسؤال ومناسبة هذه القراءة لاستئناف جملة يصرونهم من حيث إنه لما قيل: ﴿لا يسأل حميم حميماً﴾ [المعارج: ١٠] أي لا يسأل حميم من حميم بأن هو سئل بأنه لم يطلب هو منه به فاجيب بأنه يصرونهم أي لا حاجة إلى الطلب والسؤال لأن الحميم يبصر الحميم أي هو حاضر عنده ومشاهد له والآخر إذا شاهد الحميم عند حميمه لا يسأل عنه بأن هو لأنه بمرأى منه والطلب إنما يكون عند الفقد والغيبة وأما مناسبة القراءة على البناء للمفاعل للاستئناف فمن حيث إنه لما قيل لا يسأل حميم عن حال حميمه توجه لسائل أن يقول ما سبب ترك سؤاله عن حال حميمه فاجيب بأنه يصرونهم أي حاله غير مخفية عنه لأنه حاضر عنده وهو يشاهد أحواله فلا يحتاج إلى السؤال عنها بكيف حاله.

قوله: أو حال تدل على أن المانع من السؤال هو التشاغل دون الخفاء وجه الدلالة أنه إذا قيل: ﴿لا يسأل حميم حميماً﴾ [المعارج: ١٠] مبصرين فمعناه لا يسأل مع عدم المانع عن السؤال في قيل حميمه من اختفاء وغيبة لأنه حاضر عنده ومشاهد له وهو قادر على السؤال فحين لم يسأل عنه مع إمكان السؤال باعتبار الحضور علم أن المانع من السؤال التشاغل بحال نفسه.

قوله: وجمع الضمير لعموم الحميم فإنه موضوع للجنس فكأنه قيل لا يسأل الإحماء عن الإحماء ﴿يَصْرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١١] أي يبصر الإحماء الإحماء من بصرت زيداً بكذا أي عرفته

قوله: (لو يفندي) لو بمعنى أن المصدرية وتقديم الأحب فالأحب للاهتمام بشأنه وفي سورة عبس اختير تأخير الأحب فالأحب للمبالغة.

قوله تعالى: وَصَجَّيْهِ وَآخِجْهُ ﴿١٢﴾

قوله: (حال من أحد الضميرين) وهو الفاعل صريحاً أو ضمناً فإن المفعول فاعل وبالعكس ولعل قوله من أحد الضميرين إشارة إلى ذلك إذ علة عدم السؤال وهو التشاغل أو لاستغنائه عن السؤال بمشاهدة الحال جارية في كل حميم والرباط محذوف أي يود المجرم منهم عند من جوز حذف العائد المجرور واللام في المجرم للاستغراق.

قوله: (أو استئناف يدل على أن اشتغال كل مجرم بنفسه) أو استئناف معاني كأنه قيل لم لا يسأل فأجيب بذلك لكن يوهم أن غير المجرم لا يشتغل بنفسه فيسأل عن حال حميمه مع أن قوله تعالى: ﴿ولا يسأل﴾ [المعارج: ١٠] الخ يدل على العموم فالأولى كون المراد استئنافاً نحوياً أي جملة ابتدائية سبقت ليبيان حال المجرم إثر بيان حال عامة المكلفين وهو عدم السؤال المذكور قوله كل مجرم إشارة إلى ما ذكرناه من أن اللام للاستغراق ولكون استغراق المفرد اشمل اختيار المفرد.

قوله: (بحيث تعنى أن يفندي) معنى يود لأن أصل معناه التمني مع المحبة وقد يستعمل في كل منهما واستعمل هنا في مجرد التمني أن يفندي تبه به على أن لو هنا بمعنى أن المصدرية.

قوله: (بأقرب الناس وأعلقهم بقلبه) وهو ما ذكر هنا من البنين إلى فصيلته ولو ذكر هذا

إياه والتبصير التعريف والإيضاح بني الفعل للمفعول وحذف الجار وأوصل الفعل إلى كذا بلا واسطة ف قيل بصر زيد كذا وكذا ههنا والتقدير يبصرون بهم حذف الباء من بهم وأوصل فعل التبصير إلى مجرور الباء ف قيل: ﴿يبصرونهم﴾ [المعارج: ١١] قال الزمخشري ويجوز أن يكون ﴿يبصرونهم﴾ [المعارج: ١١] صفة أي حميماً مبصرين معرفين إياهم قال الواحدي معنى يبصرونهم يعرفونهم أي يعرف الحميم حميمه حتى يعرفه ومع ذلك لا يسأل عن شأنه لشغله بنفسه والآية على حذف الجار يقال بصرت زيدا بكذا ألفاً عرفته إياه ثم يحذف الجار فيقال بصرت إياه وفي الكشف فإن قلت لم جمع الضمير أن في ﴿يبصرونهم﴾ [المعارج: ١١] وهما للحميمين قلت المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين قال صاحب الانتصاف فيه دليل على أن الفاعل والمفعول الواقعين في سياق النفي يحتمل كما لزم في قوله والله لا أشرب ماء من أدواته أنه يحتمل في المياه والأدوات خلافاً لبعضهم في الأدوات قوله أو ما يفني عنه عطف على التشاغل أي أو حال يدل على أن المانع من السؤال ما يفني عنه عن السؤال فإن مشاهدة حال الحميم يفني عن السؤال عنها.

قوله: أو استئناف يدل الخ فكانه لما قيل: ﴿لا يسأل حميم حميماً﴾ [المعارج: ١٠] توجه لسائل أن يقول بأي حيشة شغل بحال نفسه حتى لم يبق له مجال للسؤال عن حال حميمه فأجيب بأن شغله بحيث ﴿يود لو يفندي﴾ [المعارج: ١١] الآية فلفظ المجرم وضع للظاهر موضع الضمير للإشعار بأن جرمه هو الذي ورطه فيه.

بعد قوله: ﴿وفصيلته﴾ [المعارج: ١٣] الآية لكان أشمل والمذكورون هنا داخلون في ﴿ومن في الأرض جميعاً﴾ [المعارج: ١٤] لكنهم أفردوا بالذكر لما ذكره من أنهم أقرب الناس وهذا التمني أعجب من تمني الأجانب وهذا سبب الإفراد ولم يذكر الأيوين^(١) للتأدب.

قوله: (فضلاً أن يهتم بحاله ويسأل عنها) انتصابه على المصدرية وتقدير عامله مما استصعبه العلماء لكن قد اشترط بعضهم وقوعه بعد النفي صريحاً أو ضمناً فعلى هذا فالتقدير كما قيل يتمنى أن لا يبقى أحد منهم إلا وقد قربه لعدائه فضلاً عن اهتمام به وفي غير المجرم لا يوجد هذا التمني لكنهم أيضاً لا يسألون عن حال حميمه.

قوله: (وقرىء بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لأنه بمعنى تعليماً وقرأ نافع والكسائي يفتح ميم يومئذ) لأنه مبني على الفتح لاضافة غير المتمكن المبني وحاصله أنه اكتسب البناء من المضاف إليه وهو كلمة إذ وتنوينه عوض عن المضاف إليه.

قوله تعالى: وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾

قوله: (وعشيرته الذين فصل عنهم) وهي أصناف وبالجمله أول العشائر الشعب يفتح الشين وسكون العين ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ كذا في الصحاح قوله وعشيرته بمنزلة الجنس قوله التي الخ بمنزلة الفصل لما في الصحاح من تعميم العشيرة لكن المناسب هنا مطلق العشيرة إذ القدية غير مختص بالفصيلة بالمعنى المذكور في الصحاح فقولوه الذين فصل عنهم بيان وجه التسمية أو المراد آباءه الأقربون لأنهم أقرب الناس إليه ويأتي العشائر داخل في ﴿من في الأرض﴾ [المعارج: ١٤] وأشار إلى أن الفصيلة بمعنى المفصولة لأن الولد يكون مفصولاً من الأبوين.

قوله: (تضمه في النسب أو عند الشدائد) معنى تزويه في النسب بملاحظة ما قبله وفائدة التوصيف الإشارة إلى أن عادتهم في الدنيا كذلك عند الشدائد فكذلك تمنى في الآخرة الضم بطريق القدية لكمال الدهشة وفرط الحيرة مع تيقنه بعدم خلاصه من العذاب وعدم حصول المتمنى.

قوله تعالى: وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾

قوله: (من الثقلين أو الخلائق) أي الإنس والجن لأن من مختص بالعقلاء أو الخلائق بأسرهم تغليظاً ويؤيده قوله تعالى: ﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله لافتقدوا به﴾ [الزمر: ٤٧] الآية ومقتضاه ملاحظة ومثله بعد ﴿ومن في الأرض﴾ [المعارج: ١٤] ومثله جميعاً بتلك القرينة.

قوله: تضمه في النسب وعند الشدائد أي تضمه انتماء إليها والتجاء بها في النوائب.

(١) ودخلوها في ﴿من في الأرض﴾ بطريق الرمز فلا ينافي التأدب.

قوله: (عطف على يفتدي أي ثم لو ينجيه الافتداء) أشار إلى أن فاعل ينجيه الافتداء الدال عليه لو يفتدي إذ لو بمعنى أن المصدرية ولا حاجة إلى أنه راجع للمصدر الذي في ضمن الفعل.

قوله: (وتم للاستبعاد) أي ليس للتراخي الزماني بل للتراخي الربطي والتعبير بالاستبعاد لأنه أوفق للمقام.

قوله تعالى: **كَلَّا إِنَّهَا لَأَنَّى** ﴿١٥﴾

قوله: (ردع للمجرم عن الودادة^(١) ودلالة على أن الافتداء لا ينجيه) الأولى عن التمني ودلالة على أن الافتداء أي لو تحقق.

قوله: (الضمير للنار أو مبهم يفسره لظي) الضمير للنار الدال عليها العذاب وهو خبران سواء كان مرجع الضمير النار أو مبهماً يفسره ما بعده.

قوله: (وهو خبر أو بدل) من اسم إن هذا بناء على جواز إبدال النكرة غير موصوفة من المعرفة عند أبي علي الفارسي وغيره من النحاة.

قوله: (أو للقصة ولظي مبتدأ خبره «نزاعة للشوى» [المعارج: ١٦]) أو للقصة عطف على قوله للنار ولظي مبتدأ أي على الوجه الأخير خبره نزاعة والجملة مفسرة للقصة وكذا «نزاعة للشوى» [المعارج: ١٦] خبر أنها على كون لظي بدلاً.

قوله تعالى: **نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى** ﴿١٦﴾

قوله: (وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللفظي بمعنى اللهب) أي علم شخص لها مهياة لكفار مخصوصة ولما لم يكن عامة لجميع أهل الضلال مرضه أو علم

قوله: ثم للاستبعاد أي لاستبعاد الإنجاء أي ليس للتراخي الزماني المعنى يتمنى المجرم لو كان هؤلاء جمعاً تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه الافتداء ذلك هيئات أن ينجيه.

قوله: «كَلَّا» [المعارج: ١٥] ردع للمجرم عن الودادة وفي الكواشي «كَلَّا» [المعارج: ١٥] وقف تام إن جعلتها ردعاً عن الودادة وإن جعلتها بمعنى إلا استفحاحاً وقفت قبلها.

قوله: «ولظي» [المعارج: ١٥] مبتدأ خبره «نزاعة» [المعارج: ١٦] يعني إذا كان الضمير في أنها للقصة يكون «لظي» [المعارج: ١٥] مبتدأ «ونزاعة» [المعارج: ١٦] خبره وضمير القصة والشأن يستدعيان جملة تفسرهما والجملة هي لظي نزاعة للشوى على أن لظي بمعنى اللهب الخالص أو علم للنار لأن النكرة الصرفة لا تصلح أن تكون مبتدأ.

قوله: بمعنى اللهب هذا تصحيح لمعنى العلمية فإن لظي حيثئذ يكون بمعنى اللهب معروفاً باللام المقيدة لمعنى الجنس فلفظ لظي على هذا علم الجنس كأسامة.

(١) أي عن الودادة المحققة الوقوع كأنها وقعت فردع عنها.

جنس لها^(١) منقول من المعرف باللام كشجر إذا أريد شجر معين ولذا منع من الصرف للعلمية والعدل على ما قيل أو للعلمية والتأنيث قوله منقول عن اللطفي يؤيد الأول.

قوله: (وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص) أي منصوب بأعني أو أخص.

قوله: (أو الحال مؤكدة أو المنتقلة) المؤكدة لأنه لا ينفك عنها التلطي أو المنتقلة لانفكاكه بالزمهير وكون الحال مؤكدة أو منتقلة نظراً إلى الاعتبارين ليس بعيداً.

قوله: (على أن لطي بمعنى متلظية) ناظر إلى كونها حالاً مؤكدة أو منتقلة فالحال من الضمير المستتر في متلظية وقيل إنه متعلق باحتمال المنتقلة وإلا فالمؤكدة إذا جاءت بعد الاسمية وجب أن يكون جزاءها معرفتين جامدتين فيكون ذا الحال لطي جامداً مع أن الحال يبين هيئة الفاعل أو المفعول ولا بد من التأويل^(٢) والعامل في الحال المؤكدة على ما قيل أما أحقه المقدر بعد الجملة أو الخبر لكونه ماولاً يسمى أو المبتدأ لتضمنه معنى التشبيه أو معنى الجملة وارتضى الرضى القول الأخير انتهى فإذا أول الخبر يسمى يكون مشتقاً ونكرة وقد ادعى أنه وجب كون جزئي الجملة معرفتين جامدتين قوله بمعنى متلظية إشارة إلى أن لطي ليس بعلم وفيه قصر المسافة إذ لا معنى لجعله علماً متقولاً ثم تأويله بالمقول عنه.

قوله: (الشوى الأطراف أو جمع شولة وهي جلدة الرأس) الأطراف كاليد والرجل وقيل الأعضاء التي ليست بمقتل ولذا يقال رمى فاشوى إذا لم يقتل أي تقلع النار كل عضو غير مقتل ثم يعود كما كان وهكذا أبدأ وهذا لا يلائمه قوله تعالى: ﴿نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة﴾ [الهمزة: ٦، ٧] فإن الأفئدة مقتل تام فالصواب أن يعمم الأطراف إلى مقتل وغير مقتل ويقال وبأنه الموت من كل مكان وما هو يميت والموت والحياة بخلق الله تعالى وأهل النار خلود لا موت فيها كما ورد في الحديث وتخصيص الأطراف بالذكر لأنها آلة المعصية ولأنها أول ما يرى منهم وإستناد النزاع إلى النار مجاز.

قوله تعالى: ﴿مَعْوِمَاتٌ لَّهُنَّ الْوُكُودُ﴾

قوله: (تجذب وتحضر) لمن أراد الخروج منها كقوله تعالى: ﴿كلما أراد أن

قوله: أو الحال مؤكدة أو المنتقلة فعلى الأول يكون حالاً من مضمون الجملة الاسمية ومؤكدة له المعنى أن النار لهب خالص ويلزمها كونها نزاعة فهو في التأكيد على متوال أبوك عطوفاً وعلى الثاني يكون حالاً من الخبر لأنه بمعنى متلظية أي أنها ملتصقة حال كونها نزاعة للشوى.

(١) فيكون شاملاً لدركات جهنم كلها وهو الأولى إذ التخصيص لا يتناسب هنا.

(٢) فيؤول إلى ما ذكرناه.

يخرجوا منها أعيذوا فيها﴾ [المسجدة: ٢٠] فإسناد الجذب إليها مجاز أيضاً لكونها محلاً للجذب.

قوله: (كقول ذي الرمة تدعو أنفه الرب) استشهاد على كون تدعو بمعنى تجذب تدعو الخ يصف البقر الوحشي أولاً:

أسمى بوهيين مجتاز المرتعة من ذي الفوارس تدعو أنفه الرب وجبين ذي الفوارس موضعان وعدى مجتاز باللام لتضمنه معنى الطلب أي طالباً لمرتعة أي طالباً لمحل يرتع فيه والرب بالراء المهملة والباءين الموحدين بوزن عنب جمع ربة بالكسر والتشديد هو النبت الذي يرعى في الصيف وليس نباتاً معيناً وقيل هو أول ما ينبت في الأرض تدعو أنفه أي تجره لياكله.

قوله: (مجاز من جذبها وإحضارها لمن فر عنها) إذ الدعوة يلزمها الجذب والإحضار حسياً أو معنوياً قوله لمن فر عنها أي لمن أراد الخروج منها كما مر بيانه وقيل إنها تدعوهم بلسان الحال فإنه لما كان مرجع كل أحد من الكفار زاوية من جهنم فكانت كأنها الداعية لهم إليها فيجيبونها كرهاً وهي استعارة تمثيلية وهذا أقوى الاحتمالات وأبلغها كما في قوله تعالى: ﴿نكاد نميز من الغيظ﴾ [الملك: ٨] الآية لكن المصنف اختار كون المجاز في المفرد لكونه أقل مؤنة وهذا أولى من القول بأنه تعالى يخلق النطق في جرم النار فتدعو الكافرين فيحثل لا مجاز في تدعو.

قوله: (وقيل تدعو زبائيتها) بتقدير المضاف فلا مجاز أيضاً في تدعو وقد مر كون الإسناد مجازياً وهو أبلغ من تقدير المضاف.

قوله: (وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله إذا أهلكه) الظاهر من كلامه أنه حقيقة لكن الاشتراك خلاف الأصل فهو مجاز بعلاقة أن الدعاء يستلزم الهلاك إذا دعا عليه فيكون دعاه الله إنشاء نحو قاتلهم الله ويحتمل أن يكون باقياً على الخيرية.

قوله: تدعو أنفه الرب الرب بكسر الراء وفتح الباء جمع ربة وهي أول ما يبدو من النبت وفي مجمل اللغة الربة نبات يبلى في آخر الصيف والبيت لذي الرمة يصف الثور الوحشي أولاً:

أسمى بوهيين مجتاز المرتعة من ذي الفوارس تدعو أنفه الرب وهيين اسم موضع مجتاز المرتعة أي طالباً لها وذي الفوارس اسم موضع فيه رمل وقوله ليالي اللّهُو تطيبي فاتبه قوله تطيبي من طبا إذا دعا تقول تدعوني ليالي اللّهُو فاتبه وقوله تقول للرائد أعشبت أنزل الضمير في تقول عائد إلى المستأسد المذكور قبله وهو نبات طويل غليظ والرائد الذي يطلب الماء والكلأ أعشبت أي وجدت العشب فإن تطيبي وتقول للرائد كل واحد منهما مجاز في معنى الجذب إذ لا دعوة ولا قول في الحقيقة أي يقول ذلك النبت لطالب الكلأ أصبت حاجتك فاقنع ولا تتجاوز وقيل معناه تقول الأرض المتتبع وقعت في عشب أنزل.

قوله: (عن الحق) وهو التوحيد وسائر الاعتقادات والإدبار عنه كناية عن عدم الالتفات إليه وهو أبلغ من التولي أي الإعراض أيضاً.

قوله: (عن الطاعة) أي عن الطاعة بالأعمال الصالحة ليكون تأسيساً لا تأكيداً لما قبله.

قوله تعالى: **وَجَمَعَ فَأَوْعَى** ﴿١٨﴾

قوله: (وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصاً وتأميلاً) وجمع المال أي المفعول محذوف وهو المال فجعله في وعاء أي همزة الأفعال للتعدي وكنزه بيان لأوعى قوله حرصاً علة حصوله لجمع المال وتأميلاً أي طول الأمل علة للثاني كما هو الظاهر وقد ادعى البعض أن الأولى كون كل منهما علة لكل منهما قوله وكنزه إشارة إلى أن قبح ذلك عدم أداء زكاته فإن المال الذي أدى زكاته وسائر حقوقه لا يسمى كنزاً مذموماً وتفصيله في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ﴾ [التوبة: ٣٤] الآية قوله تعالى: ﴿إِنهَا لَظَى﴾ [المعارج: ١٥] علة للردع إلى هنا كأنه قيل لا فائدة في هذا التمني لأن جهنم متلفذة دائمة ليهيأ نزاعة قاعة أطراف الأعضاء وجاذبة من كفر بالله تعالى وجمع المال ولم يؤد حقه لإنكاره الآخرة فلا خلاص عنها فالتمني المذكور عبث جداً لا يغني شيئاً أصلاً وقد عرفت أن هذا الردع قبل وقوع التمني لتحقيق وقوعه فنزل ما هو متحقق الوقوع منزلة الواقع.

قوله تعالى: **إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا** ﴿١٩﴾

قوله: (شديد الحرص قليل الصبر) هذا حاصل المعنى إذ الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلوع سريعة السير كما في الكشف قوله شديد الحرص إشارة إلى الوصف الثاني قليل الصبر إلى الوصف الأول فقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الشَّرَّ﴾ [المعارج: ٢٠] أي الفقر والعرض جزوعاً يكثُر الجزع ﴿وَإِذَا مَسَّ الْخَيْرَ﴾ [المعارج: ٢١] السعة والغنى وكذا الصحة منوعاً يبالغ في الإمساك ومنع حقوق الله تعالى تفسير لهلوعاً وجملته أن الإنسان علة لما قبله من جمع المال وكنزه أما كون الثاني علة فظاهر وأما الأولى فلأن فوط الجزع عند مس الفقر فليشدة حرصه على جمع المال فالهلع صفة مركبة من صفتين مذمومتين وهذا وإن لم يوافق ما ذكره المصنف لفظاً لكنه موافق معنى.

قوله تعالى: **إِذَا مَسَّهُ الْفَقْرُ جَزُوعًا** ﴿٢٠﴾

(الضر يكثُر الجزع السعة).

قوله تعالى: **وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا** ﴿٢١﴾

قوله: (يبالغ في الإمساك والأوصاف الثلاثة أحوال مقدرة) وهو هلوع وجزوع ومنوع

قوله: حرصاً وتأميلاً التأمل الرجاء الطويل من أمل خيره يأمله والأمل الرجاء.

قوله: يكثُر الجزع معنى الإكثار مستفاد من صيغة فاعول وفسر منوعاً بالمبالغة في الإمساك ومعنى المبالغة أيضاً مدلول لفظ فاعول حيث وضعت هذه الصيغة للمبالغة.

قوله: والأوصاف الثلاثة أحوال مقدرة أو محققة المعنى على الأول خلق الإنسان مقدراً

أحوال مقدرة لأنه في حال الخلق ليس كذلك بالفعل بل حصول ذلك بعد كونه مكلف ففي حال الخلق مقدرة الوقوع وهذا إذا أريد اتصافه بالفعل قدمه لأن المتبادر من متون وجزوع كونه بالفعل وكونها أحوالاً لا يتنافي كون الآخرين تفسيرين للأول لكون معناه واضحاً بهما وكون التفسير مشاراً إليه يكفي ولا يجب التصريح به ألا يرى أن أرباب البلاغة عدوا الألمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعاً من تفسير الألمعي أي الذكي مع أنه مشار إليه لا مصرح به بل ما نحن فيه أوضح من ذلك غاية الأمر أنه غير بكونها أحوالاً.

قوله: (أو محققة لأنها طبائع جبل الإنسان عليها وإذا الأولى ظرف لجزوعاً والأخرى لمتنوعاً) أو محققة أي أو حال محققة إن أريد بها مبدأ هذه الأمور ويسمى خلقاً فذلك المبدأ محقق في وقت الخلق أي في وقت نفخ^(١) الروح وإلى ذلك أشار بقوله لأنها طبائع الخ فحينئذ يكون قوله: ﴿إذا مسه﴾ [المعارج: ٢١] في الموضوعين يحتاج إلى التمثل ويحتاج أسماء القواعل إلى العناية وظاهر كلام المصنف أن الإنسان جبل عليها حقيقة بناء على قاعدة أهل الحق للرد ضمنناً على صاحب الكشف حيث جعل الاستعارة صواباً فقال إن الإنسان لا يثارة الجزع والمنع ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما وكأنه أمر خلقي ضروري غير اختياري كقوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ [الأنبياء: ٣٧] فجعله استعارة تمثيلية لا أنه خلقي فيه حقيقة بناء على مذهبه من أن المخلق على هذه الأمور قبيح لا يصح إنسانه إليه تعالى فأشار المصنف إلى رده بأنه حقيقة ولا قبح في الخلق بل القبح في العمل بمقتضاه ألا يرى أن الله تعالى ركب الشهوة وخلق النفس الأماراة بالسوء وفي التوضيح والنفس مجبولة على حب المعاصي فهنا كذلك خلق الإنسان على هذه الطبائع ثم أمر بتهذيبها والعمل بخلافها ليميز السعداء والأشقياء بعضهم من بعض فمن هذب نفسه بإزالة ذلك المرض وجعل القوة الشهوية والغضبية مطوعة للعقل متمرنة على الخير كبذل المال فيما ينبغي بذله شرعاً أو مروءة والصبر على الشدائد لا سيما عند الصدمة الأولى

هلمه وجزعه عند مس الشر ومنعه عند مس الخير هذا على أن لا يكون هذه الأخلاق الثلاثة غير حاصلة للإنسان حين خلق ولا مجهولاً عليها الإنسان فوجب حينئذ أن يحمل الحال على الحال المقدرة والمعنى على الثاني خلق حال كونه هلوياً وجزوعاً ومتوعاً وهذا المعنى من تحقيق الحال مبني على أن هذه الطبائع الثلاث جبل عليها الإنسان في مبدأ الفطرة وصاحب الكشف ترك ذكر هذا الوجه الثاني صوتاً لمذهبه في أن أفعال العباد عنده يخلقهم ولما كانت الآية حجة عليهم في مذهبه هذا صرف الكلام عن ظاهره حيث قال والمعنى أن الإنسان لإثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما مطبوع وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري كقوله: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ [الأنبياء: ٣٧] والدليل عليه أنه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع ولأنه ذم الله لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاءعدوا أنفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها من الشهوات.

(١) أو وقت الوضع والولادة كما قيل والسعيد سعيد في بطن أمه.

وإزالة خلق ذميمة وتبديلها مما اتفق عليه أهل الحق من علمائنا والتردد في إزالة ذاتها بالكلية هل تزول بالمرة أم لا والظاهر أن ذواتها لا يتغير وإنما التغيرات في وصفها ولذا قال عليه السلام حسنوا أخلاقكم ولا تردد في إزالتها عند أهل الحق بالوجه المذكور كيف لا وقد أمرنا بتبديلها لكن الظاهر أنه من قبيل وصف النوع بأحوال أكثر أفراده إذ الأنبياء عليهم السلام لا سيما عليه السلام ليسوا كذلك والقول بأنهم كذلك لكنهم أزالوا بالمعالجة ضعيف وما ذكره السعدي هنا في حقه عليه السلام فأعجب العجائب إذ الكلام في حرص المال وجمعه ومنع حقه كما نبه عليه المصنف في أو أن التكليف ولا كلام في الأطفال ولا في كونهم في بطن الأمهات كما تعرضه صاحب الكشاف والسياق والسباق شاهدين على أن الكلام في المكلفين ذماً ومدحاً والأطفال بمعزل عن ذلك لأن مذمومية ذلك إنما ظهر في وقت التكليف وإن جبل الإنسان عليها.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا النَّصِيحِينَ﴾ (٢٢)

قوله: (استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الأحوال المذكورة قبل) أي استثناء متصل على ما اختاره المصنف من أن جميع أفراد الناس مطبوعون عليها وهؤلاء المذكورون وإن كانوا موصوفين بتلك الخصال الذميمة لكنهم لم يستمروا عليها بل أزالوها بالمواظبة على أضدادها كذا قيل ومثل هذا جعل صاحب التوضيح منقطعاً^(١) وقال قولنا غير مخرج يتناول الأمرين الأول أن لا يكون داخلياً في صدر الكلام والثاني أن يكون داخلياً فيه لكن لا يخرج عن عين ذلك الحكم وحكم صدر الكلام أن من قذف صار فاسقاً قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [البقرة: ١٦٠] لا يخرج عن عين ذلك الحكم بل معناه أن من تاب لا يبقى فاسقاً بعد التوبة وهذا حكم آخر ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخَيْنِ﴾ [ما قد سلف: النساء: ٢٣] انتهى وفيما نحن فيه كذلك على ما فهمه البعض من كلام المصنف لأن صدر الكلام يتناول المصلين الخ وهم داخلون في صدر الكلام لكن لا يخرج عن عين هذا الحكم بل معناه أن المصلين الخ لا يكونون هالعين جزوعاً موعاً بالاستغراق في طاعة الله تعالى وهذا حكم آخر فالاستثناء منقطع بهذا المعنى لا متصل لأن المتصل هو المخرج عن حكم متعدد والحكم بعد الثبوت فيلزم أن لا يكون المصلين الخ موصوفين بالأحوال المذكورة أصلاً وكلام المصنف يمكن تطبيقه عليه بل هو الأولى وأخرى كما لا يخفى وما ذكرناه سابقاً من أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ [المعارج: ١٩] الآية من قبيل وصف الكلي بأحوال أكثر أفرادها يكون الاستثناء منقطعاً بالمعنى المشهور وهذا أولى.

قوله: (لمضادة تلك الصفات لها من حيث إنها دالة على الاستغراق في طاعة الحق

قوله: لمضادة تلك الصفات لها أي لمضادة تلك الصفات المذكورة بعد إلا للأحوال

(١) والقاتل لم يطلع عليه ولم أحد ما ذكره ليس من أفراد المتصل كما عرقته.

والإشفاق على الخلق والإيمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وإيثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل وتقصير النظر عليها) في طاعة الحق أي في طاعة الله تعالى معنى قوله: ﴿على صلواتهم داثمون﴾ [المعارج: ٢٣] والمراد الاستغراق العرفي قوله والإشفاق على الخلق وهو متفهم من قوله: ﴿والذين في أموالهم﴾ [المعارج: ٢٤] الآية فالأول إشارة إلى التعظيم لأمر الله تعالى والثاني إلى شفقة خلق الله والأحكام الشرعية راجعة إليهما وتقديم الصلاة لأنها أم العبادات وأن تعظيم أمر الله أصل للشفقة والإيمان بالجزاء معنى ﴿والذين يصدقون﴾ [المعارج: ٢٦] الآية وإنما أخر مع أنه أصل يبين عليه الفروع لكونها دالة على الإيمان وبهذا الاعتبار آخر عنهما والخوف من العقوبة معنى: ﴿والذين هم من عذاب ربهم﴾ [المعارج: ٢٧] الخ قوله وإيثار الآجل الخ مفهوم من قوله: ﴿والذين هم لأماناتهم﴾ [المعارج: ٣٢] الخ أو معلوم من جميع ما ذكر ذكره تمهيداً لقوله وتلك أي الصفات المذمومة من الهلع والجزع والمنع ناشئة من الانهماك أي الاستغراق في حب العاجل الذي رأس كل خطيئة ومعصية كما أن بغض الدنيا رأس كل طاعة وأن البخل أعظم الخصال القبيحة ولذا قرن بعدم الإيمان في قوله تعالى: ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ [الحاقة: ٣٤] الخ.

قوله تعالى: الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَقْوَامِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾

قوله: (لا يشغلهم عنها شائل) بل هي شاغلة عن غيرها (كالزكوات والصدقات الموظفة للذي يسأل).

المذكورة قبله وهي الهلع والجزع والمنع من حيث إن تلك الصفات دالة على الاستغراق في طاعة الحق المستفاد من قوله: ﴿إلا المصلين الذين هم على صلواتهم داثمون﴾ [المعارج: ٢٣، ٢٤] والإشفاق على الخلق المدلول عليه بقوله: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥] والإيمان بالجزاء المفهوم من قوله: ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ [المعارج: ٢٦] والخوف من العقوبة المفادة من قوله: ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ [المعارج: ٢٧] وكسر الشهوة من قوله: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ [المعارج: ٢٩] وكل ذلك ثمرة إيثار الآجل على العاجل وتلك الأحوال المذكورة التي هي الهلع والجزع والمنع ثمرة حب العاجل على الآجل وإيثار الآجل على العاجل مضاد لا محالة لحب العاجل واختياره على الآجل.

قوله: والصدقات الموظفة وصف الصدقات المتطوع بها بالموظفة بيان لجهة معلوميتها ومعلومية الزكاة ظاهراً لأن الشرع وضع لها حداً معلوماً وأما معلومية فعل الصدقات فإنما يكون إذا كانت موظفة فإن قلت هذه الصفات مجرأة على سبيل المدح ولا يلزم من ثبوت حق السائل والمحروم في المال إحصاء ذلك الحق للمستحق والمدح إنما يكون بإيصاله إليه لا لمجرد ثبوت حقهما فيه من غير إنفاق له وذلك ذم فكيف بالمدح وهل في الآية دلالة على إيصال ذلك الحق للمستحق قلت بلى إن كان السائل متعلقاً بمعلوم وكان المعنى معلوم للسائل والمحروم وعلم

قوله تعالى: **لِلَّسَّائِلِ وَالْمَرْغُورِ ﴿٢٥﴾**

قوله: (والذي لا يسأل فيحسب غنياً فيحرم) أي من شأنه أن يحرم لا أنه يحرم بالفعل وإلا فلا ينتظم لقوله: ﴿وفي أموالهم حق معلوم﴾ [المعارج: ٢٤] الخ فقولہ والمحرور مجازاً وكناية عن عدم السؤال مع احتياجه إلى السؤال والمراد بقوله: ﴿وفي أموالهم حق معلوم﴾ [المعارج: ٢٤] حق معلوم بتعيينهم له بعد تعيين الشارع والاعطاء للذي لا يسأل بمعرفة حاله بسمائه.

قوله تعالى: **وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ رَبِّهِمْ ﴿٢٦﴾**

قوله: (تصدقاً بأعمالهم) أي بسبب أعمالهم وأن أعمالهم تدل على كمال تصديقهم كما أن الإقرار يدل على تصديقهم في القلب وأما التصديق بدون العمل فعام لغيرهم وفيه تنبيه على وجه تقديم العمل على الإيمان قيل الزكاة فرضت بالمدينة والسورة مكية فأجيب بأنها فرضت بمكة وتعيين ربع الشر إنما هو في المدينة فإذا فرضت بمكة بدون تعيين مقدارها يتعسر العمل بل يتعذر فالأولى كون المراد الصدقات على أن قوله والصدقات عطف تفسير لها ويؤيده قوله الموظفة أو المراد الإخبار بما سيكون بالنظر إلى الزكاة أو المراد تعميم الحكم ماضياً أو مستقبلاً لأن كون الإنسان مجبواً على تلك الخصال ليس يختص بهذه الأمة فتأمل ولا تغفل.

قوله: (وهو أن يتعب نفسه) أي التصديق بالأعمال الشاملة للتروك أن يتعب الخ وفيه مبالغة حيث جعل التصديق بالأعمال عين الانعاب.

قوله: (ويصرف ماله طمعاً في المثوبة الأخروية ولذلك ذكر الدين) ويصرف ماله ناظراً إلى الاتفاق من قبيل عطف الخاص على العام لأن المال شقيق الروح وبذلك اشق على النفس وأيضاً هو أمس بالمقام لكونه ضد الامساك المذموم في الآية السابقة قوله طمعاً الخ يؤيد ما ذكرنا من أن المراد بالزكاة الصدقات الموظفة بتعيين العبد.

قوله تعالى: **وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ كَاشِفُونَ ﴿٢٧﴾**

(خائفون على أنفسهم).

السائل والمحرور بذلك مسبب عادة عن إيصاله إليهما وإذا كان ظرفاً مستقراً صفة لاحق يمكن أن يكون مدحاً أيضاً من حيث إنه إنما يكون للسائل بعد القبض وأيضاً يستفاد إيصال ذلك الحق للمستحق من دلالة المقام فإن المدح إنما هو في إيصاله وإنفاقه.

قوله: ولذلك ذكر الدين يعني لفظ الدين هو الذي أوجب أن يفسر التصديق بالتصدق بالأعمال لأن معنى الدين الجزاء والمجازاة تكون في مقابلة العمل أقول المجازاة الأخروية كما تكون بالأعمال تكون بالاعتقادات الحققة المطابقة للواقع فكيف يكون الدين قرينة لكون المراد بالتصدق التصديق بالأعمال والظاهر أنه رحمه الله أخذ هذا المعنى من كلام صاحب الكشف وهو ممن لا يرى للتصدق المجرد عن العمل ثمرة في دار الجزاء قوله يعني لا يخفون بل يؤدونها عند الحكام.

قوله تعالى: **إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ** ﴿٢٨﴾

قوله: (اعتراض يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يأمن من عذاب الله وإن بالغ في طاعة الله) يدل بيان نكتة الاعتراض بين المتعاطفين هنا على أنه لا ينبغي بل يجب ذلك لأحد العموم مستفاد من عدم ذكر الأمن وإيراده بالجملة الاسمية لتأكيد ذلك فهو أبلغ من القول فلا تؤمنوا من عذاب الله الخ وإن بالغ في طاعته هذا متفهم من أن العابد كالأجير يأخذ أجرته قبل العمل فيجب أن لا يغتر بعبادته ولا يأمن من عذابه ولذا وصف الله تعالى بهؤلاء العاملين بالخوف.

قوله تعالى: **وَالَّذِينَ هُمْ يُرْجُوهُمْ حَافِظُونَ** ﴿٢٩﴾ **إِلَّا عَلَىٰ أَرْجُوحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ** ﴿٣٠﴾ **فَمَنْ يَبْتَغِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴿٣١﴾

قوله: (﴿لفروجهم حافظون﴾ [الماعز: ٢٩] سبق تفسيره في سورة المؤمنين) لفروجهم حافظون أي لا يبدلون ولا يعلم بدلالة النص حال النساء بالنسبة إلى أزواجهن دون ما ملكت أيمنهن أو ما ملكت الخ عبر بما لإرادة الوصف أو لتزيلهن منزلة غير العقلاء لعدم قدرتهن على التصرف.

قوله تعالى: **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ ذَعُونُ** ﴿٣٢﴾

قوله: (حافظون) لأن أصل معنى الرعي حفظ الحيوان بما به بقائه ثم شاع في مطلق الحفظ إطلاقاً لاسم المفيد على المطلق فصار حقيقة عرفية بالشيوخ (وقرأ ابن كثير لامانهم).

قوله: (يعني لا يتكرونها ولا يخفون ما علموه) يعني لا يتكرونها قوله ولا يخفون عطف تفسير له وفي نسخة بالعكس والمآل واحد قوله ما علموه علماً يقيناً مثل ظهور الشمس لكن مع تحمل الشهادة وإلا فلا يجب الشهادة عليه إلا وقت حصر العلم به دون غيره وبالجملة المراد الشهادة المقررة بشروطها المعبرة في وجوب أدائها وكذا الكلام في الإباء مع عدم إنكارها فالمتناسب أن يقول ولا يأبونها.

قوله: (من حقوق الله تعالى وحقوق العباد) حقوق الله تعالى كالحقوق وحقوق العباد كالديون والأمانات والقصاص وغير ذلك وقيام الشهادة مستعار من قام العود إذا زال اعوجاجه

قوله: ولا يتكرونها بشديد الكاف أي لا يغيرونها عن وجهها الذي هي عليه في نفس الأمر من نكرته فتتكرر أي غيرته فتغير إلى مجهول ومته نكروا لها عرشها أي غيره وقال محيي السنة في تفسير يشاهداتهم قائمون أي يقومون فيها بالحق فلا يكتمنونها ولا يغيرونها.

قوله: ولا يخفون ما علموه أي لا يكتمنونها فإن كان المشهود به من حقوق الله تعالى يؤدونها عند الحكام وإن لم يستشهدوا فكيف إذا استشهدوا وإن كان من حقوق العباد يؤدونها بعد الاستشهاد.

فالأولى أن يقال أي يؤدون الشهادة على نهج الصواب بدون انحراف في الجواب ولا يتكرونها الخ ولم يذكر هنا العهد كما ذكر في سورة المؤمنين لأنه في حكم الأمانات قال المحشي وفي نسخة لا يحنون بالنون بدل القاء أي لا يضيعون وهي الأولى لشمولها العهد انتهى ولا يظهر شمولها للعهد والصواب أنها ونسخة يحقون بالقاف والحاء المهملة كلها تحريف.

قوله تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ يَشْهَدُونَ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾

قوله: (وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الأنواع) باعتبار متعلقها وقراءة شهادتهم بالإنفراد لأنها مصدر شامل للقليل والكثير.

قوله تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ يَخْلَوْنَ ﴿٣٤﴾

قوله: (فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسنتها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولاً وآخرأ باعتبارين للدلالة على فضيلتها وإنافتها على غيرها) فيراعون شرائطها هذا معنى المحافظة المعنوية تشبيهاً للمعقول بالمحسوس نبه به على أن الوصف المذكور غير الوصف الذي ذكر أولاً فلا تكرر في الحقيقة وإن تكرر ذكر الصلاة قوله ووصفهم أي المصلين بها أي بالصلاة أولاً أي في أول هذه الصفات وهي الانفاق في سبيل الله والتصدق بיום الجزاء الخ وآخرأ باعتبارين اعتبار الدوام واعتبار المحافظة قوله على غيرها لأنها أم العبادات ومعراج المؤمنين وفي الجمع بين الوصفين تنبيه على أن الدوام بدون المحافظة وبالعكس لا يعبا به.

قوله: (وفي نظم هذه الصلوات مبالغات لا تخفى) وقد مر من المصنف بعض التفصيل ومن جملة المبالغة تقديم المعمول على عامله وإيراد الجملة الاسمية وغير ذلك وكرر الموصول تنبيهاً على تغاير الأوصاف المذكورة وبسببها يتغاير المراد^(١) بالموصول.

قوله تعالى: أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ يَكْرُمُونَ ﴿٣٥﴾

قوله: (أولئك بثواب الله) أولئك صيغة البعد للتفخيم.

قوله: وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولاً وآخرأ باعتبارين للدلالة على فضلها وجه الدلالة أنه أفاد الوصف الأول وهو الوصف بالدوام عليها أن لا تترك بحال ولا يخل بها بل تؤدي على الدوام والبحث على مداومة عمل يدل على أن ذلك العمل أفضل الأعمال كما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «أفضل العمل أدومه وإن قل» وأفاد الوصف الثاني وهو الوصف بالمحافظة إكمال شرائطها ورعاية موافقتها وتعديل أركانها وتكميل سنتها وأدائها فيعمل منه أيضاً أنها أفضل لأن العمل الذي شرع فيه المحافظة لأحواله يلزم أن يكون أفضل وأرفع فمعنى قوله باعتبارين أن الوصف الأول يرجع إلى نفس الصلاة والثاني إلى أحوالها.

(١) والعطف بناء على هذا التغاير تنزيلاً لتغاير الصفات منزلة تغاير الذات.



قوله تعالى: قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّكَ مُهْطِئِينَ

(حولك).

قوله: (مسرعين) للحضور عندك ليستمعوا بما يجعلونه من كلامك محل استهزاء والاستفهام للإنكار الواقع وتوبيخه.



قوله تعالى: عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزَّتِ

قوله: (فرقاً شتى) وعزین حال من الضمیر فی مهطعين عن اليمين متعلق بعزین لأنه بمعنى متفرقين قدم عليه لرعاية الفاصلة أو متعلق بمهطعين أي بمسرعين والاول أولى بكلمة عن التي للبعد والمجازاة والتخصيص بالجهتين بناء على الأغلب الأكثر فلا يضره تفرقهم عن الجهة التي غيرهما.

قوله: (جمع عزة وأصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتري إلى غير ممن يعتري إليه الأخرى) جمع عزة وهي فرقة من الناس وأصلها عزوة فلامها واو نبه به على أن القول بأن لامها ياء أو هاء ضعيف فحذف الواو للتخفيف فصار عزة بتخفيف الزاء وجمع عزین وهذا لا يلائم ما قالوا من أن الجمع يرد الأشياء إلى أصلها قوله فإن كل فرقة الخ بيان وجه التسمية بعزین قوله تعتري أي تنسب إلى غير الخ.

قوله: (كان المشركون يحلقون حول رسول الله ﷺ حلقاً حلقاً) يحلقون أي يجتمعون في صورة استماع كلامه لعلهم يؤمنون به وغرضهم الاستهزاء بكلامه قوله حلقاً بفتح الحاء وهو أولى هنا من كسرهما.

قوله: (ويستهزئون به) ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد عليه السلام فلندخلها قبلهم فنزلت الآية ودعا لهم من الطمع الفارغ فالاستفهام في «أيطمع» [المعارج: ٣٨] للإنكار الواقعي للتوبيخ.



قوله تعالى: أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمٍ

قوله: (بلا إيمان) هذا القيد منفعهم من القرينة الحالية.

قوله: (وهو إنكار لقولهم) أي إنكار للواقع لكمال التوبيخ.

قوله: (لو صح ما يقوله لتكون فيها أفضل حظاً منهم كما في الدنيا) كما في الدنيا استدلال بالقياس على حال الدنيا على حال الآخرة لزعمهم أن ما لهم من النعم في الدنيا

قوله: فرقاً شتى جمع عزة بكسر العين وتخفيف الزاء على وزن ثقة لكن عزة ناقص من عزاء يعزو بمعنى نسب وأصلها عزوة وثقة مثال من وثق يثق قال أبو البقاء عزین جمع عزة والمحدوف الواو وقيل الباء من عزوته إلى أبيه وعزيته لأن العزة الجماعة بعضهم منضم إلى بعض كما أن المنسوب مضموم إلى المضموم إليه وعن متعلق بعزین أي متفرقين عنهما ويجوز أن يكون حالاً أي ويجوز أن يكون الجار والمجرور أعني عن اليمين وعن الشمال حالاً والمعنى عزین حال كونهم في بعتك وشمالك ومعنى متفرقين كائنين فرقة فرقة في حواليك.

فلاستحقاقهم بالذات فلا ينفك عنهم ولم يدر وأنه استدراج وزيادة عقوبة وقد أجاب الله تعالى بقوله: ﴿إنا خلقناهم﴾ [المعارج: ٣٩] الآية غير ما ذكر من الاستدلال لكن هذا علة لمية وذلك سبب يشبه الاتي.

قوله تعالى: ﴿لَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ وَمَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٩)

(ردع عن هذا الطمع).

قوله: (تعليل له والمعنى أنكم مخلوقون من نقطة مذوبة) والنظم إنا خلقناهم فلا وجه للعدول عن الغيبة إلى الخطاب ومخالفة النظم في مثله غير متعارف والاعتذار بأنه إشارة إلى أنه أمر محسوس لأنه المراد بقوله: ﴿مما يعملون﴾ [المعارج: ٣٩] ضعيف.

قوله: (لا تناسب جوار عالم القدس) بناء على الوعد فلا يقال إن فيه مخالفة لمذهب أهل الحق وأهل السنة.

قوله: (فمن لم يستكمل بالإيمان والطاعة ولم يتخلق بالأخلاق الملكية لم يستعد لدخولها) تعديته بنفسه لتضمن يستعد معنى يستحق فإن الأصل تعديته باللام.

قوله: (أو أنكم مخلوقون من أجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم أو العمل) أي من تعليلية وأما في الأول فمن ابتدائية قدمها لأنها أسس بالمقام.

قوله: (فمن لم يستكملها لم يبق في منازل الكاملين) يترك أحدهما فضلاً عن كليهما والتعبير بالاستكمال إشارة إلى أن الكلام المعتد به ما هو بالطلب فحينئذ الموصول عبارة عن الاستكمال بالعلم والعمل وعلى الأول عبارة عن الخلق من نقطة.

قوله: (أو استدلال بالنشأة الأولى) عطف على تعليل والتغاير بين المتعاطفين تعريفاً وتذكيراً لا بأس فيه والنكتة في تعريف المعطوف تنبيهاً على شهرة ذلك الاستدلال وذكره في مواضع عديدة بخلاف التعليل المذكور.

قوله: تعليل له أي هذه الجملة استئناف واقع في معرض التعليل للإنكار والردع المستفادين من الهمزة وكلا أي لا يطمع كل امرئ أن يدخل جنة النعيم وليرتدع من هذا الطمع لأننا خلقناهم من شيء لا يناسب ما يرجونه ويطمعون فيه فإن من لم يحصل المناسبة بينه وبين ما يرجونه من عالم القدس باستكمال قوته العلمية والعملية ولم يظهر نفسه من الأمور المدنسة لجوهرها فهو في رجائه ذلك خائب وفي طمعه آيس.

قوله: أو إنكم مخلوقون من أجل ما تعلمون فسر الآية على تقدير كونها للتعليل على وجهين الوجه الأول مبني على أن من لا ابتداء الغيبة والثاني على أنها للعة بمعنى لأجل ما تعلمون.

قوله: أو استدلال عطف على قوله تعليل قال الزمخشري ﴿كلا﴾ [المعارج: ٣٩] ردع عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله: ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ [المعارج: ٣٩] إلى آخر السورة وهو كلام دال على إنكارهم البعث فكأنه قال كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء فمن أين يطمعون في دخول الجنة ثم قال فإن قلت من أي وجه دل هذا الكلام على إنكار البعث قلت من حيث إنه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله:

قوله: (على إمكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضاً مستحيلاً عندهم بعد ردعهم عنه) التي بنوا الطمع إشارة إلى جواب سؤال مقدر وهو كيف يطمع أن يدخلوا الجنة وهم لا يصدقون بيوم الدين ولا بالجنة فأشار إلى جوابه بأن طمعهم الدخول بناء على فرضه ولذلك قال المصنف هناك إنكار لقولهم لو صح ما يقوله الخ فنيه بقوله: ﴿إنا خلقناهم﴾ [المارج: ٣٩] على الإمكان كما صرح به في قوله: ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ [يس: ٧٩] وإنما استدل على الإمكان لأنهم يدعون استحالة مع أنه يدل على وقوعه فضلاً عن إمكانه مثل القول المذكور وهو: ﴿قل يحييها الذي﴾ [يس: ٧٩] الآية بعد ردعهم عنه أي عن دخول الجنة بقوله: ﴿كلا﴾ [المارج: ٣٩].

قوله تعالى: ﴿لَا أَفِيحُمْ رَبِّي النَّارَ فَتَقْدِرُونَ﴾

قوله: (﴿فلا أقسم﴾ [المارج: ٤٠]) قد مر تفصيله في سورة الواقعة فتذكر جمع المشارق والمغرب باعتبار المنازل وتنتيهما نظراً إلى شرقي الصيف والشتاء وإفرادهما في بعض المواضع وجهه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْبَأْتُ خَيْرًا بِخَلْقِكُمْ وَسِعْتُ الْفَرْشَ لَأُبْدِلَنَّ الْأُولَىٰ أَهْلًا بِخَيْرٍ مِنْهُمْ أَوْ تَنْظُرُونَ﴾

قوله: (أي نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم أو نعطي محمداً ﷺ بدلهم من هو خير منكم وهم الأنصار) أو نعطي عطف على نهلكهم وقيل عطف على نأتي ولا يلائم قوله من هو خير منكم الأولى أو نعطي محمداً ﷺ بدلهم من هو خير منهم.

﴿خلقناهم مما يعلمون﴾ [المارج: ٣٩] أي من النطفة والقدرة على أن يهلككم ويبدل ناساً خيراً منهم وأنه ليس بمسبوق على ما يريد نكوبته لا يعجزه شيء والغرض أن من قدر على ذلك لم يعجزه الإعادة ويجوز أن يراد ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ [المارج: ٣٩] أي من النطفة المدرة وهي منصبة الذي لا منصب أوسع منه ولذلك أبهم وأخفى إشعار بأنه منصب يستحي من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخل الجنة قبلهم معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم ومن حكمنا أن لا يدخل أحد منهم الجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح فلم يطمع أن يدخلها من ليس له إيمان وعمل إلى هنا كلامه قوله وبالقدرة على أن يهلكهم عطف على قوله بالنشأة الأولى فقوله بالنشأة الأولى إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ [المارج: ٣٩] وقوله بالقدرة إلى قوله تعالى: ﴿إنا لقادرون﴾ [المارج: ٤٠] وهما من قوله تعالى: ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون يعني أن المراد من قوله: ﴿مما يعلمون﴾ [المارج: ٣٩] النطفة وذكرها إما لإثبات القدرة ليستدل بها على أننا كما قدرنا على خلقهم من ماء قدر على إعادتهم وهذا هو معنى الوجه الأول أو لإثباته الإهانة والحقارة لهم وأنهم لا يستحقون تلك الكرامة من عند أنفسهم بل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وهذا معنى الوجه الثاني أو أنهم وسائر من خلق من الماء مستوون فيما ابتدئ خلقهم منه والتفاوت في المنازل والدرجات الأخروية إنما هو بحسب استكمال النفس بالعمل والعلم وهذا هو معنى الوجه الثالث.

قوله: (بمقلوبين إن أردنا) لأن السبق هنا بمعنى الغلبة مجازاً مشهوراً ملحقاً بالحقيقة إذ السبق يستلزم الغلبة وكونه حقيقة بعيد إذ الاشتراك خلاف الأصل فلا يصار إليه ما لم ينص عليه أرباب الوضع.



قوله تعالى: فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ ﴿٤٢﴾

قوله: (مر في آخر الطور) وهو قوله: ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا﴾ [المعارج: ٤٢] الآية وقال المص هناك هو عند النفخة الأولى لكن الظاهر أن المراد هنا النفخة الثانية لأن قوله: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] يدل من يومهم ويوم الخروج من القبور يوم النفخة الثانية إذ عند النفخة الأولى يموت جميع ذوي الروح إلا من شاء الله.



قوله تعالى: يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْنَادِ يَرَاءُ كَانْتُمْ إِنْ تَنْصِبُونَ يَوْمَهُمْ ﴿٤٣﴾

قوله: (مسرعين جمع سريع) أي سراعاً جمع سريع بمعنى مسرع وأنه حال.
قوله: (منصوب للعبادة) أي الصنم المنصوب للعبادة وهذا هو الظاهر من السوق والمناسب لحالهم ولذا قدمه.

قوله: (أو علم) عطف على منصوب لمعرفة الطريق بهتدي به أبناء السبيل إلى الطريق الموصل إلى المقصود ولا يلتفت إلى ما قيل من أن المراد أنه نصب علامة لموضع الملك في نزوله ومسيره وهو العلم المنصوب الذي يسرع الشخص نحوه لأنه بيان حال الكفار وما ذكر عام لهم ولغيرهم إذ المعنى أنهم يسرعون إلى المحشر والموقف مثل إسرعهم إلى أصنامهم أيهم يبعدها أولاً حتى يقرب به إلى الله زلفى على زعمهم.

قوله: (يسرعون) نبه به على أن أوفض بمعنى أسرع وهو عامل إلى قدم عليه لرعاية الفاصلة.

قوله: (وقرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد والباقون بفتح التون وسكون الصاد) ومجموع القراءات على ما ذكره المصنف ثلاث فتح التون وسكون الصاد قراءة الجمهور وبضمتين وهي قراءة ابن عامر وحفص وبضم النون وسكون الصاد وهي قراءة شاذة نسبت إلى قتادة وبفتحتين من الشواذ نسبت إلى مجاهد ولم يتعرض لها المصنف فهو فعل بفتحتين بمعنى منصوب.

قوله: (وقرئ نصب بالضم على أنه تخفيف نصب أو جمع) على أنه تخفيف

قوله: نصب بضم النون والصاد قال الزجاج فمن قرأ نصب بالفتح وسكون الصاد فمعناه كأنهم يسرعون إلى علم منصوب لهم ومن قرأ نصب بالضم فمعناه إلى أصنام لهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ﴾ [المائدة: ٣] وفي المعالم وقرأ ابن عامر وحفص نصب بضم النون والصاد وقرأ الآخرون بفتح النون وسكون الصاد يعنون إلى شيء منصوب يقال فلان

جمع نصب بناء على أن ما على ضمتين يسكن عينه تخفيفاً قياساً مطرداً فيكون مفرداً على ما دل عليه قوله أو جمع كحمر ويفهم منه أن النصب بضميتين اسم مفرد واحد الانصباب وقيل إنه جمع نصب كسقف وفي نسخة أو جمع نصب بفتح الصاد كولد في جمع ولد لا بسكونها نقل عن الدماميني أنه قال قالوا في جمع سقف بإسكان القاف أيضاً والمشهور في كلام النحويين أن أصله السكون سقف بضم القاف وبعضهم قال سقف جمع سقيف فهو على القياس .

قوله تعالى : خَتَمَةً أَبْصَرُهُمْ زَرْهَقَهُمْ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَكُلُّوا يُؤْعَدُونَ ﴿٤٤﴾

قوله : ﴿خاتمة﴾ [المعارج : ٤٤] الآية مر تفسيره خاتمة حال من ضمير يوفضون والإستناد إلى الابصار مجاز عقلي ﴿زهرقهم﴾ [المعارج : ٤٤] أي تغشاهم (في الدنيا).

قوله : (عن النبي ﷺ من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأمانتهم وعهدهم واعون) وما ذكره حديث موضوع الحمد لله ذي المعارج على إتمام ما يتعلق بسورة المعارج والصلاة والسلام على رسولنا الذي هو أفضل من أوني الخطاب وعلى آله وأصحابه أولي الألباب تمت بعونه تعالى قبيل الظهر من يوم أحد في صفر المبارك في سنة ١١٩٢ .

نصب عيني وقال الكلبي إلى علم وراية ومن قرأ بالضم قال مقاتل والكسائي يعني إلى أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله قال الحسن يسرعون إليها أبهم يستلمها أولاً .

قوله : ونصيب على أنه تخفيف نصب أي وقرئ نصب بضم النون وسكون الصاد على أنه تخفيف نصب بضميتين أو جمع نصب بفتح النون وسكون الصاد . تمت السورة الحمد لله مفتتحاً ومختتماً . فالآن مستعيناً بالله أقول .

سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة نوح مكية) بالاتفاق.

قوله: (وأيها سبع أو ثمان وعشرون) إشارة إلى الاختلاف في عدد آياتها وقيل ثلاثون ولم يتعرض له لضعفه عنده.

قوله تعالى: إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾

قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا﴾ [نوح: ١] والتأكيدات لكمال العناية بإرساله روى قتادة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أول نبي أرسل نوح عليه السلام وأرسل إلى جميع أهل الأرض ولذلك لما كفروا أغرق الله تعالى أهل الأرض جميعاً انتهى أي أول نبي أرسل وأنذر على الشرك فلا إشكال بأن آدم وشيث وإدريس عليهم السلام أرسلوا قبل نوح عليه السلام وأما قوله وأرسل إلى جميع أهل^(١) الأرض الخ فيحتاج إلى تأويل إذ الإرسال إلى جميع الأرض من خواص نبينا عليه السلام نعم بعد الفرق تحقق البعثة إلى جميع من في الأرض اتفاقاً لهلاك من في الأرض جميعاً سوى من آمن به وهم أصحاب السفينة وأما غرق أهل الأرض جميعاً فلقوله تعالى: ﴿وَانقَرُوا فَنُتْنًا لَا تَصِيْبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] الآية وانصرافه^(٢) لكونه ساكن الأوسط ومعناه بالسريانية الساكن وهو أطول الناس عمراً فضلاً عن الأنبياء وكان بينه وبين آدم عشرة آباء كلهم مؤمنون وهو حفيد إدريس عليه السلام.

سورة نوح

مكية وآيها ثمان أو تسع وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ﴾ [نوح: ١].

(١) ومن جعلها تعريف المستند إليه بالموصول وتقديم هم المقيد لقوة الحكم.
(٢) ولو قيل جميع أهل الأرض حيث لم يكثر الإنس في ذلك الوقت لم يبعد.

قوله: ﴿بأن أنذر أي بالإنذار أو بأن قلنا له أنذرو﴾ بأن أنذر أي أن مصدرية والباء الجارة مقدرة ويجوز تقدير اللام لكن المص اختار الباء إذ الظاهر كون الإرسال بالإنذار لا للإنذار قال المص في أواخر سورة يونس في قوله تعالى: ﴿وأن أقم وجهك﴾ [يونس: ١٠٥] عطف على أن أكون غير أن صلة أن محكية بصيغة الأمر ولا فرق بينهما في الغرض لأن المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر ليدل معه عليه وصيغ الأفعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والحاصل أن فوات معنى الأمر كفوات معنى المضى والاستقبال فلا وجه لإشكال أبي حيان بأنه يلزم فوات معنى الأمر على المصدرية فإن تفسيرية في مثل ذلك واكتفى بهذا الجواب في سورة يونس عليه السلام وهنا أشار إلى جواب آخر وهو أن القول مقدر فالمعنى بأن قلنا له أنذر فلا يفوت معنى الطلب والجواب الأول منع بطلان اللازم مستنداً بأن فوات معنى الطلب كفوات معنى المضى والاستقبال والجواب الثاني منع اللزوم مستنداً بأن القول مقدر وأن المصدرية داخلية في نفس الأمر عليه ولو قدم في الجواب ما آخره لكان أنسب بمقتضى الطبع القويم لأن فيه المنع بعد التسليم كان بتقديم الأول نيه على رجحانه لأنه قول سيبويه وأبي علي وأن فوات معنى الطلب له نظير وهو فوات معنى المضى والاستقبال فلا معنى لإنكاره وتجوز هذا دون ذلك تحكم بحت والارسال في زمان معتد يلايس الإنذار والحاصل أن الإنذار يلايس بقاء الإرسال وإن لم يلايس ابتداءه كما قالوا في قوله تعالى: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه﴾ [الأعراف: ٨٠] أي أرسلناه وقت قوله لقومه فيكون إذ ظرفاً للإرسال بأن يطلق على زمان معتد وقع الإرسال في جزء منه والقول في جزء بعده فكذا هنا فلا إشكال بأن الباء للملابسة وإرسال نوح لم يكن ملابساً للإنذار لتأخره عنه إنما التلبس بقول الله له أنذر فلا بد من اضممار القول ولو قبل الإرسال ملتبس بالإنذار بأن يقال له في حال الإرسال أنذر لم يبعد.

قوله: بأن أنذر أي بالإنذار أو بأن قلنا له أنذر وعلى التقديرين يكون أن مصدرية والوجه الأول وهو أن يكون التقدير بالإنذار مبني على أن أن المصدرية قد تدخل على الأمر والنهي وتجعلهما في تأويل المصدر قال الزمخشري في تفسير سورة يونس في قوله تعالى: ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين﴾ [يونس: ١٠٤، ١٠٥] فإن قلت عطف قوله: ﴿وأن أقم وجهك﴾ [يونس: ١٠٥] على ﴿أن أكون﴾ [يونس: ١٠٤] فيه إشكال لأن أن لا يخلو من أن يكون للمعبارة أو التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح أن يكون للمعبارة وإن كان الأمر مما يتضمن معنى القول لأن عطفها على الموصولة يأتي ذلك والقول بكونها موصولة مثل الأولى لا يساعد عليه لفظ الأمر وهو أقم لأن الصلة حقها أن تكون جملة تحتل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه أن توصل أن بالأمر والنهي وشبه ذلك بقولهم أنت الذي تفعل على الخطاب لأن الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والأمر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال هذا وأما الوجه الثاني وهو أن يكون تقديره بأن قلنا له أنذر فمبني على المشهور فيما بين النحاة من أن إن حقها أن توصل بالجملة الخبرية المحتملة للصدق والكذب دون الإنشائية.

قوله: (ويجوز أن تكون مفسرة لتضمن الإرسال معنى القول) لتضمن الإرسال بيان وجود شرط أن التفسيرية فيكون بمعنى أي التفسيرية فالمعنى ﴿إنا أرسلنا نوحاً﴾ [نوح: ١] الخ إن أنذر فيؤيد ما قلنا من أن الإرسال متلبس بالإنذار حيث كان مفسراً له والإنكار مكابرة.

قوله: (وقرىء بغيرها على إرادة القول) أي بغير إن على إرادة القول أي قائلين له أنذر أو قلنا له فمن قدر قائلًا نظر إلى حاصل المعنى لأن التو نون المعطمة لكن الأولى تقدير الجمع الدال على التعظيم.

قوله: (عذاب الآخرة أو الطوفان) لثلا يبقى لهم عذر ما ولثلا يكون لهم حجة أصلاً.

قوله تعالى: قَالَ يَتُوبَ إِلَىٰ لَكُم تَائِبٌ ﴿٢﴾

قوله: (قال) استئناف كأنه قيل ما حاله عليه السلام بعد هذا الأمر فأجيب بأنه قال ولذا ترك العطف يا قوم النداء ليكونوا على كمال لوجه وإحضار قلب بما ذكر بعده أني لكم كلمة التحقيق إذ المقام مقام التردد بل مقام الإنكار لكم متعلق بنذير قدم عليه الاهتمام مع مراعاة الفواصل نذير أي منذر فعيل بمعنى مقفل وفيه مقال أنكره الشيخان في قوله تعالى: ﴿عذاب أليم﴾ [نوح: ١] واثبتاه في قوله تعالى: ﴿بديع السموات﴾ [البقرة: ١١٧] الآية أو نذير مصدر بمعنى الإنذار للمبالغة مبين موضع للحق والمحق والباطل والمبطل اسم فاعل من أبان المتعدي أو واضح إنذاره أو ظاهر حقيقته من أبان اللازم.

قوله تعالى: أٰیٰ اَعْبَدُوْا اِلٰهًا وَاَتَقُوْهُ وَاَطِيعُوْهُ ﴿٣﴾

قوله: (مر في الشعراء نظيره وفي أن يحتمل الوجهان) أي مصدرية أو تفسيرية

قوله: وقرىء بغيرها على إرادة القول أي قرىء بغير إن على تقدير القول قبل أنذر والمعنى إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه قائلين له ﴿أن أنذر﴾ [نوح: ١] قولك أو أرسلناه وقلنا له أنذر.

قوله: مر في الشعراء نظيره قال هناك في تفسير قوله تعالى: ﴿إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوا وما أسألكم عليه من أجر إن أجرين إلا على رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٧٨ - ١٨٠] تصدير القصص بها دلالة على أن البيعة مقصورة على الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدهو إلى ثوابه ويبعده عن عقابه وأن الأنبياء متفقون على ذلك وإن اختلفوا في بعض التفاريع مبروون عن المطامع الدنية والأغراض الدنيوية.

قوله: وفي أن يحتمل الوجهان الوجه الأول أن يكون أن مصدرية والباء محذوفة قبلها والتقدير مبين عبادة الله وتقواه وإطاعته أو مبين بأن أقول لكم ﴿اعبدوا﴾ [نوح: ٣] الآية على أن يتعلق إن بمبين أو التقدير نذير بعبادة الله وتقواه وإطاعته أو نذير بأن أقول لكم ﴿اعبدوا﴾ [نوح: ٣] الآية إن تعلق بنذير والتقدير الأول أنسب لأن الثاني يحتاج إلى ارتكاب وجه بعيد والوجه الثاني أن تكون مفسرة لما أن الإنذار أو الإبانة فيه معنى القول أمر القوم بثلاثة أشياء عبادة الله وتقواه وطاعة نفسه فالأمر بعبادة الله يتناول جميع الواجبات والمندوبات من أفعال القلوب والجوارح والأمر بتقواه يتناول الزجر عن جميع

واحتتمال أن المخففة هنا وفيما مر ممكن قوله: ﴿أَنْ اعْبُدُوا﴾ [نوح: ٣] الله متعلق بنذير أي نذير عبادة الله واتفقائه وإطاعته على أن مصدرية والانتذار متعلق بالمجموع من حيث المجموع باعتبار التقوى إذ المراد بالتقوى الزجر عن جميع المناهي وإذا لم يتزجر يستحق العذاب ويمكن أن يقال إذا لم يعبد الله ولم يطع الرسول يستحق العقاب وبهذا الاعتبار يوجد الانتذار والظاهر أن المراد بالعبادة التوحيد أو العام ويدخل التوحيد دخولاً أولاً والمعنى أن اعبدوا الله وحده بقرينة قوله في سورة الأعراف: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾ [الأعراف: ٧٣] والمراد بالتقوى التروك كما أن المراد بالعبادة الوجوديات فلا تكرار والتقديم لكون التوحيد أصلاً موقوفاً عليه.

قوله تعالى: يَتَغَيَّرُ لَكُمْ مِنْ دُونِكُمْ وَيُؤَخِّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

قوله: (بعض ذنوبكم وهو ما سبق فإن الإسلام يجبه فلا يؤاخذكم به في الآخرة) فهو ما سبق لا ما تأخر أي المراد بالبعض مجموع ما سبق فإنه بعض بالنسبة إلى المجموع لكن المقاليم لا تغفر بالإسلام كما صرح في سورة الاحقاف ولو أريد بما سبق بعض ما سبق لسلم عن الثمحل ولو قيل إنه تبه في الموضعين على القولين مغفرة المقاليم وعدم مغفرته لم يعبد فإن الإسلام يجبه أي يقطعته ويزيله.

قوله: (هو أقصى ما قدر لكم بشرط الإيمان والطاعة) بشرط الإيمان ظاهره القول بالأجل المعلق لكن بالنظر إلى اللوح لا بالنسبة إلى علم الله تعالى كذا في علم الكلام أي يكتب في

المحفوظات والمكروهات وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا﴾ [نوح: ٣] يتناول أمرهم بطاعته في جميع المأمورات والمنهيات ثم هذا وإن كان داخلاً في الأمر بعبادة الله وتقواه فقد خصه بالذكر تأكيداً في ذلك التكليف ومبالغة في تقريره ثم إنه تعالى لما كلفهم بهذه الأشياء الثلاثة وعدهم شيتين أحدهما أن يزيل عنهم مضار الآخرة عنهم وهو قول: ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [نوح: ٤] وثانيهما أن يزيل عنهم مضار الدنيا بقدر الإمكان وهو قوله: ﴿وَيُؤَخِّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٤].

قوله: هو أقصى ما قدر لكم بشرط الإيمان والطاعة هذا إشارة إلى التلفيق بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] وفي الكشف فإن قلت كيف قال: ﴿وَيُؤَخِّرُكُمْ﴾ [نوح: ٤] مع إخباره بامتناع تأخير الأجل وهل هذا إلا تناقض قلت قضى الله مثلاً إن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة وإن بقوا على كفرهم أهلهم على رأس تسعمائة فقبل لهم آمنوا يؤخرهم إلى أجل مسمى أي إلى وقت سماء الله وشره أمداً تنتهون إليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الأطول تمام الألف ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم يكن لكم حيلة فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير ليلاً ونهاراً دائماً من غير فتور مستغرقاً به الأوقات كلها ثم كلامه. هذا هو الذي ذكره الإمام يعنيه في تفسيره وقال الواحدي ومحبي السنة المعنى يعاقبكم إلى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون يقول آمنوا قبل الموت تسلموا من الموت فإن أجل الموت إذا جاء لا يؤخر ولا يمكنكم الإيمان.

اللوح المحفوظ أنهم إن آمنوا يمد عمرهم إلى ستين مثلاً وإلا أهلكوا قبل ذلك في الأربعين مثلاً فيكون عمرهم أربعين لكنه تعالى يعلم في الأزل أنهم يؤمنون فيكون عمرهم ستين لا غير أو يعلم أنهم لا يؤمنون فيكون عمرهم أربعين مثلاً فلا يوجد في العلم الأزلي أجل معلق قطعاً .
قوله : (إن الأجل الذي قدره) فإضافة الأجل إليه تعالى لأدنى ملازمة إذا جاء أي إذا حصل ووجد فالمجئنة مستعارة لذلك الحصول .

قوله : (على الوجه المقدر به أجلاً وقيل إذا جاء الأجل الأطول) الذي قدر أجلاً سواء كان أجلاً أقصر أو أطول ومجيء الأول عند عدم الإيمان والطاعة ومجيء الثاني عند وجود الإيمان والأعمال الصالحة ولذا لم يقيد بكونه أقصر أو أطول بل قال على الوجه المقدر به أي في اللوح المحفوظ فإذا لم يؤمن ولم يعلم لا يؤخر الأجل الأقصر ولم يتجاوز إلى الأجل الأطول ولذا شرط تأخير الأجل الأقصر إلى أقصى الأجل بالعبادة والإطاعة فقوله : ﴿إن أجل الله﴾ [نوح : ٤] تعليل استثنائي لتأخير الأجل إلى أجل مسمى بسبب العبادة وفهم من هذا التعليل أن الأجل الأطول إذا جاء لا يؤخر وهذا مختار المصنف لأن الفائدة فيه أتم حيث فهم منه أن الأجل مطلقاً إذا جاء لا يؤخر مع التعليل لما قبله كما عرفته وبهذا يندفع توهم المناقضة بين قوله : ﴿ويؤخركم﴾ [نوح : ٤] وقوله : ﴿لا يؤخر﴾ [نوح : ٤] ظاهراً لأن ما حكم عليه بالتأخير هو الأجل الأقصر إلى أقصى الأجل وما حكم عليه بعدم التأخير الأجل الأقصر إذا لم يؤمنوا فلا تناقض لعدم اتحاد الشرط والأجل الأطول إما وحده كما اختاره الزمخشري أو مع الأجل الأقصر كما فهم من كلام المصنف فلا تناقض أيضاً لعدم اتحاد الموضوع وقوله وقيل إذا جاء الأجل الأطول مرضه لما مر من أنه ح لا يكون أن أجل الله تعليلاً لتعليل تأخير الأجل الأقصر إلى أقصى بالعبادة والإطاعة مع أنه أمس بالمقام بل يكون تعليلاً لما فهم مما سبق من تعيين التأخير بالأجل المسمى كأنه قيل وإنما عينا التأخير الموعود بالأجل الأقصى دون ما فوقه ودون ما تحته لأن أجل الله الذي قدره في اللوح المحفوظ إذا جاء لا يؤخر كما لا يقدم ولم يذكر عدم التقديم لظهوره وقد ذكر في مواضع عديدة وقد عرفت أنه يندفع به أيضاً توهم التناقض .

قوله : (فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير) بيان فائدة لا يؤخر قوله أوقات الإمهال بناء على ما اختاره كما عرفته .

قوله : (لو كنتم من أهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه أنهم لانهماكم في حب الحياة كأنهم شاكون في الموت) لو كنتم من أهل العلم أي تعلمون منزل منزلة اللازم قوله

قوله : إذا جاء على الوجه المقدر به أجلاً وهو ألف سنة مثلاً إن آمن عبد وأطاع وتسمائة إن كفر وعصى .

قوله : وفيه أنهم لانهماكم في حب الحياة كأنهم شاكون في الموت هذا المعنى مستفاد من لو الامتناعية .

والنظر للتنبيه على أن انتفاء العلم بسبب انتفاء النظر قوله لعلمتم ذلك جواب لو أي لعلمتم أن الأجل إذا جاء على الوجه المقدر به أجلاً ذلك أي عدم تأخره بل لا بد من الموت فيه لكنكم لا تعلمون ذلك لانتهاء العلم والنظر فتوجه الإشكال بأن أحداً لا يتكرر الموت فدفعه بقوله كأنهم شاكون في الموت لانهماكهم الخ فلما انتفى موجب العلم وهو الاعراض عن حب الحياة والتهيؤ للموت نزل علمهم به منزلة عدم العلم به كما يقال لشارك الصلاة الصلاة واجبة جمع بين صيغتي الماضي والمضارع للدلالة على استمرار النفي المفهوم من لو فإنه يجعل المثبت منفياً وبالعكس وهذا من خواص كان حيث يصح جمعه مع المضارع لإفادة الدوام صرح به في الموطول وهنا لدوام النفي بأن يلاحظ النفي أولاً ثم الدوام ثانياً لا لنفي الدوام بعكس الملاحظة المذكورة لبعده عن المقام.

قوله تعالى: **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا** ﴿٥﴾

قوله: (قال رب إني دعوت قومي إلى الإيمان) قال استئناف لسؤال نشأ مما قبله فإن قوله: ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤] يدل على أنهم لم يطيعوه فماذا قال عليه السلام ح فأجيب بذلك.

قوله: (أي دائماً) لأن مثله كناية عن الدوام لكن المراد بالدوام الدوام العرفي فإن الحقيقي لا إمكان له.

قوله تعالى: **قَلَّمَ يَرْذُرُ عَذَابِي إِلَّا فِرَارًا** ﴿٦﴾

قوله: (عن الإيمان والطاعة وإستناد الزيادة إلى الدعاء على السببية كقوله تعالى: ﴿فَزَادْتُهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]) وإستناد الزيادة أي مجاز عقلي والفاعل الحقيقي هو الله تعالى والدعاء سبب جعلي لا حقيقي لأن سببه في نفس الأمر الإجابة كقوله: ﴿فَزَادْتُهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٤] ولو قال كقوله: ﴿فَزَادْتُهُمْ رَجْسًا﴾ [التوبة: ١٢٥] لكان أطبق بالمقام وهذا الخبر للاشتكاه إلى الله تعالى إما مجاز مرسل لكونه لازماً له أو إنشاء لظهور الشكوى وقس عليه أمثاله.

قوله تعالى: **وَأَنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغَاءً فِي أَعَانِهِمْ وَأَسْتَغْفَرُوا لِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا سِتَاجًا** ﴿٧﴾

قوله: (وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان والطاعة بسببه) وإني كلما دعوتهم عطف على أني دعوت والمراد بالمعطوف عليه إظهار الشكوى بقرارهم وتماديهم فيه وبالمعطوف بعدم إصغائهم إلى دعائهم إلى الإيمان وكراهة النظر إليه فلا يكون من عطف المنفصل على المجمع وأقحم هنا كلما وذكر ليلاً ونهاراً هناك للتفنن وذكر هنا قوله لتغفر لهم دون هناك لأن الظاهر أن الدعوة هنا بالمواجهة بلا فرار فذكر المغفرة فيه تشويق إلى الإيمان بخلاف وقت الفرار.

قوله: ﴿اجْعَلُوا أَصَابِعَهُمْ﴾ [نوح: ١٧] أي أناملهم مجازاً والداعي إلى المجاز المبالغة في الاعراض عن استماع الحق والدعوة في أذنانهم انقسام الأحاد إلى الأحاد.

قوله: ﴿سَدُّوا مَسَامِعَهُمْ﴾ عن استماع الدعوة بيان وجه جعل الأصابع في أذنانهم وقيل فهو كناية عما ذكر لما فيه من المبالغة البليغة وإن أمكن حمله على حقيقته وأنت خير بأن سد المسامع إنما هو بجعل الأنامل ونحوها في الأذن.

قوله: ﴿تَغْطُوا بِهَا﴾ بيان المراد بها والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة كما سيأتي.

قوله: ﴿ثَلَا يَرَوْنِي كِرَاهَةً﴾ النظر إلى من فرط كراهة دعوتي ثلثا يروني فيه مبالغة لأن الجملة الأولى تفيد أن سد مسامعهم لعدم سماع دعوته وإن رآه والثاني تفيد أن التغطى بها ثلثا يروه وإن سمع كلامه ودعاه فالجملتان تفيدان أنهم كرهوا رؤيتهم فضلاً عن دعوتهم وهذا أبلغ من أنهم يجعلون سترأ في أبصارهم مع أنه كافٍ في عدم الرؤية.

قوله: ﴿أَوْ ثَلَا أَعْرِفَهُمْ فَادْعُوهُمْ﴾ فحينئذ لا مبالغة فيه وقدم الأول لأنه مع ما فيه من المبالغة أنسب بالمقام على أن الدعوة لا تتوقف على العرفان بخصوصه.

قوله: ﴿والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة﴾ إذ لا طلب هنا حقيقة بل هو تنزيل كأنهم طلبوا الستر من ثيابهم وما حصل بالطلب يقع على وجه أتم وأكمل وهو المراد هنا والظاهر أن المبالغة في الكيف وأما المبالغة في الكم فبالتعبير بثيابهم كما أوضحناه فلا وجه لما قيل الكراهة إنما تقتضي ستر عيونهم دون غيرها.

قوله: ﴿وَأَكْبُوا عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي﴾ مستعار من أصر الحمار على العانة إذ أصر أذنيه وأقبل عليها) قوله مستعار أي باعتبار المعنى اللغوي ثم شاع في ملازمة الشيء فصار حقيقة

قوله: ﴿لَتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ وفي الكشف معنى لتغفر لهم ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر السبب الذي هو حفظهم خالصاً ليكون أقيح لإعراضهم عنه يعني جرد المسبب عن السبب ليكون أشنع عليهم أي ليس مرادي من دعوتكم إلى طاعة الله إلا المنفعة الرجعة إليكم لا إلى قضا أقيح إعراضكم عما ينفعكم قال الإمام إنما دعاهم نوح عليه السلام إلى العبادة والتقوى لأجل أن يغفر الله لهم فإن المقصود الأولي هو حصول المغفرة فالطاعة إنما تطلب للتوسل بها إليها.

قوله: ﴿أَوْ ثَلَا أَعْرِفَهُمْ فَادْعُوهُمْ﴾ ويعضده قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَشْتُونَ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَشْفُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [هود: ٥].

قوله: ﴿والتعبير بلفظ الطلب للمبالغة يريد أن المراد تغشوا ثيابهم ولكن عدل عنه إلى لفظ الاستغناء الموضح للطلب للمبالغة فكأنهم طلبوا أن يغشيه ثيابهم أو تغشيه ثلثا يصروه كراهة أن تنظروا إلى وجه من يتصحف في دين الله.

قوله: ﴿مَنْ أَصْرَ الْحِمَارِ عَلَى الْعَانَةِ﴾ قال الجوهري أصر الفرس أذنيه ضمهما إلى رأسه للعانة وهي القطيع من حمر الوحش أي ضم أذنيه وأقبل على العانة ليكدمها ويطردها استعير للإقبال على المعاصي والإكباب عليها روي عن صاحب الكشف أنه قال رحمه الله لو لم يكن

عرفية ولذا فهم هذا المعنى منه بلا قرينة قوله على العانة بالعين المهملة والثون الاثن وهي الاثنى قيل المراد بالحمار الحمار الوحشي وكذا العانة الأثن الوحشية وصر الاذنين رفعهما ونصبهما مستويتين كما تفعله الحيوانات إذا أسرعت وجذت في عض بعضها في المخاصمة أو سوقها للثان ونزوه عليها للجماع وفيه إيماء إلى أن المنهمك في مثله قبيح رذل ملحق بأحمق الحيوانات لتشبيهه بالحمار في أقيح حالاته وعن الزمخشري أنه لو لم يكن في ارتكاب المعاصي إلا التشبيه بالحمار لكفي به مزجرة فكيف والتشبيه في أسوء حاله وهو حال الكدم والطرء المستفاد كذا قالوا (عن اتباعي).

قوله: (عظيماً) هذا مستفاد من التنوين وهذا أولى من جعله للتنوين والاستكبار طلب الكبير من غير سبب له بخلاف التكبر ولذا اختير على وتكبروا تكبرا وكونه عظيماً لكونه استكباراً على الله وهو كفر.

قوله تعالى: ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾

قوله: (أي دعوتهم مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى) يفهم من ذكره مكرراً بدون نظر إلى كونه سرّاً وجهراً ويفهم منه أن الدعوة المذكورة كانت سرّاً أي في مكان خالٍ عن الغير وإلا فلا بد من الجهر في الدعوة ويحتمل أن يكون بمرأى من الناس بكلام خفي عنهم لكن الأول هو المعول قوله وكرة أي رجوعاً للكرة بعد البدء بكرة أخرى كالتأكيد لما قبله.

قوله: (على أي وجه أمكنتني وثم لتفاوت الوجوه فإن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الأفراد) إشارة إلى أن الدعوة على وجوه مختلفة بناء على ما تيسر لي لا على الإرادة فقط فيكون إشارة إلى عموم الأحوال بعد التنبيه على عموم الأوقات على سبيل التوزيع قوله وثم الخ أي للتراخي الرتبي مع قطع النظر عن التراخي الزماني اختاره أولاً لأن فيه مبالغة كما قال فإن الجهار أغلظ من الإسرار فقدم الإسرار ولما لم يؤثر ترقى إلى الجهار ولما لم يؤثر جمع بينهما لأنه أغلظ من الأفراد وكون الجهار أغلظ لأن الدعوة على رؤوس الأشهاد أشد تأثيراً لدفع الخجالة الناشئة من عدم القبول وكون الجمع أغلظ ظاهر مما ذكرناه.

في ارتكاب المعاصي إلا التشبيه بالحمار يكفي به فكيف التشبيه في أسوء حال وأفحشها وهو حال الكدم والطرء.

قوله: استكباراً عظيماً معنى العظمة مستفاد من تنكير استكباراً.

قوله: وثم لتفاوت الوجوه أي لفظ ثم لتفاوت وجوه الدعوة أي هو للتفاوت في الرتبة لا للتفاوت في الزمان والتراخي فيه فإن الجهار أغلظ من الإسرار وحده والجمع بين الجهار والإسرار المستفاد مما وقع بعد كلمة ثم الثانية وهو قوله: ﴿أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ﴾ [نوح: ٩] إسرار أغلظ من الجهار وحده فكل من كلمتي ثم الواقعة في الموضعين للتفاوت الرتبي لا الزماني.

قوله: (أو لتراخي بعضها عن بعض) أي ثم للتراخي الزماني لكون الجهار متراحياً عن الأسرار والجمع بينهما متراحياً عن المجهز وحده والجمع بينهما في مجلس واحد الدعوة بالكلام المسارة أولاً وبالجهار ثانياً أو بالعكس إذ الوار لا يقتضي الترتيب والإعلان ذكره تفنن في البيان وثم في الثاني كالأول فعلم منه أن التراخي الرتبي يصح اعتباره وإن صح التراخي الزماني إذا أريد المبالغة وإن كان الأول مجازاً والثاني حقيقة نظراً إلى القرينة الضعيفة في المجاز وعدم النظر إليها حين إرادة الحقيقة وكون إرادة التراخي الزماني لا ينافي عموم الأوقات لما عرفته من أن العموم عرفي لا حقيقي لعدم إمكانه إذ الاشتغال لحاجات الإنسان لازم.

قوله: (وجهاراً نصب على المصدر لأنه أحد نوعي الدعاء) فيكون مفعولاً مطلقاً بغير لفظه نوعياً^(١).

قوله: (أو صفة مصدر محذوف أعني دعاء جهاراً أي مجاهراً به أو الحال فيكون بمعنى مجاهراً) أي مجاهراً به يفتح الهاء أو الدعاء مجاهراً به لا جهار فكونه جهاراً للمبالغة أو الحال بتأويله اسم الفاعل حال من ضمير المتكلم.



قوله تعالى: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانُمْ غَافَرًا

قوله: (بالتوبة عن الكفر) أي بالإيمان إذ طلب المغفرة مع الإصرار على الكفر لا يتصور لقوله تعالى: ﴿إِنْ اللَّه لَا يَغْفِرَ أَنْ يَشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] وبهذه القرينة قيده بها واسم الرب هنا أوقع إذ المغفرة من آثار التربية وإضافته إليهم دون إليه للاغراء على التوبة. قوله: (إنه كان غفاراً) ثناء بما يناسب الأمر بالاستغفار واختير غفاراً لرعاية الفاصلة. قوله: (للتائبين) أي عن الكفر بقرينة ما قبله فلا ينافيه كونه غفاراً لساير المذنبين بلا توبة.

قوله: (وكانهم لما أمرهم بالعبادة قالوا إن كنا على حق فلا نتركه وإن كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيته فأمرهم بما يجب معاصيهم ويجلب إليهم المنع ولذلك

قوله: أو لتراخي بعضها عن بعض أي أو لتراخي بعض الدعوة عن بعض في الزمان من حيث إنه وقعت الدعوة أولاً وإسراً ثم جهاراً ثم جهاراً وإسراً.

قوله: وجهاراً نصب على المصدر أي نصب على المصدر من غير فعله على منوال قعدت جلوساً لكن المصدر هنا نوع من مطلق الفعل المذكور فهو مثل رجع القهقري فإن الجهار نوع من الدعوة كما أن القهقري نوع من الرجوع.

قوله: فأمرهم بما يجب معاصيهم وهو الاستغفار فإنه يجب ما قبله من الذنوب ويستجلب مزيد العطاء ولكون الاستغفار عما مضى من الذنوب مما يجلب إليهم المنع والعطاء وعد لهم عليه ما هو أوقع في نفوسهم وهو إرسال المطر أو السحاب عليهم وإمدادهم بأموال وبنين وجعل

(١) إذ عموم الجهار لا ينافي النوعية لأن العام لا يوجد إلا في ضمن الخاص.

وعد لهم عليه ما هو أوقع في قلوبهم) وكأنهم لما أمرهم بالعبادة بقوله: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [نوح: ٣] واكتفى بها إذ التقوى وإطاعة الرسول من جملة العبادة وذكرهما في النظم الكريم لمزيد الاهتمام بهما مراده توجيه الأمر بالاستغفار بعد قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [نوح: ٤] الآية قوله بما يجب معاصيهم أي ما سوى المظالم من التوبة عن التوبة قوله والمنح أي العطايا جمع منحة إشارة إلى قوله: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ [نوح: ١١] الآية وعن هذا قال ولهذا وعد لهم الخ فإنه جواب الأمر بالاستغفار كأنه قيل إن تستغفروا بالإيمان يرسل الله ماء السماء ووعد المغفرة بقوله أنه كان غفاراً وهو أبلغ من يغفر لكم ويرسل السماء الخ لكونه جملة اسمية تفيد الدوام ولكونه عاماً لهم ولغيرهم أو لكونه من إقامة المؤثر مقام الأثر وإنما قال وكأنهم لعدم الجزم بقولهم ذلك بل يحتمل أن يكون ذلك بدلالة الحال.

قوله: (وقيل لما طالبت دعوتهم وتعمد إصرارهم حبس الله عنهم القطر أربعين سنة وأعقم أرحام نسائهم) وقيل لما طالبت فيظهر وجه تخصيص ما ذكر في الجوابية مرضه لأن تخصيص ما ذكر في الجواب لا يحتاج إلى ما ذكر لأن نفوس الإنسان مجبولة على حب المال والأولاد مع أن هذه الرواية ليس بمجزوم بها.

قوله: (فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ [نوح: ١١] الآية) الباء لالة والياء في بذلك صلة فلا يلزم تعلق الحرفين بفعل واحد بمعنى واحد.

الجنات والأنهار لهم قال الزمخشري أمرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم إليهم الموعد بما هو أوقع في نفوسهم وأحب إليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيباً في الإيمان وبركاته والطاعة وثباتها من خير الدارين كما قال: ﴿وَأُخْرَى تَحْبِبُونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٣] ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكدير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وروي سبعين فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه خرج يستسقي فما زاده على الاستغفار فقليل له ما رأيتك استسقيت بمجاذيب السماء التي يستنزل بها المطر شبه الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تخطيء وعن الحسن أن رجلاً شكى إليه الجذب فقال استغفر الله وشكى إليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فتلا له الآية هذا والمجاذيب جمع مجذح والياء زائدة للاتباع والقياس أن يكون واحداً مجذحاً والمجدح نجم من النجوم وقيل هو الدبران وقيل هو على ثلاثة كواكب وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر فجعل الاستغفار مشبهاً بالأنواء مخاطبة بما يعرفونه لا قولاً بالأنواء وجاء بلفظ الجمع لإرادة الأنواء جميعاً التي يزعمون أن من شأنها المطر وعن بعضهم قد أجرى الله تعالى إنزال المطر عند طلوع ذلك ثم غلطوا فراؤا المطر منه لا من الله تعالى وقيل المجدح كوكب يكثر المطر عند طلوعه أكثر مما يكون عند طلوع سائر الكواكب.

قوله تعالى: يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكَ فِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُنَزِّلُ الْأَمْوَالَ وَرِيْقًا وَيَجْعَلُ لَكُم مَجْنَى وَيَجْعَلُ لَكُم مَجْنَى وَيَجْعَلُ لَكُم مَجْنَى ﴿١٢﴾

قوله: (قوله ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء) ولذلك أي ولكون الاستغفار بالتوبة عن الكفر بل بتربية النفس بالطاعة سبباً لفتح باب أنواع الخيرات شرع الاستغفار بالمعنى المذكور في الاستسقاء حين استيلاء القحط والبلاء.

قوله: (والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمدار كثير الدور يستوي في هذا البناء المذكور والمؤنث والمراد بالجنات البساتين) والسماء يحتمل المظلة أي الفلك والسحاب والأول معنى عرفي له والثاني لغوي لأن السمااء في اللغة كل ما علاك والسحاب من جملته والسقف يطلق عليه السمااء وأيضاً نزول المطر من السمااء الدنيا إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض وإرسال السمااء إما مجاز عقلي أو بتقدير المضاف أي يرسل ماء السمااء ولم يذكره لظهوره ولدلالة مداراً عليه كما قال المدار كثير الدور أي الانصباب والسيلان والمدار مفعول من الدور وهو للمبالغة يستوي في هذا الخ وكذا سائر صيغ المبالغة كلها كما نفل عن سبويه وما خالفه فهو على خلاف القياس وأشار به إلى أن السمااء مؤنثة حتى قيل إنها جمع سماء فيحتاج إلى توجيه مداراً ونبه به أيضاً إلى أن السمااء لو قيل إنه مذكر كان المدار مطابقاً له أيضاً للاستواء المذكور والمراد بالجنات البساتين لا دار الثواب بقرينة ما قبله وآخر البنون لأن بقاء الأموال بالبين كما أن بقاء الجنات بالياء كذا قيل أواخر البنون لأن كمال التمتع بالبين إنما هو بالأموال أو حفظ الصحة والبقاء بالأموال وكذا الكلام في الجنات لأنها من أفراد الأموال والتمتع بها بالذات وإن كان الماء سبباً لبقائها والمراد بالأنهار مياه الأنهار إما بتقدير المضاف أو المجاز المرسل بذكر المحل وإرادة الحال.

قوله تعالى: مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾

قوله: (لا تأملون له^(١)) توقيراً أي تعظيماً لمن عبده وأطاعه فتكونون على حال تأملون فيها تعظيمه إياكم ما مبتدأ خبره لكم وشه بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار) لا تأملون له توقيراً أشار أولاً إلى أن الرجاء بمعنى الأمل لأنه الأصل المتبادر الشائع مع أنه المناسب

قوله: فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه إياكم يعني حثهم الله تعالى على أن يرجوا توفير الله إياهم في الآخرة بأن يدخلهم دار الكرامة ويشبههم فيها والمراد الحث على الإيمان والطاعة الموجبين لرجاء ثواب الله فهو من باب الكناية لأن من آمن به وعبد وعمل صالحاً ومن آمن وعمل الصالحات رجاء ثواب الله وتعظيمه إياه في دار الثواب فهو من باب مقدمة الواجب لأن الحث على تحصيل الرجاء مسبق بالحث على تحصيل الإيمان فالمعنى ما لكم لا تؤمنون وتعملون الصالحات لتكونوا على رجاء أن يعظمكم الله بأن يجازيكم أحسن الجزاء أي ما لكم لا تفعلون ما

(١) الظاهر أنه مجاز له كما أنه مجاز في العظمة إذ التوقير إحداث الوقار أي العظمة كما سيأتي.

للمقام كما نبه عليه فتكونوا الخ ففيه ترغيب وتحريض على عبادة الله تعالى وطاعته قوله تعظيماً إياكم إشارة إلى أن وقاراً بمعنى التعظيم اسم مصدر كالسلام بمعنى التسليم قوله تعظيماً لمن عبده بقرينة أن تعظيم الله تعالى لا يكون لمن عصى وكفر ونبه به أيضاً على أن الله فاعل لأن في مثله يكون مدخول اللام فاعلاً واللام مبين له وقد يكون مدخوله مفعولاً وحمل هنا على الفاعل لأنه ادعى إلى الطاعة ولذا قال المصنف والله بيان للموقر الخ قوله لكان صلة للوقار فيفيد أنه تعالى موقر معظم مع أنه ليس بمراد لما عرفته من أن المذكور أقوى في الحث على الإيمان والتقوى فلما قدم امتنع أن يكون متعلقاً بوقار لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه كما هو المشهور^(١) قوله ما مبتدأ خبره لكم أي شيء حاصل لكم حال كونكم غير راجين فقوله لا ترجون حال والاستفهام مترجه إليها وهو للاتكار الوقوعي لأن المقصود إنكار سببه^(٢) أي لا سبب لكم في عدم الرجاء أصلاً قوله بيان للموقر إطلاق الموقر بزنة اسم الفاعل ليس على كونه صفة واسماً له تعالى حتى يحتاج إلى السمع بل على إفادة أنه فعل ذلك التعظيم ومثل هذا الإطلاق شائع.

قوله: (أو لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصبانته) فالوقار بمعنى العظمة^(٣) قوله

هو سبب لرجاء تعظيم الله إياكم في دار الكرامة قال الطيبي رحمه الله فهو من الكتابة التلويحية وأقول فيه نظر لأن الكتابة التلويحية عبارة في الاصطلاح عما فيه كثرة الوسائط بين اللازم والمزوم مثل كثير الرماد ومهزول الفصيل ولا واسطة هنا بين اللازم والمزوم أصلاً فضلاً عن الكثرة فإن اللازم رجاء تعظيم الله لهم في دار الكرامة والمزوم الإيمان والعمل الصالح فحثوا على اللازم وأريد الحث على المزوم وأصل المعنى ما لكم لا تؤمنون بالله وتعملون الصالحات حتى ترجوا تعظيم الله إياكم فتقوى المزوم ودل عليه بلازمه.

قوله: والله بيان للموقر بكسر القاف فكأنه لما قيل: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾ [نوح: ١٣] قيل لمن الوقار فأجيب الله أي الله الوقار فيقركم ولو تأخر كان صلة للوقار وإنما لم يحمل الله في صورة التقديم على الصلة لأن صلة المصدر لا يتقدم عليه وعن بعضهم البيان في كلامهم قد يتقدم وقد يتأخر فالتقدم كقوله تعالى: ﴿وقاراً﴾ [نوح: ١٣] والتأخير كقوله تعالى: ﴿هبت لك﴾ [يوسف: ٢٣] وكقولك مرحباً بك فإن بك بيان ولكن إذا تقدم هنا وجب أن يكون بياناً وإذا تأخر فالظاهر أنه صلة ويجوز أن يكون بياناً كأنه قيل وقاراً لمن فقيل لله ويجوز أن يكون لله صلة وقاراً مقدماً عليه توسعاً في الظرف قال الإمام إن القوم كانوا يبالغون في الاستخفاف بنوح عليه السلام فأمرهم الله بتوقيره أي إنكم إذا قرئتم نوحاً وتركتم استخفافه كان ذلك لأجل الله تعالى ﴿فما لكم لا ترجون الله وقاراً﴾ [نوح: ١٣] وأقول الوجه إن وقاراً يحتمل أن يكون المراد به توقيراً له إياهم أو توقيهرم له تعالى سواء كان الله صلة أو بياناً مقدماً أو مؤخراً.

(١) ولو كان إنكار عدم الرجاء يكون إنكار الواقع للتوبيخ.

(٢) لأنه مسبب منها في الأغلب فيكون مجازاً.

(٣) وهذا مختار الشيخين فلا وجه لبحث الفاضل المحشي بناء على اختيار غيرهما وقد مر مراراً في كلامهما ذلك القول.

فتخافوا عصيانه الظاهر أنه حمل الرجاء على الخوف لكن قوله عبر عن الاعتقاد بالرجاء الخ يأبى عنه فالرجاء أيضاً بمعنى الأمل لكن المراد الاعتقاد كما ذكره فقوله فتخافوا عصيانه لازم معناه وجواب النفي أي ما لكم في انتفاء الاعتقاد بالعظمة وانتفاء الخوف من عصيانه فالنفي متوجه إليهما جميعاً أي ما يكون منكم اعتقاد العظمة ولا الخوف من العصيان وما يترتب عليه من العذاب في النيران.

قوله: (وإنما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لأدنى الظن) التابع صفة الرجاء لأدنى الظن وهو الوهم أو الشك فإن رجاء الشيء وأمله إنما يكون بعد حصول أدنى الظن بوقوع الشيء المرجو فإنه ما لم يتعلق به أدنى الشيء لا يكون وقوعه ووجوده مرجواً فإذا تعلق به الظن الغالب يكون وجوده مظنوناً وإذا تعلق به العلم اليقيني يكون وقوعه مجزوماً.

قوله: (مبالغة) في نفي الاعتقاد لأن انتفاء الرجاء مستلزم لانتفاء الظن فإذا انتفى الظن يكون انتفاء الاعتقاد بالعظمة بطريق الأولوية وفيه بحث إذ اعتقاد الشيء اعتقاداً جازماً ما لم يوجد الظن حينئذٍ فانتفى الأدنى ولم ينتف الأعلی فلا تغفل وبهذا ظهر ضعف الوجه الثاني.

قوله تعالى: وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴿١٤﴾

قوله: (حال مقررة للإنكار من حيث إنها موجبة للرجاء بأن خلقهم أطواراً أي تارات) حال من فاعل لا ترجون بتأويل مقارنين بخلقكم أطواراً وهذه الحالة تقتضي الرجاء فيفيد إنكار عدم الرجاء وإنكار سببه وهو الظاهر إذ الحال بيان سبب الرجاء قوله من حيث إنها موجبة الخ إشارة إلى ما ذكرناه وإلى أن هذه علة موجبة فيكون مبالغة في الإنكار قوله بأن خلقهم الباء متعلق بموجبة وهذه نعمة جسيمة فالمنعم الحقيقي جدير بالرجاء المذكور بالإيمان والعبادة وحاصل الحال كيف تكفرون بالله ولم تؤمنوا به راجين تعظيم الله تعالى إياكم وقد خلقكم أطواراً والخلق وحده يوجب الرجاء المذكور فضلاً عن الخلق تارات أي حالات فالمراد بالتارات الحالات والحالات تستلزم المرات ولذا فسر المحشي بالمرات.

قوله: (إذ خلقهم أولاً عناصر ثم مركبات تغلّي الإنسان ثم أخلاطاً ثم نطفاً ثم علقة ثم مضغاً ثم عظاماً ولحوماً ثم أنشأهم خلقاً آخر) إذ خلقهم أي إذ بدأ خلقهم بأن خلقهم من عناصر ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧] أي آدم عليه

قوله: (وإنما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لأدنى الظن مبالغة وجه المبالغة هو إفادته إن أدنى الظن في عظمة الله تعالى يكفي زاجراً عن عصيانه فضلاً عن أهله).

قوله: (حال مقررة للإنكار أي حال مقررة لإنكار عدم الرجاء المستفاد من كلمة الاستفهام في ﴿لَا تَرْجُونَ﴾ [نوح: ١٣] فإن ذلك الإنكار دل على إيجاب الرجاء لأن إنكار عدم الرجاء إيجاب للرجاء وهذه الحال تقرّر ذلك من حيث إنها موجبة للرجاء لأن خلقهم أطواراً يقتضي ذلك.

السلام وفي موضع آخر: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من طين﴾ [المؤمنون: ١٢] فكذا هنا فلا يحتاج إلى التأويل بقدر ولا يلائم أيضاً بقوله: ﴿ثم أنشأهم خلقاً آخر﴾ [المؤمنون: ١٤] ولا حاجة إلى تقدير المضاف أي خلق مادتهم قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم﴾ [غافر: ٦٧] أي ابتداء خلقكم فيكون خلق مجازاً عن ابتداء الخلق بطريق ذكر المسبب ورواة السبب قوله ثم مركبات أي المأكولات قوله تغذي بالذال المعجمة أي تأكله الإنسان ثم اخلاطاً أي اخلاطاً أربعة وهي البلغم والسوداء والدم والصفراء ثم نطفاً متحولاً من الدم وقد مر تفصيله في أوائل سورة المؤمنين.

قوله: ﴿فإنه يدل على أنه يمكن أن يعيدهم تارة أخرى فيعظمهم بالثواب وعلى أنه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة﴾ فإنه يدل لأن الاعادة أهون من الإبداء الأولى فإنه تعالى يعيدهم تارة أخرى فيعظمهم بالثواب إشارة إلى ما ذكره من الوجه الأول وأن المراد من تعظيم الله إياهم تعظيمه بالثواب ولم يصرح به فيما مر بل نبه عليه بقوله تعظيماً لمن عبده وإطاعه وغرضه بيان ارتباطه بما قبله وإن فهم من قوله حال مقررة قوله وعلى أنه تعالى عظيم القدرة الخ فيكون قادراً على العقاب بمن عصى فيكون إشارة إلى الوجه الثاني وهو قوله أو لا تعتقدون له عظمة الخ.

قوله: ﴿ثم اتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال: ﴿الم تروا﴾ [نوح: ١٥] الآية﴾ أي ما ذكر من آيات الأنفس الخ أي ذكر عقبيه وهذا معنى اتبع ذلك معطوف على ما فهم من السابق أي ذكر أولاً ما يدل على أنه يعيدهم الخ من آيات الأنفس ثم اتبع ذلك والعطف بشم مع أنه لا تراخ في الذكر للتنبيه على تفاوتهما فيكون للتراخي الرتبة وأن الأول أقوى دلالة.

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۖ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ

النَّفْسَ بَرَكَةً ۚ﴾

قوله: ﴿الم تروا﴾ [نوح: ١٥] من الرؤية البصرية والاستفهام لأنكار النفي وإثبات المنفي أو من الرؤية القلبية إذ ما وراء سماء الدنيا لا يرى كيفيتها إلا ادعاء.

قوله: ﴿أي في السموات وهو في السماء الدنيا وإنما نسب اليهن لما يبينهن من الملابس).﴾

قوله: ﴿والمراد بالملابس﴾^(١) كون بعضها فوق بعض وكونها بالكلية والجزئية ظاهراً أنه غير صحيح.

قوله: ﴿مثلاً به﴾ إشارة إلى أنه تشبيه بليغ والاستعارة في مثله بعيد وقد ذهب إليها البعض^(٢) وجعل الشمس مشبهاً والسراج مشبهاً به لأن السراج أعرف بالنسبة إلينا والافتتان ما بينهما.

(١) والقول بأن نظيره زيد في البلدة الغلاتية وإنما هو في بعض نواحيها لا محاسن له هنا بحسب الظاهر.

(٢) وقد مر بيانه في قوله تعالى: ﴿صم بكم صمي﴾ [البقرة: ١٨] الآية.

قوله: (لأنها تزبل ظلمة الليل عن وجه الأرض كلما يزيلها السراج عما حوله) بيان وجه الشبه قوله عما حوله تنبيه على ما ذكرناه من أن المشبه أقوى بحيث لا مناسبة بينهما وبهذا ومثله ظهر ضعف القول بأن الشرط كون المشبه به أقوى مثل الأعرافية.

قوله تعالى: **وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا** ﴿١٧﴾

قوله: (أنشأكم منها فاستعير الانبات للإنشاء) أي الانبات استعارة أصلية وأنبتكم استعارة تبعية إذ الانبات إحداث النبات والإنشاء إحداث الشيء فشابهه في الإحداث ويحتمل أن يكون مجازاً مرسلاً بذكر المقيد وإرادة المطلق قوله من الأرض بيان أن يكونوا من الأمور الضعيفة وأنه لا يكون من أهل السعادة بدون العلم والعمل.

قوله: (لأنه أدل على الحدوث والتكون من الأرض وأصله أنبتكم إنباتاً فنبتم نباتاً) فاختصر اكتفاء بالدلالة (اللزامية).

قوله تعالى: **ثُمَّ يُبْدِئُ فِيهَا وَتَرْجُمُكُمْ إِخْرَاجًا** ﴿١٨﴾

(مقبولين) لأنه أدل على الحدوث لأن الانبات أمر محسوس تكرر إحساسه والتكون من الأرض لكونهم مخلوقين من الأغذية المتولدة من النبات المتولد من الأرض أو معناه أنبت أيأكم من الأرض وهذا قد علم من قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤] لكن أريد بذكره التمهيد لذكر قوله: ﴿ثُمَّ يَعِيدُكُمْ﴾ [نوح: ١٨] الآية بعد ذكر الأدلة الدالة على البعث من آيات الأنفس والآفاق وكلمة ثم لأن الاعادة في الأرض متراخ عن الانبات والإخراج بالحشر وإن تراخى عن الاعادة بعدة متطاولة لكن لا اعتداد ما بين الاعادة في الأرض والإخراج منها ولذا عطف بالواو أو لأن أحوال البرزخ والآخرة في حكم شيء

قوله: فاستعير الإنبات للإنشاء لأنه أدل على الحدوث وجه الدلالة أنهم إذا كانوا نباتاً كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات.

قوله: فاختصر اكتفاء بالدلالة (اللزامية) فإن الإنبات يستلزم النبات فيكون انتصاب نباتاً بفعل مقدر هو مصدره لا بأنبتكم لأن النبات ليس مصدره ويجوز أن يكون منتصباً به لأن أنبتكم يتضمن معنى نبتكم ونباتاً أبلغ من إنباتاً لما في نباتاً من معنى الإشعار بأن الله تعالى أراد أنبأتكم فنبتم وجه الإشعار بهذا المعنى هو إفادته إنكم نبتتم بمجرد إرادة الله الإنبات مع قطع النظر عن فعل الإنبات ومعنى أبلغيته منه دلالة على تمشي كمال قدرة الله تعالى وسرعة نفاذ إرادته وحكمه في الأشياء حتى كان إنبات الله تعالى نفس أبلغيات فقرن أحدهما بالآخر ونظيره قوله تعالى: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَبَاتًا﴾ [الأعراف: ١٦٠] من حيث إن الانبجاس جعل مسبباً عن الإحياء بضرب الحجر للدلالة على أن الموحى إليه وهو أن موسى عليه السلام لم يتوقف على اتباع الأمر وامتناله وفيه تكتة أن الانبجاس وقع عقيب الوحي بأمر الضرب بلا مهلة من غير توقف على وجود الضرب من المأمور فكانه حصل عقيب الإحياء دفعة قبل امتثال المأمور بالمأمور به وهذا أبلغ من أن يقال فضرب فانبجست لكونه أدل على القدرة القاهرة والإرادة النافذة.

واحد لا يكون بعضه محقق الوقوع دون بعض بل لا بد أن تقع الجملة لا محالة وإن تأخرت عن الابداء كذا قيل ولا يخفى ما فيه.

قوله: (بالحشر وأكده بالمصدر كما أكد به الأول دلالة على أن الاعادة محققة كالبدء وأنها تكون لا محالة) كما أكد به الأول هذا بناء على ما ذكر من أن أصله أنبتكم إنباتاً فنبتم نباتاً فاختصر الخ لكن ترك التأكيد في الاعادة لظهورها والابداء وإن كان ظاهراً أيضاً لكن أكد به لقياس الإخراج عليه فعلم منه أن أحوال البرزخ والآخرة ليسا في حكم شيء واحد كيف لا ولم ينكر أحد الموت والاعادة في القبر بخلاف الآخرة ولذا قال الاعادة أي الإخراج عن الأرض وهو البعث كالبدء وأنها لا تكون لا محالة لما مر غير مرة من أن الابداء أهون عن الاعادة ولم يقل الإخراج من الأرض كالأعادة في الأرض إذ القياس لا يجري بينهما كما يجري بين البدء والبعث كما مر توضيحه في أواخر يس.



قوله تعالى: **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا**

قوله: ﴿والله جعل لكم الأرض﴾ [نوح: ١٩] أعيد اسم الجلال الأعظم لأنه نوع آخر من الدليل.

قوله: (بساط تتقلبون عليها) بساط من باب التشبيه البليغ أشار إليه بقوله: تتقلبون الخ مع الإشارة إلى وجه الشبه كقوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ [البقرة: ٢٢] قال المصنف هناك وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لأن كرية الأرض وشكلها مع عظم حجبتها واتساع جرمها لا يأبى الافتراض عليها وكذا لا يأتي التقلب فيها فلا دلالة في الآية على أن الأرض ليست كرية بل مبسوطة ولا ضير في القول بالكروية مع الحدوث والخبر الصادق على أنها خيمية خبر الأحاد فلا يفيد اليقين.



قوله تعالى: **لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَالًا**

قوله: (لتسلكوا) علة غائية بحسب الظاهر لجعلها بساطاً إذ حاصله جعلها متوسطة بين الصلابة والرخاوة واللطفة.

قوله: (واسعة جمع فج) أي الفج صفة مشبهة صفة لسبلا وهذا أولى من كونه اسماً للطريق الواسعة فحيثل يكون بدلاً أو عطف بيان.

قوله: (ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ) ومن أي في قوله منها لتضمن الفعل معنى الاتخاذ أي لتسلكوا متخذين منها سبلا الخ وأصل تعديته ففي كقوله تعالى: ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾ [طه: ٥٣].

قوله: (ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ يعني مقتضى الظاهر أن يقال فيها بدل منها لكن جيء بمن بدل في لتضمن السلك في الأرض معنى اتخاذ الطريق منها الذين سلكوا متخذين منها سبلاً).



قوله تعالى: قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهٖم عَصَوْنِي وَأَتَّعَمُوا مِنْ لُزْزَةٍ مَّأَلَمُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا

قوله: ﴿قَالَ نوح رب إنهم عصوني﴾ [نوح: ٢١] فيما أمرتهم به ﴿قَالَ نوح﴾ [نوح: ٢١] الآية اشتكاء من قومه إلى ربه واسم الرب هنا أوقع من بين الأسامي السامية قوله: فيما أمرتهم أي من عندك فيلزم عصيان ربه بطريق الأولوية.

قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا رُؤُسَاءَهُمْ﴾ [نوح: ٢١] فضمير عصوا للمضعفاء بقرينة واتبعوا فيفهم عصيان الرؤساء بدلالة النص ونبه به على أن زيادة المال والولد كناية عن الرياسة الدنيوية وإنما اختير على واتبعوا رؤساءهم مع أنه اخصر تنبيهاً على زيادة خسرانهم بسبب الأموال والأولاد.

قوله: (البطرين بأموالهم) أي المفترخين المتكبرين بها والجمع بالنظر إلى معنى من . قوله: (المفترخين بأولادهم بحيث صار ذلك سبباً لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه أنهم إنما اتبعوهم لوجاعة حصلت لهم بأموال وأولاد أدت بهم إلى الخسار وقرأ ابن كثير وحزمة والكسائي والبصريان ولده بالضم والسكون على أنه لغة كالحزن أو جمع كالأسد) المفترخين بأولادهم عبر بالمفترخين هنا للتفنن أو الأموال سبب الكبر والأولاد سبب الاغترار ومراده بيان وجه كونهما سبباً لزيادة خسران قوله سبباً لزيادة خسرانهم إشارة إلى أن الإستاد مجاز عقلي قوله في الآخرة وفي الدنيا أيضاً خص الآخرة بالذكر لأن ظهور خسرانهم فيها.



قوله تعالى: وَمَكُرُوا مَكْرًا كَبِيرًا

قوله: (عطف على لم يزد والضمير لمن وجمعه للمعنى) والمعطوف عليه البيان ضلالهم والمعطوف لبيان إضلالهم ولتقدم الضلال على الاضلال في الوجود قدم في الذكر والجامع خيالي أو عقلي والتأكيد للمبالغة.

قوله: (كبير في الغاية فإنه أبلغ من كبار وهو أبلغ من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على أذى نوح) وذلك أي المكر هنا الاحتيال في الدين أي إبطال أمور

قوله: ولده بالضم والسكون قال الزجاج الولد والولد بمعنى مثل العرب والعرب قرأ نافع وعاصم وابن عامر ولده بفتح الواو واللام والياقون بضم الواو وإسكان اللام وكسر الواو شاذ.

قوله: فإنه أبلغ من كبار أي كباراً بالتشديد أبلغ من كبار بالتخفيف وكباراً بالتخفيف أبلغ من كبير ونحوه طوال وطووال وطويل والتثنية هي القراءة المشهورة والتخفيف شاذ.

قوله: ومكروا عطف على لم يزد فالضمير فيه راجع إلى من وجمعه باعتبار المعنى وإنما لم يعطف على عصوا واتبعوا لأن قوله: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ [نوح: ٢٣] عطف على ﴿مَكُرُوا﴾ [إبراهيم: ٤٦] عطف التفسير والمقاتلون لهذا القول هم الرؤساء يقولون لمعبيهم ﴿لَا تَذَرُنَّ﴾ [نوح: ٢٣] الآية فأوجب هذا أن يكون المراد بالمكر مكر الرؤساء المعبر عنهم بمن في قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ﴾ [نوح: ٢١] فافتضى السوق أن يعطف على الصلة.

الذين وتحريش الناس بالحاء المهملة والشين المعجمة بمعنى الاغراء والتحريض وكونه مكرراً محل تأمل فتأمل .

قوله تعالى: وَقَالُوا لَا تَنْزِّلْهُ إِلَّا إِلَهُكُمُ اللَّاتِي تَدْعُونَ وَذَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾

قوله: (وقالوا) أي رؤسائهم لضعفائهم أو بعضهم لبعض .

قوله: (ولا تنزلون هؤلاء خصوصاً) نبه به على أنه من عطف الخاص على العام اعتناء لشأنها وإعادة الفعل لمزيد الاهتمام بها .

قوله: (قيل هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام) كانوا بين آدم أي بعد آدم وقبل نوح صوروا على المبني للمفعول أي نقلت صورتهم ورسمت .

قوله: (فلما ماتوا صوروهم تبركاً بهم) ولكون عبادتهم مثل عبادتهم كلما شاهدوهم حصل لهم النشاط والرغبة التامة في العبادة وتصوير ذي الروح جائز في ذلك الوقت وحرمة شرع جديد صرح به في سورة سبأ .

قوله: (فلما طال الزمان عبدو) وانقرض المصورون صورهم عبد وأي عبد من جاء بعدهم ياغراء الشيطان لهم أن آباءهم كانوا يعبدونهم فعبد أبناءهم وكانت أكبر أصنامهم ولذا خصوا بالذكر مع اندراجهم فيما قبله .

قوله: (وقد انتقلت إلى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير) وقد انتقلت إلى العرب وقد دفن تلك الأصنام الخمسة الطين والماء والتراب في أيام الطوفان فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب أصنام آخر كالات والعزى وغير ذلك قوله: ﴿وسواعاً﴾ [نوح: ٢٣] ولا فيه زائدة لتأكيد النفي وكذا في لا يغوث ولم يجيء كلمة لا في يعوق ونسراً إذ لم يقصد التأكيد فيهما^(١) وكلب اسم قبيلة وهمدان بسكون الميم اسم قبيلة باليمن^(٢) ومذحج يوزن مسجد بالذال المعجمة وتقديم الحاء على الجيم هي في الأصل اسم أكمه باليمن ولدت عندها امرأة فسميت باسمها ثم سميت قبيلة باليمن من نسلها ويجوز فيه الصرف وعدمه قوله مراد كغراب أو قبيلة سمي به لثمره فميمه أصلية وهذا أظهر الأقوال فيها .

قوله: (وقرأ نافع ودأ بالضم وقرىء يغوثاً ويعوقاً للتناسب ومنع صرفهما للعلمية^(٣) والعجمة) للتناسب وهو من البلاغة كقوله تعالى: ﴿سلاسل وأغلالاً﴾ [الإنسان: ٤] وقد وقع في أشعار العرب وقوعاً كثيراً والقول بأنه بناء على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقاً ضعيف لأنها لغة ردية قول للعلمية والعجمة ولم يلتفت إلى كونها وزن الفعل إذ العجمة أقوى^(٤) .

(١) مع أن كثرة التكرار ليس من المحاسن .

(٢) وحير بكسر الحاء وسكون الميم اسم قبيلة وجميع ما ذكر من الصحاح .

(٣) إذ قبله اسمان منصرفان ويعد اسم منصرف .

(٤) وإن كان عريبن دون أعجميين فالعلة العلمية ووزن الفعل .

قوله تعالى: وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾

قوله: (الضمير للرؤساء أو للأصنام كقوله: ﴿إنهن أضللن كثيراً﴾ [إبراهيم: ٣٦]) الضمير للرؤساء فهم مضلون مع كونهم ضالين أو الأصنام المعبر عنها بالتهكم آخره لأن ضمير العقلاء لا يناسبه إلا يتمحل وهو تنزيل الأصنام منزلة العقلاء إذ العبادة لا تكون للجماد فتعد من العقلاء على زعمهم قوله إنهن اظللن الخ على الإسناد المجازي.

قوله: (عطف على ﴿رب إنهم عصوني﴾ [نوح: ٢١]) ويلزم حينئذ عطف الإنشاء على الإخبار ولذا قالوا أن الواو من الحكاية لا من المحكي أي من كلام الله تعالى لا من كلام نوح فالتقدير وقال نوح ولا تزد الظالمين الخ فعطف القول المقدر على القول المذكور فيكون عطف الإخبار على الإخبار ولا يضره كون المقول إنشاء فيكون مثل قوله تعالى: ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [آل عمران: ١٧٣] على وجه وفي الكشف ومعناه: ﴿قال رب إنهم عصوني﴾ [نوح: ٢١] وقال: ﴿لا تزد الظالمين إلا ضلالاً﴾ [نوح: ٢٤] انتهى فإذا عطف على رب عصوني وهو منادى فيكون إنشاء فيكون عطف الإنشاء على الإنشاء إلا أن يقال إن مرادهم عطف على عصوني فلا تغفل.

قوله: (ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في أمر دينهم) ولعل المطلوب الخ جواب إشكال بأن النبي عليه السلام مبعوث للإرشاد والهداية فلا يليق به الدعاء بالضلال فضلاً عن زيادته فأجاب بأن المطلوب ليس الضلال في أمر الدين بل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم الخ والضلال في ترويج مكرهم عدم

قوله: الضمير للرؤساء أو للأصنام جملة ﴿وقد أضلوا﴾ [نوح: ٢٤] حال فإن كان ذو الحال وأو قالوا يكون الضمير للرؤساء وإن كان ألهتكم يكون للأصنام ولما كان رجع الضمير إلى الأصنام أوجب نسبة الإضلال إلى الجمادات وهو بحسب الظاهر مما يصلح أن يتردد فيه فإن الإضلال مما لا شعور له غير معقول المعنى استشهد عليه بقوله: ﴿إنهن أضللن كثيراً﴾ [إبراهيم: ٣٦] يعني أن إسناد الإضلال إلى الأصنام واقع في القرآن في غير هذا المقام والقرآن يفسر بعضه بعضاً فالوجه في الإسناد أن يكون من باب الإسناد إلى السبب.

قوله: ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم لما كان المقصود من إرسال الرسل الهداية إلى الطريق الموصل إلى السعادة الآخروية وطلب الضلال يتنافى ذلك صرف رحمه الله الضلال المطلوب هنا إلى الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لأن هذا الطلب لا يتنافى المقصود من البعثة يعني لعل الضلال المطلوب بالنهاي حصوله بعد انتفاض معنى الترك بكلمة إلا هو الضلال في ترويج مكرهم أي لا تزد الظالمين شيئاً إلا ضلالاً كائن في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لأن هذا الطلب لا يتنافى المقصود من البعثة يعني لعل الضلال المطلوب بالنهاي حصوله بعد انتفاض معنى الترك بكلمة إلا هو الضلال في ترويج مكرهم أي لا تزد الظالمين شيئاً إلا ضلالاً كائن في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم وهذا طلب لما هو أنفع لهم وللمؤمنين فإنهم إذا ضلوا في طريق الشر يمكن أن يهتدوا إلى طريق الخير ويأمن المؤمنون من انتقاعهم وكيدهم.

اعتدائهم إلى ترويعه وكونهم في خسران في مكروهم وفي سائر أمور دنياهم وهذا أولى من الجواب بأنه عليه السلام لما علم بالوحي أنهم لا يؤمنون دعا عليهم بزيادة ضلالهم لزيادة عقابهم كما دعا موسى عليه السلام بقوله: ﴿واشدد على قلوبهم﴾ [يونس: ٨٨] فلا يؤمنون لأنه مهما أمكن توجيهه بغير ذلك يصرار إليه وأما دعاء موسى عليه السلام فهو صريح في ذلك لا مساغ لأن يصرار إلى غيره فيبينوا وجهه وقالوا إنما أراد بذلك الانتقام منه بدوام عذابه بالموت على الكفر حتى قالوا جاز ذلك بهذا الغرض لا لاستحسان الكفر ورضائه وإن كان الأولى تركه لأحاد الأمة لعسرة محافظة نيته عن الزيغ والخلل بخلاف الأنبياء عليهم السلام.

قوله: (أو الضياع والهلاك كقوله: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾ [القمر: ٤٧]) أو الضياع والهلاك والظاهر أنه مجاز لأنه مأخوذ من الضلال في الطريق لأن من ضل في الطريق يلزمه الهلاك في الغالب ولكونه مجازاً آخره أيضاً يكون حيثنؤ قوله تعالى: ﴿ولا تزد الظالمين إلا تباراً﴾ [نوح: ٢٨] أي هلاكاً تكراراً والتأسيس خبر من التأكيد.

قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا فَأَذْنَبُوا نَارًا فَتَرْجَدُوا وَلَمْ يَمْنُوا فَوَسَّوْا أَصْحَابَ﴾ (٢٥)

قوله: (من أجل خطيئاتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم) أي من تعليلية من فروع معنى الابتداء وما مزيدة للتأكيد أي لتأكيد الحصر المستفاد من تقديم ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ﴾ [نوح: ٢٥] وفيه رد لزعم المنجمين من أن ذلك الفرق كان لاقتضاء الأوضاع الفلكية آياه والتفخيم أي تعظيم خطيئاتهم لكون ما للابهام.

قوله: (وقرأ أبو عمرو ومما خطاياهم) جمع خطيئة أيضاً إلا أن هذا جمع تكسير وخطيئات جمع سلامة وهي جمع القلة يطلق على ما دون العشرة لكن هنا المراد ما فوق العشرة بقرينة خطيئاتهم وقرينة الحال شاهدة على ذلك (بالطوفان).

قوله: (المراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الإغراق

قوله: أو الضياع والهلاك فسر الضلال على معنييه المشترك لفظه فيهما المعنى الأول هو ضد الرشاد والثاني الضياع والهلاك يقال ضل يضل ضلالاً أي ضاع وهلك ومنه ما في قوله تعالى: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾ [القمر: ٤٧] أي في ضياع وسعر.

قوله: من أجل خطيئاتهم أعرقوا جعل من للتعليل وقد مر مثله مراراً قال صاحب الكشف تقديم ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ﴾ [نوح: ٢٥] لبيان إن لم يكن إغراقهم بالطوفان وإدخالهم النار إلا من أجل خطيئاتهم وقال الإمام من قال من المنجمين إن ذلك إنما كان بسبب أنه انقضى في ذلك الوقت نصف الدور الأعظم كان مكذباً بصريح هذه الآية فيجب تكفيره.

قوله: فالتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الإغراق والإدخال هذا جواب عما يرد على الوجه الثاني من أن ما بين إغراقهم وإدخالهم نار جهنم في الآخرة زمان طويل فكيف يترتب إدخالهم النار على إغراقهم بالفناء الموضوعه للتعقيب بلا مهلة.

والادخال) المراد عذاب القبر فالتعقيب ظاهراً وعذاب الآخرة فاحتاج التعقيب إلى التمثل وعن هذا قال والتعقيب لعدم الاعتداد الخ وجه عدم الاعتداد لأنه حالة خالية عن الحياة المتعارفة وإن كان له نوع حياة فشبه تخلل ما لا يعتد به بعدم تخلل شيء أصلاً فاستعير الفاء للتعقيب له وهذا معنى قولهم تعقب كل شيء بحسبه .

قوله: (أو لأن المسبب كالمعتقب للسبب وإن تراخى عنه لفقد شرطه أو وجود مانع) فاستعير فاء التعقيب للسببية لأن من شأنه أن يعقبها ما لم يمنع مانع كما قال لفقدان شرطه يستفاد منه أن الفاء السببية تعقيبية في الأصل وكلما حمل على الفاء السببية فيحتاج إلى التكلف المذبور .

قوله: (وتنكير النار للتعظيم أو لأن المراد نوع من النيران أهد لهم) أو لأن المراد نوع من النيران أي التنوين لتفخيم عذاب النار لقوله تعالى: ﴿يصلى النار الكبرى﴾ [الأعلى: ١٢] .

قوله: (تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله لا تقدر على نصرهم) باتخاذ آلهة في زعمهم قوله لا تقدر على نصرهم قوله تعالى: ﴿فلم يجدوا لهم﴾ [نوح: ٢٥] كناية عن عدم انتصار تقدر على نصرهم ودفع العذاب وفيه تهكم بهم في اتخاذ جماد آلهة ولتعدد الهتهم قيل انصاراً فلا مفهوم بأن المنفي الأنصار ولا ينافيه ناصر أو ناصران .

قوله تعالى: وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾

قوله: (أي أحداً) بيان حاصل المعنى .

قوله: (وهو مما يستعمل في النفي العام) إشارة إلى الأمرين الأول أنه لا يستعمل في الاثبات والثاني أنه لا يستعمل في النفي الخاص .

قوله: (فيقال من الدار أو الدور) أي الملحوظ في معنى ديار إما معنى الدار أو معنى الدور فمعناه على الأول لا تدع فيها من يسكن في الدار وعلى الثاني لا تدع فيها من يدور ويتحرك عليها من الكفار فظهر الفرق بينهما فما قاله المحشي من أنه قد يقال الدار أيضاً مشتق من الدور لأنه اسم لما يدار عليه الحائط فهو اعتبار آخر ولذا قال وقد يقال الخ وما فعل بأصل السيد وهو قلب الواو ياء لاجتماعها مع ياء ساكنة إذ أصله سيود وكذا دار أصله دوراً سكن الواو فيه للتخفيف ثم قلبت ألفاً وكذا ديار أصله دوار فاعل تبعاً لواحده قصار دياراً .

قوله: (أصله ديوراً ففعل به ما فعل بأصل سيد لا فعلاً وإلا لكان دواراً) أي الزائد الياء والألف لا الواو من جنس عين الفعل وإلا لكان دواراً إذ لا موجب لقلب الواوين بيائين .

قوله: أو لأن المراد نوع من النيران عطف على للتعظيم يعني تنكير ناراً للتعظيم أو للتنويع .

قوله: لا يقدر على نصرهم صفة لآلهة كأنه قيل فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله: ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ [الأنبياء: ٤٣] .

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا يَسَآذِلْهُ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجْرًا كَقَتَارٍ﴾ (٢٧)

قوله: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ﴾ [نوح: ٢٧] تعليل للدعاء المذكور ﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ [نوح: ٢٧] أي عبادك المؤمنين ولا يلدوا الخ من تشمة التعليل واحد الأمرين كافٍ في استجابة الدعاء المذكور والجمع بينهما أخرى به ولذا جمع بينهما وتقديم الأول لأنه أشد ضرراً وصيغة المبالغة لرعاية الفاصلة مع الإشارة إلى فرط عيانهم مع الكفر قوله: ﴿لَا تَذُرْ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [نوح: ٢٦] الخ لا يرد أنه يقتضي عموم بعثة لأهل الأرض لأن هذا العموم اتفاقي لانهصار أهل الأرض في قومه كانهصار دعوة آدم عليه السلام في أولاده وزوجه وقد سبق في أول السورة الكريمة أنه روى قتاده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن نوحاً عليه السلام أرسل إلى جميع أهل الأرض وبهذا التوجيه يأول كلامه فلا إشكال بأنه من خصائص رسولنا عليه السلام ألا يرى أن بعد إغراق الكفار بقي في وجه الأرض أصحاب السفينة فقط فأول بهذا التأويل المذكور.

قوله: (قال ذلك لما جربهم واستقرى أحوالهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فعرف منهم وطباعهم) قال ذلك الخ جواب سؤال مقدر وقيل علمه يوحي كقوله: ﴿لَنْ يَوْمَنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦] والجمع بينهما مستحسن كما في الكشف ومعنى كونهم فاجراً كفاراً أنه سيفجر ويكفر على المجاز الأولى.

قوله تعالى: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَرِيبْ الْأَعْيُنَ إِلَّا تَبَارَكَ

قوله: (لمك بن متوشلخ وشمخا بنت أنوش وكانا مؤمنين) لمك بفتح اللام والميم وسكون الميم جائزين متوشلخ بضم الميم وفتح التاء الفوقانية وفتح الواو وسكون الشين المعجمة وبالأخاء المعجمة كما في جامع الأصول وشمخا بوزن سكرى بالشين المعجمة وبالأخاء المعجمة أمه وأنوش قال عطاء لم يكن بين آدم ونوح عليهما السلام من آباءه كافر وكان بينه وبين آدم عشرة آباء كذا قاله الإمام.

قوله: قال ذلك لما جربهم هذا جواب عما عسى يسأل ويقال لماذا علم نوح أن أولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة قال صاحب الكشف فإن قلت ما فعل صبيانهم حين أغرقوا قلت أغرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالأنواع من أسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء والأمهات إذا أبصروا أطفالهم يفرقون ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يهلكون مهلكاً واحداً ويصعدون مصادر شتى وقال صاحب الانتصاف لما علل أحكام الله بالمصالح ورد عليه أن أطفال قوم نوح لما يعملوا ما يقتضي العقوبة فاجتراء على إنكار عقوبة الأطفال وأما أهل السنة فقاتلون ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. تمت السورة الحمد لله على توفيق الإتمام وعلى نبيه أكمل السلام مستفيضاً من الله ومتوكلاً عليه أقول.

قوله: (منزلي أو مسجدي أو سفيتي) منزلي قدمه لأنه المتبادر أو مسجدي لأنه بيت لغة وبقيد مؤمناً خرجت امرأته وأهله وابنه كنعان وحاصله أن المراد من آمن به من قومه رجلاً وامراً فني مؤمناً تغليب وخصه بالذكر للاهتمام بهم لاتصالهم به نسباً ودينياً.

قوله: (وللمؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة) وللمؤمنين عطف العام على الخاص . قوله: (هلاكاً) قيل غرق معهم صبيانهم أيضاً لكن لا على أوجه العقاب بل لتشديد عذاب آياتهم وأمهاتهم بإراءة إهلاك أطفالهم الذين كانوا عليهم أعز من أنفسهم كذا في الكشف والمراد بالظالمين الكافرون إذ الشرك ظلم عظيم إذ التعبير بالظلم للتنبيه على أن الدعاء بذلك لأجل ظلمهم.

قوله: (عن النبي ﷺ من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدرّكهم دعوة نوح عليه السلام) الحديث المذكور موضوع الحمد لله على اتمام ما يتعلق بسورة نوح ما دام الأجسام أحياء بدوام الروح والصلاة والسلام على من أرسل رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه الذين نصروا الشرع المبين تمت بتوفيقه تعالى في يوم الاثنين من صفر الخير بين الصلاتين سنة ١١٩٢.

سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون) مكية لا خلاف في كونها مكية وآيها ثمان وعشرون بالاتفاق أيضاً.

قوله تعالى: قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾

قوله: (قل) للناس أو لكفار قريش أمر عليه السلام بأن يقول لهم اعتماداً للمقول وترغيباً لما قاله الجن.

قوله: (وقرىء أحي وأصله وحي من وحي إليه فقلبت الواو همزة لضمها ووحى على الأصل) وقرىء أحي من الثلاثي أصله وحي إذ الایحاء والوحي بمعنى واحد وهو إعلام الله تعالى وهو كلام خفي تدرك بسرعة لأنه تمثل ليس في ذاته مركباً من حروف مقطعة توقف على تموجات متعاقبة كما صرح به المصنف في أواخر سورة الشورى قوله: لضمها الخ وهذا القلب قياس مطرد ووحى أي وقرىء ووحى.

قوله: (وفاعله) «أنه استمع نفر» [الجن: ١] الآية) أي نائب فاعله لأنه يسمى فاعلاً تسامحاً أنه الضمير للشأن استمع أي أصغى ولذا لم يحىء سمع نفر الخ.

قوله: (والنفر ما بين الثلاثة والعشرة) كذا في الكشف فإطلاقه على ما فوق العشرة يكون مجازاً كإطلاق جمع القلة على ما فوق العشرة فإنه مجاز ولا يتأقبه ما ذكره صاحب

سورة الجن

مكية وآيها ثمان وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قل أوحى إلي﴾ [الجن: ١] وقرىء أحي قال ابن جني وهي قراءة ابن أبي عبلة أحي من وحيث في وزن فعل يقال أوحيت إليه ووحيت إليه وأصله وحي فلما انضمت الواو ضمّاً لازماً همزه كقوله تعالى: ﴿أَنتُمْ﴾ [المرسلات: ١١] وقتت وقالوا في ﴿وجوه﴾ [الغاشية: ٢] أجوه.

قوله: (والنفر ما بين الثلاثة إلى العشرة وفي الكشف نفر من الجن جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة وقبل كانوا من الشيطان وهم أكثر الجن عدداً وعامة جنود إبليس منهم).

القاموس لأن كتب اللغة مشحونة بالمجاز ولو لم يكن الأمر كذلك لا يستقيم قول صاحب الكشف ولذا قال المحشي وما وقع في السراجية وأصحاب هذه السهام اثني عشر نقراً إما تجوزاً أو سهواً ولو ترك أو سهواً لكان أسلم وما نقل عن المجمع الرهط والنفر يستعمل إلى الأربعين فهو مشعر بكونه مجازاً حيث قال يستعمل ويمكن المناقشة في قوله إلى الأربعين إذ باب المجاز مفتوح وبما ذكرنا يحصل التلقيق بين كلماتهم المختلفة وهو لا يختص بالإنسان لأنه اطلق هنا على الجن والحمل على المجاز بعيد.

قوله: (والجن أجسام عاقلة خفية) ولذا يكلفون بالتكاليف الشرعية مثل الإنسان وللإشارة إليه ذكر قيد عاقلة خفية أي قابلة للخفاء وهو من شأنها لا أنها لا ترى أصلاً قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿إنه يراكم هو رقيب من حيث لا ترونهم﴾ [الأعراف: ٢٧] ورؤيتهم إيانا من حيث لا تربهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثيلهم لنا ونفي الامتناع لا يدل على الوقوع قال الإمام فلو قدر جني على أية صورة شاء لارتفع الأمان حيث اشتبه علينا أن ما رأينا ولدي أو زوجتي مثلاً أو جني صور بصورة ولدي أو زوجتي وبهذا ظهر ضعف ما قيل في حل قول المص يعني أنها مطلقة عامة لا دائمة فلا ينافي أن يراؤوا في بعض الأحوال ففيه رد على الزمخشري حيث زعم أن في الآية دلالة على عدم رؤيتهم إذ الظاهر أن كلام الشيخين متحد مآلاً إذ المصنف نفى الامتناع ويجوز أن الشيء ممكناً في نفسه ولا يوجد بالفعل كما فيما نحن فيه فإنه ليس بممتنع لكن لم يقع الرؤية لما ذكره الإمام في صورة التمثيل وفي صورته الخاصة به لعدم التمثل وأما رواية ابن مسعود رضي الله تعالى عنه رأى جن نصيبين في ليلة الجن فعلى تقدير صحته كان ذلك معجزة لرسول الله عليه السلام وكرامة لابن مسعود رضي الله تعالى عنه والمراد عدم رؤيته لا بطريق خرق العادة ولو قيل إن الجن يتمثل بصورة بحيث لا يشتبه على أحد كونه جنياً بامارة فيرى لنا لارتفع النزاع.

قوله: (تغلب عليهم النارية أو الهوائية) النارية أي أنهم مركبون من العناصر الأربعة لكن غالب الأجزاء فيهم النار لقوله تعالى: ﴿من نار من نار﴾ [الرحمن: ١٥] وهذا مذهب الحكماء والمذهب الحق أنهم خلقوا من نار صرفة فقط كما أن الإنسان خلق من طين أو الهوائية أي أو الغالب فيهم الهوائية وهو ضعيف غير متعارف لمخالفة ظاهر قوله تعالى: ﴿من نار من نار﴾ [الرحمن: ١٥].

قوله: (وقيل نوع من الأرواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها) من الأرواح المجردة فحينئذ لا يكون حالاً في الأجسام كما لا يكون أجساماً فتلك الجواهر ماهيتها مختلفة فبعضها خيرية وبعضها شرية وقيل نفوس بشرية فإن استكملتم بالعلم والكمالات ازدادت كمالات وقوة وإلا بقيت على غوايتها وهذان القولان الأخيران قول الفلاسفة والمتفلسفة ينبغي أن لا يتعرض لها في الكتب الشرعية فإن بطلانها أظهر من أن يخفى.

قوله: (وفيه دلالة على أنه عليه السلام ما رأيهم) وجه الدلالة ظاهر للتصريح بأن علم استماعهم له بالوحي لا بالمشاهدة وقد وقع في الإخبار أنه رأيهم وجمع بين ذلك بتعدد القصة حتى قيل إنه وقع قصة الجن ست مرات وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي عليه السلام ﷺ العشاء ثم انصرف فأخذ بيدي حتى أتينا مكاناً كذا فأجلستني وخط علي خطأ فقال لا تبرحن خطك فيبينما أنا جالس إذ أتاني رجال كأنهم الزط فذكر حديثاً طويلاً وأنه ما جاءه إلى السحر قال واسمع الأصوات ثم جاء فقلت أين كنت يا رسول الله فقال أرسلت إلى الجن فقلت ما هذه الأصوات سمعت قال هي أصواتهم حين دعوتي وسلموا علي كذا نقل عن شرح البيهقي وفي هذه الرواية دلالة على أنه عليه السلام رأيهم وفي الكشف وقيل كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عدداً وعامة جنود إبليس منهم ولم يتعرض له المص لأنه لا قطع به مع أنه لا يتعلق به الغرض.

قوله: (ولم يقرأ عليهم) وفي آكام المرجان روي أنه عليه السلام قرأ عليهم سورة الرحمن وصار كلما قال: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ [النجم: ٥٥] وقالوا ولا شيء من آلاء ربنا تكذب وكان المصنف لم يعتمد على هذه الرواية وأطلقه والأولى الحمل على تعدد القصة.

قوله: (وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته) وهو في تهجده كما صرح به في سورة الأحقاف أو صلاة الفجر كما صرح به الإمام هنا وأطلقه هنا وهو الظاهر.

قوله: (فسمعوا فأخبر الله به رسوله) الأولى فاستمعوها ﴿فقالوا﴾ (لما رجعوا إلى قومهم). قوله: (كتاباً) فسر به للإشارة إلى أن ما ذكره وصف له كله دون المفرد منه فقط من الكتب السماوية كذا قبل الأولى ليوافق قوله: ﴿إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى﴾ [الأحقاف: ٣٠] لأنه الموصوف هناك بالإنزال من السماء دون القرآن هنا وإلا فالقرآن أظهر من الكتاب كما صرح به في أوائل التلويح.

قوله: (بديعاً مبيناً لكلام الناس في حسن نظمهم ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة) بديعاً مبيناً الخ وفيه إشارة إلى أنهم ممن عرفوا البلاغة والفصاحة بالسليقة أو بالتعلم في حسن نظمهم الخ لا مبيناً للتركيب من الحروف الآخر وتوحيدهما للتضخيم.



قوله تعالى: يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَنَّ

قوله: (يهدي) وصف له بكونه مرشداً بعد وصفه بكونه بليغاً وأصلاً إلى حد الإعجاز وهذا وصف بالكمال والهداية وصف له بالتكميل ولذا قدم الأول.

قوله: (إلى الحق والصواب) الحق أي الحكم المطابق للواقع والصواب وهو الأمر المطابق لما في نفس الأمر حكماً كان أو غيره فهو أعم من الحق.

قوله: (فآمننا به بالقرآن) فأمننا الفاء لافادة إيمانهم بالقرآن مسبب عما قبله.

قوله: (ولن نشرك) معطوف على آمنا به فيكون أيضاً مسبباً عن قولهم: ﴿إنا سمعنا قرآنًا عجبا﴾ [الجن: ١] الخ لا مسبب عن آمنا به وأما القول بأنه لم يعطف بالفاء لأن نفيهم هنا للاشراك لما قام عندهم من الدليل العقلي فسخيف جداً لأن هذا في بيان استماعهم ﴿قرآنًا﴾ [الجن: ١] الآية مستبعد قطعاً قول المص الدلائل القاطعة والدلائل السمعية دون العقلية إذ لو كان كذلك يكون عدم اشراكهم قبل استماع القرآن فلا يكون في ذكره هنا فائدة.

قوله: (على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد) وعلى غيره من الحسن والصواب والاكتفاء بالتوحيد لقولهم: ﴿ولن نشرك﴾ [الجن: ٢] ولأنه خلاصة الاعتقادات وموقوف عليها للعمليات قوله به يحتمل السببية فيعم الإيمان به الإيمان بما فيه لكن المتعارف كونها صلة لآمنا به والإيمان به مستلزم الإيمان بما فيه آمنا به إنشاءً هنا يحصل اليجاد الإيمان بهذا اللفظ.

قوله تعالى: وَأَنَّهُ قَتَلْنَا جَدًّا رَبَّنَا مَا أَفْكَدَ صَرْجَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾

قوله: (وقرأ ابن كثير والبصريان بالكسر على أنه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده) قيل كلامه هنا في تفصيل القرائات لا يخلو عن خبط وتحريه ما في النشر وهو أنهم في وأنه تعالى وما بعده إلى قوله: وإنا منا المسلمون وتلك اثني عشر همزة فقرأ ابن عامر وهمزة والكسائي وخلف وحفص بفتح الهمزة فيهن وافهم أبو جعفر في ثلاثة وأنه تعالى وأنه كان يقول وأنه كان رجال وقرأ الباقون بالكسر في الجميع واتفقوا على فتح أنه استمع وأن المساجد لله لأنه لا يصح أن يكون من قولهم بل هو مما أوحى بخلاف الباقي فإنه يصح أن يكون من قولهم ومما أوحى واختلفوا في وأنه لما قام فقرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة والباقيون بفتحها.

قوله: (إلا قوله: ﴿وأن لو استقاموا﴾ [الجن: ١٦] ﴿وأن المساجد﴾ [الجن: ١٨] ﴿وأنه لما قام عبد الله﴾ [الجن: ١٩] فإنها من جملة الموحى به ووافهم نافع وأبو بكر إلا في قوله وأنه لما قام على أنه استئناف أو مقول فإنها من جملة الموحى به فيكون مفتوحاً لكونه نائب الفاعل مثل قوله: ﴿وأنه استمع﴾ [الجن: ١].

قوله: (وفتح الباقون الكل إلا ما صدر بالفاء على أن ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به) أشار به إلى أن فتح الهمزة لكونه معطوفاً على نائب

قوله: إلا ما صدر بالفاء وهو قوله فإنه يسألك من بين يديه.

قوله: على أن ما كان من قولهم متعلق بقوله وفتح الباقون الكل غير نافع وأبي بكر من القراء الكل على أن ما كان من قول الجن فمعطوف على محل الجار والمجرور في به لا على ما في حيز قالوا الوجوب الكسر حيثل كانه قيل صدقناه وصدقنا أنه ﴿تعالى جد ربنا﴾ [الجن: ٣] وإنما اختار العطف على مجموع الجار والمجرور وحده احترازاً عن العطف على المجرور المتصل

فاعل أوحى كما اختاره أبو حاتم ليس بمستقيم لأن أكثره لا يصح بحسب المعنى عطفه على ما ذكر كقوله تعالى: ﴿وإننا لمسنأ السماء﴾ [الجن: ٨] ﴿وإننا كنا﴾ [الجن: ٩] وإننا لا ندري وأخوات له فإنه لا يستقيم معناه فلذا ذهب الأكثرون إلى أنه معطوف على محل به في آتنا به كأنه قيل صدقناه الخ واختاره المصنف قال المحشي ولجعله عطفاً على الضمير المجرور حملة على حذف الجار من المعطوف فإنه منقاس في أن وأن وجه حسن سيما على مذهب الكوفيين.

قوله: (كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا) إشارة إلى دفع إشكال بأن آمن يتعدى بالحرف فلو عطف على معمول لزم العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار فلذا عطفه على المحل المنصوب فيكون مآله صدقناه أي القرآن وصدقنا أنه تعالى لكن لا حاجة إليه لما عرفته من أن حذف الجار في أن وأن قياسي فيكون معطوفاً على الضمير المجرور بإعادة الجار تقديراً إذ الملفوظ والمحذوف سيان في ذلك.

قوله: (أي عظمت من جد فلان في عيني إذا عظم ملكه أو سلطانه أو غناه) أي عظمت فيكون المعنى تعالى عظمت على الاستناد المجازي مثل جد جده ولكونه مبالغة في بيان عظمت قدمه أو سلطانه عطف على عظمته فيكون الجد بمعنى السلطان أي قوته فيكون قريباً من المعنى الأول أو برهانه قوله أو غناه فيكون الجد بمعنى الغناء.

قوله: (مستعار من الجد الذي هو البخت) راجع إلى الوجه كلها كذا قيل والظاهر أنه راجع إلى الوجهين الأخيرين لأن الجد في اللغة يجيء بمعنى العظمة وبمعنى أب الأب والأم وبمعنى البخت شبه سلطان الله وغناه الذاتيين الأزليين ببخت الملوك والأغنياء في السعة فاطلق اسم المشبه به عليهما وفيه نوع خدشة والبخت معروف قيل وهو غير عربي فصيح.

قوله: (والمعنى وصفه بالتعالي بالاستغناء عن صاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه) وسلطانه عطفه بالواو لاتحادهما مآلاً أشار به إلى قوله إنه تعالى دليل لمي على استغنائه عن الصحابة الخ قدم عليه للاهتمام به وليكون الدعوى مبرهنة حين ذكرها فهو أولى من عكسه.

قوله: (وقوله: ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولداً﴾ [الجن: ٣] بيان لذلك) أي إثبات له كما

من غير إعادة الجار والتأكيد بمنفصل وقوله في تصوير المعنى كأنه قيل صدقناه دون صدقنا به مشعر بأن الفعل يتعدى إلى مجموع الجار والمجرور بلا واسطة وإن تعدى إلى المجرور بواسطة ولا يتوهم ذلك أنه من باب الحذف والإيصال لأن ذلك غير مطرد فإنه مقصور على السماع غير منقاس فيه فإن حمل على حذف الجار في المعطوف.

قوله: منقاس فيه لأن الجار يحذف كثيراً من أن وإن.

قوله: بيان لذلك هذا مبني على أن يكون الضمير في أنه للشان ﴿وتعالى جد ربنا﴾ [الجن: ٣]

عرفته ولذا ترك العطف وهذا أبلى من القول ما له صاحبة ولا ولداً إذ المعنى ما صنع له صاحبة ولا ولد ولظهوره حذف لفظة له وفيه رد للمشركين والكافرين .

قوله : (وقرئ جذاً بالتمييز وجذاً بالكسر أي صدق ربوبيته) جذاً بفتح الجيم على أنه تمييز من فاعل تعالى أي من نسبة قوله بالكسر وبالتنوين أيضاً كما ذكره المعربون ومراد المصنف أيضاً فقوله صدق ربوبيته بيان حاصل المعنى لا بناء على إضافة الجذ إلى ربنا بل هو منصوب متون وربنا مرفوع .

قوله : (كأنهم لما سمعوا من القرآن ما نهبهم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ صاحبة والولد) لما سمعوا أي استمعوا القرآن الخ وفيه إشارة إلى أن هؤلاء الجن كانوا يهوداً كما صرح به في سورة الاحقاف قوله : ﴿ آمنا به ﴾ [الجن : ١٣] الخ تفريع على استماع القرآن وكذا نفى الشرك والانصاح والولد تفريع عليه أيضاً فبدل على ما ذكره وإنما قال كأنهم لعدم الجزم بذلك أو لأنه من عادة العظماء الترجي ونحوه في مقام الجزم .

قوله تعالى : وَأَنْتُمْ كَانْتُمْ يَقُولُ سَفِينَا عَلَى اللَّهِ سَطَطًا

قوله : (إبليس أو مرده الجن) إبليس لأنه من الجن كما قال تعالى : ﴿ إلا إبليس كان من الجن ﴾ [الكهف : ٥٠] الآية مرده الجن أي غير إبليس جمع مارد وهو المتجرد عن الخير فحيث إفراد سفينا لإرادة الجنس أي سفهاؤنا .

قوله : (قولاً ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد أو هو شطط لفرط ما أشط فيه وهو نسبة صاحبة والولد إلى الله تعالى) قولاً ذا شطط أي أنه مصدر وصف للقول المقدر بتقدير المضاف ولو لم يقدر لكان أبلى ولذا قال أو هو شطط الخ قوله ما أشط فيه أي أبعد

جملة فعلية خيراً عن ضمير الشأن وقوله : ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ﴾ [الجن : ٣] بيان لمضمون تلك الجملة هكذا قالوا والأنسب للبلغة أن يكون الضمير في أنه راجعاً إلى ربنا المذكور وقوله : ﴿ ما اتخذ صاحبة ﴾ [الجن : ٣] الآية خير أن جملة ﴿ تعالى جد ربنا ﴾ [الجن : ٣] اعتراضاً واقعاً بين اسم إن وخبرها تنزيهاً له تعالى عن الانصاف بما يتصف به مخلوقه من اتخاذ صاحبة والولد والمعنى وأنه ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولداً تعالى جد ربنا ﴾ [الجن : ٣] عن ذلك .

قوله : وقرئ جذاً بالتمييز فعلى هذا يكون الضمير في أنه للشأن أيضاً وجملة ﴿ تعالى جد ربنا ﴾ [الجن : ٣] خبراً عنه وقوله : ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ﴾ [الجن : ٣] خبراً آخر وبياناً لجملة ﴿ تعالى جد ربنا ﴾ [الجن : ٣] قال ابن جني قرأها عكرمة أي تعالى ربنا جذاً ثم قدم المميز نحو قولك حسن وجهها زيد قوله وجد بالكسر أي صدق ربوبيته ونحوه جد العالم أي ليس هزل يعني أن علمه غير مشوب بشيء من الجهل كقوله : ﴿ أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ [البقرة : ٦٧] جواباً لقولهم : ﴿ اتخذنا هزواً ﴾ [البقرة : ٦٧] فمعنى قوله : ﴿ جد ربنا ﴾ [الجن : ٣] في هذا المقام معنى قوله لو أردنا أن نتخذ ولداً لاتخذناه من لدنا إذا فسر لهواً بولد ولذا قال صاحب الكشاف في تفسير ﴿ جد ربنا ﴾ [الجن : ٣] بالكسر أي صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ صاحبة والولد .

وتجاوز عن الحد ولو اكتفى به لكان أولى وتقديم الإنس على الجن لمراعاة أفضليته وإن كان الجن أقدم وجوداً ولذا قدم على الإنس في بعض المواضع .

قوله تعالى : وَأَنَّا كَلَّمْنَا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسُ وَلِلْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٦﴾

قوله : (اعتذار عن اتباعهم للسفيه في ذلك بظنهم أن أحداً لا يكذب على الله) بظنهم متعلق بالاعتذار قوله إن أحداً أي من الإنس والجن وفي هذا مبالغة حيث ذكر الإنس في مقام الاعتذار مع أن اتباعهم سفهاؤهم لا سفهاء الإنس أيضاً وفي قوله لا يكذب على الله تنبيه على أن على الله متعلق بكذباً قدم عليه لرعاية الفاصلة .

قوله : (وكذباً نصب على المصدرية لأنه نوع من القول أو الوصف لمحذوف أي قولاً مكذوباً فيه) لأنه نوع فيكون مفعولاً مطلقاً للنوع بغير لفظه مثل قعدت جلوساً والفرق أن هذا للتأكيد وذاك للنوع ومثاله المطابق قعدت القرفصاء ويجوز أن يقدر قولاً كاذباً على أن المراد به المقول فيكون الكذب صفة للقول بمعنى عدم مطابقة حكمه للواقع وما اختاره المصن بناء على أن الكذب صفة المتكلم بمعنى إخبار الشيء لا على ما هو عليه فيكون القول مكذوباً فيه وفيه اكثار الحذف فالأول أولى قوله مكذوباً فيه أشار به إلى أن كذباً بمعنى اسم المفعول مع الحذف والايصال .

قوله : (ومن قرأ أن لن نقول كيعقوب جعله مصدراً لأن التثقل لا يكون إلا كذباً) جعله مصدراً أي مفعولاً مطلقاً بغير لفظه كقعدت جلوساً كأنه قيل أن لن تكذب على الله كذباً فلا يكون وصفاً للقول لأن التثقل الخ فيكون أصل تقول تتقول لأنه مضارع من باب التثقل .

قوله تعالى : وَأَنَّهُ كَانَ يَظَالُ مِنَ الْإِنسِ يُؤْذُونَ يَبَالُونَ الْجِنِّي فَرَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٧﴾

قوله : (فإن الرجل كان إذا أمسى بقفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه) جنس الرجل إذا أمسى أي إذا دخل في المساء وإذا صار في قفر في وقت المساء القفر أرض خالية من السكان وإضافة السيد إلى الوادي لأدنى ملازمة مجازاً والمراد أعوذ بسيد قوم هذا الوادي يرشدك إليه قوله من شر سفهاء قومه وهو إشارة إلى أنه محذوف حذف لظهوره إذ المستعاذ منه لا يكون إلا شريراً وكونه من الجن دون الإنس متفهم من قوله يعوذون يرجال من الجن والجمع في الموضعين لاتقسام الأحاد إلى الأحاد نبه عليه المصنف بقوله فإن الرجل الخ .

قوله : (فزادوا الجن باستعاذتهم بهم) أي فزادوا الإنس الخ على أن الضمير المرفوع راجع إلى الإنس أو فزاد الجن أي أو الضمير المرفوع للجن .

قوله : (كبراً وعتواً أو فزاد الجن والإنس غياً بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الأصل غشيان الشيء) غياً معنى رهقاً حينئذٍ فلا يلائم معنى تكبراً وعتواً في هذا

الاحتمال فالتكبير وكذا الغي معنى مجازي للرهق فإن أصل معناه غشيان الشيء وستره كقوله تعالى: ﴿وَوَرِّهَمُ ظِلًّا﴾ [يونس: ٢٧] والتكبير مشابه بالغشيان وكذا الغي والطفيان فإن التكبير والطفيان ملاس له بحيث يعسرا ويعتذر مفارقتها وإستناد الزيادة إلى الإنسان والجن مجاز عقلي للسببية والفاء على الأول للسببية مع التعقيب وعلى الثاني الفاء داخل على السبب بحسب الظاهر فيأول بأن الزيادة مسبب ذهنياً فدخل الفاء باعتبار مسيبيته ذهنياً وإن كان الزيادة سبباً في الخارج أو لكون السبب باقياً يترتب على المسبب ويعقبه باعتبار الانتهاء وإن كان عكسه باعتبار الابتداء ولا حاجة إلى القول للترتيب في الإخبار وإن صح كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِبَقْطِ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَذْهَبُ﴾ [الحج: ١٥] الآية فإن الفاء فيه للترتيب في الإخبار صرح به الفاضل السعدي وبهذا يظهر رجحان الوجه الأول فتأمل ولذا قدمه.

قوله تعالى: وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

(وإن الإنسان).

قوله: (أيها الجن أو بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض أو استئناف كلام من الله) بعضهم لبعض والخطاب لهم وإذا كان استئنافاً فالخطاب للإنس فقوله أو بالعكس ناظر إلى احتمال الاستئناف ولو قيل إن كل واحد من المعنيين ناظراً إلى كل واحد من الاحتمالين لاحتاج إلى التمثل والتكلف وأسند هنا ما للبعض من النوعين إلى الكل إذ الظن المذكور فعل البعض.

قوله: (ومن فتح أن فيهما جعلهما من الموحى به) فيكون المعنى ﴿أوحى إلي﴾ [الجن: ١] ﴿وأنه كان رجال من الإنس﴾ [الجن: ٦] الآية فالخطاب للإنس كما في صورة الاستئناف والمراد بالبعث بعث الرسل وكون المراد بعث الموتى بعيد وقيل قوله: ﴿وَأَنَا لِمَسْنَا السَّمَاءِ﴾ [الجن: ٨] كلام الجن أو مما صدقوه على القرائتين لا من الموحى به فنخل ما تخلل بينهما وليس اعتراضاً غير جائز إلا أن يأول بما يجري مجراه لكونه يؤكد ما حدث عنهم من تماديهم في الكفر ولا يخفى ما فيه من التكلف انتهى فجعله مما صدقوه أولى من جعله من الموحى به لكن الشيطان مالا إلى جعله من الموحى به وجعل ما بينهما في حكم الاعتراض لما فيه من التوكيد والوعيد الأكيد.

قوله: (ساد مسد مفعولي ظنوا)^(١) وأن مخففة من الثقيلة.

قوله: والآيتان من كلام الجن أي قوله تعالى: ﴿وإن كان رجال﴾ [الجن: ٦] وإنهم ظنوا بالكسر فيهما من كلام الجن قوله ومن فتح أن فيهما جعلهما من الموحى به قال صاحب الكشاف وفي هذا القول ضعف لأن قوله: ﴿وَأَنَا لِمَسْنَا السَّمَاءِ﴾ [الجن: ٨] من كلام الجن ومما صدقوه على القرائتين لا من الموحى إليه إلا أن يجري مجراه لكونه يؤكد ما حدث عنهم من تماديهم في الكفر أولاً وهو المستفاد من قوله: ﴿وأنه كان يقول سفيهاً على الله شططاً﴾ [الجن: ٤] ولا يخفى ما فيه من التكلف.

(١) هذا على خلاف المختار لكن لما كان ذكر ظنوا مقصوداً وذكر كما ظنتم بالتبع اختار المصنف إعمال الأول.



قوله تعالى: وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَهَا ثُلُثًا حَرًّا شديدًا وشبهًا

قوله: (طلبنا بلوغ السماء أو خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالمس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه) طلبنا بلوغ السماء أي السماء الدنيا واللمس مستعار من المس للطلب قال في البقرة المس اتصال الشيء إلى البشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا أجده أي ولأجل اعتبار^(١) فيه يقال الخ فظهر الفرق بينهما نعم قد يستعمل كل منهما في موضع الآخر فيظن الترادف وليس كذلك كما عرفت من كلامه وفي الكشف واللمس كالمس مستعار للطلب وهو أوضح من كلام المص ولو قالوا واللمس هنا مستعار للطلب ولم يتعرضوا ذكر المس لكفى في بيان المرام ولا يدري وجه التعرض للذكر المس وبيان أنه مرادف له كما فهم من الكشف أو غير مرادف كما استفيد من قول المص هنا وفي البقرة ليس هنا محله قوله للطلب متعلق بمستعار سواء كان استعارة لغوية لاستعماله في لازم معناه أو اصطلاحية بتشبيه الطلب بالمس واللمس في كون كل منهما وسيلة إلى تعرف حال الشيء فغير عنه باللمس وجه الاستعارة هو أن قولهم فوجدناها الخ قرينة على أنهم لم يبلغوا السماء ولا خبرها.

قوله: (حراساً اسم جمع كالخادم) أي وليس بجمع كما ذهب إليه البعض لأنه على وزن غلب في المفردات قيل ولذا وصف بالمفرد وهو شديداً ويخذه أن اسم الجمع كالجمع يطلق على الثلاثة وما فوقها فتشديد لكونه فعلاً يستوي فيه المفرد والجمع والتذكير والتأنيث فوصفه به لا يدل على كونه اسم جمع مع أن النزاع المذكور لا طائل تحته وإنما يتعين كونه اسم جمع لو لم يوجد هذا الوزن من ابنية الجمع وليس كذلك كخادم جمع خادم.

قوله: (قويأ وهم الملائكة الذين يمتعونهم عنها) أي عن السماء بسبب ميلاد النبي عليه السلام فإنهم منعوا عن ثلاث بميلاد عيسى عليه السلام ولما ولد نبينا عليه السلام منعوا عن كلها والتفصيل في سورة الحجر والصفات وفي قوله يمتعونهم إشارة إلى أنهم قبل ذلك لم يحجبوا عن السموات.

قوله: (جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار) وهذا مسلك الحكماء وقال في سورة والصفات والشهاب ما يرى كأن كوكباً انقض وهذا الشهب آلة متعهم الملائكة عن السماء والعطف لتغاير الآلة ذي الآلة وهي معطوف على حراساً فيكون المعنى ملئت شهب

قوله: واللمس مستعار من المس للطلب أي اللمس الذي هو بمعنى المس مستعار هنا للطلب لأن الماس للشيء طالب متعرف له والجس بمعنى التجسس والتجسس للشيء أيضاً طالب ومتعرف له.

(١) ولما اعتبر معنى الطلب فيه فلا حاجة إلى الاستعارة لتدبر.

شهاباً وملاءها شهاباً مثل ملاءها حرساً محل تردد فالأولى جعلها من قبيل علفتها تبناً وماء بارداً أي فوجدناها مصحوبة بالشهب ونحوه.

قوله تعالى: **وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدُ الشَّمْسِ وَلَمْ نَلِدْكُمْ لَهَا وَاللَّيْلِ أَهْلُهَا وَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْأَرْضَ الْمَوْعُودَ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَعْنَابِ حَرِّمْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْأَكْثَرِ**

قوله: (مقاعد خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للترصد والاستماع وللمسمع صلة لنقعد أو صفة لمقاعد) مقاعد خالية عن الحرس هذا مأخوذ من المقابلة وضمير منها راجع إلى السماء حال من مقاعد قدمت عليها للاهتمام بقوله أو صالحة الخ وهذه الصلاحية يخلوها عن الحرس والشهب وقربها من السماء فهو أخص من الأول ولو اعتبر القرب من السماء يكون مآلها واحداً فيكون ترديداً في العبارة والاستماع إشارة إلى أن السمع هنا بمعنى الاستماع لقولهم: ﴿فمن يستمع الآن﴾ [الجن: ٩] قوله صلة لنقعد وبيان لغايته قوله أو صفة لمقاعد وفيه بعد إذ لا مقاعد في جو الهواء ولا في السماء مقاعد كائنة للاستماع إلا يجعلهم مقاعد فح لا يلائم كون السمع صفة لها فالأول هو المعمول وفيه إشعار بأنه لا رجم الشهب قبل مبعثه عليه السلام كما يؤيد قوله: ﴿فمن يستمع الآن﴾ [الجن: ٩] الآية إذ الآن كالتنص فيه لكن قالوا الصحيح إنه قبله كما ورد في الأحاديث وقولهم ملئت يشعر بذلك أي كمال الرجم والمنع التام عن السماء حدث بعد مبعثه عليه السلام وأما قبله فمتحقق وقتاً دون وقت وجه المنع التام عن استراقه بعد البعثة لثلاثيته قول الرسول فإنهم استرقوا السمع واخبروا الكهنة مع الأكاذيب الباطلة فمنعوا رأساً دفعاً للوسوسة والريبة والفاء في ﴿فمن يستمع الآن﴾ [الجن: ٩] الخ للسببية فإن الجملة الأولى إخبارها سبب لإخبار هذه الجملة.

قوله: (أي شهاباً راصداً له أو لأجله يمنع عن الاستماع بالرجم) راصداً له أي لمن قصد الاستماع وذلك لأنه لما كان الشهاب معدداً له صار كأنه راصد له ليهلكه قوله أو لأجله عطف تفسير له فيكون رصداً مجازاً أولاً أو محمول على التشبيه فإن كونه معدداً له شبه بالراصد بالفعل قوله يمنع عن الاستماع فقولهم: ﴿يستمع الآن﴾ [الجن: ٩] مجاز على إرادة الاستماع.

قوله: (أو ذوي شهاب راصدين على أنه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات) أو ذوي شهاب بتقدير المضاف وهم الملائكة ولذا قال راصدين فالراصد ح

قوله: رشد أي خيراً لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قالوا ما هذا إلا لإمرار أراد الله بأهل الأرض ولا يخلو من أن يكون شراً أو رشد أي خيراً من عذاب أو رحمة قال صاحب الانتصاف ومن عقائد الجن أن الهدى والضلال جميعاً من خلق الله تعالى فتأديوا بنسبة الرشد إليه تعالى وجعلوا الشر مضمراً للفاعل فجمعوا بين حسن الاعتقاد والأدب الحسن ثم كلامه ومثله قوله تعالى: ﴿أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم﴾ [الفاتحة: ٧] حيث نسب الإنعام إليه تعالى صريحاً وأخفى نسبة الغضب إليه عز وجل حيث لم يقل غير الذي غضبت عليهم.

حقيقة على أنه اسم جمع كحرساً وقد عرفت أنه كالجمع وفي الأول اعتبر مفرداً ولو اعتبر اسم جمع أيضاً جعل شهاباً في حكم الجمع لشدة إحراقه كأنه شهب متعددة وهو تكلف ولذا لم يلفت إليه المصنف.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمَنِي بِالْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾

قوله: «(وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض) [الجن: ١٠] بحراسة السماء خيراً) وأنا لا ندري راعوا الأدب حيث لم يصرحوا بنسبة الشر إلى الله تعالى مع نسبة الخير إليه تعالى صريحاً لعلهم اقتبسوا من قوله تعالى: «(بيدك الخير) [آل عمران: ٢٦] وإن فاعل الكل هو الله تعالى تقديم الشر لرعاية الفاصلة ومن في الأرض شامل للجن أيضاً فلا ثالث لهما والمعنى أي أحد الأمرين كان لأن أم متصلة وذكر رشداً مع أن المقابل للشر الخير لما مر من مراعاة الفاصلة والرشد إصابة الحق والصواب ولذا فسرهُ بخير وجملة أنا كنا نقعد كأنه بيان أن هذا الأمر وهو كثرة الحراس والمنع الكلي لم يكن قبل هذا وجملة «(فمن يستمع الآن)» [الجن: ٩] وإن فهم من قولهم ملئت حرساً الخ لكن ذكرت تسميماً لما قبلها قولهم وأنا لا ندري الخ اظهار العجز بادراك وجه الحراسة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا مِمَّا الْغَافِلُونَ وَمَتَى دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾

قوله: «(المؤمنون الأبرار) فسر الصالحين بذلك لأن الصلاح رعاية حق الله وحق العباد فهم الأبرار الناجون.

قوله: «(أي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون) أي العاملون في أغلب الأوقات أو وهم الذين خلطوا الصالح بالسيئ فلا تكرر مع قوله: «(وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون)» [الجن: ١٤] قوله نحذف الموصوف لأنه بطرد وحذفه إذا كان بعض اسم مجرور بمن مقدم عليه والصفة ظرف أو جملة كما صرح به النحاة وهنا قوم بعض من اسم مجرور بمن وهو ضمير المتكلم مع الغير والصفة ظرف ولم يجعله منصوباً على الظرفية مع أنه مستغن عن تقدير المضاف لأنه اسم خاص لموضع يستطرق فيه فلا يقال للبيت والمسجد طريق على اطلاقه بل يقال جعلت المسجد أو البيت طريقاً فلا ينتصب مثله على الظرفية إلا في الضرورة عند سبويه فلا يخرج القرآن عليه إذ تخرجه على أحسن الوجوه واجب وقول بعض النحاة هو طرق لأن كل موضع يستطرق فهو طريق لا يعاب به لنص الإمام سبويه على خلافه.

قوله: «(ذوي طرائق أي مذاهب) قدر ذوي ليصح الحمل وقصد المبالغة في مثل هذا ليس بمناسب.

قوله: «(أو مثل طرائق في اختلاف الأحوال أو كانت طرائقنا طرائق) أو مثل طرائق إما بتقدير المثل أو الكلام محمول على التشبيه البليغ قوله في اختلاف الأحوال وجه الشبه

لكن لا حسن فيه قوله أو كانت طريقنا أي المضاف محذوف في جانب الاسم كان آخره لأنه تأويل قبل الاحتياج إليه فيصير مثل نزع الخف قبل الوصول إلى الماء.

قوله: (متفرقة مختلفة جمع قدة من قد إذا قطع) متفرقة مختلفة الأول مستفاد من الجمع والثاني من التعبير بقدة ولذا قال من قد الخ كان كل طريق لاختلافه مقطوع بعضه عن بعض.

قوله تعالى: **وَإِنَّا عَلَّمْنَا أَنْ لَنْ نُنَجِّزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُنَجِّزَهُ هَرَبًا** ﴿١٢﴾

قوله: (علمنا) أي الظن هنا بمعنى العلم إذ متعلقه من قبيل المعلوم بالعلم القطعي ولا يصح الاكتفاء بالظن إذ الظن قد يجيء بمعنى العلم مجازاً ولعله عبر بالظن إشعاراً بأنه لا يقدح في الاعتقاد ما يهيجس في النفس من الخطرات التي لا يتفك عنها العلوم النظرية كذا قاله المص في قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي ملاقٍ حسيابه﴾ [الحاقة: ٢٠].

قوله: (كائنين في الأرض أين ما كنا فيها) أشار به إلى أن الأرض للعموم وفي الأرض ظرف مستقر حال من ضمير فعجزه المتصل.

قوله: (هاربين منها إلى السماء) حال من فاعل ولن نعجزه منها أي من الأرض إلى السماء وإنما حملته عليه ليحسن المقابلة إذ حاصل المعنى أن لن نعجز الله في الأرض أين ما كنا فيه هاربين من أرض إلى أرض ومعنى الثاني ما ذكره فلو حمل الهرب من الأرض إلى الأرض لزم التكرار وللتنبية على ذلك أعيد ولن نعجزه.

قوله: (أو لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمر أو لن نعجزه هرباً إن طلبنا) سواء كان كنا مستقرين في الأرض التي كنا فيها أو لا ولن نعجزه هرباً من موضع إلى موضع إن طلبنا أي لا نجاة من سطوته سبب الهرب إن قصد أخذنا ولا نظر في هذا الوجه عموم الأرض ولا خصوصه وذكر الأرض لإفادة أن الأرض مع سعتها ليس فيها منجى من أخذه ولا مهرب بالكمال علمه وشدة قدرته فالفرق بين الوجهين واضح لكن قدم الأول لأن الظاهر كون لام

قوله: كائنين في الأرض أينما كنا فيه معنى التعميم مستفاد من وقوع جنس الأرض ظرفاً حيث لم يقل في أرضنا أو في الأرض الفلانية ولما وقع قوله: ﴿وَلَنْ نُنَجِّزَهُ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢] في مقابلة ﴿لَنْ نُنَجِّزَ اللَّهَ﴾ [الجن: ١٢] المقيد بقوله في الأرض حمل قيده وهو هرباً على الهرب إلى السماء على ما هو مقتضى المقابلة وقوله: أو لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمراً ﴿وَلَنْ نُنَجِّزَهُ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢] إن طلبنا مني على الإطلاق في التعلق من غير نظر في الأول إلى أن الأرض عام أو خاص وفي الثاني إلى أن الهرب إلى السماء أو إلى جهة أخرى كأنه قيل إن طلبنا لم تقته وإن هربنا لم ينفع فإن قلت إن كان مني هذا الوجه على الإطلاق دون التقييد فما فائدة قوله في الأرض قلنا فائدته تصوير أنها مع هذه البسطة وسعة العرصة ليس فيها منجى من الله تعالى ولا مهرب وليس المراد إن نفي الإعجاز مقيد بكونه في الأرض حتى يوهم جواز الإعجاز في غيرها وهذا الوهم وإن أمكن في الوجه الأول لكونه على التقييد لكنه مدفوع بقوله: ﴿وَلَنْ نُنَجِّزَهُ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢] لأنه مفسر بهرباً إلى السماء.

الأرض للاستغراق وأن فيه ترق ومبالغة لأنه يفيد أن الاخلاص من بطشه لا في الأرض ولا في السماء وسواء كنا في الأرض أو في السماء بخلاف الثاني لأن ماله إن طلبنا لم نفته وإن هربنا لم نخلص منه .



قوله تعالى : وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰءَ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۚ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

قوله : (أي القرآن) فسر الهدى بالقرآن بقرينة تعلق السمع فاطلق الهدى عليه مبالغة كأنه لكماله في الهداية هداية والإيمان بالقرآن مستلزم للإيمان بجميع المؤمنين به ومن جعلته التوحيد وإبطال الشرك ومنع التقليد ولذا قيل فمن يؤمن بربه بالفاء التفرعية عمم الحكم لدخولهم في المؤمنين دخولاً أولاً وكالتعليل لعدم خوفهم من البخس والرهق .

قوله : (فهو لا يخاف) قدر المبتدأ ليحسن دخول الفاء فيه لأن المضارع المنفي بلا إن كان جواب الشرط يصح فيه دخول الفاء وتركها كما صرح به النحاة كذا في شرح التسهيل .

قوله : (وقرىء فلا يخف) بالجزم على أن لا ناهية لا نافية .

قوله : (والأول أدل على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها به) نية به على أن الثاني فيه دلالة على ذلك لأنه تعليق الحكم بالمشق وهو يفيد عليه مأخذ الاشتقاق وإلا فلا دلالة إذ النهي عن الخوف لا يستلزم وقوع عدم الخوف بخلاف الخير فإنه يدل على عدم وقوعه لأن مدلول الخير الصدق والكذب من محتملاته وتفضيل الدلالة باعتبار كونها فطمية أولاد عن هذا قال والأول أدل الخ قوله نجاة المؤمن حاصل معنى لا يخاف قوله واختصاصها أي النجاة به أي المؤمن والاختصاص مستفاد من مفهوم الشرط وهو مذهب المص أو تقديم المسند إليه على الخبر الفعلية كما نية به عليه بقوله فهو لا يخاف لكن إنما يتم هذا إذا كان تقديم المبتدأ لتصحيح دخول الفاء كما ذهب إليه المحشي فيثبت يكون تقدير المبتدأ واجباً وأما إذا كان تقديره لتحسين دخولها كما نقل عن شرح التسهيل فلا يتم ذلك فالاختصاص حيثين من مفهوم الشرط وعندنا هو مستفاد من ملاحظة أن لا نجاة للكافر .

قوله : (نقصاً في الجزاء) أصل البخس النقص والنقص في الجزاء معلوم بمعونة المقام وهذا دليل على أن الإيمان كافٍ وحده في الجزاء الأوفى .

قوله : (والأول أدل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به معنى الأدلية على تحقيق النجاة مستفاد من اسمية الجملة لدلالتها على الثبات والدوام ومعنى الاختصاص مستفاد من تقديم الفاعل المعنوي على الفعل على نحو هو عرف أقول يفهم من كلمة التفضيل أن في الثاني أيضاً دلالة على معنى الاختصاص في الجملة فلعل وجه الدلالة فيه هو التقييد بالشرط الدال على أن من لم يؤمن يخاف فيلزمه أن المؤمن هو الذي يخاف دون غيره فوجه التفضيل في الدلالة على الاختصاص في الأول كون الدلالة فيه بطريقين وفي الثاني بطريق واحد .

قوله : (نقصاً في الجزاء أو جزاء نقص الأول تفسير بحسب الحقيقة والثاني تفسير بحسب

قوله: (ولا أن ترهقه ذلة) رقد مر من المصنف أن الرهق في الأصل غشيان الشيء فالمراد هنا غشيان الذلة لقوله تعالى: ﴿وترهقهم ذلة﴾ [يونس: ٢٧] وهذا في من لم يؤمن فالمؤمن على خلاف ذلك.

قوله: (وجزاء بخس ولا رهق) عطف على ذلة والقرينة عليه عدم خوفه عن نقص جزاء ولم يذكر رهق ظلم كما في الكشف لأن جزاء النقص في صورة الظلم فلا حاجة إلى ذكره صريحاً.

قوله: (لأنه لم يبخس حقاً ولم يرهق ظلماً لأن من حق الإيمان بالقرآن أن يجنب ذلك) لأنه لم يبخس تعليل لمنطوق قوله وجزاء نقص ومفهومه فلا يقال إن الصواب أن يقول جزاء نقص ولا رهق ظلم حتى لا يبقى التعليل بقوله ولا رهق ظلم بلا معلل ولا حاجة إلى القول بأنه من باب الاكتفاء كسرايل نقيبكم الحر بقرينة ما بعده فإنه ضعيف^(١) قوله لأنه لم يبخس الخ لا بلاكتم قولهم تعليق الحكم بالمشتق يفيد عليه مأخذ الاشتقاق وبعض المحشين استدلوا على الاختصاص المذكور بالتعليق المذكور فالأولى عدم التعرض بذلك وذكره صاحب الكشف لأن مذهبه أن الأعمال جزء من الإيمان فلا يكفي الإيمان وحده في ذلك ففيه سمة من الاعتزال فتدبر.



قوله تعالى: وَأَنَا أَنَسِلُكُمْ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَاقًا

قوله: ﴿وأنا منا المسلمون﴾ [الجن: ١٤] إعادة لقوله: ﴿وأنا منا الصالحون﴾ [الجن: ١١] ولقوله: ﴿ومنا القاسطون﴾ [الجن: ١٤] فلا تكرر كما مر.

المجاز حيث سمي جزاء البخس بخساً على طريق المشاكلة على منوال وجزاء سيئة سيئة والمعنى فلا يخاف أن يبخس الله حقه لأنه لم يبخس حق أحد فإن عدم الخوف من المحذور يكون لانتهاء المحذور وقوله لأنه لم يبخس حقاً إشارة إلى ذلك قال صاحب الكشف وجزاء أن يحمل على الإضرار وأصل الكلام ومن لا يبخس حق أحد ولا يرهق ظلمهم فلا يخاف جزاءهما فوضع قوله: ﴿ومن يؤمن﴾ [الطلاق: ١١] موضعه تنبيهاً بالسبب على المسبب يعني هو من باب نفي المسبب لانتهاء السبب وقد وضع موضع السبب الإيمان بالله تعالى ليؤذن أن الإيمان هو السبب في الاجتناب عن البخس والظلم والفرق بين التفسير الأول والثاني أن القصد في نفي الخوف على الأول كان لإثبات منافيته وهو الإيمان وعلى الثاني لانتهاء سببه وهو البخس ولذا قال لأنه لم يبخس حقاً وكما دل الأول على أن من حق العبد أن يؤمن بربه دل الثاني على أن من حق المؤمن أن لا ينقص حق أخيه ويعطي الكلام أيضاً بفحواه أن من لم يؤمن بربه الذي أنعم عليه وأحسن إليه بالنعم الظاهرة والباطنة لا يأمن بأمن الخوف وإن من عمل عملاً صالحاً ولا يتنعم ما حسبه أعمالاً صالحة بل يجعل ذلك هباء منثوراً.

(١) لأنه لو كان مثل هذا قرينة على الحذف ونحوه لا يرد الإشكال على قول أصلاً.

قوله: (الجانثرون عن طريق الحق وهو الإيمان والطاعة) وهو الإيمان الأولى الاكتفاء به لقوله: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ﴾ [الجن: ١٣] الآية والمعنى ومن أسلم ومن آمن.

قوله: (توخوا رشداً عظيماً يبلغهم إلى دار الثواب) والتوخي التحري وهو القصد بالآخرى عظيماً إذ التثوين للتضخيم قوله يبلغهم إلى دار الثواب بمقتضى الوعد وفيه إشارة إلى أن تحروا رشداً من قبيل وضع السبب موضع المسبب وفي الكشف زعم من لا يرى للجن ثواباً أنه تعالى وعد قاسطهم وما وعد لمسلمهم وكفى به وعداً أن قال فأولئك تحروا رشداً فذكر سبب الثواب وموجبه الخ وهذا بناء على مذهبه وهو أن العمل موجب الثواب وللزاعم أن يقول إن قوله: ﴿فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن: ١٤] سبب لمغفرتهم وحفظهم عن العقاب وأما الثواب فلا دلالة له عليه بل تصريح الوعيد للقاسطين دون تصريح الوعد للمسلمين ربما يشعر بما ذهب إليه الزاعم وإمامنا إمام الأعظم توقف فيه لقوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرِمَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١] حيث لم يقل ويثبكم بثواب مقيم فتوقف في إثباته ونفيه لكن صاحب الكشف جزم بأن لهم ثواباً وتبعه أبو السعود مع أنهما من كبار أئمة الحنفية ولعلهما اختارا مذهب الإمامين وقد قيل^(١) أن قولهما في كل مسألة رواية عن الإمام الأعظم والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾

قوله: (توقد بهم) فيكون حطباً تشبيه بليغ.

قوله: (كما توقد بكفار الإنس) لأنهم مكلفون مثل الإنس قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ [البقرة: ٢٤] إما من باب الاكتفاء بذكر الناس عن ذكرهم أو الناس عام لهم على أنها من الناس كما صرح به المصنف في ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].

قوله تعالى: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَرُّوا عَلَى الظَّرِيفَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذًّا﴾

قوله: (أي أن الشأن) أي أن مخففة من الثقيلة.

قوله: (لو استقام الجن أو الإنس أو كلاهما) لو استقام الجن قدمه إذ الكلام فيهم قوله أو كلاهما وهو الأولى.

قوله: توخوا رشداً عظيماً يبلغهم إلى دار الثواب معنى العظيمة مستفاد من تنكير رشداً.

قوله: توقد بهم كما توقد بكفار الإنس زعم من لا يرى للجن ثواباً إن الله تعالى أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وهذا زعم فاسد إذ كفى به وعد أنه تعالى قال في مسلميهم فأولئك تحروا رشداً فذكر سبب الثواب وموجبه الله أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد.

(١) صرح به البحر الرائق في تنكير الثوابين.

قوله : (على الطريقة المثلى) أي الفضلى تأنيث الأفضل بمعنى الأمثل وإنما حملها عليها لأن المطلق محمول على فردة الأكمل فاللام للجنس وهذا أولى من كونه للمعهد لتضمنه الادعاء بأن الإنس الجنس كانه هي لا فرد له آخر .

قوله : (لوسعنا عنهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لأنه أصل المعاش والسعة وعزة وجوده بين العرب) لوسعنا عنهم نية به على أن ما ذكر مجاز عن التوسيع في الرزق لأن الماء الكثير أصل المعاش والسعة لف ونشر فنفس الماء سبب أصل المعاش وكثرته أصل سعته وفيه تحريض على هذا الطريق وعلى مداومة العبرات في عموم الأوقات وهذا كقوله تعالى : ﴿ولر أنهم آمنوا واتقوا فتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ [الأعراف : ٩٦] قوله بالكثير متعلق بتخصيص والياء داخل على المقصور قوله وعزة وجوده أي قلة وجوده وتقر أعينهم بالماء الكثير لا سيما الماء البارد .



قوله تعالى : لَتَنفِتَنَّهُمْ فِيهِ وَهُمْ يُعْرِضُونَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا

قوله : (لنتخيرهم كيف يشكروهم) أي لتعاملهم معاملة المختبرين وفيه استعارة تمثيلية كما مر مراراً في مواضع عديدة قوله كيف يشكروهم أي ليعلم الخلق كيف يشكروهم وهذا فائدة الاختيار ولظهوره لم يذكر العلم وحاصله ليعلم هل يشكرون أم لا كما ذكره في نظائره وكيفية الشكر نعم وجوداً وعلماً فيكون حاصله ما ذكر .

قوله : (وقيل معناه أن لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانهم) وهذا بعيد جداً إذ الاستقامة تستعمل في الأمور المشروعة وكذا الطريقة متعارفة في طريق الحق والصواب فحملة على طريقة الكفر خروج عن الطريق وما قاله الطيبي من أن التذليل بقوله : ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ [الجن : ١٧] يؤيد هذا فليس بطيب وكون النعمة المذكورة استدراجاً مع إمكان حملها على ظاهرها بعيد جداً .

قوله : (عن عبادة ربه أو موعظته أو وحيه) عن عبادة ربه أي الذكر مجاز عن العبادة لاشتمال العبادة الذكر فذكر الجزء وأريد الكل فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول قوله أو وموعظته فيكون مضافاً إلى الفاعل لأنه حيثل بمعنى التذكير مجازاً لاستلزامه الذكر قوله أو وحيه أي إيحائه فيكون أيضاً مضافاً إلى الفاعل وكذا إذا كان بمعنى الموحى به مضاف إلى الفاعل ومجاز أيضاً لاشتماله الذكر وكذا إذ أريد به القرآن ولعل مراده بالوحي القرآن وإن كان أعم منه قدم الأول لأنه المتبادر منه مع ملائمتها لما سبق وما لحق ومن في ﴿ومن يعرض﴾ [الجن : ١٧] عام للإنس والجن فلا تكرار مع قوله وأما القاسطون على أن هذا من كلام الجن وذلك من كلام الله تعالى إذ كلامهم قد تم بقوله : ﴿وأما القاسطون﴾ [الجن : ١٥] الآية قوله وإن لو استفاموا من كلام الله تعالى ومن جملة الموحى إليه عليه السلام .

قوله: (يدخله وقرأ غير الكوفيين بالنون) يدخله نيه به على أن تعدية نسلكه إلى المفعول الثاني بنفسه لتضمنه^(١) معنى ندخله إذ تعديته إلى المفعول الثاني بقي.

قوله: (شاقاً يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به) شاقاً بيان المراد منه وهذه الصفة إما للتأكيد فإن كل عذاب شاق أو للتخصيص إن أريد به شاق كامل في المشقة والإيلام ويؤيده قوله يعلو المعذب أي علواً معنوياً ولذا قال ويغلبه بياناً لكونه شاقاً مع الإشارة إلى معناه اللغوي إذ الصعود هو الارتقاء إلى المكان العالي مصدر وصف به للمبالغة فلا يأول بالمشقة وإلا فيفوت المبالغة.

قوله تعالى: **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴿١٨﴾

قوله: (مختصة به) أي من جهة كون العبادة فيها مختصة به تعالى وعن هذا فرع عليه قوله: ﴿فلا تدعوا﴾ [الجن: ١٨] الآية.

قوله: (فلا تعبدوا فيها غيره) أي الدعاء بمعنى العبادة فيها غيره لم يقل فلا تعبدوا فيها معه غيره مع أنه مقتضى النظم لما بينه في أواخر سورة المائدة من أن من عبد الله مع عبادة غيره فهو يعبد غيره فقط لعبادته تعالى كلا عبادة لأنه أغنى الشركاء.

قوله: (ومن جعل أن مقدرة باللام علة للنهي الغي فائدة الغاء) ومن جعل وهو الخليل بن أحمد أن مقدرة باللام لأنه قياس مطرد في أن وأن علة للنهي وهو فلا تدعو كقوله تعالى: ﴿لإيلاف قريش﴾ [قريش: ١] الآية فإنه متعلق بقوله: ﴿فليعبدوا﴾ [قريش: ٣] وكذا هنا ورده المصنف بقوله الغي فائدة الغاء إذ الغاء للسببية والسببية مستفادة من اللام فيلزم الالغاء المذكور والحمل على التأكيد ليس بمتناسب في مثل هذا المقام على أن التأكيد نوع الغاء لكن يرد على المصنف أنه اعترف في سورة ﴿لإيلاف قريش﴾ [قريش: ١] أن اللام في لإيلاف متعلق بقوله: ﴿فليعبدوا﴾ [قريش: ٣] مع أنه يرد عليه ما أورده هنا فما هو جوابكم هناك فهو جوابنا هنا قال

قوله: (ومن جعل أن مقدرة باللام علة للنهي الغي فائدة الغاء أي من قال تقديره ولأن المساجد لله ﴿فلا تدعوا﴾ [الجن: ١٨] مع الله أحداً على أن اللام متعلقة فلا تدعوا الغي فائدة الغاء في فلا تدعوا إذ المعنى حيثنئذ إنما يصح على عدمه لأن المعنى ولكون المساجد مختصة لعبادة الله وحده لا تشركوا به فيها أحداً ولا معنى لأن يقال فلا تشركوا بالفاء إذ لا معنى للفاء بين التعليل والمعمل ولا يلزم أيضاً دخول الواو على الغاء وأما إذا لم تكن اللام مقدرة في إن وكان قوله: ﴿وأن المساجد لله﴾ [الجن: ١٨] جملة مستقلة بكون الغاء في ﴿فلا تدعوا﴾ [الجن: ١٨] هي الغاء الداخلة على النتائج وأجوبة الشروط والمعنى فإذا كانت المساجد لله فلا تدعوا قوله لأنها جعلت للنبي عليه الصلاة والسلام مسجداً قال صلى الله تعالى عليه وسلم «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً».

(١) أو أنه من قبيل الحذف والإيصال.

هناك والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى أن نعم الله تعالى لا تحصى فإن لم يبدؤوه لسائر نعمه فليعبده لأجل إيلانهم الخ انتهى ويقال هنا إن الفاء لما في الكلام معنى الشرط والمعنى أن الله تعالى يجب أن يوحد ولا يشرك به فإن لم توحده في سائر المواضع فلا تدعوا مع الله أحداً في المساجد لأنها مختصة به فلا شراك فيها أقيح القيانح إلا أن يقال إن اللام هناك مذكورة يحتمل تعلّقها بقوله: ﴿فليعبدوا﴾ [قريش: ٣] كما يحتمل تعلّقها بغيره فإذا جعلت متعلّقة به يحتاج إلى تعلّقها به إلى تمحل إذ الشفاء يمنع أن يعمل ما بعدها فيما قبلها فأشار إلى الجواب عنه بأن قوله: ﴿فليعبدوا﴾ [قريش: ٣] جزء شرط محذوف قدم عليه معموله والمعنى ما ذكره وقدم قوله: ﴿لإيلاف قريش﴾ [قريش: ١] على عامله وعلى الفاء ليكون عوضاً عن الشرط المحذوف وما نحن فيه ليس اللام مذكوراً وتقدير اللام وجعلها متعلّقة للمؤخر بالتأويل المذكور التزام ما لا يلزم مع ظهور الوجه الخالي عن التكلف المذكور وهو كون أن المساجد من جملة الموحى على معنى قل أوحى إلى أن المساجد لله الآية فالفاء في فلا تدعوا للشيبة أي فإذا كان كذلك فلا تعبدوا الخ.

قوله: (وقيل المراد بالمساجد الأرض كلها) قائله الحسن رحمه الله تعالى مرضه لأن المسجد في عرف الشرع مسجد المسلمين ومصلاتهم خاصة صرح به المصنف في سورة الحج وبهذا ظهر ضعف ما قيل فتدخل فيها الكنائس والبيع ومساجد المسلمين وقد قال تعالى: ﴿لهدمت صوامع وبيع ومساجد﴾ [الحج: ٤٠] فقابل المساجد لهما.

قوله: (لأنها جعلت للنبي عليه السلام مسجداً) وفي الحديث الطويل جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً.

قوله: (وقيل المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد) وجه الضعف ما مر وأيضاً كلما ذكر ذكر بقيد الحرام وأيضاً لا يلائم الجمع إلا أن يقال إنه لكونه قبلة المساجد فكانه مساجد كلها كما نبه عليه بقوله لأنه قبلة المساجد أي لأنه قبلة المصلين في المساجد بالإضافة مجاز لأدنى ملاسة أو الجمع للتفخيم ولعله مراد المصنف وأيضاً لا وجه لتخصيص العبادة في المسجد الحرام قيل والظاهر أن المراد به الكعبة نفسها لا الحرم كله وإن صح أيضاً وقبلة المساجد نفس الكعبة ولا يصح أن يراد الحرم كله على ما بينه المصنف.

قوله: (أو مواضع السجود على أن المراد النهي عن السجود لغير الله) أو مواضع السجود عطف على مسجد الحرام أي قيل المراد به مواضع السجود مطلقاً بمعنى موضع السجود ومكانه قوله على أن المراد النهي الخ وفي الأول النهي عن عبادة غير الله وفي هذا النهي عن السجود لغير الله فقط فبينهما عموم وخصوص مطلقاً.

قوله: لأنه قبلة المساجد ومواضع السجود تعليل التعبير عن المفرد بلفظ الجمع.

قوله: على أن المراد متعلق بهذا الوجه الأخير أو به ربما قبله فإن هذين الوجهين يفيدان النهي عن السجود لغير الله تعالى بل الوجوه كلها تفيد هذا المعنى.

قوله: (أو آرابه السبعة) الآراب بالمد جمع أرب وهو العضو مطلقاً لكن المراد به العضو الذي يحصل به السجود وهو سبعة أعضاء الوجه والقدمان والركبتان والكفان.

قوله: (أو السجديات على أنه جمع مسجد) أي وقيل المراد بها السجديات نفسها على أنه جمع مسجد أي بفتح الجيم مصدر ميمي كما صرح به أبو السعود فيكون مختصاً بالأخير وفي الكشف وقيل هي جمع مسجد وهو السجود وحمله على المصدر الميمي وصرح به السعدي أيضاً وقيل هو متعلق بما قبله من قوله أو مواضع السجود أيضاً فإن المساجد على كلا الاحتمالين جمع مسجد بالفتح وهو مخالف لما ذكرناه من كلام الكشف وغيره.



قوله تعالى: وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا

قوله: (وأنه لما قام عبد الله أي النبي ﷺ وإنما ذكر لفظ العبد للتواضع فإنه واقع موقع كلامه عن نفسه والإشعار بما هو المقتضي لقيامه) وأنه لما قام من جملة الموحى أي وأنه أي الشأن أوحى إلي لما قام الخ فالظاهر حيث لا يقال وإنه أي الشأن أوحى إلي أي لما قمت الخ لكن عدل عنه لما ذكر من أنه للتواضع الخ قوله فإنه واقع الخ لما ذكرناه ولو قيل إن العدول للتشريف يدون نظر إلى أنه واقع موقع كلامه كما قيل في قوله تعالى: ﴿سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١] لم يبعد ويؤيده بنوع تأكيد قراءة الكسر لأنه على هذه القراءة إما ابتداء من الله تعالى أو من كلام الجن بعضهم لبعض حين رجعوا إلى قومهم لكن الإشعار المذكور وهو العبودية متحقق في كل قراءة.

قوله: وآرابه السبعة أي قيل المراد بالمساجد أعضاء السجود الوجه والكفان والقدمان والركبتان عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إذا سجد العبد سجد معه آرابه وجهه وكفاه وقدماه وركبتيه» أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

قوله: على أن جمع مسجد أي جمع مسجد بمعنى سجدة على أنه مصدر ميمي.

قوله: فإنه واقع موقع كلامه عن نفسه يعني قيل عبد الله ولم يقل رسول الله أو النبي لأن هذا كلام أمر الرسول عليه السلام بأن يقوله مخبراً بما أوحى إليه من قبل نفسه ومقتضى الظاهر أن يقال أوحى إلي أنه لما قمت أدعوه لكن عدل عن الظاهر فأقيم المظهر وهو عبد الله مقام المفسر واختير من الأسماء الظاهرة لفظ العبد دون الرسول والنبي للتواضع تعليمياً من الله تعالى طريق تعبير العبد عن نفسه ورسم آداب التكلم فإنه لما كان كلاماً من قبل نفسه ناسب أن يعبر عن نفسه بعبد الله تواضعاً وتذلاً وفي الكشف قيل عبد الله دون رسول الله أو النبي لأن تقديره وأوحى إلي أنه لما قام عبد الله فلما كان واقعاً في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل أو لأن المعنى أن عبادة عبد الله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدأ ومعنى قام يدعوه قام يعبد يريد قيامه بصلاة الفجر بتخلله حين أثناء الجن فاستمعوا لقراءته إلى هنا كلامه.

قوله: (يدعوه يعبده) يدعوه حال من فاعل قام أو استئناف وضيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو للاستمرار.

قوله: (كاد الجن) قدم كون الضمير للجن إذ الكلام مسوق لبيان أحوالهم حين استماع القرآن فالمراد الجن نفر من الجن على أن اللام للعهد.

قوله: (متراكمين من ازدحامهم عليه) متراكمين معنى لبداً قوله من ازدحامهم بيان منشأ التراكم ثابت بافتضاء النص عليه متعلق بمتراكمين قدم على عامله في النظم الكريم لمراعاة الفاصلة.

قوله: (تعجباً مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته) تعجباً علة التراكم علة حصولية وعليه معناه المكان الذي يقرب منها إذ المعنى مزدحمين حوله لكنهم لم يجتمعوا ولم يزدحموا لما عرفت من أن كاد وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد إما لفقد شرط أو لعروض مانع كون الضمير للجن على أن قوله وإنه لما قام من جملة الموحى إليه بقراءة أن بالفتح وأما على كونه من مقول الجن على قراءة الكسر فالضمير للإنس من الأصحاب والمص لم يتعرض له لأن المختار عنده قراءة الفتح وهي قراءة الجمهور.

قوله: (أو كاد الإنس والجن يكونون عليه مجتمعين لإبطال أمره) أو كاد الإنس والجن أي ضمير كادوا للفرقيين والمراد اجتماع لإبطال أمره لا تعجباً مما رأوا الخ لأن يدعو من الدعوة لا من العبادة وهذا على قراءة الكسر وكونها جملة مستأنفة ابتداء إخبار من الله تعالى عن حال رسوله تمهيداً لما بعده وتأكيذاً لما قبله مقابلاً لقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾ [الجن: ١٨] لأنهم لما نهوا عن الشرك ودعوا إلى التوحيد قابلوه بالعداوة والجدة في نقض أمره كذا قيل ولو قيل إنه من مقول الجن كما في صورة رجوع الضمير إلى الإنس وحده كما مر آنفاً يكون المعنى مثل ما مر من أنهم مزدحمون حوله تعجباً من عبادته الخ بل لو قيل إن

قوله: أو لأن المعنى الخ مبني على أن يكون هذا نقلاً لكلام الله تعالى الموحى إليه من غير تغيير فتخصيص ذكر العبد إدماج لمعنى أن العبادة من العبد ليس بمستبعد ومستغرب فلا وجه لكونهم متلبيين عليهم متعجبين عن عبادته فحاصل الوجهين أن إقامة عبد الله مقام الضمير إما لأنه مقول على لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه أمر أن يقول أوحى إلي كذا فحي به على ما يقتضيه مقام العبودية والتواضع أو لأنه تعالى عدل عن ضمير المخاطب إلى المظهر تنبيهاً على أن العبادة من العبد لا تستبعد ونقل عليه السلام كلام الله تعالى كما هو رفعاً لنفسه عن البيان إذ لا وجود للأثر بعد العين ولما كان هذا العدول من الله تعالى إما لكذا أو لكذا لأنه تصرف من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمكن الجمع بين المعنيين فلو قال صاحب الكشف ولأن المعنى بالواو بدل أو لكان له وجه بناء على عدم امتناع الجمع بين هذين الوجهين وقول القاضي رحمه الله والإشعار بما هو مقتضى لقيامه إشارة إلى هذا الوجه الثاني من الوجهين المذكورين في الكشف فإن فيه أن الشيء إذا كان سبب مقتض له لا معنى الاستبعاد فيه.

المعنى أيضاً كذلك في كونه جملة ابتدائية الله تعالى لم يبعد ولا يعرف مانع يمنع ذلك^(١).

قوله: (وهو جمع لبدء وهو ما تلبد بعضه فوق بعض كلبدة الأسد وعن ابن عامر لبدأ بضم اللام جمع لبدء وهي لغة وقرئ لبدأ كسجداً جمع لابد ولبد بضمين كصبر جمع لبود) وهو جمع لبدء بكسر اللام وسكون الياء الموحدة وهي ما تلبد أي اجتمع فما ذكره في تفسير لبدأ حاصل المعنى قوله كلبدة الأسد وهي الشعر المجتمع بين كتفيه قوله جمع اللابد والمعنى مثل ما مر.

قوله تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾

قوله: (فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم أو إطباقكم على مقتي) لأنه أمر ثابت من لدن آدم إلى يومنا هذا فليس بمنكر أيضاً يوجب تعجبكم ناظر إلى البدع أو أطباقكم على مقتي.

قوله: (وقرأ حمزة وعاصم قل على الأمر للنبي عليه الصلاة والسلام ليوافق ما بعده) أي لأنه منقول عن النبي عليه السلام وقراءته عليه السلام هكذا ليوافق ما بعده وهذا مراده في مثل هذا الكلام ولظهور المراد تسامح في العبارة.

قوله تعالى: قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾

قوله: (ولا رشداً) أعيد لا تنبيهاً على استقلاله في النفي.

قوله: (ولا نفعاً) معنى لا رشداً مجازاً لأن الرشد وهو إصابة الحق سبب للنفع فذكر اسم السبب وأريد المسبب بقرينة المقابلة.

قوله: فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم أو إطباقكم على مقتي أي فليس قيامي للعبادة ببدع ولا مستنكر لأني عبد وشأن العبد العبادة هذا على أن يكون تراكمهم عليه للتأدب من عبادته وقوله أو إطباقكم على مقتي أي على بغضي وعداوتي بين على تراكمهم واجتماعهم عليه حين عبادته لإبطال أمره ففي كلامه هذا لف ونشر.

قوله: ولا نفعاً أو غباً ولا رشداً وعبر عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أو مسبب يريد أن رشداً هنا ذكر في مقابلة ضرراً وليس بين الضرر والرشد تقابل حقيقي فيلزم أن يأول الرشد بما يقابل الضرر كالنفع الذي هو مسبب عن الرشد أو يأول الضرر بما يقابل الرشد كالغي الذي هو سبب الضرر وهو نظير ما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَرِدْكَ بَخِيرٌ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧] قال الزمخشري في تفسيره في سورة يونس فإن قلت لم ذكر المس في أحدهما والإرادة في الثاني قلت كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعاً الإرادة والإصابة في كل واحد من الضرر والخير وأنه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الإصابة في أحدهما والإرادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما

(١) وبالجمله يمكن اعتبار كل من المعنيين في كل احتمال من قراءة الكسر والفتح وكونه من جملة الموحى إليه وكونه من قول الجن وكونه إخباراً من الله تعالى ابتداءً فليتأمل.

قوله: (أو غياً ولا رشداً أعير عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سيبه أو مسيبه) أو غياً بمعنى ضراً مجازاً لأن الضر مسبب عن الغي وهو الطغيان فذكر اسم المسبب وأريد السبب وإلى هذا أشار بقوله عبر عن أحدهما الخ قوله باسم سيبه ناظر إلى تفسير رشداً بنفعاً قوله أو مسيبه ناظر إلى تفسير ضراً بغيأً وآخره لأنه تأويل قبل الاحتياج إلى التأويل.

قوله: (إشعاراً بالمعنيين) مع وجاوزة اللفظ وجه الإشعار هو أن السبب مشعر بالمسبب وعكسه لكن في العكس مناقشة إذ المسبب يجوز أن يكون له أسباب كثيرة فلا يشعر السبب بخصوصه إلا أن السبب إذا كان منحصراً في سبب واحد يتم ما ذكره إن كان ما نحن فيه كذلك وفي مثل هذا يمكن صنعة الاحتياك ولا يبعد أن يكون هذا مراد المصنف بذلك.



قوله تعالى: قُلْ إِنِّي لَنْ مُجِيرٍ مِّنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحِماً ﴿٢٢﴾ قوله: (إن أرادني بسوء) كما لن يجير أحداً أحد إن أراد به بإصابة سوء والتخصيص بالذكر ليعلم ذلك في غيره عليه السلام بطريق الأولوية.

قوله: (متحرفاً) هو معناه الحقيقي.

قوله: (وولتجناً) معناه المجازي وهو المراد هنا فلا يلزم الجمع بين المعنى الحقيقي والمجازي مع أنه جائز عند المصنف.

قوله تعالى: إِنْ يَأْتِ بِبَلَاةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةٍ وَمَنْ يَقْعُ يَنفَعُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾

قوله: (استثناء من قوله: ﴿لَا أملك﴾ [الجن: ٢١]) أي من مفعوله وهو ضراً ولا رشداً لأنه بمعنى لا أملك شيئاً لأن الشيء لا يخلو عنهما فذكرهما كناية عنه.

قوله: (فإن التبليغ إرشاد وإنفاذ) فيكون الاستثناء متصلاً والظاهر من كلامه أن الاستثناء من رشداً فقط لكن الأولى أن يكون الاستثناء من المجموع وللإشارة إليه قال استثناء من قوله: ﴿لَا أملك﴾ [الجن: ٢١] مسامحة ولا يلزم من الاستثناء من المجموع

ترك وكذا ذكر هنا رشداً مقابل لضرراً عبر عن أحد المقابلين باسمه وعن المقابل الآخر باسم سيبه أو مسيبه جمعاً بين المعنيين وهذا ضرب من البلاغة أفاده إيجاز اللفظ حيث استفيد من اللفظ اليسير المعنى الكثير.

قوله: استثناء من قوله: ﴿لَا أملك﴾ [الجن: ٢١] فإن كان المستثنى منه ضراً ولا رشداً وهو بمعنى ضراً ولا نفعاً يكون الاستثناء متصلاً المعنى لا أملك شيئاً إلا بلاغاً وإن كان المستثنى منه ذلك أيضاً لكن فسر بغيأً ولا رشداً على معنى إني لا أستطيع أن أقصركم على الغي والرشد على ما في الكشف يكون الاستثناء منقطعاً أو متصلاً من باب

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

البيت قال أبو البقاء هو استثناء من غير جنس ذهب إلى أن الاستثناء منقطع والقاضي رحمه الله جعل الاستثناء متصلاً حيث جعل المستثنى منه رشداً ولذا قال فإن التبليغ إرشاد.

كون الاستثناء من أجزاء المجموع كما في عكسه قوله والإنقاذ غير مستعمل في كلامهم ولعل المصنف اطلع على أنه فصيح مستعمل والنفع أكثر استعمالاً منه فيظن أنه غير مستعمل فهو فصيح والنفع أفصح منه .

قوله : (وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة) والجملة المعترضة قد يقع الفصل بينهما وأكثر من ذلك فلا يقال إن هذا بعيد لطول الفصل قوله مؤكد الخ بيان فائدة الاعتراض قوله لنفي الاستطاعة أشار به إلى أن معنى ﴿لَا أملك﴾ [الجن : ٢١] لا أقدر .

قوله : (أو من ملتحداً) أي أو استثناء من ملتحداً فيكون الاستثناء منقطعاً إذ البلاغ من الله لا من دون الله وقد قيل أولاً ولن أجِد من دونه ملتحداً هذا إن أريد بالبلاغ صفة الله تعالى وإن أريد صفته عليه السلام فهو بإعانة وتوقيفه قوله فإن التبليغ إرشاد الخ يؤيد الثاني ومعنى من الله من أمر الله قال تعالى : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل﴾ [المائدة : ٦٧] الآية وأيضاً لا معنى لكون البلاغ صفة الله تعالى إلا بالأمر به آخره مع قرينه لأن الاستثناء المنقطع استثناء مجزأ مع ما فيه من التمحّل وقيل إنه من التعليق بالمحال كقوله تعالى : ﴿لَا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ [الدخان : ٥٦] ولم يلتفت إليه المصنف لتكلفه .

قوله : (أو معناه أن لا أبلغ بلاغاً) أي كلمة إلا ليس للاستثناء بل مركب من أن الشرطية ولاء النافية فأدغم وفعلها محذوف كما نيه عليه بقوله أن لا أبلغ الخ هذا بناء على أن حذف الجملة الشرطية مع بقاء أداته جائز كما اختاره بعض النحاة ونقل عن أبي حيان وغيره أنه لا يجوز حذفه إلا مع بقاء لا النافية قيل مرادهم أن اطراد حذفه مشروط ببقاء لاء النافية ما لم يسد مسده شيء من معمول أو مفسر وهو مراد النحاة فلا إشكال بأنه كيف يقع الخلاف فيه واشتراط بقاء لاء النافية مع وروده في التنزيل مثل قوله تعالى : ﴿وإن أحد من المشركين استجارك﴾ [التوبة : ٦] الآية ونحو الناس مجربون بأعمالهم إن خيراً فخير الخ إلا أن يراد حيث يكون الشرط متفياً بها لا أنه لا يحذف إلا حيث يبقى بها مطلقاً .

قوله : (وما قبله دليل الجواب) أي لا اعتراض .

قوله : (عطف على بلاغاً) لم يقل بتقدير المضاف أي بلاغ رسالته فإنه لا يجوز لأنه

قوله : أو من ملتحداً أي أو استثناء من ملتحداً على أنه يدل منه فمعناه لن أجِد من دونه منجأ إلا أبلغ رسالته بلاغاً فعلى هذا لا يكون قل إني لن يجبرني اعتراضاً .

قوله : أو معناه أن لا أبلغ بلاغاً يعني قيل إلا هي التي بمعنى إن لا ومعناه قل لن يجبرني من الله أحد أن لا أبلغ بلاغاً فيكون من باب حذف الفعل بعد إن الشرطية الداخلة على لاء النافية وإقامة المصدر مقامه مثل قولك إن لا قياماً ففعوداً معناه إن لم يقم قياماً فعد فعوداً .

قوله : عطف على بلاغاً ومن الله صفته كأنه قيل لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات والمعنى لا أملك لكم إلا أن أبلغ عن الله رسالاته فللفظ من في ﴿من الله﴾ [الجن : ٢٣] ليس صلة البلاغ لأنه يتعدى بمن لا بمن فمن متعلقة بمحذوف هو صفة بلاغاً أي بلاغاً كأنه من الله .

يستلزم عطف الشيء على نفسه وجمع الرسالة لتشدها بتعدد المرسل به وبلاغاً اسم المصدر بمعنى التبليغ والرسالة وإن كان مصدراً لكنه يراد بها الأنواع والنكتة مبنية على الإرادة وفي البلاغ لم يقصد الأنواع وإن أمكن قصدها.

قوله: (ومن الله صفته فإن صلته عن كقوله ﷻ بلغوا عني ولو آية) ومن الله صفته أي إلا بلاغاً كائن من الله لا صلته وإن صلته عن كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم بلغوا عني ولو آية وهذا معتبر في المعطوف أيضاً أي وإلا رسالة كائنة منه تعالى فالإضافة لما أغنت عن هذا القيد لم يحتج إلى تقديره والمعنى أي رسالته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان كما في الكشف فالرسالة بمعنى المرسل بها فجمعها حينئذ ظاهر فلا يحتاج إلى الوجه المذكور في كونها جمعاً قال الفاضل المحشي ولعل المراد من بلاغاً من الله هو ما يأخذه منه تعالى بلا واسطة ومن رسالاته ما هو بها انتهى وما ثبت من الوحي بلا واسطة إنما هو في ليلة المعراج ولم يعرف في غير ذلك فما ذكره بعيد.

قوله: (في الأمر بالتوحيد) والعصيان بالله تعالى في أمر التوحيد بالإشراك به ظاهر وأما عصيان الرسول في أمر التوحيد فبعدم إجابة دعوة الرسول إلى التوحيد والإصرار على الشرك فالمراد بالرسول رسول البشر وأما احتمال كون المراد به رسول الملائكة فالعصيان ح أن لا يبلغ كما وصل إليه فمع بعده عن المقام لا يخلو عن دغدغة لأن المراد بالرسول في مثل هذا رسول البشر.

قوله: (إذ الكلام فيه) حيث بين في أوائل السورة الكريمة أن نقرأ من الجن استمع القرآن الناطق بالتوحيد حتى قالوا: ﴿ولن نشرك برينا أحداً﴾ [الجن: ٢] وغير ذلك من قولهم: ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولداً﴾ [الجن: ٣] وهذا قرينة قوية كئثار على علم على أن المراد العصيان في أمر التوحيد سواء كان عاصياً في غيره أو لا وأما كون المراد العصيان مطلقاً سواء كان موحداً أو لا فمخرج عن سواء السبيل حيث نسي ارتباطه بما ذكر في أول السورة إلى هنا فلا يصح استدلال المعتزلة بهذه الآية على خلود عصاة الموحدين في النار.

قوله: (وقرىء فإن علي فجزاؤه أن) وقرىء فإن يفتح الهمزة قوله على فجزاؤه أي بناء على أن تقديره فجزاؤه أي على أنه خبر لمبتدأ محذوف ولا حذف في قراءة الكسر.

قوله: (جمعه للمعنى) أي جمعه مع أفراد يعص الله للمعنى أي لرعاية المعنى إذ من من ألفاظ العموم والإفراد في بعض ونحوه لمراعاة لفظه.

قوله: (إذ الكلام فيه أي في التوحيد إذ قد سبق قوله: ﴿فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ [الجن: ١٨] وقوله: ﴿قل إنما أَدْعُو رَبِّي ولا أشرك به أحداً﴾ [الجن: ٢٠].

قوله: على فجزاؤه أن يعني كان الأصل بعد الفاء كسر إن فالقراءة بالفتح بناء على أن الفاء في الحقيقة غير داخلة على أن بل على مبتدأ محذوف وإن مع ما دخلت هي عليه خبر ذلك المحذوف.

قوله: جمعه للمعنى يريد أن خالدين حال من الضمير المجرور في له وهو مفرد والحال



قوله تعالى: حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾

قوله: (في الدنيا كوقعة بدر أو في الآخرة) وهو الظاهر المتبادر ولا مانع من الجمع فأو لمنع الخلط.

قوله: (والغاية لقوله ﴿يكونون عليه لبدا﴾ [الجن: ١٩] بالمعنى الثاني) أي إن فسر لبدا بالاجتماع لإبطال أمره عليه السلام يكون هذا غاية لقوله يكونون الخ وكون وقعة بدر غاية ظاهر وأما كون عذاب الآخرة غاية له فلعدم الاعتداد بما بين الموت والبعث وفيه تكلف ولعل لهذا قدم الأول وإذا كان وقعة بدر غاية لا يكون العذاب غاية فهو بطريق التوزيع يكون وقعة بدر غاية لمن حضر في تلك الوقعة ويكون عذاب الآخرة غاية لمن لم يحضر فيها وهذا هو المراد من القول بأنه لا مانع من الجمع الخ والغاية غير داخلية هنا في حكم المنع وأيضاً لا مانع من تخلل أمور غير أجنبية بين الغاية والمنع والمعنى والمراد الروية البصرية أو القلبية.

قوله: (أو لمحذوف دل عليه الحال) أي أو غاية لمحذوف أي بغير المعنى الثاني.

قوله: (من استضعاف الكفار له وعصيانهم له) من استضعاف أي من اعتقاد ضعف أو قوله وعصيانهم له عطف تفسير له وهذا صريح في أن المراد بالرسول رسولنا عليه السلام لا رسول الملائكة وقد ذهل عن إشارة المصنف أبواب الحواشي.

قوله: (فسيعلمون) دخول الفاء قرينة على أن إذا شرطية وحتى ابتدائية أو إذا ظرفية وحتى جارة والفاء حيثثية تفرعية من أضعف ناصراً وهذا من قبيل كلام المتصرف المسكت للخصم المشاغب.

قوله: (هو أم هم) هو أي الرسول عليه السلام أو هم أي كفار قريش مع أنه معلوم بالبداهة أنهم أضعف الخ.

جمع فالوجه فيه أن الضمير عبارة عن لفظ من في ﴿ومن يعص الله﴾ [الجن: ٢٣] وهو مفرد اللفظ ومجموع المعنى فإفراد ذي الحال بالنظر إلى لفظه وجمع الحال نظراً إلى المعنى.

قوله: (والغاية لقوله تعالى: ﴿يكونون عليه لبدا﴾ [الجن: ١٩] بالمعنى الثاني أي الغاية التي أفادته كلمة حتى غاية لقوله تعالى: ﴿يكونون عليه لبدا﴾ [الجن: ١٩] بالمعنى الثاني وهو أن يكون المعنى مجتمعين لإبطال أمره واجتماعهم ذلك وإن لم يستمر إلى تلك الغاية لكن المقصود أنهم يسعون إلى إبطال أمره ﴿حتى إذا رآوا﴾ [الجن: ٢٤] الآية فإن سعيهم معتد إلى وقت رؤيتهم ما يوعدون وعلمهم من أضعف ناصراً وإنما قال بالمعنى الثاني لعدم صحة معنى الثانية له بالمعنى الأول وهو ظاهر وإذا أريد به المعنى الأول يكون حتى غاية لمحذوف دل عليه استضعافهم له واستفلالهم جنده والتقدير ضعفوه واستقلوا أتباعه وأنصاره ﴿حتى إذا رآوا﴾ [الجن: ٢٤] الآية وأشار رحمه الله بقوله أو لمحذوف أي هي غاية لمحذوف على أن يراد به المعنى الأول.

قوله تعالى: **قُلْ إِنْ أَدْرِيَتْ أَقْرَبُ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ جَعَلَ لِي رَبِّيْ أَمْدًا** ﴿٢٥﴾

قوله: (ما أدري) أي لفظة إن نافية هنا.

قوله: (غاية) معنى أمداً.

قوله: (تطول مدتها) متفهم من تقابله بقريب وإن كان الأمد عام للقريب والبعيد كان المشركين لما سمعوا ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾ [الجن: ٢٤] قالوا متى يكون (إنكاراً) الأولى إسقاط كان كما في الكشف حيث قال قال المشركون متى يكون هذا الموعود الخ.

قوله: (فقيل قل إنه كائن لا محالة ولكن لا أدري وقته) لأنه تعالى لم يبين وقته مع أن بيانه ينافي الإنذار وما يناسب الإنذار هو الإخفاء وهذا منتظم لوقعة بدر أيضاً فإنه أوعد عليه السلام إياهم بالعقوبة في الدنيا ولم يبين وقته وعند ذلك قال المشركون متى يكون هذا الموعود فلا يقال وحمل ما يوعدون على ما رأوه يوم بدر بأياه قوله تعالى: ﴿قل إن أدري﴾ [الجن: ٢٥] الآية.

قوله تعالى: **عَلَيْهِمُ الْغَيْبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا** ﴿٢٦﴾

قوله: (هو عالم الغيب) أي خير مبتدأ محذوف بالإضافة معنوية فيكون الخير معرفة كالمبتدأ فيفيد انحصار علم الغيب فيه تعالى فيكون مثل قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية فالجملة استئناف يفيد التعليل لنفي الدراية إذ حاصله ما أدري وقت ذلك الموعود أقرب أم بعيد لأنه من المغيبات فلا نعلم الغيب لأن علمه مختص به تعالى ولو لم يفد الكلام القصر لم يتم الاستدلال وطريق الحصر ما ذكرناه

قوله: (غاية تطول مدتها معنى الطول مستفاد من وقوعه في مقابلة القريب وإلا فالأمد يستعمل في القريب والبعيد جميعاً وفي الكشف فإن قلت ما معنى قوله: ﴿أم يجعل له ربي أمداً﴾ [الجن: ٢٥] والأمد يكون قريباً وبعيداً ألا ترى إلى قوله: ﴿نود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ [آل عمران: ٣٠] قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعود فكانه قال ما أدري هو متوقع في كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية ثم كلامه يعني أن الهمة وأم المعادلة تقتضيان أن يقال أقرب ما توعدون أم بعيد والأمد مشترك بين البعد والقرب فأجاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان مهتماً بقرب الوعد صرح في الجزء الأول من الكلام ما كان مهتماً بشأنه وفي الجزء الثاني أطلق على أنه غير ملتبس أن المراد أم مؤجل ضربت له غاية.

قوله: (هو عالم الغيب يعني أن قوله: ﴿عالم الغيب﴾ [الجن: ٢٦] خير مبتدأ محذوف والإضافة إضافة معنوية تفيد تعريفاً والخير إذا كان معرفة يفيد تخصيصاً وقوله: ﴿هو عالم الغيب﴾ [الحشر: ٢٢] واقع في معرض التعليل لنفي دراية قرب ذلك الموعود وبعده كأنه قيل ما أدري أقرب ما توعدون أم بعيد إلا أن يطلعني الله تعالى عليه لأن علم الغيب مختص به والفاء في قوله: ﴿فلا يظهر﴾ [الجن: ٢٦] لتعقيب حكم يعد حكم وفي قوله فإنه يسلك للتشبيب قال أبو البقاء من ارتضى مبتدأ والخير فإنه ورصداً مفعول يسلك.

والقاء في قوله تعالى: ﴿فَلا يَظْهَرُ﴾ [الجن: ٢٦] لترتيب حصر إظهار الغيب ﴿لَمَن ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٧] ونفي علمه عمن عداه رأساً على اختصاص علم الغيب به تعالى ﴿فَلا يَظْهَرُ﴾.

قوله: (أي على الغيب المخصوص به تعالى علمه) وهو الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بداهة العقل مع أنه لا ينصب عليه دليل هو المراد هنا وأما الغيب الذي نصب عليه دليل كأحوال يوم الآخرة والصانع وصفاته فلا يختص علمه به تعالى وهذا هو المراد بقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] الآية ومراده بقوله المخصوص به علمه احتراز عن ذلك ﴿إِلَّا مَن ارْتَضَى﴾ [الجن: ٢٧] استثناء من أحد فهو متصل ولا مساع لكونه منقطعاً كما ذهب إليه البعض بناء على التخصيص وعدمه إذ التخصيص متعين كما نبه عليه المصنف بقوله على الغيب المخصوص به علمه فلا وجه لقوله وعدمه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (٢٧)

قوله: (لعلم بعضه حتى يكون له معجزة) أي لعلم بعض الغيب بإظهار الله تعالى فلا يتأني ما سبق من قوله المخصوص به علمه إذ المراد العلم بالذات علماً يقينياً كاملاً بلا سبب من الأسباب فعلم الرسول بسبب اطلاع الله تعالى بالوحي أو بإلهام أو بخلفه علماً ضرورياً وعلم المنجمين بسبب القواعد وعلم الكهنة بإخبار الجن باستراق السمع كما نطق به النص الكريم فلا منافاة أصلاً.

قوله: (بيان لمن واستدل به على إبطال الكرامات) وجه الاستدلال أنه تعالى نفى علم الغيب عن كل أحد ثم أثبت للرسول فلا يكون علم الغيب كرامة ولا قائل بالفصل وضعفه ظاهر أما أولاً فلأن النظم الكريم لا يدل إلا على إبطال كرامة علم لا غير والقول بأنه لا قائل بالفصل ليس بشيء في أمثال هذا المقام إذ القائلون بصحة انكرامات ينقون كون بعض خارق العادة كرامة لهم فهم قائلون بالفصل ويرد عليه أيضاً أن بعض المعجزات مخصوص ببعض الأنبياء عليهم السلام فهو منفي عن بعض آخر من الأنبياء قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] ينبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب فيهم فهل يتجاسر أحد من العقلاء أنه يقال إنه لا قائل بالفصل إلى آخر الكلام فما هو جوابكم فهو جوابنا فظهر ضعف ما قيل إن إبطال سائر الخارق للعادة ثابت بدلالة النص على أن الخارق للعادة ليس مساوياً لإظهار الغيب بل أقوى منه إذ الأول قد يعرف بحدس ونحوه كما قيل ويمكن المناقشة فيه فلا تغفل ويمكن الجواب عنه بأن الغيب مخصوص بوقت وقوع القيامة بدلالة السياق والرسول الملك فإنه تعالى يطلع عليه يوم تشقق السماء ونزل الملائكة تزيلاً وهذا وإن كان خلاف الظاهر لكنه يكفي في مقام السند إذ الخصم مستدل.

قوله: أي على الغيب المخصوص به علمه معنى التخصيص مستفاد من إضافة الغيب إلى ذاته تعالى.

قوله: (وجوابه تخصيص الرسول الملك) وهذا جواب آخر سند المنع إذ لا تخصيص فيه الغيب بوقت وقرع القيامة.

قوله: (والإظهار بما يكون بغير واسطة وكرامات الأولياء على المغيبات إنما تكون تلقياً من الملائكة) أي تخصيص الإظهار بما يكون بغير وسط من ثمة الجواب المذكور وهذا لا ينافي كون الإظهار بوسط فالأولياء يظهر لهم الغيب بواسطة الملك كما أشار إليه بقوله وكرامات الأولياء الخ فمع هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال المذكور وهذا الكلام من المص في مقام المنع وليس بمرضي له كما هو المتداول بين المباحثين فلا إشكال بأنه صرح بأنه ليكون معجزة له والمعجزة إنما هي لرسول البشر دون الملائكة قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾ [الشورى: ٥١] وهو يعم المشافة به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى عليه السلام في طوى والطور فمن أنكر إظهار الغيب للرسول بغير واسطة فهو كأنه لم ينتظر إلى هذه الآية وكلام المص فظهر منه أنه لو قيل المراد بالرسول رسل البشر والمراد بالإظهار الإظهار بلا واسطة لثم الجواب ولا حاجة إلى القول بأن المراد رسول الملك قوله إنما تكون تلقياً^(١) عن الملائكة فكون ذلك كرامة لهم لا اختصاص التلقي من الملائكة بهم دون غيرهم.

قوله: وجوابه تخصيص الرسول بالملك والإظهار بما يكون بغير وسط والمعتزلة لا يجوزون كرامات الأولياء واستدل الزمخشري على بطلانها بهذه الآية حيث قال وفي هذا إبطال الكرامات لأن الذين يضاف الكرامة إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسول وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وإبطال الكهانة والتنجيم لأن أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط قال الإمام على غيبة لفظ مفرد ليس فيه صيغة العموم فيكفي أن يقال إن الله لا يظهر على غيب واحد من غيوبه أحداً إلا الرسل فيحمل عملي وقت وقوع القيامة فكيف وقد ذكرها عقيب قوله: ﴿أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ [الجن: ٢٥] قال الطيبي وهو ضعيف لأن الرسل لم يظهر وأعلى ذلك أما إذا حمل ﴿ما توعدون﴾ [الجن: ٢٥] على إظهار الله له صلوات الله عليه يوم بدر يجوز ذلك وقال الإمام ويحتمل أن يكون الاستثناء منقطعاً أي لا يظهر على غيبة المخصوص أحداً لكن من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه حلقه يحفظونه من مردة الجن والإنس وقال صاحب الانتصاف ادعى الزمخشري عاماً فاستدل بخاص والدعوى امتناع الكرامات كلها فيجوز إعطاؤه الكرامات كلها إلا الاطلاع على الغيب ولعل شبهة القدريه في

(١) والفرق حيثل بين النبي والولي أن النبي عليه السلام يخبر الغيب المأخوذ من الملائكة مع دعوى النبوة بخلاف الولي كـ وأيضاً الفرق فيما ينزل به الملك لا في نزوله فإنه ينزل على النبي خلاف ما ينزل على الولي التابع له وقد ينزل عليه بالبشرى بالقوز والأمان في الحياة الدنيا كما قال الله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾ [فصلت: ٢٠] كذا نقل عن الفتوحات وما ذكره من البشرية الخ متحقق في النبي أيضاً فلا يتم ما ذكره وما ذكرناه سالم عن مثل هذا الإشكال.

قوله: (كما اطلاعنا على أحوال الآخرة بتوسط الأنبياء) التشبيه في مجرد اطلاع الغيب بالواسطة لا في كونها كرامة فعلم منه أن اطلاع الغيب بسبب تلقي الأنبياء لا يعد كرامة لعموم آحاد الأمة جميعاً فلا يكون من الخوارق للعادة بخلاف اطلاعه بواسطة الملك فإنه مختص به فيكون الخارق للعادة وكذا اطلاع الغيب بواسطة الدليل لا يعد كرامة كعلمنا بذات الله وصفاته بالآيات الانفسية والآفاقية فإنه الضمير له تعالى تعليل وتقرير للإظهار المفهم من الاستثناء وبيان لحرمة من تعرض مروءة الشيطان .

قوله: (من بين يدي المرتضى ومن خلفه) من بين يديه ومن خلفه عبارة عن جميع الجوانب كما مر غير مرة أي فإن الله يسلك أي يدخل من الإدخال .

قوله: (حرساً من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخالبطهم) حرساً جمع حارس يحرسونه الخ ويكون هذا تعليلاً لما قبله وتخفيفاً بملاحظة أن الغيب المخصوص علمه به عليه السلام مطابق للواقع فإنه تعالى الخ .

قوله تعالى: **يَعْلَمُ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَيْبَهُمْ وَلَحَاطَ يَمًا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا**

قوله: (أي ليعلم النبي الموحى إليه أن قد أبلغ جبرائيل والملائكة النازلون بالوحي) هذا بناء على أن المراد بالرسول رسول الملك أي ليعلم الرسول الموحى إليه أن أي الشأن قد أبلغوا الضمير لجبريل وسائر الملائكة النازلون بالوحي وفيه إشارة إلى أن لجبريل أعوان لإنزال الوحي ليعلم علة غائية ليسلك لكن باعتبار إخباره عليه السلام لا باعتبار وقوعه في نفس الأمر لأن ترتب علمه عليه السلام على إخباره تعالى لعدم اطلاعه عليه السلام بدون الإخبار .

قوله: (أو ليعلم الله أن قد أبلغ الأنبياء) أي ضمير ليعلم إما راجع إلى النبي عليه السلام وهو الظاهر فلذا قدمه أو راجع إلى الله تعالى فيتعلق بقوله يسلك باعتبار وقوعه في نفس الأمر فحيثئذ يكون ضميراً بلغوا للأنبياء عليهم السلام .

إبطالها إن الله تعالى لا يتخذ منهم ولياً أبداً قال الطيبي الأقرب تخصيص الاطلاع المبني في حق غير الرسل بالضعف والخفاء فإن اطلاع الله الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه على الغيب أمكن وأقوى من اطلاعه الأولياء رضي الله عنهم فالمعنى لا يظهر الله إظهاراً تاماً وكشفاً جلياً إلا لمن ارتضى من رسول فإن الله تعالى إذا أراد أن يطلع النبي على الغيب يوحى إليه أو يرسل إليه الملك ويحفظ الموحى برصد من الملائكة وأما كرامات الأولياء فهي من قبيل التلويحات واللمحات أو من جنس إجابة دعوة وصدق فراسة فإن كشف الأولياء غير تام كالأنبياء قال الإمام أبو إسحاق الأولياء لهم كرامات شبه إجابة الدعوة وأما شبه ما هو معجزة فلا وقال الإمام أبو بكر الفرق بين المعجزات والكرامات هو أن الأنبياء صلوات الله عليهم مأمورون بإظهارها والولي يجب عليه سترها وإخفائها والنبي يدعي ذلك لإثبات دعوى النبوة والولي لا دعوى له فلا ثبات قال الزجاج والواحد صاحب المطلع رحمهم الله الآية توجب الكفر على أن من ادعى أن النجوم تدل على ما يكون من حياة أو موت أو غير ذلك فقد كفر بما في القرآن نعوذ بالله .

قوله: (بمعنى ليتعلق علمه به موجوداً) أي المراد بالعلم هنا تعلقه بالحادث وهو تعلقه بأن الشيء قد وجد الآن أو قبل ويجوز أن يكون حصوله منوطاً بوجود شيء وحدوثه وإلى ذلك أشار بقوله بمعنى ليتعلق علمه به موجوداً أي الآن أو قبل فظهر صحة كون هذا العلم غاية لقوله يسلك وأما العلم بأنه سيقع قبل وقوعه وحدوثه فهذا التعلق أزلي قديم باق أزلاً وأبداً لا يصح كونه غاية لشيء ولا يجوز كون حصوله مربوطاً بشيء ولا يترتب عليه الجزاء والعلم الذي يترتب عليه الجزاء العلم بأنه وجد الآن أو قبل كما مر.

قوله: (رسالات وبهم) جمع الرسالة إذ المراد ما أرسل به إذ المبلغ ذلك.

قوله: (كما هي محروسة عن التغيير) باختلاط وسواس الشياطين وهذا القيد منتهي من قوله: ﴿يسلك من بين يديه﴾ [الجن: ٢٧] الآية فإنه غاية له كما عرفته.

قوله: (أي بما عند الرسل) أي الضمير في لديهم راجع إلى الرسل وما عندهم الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرف فهو مهيم عليها حافظ لها كذا في الكشف وأحاط حال من فاعل يسلك بتقدير قد على ما هو المختار وفيها دفع التوهم الناشئ من الكلام السابق وهو قوله: ﴿يسلك من بين يديه ليعلم﴾ [الجن: ٢٧] الآية فإنه يوهم في بادي النظر العلم بالإبلاغ المذكور يتوقف على السلك المذكور وقيل وقد أحاط بما لديهم من الأحوال جميعاً لتحقيق استغنائه في العلم بالإبلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور كذا قيل والأولى أن يقال إنه لما قال ليعلم أن قد أبلغوا أولاً وقال ثانياً وأحاط بما لديهم لبيان شمول علمه بأحوالهم جميعاً بعد بيان علمه بالإبلاغ سواء كان حالاً أو عطفاً على أبلغوا إن كان ضمير ليعلم للنبي الموحى إليه أو عطفاً على لا يظهر إن كان الضمير في ليعلم لله تعالى.

قوله: (﴿وأحصى كل شيء عدداً﴾ [الجن: ٢٨] حتى القطر والرمل) وأحصى كل شيء موجوداً كان أو معدوماً ممكناً كان أو مستنعاً عدداً أي واحداً واحداً تمييزاً عن نسبة أحصى إلى كل شيء وفيه تنبيه على أن علمه تعالى بالاشياء على وجه تفصيلي وأنه تعالى يعلم الجزئيات على وجه جزئي كما يعلم الكلّيات على وجه كلي فظهر بطلان قول الفلاسفة والمتفلسفة من أن علمه بالاشياء إجمالي وأنه يعلم الجزئيات على وجه كلي وهذا كالترقى من العلم بأحوال الأنبياء إلى علمه بالاشياء

قوله: بمعنى ليتعلق علمه به موجوداً وإنما فسر ليعلم الله به لأن الله تعالى لم يزل عالماً به فإن علمه تعالى بشيء ليس بحيث يتجدد بعد ما لم يكن وإنما يتجدد تعلقه بحسب تجدد ما يتعلق هو به فعندما يكون الشيء الممكن المقدر وجوده في كتم العدم يعلمه الله تعالى معدوماً وبأحواله ويخواصه التي قدرها له فإذا وجد وجد في الخارج يتعلق علمه به موجوداً خارجياً وهذا التعلق لم يكن قبل وجوده وإن كان الله تعالى عالماً به قبله والعلم أزلي والتعلق حادث. تمت السورة حامداً لله ومصلياً على نبيه. مستعيناً بالله ومعتصماً بحبل الله المتين أشرح وأقول.

كلها على وجه التفصيل والمراد بالشيء المعنى اللغوي وما يصح أن يعلم ويخير فيتناول الموجودات والمعدومات .

قوله: (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمداً أو كذب به عتق رقبة) موضوع الحمد لله على تسهيل إتمام . ما يتعلق بسورة الجن . والصلاة والسلام على من أرسل إلى الإنس والجن . وعلى آله وأصحابه من الإنس والجن . تمت بحمده تعالى في ما بين الصلاتين في يوم الأربعاء في شهر ربيع الأول في سنة ١١٩٢ .

سورة المزمّل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة المزمّل مكية) أي مكية بجميعها وقيل الآيتين منها ﴿واصبر على ما يقولون﴾ [المزمّل: ١٠] وما يليها وقيل قوله: ﴿إن ربك يعلم﴾ [المزمّل: ٢٠] إلى آخر السورة.

قوله: (وآيها تسع عشرة أو عشرون) إشارة إلى الاختلاف فيها وفي التيسير هي ثمان عشرة ولم يلتفت إليه المصنف لضيقه.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ ﴿١﴾

قوله: ﴿يا أيها المزمّل﴾ [المزمّل: ١] وفي هذا لطف عظيم له عليه السلام.

قوله: (أصله المزمّل من تزمّل بشيابه إذا تلفف بها فأدغم الشاء في الزاي) وبناء التفعّل للتكلفّ المشعر للكمال إن اعتبر الثوب في مفهوم التزمّل فذكر بشيابه محمول على التجريد وإلا فالثوب محذوف في النظم أي يا أيها المزمّل بشيابه.

قوله: (وقد قرئ به) وهي قراءة لأبي علي من الشواذ.

قوله: (ويالزمّل مفتوحة الميم) اسم مفعول من زمله غيره كما أشار إليه المصنف.

قوله: (ومكسورتها) اسم فاعل من التضعيل.

قوله: (أي الذي زمله غيره) ناظر إلى الأول.

قوله: (أو زمل نفسه) ناظر إلى الثاني فيكون فاعلاً ومفعولاً معاً فهما متحدان ذاتاً متغايران اعتباراً والتغاير الاعتباري كاف في مثله ويصح في مثله قراءة المزمّل بزنة اسم المفعول لكن قرئ بالكسر دفعاً للالتباس فهو من حيث إنه فاعل شيئاً ما مغاير لنفسه من حيث إنه مفعول لفاعل ما قوله أو زمل نفسه إشارة إلى أن المفعول محذوف للمعلم به

سورة المزمّل

مكية وآيها تسع عشرة أو عشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يا أيها المزمّل﴾ [المزمّل: ١].

فالمحذوف نفسه لا غيره لقيام القرينة عليه والقول بأنه نزل منزلة اللازم يخالف تصريح المصنف بالمفعول وكذا القول بأن الثاني وهو قوله أي الذي زمّل نفسه متجه على القراءتين مخالف لبيان المصنف لأنه اعتبر في قراءة الفتح كون الفاعل مغايراً له والمتبادر التغاير بالذات وكون مراد المصنف التغاير الاعتباري بعيد جداً نعم هذا صحيح في نفسه كما أوضحناه في تصوير التغاير الاعتباري فإن قيل إنه لا يخلو من أن يكون زمّل نفسه أو زمّله غيره فأحدهما متعين والقراءات كلها متواترة فكيف اجتماع قلنا إن اعتبر التغاير الاعتباري وإن كان خلاف المتبادر فلا إشكال أصلاً وإلا فيجوز أنه عليه السلام زمّل نفسه أولاً ثم زمّله غيره أو بالعكس لانكشاف الثوب عنه إما بالتوم أو بغيره وأما القول بأنه هو زمّل نفسه من غير شبهة فإن نظر إلى أن كل أفعال من الله تعالى فقد زمّله غيره فضعيف لأن إسناد الفعل إلى الكاسب حقيقة وإلى الخالق مجاز فيلزم الجمع بينهما وهو غير جائز عند أئمتنا الحنفية وأيضاً التعبير بغيره في شأنه تعالى مما لا يفرغ سمعنا وأيضاً ذكر أحدهما لا ينفي الآخر حتى يتوهم الإشكال فيقال كلاهما واقعان فأحدهما ذكر في قراءة والآخرة في قراءة أخرى.

قوله: (سمي به النبي عليه السلام تهجيناً لما كان عليه فإنه كان نائماً) أي أطلق عليه في القراءات كلها تهجيناً لما كان عليه وتشويقاً على أمر أحسن منه وأعم فالتهجين لهذا ليس من باب المعاتبة بل ربما يعد مثل هذا من باب الملاطفة وأرياب الحواشي اختلفوا فذهب بعضهم إلى أنه سوء الأدب وبعضهم اختار أنه لطيف العتاب الممزوج بالرافة وقد خوطب بما هو أشد منه في قوله تعالى: ﴿عيسى وتولى﴾ [عيسى: ١] الآية ولو لوحظ ما ذكرناه من أن المراد به التحريض على أمر خير منه لا يتوهم إساءة الأدب على أن الشيخين عبرا به من طرف الله تعالى ألا يرى أن أحداً من الرعايا خاطب الوزير من قبل السلطان لا يلام بل لا بد منه تفهيماً للوزير ما أَراده الملك وعدم التصريح لظهور المراد بالقرينة القوية لا بضر ولم ينصف صاحب الانتصاف في التشنيع ومن تبعه من المحشيين حيث ادعوا أنهما ساءا الأدب فإن قالوا إنهما لم يدريا كون هذا سوء الأدب فقد أسأوا الأدب وإن قالوا إنهما مع علمهما بأنه سوء الأدب يسكب فيه العبرات والله رؤوف بالعباد والله در صاحب الكشاف حيث كشف الحجاب عن هو مطرود عن الباب.

قوله: (أو مرتعداً) أخره لأن ظاهره لا يلائم قوله تعالى: ﴿قم الليل﴾ [المزمل: ٢] الخ فإنه يناسب كونه نائماً وإن أمكن أن يقال إن المعنى قم ولا تخف ﴿إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ [النمل: ١٠] فاشتغل بالصلاة فإنها تدفع الخوف والحزن.

قوله: (مما دهشه من بدء الوحي متزماً في قطيفة) دهشه على صيغة الماضي لا على

قوله: (سمي به النبي عليه السلام تهجيناً لما كان عليه أي تهجيناً لثومه وتزمله بالثياب وعدم نشره لتلقي الوحي حين ما جاء به جبريل عليه السلام).

المضارع حتى يقال إنه من الأفعال واستعمال دهشته من التفعيل غير متعارف فهو من الثلاثي ولذا قال المحشي الصواب أدهشه لأن دهش كفرح لازم بمعنى تحير وذهب عقله لكن الأولى أن يقال الأولى بدل الصواب لأنه يمكن أن يجعل من التفعيل وإن لم يتعارف في الاستعمال لكونه موافقاً للقاعدة أو من الثلاثي فتعديته لتضمينه معنى حير قوله بده الوحي على ما روي في حديث بده الوحي وسيجيء توضيحه في سورة المدثر.

قوله: (أو تحسناً له إذ روي أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي متلفاً ببقية مرط مفروش على عائشة فنزلت) أو تحسناً له عطف على تهجيناً وهذا يؤيد ما ذكرناه من أنه بيان من طرف الله تعالى توضيحاً للمراد ولما قال هنا تحسناً فلا جرم أن مقابله ما يخالفه ولعل لهذا تبع صاحب الإرشاد الشيخين فقال تهجيناً قوله أو تحسناً قيل هذا أيضاً غير ملائم للسباق لأنه لو استحسنته لم يقل له قم والمصنف أشار إلى دفعه بقوله أو داوم عليها فيه كقوله تعالى: ﴿فصل لربك﴾ [الكوثر: ٢] إذ روي الخ قال ابن العراقي لم أقف عليه وقال أبو حيان كذب صريح لأن نزول يا أيها المزمل بمكة وتزويج عائشة رضي الله تعالى عنها كان بالمدينة ولا يخفى أن التقريب غير تام لأن القتائل لم يدع أن السورة مدنية وأنه عليه السلام تزوج عائشة رضي الله تعالى عنها حينئذ بل يجوز أن يكون مراده أنه عليه السلام بات في بيت أبي بكر رضي الله تعالى عنه ذات ليلة وكان بعض المرط على عائشة رضي الله تعالى عنها وهي طفلة والباقي لطوله على النبي عليه السلام فحككت ذلك أم المؤمنين فادعاء أنه كذب صريح يمثل هذا مشكل وإثباته بنقل وضعه من أئمة الحديث ألا يرى أن ابن العراقي قال لم أقف عليه نعم أن الجمهور ذهبوا إلى أنها نزلت حين جاءه الملك في غار حراء فرجع إلى خديجة فقال زملوني فكان ذلك في بيت خديجة في بده الوحي فالظاهر أن عائشة رضي الله تعالى عنها لم تولد حينئذ فضلاً عن تزويجها والقول بتعدد القصة لم يقل به أحد ممن يعتني به والحديث المذكور سبق في البخاري في شأن بده الوحي فمأ قاله المحشي إن الصحيح أنه عليه السلام تزويجها في شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث سنين ولها ست سنين فعجب منه إلا أن يقال بتعدد القصة وقد عرفت أنه لم ينقل ولم نطلع عليه والمصنف نبه على ضعفه حيث قال إذ روي الخ مع تأخير قوله بمرط طوله أربعة عشر ذراعاً بكسر الميم كساء من صوف أو غيره.

قوله: (أو تشبيهاً له في تناقله بالمزمل لأنه لم يتمرن بعد في قيام الليل) أو تشبيهاً له يعني أنه استعارة شبه عدم التمرن في قيام الليل بالمزمل للنوم على فراش مغطى في كون

قوله: كان يصلي بمرط مفروش على عائشة وجه التحسين على هذا أنه كان صفة مادحة له المرط بالكسر كساء من صوف أو خز والمراد هنا ما هو متخذ من صوف.

قوله: أو تشبيهاً له في تناقله بالمزمل فعلى هذا يكون إطلاق المزمل عليه عليه الصلاة والسلام من باب الاستعارة المصراحة.

القيام عليها إلى الصلاة ثقيلًا والمصير إلى المجاز مع إمكان الحقيقة جاز عند قيام القرينة الضعيفة كما مر مراراً لكن قبل الأولى تركه لما فيه من سوء الأدب.

قوله: (أو من تزمّل الزمّل إذا تحمل الحمل أي الذي تحمل أعباء النبوة) أو من تزمّل الظاهر أنه عطف على قوله من تزمّل بشباهة الزمّل بالكسر الحمل بكسر الحاء فهو استعارة أيضاً شبه التبليغ بتحمل الحمل الثقيل في كمال التعب والمشقة في أول الوحي ثم زال عنه بلفظه تعالى لقوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٢] وهذا أحسن من أكثر الوجوه التي ذكرت ولا يعرف وجه تأخيرها عن الكل وليس فيه خدشة سوى كونه مجازاً مع إمكان الحقيقة ومخالفته لما ورد في الأحاديث الصحيحة من قصة حراء.

قوله تعالى: ﴿فَرَأَيْتَ لَآ قِيْلًا ۝٢﴾

قوله: (أي قم في مضجعك إلى الصلاة أو داوم عليها فيه وقرء بضم الميم وفتحها للاتباع أو التخفيف) أي قم من مضجعك هذا ناظر إلى الوجه الأول وهو الذي قيل في شأنه تهجيناً الخ الليل نصب على الظرفية سيجيء وجه تقييده بالليل.

قوله تعالى: ﴿يُنْفَسَهُ ۝٣ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيْلًا ۝٤﴾

قوله: (الاستثناء من الليل ونصفه يدل من قليلاً وقلته بالنسبة إلى الكل) الاستثناء من الليل لأنه مشتمل الأجزاء كأنه قم الليل كله إلا قليلاً ونصفه يدل منه بدل الكل وقلته بالنسبة إلى الكل وإن كان كثيراً بالنسبة إلى الثلث مثلاً ومراده دفع هذا الوهم ولو قال وقلته بالنسبة إلى الثلثين لكفى والقلة والكثرة أمر إضافي يختلف بالإضافة والاعتبار قيل قوله وقلته الخ جواب عما يرد عليه من أن النصف كيف يكون قليلاً وهو مساوٍ للنصف الآخر بأن القلة بالنسبة إلى الكل الخ وفيه نظر والضمير في نصفه راجع إلى الليل فالمعنى قم الليل إلا نصفه والتعرض للمقابلة للتنبيه على أن الاشتغال في النصف الباقي بالصلاة والذكر بمنزلة اشتغال الذكر في كل الليل حيث صرح قلة الخالي عن الذكر ولم يصرح قلة النصف المشغول فيه بالطاعة وإن كان قليلاً بالنسبة إلى الكل ولهذا لم يجرء قم نصف الليل مع أنه أخصر ولم يقل أيضاً قم الليل نصفه إذ الإطناب أبلغ في مقام يقتضي بسط الكلام وهنا البيان بعد الإبهام أهم وأفصح من الإيجاز والاختصار فلا يقال إنه عود الضمير إلى الليل غير جائز لأنه يلغو فيه الاستثناء إذ لو قيل قم الليل نصفه أو زد عليه أو انقص أفاد معناه على وجه أفصح وأخصر لأنه مع كونه من قبيل تعيين الطريق القبيح عند أهل التحقيق

قوله: وقلته بالنسبة إلى الكل فيه إشعار بأن وصف المبدال منه معتبر في البديل وهذا لا يتنافى كون البديل مقصوداً بالنسبة والمبدال منه في حكم الساقط لأن المقصود طلب قيام نصف الليل بالتخيير المذكور وفي ضمنه الإشعار بأقلية نصفه منه بجعله بدلاً منه فالمعنى على هذا قم نصف الليل أو انقص من ذلك النصف بأن تقوم ثلثه أو رבעه أو زد عليه بأن تقوم ثلثيه أو ثلاثة أرباعه فعلى هذا يكون التخيير بين ثلاثة أمور النصف والزائد عليه والنقص منه.

خارج عن سداد لما عرفت من أن البليغ من الكلام ما هو المطابق لمقتضى الحال والمقام يقتضي بسط الكلام فلو ترك الإطناب لاختل المرام وأيضاً بغوت التنبيه المذكور من أن النصف الذي يوجد فيه الطاعات بمنزلة الكل بعدم التعرض بكونه نصفاً وأما رجوع الضمير إلى القليل فليس بمستحسن لأنه يوهم خلاف المقصود وهو كون المستثنى قليلاً من النصف وأيضاً يلزم إبدال المجهول من المجهول وهو قليل الجدوى وإن صح مثل في جماعة بعضهم مشاة كما قيل .

قوله : (والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلاثين والناقص عنه كالثالث) والتخيير بين قيام النصف المدلول عليه بالاستثناء فإن الحكم بعد الشئ فيكون حاصل المعنى قم نصفه أو زد عليه أو انقص منه وأشار به إلى أن لفظة أو للتخيير قال في التوضيح كلمة أو في الإنشاء للتخيير كآية الكفار وفي قوله كالثلاثين وكالثالث تنبيه على أنه لا انحصار فيهما بل بينهما مراتب كالتنصف مع الثلث أو مع الربع أو مع السدس والبيع إلى غير ذلك من احتمالات كثيرة في صورة الزيادة والنقصان وذكر النصف أولاً كأنه تنبيه على رجحانه لكونه وسطاً خيراً .

قوله : (أو نصفه بدل من الليل والاستثناء منه) بدل من الليل بدل البعض ولذا جيء بالضمير وهذا هو الوجه الثاني والاستثناء منه أي من النصف فحيثنئذ يكون على نية التقديم والتأخير كأنه قيل قم الليل نصفه إلا قليلاً ولعل تأخيره عن الأول لذلك مع أن هذا الوجه مقدم في الكشف .

قوله : (والضمير في منه وعليه للأقل من النصف كالثالث) يعني النصف المستثنى منه القليل دون النصف الغير المستثنى منه القليل كالثالث مثال للأقل من النصف والزيادة عليه ما فوق الثلث إلى النصف والنقصان من ذلك الأقل الربع مثلاً فيكون المعنى قم أقل من نصف الليل أو أنقص من ذلك الأقل أو الزيادة على ذلك الأقل وفيه احتمالات كثيرة يعرف بما ذكرنا في الوجه الأول .

قوله : (فيكون التخيير بينه وبين الأقل منه كالربع والأكثر منه كالتنصف) فيكون التخيير بينه أي بين الأقل من النصف وبين الأقل من ذلك الأقل كالربع والخمس والسدس

قوله : أو نصفه بدل من الليل والاستثناء منه أي من نصفه فالمعنى قم نصف الليل إلا قليلاً فيؤول إلى قم أقل من نصف الليل لأن النصف قليل بالنسبة إلى الكل والقليل الواقع بعد الاستثناء أقل من النصف فحيثنئذ يكون الضميران في منه وعليه الأقل من النصف والمعنى قم أقل من نصف الليل بأن تقوم ثلثه أو أنقص من ذلك الأقل بأن تقوم ربعه أو زد عليه بأن تقوم نصفه فعلى هذا التخيير بين ثلاثة أشياء الثلث والربع والنصف فالمراد بقليلاً الثاني الربع أقول في أن المعنى حيثنئذ قم أقل من نصف الليل نظر لأن الاستثناء يخرج المستثنى عن حكم المستثنى منه فيقتضي أن يكون المعنى لا تقم قليلاً من نصف الليل ألا ترى أن بعض الفحول من شراح الكشف قال الوجه أن يكون نصفه بدلاً من قليلاً إشارة إلى أن ما نام فيه من الليل وإن كان نصفاً منه فهو بالإضافة إلى النصف الذي قام فيه قليلاً لأن النصف القائم مضاعف إلى العشرة .

والأكثر منه أي من ذلك الأقل كالنصف وما فوق الثلث إلى النصف قبل ومرجعه إلى التخيير بين النصف والثلث والرابع انتهى والأولى ومرجعه التخيير بين النصف والثلث وما دونه والرابع وما فوقه .

قوله : (أو للنصف والتخيير بين أن يقوم أقل منه على البت وأن يختار أحد الأمرين من الأقل والأكثر) أو للنصف أي أو الضمير في منه وعليه للنصف والتخييرين أن يقوم أقل منه على البت أي على القطع فيكون التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البتات وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من أقل النصف والزيادة عليه وإنما لم يكن التخيير بين الأمور الثلاثة في هذا الاحتمال لأنه لما جعل نصفه بدلاً من الليل وإلا قليلاً استثناء من النصف وجعل الضمير راجعاً إلى النصف لم يبق إلا الأمر إن أقل من النصف وأزيد منه لأن قولنا قم نصف الليل إلا قليلاً منه أو أنقص من نصفه متحدثان في

قوله : أو للنصف عطف على قوله للأقل أي أو الضميرين في منه وعليه للنصف وهذا أيضاً على تقدير أن يكون نصفه بدلاً من الليل والاستثناء من نصفه والمعنى قم أقل من نصف الليل بأن تقوم مثلاً ثلث أو أنقص من ذلك النصف أو زد عليه بأن تقوم ثلث أو زد عليه بأن تقوم ثلثه فالتخيير على هذا بين الأمرين القيام في الأقل على البت أي القطع واختيار أحد الأمرين قال صاحب الفرائد في رجوع الضميرين على تقدير كون الاستثناء من نصفه إلى الأقل أو إلى النصف نظر لأن المعنى على الأول أي على رجعهما إلى الأقل قم أقل من نصف الليل أو أنقص من أقل من نصف الليل فإن قوله : «أو أنقص منه» [المزمل : ٣] بمنزلة أن يقال أو قم أقل من نصف الليل لأن الناقص من الأقل من النصف أقل من النصف فكانه قيل قم أقل من نصف الليل أو قم أقل من نصف الليل ولا حاجة إلى هذا التكرار فإن ما دون النصف أقل من النصف سواء كان ذلك ثلثاً أو ربعاً فإن مقدار قام مما دون النصف كان أتياً للمأمور به الذي هو الأقل من النصف وعلى الثاني أي على رجوع الضميرين إلى نصفه يكون المعنى قم أقل من نصف الليل أو أنقص من نصف الليل أو زد على نصف الليل وهذا أيضاً مثل أن يقال قم قل من نصف الليل أو قم أقل من نصف الليل أو زد على نصف الليل وهذا ظاهر الفساد وما ذكره من معنى البت لا دلالة للآية عليه أقول الوجه الأول من النظر مستقيم وأما الوجه الثاني فيمكن أن يجاب عنه بأن المعنى قم أقل من نصف الليل وحده لا تقم في الأكثر أو كن مخيراً بين الأقل والأكثر ونظيره قولك جالس الحسن أو ابن سيرين فإن معناه اجعل مجالسة الحسن عزيمة بأن جالسه وحده دون ابن سيرين أي مجالسة الحسن لا بد منه فجالسه أو اختر أحد الأمرين من مجالسة الحسن ومجالسة ابن سيرين قال المحققون من شراح الكشاف معنى البت في قوله على البت العزيمة واختيار أحد الأمرين الرخصة والمقصود التخيير بين العزيمة والرخصة وإنما قال في تمثيل الزائد كالثلاثين بكاف التشبيه وفي تمثيل الناقص كالثلاث لأن كل واحد من الزائد والناقص مطلق لم يتعين من الزائد الثلاثان وحده ومن الناقص الثلث وحده بل يحتمل الزائد ما فوق النصف أي جزء كان من أجزاء الليل والناقص يحتمل ما دون النصف من ساعات الليل أي ساعة كانت من الثلث وغيره ولعل في قول القاضي وأن يختار أحد الأمرين من الأقل والأكثر إشارة إلى ما قلنا من الجواب حيث عبر عن الناقص بالأقل .

المعنى وهذا وإن لزم منه التكرار في الأمر بقيام نصف الليل إلا قليلاً من النصف لكن التكرير للاعتناء بشأن الأقل لأنه الأصل الواجب فهو كقولك أكرم زيداً أو زيداً أو عمراً فإن الظاهر أن الأقل رخصة والزيادة نفل ثم إن هذا هو الوجه الثالث بناء على التقديم والتأخير والإشكال بأن هذا تكلف لأن تقديم الاستثناء على البديل عدول عن الأصل من غير دليل يرد على هذا الوجه وعلى الوجه الثاني أيضاً ومع ذلك في هذا الوجه تكرر كما عرفت وعن هذا آخره عن الوجه الثاني ويرد عليه أيضاً أن التخيير بين التزام قيام الأقل من النصف وبين كونه مخيراً بين القيام في الأقل والأكثر لا يعرف له فائدة لأن التخيير بهذا المعنى لا ينافي بنتات القيام في الأقل وكون قيام الأكثر مفوضاً إلى اختياره فلا فائدة في إيراد الشق الأول من التخيير على تقدير حمله على المعنى المذكور إذ كفى أن يقال قم الليل إلا قليلاً نصفه أو زد عليه فتأمل كذا قيل فظهر ضعف هذا الوجه أيضاً.

قوله: (والاستثناء من إعداد الليل فإنه عام) من أعداد الليل أي لا من أجزاء الليل فإن اللام للاستغراق إذ لا عهد فيه لانتفاء القرينة عليه هذا معطوف على قوله الاستثناء من الليل.

قوله: أو الاستثناء من إعداد الليل أي من أفراد جنس الليل فإن الليل عام إذا اللام فيه للاستغراق فيكون قم أمراً مثلاً بأن يقوم في ليالي الشهر أو السنة أو غير ذلك نصفه أو الزائد على النصف كثلثه أو الناقص عنه كثلثه وإن حمل الإعداد على إعداد ليل واحد كساعاته لم يكن بين هذا الوجه والوجه الأول فرق فإن الاستثناء في الأول من الليل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه والناقص عنه وكذا في هذا الوجه وعبرة الكشف في تقرير الوجوه هكذا نصفه بدل من الليل وإلا قليلاً استثناء من النصف كأنه قال قم أقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البيت وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان والزيادة عليه وإن شئت جعلت نصفه بدلاً من قليلاً وكان تخييراً بين الثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وإتما وصف النصف بالقلّة بالنسبة إلى الكل وإن شئت قلت لما كان المعنى الليل إلا قليلاً نصفه إذا أبدلت النصف من الليل قم أقل من نصف الليل رجع الضمير في منه وعليه إلى الأقل من النصف فكأنه قيل قم أقل من نصف الليل أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلاً فيكون للتخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز إذا أبدلت نصفه من قليلاً وفسرته به أن تجعل قليلاً الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أو أنقص منه أو زد عليه قليلاً نصفه ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تنمعة الثلث فيكون تخييراً بين النصف والثلث والربع إلى هنا كلام الكشف قال الطيبي في شرح هذه الوجوه أما الوجه الأول فمن كلام الزجاج قال إن نصفه بدل من الليل كما نقول ضربت زيداً رأسه فإنما ذكرت زيداً لتوكيد الكلام فهو أؤكد من قولك ضربت رأس زيد تم كلامه. فالمعنى قم نصف الليل إلا قليلاً أو أنقص من النصف أو زد على النصف كرر أو أنقص منه قليلاً ليؤذن بأن الأول عزيمة والثاني رخصة كما نقول جالس الحسن أو ابن سيرين تريد أن مجالس الحسن لا بد منه وإن لديك ضرورة وأنت بالخيار بين مجالسته ومجالسة ابن سيرين هذا معنى قوله على البيت وقريب منه قوله:

قوله : (والتخيير بين قيام النصف والناقص منه والزائد عليه) بين قيام النصف أي من حيث الأجزاء لا من الاعداد فالضمير في نصفه راجع إلى الليل باعتبار الأجزاء بطريق الاستخدام فيكون ماله متحداً مع الوجه الأول فحمل الليل على الأعداد أولاً ثم الإرادة من الضمائر الأجزاء تكلف بارد لا طائل تحته بل سوى الوجه الأول لا يليق اعتباره في كلام البلغاء فضلاً عن كلام الله تعالى وقيل كان القيام فرضاً في صدر الإسلام قبل أن يفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن إلا ما تطوعوا به وتعام الكلام في الكشف لكن الشاهد فرض على النبي عليه السلام غير منسوخ .

قوله : (اقرأ على تودة وتبيين حروف) تودة بضم المثناة وفتح الهمزة وهو التمهيل والقراءة على هذا الوجه مع مراعاة التجويد فرض فالأمر هنا للوجوب دون الأمر بالقيام فإن فيه تفصيلاً كما لا يخفى على الناظر في الكشف .

قوله : (بحيث يتمكن السامع من عددها من قولهم ثغر رتل ورتل إذا كان مفجعاً) ثغر رتل يسكون التاء وفتح الراء صفة مشبهة ورتل بفتحتين مصدر والمفجع بتشديد اللام اسم

﴿ لا عذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ﴾ [النمل : ٢٦] قال صاحب الكشف في تفسيره ليكون أحد الأمور يعني إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن يكون أحدهما وفهم منه أن إتيان السلطان ليس كأحد هذين العذابين وأما بقية الوجوه الثلاثة فمبينة على تفسير قوله تعالى : ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ﴾ [المزمل : ٢٠] على اختلاف القراءتين أعني فتح نصفه وثلثه وكسرهما أما بيان كيفية مطابقة الوجه الثاني وهو أن يكون نصفه بدلاً من قليلاً ويقع التخيير بين الثلاثة فإنه مبني على معنى القراءة بالفتح أي تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم النصف وتقوم الثلث كما صرح به في موضعه وأما الوجه الثالث وهو أن يكون نصفه بدلاً من الليل ويكون الضمير في منه وعليه للأقل من النصف فهو منزل على القراءة بالكسر وهي تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فقله قم أقل من نصف الليل هو المراد من تقدير قوله أدنى من نصفه وقوله أو قم أنقص من ذلك الأقل هو المراد من تقدير أدنى من ثلثه وقوله : أو أزيد منه قليلاً هو المراد من معنى أدنى من ثلثي الليل فيكون التخيير بين الأقل من النصف وفيما وراء النصف وهو أقل من الثلث وأزيد منه فعلم منه أن الضمير في قوله بينه وبين الثلث راجع إلى ما وراء والظرف الثاني يدل من الأول لا كما ظن أنه راجع إلى النصف وأما الوجه الرابع وهو أن يكون نصفه بدلاً من قليلاً فهو منزل أيضاً على القراءة بالكسر وتقديره أن القليل الأول كما فسر بالنصف يفسر الثاني بنصف النصف لاحتماله ولما كانت المطابقة بين الآيتين مطلوبة بجعل النصف الربع وحمل المطلق وهو قوله : ﴿ زد عليه ﴾ [المزمل : ٤] لأنه لا يعلم كمية الزيادة على المقيد وهو نصف النصف فيجعل الثمن فيضم مع الربع فيصير الربع والثلث وهو الثلث تقريباً فكأنه قيل قم الليل نصفه أو ربعه أو ثلثه وإذا لم يحمل الزيادة المطلقة على المقيد بل يجعل تنمة للثلث أي ما يتم به الربع ثلثاً تحقيقاً فيقع التخيير أيضاً بين النصف والثلث والربع وإليك أن تصحح هذه الوجوه الثلاثة بغير ما ذكر فضع في التعسف إلى هنا كلام الطيبي رحمه الله .

قوله : قراءة على تودة التودة بضم التاء وفتح الهمزة مصدر من واد يثيد على وزن الضحكة نأوه منقلة عن الواو يقال مشى مشياً ونأد وأناد في مشيه أي مشى على هيئة .

مفعول من الفلج وهو أن لا يكون الأسنان متصلة ومعنى من قولهم أي مأخوذ منه لا أنه مشتق منه في عدم الاتصال بحيث يبين بعض الحروف عن بعض .

قوله تعالى : إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾

قوله : (إنا سنلقي) حكاية الحال الماضية أو للاستمرار والتأكيد لكمال العناية بشأنه قولاً الثنوين للتشكيك والإفراد إذ المراد الجنس والتعبير بالإلقاء أبلغ من التعبير بالوحي وهو بالإلقاء والسين للتأكيد .

قوله : (يعني القرآن) وفيه دليل على أن القرآن عبارة عن النظم الدال على المعنى دون النظم والمعنى جميعاً وفي أوائل التوضيح ومشايخنا قالوا إن القرآن هو النظم والمعنى والظاهر أن مرادهم النظم الدال على المعنى .

قوله : (فإنه لما فيه من التكليف الشاقة ثقیل على المكلفين سيما على الرسول ﷺ) إذ كان عليه أن يتحملها ويحملها أمته) على المكلفين أي مفعول ثقیلاً محذوف للتعظيم مع الاختصار والمكلفون عام له عليه السلام ولذا قال سيما الخ وهذا في أول حاله عليه السلام ثم سهل الله تعالى له لقوله تعالى : ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ [الشرح : ٢] الخ أي عثك الثقل وهو تلقي الوحي على وجه وكذا معنى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح : ١] أي بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك على احتمال .

قوله : (والجملة اعترض بسهل التكليف عليه بالتهجد) أي جملة إنا سنلقي الخ معترضة بين المعلل وهو الحكم المنظم من الأمر بقيام الليل والعلة وهي قوله تعالى : ﴿إِنْ نَاشَأَ اللَّيْلُ﴾ [المزمل : ٦] قوله يسهل التكليف إشارة إلى فائدة الاعتراض قوله بالتهجد متعلق بالتكليف وفي الكشف وأراد بهذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لأن الليل وقت الثبات والراحة انتهى ولم يظهر من بيان وجه التسهيل^(١) ولعل التسهيل هو أن ما كلفه أسهل مما سيكلفه فإن توصيف ما سيلقي إليه بالثقل للرمز إلى أن مثل هذا التكلف بالنسبة إليه أخف على النفوس .

قوله : (ويدل على أنه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس) على أنه أي التهجد مشق أي

قوله : (والجملة اعترض بسهل التكليف عليه بالتهجد أي جملة ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً﴾ [المزمل : ٥] اعترض وقيل الاعتراض مجموع قوله : ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً﴾ [المزمل : ٤ ، ٥] لأنه اعترض بين كلامين متصلين معنى وهو الكلام في قيام الليل وجه كونه سهلاً للتكليف بالتهجد إفادته إنا سنلقي عليك قولاً مشتملاً على تكاليف شاقة تورث للنفس رياضة يسهل بسببها قيام الليل .

قوله : (ويدل على أنها مشقة مضادة للطبع وجه دلالة على أن التهجد أمر شاق هو إفادته

(١) ومعنى التسهيل الدلالة على السهولة لا التسهيل بالفعل .

شاق^(١) وجه الدلالة ما مر من أن ما كلفه بالنسبة إليه أخف على الطياع فلما كان ما سيرد عليك في الوحي المنزل تكاليف شاقة هذا أي ما كلفه بالنسبة إليها سهل فلا تبال هذه المشقة وتمرن بها لما بعدها قيل مشق لم يسمع له فعل مزيد من الأفعال فالأولى أن يقول شاق والاستقراء الناقص غير مفيد والاستقراء التام غير مسلم قوله مضاد بالضاد المعجمة للطلع أي لمقتضاء فقيه مبالغة أو مسامحة.

قوله: (أو رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه) أو رصين معطوف على ثقیل على المكلفين تفسير آخر للثقیل غير ملحوظ فيه المكلف الرصانة الأحكام الرزانة الوقار لكن الأولى لرزانة نظمه وحاصل أنه ثقیل أي بذت بلاغته بلاغة كل منطبق وعلا كل منشور ومنظوم ومثل هذا يلزمه الثقله فذكر اللازم وأريد الملزوم مجازاً آخره لإمكان الحقيقة مع التنبيه على تمرن التكاليف الشاقة حتى تسهل على النفوس قال تعالى: ﴿وإنها لكبيرة﴾ [البقرة: ٤٥] أي لثقله ﴿إلا على الخاشعين﴾ [البقرة: ٤٥] الآية.

قوله: (أو ثقیل على المتأمل فيه لانتقاره إلى مزيد تصفية السر وتجريد للنظر) أو ثقیل على المتأمل هو مجاز عن المشقة لأنها لازم للثقله ويحتمل الاستعارة بتشبيه الثقله المعنوية بالحسية وهذا مخصوص بالعالم بخلاف الأول والقول بأن التأمل عام إلى التأمل بالفعل وبالفقرة ضعيف إذ حصول المشقة بالتأمل بالفعل ولعل لهذا آخره قوله وتصفية السر أي تخلية القلب عن الرذائل والكدورات المرددة.

قوله: (أو ثقیل في الميزان أو على الكفار والفجار) في الميزان أي كثير الثواب بحيث ثقلت الموازن به كما في الحديث الصحيح «كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان» فالمعنى ثقیل في الميزان مع أنه خفيف على اللسان ولا ريب أنه حبيب إلى الرحمن أو على الكفار لإبطال دينهم والوعيد الأكيد على فعلهم والفجار إما عطف تفسير للكفار أو المراد عصاة الموحدين والثقله عليهم بالوعيد الشديد على عصيانهم.

قوله: (أو ثقیل تلقیه لقول عائشة رضي الله عنها رأيت نزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ﷺ ليرفض عرقاً) أو ثقیل تلقیه أي يثقل عليه نزوله

معنى تعليل الأمر بقيام الليل فكأنه قبل تحمل وتصبر على التكليف بقيام الليل فإن القرآن الموحى إليك أمر بامثال هذا من الأمور الصعبة الثقيلة الشاقة المضادة للطيح.

قوله: فيفصم عنه أي يقطع يقال أفصم المطر إذا قلع وانكشف قوله: وإن جبينه ليرفض عرقاً من ارفض الدمع ارفضاضاً أي ترشش والمعنى في الحديث ليجري جبينه عرقاً أي ليجري عرق جبينه.

(١) أي التهجيد شاق إلا أنه أخف بالنسبة إلى ما سيكلفه ولا بد من هذا التقييد وألا ينافي قوله أسهل التكليف.

والوحي به بواسطة الملك كما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها فيقسم أي يفارقه قوله ليرفض أي ليسيل عرقاً تمييزاً عن النسبة محرف عن الفاعل أي ليسيل عرق جبينه والتخصيص بالجبين لظهوره وقد عرفت أنه في بدء الوحي وقد سهل الله تعالى كما نطق به سورة الانشراح وعروض هذه الحالة في زمن الوحي له عليه السلام مما يقوض علمه إلى علام الغيوب وقد تصدى شرح الحديث لبيان وجهه والأولى التفويض والسكوت لأنه سر من أسرار صاحب الجبروت.

قوله : (وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون صفة للمصدر) أي على هذا الوجه الأخير دون الوجوه المتقدمة والحصر منهم من تقديم الجار فالمعنى حيثئذ ﴿إنا سنلقي عليك قولاً﴾ [المزمل : ٥] إلقاء ثقیلاً فحذف المصدر وأقيم صفة مقامه على أن المراد بالإلقاء الحاصل بالمصدر الموجود في الخارج دون المعنى النسبي المعلوم فيه.

قوله : (والجملة على هذه الأوجه للتعليل مستأنف) والجملة أي جملة سنلقي على هذه الأوجه أي ما سوى الوجه الأول فإنها معترضة ح كما مر للتعليل ويناسبه التصدير بلفظة إن فإنه للتعليل في الأغلب حاصله لأننا سنلقي الخ مستأنف أي مذكور في معرض الجواب وإنما قيل مستأنف بتأويل الجملة بالكلام وإلا فالظاهر مستأنفة خبر ثان أو للتعليل متعلق بمستأنف فهو خبر.

قوله : (فإن التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله) فإن التهجد تعليل لكون الجملة للتعليل والمعنى فإن قراءته في صلاة التهجد الخ ففيه تسامح يسير أما الوجه الأول فلأن أحكام نظمه ومئاته معانيه تناسب قراءته ليلاً في التهجد لكونها باعثة للتدبر كمال التدبر وبالتدبر يحصل السهولة ويحول الثقل والتخصيص بالتهجد لما سيجيء وأما الوجه الثاني فلاحتياجه إلى التأمل مرة بعد أخرى وكرة قبل أخرى مما يعالج ثقله ولو بعد حين وأما الوجه الثالث فلأن كثرة ثواب قراءته تخفف ثقله إذ النفوس متوقعة في مقابلتها ما سيحضر لأجله مشاق القراءة وتستلذ بسببه متاعها وأما الوجه الرابع فلأن صعوبة على الكفار والفجار تقتضي قراءته لا سيما في الليل والتهجد لأنه لما أوعد على الكفار فهو وعد للآبرار فينبغي تلاوته في أبرك الأوقات كي يتنبه به الأشرار فيزول ثقله عليهم بهذه الوسطة ولخفائه قال القاضل المحشي لكن لا يظهر تمشي التعليل الذي ذكره في الثالث والرابع حيث نفى ظهوره وهو كما قال ولم ينكر تشبيهه بالعناية.

قوله تعالى : **إِنْ تَكُنْ مِنْ آلِي هَٰذَا أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قِيلاً** ﴿٦﴾

قوله : (إن النفس التي تنشأ من مضجعتها إلى العبادة) أي ناشئة صفة موصوفها

قوله : وعلى هذا يجوز أن يكون صفة للمصدر أي لمصدر تلقى والمعنى إلقاء ثقیلاً لأن الثقل إنما جاء على هذا التفسير من قبل إلقاء الوحي وتلقيه وإنما قال يجوز لأنه يجوز على هذا أيضاً أن يكون صفة لقولا .

محذوف وهو النفس بمعنى الذات ولكونها معرفة بالإضافة قال إن النفس بالإضافة معنوية قوله تنشأ إشارة إلى أن ناشئة بمعنى المضارع لكنه للاستمرار إلى العيادة أي إلى الصلاة.

قوله: (من نشأ من مكانه إذا نهض) إذا قام أي تنشأ مشتق من نشأ بمعنى قام نبه به على أنه عربي من نشأت السحابة إذا ارتفعت ونشأ من مكانه إذا قام ولا يلتفت إلى ما قاله الكرماني في شرح البخاري نشأ بمعنى قام لغة حبشية عربوها.

قوله: (قال):

نشأنا إلى خوص برائبيها السرى والصق منها مشرفات القماحد

قال أي الشاعر لم يعرف قائله نشأنا قمنا إلى خوص أي قمنا خوص بالخاء المعجمة والصاد المهملة جمع خوصاء كحمر وحمرء وهي الناقة الغائرة العين من الهزال وإلى خوص متعلق بنشأنا يتضمن قصدنا أو توجهنا إلى خوص قوله يرى بمعنى اذهب مستعار من يرى العود والقلم فإنه مستلزم لإذهاب بعض أجزاء القلم حين القطع ونبيها بفتح النون وتشديد الباء الشحم صحح فتح النون في الكشف وما في القاموس كسر النون السرى بضم السين المهملة السير في الليل فاعل يرى ونبيها مفعوله قدم لمحافظة الوزن والصق هنا بمعنى نكس وخفض فاعله ضمير راجع إلى السرى مشرفات بمعنى المرتفعات العاليات القماحد جمع قمحدة وهي الفقاء التي مؤخر الرأس أي جعل السرى القماحد التي هي مرتفعة من الناقة لأجل السمن منخفضة بسبب الهزال الحاصل من السرى أي السير في الليل والمعنى قمنا إلى نوق غائرات الأعين أذاب شحمها السير في الليل وجعلها مهزولة ضعيفة بعد ما كانت سمينة قوية وجعل السرى قماحدا المرتفعة من السمن لاصقة منخفضة لكمال الهزال فالصق أي جعلها لاصقة وما ذكره في معناه من نكس وخفض لازم معناه والاستشهاد يكون معنى نشأنا قمنا وظهر من هذا البيان ضعف ما قيل إن المراد الناقة الضخمة.

قوله: (أو قيام الليل على أن الناشئة له) مصدر بوزن اسم الفاعل كالعافية والكاذبة على أن الناشئة بمعنى القيام له أي لليل توسعا ومجازا لكونه محلاً للقيام ونظائره كثيرة

قوله: نشأنا إلى خوص البيت أي قمنا ونهضنا وقصدنا إلى ناقة مهزولة من السرى ورحلنا والخوص جمع خوصاء وهي الناقة المرحقة الأعلى الضخمة الأسفل برائبيها التي بفتح النون الشحم أي أذاب شحمها السير في الليل والصق أي طأطأ مشرفات القماحد القماحد جمع قمحدة بفتح القاف والميم وسكون الحاء وهو خلف الأذنين من الجانبين وأصله قحدة وهي أصل السنام والقمحيد بزيادة الميم ما خلف الرأس والجمع قماحد أي طأطأ سير الليل أعالي رؤوس تلك الخوص.

قوله: على أن الناشئة له أي على أن القيام لليل على طريق الإسناد المجازي كقولك نام ليله وصام نهاره.

نحو قام الليل وصام النهار قال تعالى: ﴿والليل إذا يسر﴾ [الفجر: ٤] وإذا جعل الإضافة بمعنى في لاستغنى عن التكلف المذكور كما أشار إليه بقوله أو العبادة الخ بالليل بمعنى في الليل فلا وجه لاعتبار الأول وتقديمه قبل فيكون الناشئة أيضاً تأنيث الناشي والإضافة بمعنى في انتهت أي الناشئة صفة لموصوف مقدر كالأول إلا أن الموصوف هنا العبادة وفي الأول النفس وفي كلامه نوع تعقيد لأنه جعل الناشئة مصدراً وذكر هذا عفيه فيتوهم أولاً أن هذا بناء على كونه مصدراً.

قوله: (أو العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث به) أشار به إلى أن معنى الناشئة حينئذ ليس بمعنى القيام إذ لا وجه لقيام العبادة إلا أن يتجاوز بل بمعنى الحدوث.

قوله: (أو ساعات الليل لأنها تحدث واحدة بعد أخرى) أي الموصوف للناشئة ساعات الليل وبين وجه إطلاق الناشئة على الساعات بقوله لأنها تحدث واحدة بعد واحدة والمراد الساعات الشرعية ويحتمل الساعة العرفية النجومية قوله واحدة بعد أخرى أي متعاقبة وهذا لا يتناول الساعة الأولى إلا أن يعم الأخرى لساعة من النهار كذا قيل فأشار البعض إلى جوابه بأن المراد بهذا القول كونها متعاقبة لازم معنى واحدة بعد أخرى ولا يلاحظ البعدية ولا يخفى أن هذا تكلف بارد ولو التزم خروج الساعة الأولى لم يبعد.

قوله: (أو ساعاتها الأول) هذا بناء على أن اللام في الليل للاستغراق هذا مروي عن علي بن الحسين أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿إن ناشئة الليل﴾ [المزمل: ٦] هذه ناشئة الليل كذا في الكشف فيكون المراد صلاة الأوابين.

قوله: (من نشأت إذا ابتدأت) ظاهره مجاز ذكر اسم المطلق وأريد المقيد لأن نشأ بمعنى حدث شائع الاستعمال والإنشاء مأخوذ منه آخره لأنه لا يلائم ما قبله وما بعده لأنه لا يلزم أن يكون المأمور بالليل بعد القيام من النوم وكذا الوجهان المذكوران قبله وقد أشار المصنف إلى أن المراد التهجيد وهو لا يكون إلا بعد القيام من النوم وكذا خصتها عائشة رضي الله تعالى عنها بما كان بعد النوم فلو لم يتقدمها نوم لم يكن ناشئة الليل وقيل الليل كله ناشئة.

قوله: (هي أشد وطئاً) فيه مبالغة إيراد ضمير الفصل والتوصل بصيغة أشد والتعبير بالوطء عن كلفة وتنكيره وكلفة بمعنى مشقة وتكليفاً معنى مجازي للوطء لأنه يستلزم المشقة فيكون أفضل وألين بك ولذا أمرناك بالقيام في الليل بعد النوم والقيام منه.

قوله: (أي كلفة أو ثبات قدم) هذا أيضاً معنى مجازي للوطء الحسي الحقيقي المستلزم لثبات القدم آخره مع أنه قريب من الحقيقي إذ الأول هو المناسب للمقام وإن فيه

قوله: أي كلفة فالمعنى أن ناشئة الليل أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار كما في قوله عليه السلام اللهم «اشدد وطأتك على مضر» أي خذهم أخذاً شديداً.

مبالغة من حيث إن الأجر في قيام الليل أعظم لكون التكليف والكلفة أشد وأقوى وفي الثاني تنبيه على اختيار الليل إذ في النهار ثبات القدم ليس بهذه المرتبة .

قوله : (وَقَرَأَ ابْنُ عِمْرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَطَاءُ أَي مَوَاطَاةُ الْقَلْبِ اللِّسَانُ لَهَا أَوْ فِيهَا) مصدر واطأ من باب المفاعلة قوله لها أَوْ فِيهَا حال من القلب واللسان أي كائنين لها أي للناشئة إن فسرت بالنفس الناشئة أَوْ فِيهَا إن فسرت بالأوجه الباقية أي يواطىء فيها قلب القائم لسانه إن أريد بها القيام أو العبادة أَوْ السَّاعَةُ فحينئذ يكون الإسناد مجازياً وفي قوله مَوَاطَاةُ الْقَلْبِ اللِّسَانُ إشارة إلى أن فاعل المصدر ومفعوله محذوفان وحذف لها أَوْ فِيهَا وفيه نوع بعد مع انتفاء المبالغة التي في الأول لكن فيه تنبيه على أن الإخلاص في الليل والخضوع فيه أتم .

قوله : (أَوْ مُوَافَقَةٌ لِمَا يَرَادُ مِنَ الْخُضُوعِ وَالْإِخْلَاصِ) أَوْ مُوَافَقَةٌ عَطَفَ عَلَى مَوَاطَاةِ الْقَلْبِ أَيِ الْمَوَافَقَةِ إِمَّا مَعْتَبَرٌ بَيْنَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَهُوَ الْإِحْتِمَالُ الْأَوَّلُ أَوْ مَعْتَبَرٌ بَيْنَ الْقَلْبِ وَمَا يَرَادُ مِنَ الْخُضُوعِ الْخُ وَيَبِينُ الْمَعْنَيْنِ تِلَازِمٌ بِحَسَبِ التَّحَقُّقِ وَإِنْ تَغَايَرَا مَفْهُومًا وَلَكِنْ أَنْ تَجْعَلَ أَوْ لَمَنْعِ الْخُلُوِّ وَالْخُضُوعِ بِالْقَلْبِ وَالْخُشُوعِ بِالْجَوَارِحِ وَلِذَا اخْتَارَ هُنَا الْخُضُوعَ وَعَطَفَ الْإِخْلَاصَ عَلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ تَفْسِيرٌ لَهُ قَدَمُ الْأَوَّلِ لَكُونَ الْمَوَاطَاةَ ظَاهِرَةً فِيهِ إِذِ التَّوَافُقُ حَيْثُئِلَى مِنَ الطَّرْفَيْنِ بِخِلَافِ الْمَعْنَى الثَّانِي .

قوله : (وَأَسَدٌ مَقَالًا وَآتَيْتَ قِرَاءَةً لِحَضُورِ الْقَلْبِ وَهَدُوءِ الْأَصْوَاتِ) أَسَدٌ أَفْعَلُ تَفْضِيلٌ

قوله : لها أَوْ فِيهَا الْأَوَّلُ عَلَى أَنْ يَرَادَ بِالنَّاشِئَةِ النَّفْسُ أَيِ أَشَدَّ مَوَاطَاةَ الْقَلْبِ اللِّسَانِ لِلنَّفْسِ وَالثَّانِي عَلَى أَنْ يَرَادَ بِهَا الْعِبَادَةُ أَوْ السَّاعَاتُ أَيِ أَشَدَّ مَوَاطَاةَ الْقَلْبِ اللِّسَانِ فِي الْعِبَادَةِ أَوْ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ قَالَ صَاحِبُ الْإِنْتِصَافِ إِنْ جَعَلْتَ النَّاشِئَةَ لِلنَّفْسِ فَالْمَوَاطَاةُ فِيهَا حَقِيقَةٌ وَإِنْ جَعَلْتَ لِلْسَّاعَاتِ أَوْ الْمَصْدَرِ فَمَجَازٌ وَقَالَ الطَّبْطَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَجَازِ الْحَكْمِيِّ بِأَنْ يَسْتَدِ الْوُطَاءُ إِلَى الْقِيَامِ أَوْ الْعِبَادَةِ أَوْ السَّاعَاتِ عَلَى الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ وَأَنَّهُ لِصَاحِبِهَا حَقِيقَةٌ وَأَنْ يَجْعَلَ لِكُلِّ مَنِهَا قَلْبًا وَلِسَانًا وَيَجْعَلَ لَهُ مَوَاطَاةً عَلَى الْإِسْتِعَارَةِ الْمَكْنِيَّةِ .

قوله : أَوْ مُوَافَقَةٌ لِمَا يَرَادُ مِنَ الْخُضُوعِ وَالْإِخْلَاصِ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْإِسْنَادُ فِي الْكُلِّ حَقِيقَةً فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالنَّاشِئَةِ النَّفْسُ يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ النَّفْسَ الْقَائِمَةَ فِي اللَّيْلِ أَيِ حَالِهَا هِيَ أَشَدُّ مُوَافَقَةً لِمَا تَرِيدُهُ مِنَ الْخُضُوعِ وَالْإِخْلَاصِ وَإِنْ أَرِيدَ بِهَا الْعِبَادَةُ أَوْ السَّاعَاتُ يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ عِبَادَةَ اللَّيْلِ أَوْ سَاعَاتِهَا هِيَ أَشَدُّ مُنَاسِبَةً لِلْخُضُوعِ وَالْإِخْلَاصِ .

قوله : وَأَشَدُّ مَقَالًا وَآتَيْتَ قِرَاءَةً وَهَذَا أَيْضًا إِنْ أَرِيدَ بِالنَّاشِئَةِ النَّفْسُ يَكُونُ «أَقُومٌ قِيْلًا» [المزمل : ٦] حَقِيقَةً أَيِ النَّفْسِ الْقَائِمَةِ فِي اللَّيْلِ يَكُونُ قِرَاءَتُهُ أَقُومٌ وَآتَيْتَ وَإِنْ أَرِيدَ بِهَا الْعِبَادَةُ أَوْ السَّاعَاتُ يَكُونُ مَجَازًا لِأَنَّ تَقْدِيرَهُ أَنَّ عِبَادَةَ اللَّيْلِ أَوْ سَاعَاتِهَا أَقُومٌ مَقَالًا أَيِ مَقَالِهَا أَقُومٌ فِيهِ وَالْمُرَادُ مَقَالُ الْعَابِدِ وَقِرَاءَتُهُ .

قوله : وَهَدُوءِ الْأَصْوَاتِ الْهَدُوءُ السَّكُونُ مَهْمُوزٌ مِنْ هَذَا بِمَعْنَى سَكَنَ وَأَهْدَاهُ أَيِ أَسْكَنَهُ بِقَالَ أَهْدَاتُ الصَّبِيِّ إِذَا جَعَلْتَ تَضْرِبَ عَلَيْهِ بِكَفِّكَ وَتَسْكَنَهُ لِبَنَامِ .

من السداد أي الحق والصواب نبه به على أن أقوم مستعار لأسد من قام العود إذا استوى بلا اعوجاج أي أسد مقالة قوله وأثبت قراءة بيان المعنى المراد لأن الأسد هو الأثبت والمراد بالمقال القراءة وقراءة القرآن تختلف ففي حضور القلب تكون أثبت فيكون أقوى تأثيره في القلب وهذا معنى في معنى كونه أثبت قراءة وفي غير حضور القلب لا يكون له تأثير في القلب فلا يكون أثبت وهذا لا ينافي كون المقروء واحداً وهدوء الأصوات بالذال المهمة سكونها وحضور القلب مجاز عن الخلوع عما سوى الله تعالى وهدوء الأصوات مسبب عن ذلك الحضور وسكونها إما عبارة عن كونها بين الجهر والمخافتة أو عبارة عن عدم الانحراف عن نهج الصواب والإعراض عن التغني والألحان وقد عرفت إن أثبت قراءة بيان ما هو المراد من أسد مقالاً لقوله لحضور القلب الخ راجع لكل ما قبله.



قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾

قوله: (إن لك في النهار) تعليل آخر للأمر بالقيام في الليل ولم يعطف لأنه تعليل بالداعي الخارجي إلى قيام الليل والأول تعليل بالداعي بنفسه فهو علة على حيلها وقدم الأول لذلك.

قوله: (تقلباً في مهامك واشتغالاتها) أصل السبح المر السريع في الماء فاستعير للذهاب مطلقاً وجه الشبه التقلب من محل إلى محل آخر.

قوله: (فعليك بالتهجد فإن مناجاة الحق تستدعي فراغاً) إشارة إلى ما ذكرنا من أن هذا علة للقيام بالليل وفائدة الخير مع أنه معلوم إفادة أنه علة أمر القيام في الليل.

قوله: (وقرى سبْحاً أي تفرق قلب بالشواغل) بالخاء المعجمة أي تفرق قلب بالشواغل أي عن حضور القلب لأن لك تقلباً في مهامك فالقراءتان متلازمان معنى والظاهر أن هذا حال أمته وإلا فقلبه عليه السلام وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق وسائر المهمات وكان حاضراً غائباً كما صرح به في ﴿ألم نشرح لك﴾ [الشرح: ١] أوله عليه السلام حالتان حالة البشرية وحالة الملكية فما ذكره هنا بالنظر إلى حالة البشرية.

قوله: (مستعار من سيخ الصوف وهو نقشه ونشر أجزائه) النفس بالنون والفاء والشين المعجمة تفرق أجزاء ما ليس بفشر كالقطن والصوف قوله ونشر أجزائه عطف تفسير له.



قوله تعالى: ﴿وَلَذَكِّرْ أَنْتُمْ رَبَّكَ وَتَسْمَعُ لَكُمْ نَبِيًّا﴾

قوله: (ودم على ذكره) أوله به لأنه موصوف بالذكر فالأمر به أمر يدوامه لئلا يلزم

قوله: فعليك بالتهجد إشارة إلى أن قوله عز وجل: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧] استئناف وارد لبيان سبب الحكم السابق.

قوله: ودم على ذكره معنى الدوام مستفاد من وقوع الزمانين فيه إلا ذكر وإلا فهو دال على

تحصيل الحاصل وقد مر غير مرة أن المراد بالدوام العرفي لا الحقيقي إذ حاجة الإنسان تدفع إمكان الحقيقي.

قوله: (ليلاً ونهاراً وذكر الله يتناول ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتمجيد ووصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم) ليلاً ونهاراً هذا التعميم بقرينة المقابلة وبإطلاقه وذكر الله تعالى أشار به إلى أن الاسم مقحم ويؤيده قوله وذكر الله يتناول الخ فإن الاسم لا يذكر في بعض الوجوه حتى يقال إن الاسم عين المسمى فذكر الله مشترك بين هذه اشتراكاً بين هذه الوجوه اشتراكاً معنوياً فإن المراد به التعبد بأنواع الذكر قوله ودراسة علم أي علم شرعي والدراسة عام للتدريس والتدريس.

قوله: (وانقطع إليه بالعبادة وجرّد نفسك عما سواه) فإن كمال الذكر إنما يتحقق بالتجريد المذكور وما يترتب عليه من التجرد وهذا معنى التبتل والتجريد معنى التبتل فالكلام من قبيل الاحتياك والمعنى وتبتل إليه تبتلاً وتبتل إليه تبتلاً كقوله تعالى: ﴿أنتبكم من الأرض نباتاً﴾ [نوح: ١٧] وما نحن فيه عكس ذلك وذكر التبتل والتبتل للتبنيه على أنهما لازمان فإن التبتل وهو التجريد فعل العبد والتبتل مطاوعه بكسر الواو وهو قبول الفعل وهو الانفعال يترتب على الترتيب الذي هو الفعل كالكسر والانكسار ولما كان المقصود التجرد والتبتل قدم على التبتل والتجريد وإن كان مقدماً في الوجود على الترتيب والانقطاع وللاشارة إلى ذلك قال أولاً وانقطع إليه بالعبادة معنى تبتل إليه ثم قال وجرّد نفسك الخ ثانياً معنى تبتلاً من التفعّل.

قوله: (ولهذه الرزمة ومراعاة الفواصل وضع موضع تبتلاً) يعني أن مقتضى الظاهر أن يقال وتبتل إليه تبتلاً فعدل عنه ووضع تبتلاً موضع تبتلاً لما ذكر ولمراعاة الفاصلة ثم الظاهر أن قوله: ﴿واذكر اسم ربك﴾ [المزمل: ٨] معطوف على قوله قم للتعميم بعد التخصيص وسبب التخصيص ما مر من التعليل المذكور وهو لا ينافي الأمر بالتجريد في النهار لأن كونه محل اشتغال المهمات لا ينافي التجريد عما سواه قال تعالى: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [التور: ٣٧] الآية غاية الأمر أن الليل يسهل فيه التجرد المذكور والحضور المزبور فلا يتوهم المناقاة بين قوله تعالى:

التجرد فالمراد الاستمرار التجديدي أي جدد ذكر الله ساعة فساعة من زماني الليل والنهار لا تغفل عن ذكره ساعة.

قوله: (وانقطع إليه وجرّد نفسك عما سواه أخذ معنى الانقطاع من لفظ الفعل وهو تبتل الموضوع صيغته للمطاوعة ومعنى التجريد من لفظ المصدر وهو تبتلاً الموضوع صيغته للتعدية والتكثير وإفادة هذين المعنيين وضع تبتلاً موضع تبتلاً مع رعاية موافقة الفواصل فإن ما تقدم من الفواصل قبلاً وطويلاً وما تأخر وكبلاً وجميلاً وقليلاً قال صاحب الفرائد يمكن أن يقال لما كان معنى تبتل إليه انقطع إليه أقيم التبتل مقامه وأكد به ليدل على أن ذلك الانقطاع إلى الرب لا يحصل إلا بتكرار التبتل فالتبتل يدل على حصول الانقطاع والتبتل على التكرار لأن التفعّل لتكثير الفعل.

﴿إِنْ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧] وبين قوله ودم على ذكره ليلاً ونهاراً.

قوله تعالى: رَبِّ لَشَرِّهِ وَلَلْغَرَبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

قوله: (رب المشرق خير مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره لا إله إلا هو) رب المشرق أي جانب المشرق والمغرب ولذا لم يجمعاً وأما الجمع في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ [المعارج: ٤٠] فباعتبار المنازل وأما التثنية في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] فبناء على إرادة الشئوي والصيفي.

قوله: (وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجحر على البدل من ربك وقبل بإضمار حرف القسم وجوابه لا إله إلا هو) وقيل لم يرض به لأن هذا الحذف بغير ساد مسدود مع إبقاء عمله وهو عند أكثرهم ضعيف مع إمكان البدلية بدون ضعف وقال أبو حيان الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما لم تصح لأن إضمار الجار لم يجزه البصريون إلا مع الجلالة خاصة ولم يلتفت إليه المصنف إذ الاختصاص بالجلالة غير مسلم غاية أنه مع اسم الجليل كثير وأن الجملة الاسمية المنفية كالجملة الفعلية المنفية تقع جواباً للقسم كذا نقل عن ابن مالك فلا يلتفت إلى ما قاله أبو حيان من أن الجملة المنفية في جواب القسم إذا كانت اسمية لا تنفي إلا بما وحدها ولا ينفي بلا إلا المصدرة بالمضارع كثيراً أو بماض بمعناه قليلاً ولذا جوز الشيخان ذلك مع الإشارة إلى ضعفه.

قوله: (سبب عن التهليل فإن توحده بالالوهية يقتضي أن توكل إليه الأمور) مسبب أي الغناء للسببية داخلة على السبب وهو التهليل أي مضمون لا إله إلا هو وهو التوحيد بالالوهية ولذا قال فإن توحده بالالوهية يقتضي أن توكل الأمور وتفوض إليه فإن كل ما سواه محدث محتاج فلا يفيد تفويض الأمور إليه ومقتضى السوق أن يقال فإن توحده بالالوهية يقتضي الأمر بأن توكل الأمور إليه فإن مدخول الغناء الأمر باتخاذ وكيلاً إلا أن يقال المراد المأمور به والأمر لكونه مؤدياً إليه.

قوله تعالى: وَأَشِيرْ عَلَىٰ مَا يَكُولُونَ وَاجْعَرْهُمْ هَجْرًا جِيلًا ﴿١٠﴾

قوله: ﴿وَاصْبِرْ﴾ [المزمل: ١٠] عطف على اتخذه فهو في حيز الغناء أي اتخذه وكيلاً ﴿وَاصْبِرْ﴾^(١) على ما يقولون ﴿[المزمل: ١٠] فإنه تعالى ينتقم منهم.

قوله: وجوابه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أقسم بما اتفقوا عليه على ما اختلفوا فيه فإن الكفار معترفون بأن الله رب المشرق والمغرب ولكنهم أشركوا معه الأجسام في العبادة ألا يرى كيف أحجم خليل الله نمرود بقوله فإن الله ﴿يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وكليم الله موسى عليه السلام فرعون بقوله: رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم موثقين.

قوله: مسبب عن التهليل معنى التسبب مستفاد من الغناء.

(١) وعدى بعلى إذ المراد الأمر بالصبر على تحمل ما يقولون وتوطئ النفس عليه.

قوله : (من الخرافات)^(١) أي الكذبات الباطلة .

قوله : (بأن تجانبهم وتداريهم وتكل أمهم إلى الله تعالى كما قال : ﴿وذرنى﴾ [المزمل : ١١]) الآية بأن تجانبهم أي بالقلب والمجانبة بالقلب تؤدي إلى المجانبة بالبدن وما بعده قرينة عليه فإن الإعراض عن المكافأة حال البدن وهذا كقوله تعالى : ﴿فاصفح الصفع الجميل﴾ [الحجر : ٨٥] فإن السورة مكية والأمر بالقتال كان في المدينة قوله وتداريهم من المداراة قوله وتكل أي وبأن تكل مضارع وكل بمعنى فوض وفيه إشارة إلى ارتباطه بما قبله وأن الصبر والهجر مما يترتب على اتخاذ الله وكيلاً وأن الهجر يترتب على الصبر ويتضح وجه تقديم الأول على الثاني والثاني على الثالث وعلم أيضاً أن المراد بالهجر ترك المكافأة لا ترك الاختلاط والهجر الجميل ما لا يوجد فيه مكافأة ما وهذا معتبر في الصبر أيضاً لكن آخر لمرعاة الفاصلة .

قوله تعالى : وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُ قَلِيلًا ﴿١١﴾

قوله : (دعني وإياهم وكل إلي أمهم فإني في غنية عنك في مجازاتهم) وإياهم أي مع المكذبين كون الواو بمعنى مع أولى من كونها للعطف إذ المراد وكل أي فوض أمهم إليه تعالى كناية كما قال وكل إلي أمهم فإني في غنية الخ وإلا فلا معنى لترك الله تعالى مع المكذبين فلا جرم أن المراد في مثله ما ذكر كناية أو مجاز أولاً منع فيه عن القتال حتى قيل إنه منسوخ بآية القتال وحذف المفعول من المكذبين للتعميم مع الاختصار .

قوله : (أرياب التنعم يريد صنابير قريش) أشار به إلى أن النعمة بمعنى التنعم إذ انقاسم بهم وصفهم وهو التنعم لكن لا حاجة إليه لأنه يقال أولى مال غاية الأمر أن فائدة النعمة إنما تظهر بالتنعم وعن هذا اختار المجاز وإن أمكن الحقيقة أو النعمة بفتح النون هو التنعم فلا مجاز والتقيد به لأن صنابير قريش أحقاء بذلك فلا مفهوم للمخالفة .

قوله : (ومهلهم) أريد به دفع الوهم الناشئ من تأخر العذاب مع أن قوله : ﴿وذرنى﴾ [المزمل : ١١] الخ مقتضاه الأخذ والانتقام سريعاً لتحقيق السبب فأشار إلى الجواب بأن سبب العذاب وإن تحقق لكنه آخر لانتفاء شرطه وهو أن لهلاكهم أجلاً مسمى

قوله : من الخرافات هي جمع خراف وهو فارسي معرب أصله كزاف ثم جزاف ثم خراف تصرفوا فيه هكذا بالتعريب والمراد أقاويلهم الباطلة بأن تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم قال الزمخشري الهجر الجميل أن يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالفة والمداراة والإغضاء وترك المكافآت .

قوله : أرياب التنعم وفي الكشاف النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الإنعام وبالفهم المسرة .

(١) فبدخل فيه الصبر على أفعالهم .

ولم يأت بعد ومعنى ومهلهم لا تشتغل بالانتقام منهم أو لا تستعجل بإهلاكهم كذا فسره المصنف في سورة الطارق والظاهر أنه مجاز لكونه لازماً للإمهال والإمهال في الحقيقة لله تعالى قال تعالى: ﴿وَأَمْلِي لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٣] الآية وبناء التفعيل هنا للتدرج وهو الإمهال بمعنى واحد لكن في التفعيل لزيادة التسكين ووصفه بكونه قليلاً تبشيراً له عليه السلام بأنه قد قرب وقت هلاكهم والظفر لهم فكأن مستعداً لحمله.

قوله: (زماناً أو إمهالاً قليلاً) أي قليلاً صفة إما لزمان فيكون قليلاً منصوباً على الظرفية أو لإمهال فيكون مفعولاً مطلقاً لقيامه مقامه وهما متلازمان وقدم الأول لأن قلة الزمان مما يوجب السرور في الصدور وغير بالإمهال مع أن الظاهر تمهيداً لأن المشهور الإمهال مع ما فيه من التنبيه على اتحادهما.



قوله تعالى: إِنْ لَدَيْنَا أَنْكَالٌ وَحِمَمٌ

قوله: (تعلييل للأمر) أي تعليل للحكم الخبري المتضمن من الأمر والمراد بالأمر ذرني وما عطف عليه كأنه قيل تفويض أمرهم إلي واجب وكذا الصبر لأن عندنا عذاباً يكفي انتقامهم لأنه شامل لأرواحهم وأشباههم.

قوله: (والنكل القيد الثقيل) أي أنكالا جمع نكل بفتح النون وكسرهما القيد الثقيل ثم نقل إلى العقاب قصار حقيقة وهو المراد هنا كما أشار إليه بقوله ونوعاً آخر من العذاب وقول القاموس أو قيد^(١) من النار إشارة إليه.



قوله تعالى: وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا

قوله: (طعاماً ينشب في الحلق كالضريع والزقوم) ينشب من باب علم أي يتعلق في الحلق فلا يسوغ كالضريع وهو ببس الشبرق وهو شوك يرعاه الإبل ما دام رطباً وقبل شجرة نارية تشبه الضريع والزقوم مر تفصيله في سورة والصافات أي أنه شجرة ثمرها طعام أهل الجحيم.

قوله: (ونوعاً آخر من العذاب مؤلماً لا يعرف كنهه إلا الله) هذا مأخوذ من المقابلة لأن ما ذكر عذاب أيضاً ولم يجعل هذا من قبيل عطف العام على الخاص إذ المراد به نوع آخر مغاير لما عدها من المذكور هنا وأشار به إلى أن التنوين للنوعية قوله

قوله: زماناً قليلاً أو إمهالاً قليلاً يعني انتصاب قليلاً إما على المفعول فيه أو على المصدر حذف الموصوف وأقيم الصفة مقامه وأعزب بإعرابه.

قوله: ونوعاً آخر من العذاب مؤلماً لا يعرف كنهه إلا الله معنى النوعية والتعظيم مستفاد من تنكير عذاباً.

(١) وهو المراد هنا وقد يستعمل في العقاب مطلقاً.

لا يعرف كنهه مستفاد من إيهامه قوله مؤلماً بفتح اللام مر بيانه في أوائل البقرة وهذا معتبر في المعطوف عليه أي نوعاً من الإنكال لا يعرف كنهها إلا الله وكذا ما بعده ولا يعرف وجه عدم تعرضه.

قوله: (ولما كانت العقوبات الأربع مما يشترك فيها الأشباح والأرواح فإن النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبيها والتعلق بها عن التخلص إلى عالم المجردات) قوله فإن النفوس العاصية شروع في بيان اشتراكها قوله بحبيها أي الشهوات لكمال الإلفة بها في الدنيا قوله عن التخلص متعلق بالتعلق بها يتضمن معنى معرصة عن التخلص أو محرومة عن التخلص هذا بيان نكال الأرواح وأما قيد الأشباح قيدها بالحديد من النار ولظهوره وكونه متفقاً عليه لم يتعرض له.

قوله: (متحرقة بحرقه الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمات من تجلي أنوار القدس) هذا عذاب ثانٍ للأرواح بحرقه الفرقة عن الشهوات المألوفة قريبة من الأول والأجساد متحرقة بالنار الموقدة متجرعة غصة الهجران عن الأوطان وعالم القدس بسبب العدوان بيان لما في الأرواح وأما في الأشباح فضريح وزقوم وحميم وغساق وماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيفه معذبة بالحرمات إشارة إلى نصيب الأرواح من العذاب المبهم.

قوله: (فسر العذاب بالحرمات من لقاء الله تعالى) في قوله: ﴿وعذاباً أليماً﴾ [المزمل: ١٣] بالحرمات عن لقاء الله تعالى وهو عذاب فوق سائر العذاب كما أن رؤية الجمال نعمة فوق سائر النعم وهذا غير ما ذكر في العقوبات المشتركة فإنه حرمان عن تجلي أنوار القدس كما صرح به بحيث يبقى في ظلمة شديدة بسبب الضلال ووجه وقوع فسر العذاب جواباً لما أنه لما علم أن ما ذكر أمور تشترك فيها الأرواح والأشباح ودل تنكير العذاب على أنه أعظم العذاب المشترك ولا أشد عذاباً مما ذكره فسر به وهذا البيان مما اخترعه الإمام الرازي وتبعه القاضي ويرد عليه أن أهل الحق صرحوا بأن الروح متأثرة ومعذبة بعذاب البدن بعينه وقد قال في قوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾ [النساء: ٥٦] إن العذاب للنفس العاصية والبدن آلة لها فما ذكره هنا مخالف له ولتصريح أهل الحق فلا جرم أنه لا يعبأ به أصلاً وأما الإشكال بأنه يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فغير وارد لأنه جائز عندهما وأيضاً القول بأنه لا يصار إلى المجاز عند إمكان الحقيقة ضعيف لأن القرينة إذا كانت ضعيفة يسوغ اعتبار الحقيقة مرة والمجاز أخرى كما مر مراراً بحيث لا يعد ولا يحصى والمحذور ما ذكرناه وتنكير العذاب لو دل على أنه أعظم العذاب المشترك لدل تنكير الإنكال وجحيماً وطعاماً على أنها أعظم والفرق تحكم

قوله: فسر العذاب بالحرمات من لقاء الله جواب لما يعني لما لم يختص العقوبات الأربع بالأشباح بل يشترك فيها الأرواح فلا علينا أن نفسر العذاب في ﴿عذاباً أليماً﴾ [المزمل: ١٣] بالعذاب الروحاني كما حمل الثلث الأول على الروحاني.

وجمع الإنكال دون غيره لأن لها أفراداً متعددة والجحيم والطعام من الجنس الذي هو متشابه الأجزاء والظاهر أن الحرمان عن لقاء الله تعالى عذاب للبدن وللروح الحرمان عن تجلي أنوار القدس.



قوله تعالى: **يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَغِيَابِ مِهْبَلٍ**

قوله: (تضطرب وتزلزل ظرف لما في الدنيا أنكالا من معنى الفعل) تضطرب أي الرجف الاضطراب وشدة الحركة ظرف لما في الدنيا الخ أي استقر ذلك العذاب الدنيا والظاهر أن ذلك اليوم يوم النفخة الأولى والمراد وقت منسح شامل لمباي قيام الساعة وما وقع بعد قيامها ولمجازاة النفوس فلا إشكال في ظرفية يوم الرجفة لاستقرار العذاب بعد قيام الساعة.

قوله: (وكانت الجبال) أي ويوم كانت الجبال أظهر الجبال لمكان الالتباس ولكمال التقرر.

قوله: (رملاً مجتمعاً) أي كرمل مجتمع فهو تشبيه بليغ فكانت بمعنى صارت وفي الكشف أي كانت مثل رمل مجتمع.

قوله: (لأنه فعل بمعنى مفعول من كثبت الشيء إذا جمعته) تعليل لقوله رمل مجتمع فإنه في قوة رمل مجموع أي وإنما فسرنا به لأنه فعل بمعنى المفعول ولذا لم يؤنث قبل أي في الأصل ثم غلب حتى صار له حكم الجوامد وفي نسخة كأنه فعل كما في الكشف وإنما قال الخ كأنه لأن الظاهر أنه اسم وضع له ابتداء وليس بصفة مشتقة كذا قيل وفيه نظر لأن نسخة لأنه يأتي عنه فالأولى ما مر من أن أصله صفة ثم غلب حتى صار له حكم الجوامد وإنما عطف بالواو مع أن الظاهر العطف بالفاء لترتبه على الرجفة للتشبيه على أنه خصلة أخرى على حيالها غير ملحوظ ترتبه على الرجفة وإن ترتب على الرجفة في نفس الأمر وغير بالماضي لتحقق وقوعه ولم يثنه على ذلك في الرجفة لأن النكتة متوطة بالإرادة وهذا أولى مما قيل من أنه عبر بالماضي مع أن ما تسبب عنه مضارع لتخييل أنه سبق الرجفة فكانه حصل المسبب قبل السبب مبالغة وعدم تخلفه عنه واتصاله حتى يتوهم أنه كان قبله كما قاله بعض الفضلاء انتهى فإن ما ذكره غير متعارف في مثله وتخييل سبق المسبب السبب يتأفي السببية نعم تخييل المعية تخييل حسن يلائم الاتصال وما ذكره يتأفي الاتصال وآخر كلامه لا يلائم أوله.

قوله: (من هيل هيلاً إذا نثر) منشوراً أي بعد ما كان مجتمعاً أشار به إلى أن مهياً اسم مفعول بوزن مبيع من هيل بصيغة المجهول وكذا نثر.

قوله: ظرف لما في ﴿لدينا أنكالا﴾ [المزمل: ١٢] من معنى الفعل يعني انتصاب يوم على أنه مفعول فيه لقوله تعالى: ﴿لدينا﴾ [المزمل: ١٢] لأنه ظرف مستقر فيه معنى الحصول أي حاصله لدينا ﴿يوم ترجف﴾ [المزمل: ١٤].

قوله تعالى: **إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا** ﴿١٥﴾

قوله: (يا أهل مكة بشهد عليكم يوم القيامة بالإجابة والامتناع) يا أهل مكة الخطاب للمكذبين فيحتمل أن يكون التثنية لكن قوله بالإجابة والامتناع يشعر بأن الخطاب للعموم فلا التفات حيث لا وفي الكشف بشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم وعدل عنه المصنف فقال بالإجابة والامتناع وظاهر أنه اعتبر العموم وتعديته يعلى لتضمنه معنى الرقيب فينتظم الشهادة لهم وعليهم.

قوله: (يعني موسى عليه الصلاة والسلام ولم يعينه لأن المقصود لم يتعلق به) أو لكونه معلوماً لأنه ذكر في مواضع عديدة أن موسى عليه السلام أرسل إلى فرعون وملئه وأظهر المعجزة وهنا لم يذكر ملاء لأنهم تابعون له فذكر المتبوع يغني عن ذكر التابع والفاء في قوله: ﴿فَعَصَى﴾ [المزمل: ١٦] للسببية فإن الإرسال وإن كان سبباً للإطاعة لكنهم جعلوه سبباً للعصيان.

قوله تعالى: **فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا** ﴿١٦﴾

قوله: (عرفه لسبق ذكره) أي عرفه لأن المراد ما سبق ذكره ولو لم يعرف لثبادر الوهم أن المراد به غير ما ذكر فاللام للعهد الخارجي والفاء في ﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾ [المزمل: ١٦] للسببية في نفس الأمر.

قوله: (ثقيلاً من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم) لا يستمرأ أي لا يعد مريباً وحاصله أخذاً شديداً قوله المطر العظيم أي مطر عظيم القطر فاستاده إلى المطر مجاز.

قوله تعالى: **فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا** ﴿١٧﴾

قوله: (أنفسكم) قدر المفعول لأن بناء الافتعال بمعنى الثلاثي أي فكيف تقون أنفسكم فضلاً عن غيركم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦] والقول بأنه جعل المصنف تتقون بمعنى تقون فعده إلى مفعولين رده بعضهم بأنه خطأ صريح ولا يخفى أن الحكم بأن هذا خطأ صريح هذيان محض لأنهم صرحوا بأن

قوله: لم يعينه لأن المقصود لم يتعلق به فإن المقصود الإخبار عن إرسال رسول إلى فرعون وعصيان الرسول المرسل إليه لا عن إرسال موسى بعينه.

قوله: فكيف تتقون أنفسكم أي كيف تقون أنفسكم يوم القيامة وهو له إن بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحاً فعلى هذا يكون يوماً منصوباً على أنه مفعول به لتتقون ويجوز أن يكون ظرفاً أي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا ويجوز أن يكون منصوباً بكفرتم على أن يكون كفرتم ماولاً بجحدتم أي فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء لأن تقوى الله خوف عقابه.

افتعل قد يجيء بمعنى فعل وإن المص بين في أوائل البقرة أن اتقى مطارع وفي فلا بد من التوفيق بين الكلامين بمثل ما ذكرناه والرد والجرح من عادة المتعصبين والابتغاء لكلام العظماء محملاً من دأب المتصفين الكاملين.

قوله : (بقيتم على الكفر) أوله به لأنهم كافرون والاعتبار بالخواتم لا سيما عند الأشعري وكلمة أن المفيد للشك لكون المراد البقاء على الكفر فإنه في نفسه محتمل الوقوع واللاوقوع كما مر غير مرة لا بالنسبة إلى القائل.

قوله : (عذاب يوم) أي هذا مفعول ثانٍ لتتقون بمعنى تقون بتقدير المضاف ولو لم يقدر المضاف لكان أبلغ ولم يلتفت إلى جواز كون يوماً ظرفاً أي كيف لكم التقوى في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا وإلى جواز كونه منصوباً بكفرتم أي كيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء كما في الكشف لأنه تكلف خلاف الظاهر.

قوله : (من شدة هوله وهذا على الفرض والتمثيل) بالعطف بالواو يعني أن الكلام استعارة تمثيلية شبه الهيئة المأخوذة من أمور عديدة وهي يوم القيامة وهولها وشدة حسابها وعذابها بالهيئة المستترة من أشياء كثيرة وهي يوم من الأيام وكثرة الوقائع وهجوم الهموم والغموم بسبب تراحم البليات يسرع بسبب ذلك الشيب للولدان فضلاً عن غيرهم فاستعمل اللفظ المركب الموضوع للمشبه به في الهيئة المشبهة وقد عرفت أن المشبه به لا يجب أن يكون محققاً بل يجوز أن يكون مفروضاً فلا إشكال بأن هذا اليوم غير متحقق فكيف يكون مشبهاً به وفي بعض النسخ أو التمثيل بالعطف بأو الفاصلة فقيل إنه لا وجه له ولك أن تقول إن وبمعنى الواو الواصلة.

قوله : (وأصله أن الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب) لأن الروح تنقبض إلى داخل فتتطفئ الحرارة الغريزية ولا ينضج الغذاء فيستولي البلغم على الأخلاط وهو يوجب ابيضاض الشعر بتقدير العزيز الحكيم قوله : ﴿يجعل الولدان شيباً﴾ [المزمل : ١٧] صفة يوم والجعل فعلي وإن كان مفروضاً وإسناد الجعل إلى اليوم مجاز.

قوله : (ويجوز أن يكون وصف اليوم بالطول لأن أيام الهموم طول) أي يكون في

قوله : هذا على الفرض والتمثيل أي ليس هناك شيب صبي حقيقة وإنما هو تمثيل وتصوير لشدة هول ذلك اليوم يقال في حق اليوم الشديد هذا يوم شيب نواصي الأطفال والأصل أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت وتراحت على الإنسان أسرع فيه الشيب قال أبو الطيب :

والهمم يخشع الجسيم مخافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم

وفي الحكاية أن رجلاً أمسى فاحم الشعر كحلك الغراب وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية فقال رأيت القيامة والجنة والنار في المنام ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار فمن هول ذلك أصبحت كما ترون.

قوله : ويجوز أن يكون وصف اليوم بالطول بحيث يبلغ الأطفال فيه أو أن الشيخوخة وعلى هذا الوجه يكون شيب الصبيان حقيقة.

طوله بحيث يبلغ الأطفال فيه أو إن الشيخوخة والشيب ويكون كناية عن الطول بالنسبة إلى الكفار وأما بالنسبة إلى الأبرار فكساعة وهذا بالنسبة إلى يوم وقوعها فلا ينافي كونها غير متناهية ولا يقال إن ذلك اليوم غير متناه فلا معنى لوصفه بالطول لما عرفت من أن المراد باليوم يوم وقوعه .

قوله تعالى: **الْسَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا** ﴿١٨﴾

قوله: (منشق والتذكير على تأويل السقف أو إضمار شيء) أي القياس منقطرة لأن السماء إما اسم جنس وهو المختار أو جمع سماء كما قيل وعن الفراء أن السماء تذكر وتؤنث فلا حاجة إلى التأويل وسره أنه اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد فالتذكير باعتبار وقوعه على الواحد والتأنيث باعتبار وقوعه على المتعدد وإنما اختار التأويل لأن المراد هنا المتعدد إذ الانشقاق لا يختص بسماء دون سماء ولذا جاء في قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] فلا جرم أنه يحتاج إلى التأويل وقيل التذكير لأنه من صيغ النسب أي ذات انفطار قوله على تأويل السقف لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢] أو إضمار شيء والمنقطر صفة أخرى إذ التقدير خلاف الظاهر والتعير بشيء إشارة إلى وهنها بعد إحكامها .

قوله: (لشدة ذلك اليوم على عظمها وإحكامها فضلاً عن غيرها) أي مع عظمها وإحكامها بكسر الهمزة قوله فضلاً عن غيرها بيان وجه التخصيص بالذكر .

قوله: (والياء للآلة) مبالغة في شدته كأنه آلة للشق وليس بألة حقيقية بل حكماً .

قوله: (الضمير لله تعالى أو لليوم على إضافة المصدر إلى مفعوله) الضمير لله تعالى فهو مذكور حكماً لعلمه من السوق أو فيه الثغات من التكلم إلى الغيبة فالمصدر مضاف إلى الفاعل والمفعول محذوف مفعولاً أي كائناً لا محالة وجملة كان الخ تذييل مقرر لما قبله .

قوله تعالى: **إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ لَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ ۚ سَبِيلًا** ﴿١٩﴾

قوله: (الآيات الموعدة) اسم فاعل من أوعد لا من وعد بتشديد العين فإنها غير مشهور أي الآيات الدالة على الوعيد أو الإستاد مجاز .

قوله: (عظة) موعظة زاجرة عن المعاصي ومرغبة إلى الطاعات والمراد بالآيات من قوله: ﴿إِنَّ لَدُنَّا أُنْكَالًا﴾ [المزمل: ١٢] إلى كان وعده مفعولاً والغرض من هذا الإخبار تمهيد لقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ لَّخَذْ﴾ [المزمل: ١٩] ولذا جيء بالفاء وإشارة إلى اتصال هذه الآيات إلى ما قبلهما .

قوله: (أن يتعظ) مفعول لشاء بقرينة ما قبله وتقدير مضمون الجزء أي فمن شاء أن يتخذ ليس بكلي قيل والمعنى ومن نوى أن يحصل له الاتعاظ في ثاني الحال يتقرب إلى الله تعالى فهذا العزم سبب للتقرب وباعت لتحصيله وهذا عجب لأن مشيئة الإنسان

لا يجب أن يترتب عليها الفعل حتى يقال إن شأن المشيئة أن تستعقب الفعل والانتعاض مما لا يحصل عقيبها وقد صرح علماؤنا إن تخلف المراد عن إرادة الحادث جائز واقع على أن المعنى ومن شاء الانتعاض في الاستقبال الخ لأن الكلام على الاستقبال ولذا قال يتقرب بالمضارع بدل اتخذ.

قوله: (أي يتقرب إليه بسلوك الشقوى) نيه به على أن الجزء هو التقرب واتخاذ السبيل سببه فوضع سبب الجزء موضعه تنبيهاً على كماله في السببية وفي الكشف ومعنى اتخاذ السبيل التقرب والتوسل بالطاعات وقول المصنف أي يتقرب إشارة إليه إذ ظاهره محال فالمراد لازمه كناية أو مجازاً ويحتمل استعارة تمثيلية فكأن على بصيرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلَاثِي إِلَيْهِ وَاصْبِرْ وَلَئِنَّكَ لَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا أَنَّهُ يُعَذِّبُكَ وَإِنَّكَ عَلِيمٌ أَن لَّنْ نَحْنُصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَامَّا تَبَسُّورُ مِنَ الثَّغْرَيْنِ أَلَيْسَ لَكُم مَّا سَيَكُونُ مِنكُمْ مَرْجِيٌّ وَآخَرُونَ يَقِرُّونَ فِي الْأَرْضِ يَدَّبَعُونَ مِن قَبْلِكُمْ وَآخَرُونَ يَخْتَلِفُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ وَامَّا تَبَسُّورُ مِنهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَآفَرُّوا اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقْرَئُوا لِأَفْئِسُّكُمْ مِن شَرِّ يَحْدُوثُهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ سَرِيرٌ وَأَعْلَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

قوله: ((إن ربك يعلم)) (المزمل: ٢٠) أي علماً يتعلق به الجزء وهو التعلق بأنه وجد الآن أو قبله وهو تعلق حادث فالمعنى إن ربك يعطي الأجر الجزيل على هذا المذكور من العبادة والتعبير بالرب لمزيد اللطف والكرم فعلى هذا صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية وإن أريد ظاهره فتعلق العلم به قديم أي يعلم أنك سيقع القيام منك هكذا ويحتمل أن يكون تقوم بمعنى الأمر كما يشعر به قوله قيل كان التهجد واجباً الخ لكن قوله يعلم لا يلائمه فالوجه الأول هو المعمول قوله قيل كان التهجد واجباً ناظر إلى ما في أول السورة من الأمر.

قوله: (استعار الأدنى للأقل لأن الأقرب إلى الشيء أقل بعداً منه) أي هو مجاز مرسل لأن الأقلية لازمة للأقربية فالمراد استعارة لغوية وهذا هو الظاهر من كلام المصنف أو لأن اشتراكهما في أصل القلة ومطلق القلة فيكون استعارة اصطلاحية وليس أدنى هنا اسم تفضيل من دنى إذا قرب بل مستعار للقلة والمعنى تقوم أقل من ثلثي الليل لكن فوق النصف ولا يتناول النصف فضلاً عما دون النصف.

قوله: (وقرأ هشام ونصفه بالجر عطفاً على ثلثي الليل) أي أقل من نصف الليل لكن فوق الثلث وثلثه أي أقل من ثلثه.

قوله: (وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفاً على أدنى) فيكون المعنى تقوم نصف الليل وثلث الليل وهو المطابق لما مر من التخيير بين قيام تمام النصف وبين قيام الناقص عنه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الأقل من الثلثين وقرئ بالجر

أي تقوم أقل من الثلثين ومن النصف ومن الثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو أدنى من الثلثين والثلث وهو أدنى من النصف والربع وهو أدنى من الثلث وهو الوجه الأخير كذا في الكشف قوله وهو أدنى من الثلثين والأدنى من الثلثين يعم النصف وما فوق النصف وكذا الكلام في قوله والثلث لأن ما أدنى من النصف يعم الثلث وما فوقه إلى النصف وكذا الكلام في قوله والربع الخ ولا يعرف وجه تخصيصه بما ذكر قبل وفي كلام الكشف إشارة إلى أن الاعتماد على الوجه الثاني والأخير وما سواهما احتمالات والتفاوت بين القراءتين وإن كان ظاهراً فلا يجتمعان لكنه بحسب الأوقات فوقتا قاموا أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ووقتاً قاموا أدنى من ثلثي الليل وأدنى من النصف وأدنى من الثلث فيكونان معلومين له تعالى باعتبار الوقتين والأمر وارد على سبيل التخيير فإنه إذا عمل بالأكثر أو الأقل خرج عن المعهدة واستوضح بآية الكفارة أو أنهم خبروا بين أن يقوموا فيما هو أقل من النصف على البتة كالثلث وبين أن يكونوا مختارين في قيام النصف والأكثر منه كما مر الإشارة إليه من المصنف فما ذكره السعدي هنا لا يعرف له وجه .

قوله : (ويقوم ذلك جماعة من أصحابك) أشار به إلى أن طائفة معطوف على ضمير تقوم وجاز يدون تأكيد للفصل بينهما ذلك أي أدنى من ثلثي الليل الخ جماعة معنى طائفة من أصحابك معنى من الذين معك لفظة مع لا يقتضي هنا إلا وجود القيام من الصحابة والمصاحبة في فرضية القيام دون أداء القيام لقيام القرينة على أن جميع الصحابة لم يكونوا معه عليه السلام في أداء القيام والقول بأن يقوم البعض في بيته والبعض معه عليه السلام بعيد وجعل من لبيان لا يدفع الإشكال لأن مجموع الأصحاب من حيث المجموع كونهم معه عليه السلام في قيام الليل مخالف للمعادة وأشق على النفوس فهذا مثل قوله تعالى : ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ [النمل : ٤٤] والظاهر أن من تبعيضية هذا التوجيه إن قيل يفرضية قيام الليل على الكل في صدر الإسلام وإن قيل إن فرضيته مخصوصة به عليه السلام فالأمر ظاهر فقيام بعض الصحابة معه عليه السلام على سبيل التطوع فلا إشكال أصلاً وهذا الاحتمال هو الراجح المختار .

قوله : (لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي إلا الله فإن تقديم اسمه مبتدأ مبنياً عليه يقدر يشعر بالاختصاص) أشار إلى أن تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي يفيد الحصر كما أشار إليه بقوله فإن تقديم اسمه قوله لا يعلم الخ العلم مستفاد من يقدر مجازاً إذ تقدير الشيء يستلزم علم مقاديره وتقدير الساعة إذ لا معنى لتقدير الليل والنهار إلا تقدير ساعاتها قوله كما هي أي علماً يطابق الواقع وعلى وجه هي في نفس الأمر عليه

قوله : لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي إلا الله معنى الحصر على ما قال مستفاد من تقديم المسند إليه المعرفة وهو لفظة الله عز اسمه مبتدأ عليه الخبر الفعلي كما في قوله تعالى : ﴿الله يسطر الرزق﴾ [الزمر : ٥٢] أي الله يسطر لا غيره والمعنى هنا الله يقدر وأنتم لا تقدرون عليه .

إشارة إلى أنكم تعلمون ذلك بالتحري والاجتهاد ويتوسل علم النجوم ولكن لا يخلو عن خلل وخطأ فالمصحح للحصر قيد كما هي المستفاد من الفحوى وإن علمه تعالى لا يكون إلا على وجه مطابق والتعرض للنهار مع أن الكلام في الليل لتقسيم المرام ولأن معرفة مقادير الليل إنما هو بمعرفة مقادير النهار وبالعكس بالنسبة إلى العباد وقدم الليل لأن الكلام فيه ولأنه مقدم في الوجود.

قوله: (ويؤيده قوله: ﴿علم أن لن تحصوه﴾ [المزمل: ٢٠]) وجه التأييد هو أن تعالى لما أخبر علمه بعدم إحصاء المخلوق علم أن ذلك مفوض إلى علمه تعالى فقط فالأولى أن يقال ويدل عليه قوله: ﴿علم أن لن تحصوه﴾ [المزمل: ٢٠] لكن لا حاجة إليه لأن معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر منحصر في الله تعالى واختير هنا الماضي وقيما مر المضارع تنبيهاً على أن الماضي والمستقبل منسلخ عن الماضوية والاستقبالية وأيضاً القيام متعدد فيناسبه المضارع الدال على الاستمرار بخلاف عدم الإحصاء فيناسبه الماضي.

قوله: (أي لن تحصوا تقدير الأوقات) إشارة إلى أن الضمير راجع إلى المصدر المفهوم من يقدر كقوله: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة: ٨].

قوله: (ولن تستطيعوا ضبط الساعات) للتنبيه على أن المراد من نفي الإحصاء نفي القدرة على الإحصاء قوله ضبط الساعات معنى تقدير الأوقات والمراد ضبطها على ما هي عليه في نفس الأمر فلا يتناهى استطاعة ضبطها بالتحري والاجتهاد الذي لا يخلو عن الخطأ والانحراف عن صوب السداد.

قوله: (بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه) نبه به على أن ﴿فتاب عليكم﴾ [المزمل: ٢٠] استعارة تبعية شبه الترخيص في تركه ما قدر في قيام الليل والعلاقة عدم المواخذة والتبعة بفتح التاء المثناة وكسر الموحدة الإثم والمواخذة قوله المقدر أي في قوله: ﴿قم الليل﴾ [المزمل: ٢] الآية إذ لا تقدير هنا لأنه خير وليس في معنى الإنشاء لقوله: ﴿يعلم أنك تقوم﴾ [المزمل: ٢٠] الخ والمعنى فرخص بسبب علمه تعالى.

قوله: (فاقرؤوا) الفاء للتفصيل.

قوله: (فصلوا ما يسر عليكم من صلاة الليل) وهو دليل على أن قيام الليل في صدر الإسلام فرض على الجميع فلا بد من التمثل المذكور في المعية المذكورة.

قوله: (عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها) بالقراءة مجازاً مرسلًا

قوله: ويؤيده قوله تعالى: ﴿علم أن لن تحصوه﴾ [المزمل: ٢٠] وجه التأييد هو نفي الإحصاء عن غيره من حيث إن انتفاء الإحصاء من لوازم انتفاء العلم والضمير في ﴿لن تحصوه﴾ [المزمل: ٢٠] لمصدر يقدر أي علم أنه لا يصح منكم ضبط الأوقات ولا يتأني حسابها بالتعديل والتسوية إلا أن تأخذوا بالأوسع للاحتياط وتصلوا ما يسر عليكم من صلاة الليل.

لكونها ركناً وجزءاً من الصلاة فذكر الجزء الذي ينتهي الكل بانتفائه وأريد الكل بقرينة أن الكلام في الصلاة.

قوله: (قيل كان التهجد واجباً على التخخير المذكور فعر عليهم القيام به) أشار به إلى أن المراد بقيام الليل قيامه بعد النوم ولو قليلاً وهو قول البعض على التخخير المذكور من القيام من أدنى ثلثي الليل إلى آخره.

قوله: (فتنسخ به ثم نسخ هذه الصلوات الخمس) فتسخ به أي بهذا الترخيص والمنسوخ المقدار المعين ووجوب ما تيسر عليهم من أي مقدار كان ويتعين الواجب بالأداء ثم نسخ هذا أي بالكلية بالصلوات الخمس المفروضة في ليلة الإسراء وليس في الصلوات الخمس ما يشعر بنسخها هذا الحكم وإنما قال وقيل الخ لما نقل عن ابن حجر أنه قال في شرح البخاري ذهب بعضهم إلى أن صلاة الليل كانت مفروضة ثم نسخت بقيام بعض الليل مطلقاً ثم نسخ بالخمسة وأنكره المروزي وذهب بعضهم إلى أنه لم يكن قبل الإسراء صلاة مفروضة انتهى. وللإشارة إلى هذا الاختلاف قال قيل كان التهجد الخ وعلى القول الأخير الأمر في ﴿قم الليل﴾ [المزمل: ٢] للندب قال المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ [الإسراء: ٧٩] فريضة زائدة على الصلاة المفروضة أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك فعلم أن لا نسخ في حقه عليه السلام.

قوله: (أو فافروا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم) فلا مجاز حيثئذ فيكون ترخيصاً لهم في ترك جميع القيام والأمر بقراءة القرآن ليلاً بدون مشقة عليهم لينالوا ثواب القيام بالليل بإحياء بعضه بالقراءة فيكون الأمر للندب اتفاقاً وفيما قبله للوجوب أو للندب أيضاً وإنما جعل أولاً مجازاً وحمله على الحقيقة ثانياً بالقرينة الضعيفة واعتبارها أولاً وعدم اعتبارها ثانياً.

قوله: (علم أن سيكون) وهذا العلم بالتعلق القديم وهو العلم بأنه سيقع.

قوله: (وآخرون يضرِبون) أي يسافرون للتجارة أو للغزو أو لطلب العلم وضرب إذا تعدى بغي يصير بمعنى سافر يبتغون من فضل الله وهو الربح وتحصيل العلم وآخرون يقاتلون الخ تخصيص بعد التعميم إن عمم الضرب في الأرض إلى السير للغزو وإلا فلا.

قوله: (استئناف يبين حكمة أخرى مقتضية للتخخيص والتخفيف) استئناف أي نحوي وحاصله أنه كلام ابتدائي مسوق لبيان حكمة أخرى ولعل الحكمة الأولى للمقيمين والأصحاء وهذه الحكمة للمرضى وللمسافرين أو الأولى تعم إلى الجميع والحكمة الثانية مخصوصة بهم.

قوله: (ولذلك كرر الحكم) أي ولكون هذا حكمة أخرى للتخخيص كرر الحكم أي بقوله: ﴿فافروا ما تيسر منه﴾ [المزمل: ٢٠] والمراد بالحكم خطاب الله للمتعلقين بأفعال المكلفين.

قوله: (مرتباً عليه) أي على الاستئناف بالفاء.

قوله: (وقال) الأولى فقال بالقاء وفيه تنبيه على أن اختلاف المرتب عليه فيها يوجب حسن التكرار ولو قيل هذا حكم خاص بالمرضى والمسافرين فلا تكرر إلا في اللفظ (والضرب في الأرض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم).

قوله: (المفروضة) هذا أما بناء على أن هذه الآية مدنية أو من باب ما بين حكمه قبل نزوله.

قوله: (الواجبة) أي المفروضة تفنن في البيان قيل المراد زكاة الفطر إذ لم يكن في مكة زكاة ومن فسرهما بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مدنية أو من باب ما بين حكمه قبل نزوله.

قوله: (يريد به الأمر بسائر الإنفاقات في سبيل الخير أو بأداء الزكاة على أحسن وجه والشرغيب فيه بوعده العوض كما صرح به في قوله: ﴿وما تقدموا﴾ [المزمل: ٢٠] الآية) الإنفاقات في سبيل الخير هذا مناسب لما قبله ولذا قدمه قوله على أحسن وجه كالإنفاق من أعز أمواله وأطيبها قال تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران: ٩٢] قال المصنف في سورة البقرة وإقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه وهنا قد خص بما ذكر بمعونة المقام ولو عمم لكان أفيد لدخول ما ذكرها فيه دخولاً أولياً والمعنى ﴿وأقرضوا الله إقراضاً حسناً﴾ [الحديد: ١٨] مقروناً بالإخلاص وطيب النفس أو مقرضاً حلالاً طيباً والكلام استعارة تمثيلية يعرفها من له سليقة سليمة.

قوله: (من الذي تؤخرونه إلى الوصية عند الموت) بيان المفضل عليه وإنما كان خيراً لأنه مقطوع الحصول أو لأنه الإنفاق حين الاحتياج وخوف الفقر وهو أفضل الصدقة بخلاف الوصية فإنها عند الارتحال وترك المال وقد عمم هذا الصدقة الجارية والعلم المنتفع به وغير ذلك.

قوله: (أو من متاع الدنيا) هذا ظاهر في كونه مفضلاً عليه آخره لأنه ليس من جنس العمل.

قوله: (وخيراً ثاني مفعولي تجدوه) لأنه بمعنى تعلمونه دون المصادفة ولو حمل على معنى المصادفة لكان خيراً حالاً من ضمير تجدوه.

قوله: (وهو تأكيد) أي لفظة هو في قوله: ﴿هو خيراً﴾ [المزمل: ٢٠] تأكيد للضمير تجدوه كما جعل أنت مع كونه ضميراً مرفوعاً تأكيداً للضمير المنصوب المتصل في إنك استعارة وهنا استعير الضمير المرفوع المنفصل للضمير المنصوب إذ يجوز في التابع ما لا يجوز في المتبوع نحو مررت بك أنت.

قوله: (أو فصل لأن أفعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف) أو فصل

قوله: لأن أفعل كالمعرفة يعني من شأن ضمير الفصل أن يتوسط بين معرفتين وخبر ههنا

أي ضمير فصل وقع بين المفعولين لأنه يقع بين المبتدأ والخبر قبل دخول النواسخ وبعدها وشرطه أن يكون الخبر معرفة أو أفعل من كذا وأشار بقوله لأن أفعل من كالمعرفة إلى وجود الشرط الثاني قوله ولذلك الخ بيان أنه كالمعرفة.

قوله: (وقرىء هو خير على الابتداء والخبر) أي الجملة مفعول ثانٍ لتجدوه.

قوله: (في مجامع أحوالكم فإن الإنسان لا يخلو من تقريظ إن الله غفور رحيم) في مجامع أحوالكم أي جميع أحوالكم حتى في عبادتكم.

قوله: (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة) والحديث المذكور موضوع. تمت السورة الكريمة. بعونه تعالى ونصلي على أفضل رسله. وعلى آله وعترته. في قبيل العصر الثاني من يوم الجمعة من الربيع الأول في سنة ١١٩٢.

نكرة فالوجه فيه أن كلمة التفضيل إذا استعمل مع من يمنع أن يدخل عليه لام التعريف فبذلك أشبه المعرفة لأن المعرفة لا يدخل عليها لام التعريف وخبر هنا مقدر بمن قال ابن الحاجب أفعل من كذا مشبه للمعرفة شبهاً قوياً من حيث المعنى حتى أن معنى قولك أفضل باعتبار فضله المعهود وكذلك ما قام مقامه. تمت السورة الحمد لله أولاً وآخرأ مستعيناً بالله ومعتصماً بحبله المتين أشرع وأقول.

سورة المدثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة المدثر مكية) قيل بالإجماع لكن قال بعضهم هي مكية على الأصح لا بالإجماع لأن منهم من استثنى منها آية ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتْهُمْ﴾ [المدثر: ٣١] الخ وما ذكره لا يثبت مدعاه بل يثبت أن جميع آياته ليست بمكية.

قوله: (وآياتها ست وخمسون) وفي التيسير خمس وخمسون فهي على الاختلاف فيها.

قوله تعالى: بِأَيِّهَا الْمَدَّثَرُ ﴿١﴾

قوله: (أي المدثر وهو لابس الدثار) أي أصله المدثر فادغم فصار المدثر مثل المزمّل وصيغة التفعّل للتكلف أو المراد الكمال المترتب على التكلف وهو لابس الدثار وهذا حاصل المعنى الدثار بكسر الدال ما فوق القميص الذي يلي البدن ويسمى شعاراً لاتصاله ببشرته وشعره ولو أريد بالدثار مطلق الثوب ليكون موافقاً للمزمّل أي المتلفف بشيابه لكان أحسن إذ الفصّة واحدة أو المراد بالثياب هناك الدثار فحينئذٍ يحتاج إلى بيان وجه التخصيص قول المصنف فتغطى بثوبه يؤيد ما ذكرناه من أن المراد مطلق الثياب.

قوله: (روي أنه عليه السلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم أر شيئاً فنظرت فوقي فإذا هو على العرش بين السماء والأرض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني) بحراء بكسر الحاء ومد الراء جبل بقرب مكة يتعبد فيه عليه السلام قبل النبوة فنوديت والمنادي غير معلوم في ذلك الحين والغاء للسببية فإن كونه عليه السلام في حراء سبب النداء في الجملة فنظرت عن يميني بمعنى من أي فنظرت ابتداء نظري جانب يميني فلم أر شيئاً فنظرت عن شمالي فلم أر شيئاً فنظرت فوقي أي إلى فوقي وفيه تنبيه على أن البدء باليمين في مثل هذا هو الأولى ولم يذكر الإمام

سورة المدثر

مكية وآياتها ست وخمسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: أو قم قيام عزم وجد لما ظهر من التدثر بالدثار إشارة عدم التهيز والاستعداد لتبليغ

وضده لظهوره أن النداء لم يكن منهما وفيه إشارة إلى أن النداء على وجه لم يعرف محل مناديه ومن أي جهة ناداه بل الظاهر أنه عليه السلام سمع النداء من جميع الجهات على خلاف العادات فإذا هو أي المنادي على العرش أي السرير بين السماء والأرض أي هو معلق بينهما قريب من الأرض كما هو المتبادر أو بعيد منها وهو الأنسب بالمقام فرعبت^(١) لأنه حالة غريبة مخالفة للعادة فقلت ذروني الخطاب للجماعة وخديجة رضي الله عنها منهم والتذكير للتغليب أو الخطاب لها رضي الله عنها للتعظيم والتذكير للتنبية على كمال عقلها.

قوله: (فتزل جبريل فقال: ﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر: ١]) فقال حكاية عن الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر: ١] وإنما ناداه به إذ العرب إذا قصدت الملاطفة بترك المعاتبة نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها مثل قوله عليه السلام لعلي رضي الله تعالى عنه حين غاصب فاطمة رضي الله تعالى عنها وقد نام ولصق بجنبه التراب «قم يا أبا تراب» ملاطفة له وإشعاراً بأنه غير مناسب كما مر في أوائل سورة المزمل.

قوله: (ولذلك قيل هي أول سورة نزلت) ولذلك أي لما ذكر من الرواية وقيل هي أول سورة فإن تلك الرواية تدل على أنه لم يعرف الوحي وجبريل قبله وأنت خير بأنه لو تم لدل على أن سورة المزمل أول سورة نزلت على بعض الوجوه قيل مرضه لأنه لا دلالة فيه على أنه أول وحي لأن ارتعاده لرؤيته له على صورة مهيبة له لم يرها قبل قال المصنف في سورة النجم قيل ما رآه أحد من الأنبياء عليهم السلام في صورته غير محمد عليه السلام مرتين مرة في السماء ومرة في الأرض انتهى. فلا يتم ما ذكره القائل المذكور إلا أن هذه الرؤية رؤيته في الأرض فلا تغفل مع أنه معارض لما قيل إن أول ما نزل ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١] إلى ﴿ما لم يعلم﴾ [العلق: ٥] والجواب في التوفيق إن أول سورة بشتمها هذه السورة وتلك أول آيات ضعيف أما أولاً فلأن أول سورة نزلت بشتمها سورة الفاتحة كما مر وأما ثانياً فلأن قوله: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ [المدثر: ١١] نزل في شأن الوليد كما اتفقوا على ذلك وهذه الرواية تدل على أنها نزلت بعد الدعوة والتحدي والقول بأنه من باب بيان الحكم قبل وقوعه خلاف الظاهر وأما ثالثاً فلأن الاحتمالات المذكورة تنافي الدلالة على ذلك.

قوله: (وقيل تأذى من قریش فتغطى بثوبه مفكراً) سواء كان دثاراً أو لا مفكراً وهذا من عادة من يريد جمع خاطره لئلا يتفرق فكره وهذا كثير لمن يطالع الدرس ولعله عليه السلام أراد قصر نظره وفكره في جلال الله وجماله ومعظم نعمه وآلائه بحيث لا يحوم حوله

الوحي قيل له قم قيام عزم وجد كما قال في المزمل أنه سمي النبي ﷺ به نهجياً لما كان عليه من أنه كان نائماً متزماً في قطيفة.

(١) بصيغة المجهول وهو أولى من كونه معلوماً لكونه لازماً أي خفت.

مانع عن ذلك بسبب إيذاء قومه فتغطى وتلف بشوبه الشريف حتى لا يطره شيء ما على فكره المنيف فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢] واشتغل بما هو أهم من الفكر المذكور وهو الإنذار وتبليغ الأحكام ولا تبال بأذية اللثام.

قوله: (أو كان ناثماً متدثراً فتزلت) أي وقيل كان ناثماً متدثراً.

قوله: (وقيل المراد بالمتدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية) فيكون استعارة تشبيهاً للمعقول بالمحسوس لكن الأولى الاستعارة التمثيلية حتى لا يلزم تشبيه النبوة بالدثار وإن كان له وجه في الجملة بأن يقال شبه النبوة بالدثار في التحلي فكما أن اللباس الذي هو فوق الشعار يكون حلية لصاحبه وزينة له كذلك النبوة وسائر الكمالات النفسانية زينة فيكون المدثر استعارة تبعية أو شبه به في الظهور أما ظهور الدثار فظاهر وأما ظهور النبوة فبالمعجزات القاهرة وبالإبراهيم الساطعة وهذا معنى ظهور الأمور النفسانية والعلم بها فلا يقال إن الأمر النفساني لا يظهر وإنما الظاهر آثاره إذ الظهور لا يستلزم الحسن بل يستلزم العلم به ألا يرى أن التصديق يظهر بآمارته وكذا الغضب والفرح والإنكار مكابرة.

قوله: (أو المختفي) عطف على قوله المتدثر بالنبوة فيكون المراد بالدثار جبل حراء استعارة شبه الحراء بالدثار في وجود الاختفاء به فيلزم منه تشبيه اختفائه عليه السلام باختفاء اللابس بالدثار فأطلق المدثر وأريد به الغائب عن النظر استعارة.

قوله: (فإنه كان بحراء كالمختفي فيه) الأولى كالمدثر به لما عرفت أنه شبه الحراء بالدثار لأنه يوارى البدن فيخفيه عن أعين الناس كذلك الحراء يوارى عليه السلام فيخفيه كسائر الأمكنة التي توارى المتمكن فيها فذكر المدثر أي المختفي بالدثار وأريد المختفي بالحراء فشبه أحد فردي المختفي بالآخر وهذا مراد المصنف لكن عبارته قاصرة عنه وعن هذا اعترض عليه بعض المحشين^(١) وأجاب عنه بعضهم^(٢) الآخر.

قوله: (على سبيل الاستعارة) في الوجهين قبله.

قوله: (وقرىء المدثر أي الذي دثر هذا الأمر وعصب به) المدثر بتخفيف الدال وتشديد الثاء بزنة المفعول أو الفاعل قول المصنف الذي دثر هذا الخ إشارة إلى أنه اسم المفعول هذا الأمر نصب على نزع الخافض وقيل دثر هذا الأمر فيه نائب الفاعل قوله وعصب به يؤيد الأول لأنه عطف تفسير لدثر هذا الأمر وفي سورة المزمل قال في الكشف وعن عكرمة أن المعنى يا أيها الذي زمل أمراً عظيماً أي حمل والمزمل الحمل وازدمله احتمله انتهى وكذا ذكر المصنف هناك أو من تزمّل المزمل إذا تحمل الحمل أي الذي تحمل أعباء النبوة فعلم منه أن المراد بهذا الأمر الأمر بالوحي والنبوة كأنه قيل يا من حمل عليه أعباء النبوة وعصب أي شد وقوى به قم وارك الراحة والتزم المتاعب والمشقة بما سنلقي

(١) (سنان)

(٢) شهاب.

عليك من التكليف وإرشاد الناس في برهة من الزمان ثم يسهل الله عليك كما نطق به قوله: ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ [الشرح: ٢] وفي الكشف وعن عكرمة أنه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره قراءة شاذة فلا وجه للقول بأنه على وزن اسم الفاعل وإلا لاختل رواية الكشف قوله من دثره أي أنه من التفعيل والقراءة المتواترة من التفعّل ومعنى المدثر أي يحمل عليه الدثار الذي هو مستعار للنبوة والكمالات النفسانية ولذا قال المصنف أي الذي دثر هذا الأمر أي أمر النبوة.

قوله تعالى: ﴿فَأَنذِرْ﴾

قوله: (من مضجعتك) هذا على تقدير أن يكون المراد بالمدثر المتكلف بثوبه حقيقة لكن المضجع أي محل النوم مختص بالتفسير الثالث كما هو المتبادر فيحتاج إلى التغليب وإن أريد به محل الاستراحة فهو عام على التفسير الأول والثاني والثالث.

قوله: (أو قم قيام جد وعزم) هذا على التفسير بالمدثر بالنبوة الخ ولا يتناول التفسير بالمخفني إلا أن يحمّل ويتناول التفسير بالذي دثر هذا الأمر الخ فحينئذ يكون القيام مستعاراً من قولهم قام بالأمر وأقامه إذا جد فيه وتجلّد وضده قعد عن الأمر وتقاعد عبارة عن الفتور كما أن حاصل الأول التشمر لأدائه من غير فتور فالمعنى ﴿قم﴾ [المدثر: ٢] بأمر النبوة واجتهد في تبليغه وهذا المعنى أنسب لقوله: ﴿فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ٢] ولما كان الإنذار هو الأهم اكتفى به كما في أكثر المواضع فإن القوم يرمتهم في ضلال مبين فالمقام مقام الإنذار وأما التبشير بالجنة بعد دخولهم الإسلام أو الإنذار يستلزم التبشير ويدل عليه دلالة الحر على البرد في قوله تعالى: ﴿تفكيكم الحر﴾ [التحل: ٨١] الآية.

قوله: (مطلق للتعميم) أي ولم يقدر له مفعول مخصوص إما ينزل منزلة اللازم أي افعل الإنذار كما هو الظاهر أو يقدر له مفعول عام أي فأنذر الناس من العذاب المعين إن لم يؤمنوا ولم يعملوا عملاً صالحاً.

قوله: (أو مقدر بمفعول دل عليه قوله: ﴿وأنذر عشيرتک الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤] أو قوله: ﴿وأما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ [سبأ: ٢٨]) أو مقدر مفعول بدلالة قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتک الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤] والقرآن يفسر بعضه بعضاً فحينئذ يقدر مفعول خاص أو مقدر بمفعول عام بقرينة قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة﴾ [سبأ: ٢٨] الآية وهذا يؤيد كون مراده في الوجه الأول تنزيله منزلة اللازم وإنما قدم

قوله: مطلق للتعميم يعني حذف مفعول أنذر وأجري مجرى اللازم لتعميم الإنذار كما يقال فلان يعطي ويمنع أي يفعل الإعطاء والمنع أو هو مستعمل متعدياً مراداً تعلقه بمفعول مقدر إما خاص أي أنذر عشيرتک يدل عليه قوله عز وجل: ﴿وأنذر عشيرتک الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤] وأما عام أي أنذر كافة الناس بقرينة قوله سبحانه: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ [سبأ: ٢٨].

احتمال كون المقدر مفعولاً خاصاً لأن إنذار الأقارب أهم ولذا قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم : ٦] الآية فإرشادهم كإرشاد أنفسهم لا سيما في ابتداء الدعوة.

قوله تعالى : وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ ﴿٣﴾

قوله : (وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقداً وقولاً) وخصص ربك فيه به على أن تقديم المفعول للمصدر والكبرياء بالمد العظيمة قوله عقداً أي اعتقاداً بأنه موصوف بالكبرياء والعظيمة وقولاً أي حكماً بأنه تعالى متكبر لكن الوصف شائع في القول دون الاعتقاد والأصل في هذا الباب الاعتقاد وأما القول فللدلالة على ما في القلب ولأنه عبادة اللسان ولأن فيه ترغيباً.

قوله : (روي أنه لما نزل كبر رسول الله عليه السلام) امتثالاً لأمره تعالى فإن الامتثال إنما يعلم بذكر الإنسان باللسان مع مواطاة الجنان فلا يقال الأولى تركه لأنه يقتضي تشككه أولاً.

قوله : (وأيقن أنه الوحي وذلك لأن الشيطان لا يأمر بذلك) وفي نسخة وعلم وقيل هو على صيغة المجهول أي علمت خديجة أو بصيغة المعلوم وهو الموافق فنسخة أيقن وأيضاً كبر يقتضي كونه معلوماً ضميره راجع إلى فاعل كبر.

قوله : (والفاء فيه وفيما بعده لإفادة معنى الشرط فكأنه قال وما يكن من شيء فكبر ربك) والفاء فيه أي دخلت في الكلام على توهم الشرط وهو الموافق لقوله فكأنه قال وما يكن من شيء الخ ويحتمل أن يكون مراده أن الشرط مقدر فيه بدلالة الفاء عليه قوله فكأنه قال يشعر بالاحتمال الثاني وفي هذا التقدير مبالغة في إفادة وجوب التكبير لكونه معلقاً بوقوع شيء ما ووجود شيء ما مقطوع فكذا الجزء مجزوم وكلمة ما شرطية يكن شرطه بمعنى التامة أي أن يوجد ومن شيء بيان ما ولو قال مهما يكن لكان أوضح.

قوله : (أو للدلالة على أن المقصود الأول من الأمر بالقيام أن يكبر ربه عن الشرك والتشبيه) أو للدلالة معطوف على إفادة على أن المقصود الأول الخ فعلى هذا تكون الفاء

قوله : وخصص ربك بالتكبير معنى التخصيص مستفاد من تقديم المفعول فإن قيل إذا كان المفعول في نية التأخير يلزم دخول الواو على الفاء أوجب بأن الواو في الحقيقة داخلية على الجملة الشرطية وهذه الفاء جواب للشرط المقدر كما قال تقديره وما يكن فكبر ربك أي وما كان فلا تدع تكبيره.

قوله : والدلالة على أن المقصود الأول من الأمر بالقيام أن يكبر ربه عن الشرك والتشبيه هذه الدلالة مستفادة من مضمون الشرطية فإنها دالة على وجوب التكبير على كل حال وفي بعض النسخ وقع أو مكان الواو ولعله سهو من الناسخ والوجه الواو عطفاً على الإفادة لأن هذه الدلالة إنما هي بواسطة الإفادة المذكورة فلا يناسبه كلمة أو.

للتعقيب لا للجزاء فيغوت المبالغة المذكورة ولذا لم يتعرض له الزمخشري قوله عن الشرك فالمراد بالتكبير ليس الوصف بالكبرياء بل المراد به التنزيه عن الشرك والتشبيه كناية أو مجازاً فحينئذ يكون مثل قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤] من أن المراد تهيج على دوام التنزيه المذكور أو المقصود نهى ما عداه عن الشرك بطريق التعريض فيكون مآله الإنذار عن الشرك وعمما يترتب عليه من العقاب وبالجمله في هذا الاحتمال تكلفات بعيدة ولذا أخره ولعله تركه.

قوله: (فإن أول ما يجب معرفة الصانع وأول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه) معرفة الصانع أي وجوده ووجوب وجوده بالأدلة العقلية فيكون النظر في الدليل واجباً لتوقف الواجب عليه ولذا ذهب البعض إلى أن ما يجب على المكلف النظر والفكر بل الجزء الأول منه وأول ما يجب الخ فيكون الأول الإضافي تنزيهه عن الشرك وحاصله التوحيد.

قوله: (والقوم كانوا مقرين به) أي بوجود الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] ولكنهم كانوا مشركين ومشبهين به وعن هذا قال المقصود الأول الخ أي المقصود الأول بعد معرفة وجوده تعالى قوله: ﴿فَأَنْذِرْ﴾ [الم نشر: ٢] في حكم المؤخر كأنه قيل قم فكبر ربك وإن لم يؤمنوا بالتوحيد فأنذرهم بعذاب الدنيا يمثل ما أصاب الأمم الماضية الخاطئة الهالكة وكذا الكلام فيما بعده.



قوله تعالى: وَيَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا اللَّهَ

قوله: (من التماسات فإن التطهير واجب في الصلاة محبوب في غيرها وذلك بفلسها أو بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذبول فيها وهو أول ما أمر به من رفض العادات المذمومة) وذلك بفلسها فالتطهير حينئذ حقيقي أو بحفظها فيكون التطهير مجازاً قوله كتقصيرها تمثيل لحفظها عن النجاسة ولم يوجد فيه الجمع بين الحقيقي والمجازي حتى يقال إنه جائز عند المصنف وفي الكشف أمر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجر الذبول فهو معنى مجازي له نعم في بعض النسخ بتقصيرها وتطهيرها فيهم الجمع المذكور لكن المناسب حملة على الرواية المذكورة في الكشف لا على الجمع المذكور فإن هذه العبارة وقعت فيمن لم يجوز^(١) الجمع المذكور كصاحب الإنشاد العادات المذمومة أي للعرب.

قوله: (أو طهر نفسك عن الأخلاق الذميمة والأفعال الدنية) فتطهير الثوب كناية عن تطهير النفس لأن من يتحاشى عن نجاسة ما يصاحبه يتحاشى عن نجاسة نفسه بطريق

قوله: (والقوم كانوا مقرين به أي بوجود الصانع فأمر بتكبيره لأن تكبيره وتنزيهه أول ما يجب على المكلف بعد العلم بوجوده).

الأولى يقال فلان طاهر الدامن والمراد طاهر عن العيوب وهذا من ضروب الأمثال فالتكشف منه جواز أن يكون ذلك استعارة تمثيلية.

قوله: (فيكون أمراً باستكمال القوة العملية بعد أمره باستكمال القوة النظرية) واستكمالها بامتنال جميع المأمورات وترك المنكرات وتسمى بالحكمة العملية والتطهير عن الأخلاق الذميمة ركن أعظم ولذا قال فيكون أمراً به مع أن استكمالها إنما هو بما ذكرناه وكذا الكلام في استكمال القوة النظرية فإن استكمالها إنما هو باعتقاد جميع المعتقدات والتوحيد ركن أعظم.

قوله: (والدعاء إليه) أي الدعوة إليه لأنه مأمور بالتبليغ وتكميل النفوس الناقصة كما أنه مأمور بإتيان الأحكام النازلة.

قوله: (أو فظهر دثار النبوة عما يدنسها من الحقد والضجر وقلة الصبر) الإضافة بيانية أو إضافة المشبه به إلى المشبه لما مر من أن النبوة شبهت بالذثار في التحلي وهذا المعنى ناظر إلى تفسير المدثر بالمتدثر بالنبوة وهذا المعنى إما كناية أو استعارة تمثيلية أخرى لذلك فالمراد بالثياب الدثار يعني آثار صفاته النفسانية الظاهرة عليه وأنوار النبوة الساطعة من مشكاة ذاته كذا قيل فجعل الثياب في ثيابك استعارة للصفات الملازمة له عليه السلام التماس الثياب بلباسها وهو تكلف بعيد بل الظاهر أن الكلام استعارة تمثيلية ولا التفات فيها إلى المفردات^(١) وقد استدل الفقهاء بها على وجوب تطهير الثوب في الصلاة وما ذكره يخل ذلك وأما الاستعارة التمثيلية فلا يضر ذلك فلا تغفل.

قوله تعالى: **وَالرَّجَزَ فَافْجُرْ** ﴿٥﴾

قوله: (واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي إليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة فيه كالذكر) واهجر العذاب نبه به على أن الرجز عذاب وهجره عبارة عن هجر أسبابه من الشرك وسائر المعاصي فيكون كناية عنه ولكونه أبلغ اختصار على التصريح وهذا أولى من تقدير المضاف أي أسباب الرجز كالذكر بكسر الذال وضمها وإن كان الأول الذكر اللساني والثاني الذكر القلبي في الأغلب.

قوله تعالى: **وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ** ﴿٦﴾

قوله: (ولا تمنع مستكثراً نهى عن الاستغفار وهو أن يهب شيئاً طامعاً في عوض أكثر نهى تنزيه) الاستغفار استفعال من غزر بالغيين المعجمة والزاء المعجمة والراء المهملة

قوله: واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي إلى الشرك يعني هذا من باب الكناية حيث أمر بهجر الرجز الذي هو العذاب وأريد هجر ما يؤدي إليه من الشرك والمعاصي.

(١) وكون الثياب جمعاً لا يضرها.

بمعنى كثر ومعناه ما ذكره المصنف وحاصله النهي راجع إلى القيد والإعطاء بمعنى الهبة لا بمعنى الصدقة قوله ولا تعط إشارة إلى أن تمنن من المن بمعنى أعطى وأنعم فيعم الهبة والصدقة لكن المراد هنا الهبة لأن الاستكثار متصور فيه قوله نهى تنزيه لا تحريم فلا مواخذة في فعله لكن يثاب في تركه أدنى ثواب.

قوله: (أو نهياً خاصاً به عليه السلام لقوله عليه السلام «المستغفر يثاب من هبته» والموجب له ما فيه من الحرص والفضة) أو نهياً خاصاً به عليه السلام فالنهي للتحريم لأن مثل هذا لا يليق بعلو شأنه لأنه بناء على الحرص والفضة كما صرح به وقد وقع إن حسنات الأبرار سيئات المقربين فكان ينبغي له اختيار الأشرف والأكمل فعلم منه أن النهي إذا جعل عاماً لا يدخل فيه النبي عليه السلام وإلا لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وهذا المعنى هو المنقول عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو الظاهر المتبادر فلذا قدمه والفضة بكسر الضاد البخل الذي هو منشؤه الحرص المذموم لأنه لو كان سخياً كريماً لم يقصد بهبته عوضاً ما فضلاً عن عوض كثير.

قوله: (أو لا تمنن بعبادتك على الله مستكثراً إياها) فيكون من المن بمعنى تعداد الجميل عبادة أو نعماً من من عليه إذا ذكر صنيعه معه وهو مذموم في العبادة مطلقاً وفي الإنعام إذا أريد التوبيخ فهو مذموم وإن أريد به إخطاره بالبال ليكون مقيماً على شكره فلا يكون مذموماً وأشار بقوله بعبادتك إلى أن متعلقه مقدر كما أشار بقوله على الله إلى أن الامتنان عليه تعالى مستكثراً إياها أي العبادة فالسين على هذا ليست للطلب بل للاعتقاد أي معتقداً كثرتها ومعنى الوجد أن لا يلائمه.

قوله: (أو على الناس بالتبليغ مستكثراً به الأجر منهم أو مستكثراً إياه) مستكثراً الأجر منهم فالسين للطلب كما في الأول ولو اعتبر هذا فيما ذكر قبله أي مستكثراً منهم أجراً من الله تعالى لكان أنسب واحتج من جوز المعاصي على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية فقال لولا أنه مشتغلاً بها أولاً لما زجر عنها بقوله: ﴿والرجز فاهجر﴾ (المذثر: ٥) والجواب أن المراد منه الأمر بالمداومة وتبليغ حميته على ذلك الهجران وقد مر غير مرة أن المراد بمثله إما التبليغ المذكور أو المراد نهى أمته بأبلغ وجه كما مر تفصيله في قوله تعالى: ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ [البقرة: ١٤٧] في أوائل البقرة.

قوله: أو نهياً خاصاً به أي أو نهى تحريم لكن هو في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حق الأمة نهى تنزيه.

قوله: والموجب له ما فيه من الحرص والفضة أي الموجب للنهي ما في ذلك المن والعطاء من الحرص إلى الزيادة على ما أعطاه هذا إذا كان الاستكثار بمعنى الطمع في العوض أو الضنة هذا إذا كان المراد به عدماً أعطاه كثيراً وقد أشار إليه بقوله أو مستكثراً إياه أي مستكثراً لما أعطاه أي عادداً له كثيراً.

قوله: (وقرىء تستكثر بالسكون للوقف) أي لإجراء الوصل مجرى الوقف وأما كون المعنى للوقف حقيقة فقليل الجدوى إذ كل كلمة ساكن حين الوقف فهو حال على هذا أيضاً كما نبه عليه المصنف بقوله مستكثراً.

قوله: (أو الإبدال من تمنن على أنه من من بكذا أو تستكثر بمعنى تجده كثيراً) أو الإبدال من تمنن فيكون ذلك جزءاً لأن لاء الناهية عاملة فيه ولذا قال أو الإبدال من تمنن ولم يقل من ﴿ولا تمنن﴾ [المدثر: ٦] والمراد بدل الاشتغال إذ شأن المنان بما يعطيه أن يستكثره ويبراه كثيراً فيصح بدل الاشتغال منه بهذا الاعتبار وإلى ذلك أشار بقوله على أنه من من بكذا أو تستكثر الخ أي السين للطلب في المعنى الأول وهنا للوجدان فالبديلة مبنية عليه قوله من من بكذا الخ إشارة إلى أن المن بمعنى الاعتداد بما أعطي لا بمعنى الإعطاء فإذا جعل بمعنى الإعطاء يكون معنى تستكثر طلب العوض الكثير والنهي متوجه إليه لا إلى الإعطاء وإذا جعل بمعنى الاعتداد بما أعطي يكون معنى تستكثر تجده كثيراً فالنهي متوجه إلى المن والاستكثار معاً.

قوله: (وبالنصب على إضمار أن وقد قرىء بها) أي قرىء تستكثر بالنصب على إضمار إن الناصبة وأصله لأن تستكثر بتقدير التلام الجارة إذ استقامة المعنى بها ولما كان إضمار إن في مثل هذا خلاف القياس أيده بقوله وقد قرىء بها أي بأن ظاهرة وهي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وفي الكشف وقرأ الأعمش بالنصب بإضمار أن كقوله:

ألا أيهذا الزاجري أحضر السوغي

قوله: على أنه من من بكذا وهو من المنة بمعنى الاعتداد لما أعطي فالأنسب حينئذ أن يكون ﴿تستكثر﴾ [المدثر: ٦] بمعنى تجده كثيراً لا بمعنى طلب العوض لأنه لا يناسبه حينئذ قال ابن جني يحتمل أن يكون بدلاً كأنه قال لا تستكثر فإن قيل في البديل يصلح إقامة الثاني مقام الأول نحو ضربت أخاك زيداً ولو قلت لا تستكثر لم يدل إلا على النهي عن الاستكثار مرسلاً أي مطلقاً وإنما المعنى ولا تمنن من مستكثر أي امنن من من لا يريد عوضاً ولا يطلب الكثير عن القليل فيقال قد يكون البديل على حذف الأول وقد يكون على نية إثباته كقولك زيد مررت به أبي محمد فتبدل أبي محمد من الهاء ولو قلت زيد مررت بأبي محمد كان قبيحاً فقوله: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ [المدثر: ٦] من هذا القبيل.

قوله: وبالنصب على إضمار أن قرأ الأعمش بالنصب بإضمار أن كما في قوله:

ألا أيهذا الزاجري أحضر السوغي وأن أشهد اللغات هل أنت مخلدي

فإن محل أحضر نصب على أنه مفعوله الزاجر ولا حظ للمفعول من الإعراب إلا بتأويل والتأويل هنا أن يقدر أن حذف أن وأبطل عمله فرفع فقرة تقدير إن هنا شيطان وقوع أحضر موقع المفعول وعطف أن أشهد عليه وأنتد أبو زيد:

فقالوا ما تشاء فقلت الهو إلى الإصباح أئسر ذي أئسر

(وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بحذفها وإبطال عملها كما روي أحضر الوغى بالرفع

وفي قول الشاعر:

ألا إيهذا الزاجر أحضر الوغى وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدي

أي على تقدير كون أصل الآية ولا تمنن أن تستكثر يجوز أن يكون الرفع الخ قال أبو حيان إنه لا يجوز إلا في الشعر وفي صحة الحالية مندوحة ورد بأنه غير صحيح فإن المخالف للقياس بقاء عملها وأما الحذف والرفع فلا محذور فيه وقد أجازته النحاة وهذا غريب لأن مراد أبي حيان أنه لا داعي إلى ذلك بحسب المعنى إذ الحال صحيحة كما أشار إليه المص بقوله ولا تعط مستكثراً فما الباعث إلى اعتبار إن وحذفها وإبطال عملها على أن ذلك مذهب الكوفيين والبصريون يجعلون ذلك مخصوصاً بالشعر كما صرح به الفاضل المحشي قوله كما روي أحضر الوغى بالرفع لا يفيد إذ الشعر لا يقاس عليه غيره.

قوله تعالى: **وَرَبِّكَ فَاصِرٌ** ﴿٧﴾

قوله: (ولووجهه أو أمره) المراد به التوجه إلى الله تعالى وقصد جهته وجانبه وليس المراد به الذات إذ لا وجه لإقامته كذا قيل وفيه نظر لأن إقام وجهه ليظهر التقابل بينه وبين قوله أو أمره.

قوله: (فاستعمل الصبر أو فاصبر على مشاق التكاليف وأذى المشركين) فاستعمل الصبر أي فاصبر نزل منزلة اللازم لكمال تعميم الصبر أي فداوم على الصبر على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلاء هذا ناظر إلى الأول في ﴿لربك﴾ [المدثر: ٧] قوله:

وضع الهو موضع اللهو والمعنى أن الهو قال ابن جني على القراءة بالنصب يكون بدلاً من قوله: ﴿ولا تمنن﴾ [المدثر: ٦] في المعنى لأن معناه لا يكن منك من واستكثر أي لا يكن منك من أن تستكثر فيضمر أن ليكون مع الفعل المنسوب بها بدلاً من المن في المعنى الذي دل عليه الفعل ونظيره قولهم لا تشمه فيشتمك أي لا يكن منك شتم له ولا منه أن يشتمك.

قوله: فاستعمل الصبر أو فاصبر على مشاق التكاليف الوجه الأول مبني على أن ينزل الصبر منزلة ما لا يتعلق بشيء من المتعلقةات والمعنى افعل الصبر والثاني على أن يتعلق به وفي الكشف والوجه أن يكون أمراً بنفس الفعل على العموم وأن يتناول كل مصبور عنه ويراد الصبر على أذى الكفار لأنه أحد ما يتناوله العام ثم كلامه. قيل هذا هو الوجه الأول وليس بصواب لأن الوجه الأول مطلق باق على إطلاقه وأجيب بأنه أطلق هذا الوجه ليتناول كل مصبور عليه ومصبور عنه ثم كنى عن الصبر على أذى الكفار لينبه على أن الصبر على أذاهم هو الصبر على كل مصبور عليه على ما سبق في قوله تعالى: ﴿أنعمت عليهم﴾ [الفاتحة: ٧] أي أنعمت عليهم بالإسلام فأطلق ليتناول كل منعم به ثم كنى به عن الإسلام لأن من أنعم الله تعالى عليه بنعمة الإسلام لم يبق نعمة إلا إصابته واشتملت عليه ولهذه الدقيقة قال والوجه الخ.

﴿فأصبر﴾ [المدثر: ٧] على مشاق التكاليف ناظر إلى الثاني ويحتمل كون كل منهما ناظراً إلى الوجهين قوله وأذى المشركين فإنه من جملة ما أمره ربك وتخصيص الذكر به لأنه أشق والصبر عليه أفضل الصبر لا سيما عند الصدمة الأولى الأمر بالصبر أمر بدوامه) نفخ.

قوله تعالى: **إِذَا يُرْفِئُ السَّافِرُونَ** ﴿٨﴾

قوله: (في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت) فالزائد الألف والواو.

قوله: (وأصله النقر الذي هو سبب الصوت) وهنا أريد التصويت مجازاً ذكر اسم السبب وأريد المسبب والتفخ نوع من الصوت أطلق عليه لكونه فرداً منه فلا مجاز مرتين.

قوله: (والقاء للسبية) لأن عسر ذلك اليوم على الكافرين ويسره على الموحدين بسبب أذاهم وصبره عليه السلام ومن معه من المؤمنين قوله كأنه قال اصبر على الخ إشارة إلى أن العسر واليسر في الخارج وقيل أي لسبية ما بعدها لما قبلها بحسب الوجود الذهني وأما بحسب وجوده الخارجي فمسبب عنه والصواب أن يقال أي للدلالة على أن ما بعدها مسبب عما قبلها في الخارج إذ الأصل أن يدخل القاء على المسبب دون السبب ثم حاصل ما ذكره أن عسر ذلك ويسره بسبب الشيات على الإيمان بالصبر على الأذى والكفر والإشراك المؤذي إلى أذى الموحدين ويؤيده أن الحكم على المشتق بفيد عليه مأخذ الاشتقاق فسبب العسر كفر الكافرين كما قال: ﴿يوم عسير على الكافرين﴾ [المدثر: ٩، ١٠] كما أن يسره على المؤمنين بإيمانهم فما ذكره المعص سبب السبب مبالغة.

قوله: (كأنه قيل اصبر على أذاهم فبين أيديهم زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك وأعداؤك عاقبة ضرهم) صبر يتعدى بعلى في الصبر على الطاعة وعلى البلاء كما في قوله تعالى: ﴿والصابرين على السيئات﴾ [البقرة: ١٧٧] ففي الكلام مسامحة إذ المعنى اصبر على صعب كائن من طرف الأعداء في زمان دعوتهم إلى التوحيد وزجرهم عن الشرك العتيد والمراد بالزمان زمان مقاسة الأذى من الأعداء في زمان دعوتهم إلى التوحيد وزجرهم عن الشرك العتيد والمراد بالزمان زمان مقاسة الأذى من الأعداء في زمان محمول على الاستخدام والمحشي حمل الزمان على زمان الآخرة كما هو الظاهر قال إن على تعليلية والأظهر إلى زمان وهذا بناء على أن المراد بالزمان زمان البعث ففي الكلام اضطراب في الجملة.

قوله: والقاء للسبية كأنه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك وأعداؤك عاقبة ضرهم يريد أن مسبب الصبر ما دل عليه مضمون الكلام الداخل عليه القاء لا نفس ذلك الكلام وفي الكشف والفاء في قوله: ﴿فإذا نفر﴾ [المدثر: ٨] للتسبب كأنه قال اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلحقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والفاء في ﴿فذلك﴾ [المدثر: ٩] للجزاء.

قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾

قوله: (وإذا ظرف لما دل عليه قوله: ﴿فذلك يومئذٍ﴾ [المدثر: ٩] الآية فإن معناه عسر الأمر على الكافرين) اختيار إذا مع الماضي لتحقق وقوعه لما دل عليه قوله دلالة التزامية ولم يجعل ظرفاً لقوله: ﴿عسير﴾ [المدثر: ٩] إذ اللقاء في ذلك مانع عنه وكونه ظرفاً إما ظرف محض أو مع الشرطية لأن البصريين ذهبوا إلى أنه حقيقة في الظرف وقد يجيء للشرط بلا سقوط معنى الظرف كما في التوضيح والمعنى عسر الأمر على الكافرين وسهل الأمر على المؤمنين وقت نفخ الصور والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه وفيه تنبيه على أن عسيراً بمعنى الماضي.

قوله: (وذلك إشارة إلى وقت النقر) المستفاد من إذا وصيغة البعد للتضيخيم.

قوله: (وهو مبتدأ خبره يوم عسير) ومحط الفائدة باعتبار الصفة فالיום هنا اسم الظرف لا نفس الظرف وبهذا علم أن جعله إشارة إلى وقت النقر لتصحیح الحمل.

قوله: (ويومئذٍ بدله أو ظرف لخبره إذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير) أو ظرف لخبره فيلزم كون الزمان ظرفاً للزمان ولدفعه قال إذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير حيث جعل المظروف مصدراً وهو الوقوع وفيه إشارة إلى أن المراد بالظرف ظرف مستقر أي كائناً فيه لا ظرف لغو حتى يلزم كون الزمان ظرفاً للزمان قوله وقت وقوع الخ بيان حاصل المعنى لا تقدير في المبني حتى يرد أن المصدر لا يعمل فيما قبله وأما القول بأن

قوله: فإن معناه عسر الأمر على الكافرين أي عسر الأمر عليهم وقت النقر في الناقور.

قوله: (ويومئذٍ بدله أي بدل المبتدأ الذي هو ذلك وإنما فتح يوم على هذا مع أنه في محل الرفع لإضافته إلى إذ لأنها غير متمكنة).

قوله: أو ظرف لخبره إذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير يعني من شأن ظروف الزمان والمكان المنصوبة بتقدير في أن يكون مظروفاتها معاني الأفعال ويوم ليس في معنى الفعل فلا ينتصب به يومئذٍ إلا بالتأويل فتأويله أن يقدر مصدر مضاف إليه تقديره وقت النقر وقوع يوم عسير يومئذٍ فيجوز حمل وقوع يوم عسير على وقت النقر على سبيل التجوز من باب إسناد الشيء إلى سببه وأما رده كما قال صاحب الكشاف في آخر سورة الأحقاف لاستواء مؤدي التعليل والظرف في قولك ضربته لإسمائه وضربته إذا ساء قال صاحب الكشاف فذلك ابتداء وهو إشارة إلى المصدر أي فذلك النقر في ذلك الوقت نقر يوم عسير وعلى الكافرين يتعلق بعسير لا تيسير لأن ما يعمل فيه المضاف إليه لا يقدم على المضاف على أنهم قالوا إن غير في حكم حرف النفي فيجوز أن يعمل ما بعده فيما قبله وأجازوا أنت زيداً غير ضارب حملاً على أنت زيداً لا ضارب وقال أبو البقاء إذا ظرف والعامل ما دل عليه فذلك لأنه إشارة إلى النقر ويومئذٍ يدل من إذا وذلك مبتدأ والخبر يوم عسير والعامل فيها ما دل عليه عسير أي عسر ولا يعمل فيه نفس عسير لأن الصفة لا يعمل فيما قبله أو يخرج على قول الأخفش وهو أن يكون إذا مبتدأ والخبر فذلك والفاء زائدة وأما يومئذٍ فنظر لذلك قال صاحب الفرائد لما كان العسير الذي جعل صفة اليوم صفة للأمر الواقع فيه على

المراد بيومئذ يوم القيامة وهو أمر ممتد غير متناه ووقت النقر جزء منه فالمعنى ذلك وقت النقر يوم عسير حال كونه في يوم القيامة فالظرفية ظرفية الكل للجزء وهو معنى صحيح فلا حاجة في تصوير المعنى إلى توسط لفظ الوقوع فضعيف لأن البدلية تأتي عنه وأيضاً أنه لا فائدة في هذا القيد إذ لا مسأغ لغيره وأيضاً معنى يومئذ يوم وقوع النقر فلا مجال لأن يراه به أمر ممتد.

قوله: (تأكيد يمنع أن يكون عسيراً عليهم من وجه دون وجه) تأكيد لأن معناه عسير لأن غير يسير مساو له بحسب الصدق قوله يمنع الخ إذ فائدة التأكيد تقرير معناه وهو أن يكون عسيراً عليهم من كل وجه ولو لم يؤكد لاحتمل أن يكون مجازاً بأن يكون عسيراً من وجه دون وجه.

قوله: (ويشعر تيسيره على المؤمنين) هذا بطريق مفهوم المخالفة عند المصنف وأما عندنا فلأن الأصل كون ذلك اليوم تيسيراً فلما قيد عسره بكونه على الكافرين بقي الأصل في شأن المؤمنين.

قوله تعالى: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾

قوله: (نزلت في الوليد بن المغيرة) قيل من غير اختلاف فيكون إجماعاً يكفر جاحده وفيه نظر.

الإسناد المجازي نحو نهاره صائم جعل وقت النقر ظرفاً باعتبار أن المراد منه العسير على الكفار وقيل لا يمكن جعل قوله وقوع يوم عسير خبراً لقوله فذلك ولا بد من تقدير مضاف إذ المعنى زمان النقر يومئذ زمان وقوع يوم عسير لأنه لا يمكن جعل يومئذ ظرفاً لما بعده لأنه يلزم إعمال المصدر الذي هو المضاف إليه فيما قبل المضاف وفيه نظر لأن لفظة ذلك إشارة إلى نقر الناقور لا إلى زمان النقر فيصح حينئذ وقوع يوم عسير خبراً ويومئذ ظرفاً للوقوع وإليه أشار صاحب الكشف بقوله لأن يوم القيامة يأتي ويقع يوم ينقر في الناقور.

قوله: ويشعر بيسره على المؤمنين أي يشعر بطريق تعريضي أنه يسير على المؤمنين معنى الإشعار مستفاد من تقديم المعمول أعني على الكافرين على العامل وهو يسير قال صاحب الكشف فإن قلت فما فائدة قوله: ﴿غير يسير﴾ [المدثر: ١٠] وعسير مغن عنه قلت لما قال: ﴿على الكافرين﴾ [المدثر: ١٠] فقصر العسر عليهم قال: ﴿غير يسير﴾ [المدثر: ١٠] ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيراً هيناً ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز أن يرد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيراً كما يرجى تيسر العسير من أمور الدنيا ثم كلامه قوله فقصر العسر عليهم ليس المراد به القصر الاصطلاحي بل المراد تخصيص إيقاع العسر بهم حيث قال: ﴿عسير على الكافرين﴾ [المدثر: ٩، ١٠] هذا على أن يتعلق على الكافرين بعسير وعن بعضهم وتظيره قوله تعالى: ﴿لا بارد ولا كريم﴾ [الواقعة: ٤٤] من حيث إنه تعريض بظل الجنة والفرق بين الوجهين المذكورين في الكشف أن قوله تعالى: ﴿غير يسير﴾ [المدثر: ١٠] على الوجه الأول ثبت حكماً مغايراً للمذكور وعلى الثاني يفيد استمرار الحكم الثابت.

قوله: (ووحيداً حال من الباء أي ذرني وحدي معه فإنني أكفيكه) أي الواو بمعنى مع قوله فإنني أكفيكه وهذا معنى قوله: ﴿ذرني ومن خلقت﴾ [المدثر: ١١] الخ فهو استعارة تمثيلية شبه حاله وانتقام أعداء الرسول عليه السلام بالقدرة القاهرة وكفاية أمره وحده بالهيئة المنتزعة من شخص ذي شوكة وقدر وإعانة شخص آخر استولى عليه عدوه فقال له ذرني ومن عاداك وحدي فإنني أكفيكه فذكر اللفظ المركب الموضوع للمشبه به وأريد المشبه ومعنى فإنني أكفيكه أكفيك شراً إذ الكفاية إنما تتعلق بالمعاني دون الأعيان وتعلق بها للمبالغة.

قوله: (أو من التاء أي ومن خلقتك وحدي لم يشركني في خلقه أحد أو من العائد المحذوف أي ومن خلقتك فريداً لا مال له ولا ولد) أو من التاء أخرى مع قرينه لفظاً إذ الأول أقرب معنى لأنه صريح في أنه تعالى يكفي أمره وحده بخلاف الثاني فإن ذلك متفهم من أنه تعالى لما خلقه وحده فهم منه أنه تعالى كاف في الانتقام منه وحده لم يشركني من باب علم أي لم يشاركني قوله أو من العائد المحذوف أي أو حال من العائد المحذوف فإنه المذكور وجه التأخير معلوم من البيان السابق وكون ذي الحال محذوفاً خلاف المتبادر لا سيما مع صحة كون المذكور ذا حال.

قوله: (أو ذم فإنه كان ملقباً به) أي وحيداً منصوب على الذم وهو معطوف على حال من الباء فإنه كان أي قبل نزول هذه الآية كما دل عليه كلمة كان فظهر ضعف ما قيل إنه حدث هذا اللقب بعد نزول هذه الآية.

قوله: (فسماء الله تهكماً به) أي استهزاء لأنه يشعر بأنه لا يستحق لهذا التلقب حيث صدر بالذم.

قوله: (أو إرادة أنه وحيد ولكن في الشرارة) عطف على تهكماً به لا دلالة في النظم على هذه الإرادة إلا بمعونة سوق الكلام.

قوله: (أو عن أبيه لأنه كان زنياً) أي دعي لم يعرف نسبته إلى المغيرة وقد مر بيانه في سورة ن قوله تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ [القلم: ١٠] إلى قوله بعد ذلك ﴿زنيماً﴾ [القلم: ١٣].



قوله تعالى: وَجَعَلْتُ لَكَ مَالاً مَمْدُوداً

قوله: (مبسوطاً كثيراً) ولما لم يكن للعمال مداولة باليسر والكثرة مجازاً إذ المد يستلزم الكثرة ذراعاً والمراد هنا الكثرة عدداً بدون اعتبار النماء سواء كان من شأنه النماء أولاً.

قوله: (أو ممدوداً بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة) ممدوداً بالنماء من مد

قوله: أو ذم عطف على قوله حال أي أو نصب على الذم.

قوله: وكان له زرع الخ تصحيح للوجه الثاني وهو كون المد بالنماء.

البحر ومده بحر آخر وفي الكشف من مد التهر ومده نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال قيل كان له بستان في الطائف لا يتقطع ثماره صيفاً وشتاءً وقيل كان له ألف مثقال وقيل أربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل ألف ألف فعمله منه أن من أمواله ما لم يكن له نماء ومنها ما كان له نماء فالجمال الذي له نماء يكون ممدوداً بأن يكون نماءه مدداً لأصله قوله وكان الزرع الخ بيان لما له نماء ومعنى ممدوداً بالنماء زائد بالنماء من مد الجيش إذا قواه وزاده قال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٦] أي زدناكم والظاهر أنه حيثن حقيقة ويحتمل أن يكون مجازاً عن المد ضد القصر إذ الاشتراك خلاف الأصل.

قوله تعالى: وَيَبْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾

قوله: (حضوراً معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون إلى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج أن يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه) أي الشهود جمع شاهد بمعنى الحضور والمراد حضورهم مع أبيهم والغرض التمتع بلقائهم وفائدة إخبار حضورهم معه بيان أنه ذو نعمة جسيمة استغنى أبناءهم عن السفر للتجارة وكسب المال للتعيش.

قوله: (أو في المحافل والأندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين أو أكثر كلهم رجال فأسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام) أو في المحافل الخ وفائدة ذلك بيان أنهم رؤساء القوم كأبيهم وكلمة أو لمنع الخلط دون الجمع وأطلق على ابنه وهو الوليد بن الوليد أسلم وأما عمارة فقتل كافراً إما يوم البدر أو في الحبشة على يد النجاشي والحاصل أنه غلط في موضعين ادعاء الإسلام لعمارة وأنه مات كافراً وادعاء الكفر فيمن عدا الثلاثة والوليد بن الوليد ممن عدا الثلاثة مع أنه أسلم باتفاق المحدثين.

قوله تعالى: وَمَهَّدَتْ لَمْ تَهَيَّأَ ﴿١٤﴾

قوله: (وسطت له الرياسة والجاه العريض) إشارة إلى ارتباطه بما قبله لأنه لما ذكر الله تعالى إنعامه بكثرة الأموال والبنين وكمال التمتع بهما إنما هو بالرياسة بين الله تعالى أنه أكرمه بالوجاهة وعبر هنا بالتمهيد إذ الأصل في التمهيد التسوية والتهيئة وهنا تجوز عن بسطة المال والجاه بمعونة المقام فإن ذكره عقيب إعطاء المال الكثير والبنين قرية قوية على أن المراد بالمفعول المحذوف الجاه العريض أي الجاه المتسع بحيث يتفد كلامه بين قومه وهذا مستفاد من التعبير بالتمهيد وتأكيده بالمفعول المطلق.

قوله: (حتى لقب ربحانة قريش والوحيد أي باستحقاق الرياسة والتقدم) لأن الريحان في الأصل نبت حسن طيب الرائحة جوز به عما يوجب السرور من الرزق الطيب والولد

قوله: ربحانة قريش الريحان يطلق على الرحمة والرزق والراحة فبسبب كثرة الرزق سمي الوليد ربحانة.

النجيب قال عليه السلام إنه أي الولد لمن ربحان الله والقريش لما افتخروا به سمي ربحانة قريش والتاء للوحدة وهو منصوب بنزع الخافض قوله والوحيد عطف عليه قوله باستحقاق الرياسة والتقدم بيان كون جاهه عريضاً وقدم الأموال والبنين لأن حصول الجاه بالأموال والأولاد أيضاً في الأغلب.

قوله تعالى: ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ يَزِيدَهُ ﴿١٥﴾

قوله: (ثم يطمع) صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لغرابته أو للاستمرار.

قوله: (على ما أوتي) وهو استبعاد لطمعه) يعني كلمة ثم للاستبعاد مجازاً وليس للتراخي إذ طمعه حال التمهيد لا بعده فضلاً عن البعد بمدة والاستبعاد غير التفاوت الرتبي لأنه عد الشيء بعيداً غير مناسب لما عطف عليه فينزل البعد المعنوي منزلة البعد الزمني في مطلق البعد فاستعير له ثم.

قوله: (إما لأنه لا مزيد على ما أوتي أو لأنه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال: ﴿كَلَّا إِنَّهُ﴾ [المدثر: ١٦] الآية) إما لأنه أي الشأن لا مزيد على ما أوتي أي بالنسبة إلى حاله بناء على جري العادة على أن مثله أوتي بمثل ما أوتي ونفي الزيادة لذلك وإلا فلا يصح نفي الزيادة مع قطع النظر عن العادة وبالجمله لو اكتفى بقوله أو لأنه لا يناسب الخ لكان أسلم من التكلف من كفران النعم فإن هذا يوجب نقصان النعم لا سيما إذا ضم إليه معاندة المنعم بإشراكه به وتكذيب رسله وهذا هو الوجه الذي هو يوافق العقل والشرع قوله ولذلك قال الخ يؤيد ما ذكرناه.

قوله تعالى: كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾

قوله: (فإنه ردع له عن الطمع وتعليل للردع) ولما كان هذا تعليلًا الخ فجعل الوجه الأول علة لاستبعاد الطمع لا يعرف له وجه.

قوله: (على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لإزالة النعمة المانعة عن الزيادة) على سبيل الاستئناف أي الاستئناف المعاني كأنه قيل لم زجر عن طلب الزيادة على ما أوتي فأجيب بأن حاله يوجب زوال ما أنعم فكيف يصح له طلب المزيد.

قوله: (قيل ما زال بعد نزول الآية في نقصان حاله حتى هلك) تأييد لما ذكره من أن حاله تقتضي زوال ما أنعم الخ عنيداً بمعنى معانداً كما نبه عليه بقوله بمعاندة آيات المنعم كالرقيب والعشير بمعنى المراقب والمعاشر وصيغة المفاعلة للمبالغة والمراد بآياتنا الآيات

قوله: تعليل للموعيد أي تعليل للموعيد المستفاد من كلمة الردع في ﴿كَلَّا إِنَّهُ﴾ [المدثر: ١٦] الآية فإنها دللت على قطع المزيد على ما أوتي الوليد وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ﴾ [المدثر: ١٦] الآية تعليل للردع المعنى ليرتدع عن ذلك الطمع لأنه كان لآياتنا عنيداً فإن معاندة آيات المنعم سبب لانسلاخ النعمة وممانعة عن الزيادة.

العقلية الدالة على التوحيد وكمال القدرة وصحة النبوة أو الآيات الثقيلة الدالة على ما ذكر أو مجموعهما قدم لآياتنا على عامله لرعاية الفاصلة .

قوله تعالى : سَأَرْهَقُهُمْ سُوءًا

قوله : (سأعشيهِ) ^(١) عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد) بيان معنى «سأرهقه» [الم نشر : ١٧] عقبة شاقة المصعد لما طمع الزيادة بين الله أنه له شدائد عظيمة بدل حرصه وطمعه وما أوتي من النعم وأصناف الكرم فإنما هو استدراج زيادة لعقوبتهم وهكذا عادة الله تعالى مع المجرمين والحمد لله رب العالمين ومعنى سأعشيهِ سأجعل له والعقبة الطريق في الجبل في الأصل والمراد الدخول في أمر شديد ولذا قال وهو أي سأرهقه مثل أي استعارة تمثيلية لما يلقى من الشدائد إذ المثل في الأصل بمعنى النظير مثل الشبه ثم قيل للقول السائر الممثل مضر به بمورده وهو المراد هنا ولذا قال فيما سيحيي «أصاليه سقر» [الم نشر : ٢٦] بدل من «سأرهقه صعوداً» [الم نشر : ١٧] شبه الهيئة المأخوذة من ذلك الكافر وما أصابه من شدة العذاب والألم الفادح الثقيل مع الحجاب بالهيئة المنتزعة من شخص وتكليفه الصعود إلى الجبال الشاهقة الصعبة الصعود وما مه من المشقة والمضرة فذكر ما دل على المشبه بها وأريد المشبه .

قوله : (وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي فيه كذلك أبداً) وعنه الخ فحيث لا استعارة في الكلام وإنما أخره مع أنه حقيقة لأن في الأول مبالغة والخبر الشريف من أخبار الآحاد فلا يفيد القطع فالحمل على الاستعارة المذكورة أبلغ من الحمل على أنها اسم لعقبة من النار والمراد بالخريف السنة بطريق ذكر الجزء وإرادة الكل عن الزمخشري أن الخريف آخر السنة فيه تتم شمار وتذكر ولهذا سمي خريفاً كالإنسان إذا بلغ آخر عمره فإنه قد يخرف ومراده بقوله فيه تتم شمار أنه بذلك كأنه العام كلها لأنه يتم ما يتعلق بتلك العام وهذا لمزيد التوضيح وألا يكفي علاقة الكلية والجزئية في صحة المجاز إذا فات الكل بفوته ثم المراد بقوله إذا بلغ آخر عمره أودل العمر واعترض عليه بعدم المناسبة بين الخرف وهو فساد العقل واختلاف شمار بمعنى اقتطافها والجواب أنه سمي به آخر السنة تشبيهاً له بآخر العمر الذي من شأنه أن يقع فيه الخرف والكل تكلف لما مر من كفاية الجزئية وأيضاً لا يرام وجه التسمية في المتفولات غاية الأمر يطلب المناسبة عند بعض وما نقل عن الزمخشري إن سلم صحته فيبان أنه مناسب لآخر العمر في عروض الخرف مطلقاً وإن كان بينهما فرق من وجه على أن اختلاف شمار يشابه الخرف بمعنى فساد العقل لفساد الطراوة بالاختلاف وهذا أيضاً بناء على أن ابتداء السنة الشتاء وأهل النجوم يعتبرونه من الربيع ثم يهوي من الباب الثاني أي يسقط كذلك أي سبعين عاماً أبداً أي إلى غير المتناهي في الصعود والسقوط قوله تصعد بصيغة المجهول من

التفعيل قال في القاموس يقال سعد في الجبل وعليه تصعيداً ولا يقال سعد في الجبل مخففاً بل سعده وهذا خلاف المتعارف من لزوم المخفف وتعدى المشدد وهنا بالعكس نظيره كب فأكب كما مر في سورة الملك نائب فاعل يصعد مصدره أي يفعل التصعيد أو صاحب جهنم ويؤيده قوله ثم يهوي قوله جبل من النار إما حقيقة أو تشبيهاً أي كجبل من النار ولعله من قبيل الاكتفاء لو قيل إن الزمهرير كذلك الصعود جبل من زمهرير ويرد شديد يصعد فيه سبعين خريفاً الخ والله أعلم ثم الصعود إما مختص بالوليد كما هو مقتضى السوق أو عام له ولمن هو مثله في الاستكبار وإلهاء رسول الملك الجبار.

قوله تعالى: إِنَّمُ تَكْرَهُونَ

قوله: (تعليلاً للوعيد) هو قوله ﴿سأرهقه صعوداً﴾ [الم نشر: ١٧] ويدخل فيه كفره بالرسول عليه السلام.

قوله: (أو بيان للعتاد) أي جملة مفسرة لا محل لها من الإعراب فيكون ﴿سأرهقه صعوداً﴾ [الم نشر: ١٧] اعتراضاً بينهما آخره لأن المصدرية بأن متعارفة في التعليل وكونها تفسيرية خلاف المتعارف.

قوله: (والمعنى فكر فيما تخيل طعناً في القرآن) والمعنى أي على الاحتمالين فيما تخيل أي توهم صلة فكر قوله طعناً في القرآن إشارة إلى أن المراد بآياتنا القرآن ولا ينافي عموم الآيات إلى الأدلة العقلية كما مر وتخصيص القرآن بالذكر لأن الفكر المذكور مختص به وهذا يؤيد في الجملة كون قوله والمعنى على الاحتمال الأخير لكن العموم هو الأول.

قوله: ﴿وقدر﴾ [الم نشر: ١٨] في نفسه ما بقوله فيه) توضيح قوله تعالى: ﴿وقدر﴾

قوله: أو بيان للعتاد والجملة على الوجهين واردة على سبيل الاستئناف جواباً للسؤال عن علة الوعيد أو عن بيان عناد الوليد كان قائلاً قال لم لا يزد فقال إنه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد وفي الكشف ويجوز أن يكون كلمة الردع متبوعة بقوله: ﴿سأرهقه صعوداً﴾ [الم نشر: ١٧] ردأً لزعمه أن الجنة لم تخلق إلا له وإخباراً بأنه من أشد أهل النار عذاباً ويعمل ذلك بعناده ويكون قوله: ﴿إنه فكر﴾ [الم نشر: ١٨] بدلاً من قوله: ﴿إنه كان لآياتنا عتداً﴾ [الم نشر: ١٦] بيان لكثرة عتاده ومعناه فكر ماذا يقول في القرآن ثم كلام الكشف ومعنى كلا على هذا الوجه حقاً أي حقاً إنه كاذب في أن الجنة ما خلقت إلا لي وإني ﴿سأرهقه صعوداً﴾ [الم نشر: ١٧] الآية ﴿كان لآياتنا عتداً﴾ [الم نشر: ١٦] وذلك بأنه فكر وقدر قال الزجاج ﴿كلاً﴾ [الم نشر: ١٦] ردع وثبته فتقول كلا لمن قال لك شيئاً تنكره أي ارتدع عن هذا وتنبه على الخطأ فيه وقال ابن الحاجب وقد يكون بمعنى حقاً وعليه حمل مواضع من القرآن وفي كتاب المرشد قال الخليل وسيبويه والأخفش كلا ردع وزجر روي عن مقاتل بن سلمان كل شيء في القرآن من كلا فهو رد على الكلام الأول إلا بعضه روي ابن الأثير عن المفسرين معناها حقاً وحكي عن الكسائي أيضاً وعن الفراء هي حرف رد بمنزلة نعم ولا في الاكتفاء وإن جعلتها صلة لم تقف عليها كقولك كلا ورب الكعبة لأنها بمنزلة قولك أي ورب الكعبة قال الله تعالى ﴿كلاً والقمر﴾ [الم نشر: ٣٢].

[المدثر: ١٨] والفرق أنه فكر فيما توهمه من كونه سحراً أو شعراً ونحو ذلك ولا سبيل إلى الطعن فيه سوى كونه سحراً وأنه عليه السلام ساحر كما نيه عليه المص بقوله روي أنه مر بالنبي عليه السلام الخ فقدر في نفسه ما يقول فيه من كونه سحراً ثم قال باللسان بعد إحضاره بالجنان فإن الكلام لفي العواد وإنما جعل اللسان دليلاً عليه.

قوله تعالى: نَقِيلُ كَيْفَ قَدَرٌ

قوله: (تعجب من تقديره استهزاء به) تعجب من تقديره أي بعد فكره ولثم يذكره لذكره أولاً أو لأن التعجب من تقدير ما يقوله في شأن القرآن إذ الفكر وسيلة إليه ولذا قدم على قدر استهزاء مفعول له للتعجب أي الكلام في صورة التعجب لأن التعجب يكون لحسنه ولا حسن هنا لكن صور بصورته ذريعة إلى التهكم والاستهزاء أشار به إلى أن قتل دعاء عليه بالقتل وهذا إنما قيل في مقام التعجب والاستعظام فيكون ثناء عليه بطريق التهكم والاستهزاء فإنه وإن كان في حقه دعاء بالإهلاك لكنه يستعمل كناية عن الاستعظام من حيث إن الفعل إذا ارتقى أقصى درجات الكمال يلزمه أن يحسد فاعله ويقول الحاسد في حقه قتل كما أشار إليه المصنف وهذا لا يلائم قوله في سورة عبس دعاء عليه بأشنع الدعوات وتعجب من إفراطه في الكفران والتعجب منه مستفاد من قوله ما أكفره فالمناسب هنا أن يقال دعاء عليه بأشنع الدعوات وتعجب من تقديره متفهم من كيف فإنه قد يستعمل في التعجب والعجب في شأنه تعالى حمل على التعجب فلا تغفل.

قوله: (أو لأنه أصاب أقصى ما يمكن أن يقال عليه من قولهم قتله الله ما أشجعهم أي بلغ في الشجاعة مبلغاً بحيث بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك) أو لأنه عطف على استهزاء ففيه تعجب حقيقة وفي الكشف تعجب من تقديره وإصابته المخزومية الغرض الذي كان ينتحبه قريش وعدل عنه المصنف فقال أو لأنه أصاب الخ ففهم منه أن إصابته في نفس الأمر ولا يخفى فساده وقيل في توجيهه أي تعجب واستعظام لقوة خطره في نفس الأمر على معنى أنه لا يمكن القدح في أمره عليه السلام بشبهة أعظم ولا أقوى مما ذكره هذا القائل انتهى وضعفه لا يخفى^(١).

قوله: (روي أنه مر بالنبي عليه السلام وهو يقرأ حم السجدة فأتى قومه وقال لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس والجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة) إن له عليه

قوله: وإن عليه لطلاوة الطلاوة الرونق والحسن والمغنى مفعول من أغدق الماء أي كثر وأغدق الشجر أي كثر ماؤه من الغدق يفتح الغين المعجمة والدال وهو المطر الكبار القطر كذا في النهاية قال الجوهري الغدق الماء الكثير وقد غدقت عين الماء أي غزرت قال الطيبي لعل هذا التشبيه ينظر إلى قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها

(١) لأنه أزال شبهتهم وأتى بما هو المرضي عندهم كما أوضحناه.

لحلاوة أي نوع حلاوة لكمال بلاغته وحسن انتظامه أي حلاوة معنوية تشبه الحلاوة الحسية فيكون الحلاوة مستعارة لها وبهذا يظهر وجه كونه علة لما لم يكن من كلام الإنس والجن لطلاوة مثلث الطاء الرونق والحسن وكل منهما داع إلى القبول فضلاً عن اجتماعهما اختار هنا لفظة على تنبيهاً على أن الرونق استعمل عليه وفيه بيان مبالغته في ذلك وفي الأول اختار اللام ليفيد الاختصاص ولو عكس أو اختير على أو اللام فيهما لكان له وجه .

قوله: (وإن أعلاه لمثمر) يعني به النظم الكريم على تشبيهه بما على الرياض والأشجار من الأوراق والأثمار في الطراوة والنضارة وميلان النفوس إليه .

قوله: (وإن أسفله لمغندق) أي إشارته العلية وهو المراد بالبطن في الخبر اللطيف إن لكل آية ظهراً وبطناً فالمراد بأعلاه ظاهره ولو عكس لا يضر المقصود إذ المراد الأعلى والأسفل المعنويين قوله لمغندق أي ذا غدق أي ماء كثير خصه بالذكر لأنه سبب المعاش والسعة وعزة وجوده عند العرب وهذا إفراط في المدح كاد أن يكون مؤمناً به لكن سبقه الشقاوة وغلبة الغواية وحرم من السعادة .

قوله: (وأنه ليعلو ولا يعلى) لا يعلو على كل كلام منشور أو منظوم لكونه في ذروة العلياء من البلاغة ولانطوائه الحكم الاعتقادية والعلمية ولا يعلى لما ذكرنا ذكره مع انقحامه للتنبيه على أنه عال على كل كلام مطلقاً كما يشعر به حذف مفعوله ويحتمل أن يكون استعارة تمثيلية بتشبيه القرآن بالرياض .

قوله: (فقال قريش صبا الوليد فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه) صبا بالهمزة ومعناه خرج من دينه إلى آخر أنا أكفيكموه تقديم المسند إليه للحصر والخطاب للقريش القائلين له صبا الوليد والضمير الغائب للوليد وحاصله أنا أردته وأمنعه عن ميله إلى اتباع القرآن كما يشعر به الإغراق في الثناء عليه فخاف قريش أن يؤمن بالقرآن ويؤمن بسبب إيمانه جم غفير من قريش .

قوله: (فقعده إليه حزينا) وكلمه بما أحماه فقام فناداهم فقال تزعمون أن محمداً

في السماء نوتي أكلها كل حين بإذن ربها [إبراهيم: ٢٤، ٢٥] استعار الوليد الشجرة للقرآن على الاستعارة التمثيلية والمكنية فجعل له إلا على الذين هو الفرع ورشحه بقوله لمثمر وأثبت له الأسفل الذي هو الأصل ورشحه بقوله المغندق ترشيح وكفى بقوله لمغندق عن كونها ثابتاً أصلها ريان فرعها وتمم معنى ترشيح الثمر بقوله لحلاوة وتمم المغندق بقوله لطلاوة فقوله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة لتمهيد الاستعارة وترشيحها وقوله وإنه يعلو ولا يعلى كالتخاتمة للمجموع والزبدة والغاية .

قوله: صبا الوليد يقال صبا فلان إذا خرج من دين إلى دين غيره وكانوا يسمون من يدخل في الإسلام مصبوا لأنهم كانوا لا يهيمزون فأبدلوا من الهمزة واواً ويسمون المسلمين الصباة بغير همز كأنه جمع الصابي غير مهموز كقاض وقضاة وغاز وغزاة .

مجنون فهل رأيتموه يخنق) فقعده أبو جهل إليه إلى جنب الوليد وتعديته بإلى لكون القعود منتهياً إليه قوله بما أحماه أي أغضبه كناية لأن الغضب لكونه عبارة عن ثوران الدم والحرارة الغريزية يستلزم الإحماء أي جعله حميماً ذا حرارة فقام أي عقيب ذلك من مجلسه لأجل النداء فإنه في حال القيام أعم شمولاً وأدخل قبولاً فنأدى قريشاً لإفادة أنه على دينه ولا رغبة في دخول الإسلام فقال تدريجاً إلى أن قال: ما هو إلا ساحر قوله يخنق بصيغة المجهول أي يصرع من المجنون ومن تخبطه الجن والشيطان فإنهم يزعمون أن الجن يخنق المجنون.

قوله: (وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً فقالوا لا) يتكهن من التفعّل أي يتكلف في أفعال الكهنة فقالوا لا ناظر إلى الأمور الثلاثة أي ما رأينا أنه يخنق فقولكم هذا المذكور في شأنه باطل.

قوله: (فقال: ما هو إلا ساحر) أي قولكم في حقه إنه ساحر مطابق للواقع وبين صدقه في زعمه.

قوله: (أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله: وتفرقوا متعجبين منه) أما رأيتموه يفرق والاستفهام للإنكار أي قد رأيتموه وهل هذا إلا بالسحر كما هو المعروف بين الأناس من أن السحر يفرق به بين المراء وزوجه وغيره وهذا دسبسه أخفى من ديبب النمل فإنه عليه السلام لما دعاهم إلى الإيمان آمنوا به فبسبب إيمانهم وقع الفارقة بين الرجل وأهله وأولاده واتباعه فأوهم ذلك الضال قومهم بأنه بسبب سحره وإذا كان ساحراً يكون ما ألقى إلينا سحراً ولذا قلت إن أعلاه لمثمر الخ وهذا مراده ولذلك فرحوا فتفرقوا متعجبين وإلا لكان بين كلاميه تنافر فلا يكون باعثاً لفرحهم إلا بملاحظة ذلك فإن شأن السحر التعجب منه ولذا قلت إن أعلاه لمثمر تعجباً منه لا باعتقاد أنه حق نازل من الله ففرحوا قاتلهم الله أنى يصرفون.



قوله تعالى: ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ فَتَرَّ

قوله: (تكرير للمبالغة) في التعجب منه إما استهزاء أو حقيقة.

قوله: (وتم للدلالة على أن الثاني أبلغ من الأولى وفيما بعد على أصلها) للدلالة على الثاني لأنها للتراخي الزمني في الأصل فاستعير هنا للتراخي الربني فتفيد الأبلغية إذ بانضمامه إلى الأول يكون متزايداً في التعجب وهذا أولى مما قيل فكانه قيل قتل بنوع ما في القتل لا بل قتل بأشده وأبلغه ولذا ساغ العطف فيه مع أنه تأكيد انتهى. وعطف التأكيد جائز عند النحاة وإن لم يجوزه أرباب المعاني والقائل أشار إلى أنه مغاير له في الجملة باعتبار قيد فيه وكونه تأكيداً باعتبار أصل المعاني وقد نبه عليه قسطلاني في شرح البخاري.

قوله: فهل رأيتموه يخنق وكان اعتقادهم أن الجن يخنق المجنون وتخبطه وفي المغرب الخنق بكسر النون مصدر خنقه إذا عصر حلقة.

قوله تعالى: ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾

قوله: (أي في أمر القرآن مرة بعد أخرى) أشار إلى نظر بمعنى فكر ولذا قال مرة بعد أخرى أي نظر فيما تخيل طعناً في القرآن ومعنى قوله في أمر القرآن أي في شأنه أو لأمره ونبه على أن ثم للتراخي الزماني.

قوله تعالى: ثُمَّ عَصَى وَتَوَلَّى ﴿٢٢﴾

قوله: (قطب وجهه لما لم يجد فيه طعناً ولم يدرك ما يقول) أي تغير واسود لما لم يجد فيه طعناً وهذا لا يلائم^(١) قوله فيما مر وهو أو لأنه أصاب أقصى ما مكن الخ.

قوله: (أو نظر إلى رسول الله عليه السلام وقطب في وجهه) وهو الأولى لسلامته عن إشكال فحينئذ النظر بمعنى الرؤية ولذا عدي بي إلى وقطب في وجهه أي تغير وجهه لرؤيته عليه السلام أدخل لفظة في هنا دون ما سبق للمبالغة هنا كأن التعبس تمكن في وجهه تمكن المظروف في الظرف فمعنى قطب^(٢) ح أي حصل القطب في وجهه.

قوله: (اتباع لعيس) أي مؤكده له مع مغايرة معناه بحسب الوصف قال المص في قوله تعالى: ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ [القيامة: ٢٤] شديدة العيوس فبالنظر إلى تغيره يصح العطف وبالنظر إلى اتحاد أصل معناهما يكون تأكيداً كما مر في قوله: ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ [المدثر: ٢٠] فاحفظ هذا فإنه ينفعك في مواضع كثيرة اتباع من الانتعال وبهذا يظهر أن هذا من التوابع المصطلحة وعدم صحة عطف التأكيد في التأكيد المحض لا تغاير بينهما أصلاً وأيضاً عدم الصحة في اصطلاح أهل المعاني وأما التحويون فقد جوزوه.

قوله تعالى: ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾

قوله: (عن الحق أو الرسول عليه السلام) عن الحق ناظر إلى الوجه الأول أو الرسول ﷺ على الوجه الثاني أي أدبر عن نفس الرسول أو عن اتباعه.

قوله: (واستكبر عن اتباعه) عطف العلة على المعلول إذ الإدبار عن الحق والاعراض عن قبوله إنما هو بسبب استكباره عن اتباع الحق.

قوله تعالى: فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا بَحْرُ مُؤْتَرٍ ﴿٢٤﴾

قوله: (يروى ويتعلم والفاء للدلالة على أنه لما خطرت هذه الكلمة بياله تفوه بها من غير تلبث وتفكير) يروى ويتعلم أي أخذه من الغير كشجرة بابل ومراده الطعن بأن ما صدر منه من السحر بالتعلم من الغير وليس من تلقاء نفسه وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو للاستمرار لأنه يصدد التعلم بعد قوله على زعمه من غير تلبث أي من غير

(١) إلا أن يقال إن أقصى ما يمكن أن يقال الخ كاذب محذور إنما قال عناداً واستكباراً ولما لم يكن مسروراً باستخراج ما قال حتى تعيس وشدد في التعبس.

(٢) القطب جمع بين العين لإصابة الكراعة.

توقف وفي نسخة من غير ثبت أي من غير توقف أيضاً وتذكر عطف تفسير له وهذه الآيات لا تخالف الرواية المذكورة فإن ما ذكر هنا ما تقرر كلام ذلك الشقي وهو كونه عليه السلام ساحراً والقرآن سحراً وما ذكره أولاً فلا يبطال زعم قريش وهذا لا ينافي قوله لما خطرت هذه الكلمة الخ إذ الشروع في المقدمة شروع في المقصود.

قوله تعالى: **إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ** ﴿٢٥﴾

قوله: (إن هذا الآية كالتأكيد للجملة الأولى) ولم يقل تأكيداً لأن معناهما المطابقي مختلف لكن لما كان المقصود نفى كونه كلام الله تعالى كان كالتأكيد.

قوله: (ولذلك لم يعطف عليها) أي لكونه كالتأكيد لم يعطف عليها نظراً إلى كونها كالتأكيد ولو عطف عليها نظراً إلى أنهما متغايران معنى لكان له وجه إذ النكتة مبنية على الإرادة كما مر في قوله: ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ [المدثر: ٢٠] وقوله: ﴿وبسر﴾ [المدثر: ٢٢].

قوله تعالى: **سَأَصْلِيه سَعَرًا** ﴿٢٦﴾

قوله: (بدل من ﴿سأرقعه صعوداً﴾ [المدثر: ١٧]) بدل الاشتمال سواء جعل مثلاً لما يلقي من الشدائد أو اسم جبل من النار لأن سقر يشتمل كلياً منهما ولذا لم يعطف وإنما قيل سأصليه دون سأدخله لأن الإصلاء الإدخال في النار للإحراق والصلى الدخول في النار مع مقاساة حرها والدخول أعم منه كدخول أهل الجنة في النار للمرور إلى الجنة على رواية.

قوله تعالى: **وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ** ﴿٢٧﴾

قوله: (تفخيم لشأنها) أي تهويل له إذ الاستفهام ليس على حقيقته بل على المجاز كأنه لفخامة شأنها خفي جنسه فيسأل عنه بما سقر قوله: ﴿وما أدراك﴾ [المدثر: ٢٧] سواء كان فعل تعجب أولاً يفيد زيادة التفخيم أو بالعكس والمراد بالسقر إما مطلق النار أو دركته مخصوصة.

قوله تعالى: **لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ** ﴿٢٨﴾

قوله: (وقوله: ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ [المدثر: ٢٨] بيان لذلك أو حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم) بيان لذلك أي بيان لتفخيم شأنها أي جملة مستأنفة جواب سؤال مقدر ولذا اختير الفصل قوله أو حال تفيد البيان المذكور أيضاً والعامل فيها معنى التعظيم أي معنى الفعل وهو التعظيم المستفاد من الاستفهام أي استعظم سقر حال كونها ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ [المدثر: ٢٨] فيكون سقر فاعلاً في المعنى أو المفعول مثل هذا زيد قائماً أي أشير أو تبّه زبداً قائماً فذو الحال مفعول معنى وإن كان مبتدأ لفظاً ولتكلفه آخره.

قوله: (والمعنى لا تبقي على شيء يلقي فيها ولا تدعه حتى تهلكه) لا تبقي على شيء أي لا ترحم على شيء الخ بل تعذبه فالإستناد مجازي وقوله ولا تدعه حتى تستريح بصرف العذاب عنه بل تبألف في تعذيبه حتى تهلكه فإذا أهلكته أعيد جلوداً غيرها وهكذا إلى غير النهاية ومعنى الإهلاك إحراق جلودهم كما في قوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾ [النساء: ٥٦].

قوله تعالى: **لَوْنَهُ يَشْرَى** ﴿٢٩﴾

قوله: (مسودة لأعالي الجلد) أي لواحة بمعنى مسودة اسم فاعل من التفعيل قوله أعالي الجلد معنى البشر لأنه جمع بشرة وهي ظاهر جلد الإنسان وقد يطابق ويراد به الإنسان لكن المراد هنا ظاهر جلد الإنسان وجمع الأعالي لأن البشر جمع كما عرفت قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سواداً من الليل وهذا أول الحال وما سبق من أنها ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ [المدثر: ٢٨] ثاني الحال فلا منافاة والواو لا تقتضي الترتيب.

قوله: (أو لائحة للناس) على أن لواحة اسم فاعل من لاح يلوح إذا ظهر وإن البشر بمعنى الناس كما عرفته كقوله تعالى: ﴿لثرون الجحيم ثم لثرونها عين اليقين﴾ [التكاثر: ٦، ٧] وفي هذا الوقت وأتهم أيضاً وعن هذا قال تعالى: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ [الفرقان: ١٢] وفي المعنى الأول هي من لوحات الشمس إذا اسودت وتغيرت وصيغة المبالغة لإفادة المبالغة في التسويد وفي الظهور آخر هذا الاحتمال لأنه لا يلائم ما قبله فإنه مسوق لبيان كيفية عذاب السقر والظهور قبل التعذيب قيل تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام والأولى عدم التعيين لعدم تعلق الغرض به والمعنى تلوح لهم أقصى ما يمكن الظهور.

قوله: (وقرئت بالتنصب على الاختصاص) فيكون منصوباً بأخص أو أعني كما في نظائره ولم يتعرض لكونه حالاً مؤكدة من ضمير تبقي أو تذر أو من سقر لأن فيه تكلفاً إذ هي ليس مفارقة لعامليها في الأولين ولاحتياجها إلى التأويل في الثالث مثل كون لا تبقي حالاً من سقر كما مر.

قوله تعالى: **عَلَيْهَا شِعْرُ عَشْرٍ** ﴿٣٠﴾

قوله: (ملكاً أو صنفاً من الملائكة) ملكاً فالمعدود أفراد وهو الظاهر المتبادر ولذا قدمه ورجحه أو صنفاً من الملائكة فالمعدود صنف ولا يعلم عدد كل صنف إلا الله تعالى

قوله: (والمعنى لا تبقي على شيء يلقي فيها ولا تدعه حتى تهلكه وفي الكشف لا تبقي شيئاً يلقي فيها أهلكته وإذا هلك لم تذر هالِكاً حتى يعاد أو لا يبقى على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يلقي فيها هلك لا محالة تم كلامه ومعنى لا تبقي على شيء لا ترحمه فإن أبقي إذا عدي بعلى يكون بمعنى الترحم والرعاية والاسم منه البقيا.

ولذا لم يتعرض له المصنف والصنف هو النوع المقيد بشخصات كلية كالرومي فإنه الإنسان المقيد بكونه أبيض فليعتبر مثل ذلك في الملك ودون تفصيلها خرط القتاد .

قوله: (يلقون أمرها) أصله يوليون حذف الواو فصار يليون فاعل فصار يلقون أي يلقون أهلها فيها ويسلطون على أهلها .

قوله: (والمخصص لهذا العدد) هذا مأخوذ من التفسير الكبير والحق أن يقال علمه إلى الله تعالى فإن العقول البشرية قاصرة عن إدراك أمثاله كذا قيل ولو قيل بمثل هذا لا يدعي الإدراك على وجه القطع بل المراد بيان وجهه على وجه يفيد الظن والاستثناس كما في أكثر المواضع ولو لم يستحسن هذا هنا لم يستحسن النكتة المذكورة في أكثر المواضع فليتأمل .

قوله: (إن اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة) في النظر أي إدراك الحكمة النظرية والاعتقادات الحقة والعمل أي الحكمة العملية والأعمال الصالحة والقوى الحيوانية ما يختص بالحيوان وهي قسمان على ما بين في موضعه مدركة وفاعلة فالمدركة الحواس الخمس الظاهرة والباطنة وهي عند الحكماء ووافقهم بعض من المتكلمين وهي عشرة والقوة الفاعلية القوة الغضبية والشهوية وهما باعثة والقوة المحركة وبهما يتم اثنا عشر .

قوله: (والطبيعية السبع أو أن لجهنم سبع دركات ست منها لأصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والإقرار والعمل أنواعاً من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك أو صنف يتولاها وواحدة لعصاة الأمة يعذبون فيها بترك العمل نوعاً يناسبه ويتولاها ملك أو صنف) والطبيعية أي القوى التي لا تختص بالحيوان بل توجد في النبات أيضاً سبع ثلاث مخدومة وهي الغذائية والنامية والمولدة وأربع خادمة وهي الجاذبة والهاضمة والدافعة والماسكة والمصورة مندرجة في المولدة فلما كانت منشأ الآفات هو هذه التسعة عشر لا جرم كان عدد الزبانية كذلك وأراد باختلال النفوس فساد النظر والعقائد فإذا فسدت العقائد

قوله: بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع أما القوى الحيوانية الاثنتي عشرة فهي القوى الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والشهوة والغضب ومجموعها اثنا عشر وأما القوى الطبيعية السبع فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهذه سبعة فالمجموع تسعة عشر كذا قال الإمام .

قوله: وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والإقرار والعمل أنواعاً من العذاب يعني أن الأهل كل واحدة من الست ثلاثة أنواع من العذاب نوع على ترك الاعتقاد ونوع على ترك الإقرار ونوع على ترك العمل فيضرب الثلاثة إلى الستة يرتقي إلى ثمانية عشر نوعاً وواحدة من جهنم لعصاة المؤمنين يعذبون فيها بنوع واحد من العذاب على ترك العمل فيصير أنواع العذاب بتلك القسمة تسعة عشر على كل نوع منها ملك أو صنف من الملائكة فيمكن أن يكون المواد من قوله عز وجل: ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ [المدثر: ٣٠] هؤلاء الملائكة .

بطلت الأعمال أو إن لجهم سبع دركات يعذب بترك الاعتقاد فيضرب هذه الثلاثة في السنة يصير ثمانية عشر وبانضمام ما للموحدين العصاة يصير تسعة عشر نوعاً من العذاب وعلى كل نوع من الأنواع ملك أو صنف يتولاه فيكون عدد الملك ثمانية عشر وبانضمام ملك يتولى عصاة الموحدين يصير عدده تسعة عشر وهذا إنما يتم على قول من قال إن الكفار يخاطبون بالفروع دون من أنكروه وأيضاً هذا إنما يتم إذا كان عذاب الكفار والعصاة في جهنم بالملك وهو مطلوب البيان بل إنهم معذبون بإحراق النار بدون حاجة إلى إيصال الإحراق بواسطة الملك قوله ملك أو صنف لف ونشر على التفسيرين للعدد السابق.

قوله: (أو أن الساعات أربعة وعشرون خمسة منها مصروفة في الصلوات) وظاهره أنه مختص بالموحدين العصاة فلا وجه له هنا ولذا اعتدوا بأنه لم يخلق في مقابلتها زبانية ببركة الصلاة الشاملة لمن لم يصل فلا يلزم اختصاص العدد بالمصلين وهذا كما ترى لأن الساعات المذكورة حدثت باصطلاح أهل النجوم وأيضاً خمسة ليست مصروفة إلى الصلاة بتمامها ولذا قدم الأول مع أنه بناء على أصول الفلاسفة فلا يليق تفسير كلام الله تعالى بمثله لأنه يمكن أن يقال إن هذا وإن كان مبنياً على أصل الفلاسفة لكنه اعتبر مع إثبات الفاعل المختار وكون هذه القوى سبباً عادياً لا يبعد كل البعد بل هذا مذهبهم في التحقيق وإن كان ظاهر كلامهم نفي الفاعل المختار فحينئذ يكون هذا وجهاً قوياً بالنسبة إلى الآخرين وإن كان الأولى إحالة علمه إلى الله تعالى كما مر.

قوله: (فتبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بأنواع من العذاب يتولاها الزبانية) بأنواع متعلق بقوله يؤاخذ وقوله يتولاها الزبانية صفة أنواع والباء في قوله به للسببية أي بسبب الذنوب صغيرة أو كبيرة والزبانية جمع زبنة كعقوبة من الزين وهو الدفع سجيء في أواخر سورة اقرأ توضيحها.

قوله: (وقرىء تسعة عشر يسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم واحد) روماً للتخفيف وهو لغة فيه كراهة توالي الحركات وإن كانت الفتحات.

قوله: (وتسعة أعشر جمع عشر كيمين وأيمين أي تسعة كل عشر جمع) جمع عشر بمعنى معاشر تسعة كل تسعة بالرفع مضاف إلى كل بالتثنية وقيل وهو مضاف إلى عشر وجمع بمعنى جماعة بدل من عشر وقيل عشر مضاف إلى جمع.

قوله: أي تسعة كل عشر جمع أي تسعة من الملائكة كل واحد منهم عشر فهم مع أشياعهم تسعون والعشر بمعنى العشر قدل على أن النقاء تسعة كذا نقل عن صاحب الكشف قال ابن جني تسعة عشر يسكون العين قراءة أبي حفص وطلحة وقرأ أنس بن مالك تسعة عشر أما القراءة يسكون العين لأجل كثرة الحركات فإن الاسميين جملاً كالاسم الواحد فلم يوقف على الأول فيحتاج إلى الابتداء بالثاني فلما أمكن ذلك فيه سكن تخفيفاً وجعل ذلك أمانة لقوة الاتصال ولا يجوز ذلك مع اثني عشر وقال ابن جعفر تسعة عشر لا وجه له إلا أن يعني تسعة عشر جمع العشر وهم الأصدقاء.

قوله: (والمراد نقيهم) وهو الضامن لتدبير أمرهم أي نقيب جماعة من الملائكة.
قوله: (أو جمع عشر فيكون تسعين) فلا بد من بيان وجه كونهم تسعين لمن تصدى
بيان وجه كونهم تسعة عشر فعلم منه أنه اشتغال بما لا يعينهم ولم يبين عددهم في
الاحتمال الثاني ولم يتبين أيضاً.

قوله تعالى: وَمَا جَعَلْنَا نُفُوسَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِيقَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَرَزَقُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَسْتَأْذِنُوا وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُسْلِمُونَ وَلِنَقُولَ لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
وَالْكَاذِبُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ فَيْسُلَهُ مِنْ فِتْنَةٍ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا يَكُنْ إِلَّا
ذِكْرًا لِلنَّاسِ ﴿٣١﴾

قوله: (ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم) ليخالفوا جنس المعذبين من الجن
والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرفقة.
قوله: (ولا يستروحوا إليهم) يقال استروح بمعنى وجد راحة أي لا يستريحون
بالركون إليهم.

قوله: (ولأنهم أقوى الناس بأساً وأشدهم غضباً لله تعالى) وعن عمرو بن دينار واحد
منهم يدفع بالدفعة الواحدة أكثر من ربيعة ومضر وعن النبي عليه السلام لأحدهم قوة
التغلب يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم إلى النار.

قوله: (روي أن أبا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش أيعجز كل عشرة
منكم أن يبطشوا برجل منهم فنزلت قوله: ﴿وما جعلنا عدتهم﴾ [المدثر: ٣١]) أي وما
جعلنا عددهم أي العدة بمعنى العدد والمستثنى منه محذوف وهو العدد الذي^(١) اقتضى
فتنتهم والمستثنى منه مطلق العدد والمستثنى العدد الموصوف بأنه اقتضى فتنتهم الخ وهذا
الاقتضاء بناء على زعمهم لا في نفس الأمر فاندفع الإشكال بأنه يلزم حصر الشيء في نفسه
لما عرفت من التغاير بين المستثنى والمستثنى منه واندفع الإشكال أيضاً بأن الجعل
المذكور كونه للفتنة لا يليق بالحكمة لما ظهر أن جعله للفتنة بناء على زعمهم الفاسد لا
في نفس الأمر ونظائره كثيرة وحاصل المعنى وما جعلنا عددهم إلا كان عاقبة جعلنا فتنة
لهم والأكثرون حملوه على ظاهره والأولى ما ذكرناه وإن لم يكن ظاهره مخالفاً لمذهبنا.

قوله: (وما جعلنا عددهم إلا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالآثر
عن المؤثر تبهياً على أنه لا يتفك منه) فعبر تفريع على التفسير المذكور بالآثر وهو افتنانهم

قوله: فعبر بالآثر عن المؤثر يريد بالآثر فتنتهم وبالمؤثر العدد المخصوص وهو تسعة عشر
فإن أصل الكلام أن يقال وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر فوضع قوله: ﴿إلا فتنة للذين كفروا﴾
[المدثر: ٣١] موضع تسعة عشر لأن حال هذا العدد الذي هو ناقص من عشرين بواحد أن يبطل

(١) والتأثير وإن كان في الحقيقة الجعل على هذا العدد لكنه نسب إلى نفس العدد مجازاً.

عن المؤثر وهو جعل عددهم تسعة عشر تنبيهاً على أنه أي الأثر لا ينفك عن المؤثر بالنسبة إليهم فذكره كذكره للتلازم بينهما ولم يعكس لغوات التنبيه المذكور والإشكال بأن إفضاء إليه في الجملة كاف في صحة التجوز فكيف يحصل منه التنبيه المذكور مدفوع بأنه بناء على التبادر إذ المتبادر الإفضاء بالجملة ولذا قال تنبيهاً الخ كأنه قيل وهذا أمر ظاهر معلوم والتعبير المذكور للتنبيه على ذلك.

قوله: (وافقتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم أن يتولى هذا العدد القليل تعذيب أكثر الثقلين) وافقتانهم به دون غيرهم استقلالهم أي عددهم قليلاً قوله واستهزاؤهم عطف المعلول على العلة واستبعادهم أن يتولى هذا العدد القليل وهو تسعة عشر لذهولهم من أن عددهم وإن كان قليلاً كما لكنه كثير جداً كيلاً لما روي من أن واحداً منهم يدفع بالدفع الواحدة أكثر من ربيعة ومضر وهذا يؤيد ما ذكرناه من أن كون الجعل المذكور لافقتانهم إنما هو باعتقادهم الفاسد والزعم الكاسد قولهم أن يتولى هذا العدد القليل تعذيب أكثر الثقلين بناء على الغرض والتقدير فإن أكثرهم ينكرون البعث حتى روي أن الوليد كان يقول إن محمداً إن كان صادقاً فما خلقت الجنة الألى.

قوله: (ولعل المراد بالجعل الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله: ﴿ليستيقن﴾ [المائدة: ٣١] الآية) أي جعل هنا بمعنى صير والتصيير يكون تارة بالفعل كقوله جعلت الفضة خاتماً وتارة بالقول كقوله تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾ [الزخرف: ١٩] أي سموهم إناثاً وتارة بالاعتقاد كذا صرح به المصنف في قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ [البقرة: ٢٢] وأشار بقوله الجعل بالقول إلى أنه بمعنى التسمية والحكم عليهم بأنهم تسعة عشر فالمعنى ولعل المراد الجعل بالقول لا الجعل الفعلي لا لعدم الجعل الفعلي فإنه متحقق لا محالة حيث قال تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ [المائدة: ٣٠] وبين المصنف وجه بل العلل الأربع تناسب الجعل بالقول أي الحكم عليها بأنهم تسعة عشر إذ لا يطلع عليها إلا بالإخبار فإن الافتتان إنما يتحقق بالإخبار وصيغة

ويفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ولا بد من إذعان المؤمن لخباء وجه الحكمة عليه كأنه قيل: ﴿ولقد جعلنا عدتهم﴾ [المائدة: ٣١] عدة شأنها أن يفتن بها لأجل استيقان المؤمنين وازدياد إيمانهم وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب لأن عدتهم تسعة عشر في التوراة والإنجيل فإذا سمعوا في القرآن مثل ما وجد في كتابهم أيقنوا أنه منزل من الله.

قوله: (ولعل المراد الجعل بالقول فالمعنى ما قلنا إن عدتهم تسعة عشر لا ليسمعوه ويكتسبوا به اليقين بنبوته محمد ﷺ) وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقاً لما في كتابهم وإنما قال المراد الجعل بالقول لأن الجعل بمعنى الفعل ما لم يخبروا به ولم يسمعوه لا يكون سبباً لاكتسابهم اليقين فإن أحد أسباب العلم سماع القول والفرق بين الجعل بالقول والجعل بالفعل مثل الفرق بين قولك جعلت وصف زيد أحمر وبين جعلت وصفه الحمرة فإن الأول جعل بالقول معناه وصفته بالحمرة والوصف يكون بالقول أي قلت زيد أحمر والثاني جعل بالفعل معناه صيرته وكونه أحمر.

الترجي إما لعادة العظماء من أنهم يبتوا الحكم القطعي بصيغة الطمع والترجي أو لإمكان إرادة الجعل الفعلي ولذا قال ليحسن تعليقه الخ ولم يقل ليجوز لأن الشيء كما يسند إلى السبب البعيد يسند إلى السبب القريب لكن الثاني أولى ولذا قال ليحسن الخ وأنت تعلم أن صحة ترتب المسببات على الأسباب البعيدة إذا كان السبب البعيد معلوماً وكونه معلوماً بالنسبة إلى الكفار محل تأمل فلا تغفل وإنما أخرج الفتنة عن ظاهرها حيث فسرها بالافتتان ليصح متعلق قوله: ﴿لَيْسَتَيْنِ﴾ [المائدة: ٣١] بجعلنا إذ المعنى ما جعلنا عددهم إلا العدد الذي تسبب لافتنائهم وهو التسعة عشر.

قوله: (أي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد عليه السلام وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقاً لما في كتابهم) ليكتسبوا اليقين السين للطلب وطلبه كسبه وفيه تنبيه على أن اليقين المعتقد به ما هو بالكسب والقبول وأهل الكتاب وإن كانوا عارفين بذلك لكنهم غير معتد به ما لم يكسبه وإذا كسبه وقبلوه يكون معتبراً.

قوله: (بالإيمان به) متعلق بيزداد وأشار به إلى أن المراد زيادة الإيمان بزيادة المؤمن به فلا إشكال أصلاً.

قوله: (أو بتصديق أهل الكتاب له) متعلق بيزداد أيضاً أي إذا علم المؤمن تصديق أهل الكتاب زاد إيمانهم كيفاً لما علموا أن إيمانهم لما رأوا ذلك موافقاً لما في كتابهم فحينئذ يتظاهر الأدلة وبكثرة الأدلة يزداد الإيمان كيفاً وشدة وهذا زيادة في نفس التصديق والمحققون جوزوه ومنعه آخرون ولذا قدم الاحتمال الأول ولقطة أو لمنع الخلط فقط قوله في ذلك أي في كونه من الله تعالى.

قوله: (أي في ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الإيمان ونفي لما يعرض للمتيقن حينما عراه شبهة) أي وهو تأكيد الخ كالتأكيد في تقرير ما قبله فهو تشبيه بليغ أو وهو تأكيد لغوي لا اصطلاحى لأنه بتكرير اللفظ الأول وبألفاظ مخصوصة وهنا ليس كذلك وبعبارة أخرى التأكيد الاصطلاحى مختص بالمفرد وتأكيد الجملة بمنزلة التأكيد فلا يضره العطف وحاصله أن المطلوب إذا كان غامضاً دقيق الحجة كثير الشبه فإذا اجتهد الإنسان فيه وحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات دليله الدقيق فيعرض له الشك فتبوت اليقين في بعض الأحوال لا ينافي طريان الارتباب بعد ذلك اليقين فالغرض من قوله ولا يرتاب إن هذا اليقين لا يقبل الارتباب أصلاً وفي الكشف ظاهره نفي الارتباب وإثبات اليقين جميعاً حيث قال لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك كان أبلغ وأؤكد لوصفهم بسكون النفس وتلج الصدر انتهى فما قيل إن ثبوت اليقين في بعض الأحوال لا ينافي طريان الارتباب بعد ذلك اليقين لا يلائم ما في الكشف على أن اليقين ما لا يحتمل النقيض أصلاً لا حالاً ولا مآلاً فتبوت اليقين ينافي طريان الشك والارتباب بلا ارتباب قوله ونفى الخ يعني أن المتيقن في أمر قد يعتريه شبهة لذهوله عن مقدمة من مقدمات دليله أو لطريان ما يتوهم كونه معارضاً في أول وهلة والمقصود من قوله ولا يرتاب أن هذا اليقين

لا يقبل الارتباب أصلاً لتعاضد الأدلة كذا قيل ويرد عليه أن الذهول عن مقدمات الدليل ممكن وأن تعاضد الأدلة فلا فرق بين يقين ويقين في إمكان الذهول عن مقدمة من مقدمات الأدلة أيضاً هذا لا يلائم ما مر من أن اليقين ما لا يحتمل النقيض أصلاً لا حالاً ولا مآلاً وقد صرح به العلماء برمتهم واعتراء الشبهة احتمال النقيض مآلاً فلا بد من التوفيق بين الكلامين فالأولى ما في الكشف من المذكور آنفاً وقوله ولأن فيه تعريضاً بحال من عداهم كأنه قال وليخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر والمصنف عدل عنه إلى ما ذكره والله أعلم بصحته قوله حيثما عراه شبهة إما للظرفية أو للتعليل.

قوله: ﴿وليقول الذين﴾ [المدثر: ٣١] الآية أعيد اللام لطول العهد أو للإشارة إلى الفرق بين العلتين بل بين العلل فإن قول المنافقين ليس غرضاً من جعل الزبانية تسعة عشر بخلاف الأول فإنها في صورة الغرض فالجعل المذكور سبب لهذا القول ويترتب عليه وليس في صورة الغرض وأفعال الله تعالى غير معللة بالأغراض بالمعنى المشهور بل هي معللة بالحكم والمصالح وهذا مراد المحققين بقولهم إن أفعال الله معللة بالأغراض لا بالمعنى الحقيقي للغرض^(١) فإنه محال وجعل المعلل كون العدد المذكور فتنة للكافرين لأن ما ذكر في كتابهم كون العدد المذكور فتنة لهم لا جعل العدد المذكور وحده.

قوله: (شك أو نفاق) أشار به إلى أن المرض مستعار لهما كما فصل في أول البقرة وقد جوز هناك كون المرض حقيقة في النفاق أيضاً ولم يعمم إلى الكفر مع أنه مرض أيضاً لقوله تعالى: ﴿والكافرون﴾ [المدثر: ٣١] الخ.

قوله: (فتكون الآية إخباراً بمكة عما سيكون في المدينة بعد الهجرة الجازمون في التكذيب) فتكون إخباراً هذا ناظر إلى قوله أو نفاق ودفع إشكال بأن النفاق حدث في المدينة بعد الهجرة والسورة مكية فكيف يصح إرادة النفاق وجعل الكافرون مقابلين للذين في قلوبهم مرض إذ المراد الجازمون في التكذيب كما صرح به تصحيحاً للمقابلة وهو أنه فوق المرض ادعاء وكون المنافقين أخص من الكافرين المجاهرين وهم المراد هنا لضمهم الخدعة إلى الكفر.

قوله: (أي شيء أراد) معنى مجموع ماذا على أن مجموعه اسم استفهام اختاره المصنف هنا أو ما استغماية وذا اسم موصول.

قوله: (بهذا العدد المستغرب استغراب المثل) نبه به على أن المثل هنا استعارة لهذا العدد لأنه مشابه له في الغرابة فذكر المثل وأريد العدد المذكور أي تسعة عشر.

قوله: فيكون إخباراً بمكة عما سيكون في المدينة هذا توجيه لقوله أو نفاق جواباً عما عسى يسأل ويقال السورة مكية ولم يكن في مكة نفاق وإنما حدث في المدينة.

(١) ولك أن تقول إن اللام فيهما للعاقبة مع الفرق المذكور بينهما.

قوله : (وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب) أي قول شبه مضربه بمورده مثل إني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى لكن هذا بناء على حساباتهم وظنهم القاسد والوجه الأول مبني على ما في نفس الأمر فلا منافاة وحاصل الكلام على الوجه الأول إنكار أنه من عند الله لأنه لو كان من عند الله لما جاء كذلك وحاصل الثاني أنه من عند الله لكن مراد الله ليس بظاهره بل جعله مثلاً لشيء آخر كسائر الأمثال مثلاً شبه عدد الزبانية في الكثرة بعدد تسعة عشر بناء على أن العرب يعبرون به عن عدد كثير جداً فذكر ما هو الموضوع للمشبه به وأريد المشبه وهذا غاية توجيه كلامهم ولا يخفى ما فيه ولذا مرضه والوجه الأول هو المعول وهذا بناء على فرض كون القرآن كلام الله تعالى فلا إشكال بأنهم ينكرون القرآن فكيف يصح ذلك منهم .

قوله : (مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين) أشار به إلى أن ذلك إشارة إلى المذكور قبله من معنى الإضلال والهداية فحذف المصدر وأقيم وصفه مقامه إذ التقدير يضل الله الخ إضلالاً وهداية مثل ما مر من المذكور قبله ثم قدم ذلك الوصف على الفعل إما للاهتمام أو للقصر قوله : يضل الكافرين لصرف اختيارهم إلى جانب الضلال ويهدي المؤمنين لصرف إرادتهم الجزئية إلى جانب الهدى بالتأمل في الآيات والنظر الصحيح في الدلائل الواضحات فأشار إلى أن من يشاء الكافر في الأول والمؤمن في الثاني لكن إرادة الله تابعة لإرادة العبد فلا جبر كما لا تفويض وقدم الأول لكثرتهم كما وإن كان الثاني أكثر كیفاً .

قوله : (جموع خلقه على ما هم عليه) في نفس الأمر من تفاصيل عددهم وأحوالهم وإنما فسر به ليفيد الحصر قوله جموع خلقه تفسير الجنود أي المراد بالجنود مطلق مخلوقاته من الأعيان والإعراض بحيث لا يشذ منهم فرد فالعلم بأحوالها والاطلاع على حقيقتها في نفس الأمر مختص بالله تعالى .

قوله : (إذ لا سبيل لأحد من المخلوقات إلى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها

قوله : (وقيل لما استبعدوه حسبوا) مثلاً فعلى هذا يكون لفظ المثل حقيقة بخلاف الوجه الأول فإنه على ذلك استعارة مصرحة حيث شبه العدد المستغرب بحقيقة المثل في الاستغراب فأطلق لفظ المشبه به على المشبه وفي الكشف هو استعارة من المثل المضروب لأنه مما غرب من الكلام ويدع استغراباً منهم لهذا العدد واستبداعاً له والمعنى أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب وأي غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم إنكاره من أصله وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص .

قوله : مثل ذلك المذكور يريد أن الكاف في ﴿كذلك﴾ [المدثر : ٣١] نصب وذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى .

قوله : جموع خلقه على ما هم عليه أي ما عليه كل جند من العدد المخصوص من كون بعضها على عقد كامل من عقود الأعداد وبعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدد من الحكمة إلا هو ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في أعداد السموات

وصفاتها) بيان حصر علمها به تعالى على وجه مخصوص كما ذكره لأن الثقلين والملائكة يعلمون بعض جنوده لكن لا على الوجه المخصوص بل بوجه ما .

قوله : (وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم)^(١) وهو العدد ومن جملة ذلك كون عدد الزبانية تسعة عشر نية به على أن قوله : ﴿وما يعلم جنود ربك﴾ [المدثر: ٣١] رد لاستقلالهم له أي وما يعلم أحد ما يوجب اختصاص الزبانية بهذا العدد والحكمة فيه أي وإن عددهم وإن كان قليلاً كما لكنه كثير كيفاً كما مر مراراً من أن واحداً منهم يرمي ربعة ومضرب دفعة واحدة وبهذا علم ارتباطه بما قبله لكنه ذكره على وجه العموم لدخول عدد الزبانية دخولاً أولاً وهو أبلغ البيان وأوضح البرهان وقيل والمعنى هب أن هؤلاء تسعة عشر إلا أن لكل واحد من الأعوان والجنود ما لا يعلم عدده إلا الله تعالى انتهى . ومعنى هب سلمنا ولا يخفى عدم حسنه هنا لأنه مقطوع به وكون لكل واحد أعوان غير معلوم .

قوله : (وكيف واعتبار ونسبة) وكيف من حرارة وبرودة وحلاوة ومرارة إلى غير ذلك مما لا يخفى واعتبار أي كل ما يعتبر في الأشياء من الأمور الطارئة عليها^(٢) ونسبة أي نسبة بعض الأشياء ببعض بالطول والقصر والحسن والقبح ولا يعلم كنه تلك النسبة إلا الله تعالى وقس عليه ما عدا ذلك ﴿وما هي﴾ (وما سقر أو عدة الخزنة أو السورة) .

قوله : (إلا تذكرة لهم) أي تذكرة لهم عذاب الله تعالى قدمه لشدة ملائمته لما قبله أو تذكرة لهم عدة الخزنة قدرة الله تعالى حيث تولى العدد القليل كما تعذيب أكثر الثقلين لكثرة كيفاً أو تذكرة لهم السورة الكريمة أنواع الحكم وأصناف المصلحة وتعام القدرة وكمال العلم وغير ذلك مما لا يكاد أن يحصى لكن كونها تذكرة لمن تذكر من أولي الألباب ولذا قال كلا وفسره المصنف بأنه رد لمن أنكرها أي سقر أو عدة الخزنة أو السورة أي إنكارها بإنكار القيامة أو بإنكار أن يتولى العدد القليل الخ أو بإنكار كونها كلام الله تعالى .



قوله تعالى : كَلَّا وَالْقَمَرِ

قوله : (ردع لمن أنكرها أو إنكار لأن يتذكروا بها) فلا تناقض لما قلنا من أن كونها ذكرى

والأرضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد الحدود والكفارات والصلوات في الشريعة ﴿وما يعلم جنود ربك﴾ [المدثر: ٣١] لفرط كثرتها ﴿إلا هو﴾ [المدثر: ٣١] فلا يعز عليه تنميم الخزنة عشرين ولكن في العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها .

قوله : ردع لمن أنكرها أو إنكار لأن يتذكروا بها أي ردع لمن أنكر سقر أو عدة الخزنة أو السورة أنها من عند الله تعالى أو إنكار لأن يتذكر المتكرون بها .

(١) كإعداد درجات الجنة ودرجات النار والسموات والأرضين وغير ذلك لأن في ذلك حكمة لا يعلم كنهها إلا الله تعالى .

(٢) كالصحة والمرض والشباب والشيب والعلم والحلم وغير ذلك .

لأولي الأبواب وغيرهم لكونهم كالبهائم لا يتذكرون فأنكر الله تذكرهم بها لكونهم محتومي القلوب فلا يكون من جملة البشر لانتفاء خواص البشر فيهم ألا يرى إلى قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٩] كما سيجيء كون كلمة كلا للإنكار غير متعارف ولذا أخره والظاهر أنه مجاز إذ الردع يستلزم الإنكار والإنكار إنكار للوقوع فيكون بمعنى النفي.

قوله تعالى: وَأَنْتَ إِذْ دَبَّرْتَ ﴿٣٣﴾

قوله: (أي ادبر كقبل بمعنى أقبل) قبل والمعروف فيه المزيد ولكن الثلاثي حسن هنا.

قوله: (وقرأ نافع وحزمة ويعقوب وحفص إذ ادبر على الماضي) لأن إذ ظرف لما مضى فهي المناسبة للفعل الماضي وإذا للمستقبل فدخلوها على المستقبل هو المناسب له لكن دخولها على الماضي لتحققه.

قوله تعالى: وَالشَّجَّارُ يَنْسِفُ ﴿٣٤﴾

قوله: (أي أضاء) صار ذا ضياء.

قوله: (أنها) أي سفر جواب القسم كما سيجيء.

قوله تعالى: إِنَّهَا لَإِحدى الْكَبَرِ ﴿٣٥﴾

قوله: (لإحدى البلبا الكبير) أي الموصوف وهو البلبا محذوف.

قوله: (أي البلبا الكبير كثيرة وسفر واحدة منها) كثيرة أي تلك البلبا مع كونها كبيرة عظيمة كثيرة وسفر واحدة منه وهذا حاصل قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحدى الْكَبَرِ﴾ [المدثر: ٣٥] واختاره المص وحاصله أن ما يحل بهم غير متناهية والسفر واحدة منها فإنها تستلزم كونها كثيرة^(١).

قوله: (وإنما جمع كبرى على كبر الحاقاً لها بفعله تنزيلاً للألف منزلة التاء كما ألحق قاصعاء بقاصعة فجتمعت على قواصع) مع أن القياس كبرى مثل حبلى حبلى ولا يجمع على

قوله: إذ أدبر على الماضي فإن إذ موضوعة للمضي بخلاف إذا فإنه للمستقبل.

قوله: وسفر واحدة منها ومعنى كونها واحدة منها إنها من بينهن واحدة في العظم لا نظير لها كما تقول هو أحد الرجال وهي إحدى النساء.

قوله: إلحاقاً لها بفعله بضم الفاء وسكون العين فإنها تجمع على فعل بضم الفاء وفتح العين فنزلت ألف كبرى منزلة تاء فعلة فجمع جمعها.

(١) وفي الكشف ﴿إِنَّهَا لَإِحدى الْكَبَرِ﴾ أي أعظمها لا نظير له في العظم كما يقال واحد الفضلاء أي أعظمهم كما مر توضيحه في قوله تعالى: ﴿لَيَكُونَنَّ أَعْدَى مِنَ إِحدى الْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢] وفي التيسير إنها أي سفر لإحدى دركات النار السبع وهي جهنم وأعلى والحطمة والسفر والسعير والجحيم والهوية وما اختاره المصنف أنسب بالمقام وفيه مبالغة وتهويل عظيم على أن الظاهر أن السفر مطلق النار إذ الوليد ليس من أهل السفر المخصوص.

فعل إلحاقاً لها بفعله تنزيلاً للألف أي لألف التانيث منزلة ثاء التانيث فجمع كبرى على كبر كما جمع فعلة على فعل كما ألحقت قاصعة بالمد حجر لليربوع يدخله بقاصعة لما مر من أن ألف التانيث نزلت منزلة ثاء التانيث في الدلالة على التانيث وهذا البيان لأن الجمع الذي هو مقتضى اللفظ لما لم يسمع من العرب احتاجوا إلى هذا التحمل أو الجمع الذي هو القياس وإن سمع لكن بعض اللفظ قد يجمع على خلاف القياس فنوا وجهه بمثل هذا الوجه .

قوله : (والجملة جواب القسم) وكون المقسم به هذه الأمور مفوض علمه إليه تعالى لكن بين الأمور مناسبة ظاهرة وكون المقسم به متعدد للمبالغة في تحقق المقسم عليه وتقديم القمر لأنه نير ولأن أكثر العبادات والمعاملات منوعة بحركته وقيد الليل بوقت الادبار أي الانصراف وذهاب ظلامه أو إقبال ظلامه وقيد الصحيح بالاسفار لأنهما وقتا حدوث أمر عظيم ومتمين .

قوله : (أو تعليل لكلا والقسم معترض للتأكيد) أي لكلا مع ملاحظة ما يردع عنه لأنه حرف لا يعلل وحده والقسم أي مع جوابه المحذوف جملة معترضة إذ القسم وحده لا يكون معترضاً وهذا إن كان ﴿كلاً﴾ [المدثر : ٣٢] ردعاً لمن أنكرها وإن كان إنكاراً من الله تعالى إنكاراً ونفيّاً لأن يتذكروا بها تعين أن تكون جواب القسم إذ حيثئذٍ لم يسبق إنكار من الغير حتى يكون الجملة المؤكدة جواباً له وتعليلاً له .

قوله تعالى : **لَا يَبْرَأُ الْبَشَرُ**

قوله : (تميز أي لإحدى الكبر إنذاراً) على أنه مصدر كما نبه عليه بقوله أي لإحدى الكبر إنذاراً أي تمييز عن نسبة إحدى الكبر إلى اسم إن وهذا على مسلك المصنف في معنى ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ [المدثر : ٣٥] إذ المعنى حيثئذٍ ينسب إحدى الكبر إلى السقر إنذاراً للبشر .

قوله : (أو حال عما دلت عليه الجملة أي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبراً ثانياً أو خبراً لمحذوف) أو حال عما دلت أي أو حال من نائب فاعل في جملة المذكورة أشار إليه بقوله أي إحدى الكبر وهي السقر أو كبرت السقر منذرة هذا على أن نذيراً فاعيل بمعنى مفعول وفيه مقال للشياخين ولذا أخوه وأيضاً التذكير يحتاج إلى التأويل بالعذاب أو محل العذاب وأيضاً إسناد الإنذار إليها مجاز ولم يلتفت إلى كونه حالاً من ضمير أنها أو المنوي في إحدى الكبر إذ الحال من المبتدأ مختلف فيه وكون المنوي في إحدى الكبر مما لا يعرف وجهه .

قوله : (والجملة جواب القسم هذا على أن يكون كلا ردعاً لمن ينكر أن يكون إحدى الكبر نذيراً لأن الكلام المؤكد بالقسم وإن واللام يكون مع المنكر .

قوله : أو تعليل لكلا فيكون كلا بمعنى حقاً أي حقاً أن ليس سقر إلا ذكرى للبشر لأنها لإحدى الكبر فيكون القسم معترضاً بين التعليل والمعلل تأكيداً وجوابه محذوفاً والتقدير أنها حق أو إن كونها ذكرى حق .

قوله تعالى: لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقَ أَنْ يَنْتَقِرَ ﴿٣٧﴾

قوله: (بدل من للبشر) وفي هذا إشارة إلى أن مجموع الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور وقيل البدل مجرور باعادة الجار.

قوله: (أي نذيراً للمتقين من السبق إلى الخير والتخلف عنه) أوله إذ الإنذار لمن سبق إلى الخير بالفعل غير مناسب والمراد التمكن والمشاركة كما قال في تفسير قوله تعالى: ﴿هَدَى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] أي المشارفين بالتقوى ولو أريد الإنذار على المعاصي سوى الكفر لم يعد.

قوله: (أو لمن شاء خير لأن يتقدم فيكون في معنى قوله: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف: ٢٩]) لكن اللام في ﴿لن شاء﴾ [المدثر: ٣٧] بأى عنه في الجملة ولذا آخره وإنما كان في معنى قوله الخ لأن هذا خبر وذلك أمر للتهديد لكن المراد بهذا القول إنشاء التهديد به لا افادة الحكم فيكون مآلهما واحداً في كون المراد بهما تهديداً.

قوله تعالى: كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ﴿٣٨﴾

قوله: (مرهونة عند الله مصدر كالشيئة) مرهونة عند الله يكسبها على أن ما مصدرية فإن عمل صالحاً فكها وإلا هلكها مصدر أي رهينة مصدر كالشيئة بمعنى الشتم اطلقت للمفعول مجازاً للمبالغة.

قوله: (اطلقت للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقبيل رهين) كالرهن فإنه مصدر أطلق للرهن مجازاً مشهوراً ملحقاً بالحقيقة ولو كانت صفة لقبيل رهين كما قيل في سورة الطور ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ [الطور: ٢١] لأنه حيثل يكون فعلاً بمعنى مفعول ولا يلحقه التاء لأنه يستوي فيه المذكر والمؤنث والقول بأنه يجوز أن يكون من النواذر نظيره إذا كان بمعنى الفاعل في قوله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾

قوله: بدل من للبشر وهو على إعادة العامل كقوله تعالى: ﴿قال الذين كفروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾ [الأعراف: ٧٥] فعلى هذا يكون أن يتقدم أو يتأخر مفعول شاء قال الطيبي رحمه الله فإن قلت مفعول شاء وأراد يحذف في الكلام الفصح اللهم إلا أن يكون فيه غرابة فأي غرابة فيه حتى ذكر في هذا الوجه دون الوجه الثاني قلت إن التقدير والله إنها لإحدى الكبر نذير للمكلفين المختارين المتمكنين من فعل الطاعة والمعصية فكفى عن ذلك بقوله: ﴿لن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ [المدثر: ٣٧] وقوله: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ [المدثر: ٣٨] أحسن انتظاماً بهذا الوجه لما في الوجه الثاني من شائبة تهديد ووعيد وتنظيره بقوله: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف: ٢٩] شاهد عليه.

قوله: ولو كانت صفة لقبيل رهين لأن فعلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث فهو مصدر بمعنى الرهن كالشيئة بمعنى الشتم.

[الأعراف: ٥٦] سخيّف جداً فإن حله إذا كان ممكناً على وجه يوافق القياس فما الداعي إلى التزام الوجه النادر والظاهر أن الرهينة وكذا الشئمة اسما مصدر كائن بمعنى المفعول كما نبه عليه الزمخشري فقال وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالثئمة بمعنى الشتم فالتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية فلا إشكال بأن كون الشئمة وكذا الرهينة مصدراً لا يساعده اللغة فالأولى أن تجعلها اسماً كما فعله جار الله وغيره لما عرفت من أن مراد المصنف بالمصدر اسم مصدر فيوافق كلام الزمخشري أنها اسم بمعنى الرهن.

قوله تعالى: **إِلَّا أَتَّخَذَ الْيَمِينُ** ﴿٣٩﴾

قوله: (فإنهم فكوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم) كما يخلص الراهن رهته بأداء الحق كما في الكشف فالكلام استعارة تمثيلية فإن نفس المكلف كالمحبوسة الكائنة عند الله بما أوجبه عليه والتزمه العبد من التكاليف التي حق خالص له تعالى فالفنس مرهونة عند الله وتخليصها إنما هو بأداء المكلف تلك التكاليف كما وجبت وإلا بقي نفسه مرهونة محبوسة تحت قهر الله تعالى فتهلك هلاكاً سرمدياً كما هلك المرهون ولم يصله إلى الراهن إذا لم يؤد حق المرتن.

قوله: (وقيل هم الملائكة أو الأطفال) فحينئذ يكون الاستثناء منقطعاً والأصل أن يكون متصلاً كما في الأول فإن الذين أحسنوا أعمالهم أصحاب اليمين أي أصحاب المنزلة الرفيعة أو الذين يؤتون صحائف أعمالهم بإيمانهم أو أصحاب اليمين والبركة وأصحاب الشمال وهم الذين لم يفكوا رقابهم لعدم إحسان الأعمال هم الموصوفون بضد ما ذكر من أصحاب المنزلة الدنيا مرضه لأن الكلام في المكلف بتكاليف شاقة وهم ليسوا كذلك أما الأطفال فظاهر وأما الملائكة فإنهم وإن كانوا مكلفين بنوع التكليف لكنهم ليسوا مكلفين بأنواع التكاليف من الأوامر والنواهي وأيضاً بقي أحوال السعداء من الثقلين مهملة مع أن الكلام مسوق لبيان أحوالهما من فك الرقاب وأيضاً لا يلائم ما بعده إذ التساؤل المذكور لا ينتظم الملائكة والأطفال.

قوله تعالى: **فِي جَنَّتٍ يَسْتَوُونَ** ﴿٤٠﴾

قوله: (لا يكتنه وصفها) أي لا يعلم كنه وصفها إلا الله تعالى هذا متفهم من تنكير جنات والجمع لانقسام الآحاد إلى الآحاد.

قوله: (وهي حال من أصحاب اليمين أو ضميرهم في قوله: ﴿يَسْتَوُونَ﴾ [المدثر: ٤٠])

قوله: (فإنهم فكوا رقابهم بما أحسنوا وفي الكشف والمعنى كل نفس بكسبها عند الله غير مفكوك إلا أصحاب اليمين فإنهم فكوا عن القيد رقابهم ما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهته بأداء الحق).

قوله: لا يكتنه وصفها معنى التعظيم مستفاد من التنكير.

الآية) أو ضميرهم فقدم للفاصلة وهو أقرب معنى وإن أبعد لفظاً إذ الأول يحتاج إلى اعتبار الزمان الممتد المتسع لترك رقابهم في المحشر ودخولهم في الجنة بخلاف الثاني.

قوله تعالى: عَنِ الْمُنِيرِينَ ﴿٤١﴾

قوله: (أي يسأل بعضهم بعضاً) فالفاعل في بابه وكون البعض عبارة عن شخص أولى من كونه عبارة عن جماعة إذ الظاهر أن السائل واحد بالمباشرة وإن كان المسؤول جماعة.

قوله: (أو يسألون غيرهم عن حالهم كقولهم تداعبناه أي دعونا) والظاهر أن ذلك الغير الملائكة وهذا خلاف الظاهر ولذا أخره فالفاعل حيثيذ بمعنى الثلاثي يفيد التكثير إما في الفاعل أو في الفعل قوله تداعبناه الخ إشارة إلى ما ذكرناه.

قوله تعالى: مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾

قوله: (وقوله: ﴿ما سلككم في سقر﴾ [المدثر: ٤٢] بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤولين والمجرمين أجابوا بها) بجوابه أي مع قولهم: ﴿لم نك من المصلين﴾ [المدثر: ٤٣] حكاية لما جرى أشار به إلى اتصاله بما قبله أي هذا من قوله: ﴿ما سلككم في سقر﴾ [المدثر: ٤٢] مع جوابه وهو ﴿لم نك من المصلين﴾ [المدثر: ٤٣] وقع حكاية لما جرى بين المؤمنين المسؤولين والمجرمين أي لما سألوا أصحابهم من المؤمنين أو غيرهم من الملائكة مثلاً عن حال المجرمين قال المسؤولين للسائلين نحن سألنا المجرمين عن حالهم وقتلنا لهم ما أي سلككم أدخلكم في سقر في جهنم فقالوا لنا في الجواب ﴿لم نك﴾ [المدثر: ٤٤] الخ إشارة إلى الجواب لا نفس الجواب إذ السؤال عن السبب فجوابه هو تركنا الصلاة وكف أنفسنا عن أدائها وعن إطعام المسكين فإنما أولنا بالكف لأن الأعدام الأزلية لا تصلح علة لذلك

قوله: وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع قال صاحب الانتصاف والضحج أن الآية في الكفار أي لم نك من أهل الصلاة وكذلك إلى آخرها ولا يصح منهم هذه الطاعات وإنما يتأسفون على قوت ما ينفع.

قوله: بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤولين والمجرمين أجابوا بها أي أجاب المسؤولون من أصحاب اليمين للسائلين من أصحاب اليمين حكاية قول المجرمين لهم حين سألوهم عن حالهم يعني لما سأل أصحاب اليمين بعضهم بعضاً عن أحوال المجرمين أجاب المسؤولون السائلين بأننا سألناهم عن أحوالهم وقتلنا لهم ﴿ما سلككم في سقر﴾ قالوا لم نك من المصلين ﴿[المدثر: ٤٢، ٤٣] وإنما صرفه إلى الحكاية ولم يجعله بياناً للسؤال المذكور كما هو الظاهر لعدم مطابقته له فإنه إنما يطابقه لو قيل ما سلككم أو قيل يسألون المجرمين أو يسألونهم عن أحوالهم ولما لم يكن السؤال هكذا بل قيل يتساءلون عن المجرمين وجب أن يصل إلى الحكاية ويمكن أن يقال يجوز أن يكون بياناً للتساؤل والمعنى يتساءلون المجرمين عن حالهم بقولهم: ﴿ما سلككم﴾ [المدثر: ٤٢].

فالسبب كف النفس عن ذلك باختياره فعلى هذا التقدير يكون في النظم الكريم ايجاز الحذف أكثر من جملة كما هو عادة التنزيل الحكيم وسلك هنا متعد بمعنى ادخل.

قوله تعالى: **قَالُوا زَكَاةً مِمَّنْ أَلْصَقَيْنَا** ﴿٤٣﴾

قوله: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ﴾ [المدثر: ٤٣] الصلاة الواجبة ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ﴾ [المدثر: ٤٣] أبلى من لم نصل لدلالته على الدوام وكذا ما بعده لكن الكلام على الدوام في النفي دون نفي الدوام قدم الصلاة لأنها أفضل القربات وأن المراد بهما جميع الطاعات كما مر مراراً.

قوله تعالى: **وَلَوْ أَنَّكَ تَعْلَمُ الْغَيْبَ** ﴿٤٤﴾

قوله: (ما يجب إعطائه) إشارة إلى أن المراد بالإطعام الإعطاء مطلقاً مجازاً بذكر الجزء وإرادة الكل وجه التخصيص أن معظم المرام الأكل والإطعام.

قوله: (وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع) قد مر هذا مراراً وفي التوضيح الكفار مخاطبون بالإيمان والعقوبات والعاملات إجماعاً وأما العبادات فهم مخاطبون في حق المواخذة اتفاقاً أيضاً لقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [المدثر: ٤٢] والآيات وأما في حق وجوب الأداء فمختلف فيه قال العراقيون من مشايخنا نعم وقال مشايخ ديارنا لا وما ذكر في التوضيح مذهب الثننا الحنفية وعند الشافعي وهم مخاطبون بالفروع وكلام المصنف بناء عليه والكلام على وجه الشيع في كتب الأصول وأما المنكرون له فيقولون معنى ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ﴾ [المدثر: ٤٣] ولم نعتقد وجوب الصلاة ولا الزكاة ولا غيرهما ولا خلاف في المواخذة في الآخرة على ترك الاعتقاد ويؤيده وقوعه في جنب قوله: ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ﴾ [المدثر: ٤٦] الآية وهذا وإن كان هو خلاف الظاهر لكن له مسأغ بهذه القرينة فلا يبعد حمله على هذا المعنى كل البعد.

قوله تعالى: **وَكُنَّا نَحْوُ خَافِضِينَ** ﴿٤٥﴾

قوله: (نشرع في الباطل مع الشارعين فيه) أي الخوض شاع في هذا المعنى وإن كان أصله الدخول في البحار والأنهار قصار حقيقة عرفية ويمكن حمله على الاستعارة وهذا مثل قولهم إن القرآن سحراً وأساطير الأولين وإن محمداً شاعراً وساحر.

قوله تعالى: **وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ** ﴿٤٦﴾

قوله: (أخره لتعظيمه أي وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة) فإن المعظم قد يؤخر

قوله: (نشرع في الباطل عن بعضهم الخوض اسم غالب في الشرع كالخلود في إقامة لا انقطاع لها وكذلك قولهم كلمة يذكرك غالب في الشر وعليه قوله تعالى: ﴿فَتَى يَذَكِّرُهُم﴾ [الأنبياء: ٦٠].

للاستغراب إما في المدح أو في الذم كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد: ١٧] الآية وكقوله تعالى: ﴿عَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ [القلم: ١٣] فالمعنى هنا وترك الصلاة والزكاة وغيرهما من الفروع عجيب وقبيح وأعجب منه تكذيبنا بالقيامه بعد ذلك وهذا من باب الترفي من الأدنى إلى الأعلى ولو نظر إلى أنه أعظم الذنوب وفساد القوة النظرية فقدم لكان من باب التنزل وكلاهما طريقان مستقيمان أو أخره لأن ترك الصلاة وغيرها أماراة على تكذيب يوم الدين كما أن التكذيب المذكور سبب لكف النفس عن الأعمال الصالحة فلتقديم كل منهما وجه وجهه ثم المراد بتكذيب يوم الدين تكذيب جميع المعتقدات.

قوله تعالى: حَتَّىٰ آتَيْنَا الْيَقِيْنَ ﴿٤٧﴾

قوله: (الموت ومقدماته) فإن لحاقه متيقن لكل حي مخلوق فالمراد يتيقن لحوقه واليقين بمعنى المتيقن واكتفى بالموت في آخر سورة الحجر وهو الأولى ثم تقديم مقدماته أخرى وحتى بمعنى إلى والايتان مستعار للحصول ولا مفهوم الغاية هنا لغوات وقت الذكر.

قوله تعالى: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾

قوله: (لو شفّعوا لهم جميعاً) فيه إشارة إلى أن اللام في الشافعين للاستغراق إذ لا عهد ونبه بلو على أن لا شفاعاة ولو فرض وقوعه في كل شافع لا ينفع أي لا يقبل شفاعتهم فالمراد نفي الشفاعاة رأساً على وجه المبالغة فضلاً عن نفعها.

قوله تعالى: فَمَا لَكُمْ مِنَ التَّذِكْرِ مُعْزِزِينَ ﴿٤٩﴾

قوله: ((فما لهم)) [المدثر: ٤٩]] مبتدأ وخبر معروضين حال عن النسبة والسؤال في الحقيقة متوجه إليها أي فأي شيء سبب لأعراضهم عن التذكرة الاستغناء للإنكار الوقوعي أي لا سبب له أصلاً والفاء للسببية لأن إعراضهم عن التذكرة سبب للسؤال عن سببه وعن التذكرة متعلق بمعروضين قدم عليه لمحافظة الفاصلة عن التذكير أي التذكرة كتبصرة مصدر ذكر من التفعيل كالتذكير.

قوله: (أي معروضين عن التذكير يعني القرآن أو ما يعمه ومعروضين حال) يعني القرآن سمي تذكيراً مبالغة لأنه مذكّر للأخرة وأحوالها وسائر المقاصد الدينية والدنيوية أو ما يعمه من السنة والاجماع والقياس.

قوله تعالى: كَانَهُمْ حُمُرٌ مَّنْشُورَةٌ ﴿٥٠﴾

قوله: (كانهم حمير) حال أخرى متداخلة أو مترادفة وفيه مبالغة في تقييح شأنهم وبيان فرط إعراضهم وهذا التشبيه إما تشبيه مفرد بمفرد أو تشبيه مركب بمركب.

قوله: (شبههم في إعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة).

قوله: شبههم في إعراضهم الخ قال صاحب الكشاف وفي تشبيههم بالحمير مذمة ظاهرة

قوله تعالى: فَزَيَّنَ مِنْ فُتُورِهِ ﴿٥١﴾

(فرت من قسورة أي أسد) في إعرافهم بميل إلى الثاني قوله عن استماع الذكر معنى الاعراض عن التكبير والمراد بالذكر القرآن قوله نافرة إشارة إلى أن مستنطرة بمعنى الثلاثي وليس السين للطلب ولو جعل للطلب بمعنى أنها طلبت من أنفسها النفرة كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح: ٧] لكان أبلغ في الذم والتوبيخ وقد أشير إليه في الكشف بقوله كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه وحرر جمع حمار وحشياً كان أو أهلياً وقيل المراد الحمار الوحشي لأنه موصوف بالنفار لا سيما من الأسد وفيه نظر.

قوله: (فعولة من القسر وهو القهر وقرأ نافع وابن عامر مستفرون بفتح الفاء) فعولة من القسر وهو القهر والأسد علم في القهر والغلبة قوله بفتح الفاء والمعنى حمر مستنطرة أي مذعورة كأنها طلب منها النفار لتخوفها القائد.

قوله تعالى: بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤَيِّنَ صُحُفًا مُنْتَشَرَةً ﴿٥٢﴾

قوله: (قراطيس) أي المراد بالصحف القراطيس جمع قرطاس وهو ورق فسر الصحف بالقرطاس إذ الصحف هي التي يكتب فيها من ورق أو كاغد أو غيرهما.

قوله: (تنتشر وتقرأ) أشار به إلى أن المراد بكونها منشورة أن تفتح لتقرأ وهذا كقوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَفِيقِكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهَا﴾ [الإسراء: ٩٣] الآية قوله تعالى: ﴿بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ﴾ [المدثر: ٥٢] معطوف على محذوف أي لا يؤمنون ولا يطيعون بل يريد صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو للاستمرار.

قوله: (وذلك أنهم قالوا للنبي عليه السلام لن نتبعك حتى تأتي كلاً منا بكتاب من السماء فيه من الله إلى فلان أن اتبع محمداً) نيه به على أن المراد من الصحف الصحف النازلة من السماء لأنه النافع لهم على زعمهم ولما مر من قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا﴾ [الإسراء: ٩٣] الخ.

قوله تعالى: كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾

قوله: (ردع عن اقتراحهم الآيات) أي المعجزات الدالة على نبوة النبي عليه السلام وفي الكشف ردع عن تلك الإرادة وعن اقتراح الآيات والمصنف أشار إلى أن تلك الإرادة داخلة في الآيات دخولاً أولياً فلا حاجة إلى ذكرها صريحاً.

وتهجين لحالهم بين كما في قوله: ﴿كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل.

قوله: أي أسد يقال ليوث قساور وهي فعولة من القسورة وفي وزنه الحيدرة من أسماء الأسد وفي الكشف والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها.

قوله: ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ [المدثر: ٥٣] أي لم يرتدعوا عن ذلك بل لا يخافون الآخرة لأنهم لا يؤمنون بها وهذا هو المراد.

قوله: ﴿فَلَذَلِكَ عَرَضُوا﴾ [التذكرة] إشارة إلى ارتباطه بما قبله وأعراضهم عنها علة لعدم خوفهم من الآخرة ففيه شائبة الدور فلا تغفل.

قوله: ﴿لَا لِمَتَاعٍ إِتَاءَ الصَّحُفِ﴾ يعني يرون أنهم أعرضوا عنها لامتناع ما طلبوه فردّه تعالى أن أعراضهم ليس كذلك بل لعدم خوفهم من الآخرة المسبب عن عدم اعتقادهم بها.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَنْتُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٥٤)

(ردع لهم عن إعراضهم وأي تذكرة).

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ (٥٥)

قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَذْكُرَهُ﴾ نبه به على أن مفعول شاء محذوف يدل عليه الجواب كما هو المشهور قوله ذكره إن شاء الله تعالى أيضاً ذكره لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ [المدثر: ٥٦] الخ لأن مشيئة العبد ليست بكافية في وجود مكسوبة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾ (٥٦)

قوله: ﴿ذَكَرَهُمْ أَوْ مَشِيتَهُمْ﴾ كقوله: ﴿وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] أو مشيتهم أي المفعول المذكور إما ذكرهم وهو الظاهر المتبادر أو مشيئة العبد وهذا مذهب الأشاعرة من أن إرادة العبد الجزئية مخلوقة له تعالى موجودة في الخارج بمشيئة الله تعالى فلزم الجبر المتوسط المؤدي إلى الجبر المحض وأما عند إمامنا أبي منصور فإرادة العبد ليست بمشيئة الله تعالى ولا يخلقه لأنها ليست بموجودة في الخارج بل هي أمر اعتياري لكن ليس باعتبار محض كآنياب الأغوال بل متحقق في نفس الأمر لا يحتاج إلى الخالق فهي من العبد وهي مدار الثواب والعقاب ولا يلزم أن يكون العبد خالقاً لها لما مر من أنها ليست بموجودة في الخارج والخلق إنما يكون فيما هو موجود في الخارج ومن أراد الاستقصاء فليراجع إلى المقدمات الأربع وحاشيتنا عليها وسيجيء الكلام في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

قوله: ﴿وَهُوَ تَصْرِيحٌ بِأَنْ فَعَلَ الْعَبْدُ بِمَشِئَةِ اللَّهِ تَعَالَى﴾ قبيحاً أو حسناً ففيه رد على المعتزلة حيث زعموا أن العبد خالق فعله لا يخلق الله تعالى ولا بمشيئته وحملهم على ذلك على مشيئة القسر والإلجاء خروج عن الظاهر مع أن حمل النصوص على ظواهرها واجب حسبما أمكن.

قوله: ﴿ذَكَرَهُمْ أَوْ مَشِيتَهُمْ﴾ قال صاحب الكشف إلا أن يقرهم على الذكر ويلجئهم إليه لأنهم مطبوع على قلوبهم قال الإمام إنه تعالى نفى الذكر مطلقاً واستثنى عنه حال المشيئة المطلقة فيلزم أنه متى خلصت المشيئة بحصل الذكر فحيث لم يحصل الذكر علمنا أنه لم يحصل المشيئة وتخصيص المشيئة بالمشيئة القسرية ترك للظاهر.

قوله: (وقرأ نافع تذكرون بالثناء) أي على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

قوله: (وقرىء بهما مشدداً) قراءة شاذة.

قوله: (حقيق بأن يتقى عقابه) معنى الأهل بأن يتقى عقابه أشار به إلى أن التقوى مصدر مبني للمفعول قوله عقابه إشارة إلى أن الكلام على منوال صفة جرت على غير ما هي له.

قوله: (حقيق بأن يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبي ﷺ من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة) حقيق بأن يغفر فالمغفرة مصدر معلوم وإعادة الأهل للاهتمام بشأنه وتنبهها على المغايرة إذ التقوى صفة المتقين كما أشار إليه بقوله سيما المتقين الخ وإن كان الإلتقاء من عقابه صفة تعالى وضمن يغفر معنى يكرم فلذا عداه بنفسه وما رواء موضوع الحمد لله على حسن توفيقه لإتمام ما يتعلق بالمدثر والصلاة والسلام على أفضل البشر وعلى آله وأصحابه الذين نقلوا عنه عليه السلام الحديث والخبر تمت وقت الصبح من يوم الأحد في شهر ربيع الآخر في سنة ١١٩٢.

قوله: حقيق بأن يتقى عقابه روي عن الترمذي وابن ماجه والدارمي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية «قال الله تعالى أنا أهل أن يتقى فمن اتقاني ولم يجعل معي إلهاً فأنا أهل أن أغفر له» والله أعلم بمعاني كلامه تمت السورة الحمد لله أولاً وآخراً بك اعتصم واستعين اللهم ونشرع.

سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة القيامة مكبة وآبها تسع وثلاثون) مكبة أي بالاتفاق قوله وآبها تسع وثلاثون مع الاختلاف فقبل أربعون كما قيل تسع وثلاثون واختاره المصنف بسم الله الرحمن الرحيم له العون وبه نستعين.

قوله تعالى: لَا أَقْسِمُ بِبَوَاقِ الْأَيْمَةِ ﴿١﴾

قوله: (ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع في كلامهم كما قال امرؤ القيس:

لا وأبيك إبنة السمامري لا يدعي القوم أنني أفسر)

ادخال لا النافية كونها نافية معناها بحسب الوضع وإن كان زائدة هنا للتأكيد كما صرح به فإن ما كان لتأكيد فعل القسم تكون صلة للتأكيد قوله فعل القسم إما إشارة إلى أن زيادته مع القسم كما قيل وهو ضعيف لأن لا في قوله لتلا يعلم زائدة أو إشارة إلى زيادته هنا وهو الظاهر فإنها تزداد مطلقاً سواء كان مع القسم أو غيره وسواء كان في ابتداء الكلام أو وسطه وما قيل من أن زيادتها في وسط الكلام فمردود بأنه سمع زيادتها في أوائل القصائد كثيراً من الموثوق به، وقدم كون لا غير زائدة ورجحه في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥] فالمناسب التعرض له هنا صريحاً لا وأبيك قسم ولا زائدة

سورة القيامة

مكية وآبها تسع وثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع في كلامهم أي النافية صورة قالوا في لا هذه خمسة أقوال الأول قول الجمهور إن لا صلة الثاني قول الميرد لا تأكيد للقسم الثالث قول الفراء لا رد لإنكار المشركين البعث الرابع أصله لأقسم ثم أشبع فظهر من الإشباع ألف وهذه اللام تصحبه نون التأكيد في الأغلب وقد يفارقه والخامس أن لا نفي للأقسام لأن الناس يؤكدون إخبارهم بنفي القسم كما يؤكدونها بالقسم فإن ذكر ترك القسم يقوم مقام القسم وفي الكشف وقالوا إنها صلة مثلها في ﴿تِلْكَ أَعْيُنُكَ آلِ الْقَوْمِ﴾ [الحديد: ٢٩] واعترضوا عليه بأنها إنما تزداد في وسط الكلام لا في أوله وأجابوا بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضها ببعض

في أول الكلام لتأكيد القسم ابنه العامري منادى حذف منه حرف النداء أي بآية العامري لا يدعي القوم أنني أفر أي لا أفر من الحرب وعدم فراري مشتهر بين القوم حتى لا يدعي من الادعاء ذلك أحد منهم في شأني لتكذيبهم آياه وردهم قوله لا يدعي الخ جواب القسم .

قوله: (وقد مر الكلام في قوله: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ [الواقعة: ٧٥] وقرأ قبل لأقسم بغير الألف بعد اللام وكذا روي عن البيهقي) وقد مر الكلام أي فيه احتمالات الأول أن لا باقية على النفي فهي إما لنفي الكلام السابق ذكره قبل القسم وهو هنا إنكار البعث أي ليس الأمر كما زعموا وأقسم بيوم القيامة تأكيداً للنفي المذكور والجملة وإن كانت في ابتداء الكلام لكن السورة المتقدمة اعتبر اتصال السورة المؤخرة بها حتى يرام بيان مناسبة هذه السورة أي أولها بآخر السورة المتقدمة وقد التزمه الإمام في الأكثر والاحتمال الثاني أن لا منا وفي مثله لنفي القسم أي لا أقسم لظهور الأمر فلا حاجة إلى القسم والمعنى هنا: ﴿لا أقسم بيوم القيامة ولا بالنفس اللوامة﴾ [القيامة: ١، ٢] على إثبات هذا المطلوب فإن هذا المطلب أجل وأعظم من أن يقسم عليه فيكون تخفيف شأن المقسم عليه وقس عليه أمثاله والاحتمال الثالث أن أصله لام ابتداء دخلت على أقسم أي لا قسم فاشع فتحة لام الابتداء ويؤيده قراءة قبل ورواية عن البيهقي كما ذكره المصنف لكن الكلام حينئذ يكون جملة اسمية حذف مبتدؤها أي لأننا قسم لأن لام الابتداء لا يدخل إلا على الجملة الاسمية ويرد عليه أنه يستلزم قسماً آخر ليكون هذا جواباً عنه فيصير التقدير والله لأقسم فيكون قسماً على قسم فيكون ركيكاً ولأنه يفضي إلى التسلسل إلا أن يقال إن القسم على القسم مستحسن فيما قصد المبالغة في تحقق المقسم عليه للقسم الثاني والتسلسل غير بين ولا مبين ولو سلم أنه أمر اعتياري ينقطع باعتبار المعبر .

والاعتراض صحيح لأنها لم تقع مزيدة إلا في وسط الكلام ولكن الجواب غير شديد ألا ترى إلى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه أن يقال هي للنفي والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشئ إلا إعظاماً له يدل عليه قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم عظيم﴾ [الواقعة: ٧٥، ٧٦] فكانه بإدخال حرف النفي يقول إن إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام يعني أنه يستأهل فوق ذلك وقيل إن لا نفي لكلام ورد له قبل القسم كأنهم أنكروا البعث فقبل لا أي ليس الأمر كما ذكرتم ثم قيل له: ﴿أقسم بيوم القيامة﴾ [القيامة: ١] قال الإمام في هذا الوجه الأخير إشكال لأن إعادة حرف النفي وفي قوله: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ [القيامة: ٢] يقدح فيه والأصح هو الوجه الأول وعلى هذا القول وقع اختيار أبي مسلم ويمكن تقريره بأن يقال كأنه تعالى يقول لا أقسم بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب فإنه أجل وأعظم من أن يقسم عليه بهذه الأشياء والغرض تعظيم المقسم عليه أو يقال لا أقسم بهذه الأشياء على إثبات المطلوب فإنه أظهر وأجلى أن يحاول إثباته بمثل هذا القسم وقال أبو البقاء لا رد لكلام مقدر لأنهم قالوا أنت مفتر على الله في قولك نبعت فقال لا ثم ابتداء فقال: ﴿أقسم﴾ [القيامة: ٢] وهذا كثير في الشعر فإن وار العطف تأتي في مبادي القصائد كثيراً يقدر هناك كلام يعطف عليه .

قوله تعالى: وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ الْوَّامَةِ ﴿٢﴾

قوله: ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ الْوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢] بالنفس المتقية التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيامة على تقصيرهن) أعيد لا أقسم تنبيهاً على أنه قسم مستقل على حياله وأنه قسم آخر بمغايرة المقسم به قوله بالنفس المتقية قيد بالمتقية لأن القسم بشيء إشعار بأنه له شرافة وفخامة والنفوس الفاجرة ليست كذلك قوله تلوم النفوس المقصرة أي المفعول المحذوف هو النفس العاصية الكافرة إن أريد بالتقوى المرتبة الأولى وهي الثبوت عن الشرك المخلد في النار أو النفس المؤمنة العاصية إن أريد بالتقوى المرتبة الوسطى وهي الاجتناب عن جميع الكبائر وكذا إن كان المراد بالتقوى المرتبة العليا والظاهر أن المراد هو الأول قوله يوم القيامة إشارة إلى ارتباطه بما قبله وإلى الجامع بين المتعاطفين فحيث صيغة المبالغة لكثرة المفعول كما حيث قال تلوم النفوس قوله بالنفس متعلق بلا أقسم وتلوم تنبيه على أن اللوامة بمعنى المضارع عبر به لتحقيق وقوعه واللام اسم موصول لكونه بمعنى الحدث.

قوله: ﴿أَوِ انِّي تَلُومُ نَفْسَهَا أَبَدًا وَإِنْ اجْتَهَدْتَ فِي الطَّاعَةِ﴾ فيكون الفاعل والمفعول متحدين ذاتاً والتغاير بالاعتبار ولعل لهذا آخره قوله أبداً مستفاد من صيغة المبالغة والمبالغة في الكيف إذ الدوام يستلزم الشدة ويعلم لوم النفوس المقصرة أنفسها بطريق الأولوية.

قوله: ﴿أَوِ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ لِلْإِمَارَةِ لِلنَّفْسِ الْآمَارَةِ﴾ تفسير آخر والفرق أن النفس المطمئنة وهي التي اطمأنت بذكر الله تعالى أخص من النفس المتقية والامارة بالسوء أعم من النفس المقصرة إن أريد بالمقصرة الكافرة وإلا فهي مساوية لها.

قوله: ﴿أَوِ بِالْجَنَسِ﴾ الشامل للثقة والفاجرة آخره لما فيه من جعل الفاجرة مقسماً بها والإقسام يقتضي الإعظام وهو غير مناسب لها ولذا لم يتعرض لها المصنف وحدها وتعرض للجنس لأن الإقسام به يجوز باعتبار بعض أفرادها وهو النفس المتقية أو للتغليب والقول بأن القسم بها مع قطع النظر عن صفاتها لأنها من حيث هي شريفة لأنها بمعنى الروح وهي من عظيم أمر الله تعالى ضعيف لأنه يقتضي جواز الإقسام بها وحدها مع أنه لم يتعرض لها واللوم يناسب الفاجرة ولو صح الإقسام بها بهذا الاعتبار لتعرض لها.

قوله: ﴿لَمَّا رَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ بَرَةٍ وَلَا فَاجِرَةٍ إِلَّا وَتَلُومُ نَفْسَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ عَمِلَتْ خَيْرًا قَالَتْ كَيْفَ لَمْ أَزِدْ وَإِنْ عَمِلَتْ شَرًّا قَالَتْ لَيْتَنِي كُنْتُ قَصْرَتْ﴾ أي على الطاعات.

قوله: ﴿أَوِ نَفْسٍ أَدَمَ فَإِنَّهَا لَمْ تَزَلْ تَلُومُ عَلَى مَا خَرَجَتْ بِهِ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ فاللام للعهد قوله لم تزل تلوم أي نفسها وفي نسخة تلتوم بالتشديد للمبالغة في اللوم لأن صيغة التفعّل قد تكون للمبالغة والكمال لأنه لازم للتكلف وقد يجيء بمعنى التريض والانتظار أيضاً وهما مذكوران في الأساس كما قبل والظاهر أن هذا اللوم في الدنيا والآخرة أو في الدنيا فقط إن

خص النفس المتقية أو المظمنة بنير الأنبياء عليهم السلام آخره لأن العموم هو الظاهر ولأنه لا قرينة على العهد وضمها إلى يوم القيامة كالصريح في العموم .

قوله: (وضمها إلى يوم القيامة لأن المقصود من اقامتها مجازاتها) جواب فلا مقدر أي العطف يقتضي المناسبة والجامع فما هو فأشار إلى الجواب بأنها دار الجزاء والنفس مجزية فيها والجامع خيلى لأنه إذا ذكر دار الجزاء خطر لكان النفس المجزية خيراً كان أو شر وعلم منه وجه تقديم يوم القيامة والتعبير بيوم القيامة إذ القيام للجزاء فهذا أبلى من يوم الدين قال تعالى: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ [المطففين: ٦] .



قوله تعالى: اٰیَحْسَبُ الْاِنْسَانُ اَنْ يَّجْعَلَ عِظَامَهُ

قوله: (يعني الجنس وإسناد الفعل إليهم لأن فيهم من يحسب) يعني الجنس أي الاستغراق قوله لأن فيهم من يحسب وهو كاف في إسناد الفعل إلى الجنس مجاز بإسناد ما لبعض إلى الكل وهذا جار في النفس اللوامة إذا أريد بها الجنس كما نهينا عليه فلا يلزم الاقسام على النفس الفاجرة حتى يحتاج إلى الاعتذار عنه والمصنف أشار بذكره هنا إلى جريانه هناك كما هو عادته وإن كان الأولى عكسه .

قوله: (أو الذي نزل فيه وهو عدي بن أبي ربيعة سأك رسول الله ﷺ عن أمر القيامة فأخبره به فقبل لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك) الذي نزل فيه أي في شأنه فاللام للعهد وهو عدي بن ربيعة قبل هذا تحريف من الكاتب فالصواب عدي بن أبي ربيعة لكن حكمه عام لأن سبب الخصوص لا ينافي العموم ولذا جوز الجنس ورجحه وينكشف منه وجه آخر وهو كون المراد منكري البعث بل هو الأولى لأن إسناد ما لبعض إلى الجميع فيه كلام هل يصح ذلك مطلقاً أو يشترط فيه كثرة من صدر عنه أو رضي الباقيين نحو قتل بنو فلان والقاتل واحد منهم مع رضي الباقيين وقد مر الكلام في قوله تعالى: ﴿ويقول الإنسان أئذا مات لسوف أخرج حياً﴾ [مریم: ٦٦] من سورة مریم .

قوله: (أو يجمع الله هذه العظام) الهمة للاستفهام الإنكاري الوقوعي والواو عطف على مقدر أي أريد الله ويجمع مثلاً هذه العظام الحاضرة عنده أي هذه العظام البالية وفي بعض النسخ أو يجمع الله بأو العاطفة بسكون الواو ونصب يجمع أي لن أصدقك إلا أن يجمع الله أو إلى أن يجمع الله هذه العظام وأشاهدها كذلك أي في هذه النشأة حتى أصدقك في إخبارك النشأة الأخرى وهذا مراده خذله الله تعالى وهذا محال في هذه وكذا النشأة الأخرى محال على زعمه .

قوله: وإسناد الفعل إليه لأن فيهم من يحسب يعني هذا من باب إسناد فعل البعض إلى الكل كما في بنو فلان قتلوا زيداً والقاتل واحد منهم .

قوله: أو الذي نزل فيه هو عدي بن ربيعة هو عطف على الجنس فعلى هذا تكون اللام في الإنسان للعهد قوله: ﴿أیحسب الإنسان﴾ [القيامة: ٣] الآية دليل جواب القسم أي لتبعثن .

قوله: (بعد تفرقها وقرىء أن لن تجمع عظامه على البناء للمفعول) بعد تفرقها لأن الجمع لا يتصور إلا بعد التفرق ومعناه أن لن تقدر على أن تجمع عظامه بدليل قوله تعالى: ﴿بلى قادرين﴾ [القيامة: ٤] الآية وقرىء أن لن تجمع بالبناء الفوقانية..



قوله تعالى: بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسُوِّيَ بَنَانَهُ

(نجمعها).

قوله: (بجمع سلامياته ويضم بعضها إلى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام) سلامياته^(١) جمع سلامى بوزن حبارى قوله وضم بعضها إلى بعض أي مع ضم الخ تفسير أن نسوي مع أن يجمع قوله كما كانت من تنمة التفسير وللإشارة إليه عدل عن أن نجمع إلى أن نسوي مع صغرها إشارة إلى أن بناته ما صغر من العظام قوله ولطافتها لازم للصغر قوله فكيف بكبار العظام فإن جمعها معلوم بطريق الأولوية ومفهوم بدلالة النص ولذا اختير البنان دون العكس ودون مطلق العظام والمراد بالقدرة الجمع بالفعل.

قوله: (أو ﴿على أن نسوي بناته﴾ [القيامة: ٤] الذي هو أطرافه فكيف بغيرها) أي البنان ما صغر من أعظم الأطراف فبين الكلام بإرادة كل واحد منهما إما الصغر وحده أو الأطراف وحدها ولو بين بإرادة المجموع من حيث المجموع لكان أبلغ لكن نبه به على أن الواحد منهما يكفي في الالتزام فكيف إذا أريد المجموع إذ كل منهما يقتضي صعوبة الجمع وثبوته للمجموع بالأولوية.

قوله: (وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى) وهو أي قادرين حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى كما قال: بلى نجمعها لأن بلى إيجاب لما ذكر بعد النفي فمعناه لا محالة بلى نجمعها والحال مؤكدة إذ المختار عند الزمخشري جواز وقوعها بعد الجملة الفعلية ومن شرط وقوعها بعد الجملة الاسمية جعلها حالاً دائمة.

قوله: بلى نجمعها أشار إلى أن كلمة بلى أوجبت ما بعد النفي وهو الجمع.

قوله: بجمع سلامياته السلاميات بالضم عظام الأصابع جمع سلامة وهي الأنملة من أنامل الأصابع وقيل واحده وجمعه سواء ويجمع السلامة على سلاميات وهي التي بين كل مفصلين من أصابع الإنسان فعلى هذا يكون لفظ البنان مجازاً من باب إطلاق لفظ الجزء على الكل وقوله: ﴿أو على أن نسوي بناته﴾ [القيامة: ٤] الذي هو أطرافه على أن يكون حقيقة ففي كل من هذين الوجهين من المبالغة ما يغير ما أفاده الآخر منها.

قوله: وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى التقدير نجمع قادرين فهي حال مقرر لما أوجب بعد النفي واردة مبالغة وأشار إليها بقوله فكيف بكبار العظام أو مكملة لمعنى الجمع على سبيل الشرقي وأشار إليه بقوله فكيف بغيرها وذكر صاحب الكشاف وجهاً آخر غير الوجهين المذكورين حيث قال وقيل معناه بل نجمعها ونحن قادرون على أن نسوي أصابع يديه ورجليه أي

(١) وفيه تنبيه على أن البنان مفرد اللفظ مجمع المعنى كالنمر.

قوله: ﴿وقرىء بالرفع أي نحن قادرون﴾ الظاهر أن المعنى بلى بل نحن قادرون ولا يحتاج إلى تقدير نجمعها ولو قدر وجعل نحن قادرون حالاً يلزم أن يكون الجملة الاسمية حالاً بغير واو وهو ضعيف.

قوله تعالى: بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾

قوله: ﴿عطف على أيحسب الإنسان فيجوز أن يكون استفهاماً وأن يكون إيجاباً لجواز أن يكون الإضراب عن المستفهم أو عن الاستفهام﴾ عطف على أيحسب هذا إذا كان الإضراب عن المستفهم فيكون إيجاباً قوله فيجوز أن يكون استفهاماً تفرعه على ما ذكر باعتبار أن المعطوف مع حرف العطف محذوف أي عطف على أيحسب أو على يحسب بقرينة ما بعده فذكر ما بعده على النشر المشوش نقل عن أبي حيان أنها للإضراب الانتقالي بلا إبطال عن قوله: نجمعها قادرين إلى ما عليه الإنسان انتهى وهذا مراد المصنف أيضاً إذ لا مساغ للإبطال هنا بل لا يقع في كلام الله تعالى الإضراب الإبطالي إلا فيما حكى فلا جرم أن بلى هنا للإضراب الانتقالي وإنما اظهر الإنسان لكمال التقرر^(١) وإن أريد بالإنسان السائق عدي بن أبي ربيعة فذكر الإنسان في يابه.

قوله: ﴿ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان﴾ ولذا قيل بل يريد الإنسان الخ ولم يقل بل ليفجر الخ وإنما أوله بالدوام لأنهم فاجروا حالاً فالمراد إرادة دوام الفجور في المستقبل ودوام الفجور فجوز فلا مجاز في ﴿ليفجر﴾ [القيامة: ٥] والمراد الدوام بتجدد الأمثال قوله من الزمان معنى أمامه مجازاً لأنه اسم مكان ولا معنى له بل المراد الزمان الذي هو في الإمام لأنك مستقبل بكسر ياء المستقبل وقد يعتبر المستقبل الخلف كما في قوله تعالى: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ [البقرة: ٢٥٥] على

نجعلها مستوية شيئاً واحداً كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق بينها فلا يمكنه أن يعمل بها شيئاً مما يعمل بأصابعه المفردة ذات المفاصل والأنامل من فتون الأعمال والبسط والقبض والثاني لما يريد من الحوائج إلى هنا كلامه فعلى هذا الوجه يكون قادرين حالاً موبخة على أسلوب قوله تعالى: ﴿قل نعم وأنتم داخرون﴾ [الصافات: ١٨] في جواب قوله تعالى: ﴿إنذا متنا وكنا تراباً﴾ [المؤمنون: ٨٢] الآية.

قوله: ﴿فيجوز أن يكون استفهاماً وأن يكون إيجاباً فإن قدر أنه معطوف على ﴿أيحسب﴾ [القيامة: ٣] بالهمزة لا يكون استفهاماً بل يكون إيجاباً وإن اعتبر أنه عطف على ما دخل عليه الهمزة أعني أيحسب يكون استفهاماً مثله والمعنى بل أريد.

قوله: ليدوم على فجوره معنى الدوام مستفاد من ﴿ليفجر﴾ [القيامة: ٥] مقروناً مع صريح لفظ الإنسان فإنه للجنس يعني من شأن الإنسان ذلك وجيلته تفتضي الشهوات إلا من عصمه الله تعالى كقوله تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات﴾ [آل عمران: ١٤] الآية ولذلك كرر لفظ الإنسان.

(١) وأنه تشيع بأنه ليس بلاق بالإنسانية إذ مقتضاء الطاعة.

وجه واللام في ﴿ليفجر﴾ [القيامة: ٥] زائدة فيكون مفعول يريد أو للمتعليل فيكون المعنى بل يريد الإنسان شهوة ردية ليفجر الخ كما مر في نقائره كقوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم﴾ [الأنفال: ٣٣] وقوله تعالى: ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ [النساء: ٢٦] وضمير إمامه للإنسان كما هو الظاهر وكونه ليوم القيامة بعيد.

قوله تعالى: يَنْتَظِرُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾

قوله: (يسأل أيان يوم القيامة متى يكون استبعاداً أو استهزاء) يسأل ترك العطف لأنه استئناف بياني كأنه قيل لم يريد الدوام على الفجور فأجيب بأنه يسأل الخ وحاصله لأنه باقي على إنكار البعث أو حال تفيد ما افاده الاستئناف وكونه تفسيراً أو بدلاً من ليفجر بدل الاشتغال ضعيف قوله أيان خبر مقدم ويوم القيامة مبتدأ مؤخر لأن يوم القيامة اسم ظرف لا ظرف.

قوله تعالى: فَإِنَّا بَرَقَ الْبَرْقُ ﴿٧﴾

قوله: (تحير فزعاً من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة فيه) تحير فزعاً معنى مجازي له لزم له كما نيه عليه بقوله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره أي فدهش بصره من كمال تلالؤه وشدة ضيائه قال تعالى: ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ [البقرة: ٢٠] قال الجوهري برق السيف وغيره ببرق من باب نصر بروقاً أي تلالاً والاسم البريق وبرق البصر بكسر الراء يبرق برقاً إذا تحير فلم يطرُق فإذا قلت برق البصر بفتح الراء فإنك تعني بريقه إذا شخص انتهى قوله فزعاً هذا حال حال أصحاب البصر فاستاده إليه مجاز كقوله تعالى: ﴿أبصارها خاشعة﴾ [النازعات: ٩].

قوله: (أو من البريق بمعنى لمع من شدة شخصه) أو من البريق عطف على قوله من برق الرجل أو عطف على قوله وهو لغة فيه وهو الظاهر بمعنى لمع فحيثما يكون الإسناد حقيقياً من شدة شخصه وهو فتح عينه من غير أن تطرق.

قوله: (وقرىء يلق البصر من يلق الباب أي انفتح) يلق البصر أي انفتح فهو لازم وهذا مال كون برق من البريق ولم يلفت إلى كونه بمعنى أغلق على أنه من الأضداد لأن الموافق للقراءة الأولى بمعنى الانفتاح.

قوله تعالى: وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾

قوله: (وذهب ضوءه وقرىء على بناء المفعول) الأولى وذهب نوره.

قوله تعالى: وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾

قوله: (في ذهاب الضوء) فالجمع مجاز عنه ولم يذكر ذهاب ضوء الشمس وحدها لأنه معلوم من ذكر خسف القمر إذ علة خسفه وهي كونه من علامات يوم القيامة متحققة فيه أيضاً ولم يعكس لأنه أريد الترقي.

قوله : (أو الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فإنه مستعار للمحاق) أو الطلوع من المغرب فيحتمل الجمع على ظاهره ولا ينافيه أي جمعهما الخسوف فإنه مستعار أي حيثل للمحاق بثلاث الميم والخسوف حيثل عبارة عن استتاره لا عبارة عن ذهاب نوره بالمرة كما في الوجه الأول ولا يتمشى هذا الوجه إذا ذكر ذهاب ضوء الشمس وحدها فلا حاجة إلى أن يقال يجوز أن يكون الخسوف في وسط الشهر والجمع في آخره لأنه مع أنه بناء على اصطلاح أهل الهيئة لا يناسب المقام لأن المراد بالخسوف ذهاب ضوءه بالكلية علامة للساعة .

قوله : (ولمن حمل ذلك على أمارات الموت أن يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر) ولمن حمل ذلك أي برق البصر على شخوصه عند النزوع والاحتضار لأنه ينكشف له الأمر حيثل فيعلم حقيقة ما أخبر به فيفتح بصره أن يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والقمر بالبصر لأنه هو المناسب له .

قوله : (والجمع باستتاع الروح الحاسة في الذهاب) والجمع أي فسر جمع الشمس والقمر باستتاع الروح الذي كالشمس حاسة البصر التي كالقمر على طريق الاستعارة فإن نور البصر بسبب الروح ونور القمر بسبب الشمس كما ذهب إليه أصحاب الهيئة قوله في الذهاب أي ذهاب الروح بزهو قها وذهاب الإحساس للحاسة بذهاب الخ .

قوله : (أو بوصوله إلى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس) أو بوصوله أي الروح ولتاويل الروح بالمذكور جعل الضمير مذكراً قوله من سكان القدس متعلقاً بنقتبس على أنه يدل من قوله منه قوله أو بوصوله عطف على قوله باستتاع الروح أي فله أن يفسر الجمع بوصول الروح إلى من كان يقتبس الروح نور العقل أي نور الإدراك والمراد بسكان القدس الأرواح المقدسة أي المنزهة عن النقائص المبعدة عن نور الأنوار فالقمر مستعار للروح والشمس لسكان الملأ الأعلى لأنهم يقتبسون منهم اقتباس القمر من الشمس

قوله : ولا ينافيه الخسوف فإنه مستعار للمحاق هذا جواب لما عسى يسأل ويقال إن سبب الخسوف حيلولة الأرض بين القمر وبين الشمس وعند اجتماع القمر مع الشمس في الطلوع من المغرب لا يوجد سبب الخسوف فكيف يتصور الخسوف عند اجتماعه مع الشمس والجواب أن الخسوف استعير للمحاق أي لذهاب النور منه والمحاق من محقه بمحقه أي أبطله ومحاه أو هو ثلاث ليال في آخر الشهر يصير القمر فيهن ناقص النور غاية النقصان بل لا يبقى نوره في آخر الليلة في وجهه المقابل لنا فأشبه حال حين اجتماعه مع الشمس في الطلوع من المغرب في ذهاب نوره حال انخسافه وقت الحيلولة فاستعمل اللفظ الموضوع للمشي به في المشبه على طريقة الاستعارة المصروفة ويلزمه تشبيه ذهاب نوره بالانخساف فغير بالخسوف عن ذهاب النور .

قوله : أو بوصوله إلى من كان يقتبس منه النور فيكون من باب الاستعارة حيث شبه الروح بالقمر وسكان القدس بالشمس فكما أن القمر يستفيد النور من الشمس كذلك الروح يستفيد نور العقل من سكان عالم القدس وشبه اجتماع الروح مع القديسين باجتماع القمر مع الشمس .

آخر هذا الاحتمال لأنه ضعيف بعيد من وجوه شتى تعرف بالتأمل الأخرى ومعظم وجوه الضعف مخالفته لقاعدة الشرع في استفادة القمر نوره من الشمس والاستعارة مبنية عليه وتشبيه الروح بالقمر ليس بمتعارف بل المتعارف تشبيهها بالشمس والعقل بالقمر في ازدياده وانتقاصه وأيضاً الكلام لبيان علامة يوم القيامة وارتباطه بهذا الاحتمال بما قبله من حيث إن معناه إذا جاءت مقدمات الموت ينكشف الأمر له ويرتدع عن السؤال والاستهزاء وهذا مع بعده عن المرام لا يفيد إذ الارتداد عن السؤال حينئذ لا ينفع وبالجملته لما قال منكر البعث أياك يوم القيامة استهزاء رده الله تعالى بأن وقته لا يجليه لأحد وأن بيانه لا يلائم الحكمة فالمناسب ببيان أماراته وعلامته فشرع ببيان بعض أشراطه فقال: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ [القيامة: ٧] الآية وهذا مقتضى جزالة النظم الجليل وما ذكره البعض عدول عن النهج المستقيم.

قوله: (وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف) وهو جمع مع أن الشمس مؤنث لتقدمه على الفاعل وهو المصحح لتذكير الفعل ووجوب التأنيث إذا تأخر الفعل وأستد إلى ضميره قوله وتغليب المعطوف وهو المذكر وهو المصحح وهذا مما لا حاجة إليه لكنه ذكره للتقوية فالمراد بالتغليب معناه اللغوي أي روعي جانب المعطوف فذكر الفعل مع كونه مقدماً على الفاعل سواء كان وجهاً مستقلاً أو لا والاعتراض عليه والجواب عنه مما لا طائل تحته فإن الأمر فيه سهل.



قوله تعالى: يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنِّي لَكَلَّمْتُ

قوله: (أي الفرار بقوله قول الآيس من وجدانه المتمني) أي يقول الإنسان ذلك مثل قول الآيس من وجدانه متعلق بالآيس المتمني مفعول وجدانه المقول محذوف أي يقول أين المتمني مثل أين صاحبي حيث لا يرى شيئاً من علامة إصابته وآيس من وجدانه وكذا هنا لأنه يقن أن لا فرار ولكن لكمال دهشته اختلط عقله فيقوله واطهر الإنسان لما مر من كمال التفرق في الذهن مع بعد مرجع الضمير وأيضاً فيه تنبيه على أنه لم يعمل بمقتضى الإنسانية فأهلك نفسه وتمنى ما لا يمكن نياله.

قوله: (وقرى بالكسر وهو المكان) أي بكسر الفاء على أنه اسم مكان لأنه من فر يفر من الباب الثاني والقياس مفعول بكسر العين.



قوله تعالى: كَلَّا لَا وَزَرَ

قوله: (ردع عن طلب المعفر) أي الفرار أو مكان الفرار والطلب بحسب الظاهر أو الطلب وإن كان طلب الآيس فإنه قبيح أيضاً بل اشنع من الطلب الحقيقي لأنه اشتغال بها لا بعينه مع علمه بذلك.

قوله: (لا ملجأ مستعار من الجبل) إذ الوزر الجبل فإنه ملجأ فاستعير للملجأ غير الجبل والعلاقة مطلق الملجئية قبل ثم شاع وصار حقيقة لكل ملجأ فلا ينافي هذا قوله في

الكشاف كل ما التجأت إليه من جبل أو غيره وتخلصت به فهو وزر ويحتمل أن يكون مراده أن الوزر حقيقة في الجبل ومجاز في غيره وبهذا الاعتبار قال كل ما التجأت إليه وهذا هو الملائم لكلام المصنف.

قوله: (واشتقاقه من الوزر وهو الثقل) ولما كان الجبل ثقيلاً أطلق عليه الوزر والمراد بالاشتقاق الأخذ وهو يجري في الجوامد.

قوله تعالى: **إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ لِّلشَّعَرِ** ﴿١٢﴾

قوله: (إليه وحده استقرار العباد) إشارة إلى الحصر المستفاد من تقديم المعمول على عامله استقرار العباد أي المستقر مصدر ميمي وقيل الحصر مستفاد من تقديم الخبر لا مستفاد من تقديم معمول المصدر بناء على جواز تقديم معموله إذا كان ظرفاً ومعنى كون استقرارهم إليه تعالى كناية عن أنه لا ملجأ غيره.

قوله: (أو إلى حكمه استقرار أمرهم) بتقدير المضاف في ﴿إلى ربك﴾ [القيامة: ١٢] استقرار أمرهم أي المستقر مصدر أيضاً واللام عوض عن المضاف إليه وهو العباد بتقدير المضاف أي الأمر وهذا مآل الوجه الأول وتفصيله والفرق بالإجمال والتفصيل.

قوله: (أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار) أي المستقر اسم مكان بتقدير المضاف أيضاً وهو المشيئة هنا أخرى لأن الأول هو الملائم لقولهم أين المفر أي الفرار ولقوله: ﴿كلا لا وزر﴾ [القيامة: ١١] وهو مفرهم بعد الحشر وهو دار الخلود ولذا قال يدخل من يشاء الجنة من السعداء ويدخل من يشاء النار من الأشقياء وهذا وإن كان متعيناً بالوعد في الدنيا لكن الدخول بالإرادة إذ لا وجوب كما لا يهاب نعم فيه نوع ركافة ولعل لهذا أخرى الأولى موضع استقرارهم لكن نبه به على أن الاستفعال بمعنى الثلاثي وفي قوله من يشاء الجنة الخ إشارة إلى أن الإنسان في يقول الإنسان عام للابرار والأشرار فحينئذ يكون إسناد القول إلى الجنس باعتبار بعض أفرادهم والقول بأنهم يقولون جميعاً أين المفر لكمال شدة الهول ضعيف إذ السعداء على بهجة وسرور.

قوله تعالى: **يُبَيِّنُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ مَّا قَدَّمْ وَأَخَّرَ** ﴿١٣﴾

قوله: (يشأ الإنسان) فصله عما قبله وأظهر الإنسان لاستغلاله والظاهر أن الإنبياء بالفعل فإنه أقوى من الإخبار بالقول وإن كان مجازاً.

قوله: (بما قدم من عمل عمله وبما أخر منه) في حياته قبل مماته والإنبياء بالجزاء خيراً كان أو شراً وبما أخر منه أي من عمل لم يعمله والإخبار به عدم الجزاء فيكون متحسراً أبداً هذا في عمل الخير وهذا أي إطلاق ما أخر على ترك العمل مجاز مشهور ملحق بالحقيقة وإن عمم إلى عمل الشر فالإخبار به عدم الجزاء فيكون مسروراً بسرور سرمدى وكذا الكلام في عمل القبيح وجوداً وعدمًا بالنسبة إلى الكفار.

قوله: (أو ما قدم من عمل عمله وبما آخر من سنة حسنة أو سيئة عمل بها بعده) أو بما قدم بالمباشرة خيراً كان أو شراً وبما آخر من سنة أي من طريقة حسنة أحدثها أو من سنة سيئة أحدثها وعمل بها فإنه يثاب أو يؤاخذ بالسيئة إلى يوم القيامة لا بالمباشرة مثلاً من سن القتل بغير حق فوزر القتل الذي فعل بعده عليه بالسيئة لا وزر القتل فالسيئة فعل نفسه لا فعل غيره فلا إشكال بقوله تعالى: ﴿أَلَا تَرَىٰ وَاذَرَهُ وَزَرَ أَخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨] الخ وكذا الكلام في عمل الخير وقد مر توضيحه في تلك الآية ونحوها.

قوله: (أو بما قدمه من مال تصدق به وبما أخره فخلفه أو بأول عمله وآخره) أو بما أخره فخلفه لورثته أو لمن أوصى له أو لوقفه والكل عمل خير ثياب عليه قوله أو بما قدم من عمله في حياته في ثلاثين مثلاً وآخره في حياته وأيضاً في أربعين فحينئذ لا مجاز وما قدم من الوجوه الأربعة ف باعتبار المتبادر من اللفظ ثم فثم وظهر أن هذا البين أن الإنباء عام لحسن الحال وسوء الأعمال بل الوجه الثالث مختص بالعمل الصالح فالتخصيص بسوء الحال من أسوء المقال.



قوله تعالى: يٰۤاَيُّهَا النَّاسُ عَلٰى قِيَرٍۭ بَصِيْرَةٌ ﴿١٤﴾

قوله: (حجة بينة على أعمالها) تفسير بصيرة إذ موصوفها حجة بمعونة المقام والبصيرة الإدراك بالقلب فيكون بينة مجازاً على أعمالها حسنة أو سيئة.

قوله: (لأنه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز) لأنه شاهد بها حيث ينطق أعضاؤه الستهم وأيديهم وأرجلهم وصفها بالبصارة أي الإبصار بالعين على المجاز في الإسناد لأنه وصف جزئه وهو العين وهذا غير ما ذكرناه من معنى البصيرة لكن المصنف جعلها مؤنث بصير بتأويل الإنسان بالنفس^(١) وإلا فلا وجه للتأنيث.

قوله: (أو عين بصيرة بها) عطف على حجة بينة وبها متعلق بمقدر أي تبصر بها إطلاق العين على الإنسان على التشبيه البليغ قوله على نفسه بصيرة كما في الأول والمراد على أعمالها بتقدير المضاف كما نبه عليه بقوله حجة بينة على أعمالها ويحتمل على هذا الوجه أن يكون الإنسان مبتدأ وبصيرة مبتدأ ثانياً وعلى نفسه خبر الثاني والجملة خبر الأول والعائد من الجملة إلى المبتدأ الأول ضمير نفسه وهو تكلف.

قوله: حجة أو بينة على أعماله يعني بصيرة صفة لموصوف محذوف وهو حجة أو بينة وصف الحجة بالبصارة مجازاً حيث شبه الحجة بشخص ذي بصارة فأثبت لها لازم المشبه به وهو البصارة تخيلاً كما وصف الآيات بالإبصار في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مَبْصُرَةٌ﴾ [النمل: ١٣] والتجاوز فيه إما هو على مذهب صاحب الكشف في الاستعارة بالكناية والسكاكي في التخيل أو على الإسناد المجازي حيث أسند بصيرة إلى ضمير الحجة.

(١) وقيل التاء للمبالغة وقيل المراد جوارح إنسان بصيرة.

قوله: (فلا يحتاج إلى الإنباء) إشارة إلى ارتباطه بما قبله وأن كلمة بل للترقي أي ينبا الإنسان بأعماله بل هو يومتد عارف بكيفية أحواله شاهد على نفسه ومع أنه لا حاجة إليه الإنباء متحقق ولذا جعل بل للترقي .

قوله تعالى: **وَلَوْ أَنَّ لِلْمُغْرِبِينَ**

قوله: (ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به) هذه الجملة حال من فاعل ينبا الإنسان أو من المستكن في بصيرة أي هو بصيرة على أعمال نفسه بالشهادة المقبولة ولو فرض اعتذاره بكل مقدرة أو ينبا بأعماله ولو اعتذر الخ فإن الاعتذار لا نفع له بعد ظهور الحق ظهوراً باهراً وإنما قلنا ولو فرض اعتذاره لأنه لا يؤذن فيعتذرون أي لا اعتذاراً لهم كما سيحيي في أواخر والمرسلات في قوله ولو جاء إشارة إلى أن الالتقاء مستعار للمجيء حيث شبه المجيء بالعدر بالقاء الدلو في البئر للاستسقاء به فيكون فيه تشبيه بسبيه للماء المروي للعطش كذا قيل وفيه تأمل لأن الإلقاء هو الطرح مطلقاً لا طرح الدلو في البئر بخصوصه إلا أن يتمحل ويقال إنه بمعونة المقام لافادة التشبيه المذكور من تشبيه العذر بالماء إن كان موجوداً مقبلاً .

قوله: (جمع معذر وهو العذر) وهو القياس ولذا قدمه أو جمع معذرة على غير قياس إذ القياس معاذر بغير باء نظيره المناكير جمع المنكر وهذا وإن خالف القياس لكنه موافق للاستعمال فلا ينافي الفصاحة .

قوله: (أو جمع معذرة على غير القياس كالمناكير في المنكر فإن قياسه معاذر) ولا يقال إنه على وفق القياس والياء تولدت من اشباع الكسرة لأن الاشباع ليس متعارفاً في غير البيت مع أنه يرتفع الأمان وأيضاً لا نجد غير القياس الذي صرح به الأئمة بنحو نعل يمثل هذا التعسف .

قوله: (وذلك أولى) أي كونه جمع معذر أولى لما مر من أنه على القياس أنسب بالفصاحة ثم قال قال وفيه نظر لأن كون المعذر بمعنى العذر لم يسمع من الثقة بل المسموع كونه بمعنى الستر والأولوية فرع الثبوت إلا أن يقال إن أصل معناه الستر للعذر لأنه من جملة المستورين فالمعنى حينئذ ولو أرخى مستوره .

قوله: فلا يحتاج إلى الإنباء فللفظ بل للترقي من البيان إلى العيان والمعنى أنه ينبا الإنسان بأعماله وإن لم ينبا فيه ما يغني عن الإنباء لأنه شاهد عليها بما عملت لأن جوارحه تنطق بذلك «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون» [النور: ٢٤] .

قوله: ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به معنى الكلية مستفاد من جمع المصدر الدال على الأنواع .

قوله: وذلك أولى أي كونه جمع معذرة أولى من كونه معذر لأن مجيء معذر بمعنى عذر في استعمال العرب غير معلوم .

قوله: (وفيه نظر) إشارة إلى السؤال والجواب معاً.

قوله تعالى: لَا تَحْزَنْهُ يَوْمَ يُسَازِنُكَ تَسْحَبَلٌ يَوْمَ (١٧)

(يا محمد بالقرآن قبل أن يتم وحيه).

قوله: (لتأخذه على عجل مخافة أن يتفلس منك) نية به على أن الباء للتعدية وعن الشعبي عجل به من حبه إياه وهذا هو الأولى بمنصب النبوة لكن النهي بلا تحرك به يلائم ما ذكره المصنف قوله: ﴿إِنْ عَلَيْنَا﴾ [القيامة: ١٩] الخ يناسب ما اختاره المصنف قوله قبل أن يتم وحيه مستفاد من قوله: ﴿لَتَسْجَلُ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦] ومن قوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤].

قوله تعالى: إِنْ عَلَيْنَا جَمْعٌ وَقُرْآنٌ (١٧)

(في صدرك).

قوله: (وإثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي) والتعبير بصيغة الوجوب للمبالغة قوله في صدرك لأنه مقر الجمع والحفظ ومنشأ إثبات قراءته في اللسان ولذا قدم الجمع.

قوله تعالى: فَإِذَا قَرَأْتَ فَالْيَعِ قُرْآنُكَ (١٧)

قوله: (لسان جبريل عليك) فيه تنبيه على أن الإسناد مجاز للتعظيم.

قوله: (قراءته وكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك) أشار إلى أن القرآن مصدر لا بمعنى المقر وإذ القرآن في اللغة مصدر بمعنى القرآن غلب في العرف العام على المجموع المعين من كلام الله تعالى المقر وعلى السنة العباد والمراد هنا المعنى اللغوي بقرينة فإذا قرأناه الخ قوله وكرر منهم من الفحوى إذ المراد بالاتباع الثفر في الذهن ولا يقال إنه لا يلائم ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ﴾ [القيامة: ١٧] أي في صدرك لأنه بانضمام الكسب.

قوله تعالى: ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا مِثْلُ بِلَابٍ (١٨)

قوله: (بيان ما أشكل عليك من معانيه) فضلاً عن غيرك والمعنى ما خفي عليك لكونه مجعلاً محتلاً لمعانٍ كثيرة أو لغير ذلك كما فصل في أصول الفقه.

قوله: (وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب) إن أريد بيان التفسير والتفسير فيجوز تأخيره عن وقت الخطاب اتفاقاً لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾

قوله: (وفيه نظر أي في كون المعاذير جمع معذرة نظر لخروجه عن قانون الجمع فالأولى ما قاله صاحب الكشاف من أنه اسم جمع للمعذرة لا جمع لها قال صاحب الفرائد يمكن أن يقال الأصل فيه معاذر فحصلت الياء بإشباع الكسرة وكذا المناكير أصله المناكير.

قوله: وهو تعليل للنهي أي قوله: ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ﴾ [القيامة: ١٧] الآية تعليل لقوله عز وجل: ﴿لَا تَحْزَنْ بِهِ لِسَانُكَ﴾ [القيامة: ١٦] إما لأنه مقدر باللام الجارة وإما لأنه استئناف واقع جواباً للسؤال عن علة النهي.

[القيامة: ١٧] وبيان التغيير لا يصح متراحياً إلا عند ابن عباس رضي الله تعالى عنهم واختلف في التخصيص بالكلام المستقل فعند الشافعي يصح متراحياً وعندنا لا بل يكون نسخاً كذا في التوضيح وهذا الأخير هو مراد المصنف وتام البحث في فن الأصول قوله عن وقت الخطاب لأن التأخير عن وقت الحاجة لا يجوز اتفاقاً لأنه تكليف بما لا يطاق ونقل عن الآمدي أنه قال يجوز أن يراد بالبيان الإظهار لا بيان المجمع ويؤيده أن المراد جميع القرآن والمجمع بعضه وما ذكره الآمدي هو المروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فإنه قال في تفسير إن علينا أن نقرأ أي أن نظهره فالمراد بيان التفسير والتفسير كما نقلناه عن التوضيح فلا يتم الاستدلال بهذه الآية على جواز تأخير بيان المجمع عن وقت الخطاب.

قوله: (وهو اعتراض يؤكد التوبيخ على حب العجلة لأن العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو أهم الأمور وأصل الدين فكيف بها في غيره) دفع اشكال أورده بعض الزنادقة خذلهم الله تعالى حيث أنكر مناسيته لما قبله وما بعده وقال إن هذا القرآن قد غير وبدل فزيد عليه ونقص وأشار المصنف إلى رده ببيان المناسبة بوجوه الأول أنه كلام معترض بين ما قبله وما بعده تأكيداً لما تضمنه من التوبيخ على العجلة والعجلة في الثاني ظاهر وأما في قوله بل يريد الإنسان الخ فلأنه^(١) من شدة حرصهم على استيفاء الشهوات العاجلة والعجلة فيه حتى لم ينظروا إلى ما دل على صحة البعث ووقوعه فالعجلة إذا كانت مذمومة فيما هو أهم الأمور وهو الأخذ بالوحي حيث قال تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ [القيامة: ١٦] فكيف لا تكون مذمومة في غير المهم وهو العجلة في حب الشهوات العاجلة فاتضح فائدة الاعتراض المصطلح وهو التوبيخ على ما جبل عليه الإنسان من العجلة قال تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ [الأنبياء: ٣٧] وهو أبلغ من قوله: ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ [الإسراء: ١١] فالمناسب له السعي في العمل بخلافها وهو الثاني ولو كان من أمر الدين والعجلة الممدوحة في بعض الأشياء مستثنى منه.

قوله: (أو يذكر ما اتفق في أثناء نزول هذه الآيات) والمراد بالآيات الآيات الناطقة بإنكار البعث في هذه السورة الكريمة فلما عجل عليه السلام في تلقيها عن جبريل عليه السلام فقبل له لا تحرك به لسانك لتعجل به نهياً له عما صدر في تلقي هذه الآيات وهذا كثير للمعلم حين التعليم إذا التفت إلى اليمين والشمال مثلاً لا تلتفت إلى يمينك ويسارك ثم شرع إلى تقرير الدرس وهذا كثير أيضاً في المحاورات وقدماء الزنادقة لزيادة عتوهم واختلاط عقولهم لم يفهموا ذلك فالمناسبة بهذا الاعتبار واضحة وإن سلم أن لا مناسبة بين أجزاء الكلام الموحى به وهذا استطراد واعتراض بالمعنى اللغوي لا بالمعنى الاصطلاحي بخلاف الوجه الأول فإنه اعتراض بالمعنى الاصطلاحي كما عرفت غاية الأمر أن الاعتراض هنا مستعمل مرة في المعنى الاصطلاحي كما في المعطوف عليه وأخرى في المعنى اللغوي كما

(١) فيكون بل يريد الإنسان في معنى بل يحب العجلة.

في المعطوف ولا ضمير فيه إذا قامت قرينة عليه أخرى لأنه خلاف الظاهر حيث أمكن الاعتراض بالمعنى المصطلح وأيضاً تخصيص الكلام بهذه الآيات بعيد إذ الظاهر العموم كما ظهر من قوله تعالى في طه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ يَقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤] الآية.

قوله: (وقيل الخطاب مع الإنسان المذكور والمعنى أنه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفاً فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فإن علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من أعمالك وقراءته ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَانْتَبِهْ﴾ [القيامة: ١٨] بالإقرار والتأمل فيه ثم إن علينا ببيان أمره بالجزاء عليه) وقيل الخطاب بقوله: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦] للإنسان في قوله: ﴿أَبْهَسِبَ الْإِنْسَانُ﴾ [القيامة: ٣] ولذا قال فيما مر لا تحرك يا محمد به أي بالقرآن احترازاً عن هذا الاحتمال الضعيف والمعنى أنه يؤتى كتابه المستفاد من قوله نبأ الإنسان الخ فيتلجلج أي فيتردد في الكلام قوله جمع ما فيه بتقدير المضاف مرضه مع أن الفعل استحسنه لأنه خلاف ما نطق به الحديث الصحيح كما قيل وأيضاً يحتاج إلى تقدير القول كما أشار إليه بقوله فيقال له ﴿لَا تَحْرُكْ﴾ [القيامة: ١٦] الخ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَلْجِئُكُمُ الْمَاجِلَةُ﴾

قوله: (ردع للرسول ﷺ عن عادة العجلة أو للإنسان عن الاغترار بالعاجل) لف ونشر على الاحتمالين أشار إلى الوجه الثالث وإن كان ضعيفاً عنده وكثيراً ما لم يتعرض الوجه الضعيف في مثله.

قوله: (بل تحبون وقوله: ﴿بَلْ تَحِبُّونَ﴾ [القيامة: ٢٠] الخ) ترقى في فحوى الكلام أي لا تردعون عن عادة العجلة ﴿بَلْ تَحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ [القيامة: ٢٠] حياً مفرطاً حتى تذرون الآخرة الخطاب لبني آدم المفهومين من سوق الكلام.

قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾

قوله: (تعميم للخطاب إشعاراً بأن بني آدم مطبوعون على الاستعجال) أي على العجلة والسين لا فائدة كمال العجلة لأن ما وجد بالطلب يوجد على وجه أتم وإلا فلا طلب بل كأنه طلب من نفسه العجلة قوله تعميم للخطاب الخ لكن عام خص منه البعض وهم الذين لم يذروا الآخرة أو إسناد ما للبعض وهم الكفرة إلى الكل إسناداً مجازياً.

قوله: (وإن كان الخطاب للإنسان والمراد به الجنس) ولا بد من التوجيه المذكور من التخصيص أو المجازي في الإسناد.

قوله: فيتلجلج لسانه أي يتردد المجلجة والتلجلج التردد في الكلام يقال الحق أبلج والباطل لجلج.

قوله: ردع للرسول ﷺ عن عادة العجلة هذا على أن يكون الخطاب في ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦] للرسول ﷺ وقوله أو للإنسان عن الاغترار بالعاجل على أن يكون للإنسان.

قوله: (فجمع الضمير للمعنى مع أن المرجع وهو الإنسان مفرد للمعنى) حيث أريد به الجنس أي الاستغراق بواسطة اللام.

قوله: (ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما) إذ الظاهر أن يرجع ضمير الغائب إلى المذكور سابقاً وإن جاز رجوعه إلى بني آدم الدال عليه القرينة قبل وعلى ما قبله غلب فيه النبي عليه السلام على غيره فلا التفات وتعميم الخطاب إليه عليه السلام في قوله: ﴿وتذرون الآخرة﴾ [القيامة: ٢١] مشكل والظاهر الالتفات أو المجاز في الإسناد.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْكَافِرُ﴾

قوله: (بهية منهلة) أي حسنة نيرة لكمال سروره وظهور حبوره في وجوههم وعن هذا قيل وجوه الخ وهو كناية عن فرط مسرة أصحابها وجوه شريفة لا خسيسة وبهذا الاعتبار تقع النكرة مبتدأ كشرارها ذا ناب أو التنوين للتكثير أي وجوه كثير فهي في قوة النكرة المخصصة يومئذ يوم إذ إناء الإنسان بما قدم الخ ناضرة خير وعامل في يومئذ.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

قوله: (تراه مستفرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول) تراه بغير كيف ولا جهة قوله مستفرقة الخ ولذا قيل فيشون النعيم إذا رآه فبا خسران أهل الاعتزال وهو دليل لنا على رؤية الله تعالى في الجنة أي حال كوننا في الجنة وهو منزوع عن الجهة والمكان ولذلك أي ولكون المعنى ما ذكر قدم متعلقه أي إلى ربها عليه وناضرة خير ثانٍ أو صفة لناظرة والقول بأن ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة ضعيف لأن ناضرة كالناظرة في عدم المعلوماتية فجعل أحدهما صفة والآخر خبراً تحكّم.

قوله: (وليس هذا في كل الأحوال حتى يتنافيه نظرها إلى غيره) وليس هذا جواب عن إشكال الزمخشري بأنه لو كان النظر بمعنى الرؤية لم يصح الحصر إذ قصر النظر غير واقع فأجاب بأنه في وقت ما لا في جميع الأوقات أي القضية ليست بدائمة بل المشروطة العامة أي وجوه ناظرة إلى ربها فقط ما دامت ناظرة لقيام القرينة القوية على أن القضية ليست بدائمة والمراد بالوجوه أصحابها ففيه جمع بين الحقيقة والمجاز وهو جائز عند المصنف ولمن لم يجوزه حملته على عموم المجاز.

قوله: (ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء وجه التأييد كون ضمير الفاعل في الفعلين متعيناً لأن يكون للإنسان).

قوله: ولذلك قدم المفعول وهو إلى ربها للتخصيص أي ﴿إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٣] لا إلى ما سواه.

قوله : (وقيل منتظرة إنعامه) وهذا مذهب الزمخشري لإنكار المعتزلة رؤية الله تعالى ويدعون امتناعها لأن النظر قد يجيء بمعنى الانتظار.

قوله : (ورد بأن الانتظار لا يستند إلى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر) ويرد عليه أن الرؤية قد لا تستند إلى الوجه أيضاً فلا بد من تفسيرها بالجملة أي بالذات قوله خلاف الظاهر غير مسلم لأنه مجاز متعارف فالرد الصحيح قوله وأن المستعمل بمعناه الخ ورد أيضاً بأن الزمخشري لم يقل النظر بمعنى الانتظار وإنما قال لأنه نظر العين للوجه وهو كناية عن توقع الإحسان ورجائه فالصواب أن الانتظار والتوقع لا يلائم المقام والمناسب لمدح هؤلاء ذكر ما أفاض عليهم من الإنعام.

قوله : (وأن المستعمل بمعناه لا يعنى بالي) هذا بناء على أن إلى حرف وأما إذا قيل إنه بمعنى النعمة والنظر بمعنى الانتظار كما قال وقيل منتظرة إنعامه فإنه ظاهر فيما ذكر اتدفع هذا الجواب والرد بأن هذا بناء على أن إلى اسم بمعنى النعمة واحد الآلاء بعيد ضعيف لأنه لا بد من إبطال كون إلى بمعنى النعمة ودعوى البعد غير مسموع بلا بيان والحق في الجواب أن الأحاديث الصحيحة الدالة على الرؤية تدل على ما قلناه فلا يصار إلى كناية ولا إلى كون إلى بمعنى النعمة وتامم الكلام في علم الكلام.

قوله : (وقول الشاعر وإذا نظرت إليك) لا يدرى قائله هل يستشهد بقوله أم لا ومراده الاستشهاد على كون النظر بمعنى الانتظار ورد المصنف بأنه بمعنى السؤال لا الانتظار فإن الانتظار المجرد عن السؤال لا يستعقب العطاء وهنا استعقب العطاء وكون النظر بمعنى السؤال لأنه مستلزم للسؤال إذا عدي باللام يقال نظر له أي رحمه وهو يستلزم الاسترحام فلا وجه للقول بأنه بعيد.

قوله : وإن المستعمل بمعناه لا يعنى بالي أي المستعمل بمعنى الانتظار لا يعنى بكلمة إلى بل يعنى بنفسه ولذا قال منتظرة إنعامه حيث لم يقل إلى إنعامه.

قوله : وقول الشاعر دفع لما صي يسأل أنت قلت النظر الذي بمعنى الانتظار لا يعنى بالي وما وقع في هذا البيت بمعنى الانتظار والحال أنه عدي بالي فدفعه بأن ذلك ليس بمعنى الانتظار بل هو بمعنى السؤال والتوقع لأن الانتظار لا يستعقب العطاء والمستعقب للعطاء مثل السؤال والتوقع وغيرهما فحمل النظر على معنى السؤال بقرينة زدتني نعماً والمعتزلة لما أنكروا الرؤية صرفوا معنى النظر في الآية إلى معنى الانتظار المراد منه التوقع والسؤال ويقولون معنى التخصيص المستفاد من تقديم المفعول يأتي أن يكون النظر بمعنى الرؤية لأن المنتظر إليهم حيث يتجلى أكثر من أن يحصى فإذا كان كذلك يجب أن يحمل النظر على المحاز في معنى التوقع والسؤال فحيث يتجلى يكون معنى التخصيص صحيحاً والمعنى لا يتوقعون النعمة والكرامة في ذلك اليوم إلا من ربهم وأجاب صاحب التقریب عنه إنما خص به مع أنهم ناظرون إلى أشياء لأن نظرهم إلى وجهه الكريم يباين النظر إلى غيره فذلك النظر يختص به تعالى وقال صاحب الفرائد استدلاله ضعيف لاحتمال أن يكون المراد أن رؤيتك نعمة زائدة على النعم ولا يلزم من الاختصاص اللازم من التقديم أن لا

قوله: (من ملك) من تجريدية كمن في قوله لي من فلان صديق.

قوله: (والبحر دونك زدني نعماً بمعنى السؤال فإن الانتظار لا يستعقب العطاء) والبحر دونك جملة اعتراضية أو حال أي البحر دونك أي حائل بينك وبينه يعني أنه مع بعده عنه لا يزال يتقلب في نعمه أو المعنى أن البحر أقل منك جوداً لا يصل إلى كرمك وهذا هو المراد فإن أفصح الشعراء أكذبهم والمعنى أن ما وصل إلى من العطاء عاجز عنه البحر فلا يقال وحيث لا مستشهد له في البيت ووجوه كثيرة باعتبار العدد وأما كثرة الوجوه المذكورة أولاً فباعتبار العدد بضم العين والشرف ولذا قدمت يومئذ أي يوم قيام القيامة أعيد يومئذ لمزيد التقرير والتهويل.

قوله تعالى: وَوَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلْكَأَمَةِ

قوله: (شديدة العبوس) مقابل بهية منهلة ولم يذكر مقابل ﴿إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٣] لظهوره وقد ذكر في قوله تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥].

ينظروا يومئذ إلا إلى الله تعالى بل يلزم أن ينظروا إذا رأوا الله عز وجل في ذلك اليوم إلى شيء غيره ولأن التوقع الذي ذكر لا يختص بذلك اليوم ولأن المقام مقام الوعد والجزاء الحسن فلا يليق ما ذكر وقد نقل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال إذا دخل أهل الجنة الجنة يقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم وكيف يستبعد هذا والعارفون في الدنيا إنما استغرقوا في بحار الحب بحيث لم يلتفتوا إلى الكون وهم في مقام الفرق واشتداد مسالك الالتفات من القلب باستيلاء أنوار الكشف عليه وقال الإمام لا يمكن حمل النظر على الانتظار لأن لذة الانتظار مع يقين الوقوع حاصلة في الدنيا ولا بد أن يحصل في الآخرة شيء أزيد منه وليس ذلك إلا النظر إلى وجه الكريم ثم كلامه ويمكن أن يقال استدلاله بالتقديم ضعيف إذ ليس كل تقديم مفيداً للاختصاص بل التقديم يكون كثيراً لمجرد الاهتمام والحديث الذي روي مؤذن بالاهتمام حيث قيل فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم وحديث جابر فينظر إليهم وينظرون إليه ولا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم رواء ابن ماجه أو لرعاية الفاصلة فإن الفواصل ناضرة باسرة فاخرة ومما ينصر مذهب أهل السنة تفسير اعلم البرية على ما روي عن الإمام أحمد بن حنبل والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجه ربه سبحانه وتعالى غدوة وعشية» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] وروى السلمي عن أبي سلمان الداراني لو لم يكن لأهل المعرفة سرور إلا قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] لاكتفوا به وأي سرور أتم من وصول الحبيب إلى الحبيب والعارف إلى معروفيه.

قوله: وإذا نظرت إليك من ملك لفظه من في من ملك تجريدية والبحر دونك جملة معترضة تحتل وجهين أحدهما البحر بيني وبينك وثانيهما أن البحر أقل منك في الجود قال السجستاني لا حجة لهم في الشعر لأن النظر بمعنى التأمل لا يطلع عليه مخلوق ولذلك قال زدني نعماً.

قوله: (والباسل أبلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه) والباسل أبلغ من الباسر في الدلالة على شدة التعيس وعدل عن الأبلغ مع أنه المناسب للمقام لإبهامه غير المراد لأنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه بضم الكاف ما يظهر على الوجه في حال العيوس.

قوله تعالى: تَنْظُرُنَّ بِقُلُوبِكُمْ قَفْرَةً ﴿٢٥﴾

قوله: (تنوقع أربابها) قدر المضاف لأن التوقع حال صاحبها ولو أريد المبالغة بالإسناد المجازي لكان أبلغ وأشار إلى أن الظن بمعناه الحقيقي.

قوله: (داهية) عظيمة لا يحيط بها الأفهام ولا يعرب عنه الكلام.

قوله: (تكسر الفقار) يكسر الغاء عظم الظهر بيان لمأخذه واشتقاقه يعني فاقرة اسم الفاعل من الفقار فإنه قد مر مراراً أن الأخذ جار في الجوامد ومعناها ذات فقار كلابن وكونها ذات فقار بمعنى كسره ولذا قال تكسر الفقار وإلا فلا يعرف وجه كون معناه ذلك والقول بأن معناه فاعل الفقار وفاعليته بطريق الكسر قريب من المذكور أولاً ومنشأ هذا الظن إصابة الشدائد فيظن أن ما يصيبه بعده أشد منه كما أن الأبرار يظن أن النعم التي بعد هذه أجل وأعظم ولم يحمل الظن على المعنى اليقيني لأنه ليس المراد البلاء المحقق أصابه بل البلاء المنتظر الذي هو أشنع وأشد منه فهو مظلون لا مقطوع.

قوله تعالى: كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ أَهْلِيهَا ﴿٢٦﴾

قوله: (ردع عن إيشار الدنيا على الآخرة) ناظر إلى قوله: ﴿بَلْ تَحْبِرُونَ الْعَاجِلَةَ﴾ [القيامة: ٢٠] ومعنى إيشار الدنيا اشتغال اللذات الجسمانية واتهماكها منكراً للآخرة.

قوله: (إذا بلغت النفس أهليها) (١) معنى التراقي.

قوله: (واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها) إذ بلوغ التراقي حال النفس وأن الإنسان دل على النفس فيكون مذكوراً حكماً والمراد بالدلالة الدلالة الالتزامية.

قوله تعالى: وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾

قوله: (وقال حاضرو صاحبها من يرقيه مما به) أي ينجيهِ مما به أي من التوازل التي أصابت به.

قوله: إذا اشتد كلوحه الكلوح تكسر في عبوس.

قوله: داهية تكسر الفقار أي واقعة عظيمة تكسر فقار الظهر الفقار بالفتح عظام الظهر الفقارة واحدة تلك العظام والفقرة بالكسر مثل الفقارة.

(١) وفيه دليل على أن الروح عبارة عن الجسم اللطيف.

قوله: (من الرقية) أي راقٍ^(١) مشتق من الرقية بضم الراء وكسر القاف وتشديد الياء ما يقرأ عند المريض مثلاً من آيات الشفاء ونحوها للشفاء والاستشفاء إما على حقيقته فيكون طالباً من يرقى ويعوده كسائر الأوقات أو للإتكاف الوقوعي لأنه في وقت قرب الموت وظهوره أماراته وهذا هو الظاهر ولذا لم يطلب الطبيب أو قال ملائكة^(٢) الموت أيكم يرقى بروحه الخ هذا بناء على أن المراد بالإنسان الجنس الشامل للأبرار والأشرار ولا يتأنيه قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدْقَ﴾ [القيامة: ٣١] الخ لأنه من قبيل الاكتفاء ببيان حال أحد الفريقين وله نظائر كثيرة فإن حال السعداء لا يحتاج إلى التوضيح بخلاف الأشقياء ولذا شرح أحوالهم في آيات متعددة.

قوله: (أو قال ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب من الرقي) أي راقٍ على هذا الاحتمال من الرقي بضم الراء مصدر بمعنى الصعود لكن لا يلانمه قوله ملائكة العذاب فإنهم لا يصعدون بروح الكفار فيحتاج إلى التمثل إما بالتغليب أو بإسناد ما لبعض إلى الجميع ولهذا التمثل وما مر آخر هذا الاحتمال وضعفه.

قوله تعالى: وَنَزَّلَ اللَّهُ الْفِرَاقُ

قوله: (وظن المحتضر أن الذي نزل به فراق الدنيا) الفراق أي أيقن الفراق وعبر بالظن إما لتهكم أو لفراط حبه بالحياة الدنيا لا ينقطع رجاءه الحياة بالمرة وهذا هو الظاهر من كلام المص.

قوله: (ومحايها) بمعنى محبوباتها من الدنيا من الأموال والأولاد والأزواج وفائدة الاختيار بالظن الاعلام بما حصل له من الندامة على كسب المعاصي وعدم الاقتدار على التدارك ولذا لم يخبر بظن أصحابه الفراق وكذا المراد بقوله: ﴿وَالْتَفَتَ السَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩] الخ مع الإشارة إلى أن العاقل يتبغى له التدارك قبل حلول هذه الأوقات والحالات.

قوله تعالى: وَالتَّفَتِ أَتَانًا يَلْسَانِي

قوله: (والتوت ساقه يساقه) معنى التفت أي التفافهما عبارة عن اجتماعهما والتواء أحدهما إلى الآخر وميل أحدهما إلى الآخر بحيث يكاد وقوع اللف بينهما وللمبالغة عبر عن الالتواء بالالتفاف ساقه أي اللام عوض عن المضاف إليه.

قوله: (فلا يقدر تحريكها) تفريع على الالتواء المعبر عنه باللف مبالغة ولو لم يلاحظ الالتفاف لم يظهر التفريع.

(١) جميع ترقية وهي عظم وصل ما بين ثغرة النحر والعاتق.

(٢) وقال الكلبي يحضر العبد عند الموت سبعة من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب مع ملك الموت.

قوله: (أو شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة) عطف على ساقه أي التوت شدة فراق الخ أي الساق ليس بمعناه الحقيقي كما في الوجه الأول بل بمعنى الشدة مجازاً كما مر في سورة ن والقلم وهو وإن كان في الكشف عن ساق ظاهراً لأن المبثلى بمصيبة يشمر عن ساقه فهو لازم له لكنه شاع في الشدة ففهم من الساق وحده حتى صار عبارة عن شدة هائلة لكن أخره لأنه ليس في مرتبة كشف الساق فهنا المعنى الحقيقي هو الظاهر المتبادر فالساق الأول عبارة عن شدة فراق الدنيا والساق الثاني عن شدة خوف الآخرة والأبرار الصالحين مستنون عن هذا الحكم فهو عام خص منه البعض.

قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ النَّصَافُ ﴿٣٠﴾

قوله: (سوقه إلى الله) أي المساق مصدر ميمي مبتدأ آخر عن الخير لرعاية الفاصلة وللحصر أيضاً.

قوله: (وحكمه) فيه تنبيه على حذف المضاف في ﴿إلى ربك﴾ [القيامة: ٣٠] وفيه جناس ناقص بزيادة الميم.

قوله تعالى: فَلَا صَدَقَ وَلَا سَرَ ﴿٣١﴾

قوله: (﴿فلا صدق﴾ [القيامة: ٣١]) الفاء للسببية في الإخبار مسبب عن جواب إذا وهو إلى ربك المساق.

قوله: (ما يجب تصديقه أو فلا صدق ماله أي فلا زكاه) ما يجب تصديقه أي المفعول محذوف فهو من التصديق بمعنى الإذعان وهو الظاهر فلذا قدمه مع أنه مستلزم للثاني أو فلا صدق ماله فيكون صدق بمعنى تصديق تقدم معنى تقدم ولذا قال أي فلا زكاه.

قوله: (ما فرض عليه) والظاهر أن المراد بهما جميع الفروع التي تجب على المكلف كما في أكثر المواضع وقدم ﴿فلا صدق﴾ [القيامة: ٣١] لأنه أريد به الترفي ودخول لا على الماضي لتكرره.

قوله: (والضمير فيهما للإنسان المذكور في ﴿أيحسب الإنسان﴾ [القيامة: ٣٦])

قوله: أو فلا صدق ماله وهذا لا يناسب قوله: ﴿ولكن كذب﴾ [القيامة: ٣٢] قالوجه هو الأول. قوله: والضمير فيهما للإنسان المذكور في ﴿أيحسب الإنسان﴾ [القيامة: ٣٦] بدليل قوله: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ [القيامة: ٣٦] لأنه تكرير للمعنى بعد طول الكلام فعلى هذا تكون الفاء في فلا صدق لعطف هذه الجملة على جملة ﴿يسأل أبا ن يوم القيامة﴾ [القيامة: ٦] تعجيباً من حال الإنسان يعني يسأل أبا ن يوم القيامة ﴿فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢] أي يسأل وما استعد لشيء به نجاهه إلا إلى ما يوجب دماره وهلاكه وأما قوله: ﴿فإذا برق البصر﴾ [القيامة: ٧] فجواب عن السؤال في ﴿يسأل أبا ن يوم القيامة﴾ [القيامة: ٦] وقوله: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ [القيامة: ١٦] تخلص إلى ما استطرد من أحوال النبي ﷺ أقبح الجواب بين المعطوف والمعطوف عليه لشدة الاهتمام.

وفیه إشارة إلى أنه معطوف على قوله: ﴿یسأل أیام يوم القیامة﴾ [القیامة: ۶] وبه صرح الإمام ففیه دلالة على أن الکفار مخاطبون بالفروع في حق المأخذة في الآخرة كما مر قبل ولا بعد فیه معنى وإن بعد لفظاً للطول الفاحش بین المتعاطفين ويلزم منه كون ما ذکر بينهما جملاً معترضة وهو بعيد وفي لكشاف وهو معطوف على قوله: ﴿یسأل أیام يوم القیامة﴾ [القیامة: ۶] أي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى فلزم ما ذکر ولو قبل إنه معطوف على قوله: ﴿إلى ريك يومئذ المساق﴾ [القیامة: ۳۰] معنى فإن معناه سوفه إلى موضع أمره الله تعالى بسوقه إليه وهو مقر عذابه قبل البعث أي لا يؤمن بذلك فلا صدق الخ أو معطوف على مقدر أي لا يؤمن بالبعث فلا صدق الخ كما نيه عليه الزمخشري فقوله إنه معطوف على قوله: ﴿یسأل أیام يوم القیامة﴾ [القیامة: ۶] لدلالته على المعطوف عليه المحذوف لم يبعد.

قوله تعالى: وَلَکِنَّ کَذَبَ وَتَوَلَّى

قوله: (عن الطاعة) صلة تولى ومفعول كذب ما مر مما يجب تصديقه وهذا الاستدراك ظاهر على الوجه الثاني لأنه لا يلزم من نفي التصديق والصلاة التكذيب كما في عصاة المؤمنين وأما إذا كان من التصديق يلزم التكرار ووقوع لا بین أمرین متوافقین وهذا لا يجوز كما قاله أبو حیان والجواب أنه كما عرفت أنه معطوف على قوله: ﴿یسأل أیام﴾ [القیامة: ۶] الخ وقد مر أنه سؤال استهزاء فالمعنى أنه استبعد البعث وأنكره وكان هذا سبباً لعدم تصديق ما يجب تصديقه وإعراضه عن إثبات الفروع ثم أكد بذكر ما يضاده إذ عدم التصديق عام للتكذيب والشك وخالي الذهن والمقام مقام التوبيخ على مثالبهم وعن هذا اختير الإطناب ولو اكتفى بقوله: ﴿فكذب وتولى﴾ لكفى.

قوله تعالى: ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى آفِلَةٍ يَتَّبِعُونَ

قوله: (ثم ذهب) من موضع التكذيب وهو إما في حضور رسول الله عليه السلام أو في مجلس الصحابة.

قوله: (يتبخر افتخاراً بذلك) معنى يتمطى وهذا منشأ الاستبعاد افتخاراً بذلك أي بذلك التكذيب هذا مستفاد من العطف بـ ثم فإنه باعتبار أصله يفيد الترتيب وإن كان المراد بـ ثم الاستبعاد.

قوله: (من المطافان المتبخر يمد خطاه) أي يتمطى مشتق من المط وهو المد قوله فإن المتبخر الخ بيان المناسبة فيكون مجازاً ذكر اللازم وأريد الملزوم ثم شاع فيه وصار كالحقيقة صبغة المضارع بعد ذهب إذ التمثيل مستقبل بالنسبة إلى الذهاب وإن كانا ماضيين بالنسبة إلى وقت الإخبار وثم للاستبعاد لأن من تصدى بمثل ذلك ينبغي أن يخاف من غضب الله تعالى والحركة على خلاف ذلك مستغرب جداً.

قوله: (فيكون أصله يتمطط) فأبدل حرف المضاعفة الأخيرة ياء مثل تظلى وتفضى .

قوله: (أو من المطا وهو الظاهر فإنه يلويه) فيكون ألفه مبدلة من الواو فيكون أصله يتمطو وقلبت الواو ياء ويكون معناه أيضاً يتبختر فإن المتبختر يلوي ظهره ويحركه من جانب إلى جانب وجملة يتمطى حال من ضمير ذهب .



قوله تعالى: **أُولَئِكَ لَكَ فَآوْكَ**

قوله: (ويل لك من الولي وأصله أولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في «ردف لكم» [النمل: ٧٢] أو أولى لك الهلاك) ويل لك هذا حاصل معناه قال في سورة القتال افعل من الولي وهو القرب أو فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤول إليه أي إلى المكروه أمرهم وما ذكره هنا فمخالف لذلك بحسب الظاهر فإن قوله وأصله أولاك الله صريح في أنه فعل ماض من الأفعال بمعنى الدعاء من الولي بمعنى القرب واللام مزيدة ولذا قال وأصله أولاك الله بحذف اللام أي أولاك الله ما تكرهه وقربك إليه أو أولى لك أي أو أصله أو أولى لك الهلاك أي قربك الهلاك وحاصله أهلكك الله تعالى .

قوله: (وقيل افعل من الويل بعد القلب كآدنى من دون أو فعلى من آل يؤول بمعنى عقبك النار) وقيل افعل أي وقيل إنه اسم لا فعل ماض وزنه افعل من الويل بعد القلب فصار ولي واشتق منه أولى نظيره آدنى من دون فقلب أي وضع اللام موضع العين وبالعكس فحيتب أولى مبتدأ خبره لك ومعناه زيادة الهلاك كائنه خبر لفظاً وإنشاء معنى وما ذكره في سورة القتال غير ما ذكر هنا ولم يتعرض له هنا تكثيراً للفائدة أو فعلى من آل الخ ذكره في سورة القتال .



قوله تعالى: **ثُمَّ أُولَئِكَ لَكَ فَآوْكَ**

قوله: (أي يتكرر ذلك عليه مرة بعد أخرى) الظاهر أنه إشارة إلى أنه ليس بتأكيد كقوله تعالى: (إذا دكت الأرض دكاً دكاً) [الفجر: ٢١] وقيل إنه إشارة إلى أنه كرر للتوكيد قوله مرة بعد أخرى لا يلائمه إذ هو الظاهر في التأسيس وأيضاً يحتاج العطف إلى

قوله: وأصله أولاك الله بما تكرهه أي قربك الله بما هو مكروه لك من الولي وهو القرب وقال الأصمعي قاربه ما يهلكه وقال ثعلب لم يقل أحد في أولى أحسن وأصح مما قاله الأصمعي قال الراغب ولي لك فأولى كلمة تهديد وتخويف تخاطب به من أشرف على الهلاك فيحث به على التحرز عنه وأكثر ما يستعمل مكرراً وكأنه حيث على تأمل ما يؤول إليه لينبه على التحرز عنه وقال هو مشتق من ولي يلي إذا قرب منه قرب مجاور فكأنه قيل الهلاك قرب منك قرب مجاور لك بل هو أولى وأقرب وأما تكرير اللفظ قال الأول يراد به الهلاك في الدنيا والثاني في الآخرة .

قوله: أي يتكرر ذلك عليه مرة بعد أخرى أي يتكرر الهلاك عليه مرة بعد مرة معنى التكرار المرتب مستفاد من لفظ ثم مع تكرير ما دخل هو عليه .

التمحل قوله بعد أخرى إشارة إلى معنى الفاء وثم إذ البعدية منتظم فيهما سواء كان مع التراخي أو التعقيب وهنا كثرة التكرار مراد من غير نظر إلى التعقيب والتراخي والخطاب لمزيد العتاب.

قوله تعالى: **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى** ﴿٣٦﴾

قوله: (مهملأ لا يكلف ولا يجازى) مهملأ معنى سدى لا يكلف في الدنيا ولا يجازى في الآخرة وإنكاره الآخرة فاللام في الإنسان للعهد أي منكر البعث أو للجنس فيكون إسناد ما للبعث إلى الكل مجازاً والاستفهام للإنكار الواقعي أي هذا الحسبان واقع منه لكنه ليس على ما ينبغي بل أشنع من كل شنيع.

قوله: (وهو يتضمن تكرير إنكاره للحشر والدلالة عليه) نيه به على أن فائدة ذكر ما بعد قوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣] الخ أنه ينكر الحشر وهنا يتضمن تكرير إنكاره للحشر ويتضمن أيضاً الدلالة عليه أي على وقوع البعث فضلاً عن إمكانه.

قوله: (من حيث إن الحكمة تقتضي الأمر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق إلا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة) من حيث إن الحكمة تقتضي التكليف ثم الجزء خيراً كان أو شراً أما الأول فثلاً يكون الخلق عبثاً قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦] وأما الثاني فلأن التكليف لا يكون إلا بمجازاة ثلاً يكون التكليف عبثاً خالياً عن المصلحة والمنفعة وقد ثبت أنه تعالى حكيم لا يفعل إلا بما فيه حكمة بالغة ومنفعة تامة وإن لم تطلع عليها والمجازاة قد لا تكون في الدنيا لأنها دار التكليف لا دار الجزء فكلمة قد للتحقيق أو الجزء قد يقع في الدنيا بإعطاء أنواع النعم في مقابلة المبرات أو بائتلاء بعض المصائب للكفارات هذا في حق المؤمنين وأما في حق الكافرين فالإبتلاء بالفقر التام والأمراض الدائمة في عموم الأوقات فيحتجّ يكون قد للتقليل والمعمول هو الأول قوله الأمر بالمحاسن الخ ظاهره لا يوافق مذهبه لأن الحسن والقيح بعد الأمر والنهي فلا تغفل.

قوله تعالى: **أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ نَفْسٌ مِّنْ نَّفْسٍ يَتَذَكَّرُ** ﴿٣٧﴾

قوله: (الم بك) أي ألم يكن حذف النون من غير قياس تشبيهاً بحروف العلة لروم التخفيف والاستفهام لإنكار النفي وإثبات المنفي أي قد كان الإنسان نقطة بمعنى إن مادته نقطة خلق منها قوله: ﴿مِنْ مِّنِي﴾ [القيامة: ٣٧] بيان للنقطة باعتبار وصفه وهو يعني أي

قوله: (وهو يتضمن تكرير إنكاره للحشر أي إنكار الإنسان للحشر والدلالة عليه وجه التضمن تكرير ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ [القيامة: ٣] ووجه الدلالة على ثبوت الحشر أن الآية على التكليف والمجازاة على الأعمال والمجازاة قد لا تكون في الدنيا فلا بد أن تكون في يوم الآخرة يوم الحشر.

يصب وإلا فالمني هو التطفة ولو اكتفى بنطفة تمنى لكفى لكنه أريد المبالغة ثم كان أي المنى علة بعد الأربعين ولذا قيل ثم كان الخ وصيغة الماضي للتعليب.

قوله: (وقرأ حفص يعني بالياء) على أنه صفة للمني والقراءة بالتاء على أنه صفة لنطفة.



قوله تعالى: ثُمَّ كَانَ عِلَّةَ خَلْقِ فُصُوفٍ

قوله: (فقدره) أي خلق بمعنى قدر بالمعنى اللغوي.

قوله: (فعدله) والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الأعضاء والتسوية جعل الأعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها لكن جعل التعديل تفسيراً للتسوية لمناسبة المقام والفرق حيث جمعا الغاء في ﴿فخلق﴾ [القيامة: ٣٨] لكونه بمعنى التقدير والغاء في ﴿فصوى﴾ [القيامة: ٣٨] لإفادة أن ما بعدها كلام مرتب على ما قبله في الذكر.



قوله تعالى: فَجَعَلَ بَيْنَهُمُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى

قوله: (الصنفين) ولا حاجة إليه لإغناء قوله: ﴿الذكر والأنثى﴾ [القيامة: ٣٩] عنه لأنهما يدلان من الزوجين.

قوله: (وهو استدلال آخر بالإبداء على الإعادة على ما مر تقريره مراراً) إشار إلى أن الأول استدلال والتعبير بالدلالة عليه للفتن في البيان قوله على ما مر الخ لا سيما في أواخر سورة يس وفي أوائل البقرة.

قوله: (ولذلك رتب عليه قوله: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ [القيامة: ٤٠]) رتب عليه أي ذكره عقبه أليس ذلك العظيم الشأن الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم من ماء مهين.



قوله تعالى: أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى

قوله: (وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كان إذا قرأها قال سبحانه) صدر بالتنسيح للتنزيه عن التوهم بعدم القدرة.

قوله: (بلى) إبطال للنفي والحديث رواه أبو داود والحاكم.

قوله: (وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمناً به) حديث موضوع الحمد لله على تيسير إتمام ما يتعلق بسورة القيامة. والصلاة والسلام على سيدنا شفعاء يوم القيامة. وعلى آله وأصحابه الذين نجوا عن دهشة يوم الحسرة بحسن توفيق الله تعالى يوم الخميس يوم أول جمادى الأولى بين الصلاتين.

تمت السورة الحمد لله على إفضاله. والصلاة على النبي وآله اللهم مستعيناً بك أشرع وأقول.

سورة الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الإنسان وهي مكية وآيها إحدى وثلاثون) أي عند الجمهور وقال ابن عادل إنها مدنية عند الجمهور كذا قيل قال الفاضل السعدي مكية عند الجمهور وقيل مدنية إلا قوله: ﴿فأصبر﴾ [الإنسان: ٢٤] الخ وقيل إلا قوله: ﴿ولا تطع منهم﴾ [الإنسان: ٢٤] الخ وكل اختار ما اختاره بدليل لاح له والناقلون لم يتعرضوا ما تمسكوا به ولا خلاف في عدد آياتها.

قوله تعالى: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾

قوله: (استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقدر) تقرير بمعنى التحقيق والتثبيت أو بمعنى حمل المخاطب على الإقرار بما يعرضه وإجاءته إليه والمعنى قد ﴿أتى على الإنسان﴾ [الإنسان: ١] الآية قوله وتقريب بالجر عطف على تقرير التقرير مستفاد من الاستفهام مجازاً وأما التقريب فمفهوم من قد قوله ولذلك فسر بقدر إشارة إلى ذلك أي

سورة الإنسان

مكية وآيها إحدى وثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقدر وفي الكشف هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة يعني هل يستعمل في الاستفهام خاصة وهو بمعنى قد قال في المفصل عند سبويه هل بمعنى قد إلا أنهم قد تركوا الألف قبلها لأنها لا تقع إلا في الاستفهام قال في الإقليد هل ضعيفة في الاستفهام ألا تراها تجيء بمعنى قد كقوله أهل رأونا فلو كان للاستفهام لزم الجمع بين حرفين الهمزة وهل ذلك ممنوع وقال ابن الحاجب أصلها أن يكون بمعنى قد فاقضت قوله:

أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكمل أوله سابل فوارس يسرع بشدتها

يقال سال شيء وسال عن شيء بمعنى شدتنا يفتح الشين أي بحملتنا والأولى بكسرهما أي بقوتنا يقول سابل هذه القبيلة حين حريتنا لجانب القاع ذي الدواهي أي أهل رأوا منا جبناً وضعفاً قال الواحدي هل هنا خبر وليس في استفهام قال أبو عبيدة مجازها قد أتى على الإنسان وليس باستفهام.

ولدلالتة على التقرير والتقريب فسر بقدر فأتى لتقريب الماضي من الحال فسرها به ابن عباس والكسائي وسيبويه والمبرد والفراء لكن إذا كان هل بمعنى قد لا بد أن يكون قبلها أداة الاستفهام ملفوظة أو مقدرة وللإشارة إليه قال المصنف وأصله أهل ولم يرد أنه بمعنى قد بدون استفهام وإلا لما قال استفهام تقرير وتقريب وفي الكشف وعن بعضهم أنها نلت عنده فقال يا ليتها تمت أراد ليست تلك الحال تمت وهي كونه شيئاً غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف انتهى وفي بعض الحواشي أن ذلك البعض هو الصديق رضي الله تعالى عنه فظن من ذلك أن هل هنا ليست للاستفهام إذ لو كانت استفهاماً يجاب ببلى أو بنعم ولا يجاب بقوله: ﴿يا ليتها﴾ [الحاقة: ٢٧] الخ والجواب عنه أن الاستفهام لما كان للتقرير كان في قوة الخبر فأجاب بهذا ميلاً إلى المعنى وعن هذا صرح المصنف بكونه استفهاماً قوله ولذلك دليل إنني وعكسه علة لمية فلا دور.

قوله: (وأصله أهل كقوله:

أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم)

كقوله أي قول زيد الجبلي قاله في غارة أغارها على بني يربوع وهم قبيلة مشهورة أغار عليهم فأصاب منهم وقتل وسى أوله:

سائل فوارس يربوع تشد بنا أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم

قوله تشد بنا بفتح الشين وهي الحملة ويروي بكسرها وهي القوة والسفح اسم الجبل أو أسفله ينسف فيه الماء والقاع الأرض المستوية أي الصحراء والأكم جمع أكمة وهي ما علا من الأرض دون الجبل والياء فيه لتضمين سائل معنى أهم أو للسببية قوله أهل رأونا الخ كناية وتعريض معناه أهل كنا غالبين أم هم وفيه تعريض بأنهم كانوا من الحضيض وماله أنه كناية عن انهزامهم لأن شأن المنهزم كونه في حضيض وهذا محل الاستشهاد نقل عن السيوطي أنه قال والذي رأيته في نسخة قديمة من ديوانه فهل رأونا فلا استشهاد وقال السيرافي الرواية الصحيحة أم هل وأم منقطعة بمعنى بل فلا استشهاد أيضاً فضلاً عن الدلالة كما قاله الزمخشري ومن تبعه وعدل عنه المصنف ولم يقل بدليل قوله أهل رأونا الخ لاحتمال أنه جمع بينهما للتوكيد فظهر ضعف قوله لأن الحرف لا يدخل على مثله لكن الزمخشري قال في المفصل هل في قولهم أهل بمعنى قد إلا أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لا تقع إلا في الاستفهام انتهى فحينئذ لا يكون من دخول حرف على مثله بل دخول الاستفهام على قد ولا ضرر فيه أصلاً.

قوله: (طائفة) وهي قطعة من الشيء واحداً كان أو كثيراً ويطلق على ذوي العلم وعلى غيره وإن كان الأول هو الشائع المتبادر.

قوله: الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد قال الراغب الدهر في الأصل اسم لمدة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه وعلى ذلك قوله عز وجل: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ [الإنسان: ١] ثم يعبر عن كل مدة وهو خلاف الزمان فإنه يقع على قليله وكثيره ودهر فلان مدة

قوله: (محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود) أي مقدرة متعينة في نفسها وإن لم تكن معلومة لنا وقيدة به لأنه تفسير حين وهو بعض من الدهر وهو الزمان الممتد الغير المحدود فما هو بعض منه فهو محدود لا محالة هذا بناء على مذهب الحكماء قال في سورة البقرة المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها إلى منتهاها والزمان مدة مقسومة الخ فالحين عبارة عن امتداد حركة الفلك الأطلس امتداداً محدوداً معيناً بالأربعين سنة أو مائة وعشرين إن أريد بالإنسان آدم فإن مادة آدم المخمرة طيناً مدته هذه على الخلاف فيها أو مدة الحمل إن أريد جنس الإنسان كما هو الظاهر ومدة الحمل أقلها سنة أشهر وأكثرها سنتان عندنا والدهر عبارة عن امتداد حركة الفلك الأعظم امتداداً غير محدود لطوله وعلماؤنا أبطلوا كون الزمان عبارة عن حركة الفلك فالزمان عند المتكلمين عبارة عن أمر متجدد معلوم يتجدد به أمر مبهم فالحين الزمان المحدود المعين والدهر الزمان الطويل الغير المحدود الوهمي لأن الزمان عند المتكلمين أمر موهوم غير موجود وإن ناقش فيه السيد قدس سره بأنه موجود فحينئذ يكون الزمان الطويل المحقق والزمان الطويل جداً يقال إنه غير محدود لتعسر الإحصاء وإن كان محدوداً في نفسه لكونه متناهياً في جانب الماضي وهذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل الموافق لقاعدة الشرع وما ذكره المصنف فغاية توجيهه إن حركة الفلك الأعظم حادثة لكون الفلك حادثاً فغير محدوديته لطوله لا لأنه غير متناه لقدمه كما زعم الفلاسفة فحينئذ يكون كلامه موافقاً لقاعدة الشرع في الجملة وإمامنا توقف في معنى الدهر المنكر كما ذكر في كتاب الإيمان يعني فما المراد به عرفاً فإذا حلف أن لا يكلم زبداً دهرأ لا يعرف بماذا يحث.

قوله: (بل كان شيئاً متنبياً غير مذكور بالإنسانية كالعنصر والنطفة) أشار به إلى أن النفي راجع إلى القيد قوله غير مذكور بالإنسانية بيان معنى كونه متنبياً فلا يتأفیه كونه مذكوراً بمادته كما قال كالعنصر والنطفة قال في تفسير قوله تعالى في سورة مريم: ﴿ولم تك شيئاً﴾ [مريم: ٩] بل كنت معدوماً صرفاً وفيه دليل على أن المعدوم ليس بشيء ومقتضاه كون النفي هنا راجعاً إلى العقيد مع القيد فتدبر وعدي أنني بعلى لأنه بمعنى مر أي مر على الإنسان مجازاً إذ الإتيان من خواص الأجسام فيكون هنا مجازاً عن المرور لأن الإتيان مستلزم للمرور ولم يكن الإنسان حين مرور الزمان الممتد عليه إنساناً بالفعل فيكون مجازاً أولياً ولم يجرى هكذا ﴿هل أتى على الإنسان حين﴾ [الإنسان: ١] لم تكن الآية للمبالغة في كونه معدوماً صرفاً أو للتنبيه على أن المراد ما هو بالقوة القريبة من الفعل فما

حياته وما روي في الحديث «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» قيل معناه أن الله فاعل ما يضاف إلى الدهر فإذا سببتم الذي تعتقدون أنه فاعل ذلك فقد سببتموه وقيل الدهر الثاني في الخبر غير الأول وإنما هو مصدر بمعنى الفاعل أي أن الله هو الدهر أي المصرف المدير والمفيض لما يحدث والأول أظهر.

قوله: (أو آدم عليه السلام) أي المراد به في قوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان﴾ [الإنسان: ١] آدم عليه السلام.

قوله: (بين أولاً خلقه) أي إجمالاً لأن قوله: ﴿هل أتى على الإنسان﴾ [الإنسان: ١] الخ يدل على خلقه إجمالاً من غير بيان ما هو مادته ومن أي شيء خلقه إما لأن المقصود بيان مرور زمان عليه حال كونه غير مذكور للتنبيه على إمكان الإعادة أو لأن مادته مبنية في مواضع عديدة.

قوله: (ثم ذكر خلق بنيه) فلا يكون ذكر الإنسان ثانياً من باب وضع المظهر موضع المضمّر فمرور حين من الدهر عليه ولم يكن شيئاً مذكوراً فهم من عرض الكلام دلالة أو إشارة لعدم ذكره صريحاً حيثنّ ولعله أخره لذلك وقاعدة أن الشيء إذا أعيد معرفة يكون عين الأول يعدل عنها كثيراً.

قوله: (أخلاق) جمع خلط بمعنى مختلط ممتزج ولوضوحه في المقصود فسر الأمشاج بها.

قوله: (جمع مشيج أو مشج) جمع مشج بفتحين وهو الراجح ولذا قدمه فإن أفعالاً جمع فعل بفتحين في الأكثر كأسباب وسبب أو جمع مشيج فإن فعلاً قد يجمع على أفعال كشهد وأشهاد ونقل عن التسهيل أنه قال إنه غير مقيس فيه ولذا أخره.

قوله: (من مشجت الشيء إذا خلطته) ولذا قال في تفسيره أخلاق.

قوله: (ووصف النطفة به لأن المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة) ووصف النطفة مع أنها مفردة ظاهراً بها أي بأمشاج وهي جمع على الصحيح لأن المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما الخ من تنمة الجواب الأول فتكون النطفة بهذا الاعتبار جمعاً وإن كان لفظها مفرداً فيتحقق المطابقة فلا يقال إن الجمع قد يطلق على ما فوق الواحد فإنه ضعيف.

قوله: (وكل منهما مختلفة الأجزاء في الرقة والقوام والخواص) في الرقة فإن ماء الرجل غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وماء المرأة يتولد منهما لحم ودم وشعر قال القرطبي وقد روي هذا مرفوعاً.

قوله: (ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد) كالنطفة فالمطابقة بينهما حاصلة بالافراد قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ [المؤمنون: ٢١] الآية ولذلك عد الأنعام سبيوه في المفردات المبنية على أفعال كأخلاق وأكياش وهذا الكلام بناء على ذلك قال المحشي وقيل مفرد قاله صاحب الكشاف ومرضه المصنف لأن

أنعماً لا يكون مفرداً نص عليه سيويه والنحويون وبين الروابيتين مخالفة ظاهرة فتأمل .

قوله: (كأعشار وأكياش) كأعشار أي منكسرة يقال برمة أعشار أي منكسرة كأنها صارت غير قطع والبرمة القدر والأكياش بكاف وياء تحتية مثناة وشين معجمة ثوب غزل غزله مرتين .

قوله: (وقيل ألوان فلان ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اختلطا اخضرأ) وقيل ألوان عطف على قوله أخلاط فإن ماء الرجل أبيض الخ وجمعه أيضاً بملاحظة كون كل منهما مختلفاً الأجزاء في الرقة الخ وبملاحظة كون مائه أبيض ومائها أصفر وكونه بعد اختلاطهما أخضر ولك أن تقول إنه لما أريد بالإنسان الجنس براد بالنطفة الجنس فيكون جمعاً في المعنى فلا حاجة إلى التمثل المذكور ثم إن كان أمشاجاً جمع مشيج فالكلام على ظاهره وإن كان جمع مشج يحتاج إلى التأويل إن اعتبر مصدرأ وإن أريد أنه صفة مشبهة فهو على ظاهره قوله أخضر إما بمجرد الاختلاط أو لتغيرهما بطول المكث في قعر الرحم .

قوله: (أو أطواراً فإن النطفة تصير علقة ثم مضغة إلى تمام الخلقة) أو أطواراً عطف على الألوان تفسير آخر لأمشاج وفيه نوع بعد ولذا أخره نعم في الأطوار اختلاط أيضاً يتمحل أن النطفة اختلطت بالعلقة بالانقلاب وهكذا .

قوله: (في موقع الحال أي ملتبسين له بمعنى يريدون اختباره) الحال مقدرة لا محققة فلا إشكال بأن الابتلاء بمعنى الاختبار بالتكاليف يكون بعد كونه بالغا حد التكليف فكيف يكون قبل جعله سميعاً بصيراً كما يقتضيه ترتب جعله سميعاً الخ على الابتلاء .

قوله: (أو ناقلين له من حال إلى حال فاستعار له الابتلاء) أي الابتلاء مستعار لنقل

قوله: كأعشار وأكياش يقال برمة أعشار إذا تكسرت قطعاً البرمة القدر ويقال برد أكياش في حاشية الكشف الأكياش ثوب يغزل مرتين وهو من يرود اليمن .

قوله: بمعنى مرادين اختياره تفسير الابتلاء بإرادة الابتلاء لتصحيح معنى الحالية إذا لو لم يفسر بها لم يكن الحال مقارنة لمعامل ذي الحال ويجوز أن يفسر على ظاهره ويكون من الأحوال المقدرة والمعنى إتأ خلقنا الإنسان مقدرين له الابتلاء فهو كالمسيب من الابتلاء أي من إرادة الابتلاء فإن إرادة الابتلاء هو السبب لا نفس الابتلاء فإن نفس الابتلاء إنما يكون بعد كونه سميعاً لا قبله والسبب يجب أن يكون قبل المسبب لكن إرادة الابتلاء قبل السمع والبصر فيصلح للسببية له .

قوله: ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به وهو خلقنا أي خلقناه على قصد الاختبار فجعلناه سميعاً بصيراً أي فجعلناه له سمعاً وبصراً وأقدرناه بهما على استماع آيات القرآن ومشاهدة الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال صفاته لنعلم هل يصرفهما إلى ما خلقنا لأجله أم لا والابتلاء مجاز في شأن علام الغيوب فالمعنى نعامله معاملة المختبر ليتعلق علمنا بما يعمل به من خير أو شر .

قوله: أو ناقلين له من حال إلى حال هذا على الاستعارة حيث استعير الابتلاء للنقل

الإنسان من طور وحال إلى حال أخرى كتقله من نطفة إلى علقه ومنها إلى مضغة وهكذا فيكون حالاً محقة فاستعار له الابتلاء بالتكليف بعد تشبيهه به في مطلق الظهور فإن المتقول يظهر في كل طور وحال ظهوراً آخر كما أن نتيجة الامتحان تظهر بعده والأول أقل مؤنة ولذا قدمه وإن روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن الابتلاء تصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقه.

قوله: (لستممكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات) إشارة إلى وجه تخصيصهما بالذكر من بين القوى هذا إشارة إلى جعله بصيراً قوله واستماع الآيات إشارة إلى جعله سمياً مثل لف ونشر غير مرتب وقدم السمع لأنه أشرف من البصر إذ فقده مستلزم لفقد تحصيل الكمالات بأسرها بخلاف البصر.

قوله: (فهو كالمسبب من الابتلاء) أي جعله تعالى سميماً الخ كالمسبب من الابتلاء لأن المقصود من جعله كذلك مشاهدة الدلائل الدالة على التوحيد واستماع الآيات المنقولة كما صرح به أنفأ فيكون إرادة الابتلاء سبباً لجعله كذلك لا نفس^(١) الابتلاء وهذا غير ظاهر على حمل الابتلاء على الثقل من حال الخ فحينئذ يكون قوله فجعلناه مسيماً^(٢) عن نقله من طور إلى طور إلى أن يتم خلقه إذ ما لم يتم خلقه لا يجعله كذلك لكنه لم يشر إليه لأن الرجوع الاحتمال الأول وإنما قال كالمسبب بالكاف لأن الظاهر العكس إذ الجعل المذكور سبب للابتلاء بالتكليف إذ لا يتأتى الامتثال به بدون القوى المذكورة والعقل وإرادة الابتلاء سبب للجعل المذكور لكن المذكور هو نفس الابتلاء أو لأن أفعاله تعالى لا تحتاج إلى الأسباب والعلل فهو كالمسبب له في الترتب عليه بحسب الجعل لا المسبب له حقيقة.

قوله: (ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به) أي ولأجل أنه كالمسبب عطف بالفاء الدالة على السببية فتكون الفاء استعارة إذ مدخلها ليس مسيماً حقيقة إما استعارة مكنية وتخيلية أو استعارة تبعية^(٣) والمراد بالفعل المقيد ﴿إنا خلقنا﴾ [الإنسان: ٢] وقيد قوله: ﴿نبتليه﴾ [الإنسان: ٢] لكونه حالاً.

لاستلزام كل منهما ظهور حال عن حال ثم سرى منه إلى الفعل استعارة تبعية فعلى هذا أيضاً يحسن ترتب ما بعد الفاء على ﴿نبتليه﴾ [الإنسان: ٢] والمعنى ﴿خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ [الإنسان: ٢] ناقلين له من النطفة إلى العلقه ثم إلى المضغة ثم إلى العظام ثم إلى اللحم ثم إلى جعله سميماً بصيراً وقبل هو في تقدير التأخير يعني فجعلناه سميماً بصيراً لنبتليه وهذا الوجه رواه الواحدي عن القراء وأنه قال المعنى جعلناه سميماً بصيراً لنبتليه ذكر أنه أعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وعلى هذا يكون فيه قلب وكثرة حذف لأن الأصل لأن نبتليه فحذف حرف الجر ثم حذف إن ورفع الفعل فللزوم كثرة الحذف والقلب قال صاحب الكشف وهو من التعسف.

(١) إذ الابتلاء بدون السمع والبصر والعقل وسائر آلات التمييز غير متصور.

(٢) لكن بينهما فرق إذ الثاني بالنسبة إلى المخلوق والإيجاد والأول بالنسبة إلى المقصود.

(٣) إن كان الاستعارة في مدخل الفاء مكنية والفاء تخيلية أو تبعية إن كانت في لفظة الفاء.

قوله تعالى: **إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّا شَاكِرًا وَإِنَّا كَفُورًا** ﴿٣﴾

قوله: (ورب عليه قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣]) أي ذكره عقيبها لأنها جملة مستأنفة في معنى التعليل أي لأننا هديناه السبيل أي الطريق المستقيم وهو الحق أو ملة الإسلام.

قوله: (ينصب الدلائل وإنزال الآيات) أي ينصب الدلائل العقلية الفارقة بين الحق والباطل والصالح والفساد وإنزال الآيات وهو مستلزم لإرسال الرسل وهذه المرتبة من الهداية تعم للناس أجمعين أخيارهم وأشرارهم ولذا خصها بالذكر وعن هذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا﴾ [الإنسان: ٣] الخ.

قوله: (حالان من الهاء وإما للتفصيل أو التقسيم أي هديناه في حالتيه جميعاً) أي كلمة إما للتفصيل لا للترديد والغرنية ذكره بالواو وكون الأمر كذلك في الواقع قوله أو التقسيم بالقرينة المذكورة أي هديناه في حاله أي في حال الشكر وحال الكفر ناظر إلى كونه للتفصيل قوله أو مقسوماً إليهما الخ ناظر إلى كونه للتقسيم لف ونشر مرتب والأول بناء على كون المراد تبين أن الهداية بمعنى الدلالة متعلق بالإنسان في الحالتين لا في حالة الإيمان فقط فحينئذ يكون في كلام المصنف إشارة إلى أن قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣] مجمل من حيث الدلالة على الأحوال غير معلوم أن المراد هدايته في حال الكفر أو في حال الإيمان أو فيهما جميعاً فأزيل الإجمال بهذا التفصيل ولا يخفى ما فيه لأن المطلق يبقى على إطلاقه فلا إجمال وإلا لكان كل مطلق مجملاً ولا يخفى ضعفه فالتقسيم هو الظاهر آخره لا لضعفه بل لطول ذيله بالنسبة.

قوله: (أو مقسوماً إليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والأخذ فيه وبعضهم كفور بالإعراض عنه) بيان حاصل المعنى بملاحظة التقسيم فالحال كون الإنسان مقسوماً إليهما بعضهم شاكر وهو الموحد فإن شكر الله تعالى يصرف جميع ما أنعم عليه إلى ما خلق له ومن جملة السمع والبصر فإنه تأمل في الآيات المنصوبة بإمعان البصر وتفكر في الدلائل السمعية بالاستماع بأذن واعية عرف ربه ووحدته ثم عمل بمقتضاه وإلى ذلك التفصيل أشار بقوله بالاهتداء وكذا الكلام في كفور بضد ذلك فاتضح من ذلك أن ذلك القول المذكور أبلغ من قوله إما مهتدياً وإما ضالاً وقدم الأول لأنه أشرف وأكثر عدداً كيفاً وإن كان أقل عدداً كما من الفريق الثاني واختير شاكراً على شكوراً مع أنه أوفق لما بعده للتنبيه على أن

قوله: حالان من الهاء وفي الكشف حالان من الهاء في ﴿هديناه﴾ [الإنسان: ٣] أي مكناه وأقدرناه في حالتيه جميعاً أو دعواناه إلى الإسلام بأدلة العقل والسمع فعلى الأول يكون الهدى بمعنى الدلالة الموصلة إلى البغية فإن القدرة أمر يوصل إلى المطلوب قال صاحب الانتصاف هذا من تحريفه والآية على ظاهرها ولهذا قال القاضي رحمه الله أي هديناه في حالتيه ولم يقل مكناه وأقدرناه وعلى الثاني يكون الهدى مجرد الدلالة من غير توصيفها بالإيصال.

أصل الشكر كاف والمبالغة فيه لبعضهم من الخواص واختير صيغة المبالغة في الثاني لأن كفرانهم على وجه المبالغة حيث أبطلوا استعدادهم لا سيما سمعهم وأبصارهم اللذان ترتب قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣] على إعطائهما ظاهراً وإن كان المراد إعطاء جميع الحواس والعقل جميعاً.

قوله: (أو من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز) أي أو حال من السبيل لقربه لفظاً وإن أبعد معنى كما أشار إليه بقوله ووصفه الخ قوله مجاز للمبالغة حيث فهم منه أن الشكر والكفر بلغا إلى مرتبة حتى سارت إلى سبيلهما.

قوله: (وقرىء أما بالفتح على حذف الجواب) المناسب للمقام أي إما شاكراً فلتوفيقنا مع صرف الإرادة الجزئية نحوه بالنظر الصائب والفكر الثاقب وإما كونه كفوراً فسبب صرف الإرادة الجزئية نحو الشر بترك النظر الصحيح في الدلائل وهذه القراءة تزيد كون إما بالكسر للتقسيم دون التفصيل بالمعنى المذكور لأن هذا التفصيل يقتضي أنه يفهم من قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣] إجمالاً أن الإنسان فريقان في شأن الهداية قوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ [الإنسان: ٣] تفصيل ذلك المجمل فلا يحسن أن يقال إن هذا القول مجمل من حيث الدلالة على الأحوال.

قوله: (ولعله لم يقل كافراً لطابق قسمه) متعلق بالمنفي.

قوله: (محافظة على الفواصل وإشعاراً بأن الإنسان لا يخلو عن كفران غالباً وإنما المأخوذ به التوغل فيه) محافظة على التنفي قوله قسمه في تنبيهه على رجحان كون إما للتقسيم ولو قيل أو كافراً لا يضر المحافظة على الفواصل وقد مر الكلام في تحقيق هذا

قوله: وقرىء إما بالفتح على حذف الجواب وتقديره أما من هديناه شاكراً فمشاب وأما من هديناه كفوراً فمعاقب وهذا ضعيف لأن فيه حذف ذي الحال والعامل وخبر المبتدأ والغاء قال صاحب الكشف وقرأ أبو السماك بفتح الهمزة في أما والمعنى ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ [الإنسان: ٣] فيتوفيقنا ﴿وإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] فسوء اختياره هذا بناء على مذهبه وقال الإمام هذه القراءة تقري تأويل أهل السنة والجماعة المعنى إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ ثم جعلناه ثارة شاكراً وثارة كفوراً كما في قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَعْذِبُهُمْ وَإِمَّا يَمُنُّ بِعَلِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠٦] قال الطيبي هذه الآية من باب الجمع مع التقسيم والتفريق فمعنى إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّا دَلَّلْنَاهُ عَلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِإِرْسَالِ الرِّسْلِ وَإِزَالِ الْكُتُبِ وَنَصْبِ الْأَدَلَةِ لِيَحْتَازَ السَّعِيدُ مِنَ الشَّقِيِّ وَالشَّاكِرُ مِنَ الْكُفُورِ أَمَّا شَاكِرًا فِيمَا خَلَقْنَاهُ سَعِيدًا وَإِمَّا كَفُورًا فَيُفَادِرُنَا إِيَّاهُ شَقِيًّا ثُمَّ فَرَقَ بَيْنَهُمَا بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا﴾ [الإنسان: ٤] وقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ [الإنسان: ٥].

قوله: لم يقل كافراً لطابق قسمه محافظة على الفواصل في كلامه هذا علنان الأولى أعني قوله لطابق على المتنفي والثانية وهي قوله محافظة على التنفي.

قوله: وإشعاراً بأن الإنسان لا يخلو عن كفران غالباً معنى الإشعار بمعنى الغلبة مستفاد من صيغة فعول الموضوعة للمبالغة.

المرام قوله عن كفران حمل الكفور على الكفران لمقابلته الشكور لكن الحسن الحمل على الكفر إذ المراد بالشاكر الشاكر بالاهتداء فالمراد بالكفور الكفور بترك الاهتداء فما ذكره المصنف فيه نوع خدشة لأنه يخل التقسيم وعدم مقابله للأول.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَغْنَيْنَا لِلْكَافِرِينَ سُلَيْلًا وَأَغْنَيْنَا وَسْعِيرًا﴾

(بها يقادون بها يقيدون).

قوله: (بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لأن الإنذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن) لأن الإنذار أهم من التبشير إذ دفع المضرة أنفع من جلب المنفعة وأيضاً قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم كما قال في قوله تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه﴾ [آل عمران: ١٠٦] الآية وأيضاً الفصل الواحد أولى من فصلين.

قوله: (وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر سلاسلًا للمناسبة) أي بالتثنية مع أنه غير متصرف للمناسبة لقوله: ﴿وأغلا﴾ [الإنسان: ٤] في كونه متوناً ويجوز صرف ما لا يتصرف للتناسب وهو منصرف حكماً لدخول التثنية عليه وغير متصرف حقيقة لتحقيق علة عدم الانصراف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَشْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾

قوله: (جمع بر كآرباب أو بار كأشهاد) جمع بر هذا بناء على أن فاعلاً لا يجمع على أفعال عند بعض أو جمع بار على جواز جمع فاعل على أفعال كأشهاد جمع شاهد وأصحاب جمع صاحب على الخلاف المشهور.

قوله: (من خمر وهي في الأصل لقدح تكون فيه) فهو مجاز بعلاقة المجاورة كما به عليه بقوله وهي في الأصل الخ ويفهم منه أنه لا يقال كأس ما لم يكن فيه خمر وفيه تأمل.

قوله: (ما يمزج بها) قيل كالحرام لما يحرم به فهو اسم آلة والأولى أن يقال إنه اسم لما يمزج به الشيء كالقيام اسم لما يقام به الشيء فإن هذه الصيغة كونها اسم آلة ليست بمتعارفة.

قوله: (لبرده وعذوبته وطيب عرقه)^(١) علة المزج ويفهم أن الخمر حر وبسبب المزج

قوله: وقد تأخر ذكرهم في قوله: ﴿إما شاكرًا﴾ [الإنسان: ٣] و﴿إما كفورًا﴾ [الإنسان: ٣].

قوله: وهي في الأصل لقدح تكون فيه أي القدح كأس فيه خمر لا مطلق الكأس قال الزجاج الكأس الإناء إذا كان فيه الشراب فإذا لم يكن لم يسم كأساً وقال الراغب الكأس الإناء بما فيه من الشراب ويسمى كل واحد منهما بالفراده كأساً يقال كأس خال ويقال شربت كأساً وكأس طيبة يعني بها الشراب قال تعالى: ﴿وكأس من معين﴾ [الواقعة: ١٨].

(١) وطيب عرقه بفتح العين والحة.

بحصل الاعتدال والخمر مر والمزج يورث الاعتدال والكل محل بيان ولو سكت عنه لكان أولى قال تعالى: ﴿وَأَنهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: ١٥] وعلة المزج زيادة اللذة وفيه إشارة إلى أن كافور الجنة مخالف لكافور الدنيا وهذا ليس بمختص به بل سائر نعم الجنة كذلك.

قوله: (وقبل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه) فالمزج حينئذ ظاهر وجه المزج أيضاً لزيادة التنعم مرضه إذ المذكور في القرآن الأنهار الأربعة وهذا ليس منها بحسب الظاهر والزمخشري ذكر هذا المعنى أولاً ورجحه ولعله ظفر بالرواية الصحيحة دون المصنف.

قوله: (وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به) ففي الكلام تشبيه بليغ وجه التبريض ظاهر.



قوله تعالى: عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا

قوله: (بدل من كافوراً إن جعل اسم ماء أو من محل من كأس على تقدير المضاف أي ماء عين أو خمرها) والمعنى يشربون خمرأ خمر عين على هذا ويشربون ماء عين أشار به إلى أن تقدير المضاف لا بد منه على الوجهين إذ العين منبع الماء فلا يكون بدلاً من نفس الماء إلا بتقدير الماء وكذا الكلام في كونه بدلاً من محل كأس فلا يكون بدلاً من خمر إلا بتقدير خمر.

قوله: (أو نصب على الاختصاص أو بفعل يفسره ما بعدها) على الاختصاص بتقدير أعني أو أخص ولا بد من تقدير المضاف أيضاً سواء كان المعنى أعني بالكأس عيناً أو أعني بالكافور عيناً آخره لأن الحذف خلاف الظاهر وكذا الكلام في قوله أو بفعل يفسره أي يشربون ماء عين أو خمر عين يشرب بها الخ.

قوله: (أي ملتأ أو ممزوجاً بها) ملتأ هذا على تقدير كون عيناً بدلاً من كأس قوله

قوله: أي ملتأ أو ممزوجاً بها أي بالعين جعل الباء للإلصاق والظرف مستقراً فقدر عامله خاصاً للقرينة الدالة على الخصوصية قال صاحب الكشف فإن قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولاً وبحرف الإلصاق ثانياً قلت لأن الكأس مبتدأ شربهم وأول غايته وأما العين فيها يمزجون شربهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعميل قال صاحب الانتصاف هذا على تقدير كون عيناً بدلاً من كافوراً مستقيم وأما على كونه بدلاً من الكأس فلا يتم الجواب ثم كلامه يريد أن كأساً وعيناً متحدان حينئذ فلا يصدق قوله لأن الكأس مبتدأ شربهم وأما العين فيها يمزجون لأن هذه العبارة مشعرة بالمغايرة بين العين والكأس قال الطيبي رحمه الله بل الجواب أنه لما ذكر الشرب أولاً باعتبار الوقوع في الوجود ذكره ثانياً متضمناً للاستدامة كأنه قال يشربون منها فيلتذون بها أقول على ما ذكره الطيبي يفوت المطابقة بين السؤال والجواب لأن السؤال على تقدير كون الباء للإلصاق صلة للشرب وكون الظرف لغواً والجواب

أو ممزوجاً على تقدير كون عيناً بدلاً من كافور فهذا إشارة إلى أن الباء ليس بمتعلق يشرب إذ الشرب لا يتعدى بالباء بل متعلق بمحذوف وذلك المحذوف حال من مفعول يشرب وهو محذوف أيضاً وهو ضمير العين والمعنى يشرب ماءها حال كونها ملتذاً بها أو ممزوجاً بها والجملة صفة عيناً أو استئناف مسوق لبيان التذاد الأبرار يشربها وهذا أولى من كون يشرب متضمناً بمعنى الالتذاذ فيكون متعلقاً به .

قوله: (وقيل الباء زائدة) فلا تقدير في الكلام .

قوله: (أو بمعنى من لأن الشرب مبتدأ منها) أي بمعنى من الابتدائية ولذا قال لأن الشرب مبتدأ منها أي من الكأس لأنها مؤنث معنوي وقد مر أن المضاف مقدر في الوجهين ومقتضاء كونها بمعنى من التبعية .

قوله: (كما هو) أي على الوجه الذي هو عليه والكاف للاستعلاء وما موصولة وهو مبتدأ وتذكير الضمير بتأويل المشروب وخبر المبتدأ محذوف تقديره عليه وبهذا الوجه أعرب قولهم كن كما أنت كذا قيل والظاهر أن المعنى لأن الشرب مبتدأ منها كما هو أي الشرب مبتدأ من كأس كأنه أشار به إلى أن كون الباء بمعنى من بقرينة كون الشرب فيما قبله أوصل بحرف الابتداء لكون الشرب مبتدأ من كأس فكذا هنا .

قوله: (يجرونها حيث شاؤوا إجراء سهلاً) من الإجراء حيث شاؤوا وهذا منزه من إسناد التفضير إلى عباد الله وهم الأبرار أي يجرون من منازلهم حيث شاؤوا من جنتهم فالتفضير مجاز عن الإجراء لأنه لازم له إجراء سهلاً مستفاد من التأكيد بقوله: ﴿تفجيراً﴾ [الإنسان: ٦] .



قوله تعالى: يَرْزُقُونَ وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ يَوْمًا كَانَتْ شَرُّهُ مُسْتَلِيرًا

قوله: (استئناف) أي معاني جواب سؤال مقدر أي لأي شيء رزقوه ولذا اختير الفصل .

قوله: (بيان ما رزقوه لأجله كأنه سئل عنه فأجيب بذلك وهو أبلغ في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه له فقد كان أوفى بما أوجبه الله عليه) بيان ما رزقوه وهو الشراب ويفهم منه بإشارة النص الأكل إذ الشرب يكون بعد الأكل فيعم

على كونها للسببية صلة للمحذوف وكون الظرف مستقراً قال أبو اليقاء بها حال من يشربون أي يشربون ممزوجاً بها والأولى أن يكون محمولاً على المعنى أي يلتذون بها وقال صاحب الكشف الباء زائدة أي يشربها أي ماءها .

قوله: كأنه سئل عنه فأجيب بذلك أي كأنه قيل بأي عمل يستحق الأبرار شرب تلك الخمر وماء العين فأجيب بأنهم يوقون بالنذر .

قوله: وهو أبلغ من طار معنى المبالغة مستفاد من سين الاستعمال قال صاحب الكشف وهو من طار بمترلة استغفر من نفر .

ما رزقوه إليهما كما اكتفى بيان السبب الإيقاع بما أوجبه على نفسه ليعلمم وفاؤهم بما أوجبه الله تعالى عليه بالطريق الأولى وفيه من صنعة الغرابة ما لا يخفى على ذوي البصيرة والتعبير بالماضي لتحقيق وقوعه والظاهر أن حفظ الإيمان داخل في إيفاء النذر والمراد بالنذر ما يوافق الشرع فإن ما يخالفه كالنذر على المعصية لا وفاء فيه بل يجب تركه .

قوله: (شدائده) وعذابه وعبر عنها بالشر لأنه مضرة عظيمة والمراد لازمه وهو احترازهم عما يؤدي إليه ومن جعلته عدم وفاء النذر فهو من عطف العلة على المعلول وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو يقدر كان أي كانوا يوفون بالنذر وكانوا يخافون وتكثير يوماً للتضخيم والمراد يوم القيامة ولم يصرح به لإغناء الوصف عنه وفيه تهويل عظيم .

قوله: (فأشياً منتشراً غاية الانتشار) فاشياً من الفشو وهو الشيع وتفسيره بالظهور غير ظاهر ولذا قال منتشراً غاية الانتشار هذا معنى مستطيراً فالانتشار أعم والاستطيار أخص ولذا اختير في النظم مستطيراً على منتشراً وعن هذا قال من استطار الخ .

قوله: (من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار) من البلاغة أو من المبالغة من طار لأن السين في الأصل للطلب وما كان بالطلب يوجد على وجه الكمال ولا طلب هنا فالمراد لازمه كما مر في قوله تعالى: ﴿حمر مستفرة﴾ [المدر: ٥٠] وهو أبلغ من نافرة .

قوله: (وفيه إشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي) لما مر من أن الكلام كنوي إذ الخوف بدون ذلك غير مفيد بل ليس بخوف وإنما قال إشعار لظهوره كأنه معلوم بالحواس قوله بحسن عقيدتهم إشارة إلى تكميل القوة النظرية قوله واجتنابهم عن المعاصي تنبيه على تكميل القوة العملية إذ النجاة بهما لا بأحدهما وحدهما ويدخل في اجتناب المعاصي فعل الأمور فإن تركها معصية والاجتناب عنها بإتيانها .

قوله تعالى: وَيُطْعَمُونَ أَطْعَامًا مِّنْ حَيْثُ وَرَبُّكَ وَيَتَذَكَّرُونَ ﴿٨﴾

قوله: (ويطعمون الطعام) مدح لهم بأنهم مع أنهم يؤدون الفرائض والواجبات ويجتنبون المنكرات يطعمون الطعام بالإنفاق أو بالإباحة نافلة ويفهم من فعل النوافل فعل الواجبات بدلالة النص أو الإشارة .

قوله: (حب الله تعالى أو الطعام أو الإطعام) حب الله مرجع الضمير هو الله تعالى قدمه لأن محبة الله التي عبارة عن طاعة الله تعالى أساس محبة غيره تعالى فإن محبة إعطاء الطعام لطلب مرضاة الله تعالى ومحبة المال لصرفه إلى ما أمره الله تعالى من مؤنة نفسه وأهله وعبائهم وبدون ذلك ليست بمحبة معتدأ بها قدم الاحتمال الثاني في سورة

قوله: وفيه إشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي معنى الإشعار مستفاد من معنى

المبالغة المستفادة من مستطيراً .

البقرة لأنه مؤيد بالحديث الذي رواه المصنف ولكل وجهة هو موليها والجار والمجور حال من الفاعل والمحبة في الأول شرعي الذي هو عبارة عن الطاعة وفي الآخرين طبيعية ويحتمل أن يكون على بمعنى مع والمراد باليتيم الفقير المحتاج ولم يقيده لعدم الالتباس وذكره بعد مسكيناً للاهتمام بشأنه .

قوله : (يعني أسارى الكفار) قدمه لأنه مؤيد بالخبر الشريف ولأنه محتاج إلى البيان لأنه حيث لا يكون من المعتادين وقد قال تعالى : ﴿ لَا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلكم ﴾ [المنحنة : ٨] الآية وفيه دليل على أن المراد الصدقة ^(١) المتدوية .

قوله : (فإنه عليه السلام كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه) ذكر عن ابن حجر أنه قال إنه لم يذكره من يعتمد عليه من أهل الحديث وكذا ما بعده .

قوله : (أو الأسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون) الأسير المؤمن كونه أسيراً باعتبار ما كان قوله ويدخل فيه المسجون تسمية المسجون أسيراً مجازاً لمنعه عن الخروج فيكون أسيراً مجازاً بعموم ^(٢) المجاز .

قوله : (وفي الحديث غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك) أي كأسيرك تشبيه بليغ والمراد بالغريم المسجون قال ولي الدين العراقي لم أقف عليه .



قوله تعالى : **إِنَّمَا تَلَوْتُمْ لِكُرْبِي وَإِنَّي أَنَا لَكُم مِّنْكُمْ حَرَجٌ وَلَا شُكُّ فِيهِ**

قوله : (على إرادة القول بلسان الحال أو المقال إزاحة لتوهم المن وتوقع المكافأة المنقصة للأجر) على إرادة القول بتقدير قائلين هذا إما بلسان الحال فيكون استعارة قدمه لأنه أقوى في الدلالة لكون دلالتها عقلية بخلاف دلالة القول باللسان فإن دلالتها وضعية يجوز تخلف المدلول عنها بخلاف الدلالة العقلية إذ لا يجوز المدلول عنها والحال كما يظهر حين عطائه علامة الإخلاص ونحوه أو المقال بتصريحه ذلك .

قوله : يعني أسارى الكفار وعند عامة العلماء يجوز الإحسان إلى الكفار في دار الإسلام ولا تصرف إليهم الواجبات قال الزجاج الأسير في ذلك الوقت كان من الكفار وقد مدح الله من يطعم الأسير وهذا يدل على أن في إطعام أهل الجيوش ثواباً وأهل الجيوش الأسارى روى محيي السنة عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء هم المسيحيون من أهل القبلة .

قوله : بلسان الحال أو المقال وإذا قالوا ذلك بلسان المقال يكون غرضهم من قولهم هذا أن لا يجازيهم المطعوم بمثله أو بالشكر أو يقولون ذلك لينبههم على ما ينبغي من الإخلاص روى محيي السنة عن مجاهد وسعيد بن جبير أنهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فأنى عليهم .

(١) إذ الصدقة لا يجوز إعطائها للكفار .

(٢) أي أسير حيث لا عموم المجاز عندنا أي ما يطلق عليه الأسير وعند المصنف الجمع بين الحقيقة والمجاز .

قوله: (وعن عائشة رضي الله عنها أنها تبعت بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فإن ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصاً عند الله) تبعت أي كانت تبعت.

قوله: (لا تريد) بهذا الإعطاء منكم جزاء بل نريد من الله ثواباً باقياً وأجرأ وافيأ.

قوله: (أي شكراً) أي مدحاً وثناء على إعطائنا فإنه يورث العجب والرياء وأشار به إلى أن شكوراً مصدر بوزن دخول وهو الظاهر إذ المصدر على هذا الوزن متعارف وأعيد لا للتنبيه على استقلاله ولا ضير في الشكر بدون إرادة ولا جزاء لا سيما بالدعاء كذلك.

قوله تعالى: **إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غَيْرًا قَطِيرًا** ﴿١٠﴾

قوله: (فلذلك نحسن إليكم أو لا نطلب المكافأة منكم) نه به على أن قوله إنا نخاف تحليل لما قبله أما للإحسان وهو الظاهر قوله لا تريد اعتراض بينهما أو لعدم طلب المكافأة والثناء.

قوله: (عذاب يوم) بتقدير المضاف إذ الخوف ليس من نفس اليوم ولو قبل الخوف من اليوم نفسه للمبالغة لم يبعد.

قوله: (نعبس فيه الوجوه) أشار إلى أن الإسناد مجاز بعلاقة الظرفية ولو أبقي على ظاهره لكان أبلغ كما قال الشيخ عبد القاهر في قول الخشاعة وإنما هي إقبال وإدبار.

قوله: (أو يشبه الأسد العبوس في ضراوته) أي أو إن الكلام استعارة مكنية بأن شبه اليوم بالأسد وهو استعارة مكنية وأثبت له العبوس وهذا الإثبات استعارة تخيلية أخرى لضعفه لأن التعبس ليس من لوازم الأسد^(١) وإلا لزم كون إسناد العبوس إلى الإنسان مجازاً ولم يقل به أحد لكن كماله متحقق فيه وبهذا الاعتبار صح ذلك وكذا الكلام في كونه تشبيهاً بليغاً إلا أن يعم العبوس غير الأسد أيضاً قوله في ضراوته بوزن الطراوة بالضاد المعجمة الاعتياد للصيد والافتراس قيل وفي نسخة ضرره وهذه أصح.

قوله: (شديد العبوس) فهو وصف مخصص وفي المعنى تأكيد لأنه لو اكتفى بقوله قمتطيراً لكفى لكن جمع بينهما للمبالغة والظاهر أن يقال شديد التعبس أو شديد العبوسية فإن ما ذكره إضافة الشيء إلى نفسه بحسب الظاهر.

قوله: يعبس فيه الوجوه أو يشبه الأسد العبوس فالأول على الإسناد المجازي والثاني على الاستعارة بالكناية. وجمعت قطريها في الأساس جمع فلان قطريه إذا تغير مغضباً وأصله في الناقة إذا القحت فرمت برأسها وشالت بذنيها كبراً يقال رم بأنفه إذا رفع رأسه كبراً ورأيته زاماً شامخاً لا يتكلم.

(١) وكون العبوس من أسماء الأسد لا يفيد كونه من خواصه ولوازمه.

قوله: (كالذي يجمع ما بين عينيه) فإنه يكون حينئذٍ شديد التعبس.

قوله: (من اقمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها) فيكون قمطيراً من قمطر إذا شده وجمع أطرافه كما يشاهد ممن كان مغموماً أشد الغم.

قوله: (وجمعت قطريها) أي جانبيها فإنه من كمال غضبها وفيه إشارة إلى أن الكفار يعيسون يومئذٍ ويجمعون بين عينيه حتى يسيل من بين عينيه عرق.

قوله: (أو مشتق من القطر والميم مزيدة) مشتق من قطر وهو الجانب والناحية وهو اشتقاق كبير أشار به إلى أنه ليس بمشتق من القمط ولذا قال والميم مزيدة ولذا قال البعض فاشتقاقه من قطر بالاشتقاق الكبير تفرعاً عليه لعدم تناسبهما في الترتيب مع تناسبهما في اللفظ وهو ظاهر وفي المعنى أيضاً حيث اعتبر الجمع فيهما ولم يتعرض تكرير الراء لظهوره والغرض من قوله من اقمطرت الناقة ليس ببيان اشتقاقه بل توضيح معناه المراد هنا اقمطرت بتشديد الراء بوزن اقشعرت كقول الفقهاء الوجه من المواجهة فإنه ليس ببيان اشتقاقه بل تبين معناه.



قوله تعالى: قَوْلَهُمْ اللَّهُ شَرٌّ ذَٰلِكَ الْيَوْبُ وَلَقَدْ نَصَرَهُمْ وَرَوَّاهُ

قوله: ﴿فوقاهم الله﴾ [الإنسان: ١١] تفریع على ما قبله لأنهم لما قالوا: ﴿إنا نخاف من ربنا﴾ [الإنسان: ١٠] الآية يريدین به فلذلك نطعمکم ما نطعم رجاہ أن یحفظنا ربنا بذلك الإطعام وإخلاصنا فيه بحيث لا نريد منکم المكافأة أكرمهم الله تعالى بما یتمنونهم فقال ﴿فوقاهم الله﴾ [الإنسان: ١١] الخ.

قوله: (بسبب خوفهم) إشارة إلى معنى الفاء.

قوله: (وتحفظهم عنه) للتنبيه على أن مجرد الخوف بدون التحفظ بالاجتناب عن السيئات والمواظبة على الميراث لا يفيد.

قوله: (بدل عبوس الكفار وحزنهم) عبوس الكفار ناظر إلى النصرة وحزنهم إلى السرور فعلم من ذلك أن كون ذلك اليوم عبوساً بالنسبة إلى الكفار دون الأبرار لأن وصف اليوم بما يقع فيه لا في حد ذاته وما وقع للكفار من الشدة والشر العظيم يورث التعبس الجسيم وما كان للأخيار من أنواع النعم والفوز العظيم يوجبهم نصرة النعم من رب الرحيم.

قوله: بدل عبوس الفجار أي أعطاهم بدل عبوس الكفار وحزنهم نصرة في الرجوع وسروراً في القلوب قال الزمخشري وهذا يدل على أن اليوم موصوف بعبوس أهله قال الراغب يقال لقيته كذا إذا استقبلته به قال تعالى: ﴿ويلقون فيها تحية وسلاماً﴾ [الفرقان: ٧٥] ﴿ولقاهم نصرة وسروراً﴾ [الإنسان: ١١] ﴿وانك تلقى القرآن﴾ [النمل: ٦] ﴿وتلقاهم الملائكة﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

قوله تعالى: وَيَرْزُقُهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

قوله: (بصبرهم على أداء الواجبات واجتناب المحرمات وإيثار الأموال) أي للبدل أو إيثار بذل الأموال ناظر إلى إطعام الطعام ﴿مُسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٥] و﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٥] ولما دل هذا على أدائهم الواجبات واجتناب المحرمات بدلالة النص أو بإشارته قال المص بصبرهم على أداء الواجبات الخ مع أنها لم تذكر هنا صريحاً.

قوله: (بستاناً يأكلون منه يلبسونه) يأكلون منه بدل ما يطعمون الفقراء يلبسون بدل ما يلبسون المساكين وفيه إشعار بأن المراد بقوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ﴾ [الإنسان: ٨] الإنفاق مطلقاً سواء كان الإطعام أو إعطاء الكسوة أو غيرهما وتخصيص الإطعام بالذكر لأنه معظم اللذات الحسية.

قوله: (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس فقالوا يا أبا الحسن لو ندرت على ولدك) قيل حديث موضوع وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال الترمذي حديث معقل وأثار الوضع ظاهرة عليه لفظاً ومعنى مع أنه يقتضي كون السورة مدنية لأن تزوج علي بفاطمة رضي الله تعالى عنهما في المدينة كان بعد وقعة أحد وقد قال المصنف إن السورة مكية وقد تبع المصنف الزمخشري وغيره من قدماء المفسرين ولعلهم اطلعوا على عدم وضعه أو لاختلاف فيه والقول بأنه يقتضي كون السورة مدنية مدفوع بأنه يجوز أن يكون حكاية قبل وقوعه كما قيل في نظائره.

قوله: (فتذر علي وفاطمة رضي الله تعالى عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلاثة إن برنا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي رضي الله تعالى عنه من شمعون الخيري ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله تعالى عنها صاعاً واختيرت خمسة أقراص فوضعوا بين أيديهم ليفطروا فوقف عليه مسكين فأتروه وباتوا ولم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً فلما أمسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فأتروه ثم وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك) وفضة بلفظ أخت الذهب اسم جارية لهما أصوع جمع صاع وهو مؤنث معنوي ولذا قال ثلاث أصوع.

قوله: (فتزل جبريل بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك) دعاء له عليه السلام يجعلهم قرة عينه لما لهم من الزهد والإيثار على أنفسهم مع أن بهم خصاصة ومآل الدعاء له عليه السلام الدعاء لهم بزيادة زهدهم والدوام على تلك الخصلة الحسنة وقد ثبت في موضعه أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب فالأبرار عام لهم ولغيرهم إلى يوم القيام.

قوله تعالى: تُنَكِّحُكُمْ فِيهَا عَلَى الْأَرْكَانِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾

قوله: (حال من هم في جزاهم أو صفة لجنة) حال من هم في جزاهم قيد الجزاء بها

لأنها أتم الحالات والرفعة في الدرجات الأرائك جمع أريكة وهي السرور المزيّنة بأنواع الحلية أو صفة لجنة أخرى لأنه على مذهب الكوفيين وهو مرجوح فإن الصفة إذا جرت على غير من هي له يجب إبراز الضمير فيها ومقتضاها هنا متكتبن هم فيها على أن يكون الضمير البارز مؤكداً للفاعل المستتر كما هو الرضي عند الشيخ الرضي أو فاعلاً له.

قوله: (يحتملهما وأن يكون حالاً من المستكن في «متكتبن» [الإنسان: ١٣] والمعنى أنه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذي) يحتملهما أي لا يرون يحتمل أن يكون حالاً من ضمير جزاهم أو صفة لجنة وأن يكون حالاً من المستكن في «متكتبن» [الإنسان: ١٣] وهو الأقرب لفظاً ومعنى قوله: «لا يرون» [الإنسان: ١٣] كناية عن عدم الشمس والزمهرير كما أشار إليه بقوله والمعنى أنه الخ وأشار بقوله لا حار محم إلى حسن المقابلة محم اسم فاعل من أحماه من الأفعال أي صيره شديد الحرارة وإنما اختاره لأنه هو المناسب بالشمس فتضاهى مستلزم لنفي لازمها وهو المراد هنا فإذا انتفى الإحماء انتفت الحرارة المفروطة وهي المقصودة والنفي في الموضعين راجع إلى القيد ولذا قال معتدل.

قوله: (وقيل الزمهرير القمر في لغة طبي كما قال:

وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر)

أي ورب ليلة ظلامها مبتدأ خبره قد اعتكر أي اشتد ظلمته والجملة صفة ليلة قوله قطعتها عامل رب أي قطعتها بالسير قوله والزمهرير ما زهر أي أضاء وهذا قرينة على أن الزمهرير بمعنى القمر وجملة ما زهر حال من فاعل قطعتها أو من مفعوله مثل جاءني زيد والشمس طالعة أي قطعتها حال كوني مقارناً لمدة إضاءة القمر وما مصدرية فقبل المراد به في الآية القمر ليحسن المقابلة بالشمس مرضه لأنه غير شائع استعماله فيخل الفصاحة.

قوله: (والمعنى أن هواءها مضيء بذاته لا يحتاج إلى شمس وقمر) أي على كون المراد بالزمهرير القمر إن هواءها أي إن هواء الجنة مضيء الخ وكذا المعنى على الأول أيضاً لأنه إذا لم تكن الشمس فيها لم يكن القمر فيها أيضاً فيكون المعنى لا حار مفرط ولا بارد شديد وإن هواءها مضيء الخ فيكون الاحتمال الأول مع شهرته في الاستعمال أفيد معنى وهو الراجح وعن هذا مرض الثاني.

قوله تعالى: وَنَافِثَتْنِيَّ طَلَّاهَا وَذَلَّتْ طُلُوفُهَا قُدْرِيَّ (١٤)

قوله: (حال أو صفة أخرى معطوفة على ما قبلها أو عطف على جنة أي وجنة أخرى

قوله: وليلة ظلامها قد اعتكر يقال اعتكر الظلام اختلط كأنه تراكم بعضه على بعض وزهرت النار زهوراً أضاءت وأزهرتها أنا يقول رب ليلة شديدة الظلمة قطعتها بالسرى والحال أن القمر ما طلع وما أضاء.

قوله: حال أو صفة أخرى معطوفة على ما قبلها أي حال من هم في «جزاهم» [الإنسان: ١٢] معطوفة على متكتبن على كونه حالاً أو صفة لجنة عطف على متكتبن على كونه صفة لجنة.

دانية على أنهم وعدوا جنتين كقوله: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن: ٤٦] حال أي معطوفة على محل الجملة الحالية وهي ﴿لا يرون﴾ [الإنسان: ١٣] أو على ﴿متكئين﴾ [الإنسان: ١٣] وكثيراً ما يطلق على المعطوف شأن المتبوع من الحالية والوصفية والخيرية وغيرها تسامحاً لكونه مثل المعطوف عليه في الحكم قوله على ما قبلها إشارة إلى عدم التعيين ولذا لم يقل على ﴿متكئين﴾ [الإنسان: ١٣] أو على ﴿لا يرون﴾ [الإنسان: ١٣] كما قال أو عطف على جنة ولما وجب كون المعطوف غير المعطوف عليه قال أي وجنة أخرى على أنهم الخ وأشار إلى أن الموصوفة وهي الجنة مقدرة حينئذ كقوله: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن: ٤٦] جنة لعقيدته وجنة أخرى لعمله مثلاً وغير ذلك كما فصله المصنف هناك.

قوله: (وقرئت بالرفع على أنها خبر ظلالتها) قدم للاهتمام به وفيه إشارة إلى رد احتمال كونها رافعة له على القاعلية لعدم شرطه وهو الاعتماد وحمل الكلام على مذهب الأخفش وهو العمل بدون اعتماد ضعيف.

قوله: (والجملة حال أو صفة) حال فالواو رابطة أو صفة أي معطوفة على الصفة فالواو عاطفة ويجوز كونها عاطفة في الحالية والظلال هنا مستعارة ومعنى القرب كمال التمتع بها وإلا فظلالها ممدود لا يتخلص أصلاً ولا يتفاوت بالقرب والبعد.

قوله: (معطوف على ما قبله) وعدم التناسب في الفعلية لمانع وهو كون ظلالتها دائمة فيناسبها الجملة الاسمية وتذليل القطوف متجدد فيتبني له الفعل فلا يقال إنه من محسنات المعطف تناسب الجملتين.

قوله: (أو حال من دانية وتذليل القطوف أن تجعل سهل التناول لا تمتنع على قطافها

قوله: (والجملة حال أو صفة) إذا قرئت دانية بالنصب يكون حالاً مقررراً والواو للمعطف على ما قبلها وإذا قرئت بالرفع تكون الجملة الاسمية حالاً والواو للحال لا للمعطف وذو الحال الضمير في ﴿لا يرون﴾ [الإنسان: ١٣] فيكون حالاً متداخلة على تقدير كون لا يرون حالاً من هم في ﴿وجزاهم﴾ [الإنسان: ١٢] وعلى تقدير كونه صفة لجنة يجوز أن تكون هذه الجملة صفة أخرى لجنة والواو للمعطف على يرون واسمية الجملة في المعطوف للدلالة على الدوام.

قوله: (معطوف على ما قبله) أما إذا رقت دانية فالمعطف من عطف الجملة الفعلية على الاسمية واختيار الفعلية في المعطوف للإشعار بأن التذليل متجدد شيئاً غيب شيء بخلاف المعطوف عليه فإن المطلوب فيه استدامة الظل وأما إذا نصبت فالواجب أن يأول المعطوف بالمفرد أي أو ﴿دانية عليهم ظلالتها﴾ [الإنسان: ١٤] وقد ذلت قطوفها أو يكون حالاً من دانية بتقدير قد أي ﴿ودانية عليهم ظلالتها﴾ [الإنسان: ١٤] ﴿وقد ذلت قطوفها﴾ [الإنسان: ١٤] وحاصل المعنى تدنو ظلالتها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم.

قوله: (وتذليل القطوف الخ القطوف جمع قطف بالكسر وهو المقطوع من الثمار يقال قطف الفاكهة قطعاً معناه بالفارسية بجيد مبهو را قال الزجاج كلما أرادوا أن يقطفوا شيئاً منها ذل لهم

كيف شاؤوا) أو حال من دانية أي من ضميرها المستتر فيها إذ كونها حالاً بناء على أن دانية منصوب بالعطف على جنة بتقدير الموصوف كما عرفت أي وجنة دانية أي حال كونها قطوفها مذلة قوله على قطافها بضم القاف وتشديد الطاء جمع قاطف كقوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتُ الْجَنَّةِ دَانٌ﴾ [الرحمن: ٥٤] قريب بئاله القاعد والمضطجع وبهذا علم كونه سهل التناول كيف شاؤوا أي قائماً أو قاعداً أو مضطجعا والحاصل أن ثمارها سخرت لمتناولها وسهل أخذها فلم منه أن ذلت من الذل بكسر الذال وهو ضد الصعوبة.

قوله تعالى: وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِذَاتِ زُجْجٍ وَكُنُوفٍ كَأَنَّ الْوُاقِعَ

قوله: ﴿وَيُطَافُ﴾ [الإنسان: ١٥] أي يطوف عليهم ولدان للخدمة حال الشرب هذا متعلق بقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ [الإنسان: ٥] الآية وسط بينهما بما هو سبب لذلك الشرب وهو قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧] وما يتعلق به من جزائهم بأحسن ما عملوا.

قوله: (وَأَبَارِقُ لا عروة لها) تفسير أكواب قال في سورة الواقعة والكوپ إناء لا عروة له ولا خرطوم والإبريق إناء له ذلك فلو ذكر الخرطوم لكان أتم بياناً أن المراد بآنية الأباريق بقرينة ذكر أكواب بعدم والظاهر أن الأكواب من فضة أيضاً كما قال تعالى: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥] الآية إذ الجملة صفة لأكواب.

قوله تعالى: قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرًا مَقْدُورًا

قوله: (أي تكونت) بيان حاصل المعنى أشار إلى أن كان بمعنى التام أي تكونت ووجدت وقوارير حال على أنه تشبيه بليغ أي حال كونها مثل قوارير لأن القارورة من الزجاج ولا يحمل على الاستعارة لكون الطرفين المذكورين.

ودنا منهم فعروا كانوا أو مضطجعين أو قياماً قال صاحب الكشف وتذليل القفوف أن نجعل ذللاً لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا أو تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل إذا كان قصيراً قال الأول من الذل بالكسر والثاني من الذل بالضم قال ابن جني في قوله تعالى: ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ﴾ [الإسراء: ٢٤] الذل بالضم والكسر الذل بالكسر في الدابة ضد الصعوبة وبالضم للإنسان وهو ضد العز كأنهم فرقوا لأن ما يلحق الإنسان أكثر قدراً مما يلحق الدابة فاختاروا الضم لقوتها للإنسان والكسر لضعفها للدابة فلا يستكثر مثل هذا.

قوله: أي تكونت جامعة بين صفاء الزجاج وشفيفها يريد إن كانت هنا تامة ليست ما هو من الأفعال الناصبة وانتصاب قوارير على الحالية من ضمير كانت وفي الكشف هو من يكون في قوله: ﴿كَانَ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] أي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيماً لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله: ﴿كَانَ مَزَاجُهَا كَالْفُورِ﴾ [الإنسان: ٥] قال صاحب الكشف والأشبه أن يجعل الثاني على منوال ﴿كَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [النساء: ٩٢] والمعجى بالفعل لتحقيق والدوام.

قوله: (جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة وليتها) أشار به إلى أنها ليست في نفسها زجاجة ولا فضة لما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء فتلك الآنية جامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين مكونة بتكوين الله تعالى تفخيماً لتلك الخلقة العجيبة كما في الكشف فلا إشكال بأن الفارورة ليست من الفضة بل من الزجاجة وهذا معتبر في آنية من فضة أي آنية كانت قوارير من فضة ولعل تكرير قوارير تنبيهاً على ذلك كأنه قيل كانت قوارير لكن ليست قوارير معلومة عندكم بل قوارير من فضة جامعة لبياضها وليتها لا متكونة منها كما هو المتبادر من لفظة من .

قوله: (وقد نون قوارير كليهما) أي فيها بقريته مقابلة ابن كثير .

قوله: (من نون سلاسل) فاعل نون لكن تنوين سلاسل للتناسب وهنا ليس كذلك بل على لغة من يرى صرف ما لا ينصرف إلا افعل من أو لاتباع مصحف الإمام .

قوله: (وابن كثير الأولى لأنها رأس الآي والياقون لم ينونوا أصلاً) أي ونون ابن كثير الأولى دون الثانية لوقوعها في الفاصلة آخر الآية ولذا قال لأنها رأس الآية أي نهايتها فأطلق الرأس على النهاية كما في قولهم رأس السنة آخرها فإذا أعتبرت آخر الآية نون ووقف عليها بالآلف مشاكلة لغيره من قوله تذليلاً فشابه القوافي والفواصل التي تزداد فيها الآلف للموقف واعلم أن القراءة في كلمتي قوارير على خمس مراتب الأولى تنوينهما معاً والوقف عليهما بالآلف بدلاً من التنوين لنافع والكسائي وأبي بكر والثانية عكس هذا وهو عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالآلف لحمزة وحده نقل المحشي عن ابن الجوزي أنه قال وكلهم وقفوا عليه بالآلف إلا حمزة ورويساً انتهى فلا يتم ما ذكره البعض لحمزة وحده والثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما لهشام وحده والرابعة تنوين الأولى دون الثانية والوقف على الأول بالآلف وعلى الثاني بدونها لابن كثير وحده والخامسة عدم تنوينهما معاً والوقف على الأول بالآلف وعلى الثاني بدونها لأبي عمرو وابن ذكوان وحفص وجه القول الأخير أن الأول رأس آية فناسب بينه وبين رؤوس الآي في الوقف بالآلف بخلاف الثاني .

قوله: (وقرى «قوارير من فضة» [الإنسان: ١٦] على هي قوارير) بالرفع على أنه خير مبتدأ محذوف كما قال علي هي قوارير وأما على قراءة النصب فبدل من الأولى بدل الكل للإيضاح .

قوله: (أي قدروها في أنفسهم فجاءت مقاديرها وأشكالها كما تمنوه أو قدروها بأعمالهم

قوله: فجاءت مقاديرها وأشكالها كما تمنوه أي لا زائدأ عليه ولا ناقصاً عنه وفي الحواشي وفي معناه أشد المصنف رحمه الله تعالى :

ولو صورت نفسك لم تزدها على ما فيك من كرم الطبع
أراد أنه ينهي على كونها خلقت على أتم ما ينبغي من مكارم الصفات بحيث لا تزيد على ذلك

الصالحة فجاءت على حبسها) فجاءت مقاديرها هذا مستفاد من إيقاع التقدير على القوارير قوله في أنفسهم احتراز عن تقديرهم بأعمالهم لكن مآلها واحد لأن التقدير في أنفسهم إنما هو في مقابلة أعمالهم الصالحة واجتنابهم عن السيئة وكذا التقدير في مقابلة أعمالهم تقدير في أنفسهم والفرق الاعتبار في الأول أنفسهم دون الأعمال وفي الثاني بالعكس.

قوله: (أو قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهاهم وقرئ قدروها أي جعلوا قادرين لها كما شاوروا من قدر منقولاً من قدرت الشيء وقدرنيه فلان إذا جعلك قادراً له) أو قدر الطائفون أي ضمير الفاعل في قدروها الطائفون على الأبرار للخدمة فإنهم مذكورون معنى لدلالة ﴿يطاف عليهم﴾ [الصفات: ٤٥] الخ أخره لأن فيه تكلفاً وقدر اشتهاهم غير معلوم لهم قوله وقرئ قدروها بصيغة المجهول قوله كما شاوروا بيان فائدة الاقدار وإلا فالأقدار ثابت لهم بالدخول في الجنة.

قوله تعالى: **وَسُقُونَ فِيهَا كُؤُوسًا كَانَتْ بِرَآئِحَةٍ رَازِقَةً** ﴿١٧﴾

قوله: (ماء يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به) لما مر من أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء فهو زنجبيل الجنة لكن مغاير الزنجبيل الدنيا في الحقيقة والطعم واللذة وكذا الكلام في الفضة فإن فضة الجنة فضة أيضاً لكنها مغايرة لفضة الدنيا في الماهية والحقيقة ولذا روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال إن أرض الجنة من فضة وأواني كل أرض تتخذ من تربة تلك الأرض وكذا الكلام في ثمارها ولحموها ولبنها وعملها مغاير لثمار أهل الدنيا وكانوا يستلذون الخ فهم يسقون على عادتهم في الدنيا فإنه ألد وأشهى وكذا سائر الأبرار من غير العرب يسقون كذلك وإن لم يكن ذلك عادتهم.

قوله تعالى: **عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِلًا** ﴿١٨﴾

قوله: (عيناً) بدل من كأساً بتقدير المضاف أي يسقون فيها كأساً كأس عين هذا إن أريد بالزنجبيل حقيقته أو بدل من زنجبيلاً إن أريد به ماء بالمد يشبه الزنجبيل.

قوله: (لسلسلة انحدارها في الحلق وسهولة مساعها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسيل) انحدارها أي العين فإنه مؤنث معنوي في الحلق وهذا على بيان أهل اللغة وعن هذا قال يقال شراب أي مشروب سلسل الخ أي سهل الانحدار في الحلق.

قوله: (ولذلك حكم بزيادة الباء) أي ولكون سلسل وسلسال مستعملين في هذا المعنى حكم بزيادة الباء في سلسيل والباء ألف سلسال لكن هذا يقتضي أن يكون الألف

كذلك تلك الأواني جاءت على حسب ما قدروا لا تزيد على ذلك ولا يمكن أن يقع زيادة عليه.
قوله: منقولاً من قدرت الشيء أي منقولاً من قدر الذي هو بمعنى القدرة لا من قدر بمعنى التقدير والتصوير قبل الفعل.

في سلسل زائدة بالنسبة إلى سلسل ولذا لم يرض به فقال وحكم بزيادته قائله الزمخشري ولذا قال أبو حيان إن عنى الزيادة الحقيقية فليس بجيد لأنه لم يقل أحد بأن الباء من أحرف الزيادة وإن عنى أنها حرف من أصل الكلمة وليس في أصل مرادفها في سلسل وسلسال على أنه مما اتفق معناه واختلفت مادته صح انتهى ولو كان المراد الشق الثاني لحكم بزيادة الألف في سلسال بالعناية المذكورة فلا جرم أن مراده الزيادة الحقيقية وأراد بزيادتها عدم تفاوت المعنى بوجودها وعدمها إذ المعنى في سلسل وسلسال كذلك لكن يرد عليه ما ذكرناه زيادة الألف في سلسال إذ المعنى في السلسل كذلك فالأولى أن يقال إن هذه الألفاظ الثلاثة مترادفة بنوع تفاوت ما في المعنى ثم المراد بقوله تسمى تطلق عليها سلسيلاً لا أنه علم له وإلا لامتنع من الصرف ولم يقرأ أحد من العشرة وتسمية سلسيلاً لا ينافي إطلاقه على غيره هذا الاسم غاية الأمر أنه مشتهر في هذا العين مع أن العيون الأخر كذلك سلسل انحدرها وسهل مسأغها أي سوغها على أن مسأغ مصدر ميمي.

قوله: (والمراد به أن ينفي عنها لدغ الزنجبيل ويصفها بتقيضه) لأنه لما قال: ﴿مزاجها﴾ [الإنسان: ١٧] أي ممزوجها زنجبيلاً توهم أن له لدغاً^(١) الزنجبيل فقال عيناً الخ لزوال ذلك التوهم فهذه الجملة من قبيل التكميل والاحتراس وهو أن يؤتى في كلام يومهم خلاف المقصود بما يدفعه وإذا كان كذلك فتخصيص التسمية بذلك لا ينفي إطلاقه على ما عداه كما مر بيانه.

قوله: (وقبل أصله سل سبيلاً فسميت به كتاباً شراً) سل أمر من سأل وفاعله ضمير وسبيلاً مفعول به له أي سل أنت سبيلاً طريقاً إلى مقاصدك فسميت تلك العين بهذه الجملة وجعلت علماً لها منقولاً من الجملة محكياً على أصله فأعرا به تقديره كما هو المختار وقبل ميني كما كان قبل العلمية.

قوله: (لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلاً بالعمل الصالح) بيان وجه التسمية به وتب به على أن المنقول عنه مجاز مرسل للعمل المؤدي إليها وقد مر أن غير هؤلاء لا يقولون بالعلمية لأنه يقتضي عدم انصرافه ولم يقرأ به في العشرة وإن قرأ به طلحة في الشواذ والقول بأنه صرف على لغة أو للمشاكلة كما مر تكلف.

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مِنْ لَؤْلُؤِ السُّؤْرَةِ﴾

قوله: (دائمون) على الطراوة.

قوله: (إذا رأيتهم) أيها النبي أو أي من يصلح للخطاب فعلى الأول الضمير المستتر

قوله: والمراد به أن ينفي عنها لدغ الزنجبيل اللذع بالذال المعجمة والعين المهملة هو الإحراق.

في رأيهم حقيقة وعلى الثاني استعارة أو مجاز مرسل وكذا الكلام في ضمير حسبتهم.

قوله: (من صفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم إلى بعض) من صفاء ألوانهم ناظر إلى لؤلؤاً أقوله وانبثاثهم الخ ناظر إلى منثور أي تفرقهم كاللؤلؤ المنثور أشار به إلى أن فعل حسب ينشأ عن التشبيه قوله وانعكاس الخ هذا مستفاد من كونها صفاء ألوانهم فالانعكاس لازم للآلي المنثورة بملاحظة صفوة ألوانهم فإزداد صفوة ألوانهم وهذا مراد المصنف بهذا الكلام هذا عند خدمتهم وطواقمهم لديهم تكميلاً لمسرتهم.

قوله تعالى: وَإِذَا رَأَيْتَ ظَنًّا رَأَيْتَ نِعَمًا وَمَلَأَ كَبِيرًا ﴿٢٠﴾

قوله: (ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لأنه عام) ملفوظ وهو ظاهر ذكره تمهيداً لقوله ولا مقدر قوله لأنه عام أي مع الاختصار فلا إشكال بأنه مقدر بلفظ عام.

قوله: (معناه أن بصرك أينما وقع «رأيت نعيماً» [الإنسان: ٢٠]) أيها الراي أينما وقع لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك كبير كذا في الكشف فقول المصنف أينما وقع مربوط بقوله تعالى: «رأيت نعيماً» [الإنسان: ٢٠] وهذا مزج غير مستحسن وثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة وفي الكشف وإذا رأيت وإذا أوجدت^(١) الرؤية ثم ومعناه الخ فحينئذ يكون المراد بالعموم عموم مصدر الفعل لأنه مقدر بلام الاستغراق بمعونة المقام وما ذكره المصنف غير ما ذكر في الكشف حيث قال ليس له أي لرأي مفعول قوله لأنه عام أي منزل منزلة اللازم وترك مفعوله فيفيد العموم في المقام الخطائي أو عام لأنه يجوز تقدير كل ما يصلح تقديره إزاء لفظ عين للتقدير يكون ترجيحاً بلا مرجح وهذا معنى كونه^(٢) عاماً هنا كما أشار إليه المحشي وهذا الأخير هو المناسب إذ تنزيله منزلة اللازم خلاصة كلام الكشف فلا تغفل.

قوله: من صفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم إلى بعض فعلى هذا يكون التشبيه من التشبيهات المركبة ووجه الشبه متعدد ذكر صاحب الكشف وجهاً آخر غير ما ذكر حيث قال وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأنه أحسن وأكثر ماء فعلى هذا يكون التشبيه المفرد بالمفرد لأن الانبثاث على هذا الوجه غير منظور إليه ويجوز أن يكون مركباً لتصور النثر من الصدف مع تصوره وجه الشبه الطراوة والرواق.

قوله: ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر أي نزل رأيت منزلة الفعل اللازم حيث لم يرد به تعلق إلى مفعول معين أصلاً ليشيع ويعم كأنه قيل إذا وجدت منك الرؤية آية جهة وقعت رؤيتك

(١) والظاهر ما في الكشف لأن قوله رأيت نعيماً الخ جواب إذا والمفعول مذكور فيه فلا يذكر في طرف الشرط فلا جرم إن رأيت في الشرط منزل منزلة اللازم.

(٢) فالعام هنا ليس بالمعنى المشهور بل بمعنى تقدير كل ما يصلح تقديره.

قوله: (واسعاً) فالكبير في مثله مستعار من عظم الحجم لسعة الفضاء والمسافة والعلاقة مطلق السعة وأيد هذا المعنى بالحديث الشريف أدنى أهل الجنة الخ أي فما ظنكم بأعلى أهلها.

قوله: (وفي الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه) يرى أقصاه دفع وهم بأن أقصاه لا يرى قياساً على الدنيا فلا يستمتع به فأجاب به أي هذا من خصائص الجنة أو خلق الله تعالى لأهل الجنة حدة النظر فلا يقاس على أهل الدنيا قوله يرى من قبيل التكميل والاحتراس.

قوله: (هذا وللعارف أكثر من ذلك وهو أن تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فتستضيء بأنوار قدس الجيروت) وللعارف أي العارف بالله تعالى المستغرق بملاحظة جلال الله تعالى وجماله المعرض عما سواه بل عن نفسه وهذا المراد هنا وإلا فكل مؤمن عارف بالله تعالى موحد به وإلى ما ذكرناه أشار بقوله وهو أن تنتقش نفسه أي روحه أي تنتقش انتقاشاً معنوياً يشبه انتقاش الصور المحسوسة في اللوح بجلايا الملك أي بصور عالم الشهادة وخفايا الملكوت أي بصور عالم الغيب فالمملك عالم الشهادة ولذا أضاف إليها الجلايا أي الظاهرة والملكوت عالم الغيب ولذا أضاف إليها الخفايا والمراد بأنوار القدس العلوم الحقيقية استعارة والمراد بالجيروت العظمة والكبرياء فيحصل لهم لذة المعارف المعقولة كما يحصل لهم لذة المحسوسات الحسية فلهم جنتان جنة روحانية وجنة جسمانية.

قوله تعالى: عَلَيْهِمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا

طَهُورًا ﴿٢١﴾

قوله: (يعلموهم ثياب الحرير الخضر ما رق منه وما غلظ) ما رق وهو السندس وما غلظ وهو الاستبرق وهو معرب استبره وهو الغليظ منه وكونه معرباً أصبح الأفاويل أشير إليه في الكشف.

قوله: (ونصبه على الحال من هم في غلبهم أو حسبتهم) من هم لأنه نكرة لكونه مضافاً بالإضافة اللفظية وجعل ذا الحال ضميرهم في عليهم لأن الكلام مسوق لبيان نعم أهل الأبرار بأنواع النعم ولم يلتفت إلى كونه حالاً من الولدان أو لا وإن كان فيه مبالغة من حيث إن خدامهم إذا كان حالهم كذلك فيعلم بدلالة النص أن حالهم من جهة اللباس أعلى

رأيت نعيماً أينما وقع بصرك لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك كبير وتم نصب على الظرفية أشير به إلى الجنة.

قوله: ونصبه على الحال من هم في عليهم أو حسبتهم أو ملكاً على تقدير مضاف فالمعنى على الأول «يطوف عليهم ولدان» [الواقعة: ١٧] عالياً للمطوف عليهم ثياب وعلى الثاني حسبتهم لؤلؤاً عالياً لهم ثياب وعلى الثالث رأيتهم أهل ملك كبير عالياً لهم ثياب.

من حال ولدانهم من كل وجه أو حسبهم أي أو حال من ضمير حسبهم ثم جوز أن يكون حالاً من الضمير الراجع إلى الولدان ويجوز أن يكون حالاً من ولدان ولقرب الضمير اختاره والقول بأنه حيث لا يلزم تفكيك الضمائر مدفوع بأن ذلك أمر سهل ولا بأس به عند ظهور القرينة المعينة.

قوله: (أو ملكاً على تقدير مضاف أي وله ملك كبير عاليهم) أي أو حال من ملكاً بتقدير المضاف وفيه تكلف واخره لذلك مع أن ماله كونه حالاً من ضمير عليهم.

قوله: (وقرأ نافع وحزمة بالرفع على أنه خير ثياب) عكس ما في الكشف لأنه نكرة كما عرفته لكون إضافته لفظية والقول بأن فيه تخصيصاً لإضافته إلى الضمير فيصح كونه ميثداً ضعيف والمعنى أن فوقهم ثياب سندس وهذا معنى العلو هنا فهذا أبلغ من القول عليهم ثياب سندس.

قوله: (وقرأ ابن كثير وأبو بكر خضر بالجر حملاً على سندس بالمعنى فإنه اسم جنس) أي لفظه وإن كان مفرداً لكنه جمع في المعنى لأنه اسم جنس يحتمل القليل والكثير والمراد الكثير فيكون مطابقاً للصفة في الجمعية إذ الاعتبار للمعاني وقراءة الرفع في خضر لا يحتاج إلى العناية لكونه صفة لثياب.

قوله: (﴿واستبرق﴾ [الإنسان: ٢١] بالرفع عطف على ثياب وقرأ أبو عمرو وابن عامر بالعكس) ﴿واستبرق﴾ [الإنسان: ٢١] أي وقرئ ﴿استبرق﴾ [الرحمن: ٥٤] بالرفع عطف على ثياب قيل لكن بتقدير المضاف أي وثياب استبرق قوله وبالعكس أي قرئ بجر استبرق عطفاً على سندس ورفع خضر على أنه صفة ثياب فيدل على خضر الاستبرق أيضاً بل كون استبرق خضراً معتبراً في الرجوع كلها كما أشار إليه المصنف أولاً بقوله يعلمهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق﴾ [الكهف: ٣١] الآية.

قوله: (وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحزمة والكسائي بالجر) بالرفع على أن خضر صفة ثياب واستبرق عطف على ثياب بتقدير المضاف كما مر وقرأ حمزة والكسائي بالجر على أن خضر صفة سندس حملاً على المعنى كما مر في قراءة ابن كثير وأبو بكر واستبرق عطفاً على سندس لأن العطف على المضاف إليه جائز على الأصح.

قوله: (وقرئ ﴿واستبرق﴾ [الإنسان: ٣١] بوصل الهزمة والفتح على أنه استعمل من

قوله: حملاً على سندس بالمعنى يعني الأصل أن يوصف المضاف لا المضاف إليه لكن أجري خضر على المضاف إليه لكونه عبارة عن الثياب في المعنى فكانه وصف به المضاف.

قوله: بوصل الهزمة والفتح أي وفتح القاف على أنه غير متصرف لوزن الفعل والعلمية جعل علماً لهذا النوع فهو علم الجنس كاسامة وفي الكشف وقرئ واستبرق نصباً في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمي وهو غليظ لأنه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق إلا أن يزعم

البريق جعل علماً لهذا النوع من الثياب) على أنه استفعل أي على أن استفعل ماضٍ من الاستفعال جعل علماً أي علم جنس منقول من الفعل والقاعل واخره مفتوح على الحكاية وإعرابه إما تقديري أو محلي ولم يرض به صاحب الكشاف وقال إنه غير صحيح أيضاً لأنه معرب مشهور تعريبه وأن أصله استيره وقد قال أولاً وقرئ «واستبرق» [الإنسان: ٣١] نصباً في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمي وهو غلط لأنه نكرة يدخله حرف التعريف قوله أيضاً هنا إشارة إليه وعلم من ذلك أن القراءة في خضر واستبرق على أربع مراتب كما ذكره المصنف.

قوله: (عطف على «ويطوف عليهم» [الإنسان: ١٩]) وصيغة المضى هنا لتحققه ولأن الحلية مقدمة على الطواف المتجدد فهي ماضٍ بالنسبة إلى الطواف وإن كانا مستقبلين في نفس الأمر والتأخير في الذكر إذ الطواف طواف الولدان بأكواب وأباريق فناسب ذكره عقيب قوله: «ويسقون فيها كأساً» [الإنسان: ١٧].

قوله: (ولا يخالفه قوله: «أساور من ذهب» [الإنسان: ٢١] لإمكان الجمع والمعاقبة والتبويض فإن حلي أهله الجنة تختلف باختلاف أعمالهم) لإمكان الجمع بالقول بتعدد الأساور لكل والمعاقبة بلبس الذهب ثارة والفضة أخرى كما هو عادة أهل الدنيا وهنا ذكر كونها من فضة وفي موضع آخر ذكر كونها من ذهب والتبويض بأن يكون أساور من ذهب فضة وفي أيديهم سواران من ذهب وفضة أو المعنى بأن يلبس بعضهم سواراً من ذهب وبعضهم الآخر سواراً من فضة قوله فإن حلي أهل الجنة الخ يناسب المعنى الأخير.

قوله: (فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حلياً وأنواراً تتفاوت تفاوت الذهب والفضة) وأنواراً هكذا في بعض النسخ فحينئذ يكون ذكرها استطراداً

ابن محيىن أنه قد يجعل علماً لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح أيضاً لأنه معرب مشهور بقرينة وأصله استيره ثم كلامه يعني إذا كان معرباً يراد به معناه المستعمل في العجم فلا يكون علماً وبمجرد وزن الفعل لا يمنع الصرف.

قوله: لإمكان الجمع والمعاقبة هذا في شخص واحد أي يجوز أن يجمع واحد من أهل الجنة سوارين من ذهب وفضة معاً وأن يأخذ ثارة ذهباً وأخرى فضة على التعاقب والتبويض في أشخاص متعددة بأن حلي واحد منهم سوار ذهب وآخر سوار فضة وقوله فإن حلي أهل الجنة الخ بيان للتبويض.

قوله: فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حلياً وأساور وفي قوله بأيديهم إشعار بأن الله تعالى يجازي على كل عمل صدر من كل واحدة من الجوارح والأعضاء بما يناسب تلك الجارحة التي صدر منها ذلك العمل من الثواب والعقاب فإن السوار مما يناسب الأيدي وكذا جانب العقاب قال تعالى «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً وتحشره يوم القيامة أعمى» قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى» [طه: ١٢٤ - ١٢٦] وفي هذا المعنى الآيات والأحاديث كثيرة.

وفي بعضها أسواراً وهو الظاهر ولا يبعد أن يراد بأنوار الأساور وعبرت بها لكمال ضيائها وفرط نورها وللتنبية على أن ذهبها وقضتها مغايرتان لفضة الدنيا وذهبها بالحقيقة والماهية والاتحاد إنما هو في الأسماء كما مر توضيحه في قوله: ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْ فَضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥] الآية ولا يخالفه قوله تعالى أيضاً في سورة فاطر ﴿يَحْلُوتُ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤُا﴾ [فاطر: ٣٣] الآية لأنه روي عن سعيد بن المسيب ليس من أهل الجنة أحد إلا في يده ثلاثة أساور واحد من فضة وآخر من ذهب والثالث من لؤلؤ فذلك قوله تعالى: ﴿يَحْلُوتُ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤُا﴾ [فاطر: ٣٣] ولم يتعرض له المصنف إما لانفهامه مما ذكره أو لأن لؤلؤاً يحتمل عطفاً على محل من أساور.

قوله: (أو حال من ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين) أو حال عطف على قوله على ﴿ويطوف﴾ [الإنسان: ١٩] الخ جواب آخر للمخالفة ظاهراً كما قرره المصنف وذلك للمخدومين وذلك بأن يكون عاليهم حالاً من ضمير حسيبهم وهذا لا يقتضي كون لابسهم الستنس تحت الحسيبان حتى يرد عليه وكيف ذلك وهم لا يسون حقيقة فإن الحسيبان في حال من الأحوال لا يقتضي دخول الحال الأخرى تحت الحسيبان وهو ظاهر.

قوله: (يريد به نوعاً آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك أسند سقيه إلى الله عز وجل) بقرينة المقابلة والمراد بالنوعين المتقدمين ماء مزج بالكافور وماء مزج بالزنجبيل ولذلك أسند سقيهم إلى الله تعالى وإن كان مجازاً عقلياً وهذا علة أية تفيد العلم بذلك قيل إنه تقدم لهم الأطعمة والأشربة فإذا فرغوا اتوا هذا الشراب الطهور فإذا شربوا منه طهر بطونهم ورشح منهم عرقاً يريح المسك وهو نوع من الشراب وهذا وجه آخر لكونه طهوراً غير ما ذكره المصنف.

قوله: (ووصفه بالطهورية فإنه يظهر شأبه عن الميل إلى اللذات الحسية والركون إلى ما سوى الحق فيتجدد لمطالعة جماله ملتذاً ببقائه باقياً ببقائه وهي منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الأبرار) فإنه يظهر شأبه هذا في ابتداء الأمر وقيل دخول الجنة لما روي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال في هذه الآية إذا توجه أهل الجنة الجنة مروا بشجرة تخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من إحدىهما فيجري عليهم بنصرة النعيم فلا تتغير أبشارهم ولا تشتت شعورهم أبداً ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من الأذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم ﴿سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين﴾

قوله: وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين أي وعلى الوجه الأخير وهو أن يكون المعنى على التبعيض يجوز أن يكون أساور الفضة للخدم وأساور الذهب للمخدومين.

قوله: (يريد به نوعاً آخر يفوق على النوعين المتقدمين معنى النوعية مستفاد من تنكير شراباً والنوعان المتقدمان هما كأس كان مزاجها كافوراً وكأس كان مزاجها زنجبيلاً).

[الزمر: ٧٣] وإلا فأصحاب الجنة لا ميل لهم إلى اللذات الحسية والركون إلى ما سوى الحق بعد دخول^(١) الجنة.

قوله تعالى: **إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا فَشُكِّرُوا** ﴿٢٢﴾

قوله: (على إضمار القول والإشارة إلى ما عد من ثوابهم) أي يقال لهم إن هذا الثواب العظيم من جميع ما ذكر كان لكم جزاء بمقتضى وعد الله تعالى وإن كان عطاء وتفضلاً محضاً في نفس الأمر.

قوله: (وكان سعيكم) أي مساعيكم على أن الإضافة للجنس ولذا كان مضافاً إلى الجمع مشكوراً من الله أي مقبولاً عنده مثاباً عليه فإن شكر الله تعالى الثواب على الطاعة.

قوله: (مجازاً عليه غير مضيع) إشارة إلى ما ذكرناه إجمالاً.

قوله تعالى: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا** ﴿٢٣﴾

قوله: (إنا نحن نزلنا) [الإنسان: ٢٣] تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي للحصر رداً لمن قال أنه سحر أو كهانة أو شعر.

قوله: (مفرقاً) بناء على أن التنزيل للتدرج وقد يستعمل في النزول جملة كقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ [الفرقان: ٣٢] الآية.

قوله: (منجماً لحكمة اقتضته) أي منزلاً بحسب الوقائع والمصالح ولذا قال لحكمة اقتضته أي اقتضت التفريق والتنجيم ومن جملة الحكمة تسهيل حفظه وفهمه ولأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة في المعنى.

قوله: (وتكرير الضمير مع أن مزيد لاختصاص التنزيل به) أراد به أنا نحن مع أن الخ أي تقديم الضمير وهو المسند إليه يفيد الاختصاص كما مر وتكريره مع أنه تأكيد لهذا الاختصاص ليتمكن في الذهن فضل تمكن فكلمة أن لمجرد التأكيد للاهتمام به لا لأن المخاطب متردد فيه ادخال مع على أن لأنها أصل في التأكيد وإسناد التنزيل إليه تعالى مجاز لكونه أمراً به وتعديته بعلى لأن التنزيل من فوق قوله تنزيلاً لتأكيد التنزيل دفعاً لتوهم المجاز أو للتفخيم بواسطة التكرير.

قوله تعالى: **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ نُهُمْ وَأَطِيعُوا أَوْ كُفُّوا** ﴿٢٤﴾

قوله: (بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم) فإن له عاقبة حميدة الباء متعلق

قوله: مفرقاً منجماً معنى التفريق مستفاد من صيغة التفعيل الموسوعة للتكثير فهي ههنا لتكثير الفعل.

(١) قال تعالى: ﴿ونزغنا ما في صدورهم من غل﴾ [الأعراف: ٤٣] الآية.

بالحكم والتأخير ليس عن وقته المقدر له بل التأخير عن الوقت الذي يظن أنه وقت النصرة لإصرارهم على الكفر وفرط اذاهم وفي قوله بتأخير نصرته مسرة عظيمة وعلى في على كفار متعلق بالنصر بتضمين معنى الغلبة الفاء في ﴿فاصبر﴾ [الإنسان: ٢٤] للسيببية لأن تنزيل القرآن مفرقاً منجماً لحكمة اقتضته ومن جملة الحكم تأخير النصر والإذن في القتال إلى وقته المقدر له سبب للصبر والأمر بالصبر لحكم الله تعالى بالتأخير وقضائه .

قوله: (أي كل واحد من مرتكب الإثم الداهي لك إليه) كل واحد مفعول ولا نطع تفسير أئماً أو كفوراً كلمة كل لاحاطة الأصناف لكن يوهم أن الإطاعة لواحد منهما لها مساغ فالأولى طرح لفظة كل لكن بملاحظة العلة يندفع هذا الوهم فلا مفهوم وأشار به إلى أن الإثم غير الكفور لأن العام إذا قوبل بالخاص يراد به ما وراء الخاص وأن كلمة ليس أو بمعنى الواو كما صرح به العارف الجامي بل لأحد الأمرين على ما هو الأصل والعموم مستفاد من وقوع لأحد المبهم في سياق النفي لا من كلمة أو قال صاحب التوضيح وإذا استعمل في النفي يعم كقوله تعالى: ﴿ولا تطع منهم أئماً أو كفوراً﴾ [الإنسان: ٢٤] أي لا هذا ولا ذاك لأن تقديره ولا تطع أحداً منهما فيكون نكرة في موضع النفي انتهى وهذا يؤيد ما قلنا من أن طرح كلمة كل في قول المصنف أي كل واحد أولى حيث قال صاحب التوضيح لأن تقديره ولا تطع أحداً منهما وبعضهم حملها على معنى الواو لكن لا حاجة إلى إخراجها عن أصلها كما عرفته قوله: ولا تطع أحداً منهما يدل على نهي الطاعة عن كل واحد وعن المجموع لما عرفت من أنه للعموم ولا حاجة إلى ما قيل من أن لا تطع أحداً منهما يدل بمنطوقه على النهي عن إطاعة أحدهما وفحواه على النهي عن إطاعتها بالطريق الأولى نقل عن الزجاج أنه قال أو هنالك أوكد من الواو وعلم منه أن أو في الإباحة كجالس الحسن أو ابن سيرين يدل على استحقاق كل منهما ذلك بالفضل والمزية فيدل على الاجتماع بالطريق الأولى والإباحة من خارج وهو موافق لقول ابن الحاجب أو لإثبات الحكم لأحد الأمرين فيحتمل وضعاً فإن قامت قرينة على عدم المنع عن المعية فهي للإباحة وفيه تأمن والحاصل أن أو في أصلها لأحد الأمرين هذا في الإثبات ظاهراً وأما في النفي وما في حكمه من النهي فيفيد العموم لوقوعه في سياق النفي كالتنكية المتفية وذلك بأن يلاحظ عطف أو كفوراً على أئماً ثم يسلط النفي عليه فيكون لنفي المردد لا للترديد في النفي فيفيد عموم النفي لا نفي العموم كما أشار إليه المحقق في التوضيح وإليه أشار المصنف بقوله أي كل واحد من مرتكب الإثم ومن الغالي في الكفر حيث عبر بالواو تنبيهاً على أنه للعموم النفي بالملاحظة المذكورة لا لأن أو بمعنى الواو وكلمة أو هنا لأحد الأمرين قبل ملاحظة النفي فهي باقية على أصلها إذ عموم النفي بعد تسلط النفي عليها زائد ولو حمل أو على معنى الواو خرج أو عن أصلها بالكلية ولا وجه له نعم المعنى على كون أو بمعنى الواو مستقيم لكن يفوت هذه الدقة الأنيقة مع إخراج أو عن أصلها ولو حمل الكلام على الترديد في النفي بأن يلاحظ النفي أولاً ثم الترديد ثانياً تفسد المعنى خذ هذا لبيان واشكر الإحسان .

قوله: (الداعي لك إليه) نبه على أن منشأ النهي عن إطاعة الإثم والكفور دعوتهم إلى الإثم والكفر ولا يخالف هذا ما قيل إن تعليق الحكم بالمشتق يفيد عليه مأخذ الاشتقاق إذ العلة هنا الإثم والكفر من حيث إنهما يقتضيان دعوة صاحبهما غيره إليهما.

قوله: (ومن الغالي في الكفر الداعي لك إليه) منهم من صيغة المبالغة.

قوله: (وأول للدلالة على أنهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به) قد عرفت وجهه مفصلاً وأن أول لأحد الأمرين وما عداه من المعاني بواسطة القرائن الخارجية ونفي المجموع مع أن أول لأحد الأمرين قد عرفت وجهه وكونهما سيان في أصل الحظر أو لا فالكفر أغلظ مما عداه من الإثم والإطاعة له أشنع بمراتب من إطاعة الإثم كما لا يخفى ثم النهي للأمر بالدوام على ما كان عليه من عدم الإطاعة أو نهى الأمة عنهما كما مر نظيره غير مرة.

قوله: (والتقسيم باعتبار ما يدعون إليه) جواب سؤال مقدر بأن يقال إنه كلهم كفره بقرينة منهم فما معنى التقسيم في المنفي وهذا إشارة إلى أن أو هنا للتقسيم بالنسبة إلى المنهي عنه وما أشار إليه بالواو فبالنظر إلى النفي.

قوله: (فإن ترتب النهي على الوصفين مشعر بأنه لهما وذلك يستدعي أن تكون المطاوعة في الإثم والكفر فإن مطاوعتهما فيما ليس بإثم ولا كفر غير محذور) قد عرفت وجهه آنفاً قوله وذلك يستدعي الخ وهذا وإن أمكن المناقشة بأن مقتضى القاعدة المذكورة عدم إطاعتها لكونهما آثماً أو كفوراً لكن قوله فإن مطاوعتهما فيما ليس بإثم الخ يدفع هذه المناقشة.

قوله تعالى: **وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** ﴿٢٥﴾

قوله: (وداوم على ذكره) أي الأمر للدوام لأنه عليه السلام لم يترك ذكره قوله: ﴿بكرة وأصيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥] يراد بهما الدوام العرفي.

قوله: (ومن الغالي في الكفر معنى الغلو في الكفر مستفاد من صيغة كفور فإن معناه متبالغ في الكفر ومعنى الدعوة فيهما مستفاد من لفظ لا تطع فإن الإطاعة إنما تكون بعد الدعوة المعنى لا تطعهما إن دعواك إلى الإثم أو الكفر وقوله أول للدلالة عطف على ما تضمنته ما قبله من معنى التعليل يعني إنما ذكر الإثم والكفور معطوفاً أحدهما على الآخر بكلمة أو الدالة على أن المعطوف غير المعطوف عليه مع أن المراد منهما الكافر فإنه لو قيل ولا تطع كافراً لأدى المقصود لأن ذكرهما إما لإفادة نهى الإطاعة لكل واحد من مرتكب الإثم الداعي لك إليه أو للدلالة على أن الإثم والكفور سيان في استحقاق عصيانك له وعدم إطاعتك وفي الاستقلال به أي باستحقاق العصيان.

قوله: (والتقسيم باعتبار ما يدعوانه إليه أي جعل الكفور قسماً للإثم ومقابلاً له والمقاسمة باعتبار قسامة ما يدعوانه إليه وهو الإثم والكفر وإلا فلا تقابل بين الإثم والكفور ذاتاً لأنهما واحد ذاتاً فإن الكفور هنا هو الإثم وبالعكس).

قوله: (وداوم على ذكره أو دم على صلاة الفجر والظهر فسر الأمر بالذكر بالأمر بمداومته

قوله: (أو دم على صلاة الفجر والظهر والمغرب فإن الأصيل يتناول وقتيهما) أي المراد بذكر اسم ربك الصلاة مجازاً وكونها صلاة الفجر مستفاد من البكرة والظهر والمغرب من الأصيل فإنه يتناول وقتيهما فإنه قد يطلق على ما بعد الزوال أيضاً والظاهر أنه مجاز باعتبار المجاورة فإنه أشار في سورة الأحزاب إلى أن البكرة أول النهار وأصيل آخره فيكون جمعاً بين الحقيقة والمجاز وهو جائز عند المصنف ومن لم يجوزه اعتبر عموم المجاز وأشار المصنف إلى أن الاسم مقحم حيث قال أولاً وداوم على ذكره وثانياً بأن المراد الصلاة مجازاً وما أريد به الصلاة ذكره تعالى لا ذكر اسمه إلا أن يتكلف ويقال إن الاسم عين المسمى وفيه كلام طويل فلا تغفل.

قوله تعالى: وَيَمِيزُ اللَّيْلَ نَازِلًا فَاسْتَجِدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾

قوله: (وبعض الليل فصل له) أشار إلى أن من للتبعض فصل أي السجدة يراد بها الصلاة مجازاً لكونها جزءاً بحيث ينتفي الكل بانتفائه وهذا قرينة على أن المراد بالذكر الصلاة.

قوله: (ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء) وإنما قال ولعل المراد به فإن هذا وما قبله يقتضي أن هذه السورة نزلت بعد فرض الصلوات الخمس وكون السورة مكية وهي اختلافية فإن بعضهم ذهب إلى أنها مدنية حتى قال ابن عادل إنها مدنية عند الجمهور فحيث يكون المراد بالصلاة غير ذلك كالتهجيد^(١) قد مر البيان في سورة المزمل.

قوله: (وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص) أي تقديمه للاهتمام وجه الاهتمام ما ذكره من مزيد الكلفة الخ وبهذا يتم ذكر الصلوات الخمس على الترتيب.

قوله: (وتتجهد له) حملة عليه لذكره بعد الصلوات الخمس وبهذا يتم المناسبة ولو حمل التسبيح على ظاهره لم يبعد إذ أصل التسبيح التنزيه ويطلق على العبادة القولية كالتهليل

لحصول أصل الذكر فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فالوجه أن يحمل الأمر على طلب الدوام بين معنى الذكر على وجهين الأول حقيقة والثاني مجاز من باب ذكر الجزء وإرادة الكل.

قوله: فإن الأصيل يتناول وقتيهما وفيه نظر فإن الأصيل الوقت بعد المغرب إلى المغرب كذا في الصحاح.

قوله: وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص من التقديم فيه للعبادة والاهتمام بشأن صلاة الليل.

قوله: وتجهد له طائفة طويلة حمل تنكير ليلاً على التثنية والمعنى بعضاً طويلاً من الليل وهو ثلثاه أو نصفه أو ثلثه والقلّة إنما هي بالنسبة إلى الكل لا بالنسبة إلى سائر أجزائه فإن ثلثي

(١) سواء قيل بفرضية أولاً فحيث يكون «وسبحه» على معناه الحقيقي.

والتحميد ونحوهما وعلى العبادة الفعلية كالصلاة فإنها تتضمن التنزيه عن سمات النقص.

قوله: (طائفة طويلة من الليل) إشارة إلى أن التنوين للتبويض وللبعض بحث في كون التنوين للتبويض في سورة يس في قوله تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦١] والتبويض منهم من التعبير بطائفة ولما كان التنوين للتبويض كان طويلاً صفة لبعض الليل إذ هو المراد بالطويل ليس صفة لليل حتى يقال انتصاب ليلاً على الظرفية وطويلاً نعمت له ومعناه سبحانه في الليل الطويل فمن أين يفهم ما ذكره من المعنى فلا حاجة إلى أن يقال ظاهر أن توصيف الليل بالطول ليس للاحتراز من القصر فإن الأمر بالتهجد يتناول أيضاً فهو لتطويل زمان التسبيح انتهى وهذا لا يتم إلا بملاحظة كون المراد بعض الليل بواسطة التذكير فهو تطويل بلا طائل.



قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيُحِبُّونَ الْعَاطِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا قَلِيلًا﴾

قوله: (إن هؤلاء) الكفرة المنفهم من قوله: ﴿وَلَا تَطْعَمُ مِنْهُمْ أَثْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤] يحبون للاستمرار وينهمكون زخارفهم ومشتبهاتهم.

قوله: (أمامهم^(١) أو خلف ظهورهم) لأن الوراثة^(٢) من الأضداد يستعمل في الأمام والخلف كما فصله المصنف في البقرة قدم الأمام لأن القيامة كذلك فاستعير له من المكان قوله أو خلف ظهورهم مثل لأعراضهم عنه رأساً بالأعراض عما يرمي به وراء الظهر لعدم الالتفات إليه.

قوله: (شديداً) أي شديداً ما فيه شدة بحيث يسري شدته إلى اليوم فصار اليوم أيضاً فيكون مجازاً في النسبة.

قوله: (مستعار^(٣) من الثقل الباهظ للحامل) بالموحدة والطاء المعجمة تفسير للثقل قيل إنه تفسير بالأخفى يقال بهظه الحمل إذا أثقله فعجز عنه أو شق عليه حمله.

قوله: (وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه) ولذا صدر بأن واختير اسم الإشارة

الليل قليل بالنسبة إلى كله وكثير بالنسبة إلى النصف والثلث وفيه نظر لأن تكرير الاسم إذا كان للتقليل يراد به تقليل الأفراد لا تقليل الأجزاء اللهم إلا أن يجعل أجزاء ليل ليالي مجازاً.

قوله: من الثقل الباهظ للحامل الباهظ من بهظه الحمل يبهظه يهظاً أي أثقله وعجز عنه وهذا أمر باهظ أي شاق.

قوله: وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه أي قوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ [الإنسان: ٢٧] الآية

(١) وعلى الأول حال يوماً وعلى الثاني ظرف ﴿يَذَرُونَ﴾ كذا قيل والأولى كونه ﴿يَذَرُونَ﴾ على الوجهين.

(٢) الاستعارة تصريحية كما هو تصريح كلام المصنف وجعلها استعارة مكنية وتخليبية بعيد.

(٣) ووراء الأصل مصدر جعل ظرفاً ويضاف إلى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلقه وإلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قوامه ولذلك عد من الأضداد فتأمل في استخراجها هنا.

للتحفير واختير صيغة المضارع في المحبة المفيدة للاستمرار والإصرار وعبر بالمحبة دون الإرادة كما هو المناسب لقوله: ﴿وَيَذُرُونَ﴾ [الإنسان: ٢٧] للتسجيل على فرط غياوتهم وشدة شكيمتهم حيث آثروا الغاية بالمحبة المفرطة على الباقية الصافية والمراد بما أمر به ذكر الله تعالى والصلاة والتهجد والمراد بما نهى عن إطاعة الآثم أو الكفرة الشاملة لجميع المنهيات فهو نشر غير مرتب وحاصله وأجنب عن جميع المنهيات واشتغل بجميع المأمور به خلافاً للكفرة الفجرة لأن هؤلاء يرتكبون جميع المنكرات ويذرون جميع المأمورات لحبهم الدنيا العاجلة لعدم إيمانهم بالدار الباقية فالمحبة كناية عن اتهمك الشهوات وإتيان المنكرات قوله: ﴿وَيَذُرُونَ﴾ [الإنسان: ٢٧] عبارة عن عدم الاعتقاد بالآخرة فهو كالعلة لما قبله فهو من عطف العلة على المعلول وإنما قال كالتعليل الخ لعدم كونه علة صريحاً.



قوله تعالى: نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا

قوله: ﴿نحن خلقناهم﴾ [الإنسان: ٢٨] تقديم المسند إليه للمحصر أي نحن خلقناهم لا غيرنا انفراداً أو اشتراكاً.

قوله: ﴿وأحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب﴾ أي الأسر في اللغة الشد والربط فقوله وأحكمنا معنى شدنا قوله ربط مفاصلهم معنى أسرههم بتقدير المضاف بقرينة أن الربط متعلق بها ومن شأنها قوله بالأعصاب بيان ما يربط به دل عليه الربط التزاماً كما دل على المفاصل كذلك.

قوله: ﴿وإذا شئنا أهلكناهم﴾ نية به على أن مفعول شئنا الأهلاك الدال عليه بدلنا إذ التبديل يستلزم الأهلاك أو مفعوله التبديل كما هو المشهور في مثله نحو قوله تعالى: ﴿ولو شاء لهدأكم﴾ [النحل: ٩] أي ولو شاء هدأيتكم وما ذكره المحض حاصل معناه لكن قوله وبدلنا بالواو ويؤيد الوجه الأول.

قوله: ﴿وبدلنا أمثالهم في الخلقة وشدة الأسر﴾ أشار به إلى أن المراد بالأمثال أنفسهم والتعبير بالأمثال لكونهم أمثالهم في الخلقة ثانياً بعد الأهلاك وكونهم تروياً وعظاماً وهذا يؤيد القول بأن الاعادة جمع الأجزاء المتفرقة ولا يلائم القول باعادة المعلوم بعينه قوله وشدة الأسر أي قوة مفاصلهم بالأعصاب وفيه بيان لكونهم أمثالهم في الخلقة الثانية.

قوله: ﴿يعني النشأة الثانية﴾ الأخرى فحينئذ يكون قوله: ﴿نحن خلقناكم﴾ [الواقعة: ٥٧] مع ظهوره لإثبات النشأة الأخرى كما مر غير مرة لأن قوله تعالى: ﴿وَيَذُرُونَ﴾ [الإنسان: ٢٧] الخ بيان أنهم يتكرون يوماً ثانياً ولذلك آثروا الحياة الدنيا فردهم الله تعالى بالإشارة إلى برهانه وأثبت به ما هو معلوم عندهم فظهر اتصاله بما قبله وعطف إذا شئنا عليه يؤيده وترك العطف لكونه دليلاً لما قبله.

استئناف واقع جواب لما عسى يسأل ويقال عن علة أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالذكر والتسبيح وعلة نهى الإطاعة للآثم والكفور.

قوله: ﴿ولذلك جيء بإذا﴾ أي ولكون المراد بالتبديل النشأة الثانية المحققة بدليل غير بإذا والفعل الدالة على التحقق وجعل فيه تبديل الصفات^(١) منزلة تبديل الذوات وفي ﴿إذا شئنا﴾ [الإنسان: ٢٨] إشعار بأن وقت التبديل غير متعين في نفسه وإنما هو موكول إلى مشيئته كما سيصرح به المصنف في سورة عبس.

قوله: ﴿أو بدلنا غيرهم ممن يطيع وإذا لتحقق القدرة وقوة الداعية﴾ جواب سؤال مقدر وهو أن هذا التبديل لم يقع ولم يشأ الله تعالى فالمناسب بالنظر إلى مقتضى الظاهر وإن شئنا كقوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ [إبراهيم: ١٩] الآية فأشار إلى دفعه بأن كلمة إذا هنا لتحقق القدرة والقوة الداعية إلى ذلك التبديل لإصرارهم على المعاصي فكلمة إذا بالنسبة إلى تحققها دون التبديل فهي الموافقة لمقتضى الحال فاخترت على أن لأنها مقتضى البلاغة وأما مثل قوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ [إبراهيم: ١٩] فبالنظر إلى نفس التبديل فإن هناك مقتضى الحال فعلم من كلام الشيخين أن إذا قد يكون لتحقيق ما فهم من الكلام لا لنفس الكلام فاحفظ هذا فإن هذه القاعدة لم تذكر في كتب البلاغة لكن آخره لأن فيه نوع تكلف وتعقيد ولو قيل كلمة إذا ح بمعنى إن لم يبعد.



قوله تعالى: إِنَّ هَٰذَا لَذِكْرٌ لَّكَ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَٰسِجًا

قوله: (الإشارة إلى السورة) وهذا هو الظاهر معنى لأنها كله تذكرة غير مختص ببعض دون بعض.

قوله: ولذلك جيء بإذا فإن إذا موضوعة لما هو المحقق وقوعه والنشأة الثانية من الأمور المحقق وقوعها.

قوله: وإذا لتحقق القدرة وقوة الداعية يعني الظاهر على هذا الوجه أن يقع كلمة إن لا كلمة إذا لأن تبديل المعاصيين بالمطيعين في الدنيا مشكوك فحتم أن يجاء بأن يفرض كما يفرض ما لا تحقق له وأما التبديل بالمعنى السابق وهو تبديل أمثالهم في شدة الأسر في النشأة الأخرى فمتحقق لا بد منه فحتم أن يجاء بأن لكن جيء إذا على الوجه الثاني نظراً إلى تحقق القدرة وقوة الداعية والتبديل على الوجه الأول التغيير في الصفات ولذلك قال في شدة الأسر لأن الذات المحصورة هي هذه الذات وعلى الوجه الثاني بمعنى التغيير في الذات ولذلك بين قوله غيرهم بقوله ممن يطيع والوجه الأول أوفق للمقام لأن الآية واردة عقيب قوله: ﴿إن هؤلاء يسيئون العاجلة ويفترون وراءهم يوماً ثقيلاً﴾ [الإنسان: ٢٧] أنكر عليهم ركونهم إلى هذه العاجلة التي لا طائل تحتها بحيث بلغ إلى المحبة الذاتية وذهولهم عما هو مصيرهم إليه من الأمر الموهول بحيث بلغ إلى أن جعلوه كالشيء المتروك المنسي ثم قال نحن خلقناهم وشددنا توصيل أعضائهم ليستغلوا بعبادتنا عن الالتفات إلى الغير ويشكروا تلك النعمة ولا بد أن تفكك هذا التركيب ونحل هذا التوثيق ثم نعيده كما هو الآن في شدة الأسر وحقق ذلك بقوله: ﴿إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذه إلى ربه سبيلاً﴾ [الإنسان: ٢٩].

(١) كما قيل في قوله تعالى: ﴿وبدلناهم جلوداً غيرها ليلوقوا العذاب﴾ [النساء: ٥٦].

قوله: (أو الآيات القريبة) وهو الظاهر لفظاً لقربها وكلمة هذه للإشارة إلى القريب لكن لما كان جهة المعنى راجحة قدم الأول ووجه إشارة السورة مع بعدها إما لأن بعض أجزائها وهو الآيات القريبة قريب وهذا كاف في هذا مثل قولك هذا الشهر أو هذه السنة أو لكمال اتقانها حيث ذكرت إلى هنا وانتفش معناها في الازدهان فكانت كالمشاهد القريب وهذا التأويل لازم في الثاني غاية الأمر أنه قريب من المعنى الحقيقي وتذكرة بمعنى مذكرة ولكمالها حمل عليها المصدر ولو أريد بها الحاصل بالمصدر لم يبعد والتتوين للتفخيم.

قوله: (فمن شاء) أي أن يتعظ كذا فسر في سورة المزمل فمفعول شاء ليس مضمون الجزء كما هو الظاهر المتعارف.

قوله: (تقرب إليه بالطاعة) فالسبيل مستعار للطاعة فإنها سبيل معنوي ومعنى اتخاذ التقرب وهذا تمثيل هنا.

قوله تعالى: وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾

قوله: (وما تشاؤون ذلك إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم) أي المفعول اتخاذ السبيل إليه تعالى إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم قوله ذلك قيده به ليظهر ارتباطه بما قبله قوله إلا وقت أن يشاء الله إشارة إلى أن المصدر حيني وهو منصوب على الظرفية بتقدير المضاف وهو الوقت كما صرح به قوله مشيئتكم مفعول أن يشاء الله هذا بناء على مذهبه وهو مذهب الأشعرى فيكون مشيئة العبد بخلقه ومشيئته وهو جبر متوسط وماله جبر محض إذ حينئذ يكون العبد مجبوراً في مشيئته وإرادته الجزئية وإن قالوا نحن مختارون في أفعالنا ومذهب الإمام أبي منصور الماتريدي أن الإرادة الجزئية أمر اعتباري لا وجود له في الخارج وأنه غير مخلوق وليست بمشيئة الله تعالى بل هي صادرة من العبد فلا يلزم كون العبد خالقاً لها لما عرفت من أنها أمر اعتباري لا وجود لها في الخارج حتى تحتاج إلى الخالق فلا يلزم أن يكون مريدها خالقاً فالمعنى على هذا المسلك ﴿وما تشاؤون﴾ [الإنسان: ٣٠] اتخاذ السبيل مشيئة بحيث تقدرون على كسبه وتحصيله في وقت من الأوقات إلا وقت مشيئة الله خلقه وتحصيله إذ لا دخل لمشيئة البعد إلا في الكسب وإنما التأثير والخلق لمشيئة الله تعالى وتقدير مفعول إلا أن يشاء الله على وجه قرئناه موافق لتقدير مفعول ﴿وما تشاؤون﴾ [الإنسان: ٣٠] دون ما اختاره المصنف فلا تغفل ومن أراد توضيح هذا المرام فليراجع إلى المقدمات الأربع لصاحب التوضيح.

قوله: (وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر يشاؤون بالياء) وهو الموافق لما قبله وفي قراءته بالتاء التفات.

قوله: (بما يستأهل كل أحد) يستأهل بالهمزة ويجوز إبدالها ألفاً أي بما يستحق وأصل معناه يصير أهلاً وهذه العبارة مما وقعت في كلام الفصحاء فلا يلتفت إلى إنكار البعض ثم المراد باستحقاق كل أحد استحقاقه يجعل الله تعالى لا استحقاقه بذاته حتى يقال إنه لا يلائم المذهب الحق.

قوله: (لا يشاء إلا ما تقتضيه حكمته) لأنه تعالى راعى الحكمة فيما فعله وشاءه تفضلاً لا وجوباً وكذا فيما لم يفعله فما شاءه وخلقه فقيه حكمة ومنفعة وإن لم تطلع عليه وأشار إلى الفرق بين العلم والحكمة وأن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم فقد يراد به إيقان العلم وإتقان العمل وقد يراد به المحكم لمبدعائه فعيل بمعنى المفعول وقد يراد به لا يفعل ولا يشاء لا ما فيه حكمة بالغة ومصلحة نافعة وهو المراد هنا.

قوله تعالى: يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالْكَافِرِينَ أَعَذَّبْنَاهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾

قوله: (يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة) يدخل من يشاء صيغة المضارع للاستمرار قوله من يشاء فيه تنبيه على أن التوفيق واللفظ ليس بواجب بل هو بفضل في رحمته في إحسانه وهو الإيمان فإنه فرد كامل من أفراد الرحمة ولذا قال بالتوفيق الخ أو في جنة كقوله تعالى: ﴿فأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله﴾ [آل عمران: ١٠٧] الآية وهو أبلغ من قوله يرحم من يشاء من عباده والجملة مقررة لما فهم من قوله: ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾ [الإنسان: ٣٠] ولذا اختير الفصل.

قوله: (نصب الظالمين بفعل يفسره أعد لهم) والمراد بالظالمين الكافرون إذ الشرك ظلم عظيم وغير الأسلوب تنبيهاً على أن كفرهم داه أصابهم بسوء اختيارهم وعدم تأملهم واختير الجملة الاسمية لتدل على دوام عذابهم هذا على قراءة الرفع وقراءة النصب لما ذكره من تناسب الجمل في الفعلية وهو من المحسنات لكن لم تكن مطابقة في الماضوية لأنه أريد المبالغة في الثاني ببيان تحققه دون الأول إذ النكتة مبنية على الإرادة وكذا الكلام في عدم تناسبها في الفعلية في قراءة الرفع حيث أريد التنبيه على دوامها دون الأول وإن كان دائماً أيضاً وهذا القول يؤيد كون المراد بالرحمة الجنة وإذا أريد بها رحمة الدنيا فالكلام فيه صنعة الاحتياك.

قوله: (مثل أوعد أو كافاً ليطابق الجمل المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الإبتداء) مثل أوعد ولم يقدر المذكور بعينه لأنه يتعدى باللام وقرئ بالرفع في الشواذ وهي لابن الزبير.

قوله: (عن النبي ﷺ من قرأ سورة هل أتى كان جزاءه على الله جنة وحريراً) موضوع كسائره الحمد لله على اتمام ما يتعلق بسورة الدهر والإنسان والصلاة والسلام على أفضل من أوتي البيان من بني عدنان وعلى آله وأصحابه ذوي العرفان والإيقان اللهم أوزقنا جنة وحريراً واسقنا شرباً طهوراً ونور قلوبنا بالاخلاص والنية الصالحة تنويراً تمت بمعونه تعالى وقت الضحى من يوم الأربعاء في شهر جمادى الأولى في سنة ١١٩٢.

قوله: مثل أوعد أو كافاً ليطابق الجمل المعطوف عليها فإن الجمل المعطوف عليها الواردة في حق أهل الجنة منبئة عن الوعد لهم بالثواب والمكافأة بالنعيم المقيم فالأنسب في مقابلتهم الوعد بالعذاب والمكافأة بالعقاب. تمت السورة الحمد لله على توفيق الإتمام وعلى الرسول أكمل السلام. اللهم معتصماً بك ومستفيضاً من نورك أقول.

سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة المرسلات مكية وآبها خمسون) مكية بلا خلاف إلا أن بعضهم استثنى منها آية وهي قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨] ولا خلاف في عدد آياتها.

قوله تعالى: وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْشًا ﴿١﴾ وَالْمُصَوِّتَاتُ عَصَا ﴿٢﴾ وَالشَّيْرَتُ نُجُجًا ﴿٣﴾ فَالْمُزَفَّرَاتُ فِرَاقًا ﴿٤﴾ وَالْمُتَفَلِّجَاتُ عُرْشًا ﴿٥﴾

قوله: (أقسم بطوائف من الملائكة) إظهاراً لشرافتهم قوله بطوائف إشارة إلى أن صحة الجمع بالألف والتاء لكونها مؤولة بالطوائف ولا يكفي في ذلك تقدير موصوفها الملائكة لأن واحده ملك مرسل ويقال في جمعه ملائكة مرسلون والطائفة فرقة يمكن أن يكون حافة حول الشيء من الطوف وأقلها ثلاثة وقيل واحداً والاثنتان والملائكة هنا غير معلوم عدداً وأيضاً المراد إما أرضية أو سماوية والظاهر أن بعضها أرضية وبعضها سماوية نبه عليه المصنف في البقرة.

قوله: (أرسلهن الله بأوامره) فالمرسلات بمعنى الماضي لكنه للاستمرار قوله بأوامره جمع أمر مقابل النهي اكتفى بالأمر لأنه يدل على النهي كدلالة الحر على البرد في قوله تعالى: ﴿تَتِيكُمُ الْحَرَّةُ﴾ [النحل: ٨١].

قوله: (متتابعة) معنى عرفاً أشار به إلى أنه بمعنى المتتابعة على هذا التقدير وانتصابه

سورة المرسلات

مكية وآبها خمسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: أقسم بطوائف من الملائكة قيل إنما قال بطوائف ليؤذن بأن المرسلات جمع المرسلات يعني المرسلات جمع المرسلات بمعنى الطائفة المرسلات لا أن واحده ملك مرسل فعلى هذا الغاءات لعطف الصفات لا لعطف الذوات والمعنى أقسم بطوائف الملائكة اللاتي أرسلن فعصفن ونشرن ففرقن فالقنن كما في قوله: يا لهف زبابة للحارث الصباح فالغائم فالأثب بمعنى صبح فغمم فأب والفاء تدل على ترتيب معانيها في الوجود.

على الحال كما سيجيء مع احتمال آخر والياء إما للتعدية إذا كان الأمر بمعنى الموحى به كقوله أرسلته بالهدية والظاهر أنها للملابسة^(١) قال المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك بالحق﴾ [فاطر: ٢٤] أي ملتبساً به إشارة إلى أن الياء للملابسة فقوله هنا بالأوامر كقوله بالحق فلا وجه لكونها للتعدية بحسب الظاهر وما قيل من أنه يجوز أن يكون للملابسة بمعنى أنه أمرها بالذهاب والمرسل غير مذكور حيث لا يكون من الاكتفاء غير شديد لما عرفت من أن قوله بالحق الياء فيه للملابسة والمراد به القرآن المشتمل على الأوامر والنواهي والمرسل به مذكور بلا ريب.

قوله: (فعضفن عصف الرياح في امتثال أمره) فيه إشارة إلى أن العاصفات استعارة مصرحة بمعنى المسرعات أو شبهت بالرياح في شدة السرعة فيكون استعارة مكنية وتخيلية وعطف بالفاء ليدل على أن السرعة عقيب الإرسال بلا تأخير مع السببية وفيه مدح لهم بأنهم سارعوا في الإجابة بلا انفصال من الإرسال وإلى ذلك أشار بقوله في امتثال أمره والمراد بالأمر هنا ما فهم من الإرسال لا في قوله أرسلهن الله بأوامره فإن المراد بها أوامره بالإنسان كما يدل عليه قوله فآلقين إلى الأنبياء وإضافة أمره إلى الفاعل والمفعول متروك أي أمره تعالى الملائكة بتبليغ الأوامر والنواهي إلى الأنبياء بالذات وإلى الأمة بالواسطة.

قوله: (ونشرن الشرائع في الأرض) أشار به إلى أن مفعول الناشرات محذوف وقدر الشرائع دون الأوامر تنبيهاً على العموم كما مر في الأرض بيان الواقع فالنشر على هذا بمعنى الإشاعة وعطف بالواو لعدم تعقيب لأن الإشاعة بعد الوحي والواو لا يقتضي الترتيب.

قوله: (أو نشرن النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم) فملى هذا يكون النشر بمعنى الإحياء مجازاً إذ هو عبارة عن العلم كما قال من العلم آخره لأن النشر شائع في الإشاعة والوجهان متقاربان إذ الإشاعة إنما تكون بتكميل النفوس الناقصة وكذا إحياء النفوس الجاهلة بالعلم يستلزم إشاعة الشرائع في وجه الأرض وإن كان الأول أعم لعمومه بالنسبة إلى النفوس الكاملة لازدياد كماله ولذا قدمه لكن المقصود إحياء النفوس.

قوله: (ففرقن بين الحق والباطل) وفرقن من الثلاثي بين الحق وهو ملة الإسلام والباطل وهو الشرك وهذا الفرق أيضاً بالوحي والعطف بالفاء إذ الفرق يعقب النشر على المعنيين.

قوله: (فآلقين إلى الأنبياء عليهم السلام ذكراً عنراً للمحققين أو نذراً للمبطلين) والفاء هنا للترتيب الذكري كما صرح به الفاضل السعدي في قوله تعالى: ﴿ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾ [الحج: ١٥] لعل سره أن المقصود من الإلقاء إلى الأنبياء الفرق المذكور وقيل المعنى فالسريعات الفرق فالإرادة مقدمة على الإلقاء وقيل المراد نفس الفرق وهو مقدم على الإلقاء والمتأخر عنه العلم بالفرق والكل تكلف وكان المحشي نسي ما

ذكره في الآية المذكورة قوله ذكراً مفعول فآلقين قوله عذراً الخ والظاهر من كلامه أنه بدل من ذكر أو سيجيء توضيحه وتأخير الإلقاء في الذكر مع أنه مقدم على البشر للأعلام بأنه غاية للإلقاء ومقصود منه وقد عرفت أن الواو لا يقتضي الترتيب في الوقوع والظاهر أن العطف من قبيل عطف الصفة على الصفة تنزيلاً لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات ولم يلتفت إلى ما قاله الزمخشري وهو قوله وطوائف منهن نشرون فإنه يشعر بأن الواو في قوله: ﴿وَالنَّاشِرَاتُ﴾ [المرسلات: ٣] للاستئناف لبيان أنه قسم آخر من طوائف الملائكة فإنه خلاف الظاهر ولا باعث للعدول عن العطف والقول بأنه يمكن حمل كلام المصنف عليه ضعيف لأن قوله في تفسير المرسلات أرسلهن الله تعالى بأوامره بأبى عنه لما عرفت من أن الأوامر التكاليف للإنسان ولعل مراد الزمخشري بقوله بأوامره الأمر للملائكة بتدبير الأمور ولهذا حمل والناشرات على طوائف آخر منهن وهم ينشرون الشرائع لكنه بعيد إذ فيه نوع تعقيد.

قوله: (أو بآيات القرآن المرسلة بكل عرف إلى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) عطف على قوله بطوائف من الملائكة أي أو أقسم بآيات القرآن إظهاراً لكمال شرافته ولم يقل أو بالقرآن مع أنه المراد لأن الجمع لا يناسبه وإن أمكن توجيهه بأنه لاشتماله الآيات جمع قوله المرسلة أي المنزلة قوله بكل عرف أي بكل معروف إذ العرف على هذا بمعنى المعروف وهذا بيان حاصل المعنى لا إشارة إلى أنه منصوب بنزع الخافضة وإن كان له مساغ ولا يتنافى كلامه الآتي في بيان إعرابه لأنه لم ينبه عليه هناك اكتفاء بالإشارة إليه هنا والكل مستفاد من الخارج إذ شأن القرآن ذلك ولو بالإحالة إلى القياس.

قوله: (فعصفن سائر الكتب والأديان بالنسخ) متعلق بقوله فعصفن لأن معناه اذهبن مجازاً مرسلأ إذ عصف الرياح وهبوه يذهبن بعض الأشياء فيكون لازماً له.

قوله: (ونشرون آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل) آثار الهدى الخ اختار كون النشر بمعنى الإشاعة لشهرته أو نشرون الموتى بالجهل بهدياته بل هذا المعنى أقرب من الأول وفرقن بين الحق وكذا فرقن بين المحق والمبطل تركه لاستلزامه الأول ولو قال فرقن الخ كما قال في الأول لكان أولى والقول بأنه إشارة إلى أنه بمعنى الواو ليس بسديد إذ معنى الترتيب والتعقيب متحقق فيه.

قوله: (فآلقين ذكر الحق فيما بين العالمين) أشار به إلى أن المراد بالذكر ذكر الحق ليعلم المكلفون ويعلمون به ويجتنبون عن الباطل والمراد بالعالمين المكلفون من الثقلين.

قوله: أو بآيات القرآن عطف على بطوائف من الملائكة وكذا قوله أو بالنفوس أو بالرياح.

قوله: بأوامره متتابعة معنى التتابع مستفاد من الفاءات.

قوله: ونشرون أثر ذلك أي أثر الحق في الأعضاء.

قوله : (أو بالنفوس الكاملة المرسله إلى الأبدان لاستكمالها) أي أو اقسام بالنفوس أي الأرواح المرسله إلى الأبدان هذا بناء على أن الأرواح مجردة كما صرح به في أواخر سورة آل عمران وهذا مسلك الحكماء وشذمة قليلة من المتكلمين واختاره المصنف وفيه مقالات كثيرة والمراد بالكمال بالقوة القريبة إلى الفعل كما يدل عليه قوله لاستكمالها فإن الظاهر أن الضمير راجع إلى النفوس لا إلى الأبدان فلا إشكال بأنه يستلزم كون نفوس الأنبياء والأولياء كاملة كملها الله تعالى قبل تعلقها بالأبدان وبأباه حالة الطفولية قوله لاستكمالها إشارة إلى معنى عرفاً فالمعنى والنفوس الكاملة أي المخلوقة على وجه يستعد لقبول الكمال المرسله أي المتعلقة بالأبدان أو الحالة لها عرفاً أي لأجل معرفة الحق وتمييزه عن الباطل واستكمالها بتلك المعرفة والعمل بموجبه فيكون عرفاً منصوباً على العلية وقيد النفوس بالكمال لأن النفوس الناقصة لا تكون مفسماً بها ولا النفوس المطلقة أيضاً إلا أن تكون متحققة في ضمن النفوس الكاملة فيرجع إلى ما ذكره المصنف .

قوله : (فمصنف ما سوى الحق) أي أذهبه بالتأمل في الأدلة العقلية والنقلية وفيه تنبيه على أن المدرك النفس الناطقة بتعلقها بالأبدان لتحصيل الكمال وعدم توقفها على الأبدان في كونها مدركة بعد تحصيل الكمال ومفارقة الأبدان .

قوله : (ونشرن أثر ذلك في جميع الأعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالِكاً إلا وجهه) فحينئذ تكون الأعضاء سالحة عاملة ما خلق له ففرقن بين الحق بذاته أي المتحقق بذاته وهو واجب الوجود بذاته والباطل أي الفاني والمعدوم في نفسه أي مع قطع النظر عن علته فإنه بالنظر إليها موجود واجب وجوده بالغير فيرون أي فيعلمون كل شيء هالِك إلا وجهه إلا ذاته تعالى هذا تفريع على ما قبله وتفصيل له ونبه به على أن معنى قوله تعالى : ﴿كل شيء هالِك إلا وجهه﴾ [الفصص : ٨٨] كل شيء حال وجوده معدوم بالنظر إلى ذاته مع قطع النظر إلى استناده إلى علته إلا وجهه وذاته وكذا معنى قوله تعالى : ﴿كل من عليها فان﴾ [الرحمن : ٢٦] وهذا غير الذي ذكر في معناه وهو كل شيء هالِك أي معدوم بالفعل بعد وجوده وكذا معنى الفناء إلا ذاته تعالى فإنه باق أزلاً وأبداً ولما كان ما اختاره هنا أبليغ وأفاد أن وجوده كلا وجود بل هو في حكم العدم اكتفى به هنا .

قوله : (فالقين ذكراً بحيث لا يكون في القلوب والألسنة إلا ذكر الله) فالمراد بالذكر حينئذ ذكر الله تعالى قلباً ولساناً بكسر الذاك وإن كان شائعاً في الذكر اللساني لكنه قد يستعمل في الذكر بالقلب والذكر في الاحتمال الأول الوحي وفي الثاني ذكر الحق ضد الباطل والعطف في هذين الاحتمالين أيضاً عطف الصفات على الصفات والفاء في قوله فالفارق لا يحتاج إلى التمحل في هذين الاحتمالين بخلاف المعنى الأول .

قوله : (أو بريح عذاب أرسلن فعصفن) أي أو أقسم بريح عذاب فالموصوف المقدر للمرسلات هي الرياح إذ الإرسال شائع في العذاب أرسلن إلى الكفار فعصفن أي فهيبن بشدة فأهلكن المجرمين .

قوله : (وريح رحمة نشرن السحاب في الجو) أشار به إلى أن قوله : «والناشرات» [المرسلات : ٣] استئناف مع عطف فيكون المراد طائفة أخرى من الرياح فلا جرم أنها ريح رحمة ولم يعكس إذ العصف يناسب الرياح للعذاب فيكون عطف العاصفات عطف الصفة على الصفة وعطف الناشرات عطف الذات على الذات وعطف الفارقات والملقيات من قبيل عطف الصفة .

قوله : (ففرقن فآلقين ذكراً أي تسبين له فإن العاقل إذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته) ففرقن أي السحاب على البقاع حيث أراد الله تعالى قوله أي تسبين له به على أن إسناد الإلقاء إليها مجاز عقلي كما بينه بقوله فإن العاقل دون الغافل إذا شاهد هبوبها سواء كان ريح العذاب أو ريح الرحمة وبهذا الاعتبار تستحق أن تكون مقسماً بها وأيضاً ريح العذاب للكافرين ريح رحمة للمؤمنين إذ إخلاء الأرض عن الكفر والظلم نعمة لنا أخرى لأن فيه مجازاة كثيرة مع أن كون ريح العذاب مقسماً بها يحتاج إلى التكلف كما عرفته فإن القسم بالشيء لإظهار شرافته وتقديم الأول ثم وثم وجهه ظاهر .

قوله : (وعرفاً إما تقيض النكر) أي ما يخالفه فالمراد بالتقيض معناه اللغوي فالعرف المعروف المستحسن من الأفعال الجميلة والمنكر ما يكون قبيحاً من الأفعال أو مما يقوم مقامها من التروك الخ وهذا المعنى منتظم للوجوه المذكورة كلها كما عرفته وإن تفاوت من وجه فإنه معتبر في كل منها ما يناسبه والظاهر أن يكون المراد بيان معناه وإعراجه على الوجه الأخير ولذا لم يشر إلى معناه في قوله أو ريح عذاب أرسله بخلاف الوجوه المتقدمة فإنه أشار إلى معناه وإعراجه فيها لكن الراجح كونه بياناً على الوجوه كلها .

قوله : (وانتصابه على العلة أي أرسلن للإحسان والمعروف) على العلة بمعنى الحكمة والمصلحة للإحسان حاصل المعنى والمعروف أصل المعنى ولو عكس لكان أولى وقد عرفت أن قهر الأعداء إحسان للأولياء .

قوله : (أو بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال) كما في الوجه

قوله : أرسلن الإحسان والمعروف والعرف يحوي بمعنى الإحسان الذي وصوله إلى المسائل معروف من المحسن لثبوته به قال الشاعر :

له حاجب عن كل عيب يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب

قوله : أو بمعنى المتتابعة من عرف الفرس أي متتابعة كسفر العرف قيل أصله متتابعة كتتابع شعر العرف لحذف متتابعة وبقي كتتابع ثم حذف الكاف فبقي تتابع شعر العرف ثم حذف التتابع ثم الشعر فبقي عرفاً .

الأول من عرف الفرس أي بشعره فإنه متتابع وإرسال الرياح مشابه له في التتابع فحينئذ يكون الكلام من قبيل التشبيه البليغ أشار إليه بقوله من عرف الفرس وقد عرفت أنه منصوب بنزع الخافض في احتمال كون المراد آيات القرآن فالاحتمال في إعرابه ثلاثة على سبيل التوزيع .

قوله تعالى: عَذْرًا أَوْ تَذَرًا ﴿٦﴾

قوله : (مصدران لعذر إذا محا الإساءة وأنذر إذا خوف) لعذر لف ونشر مرتب إذا محا الإساءة أي أزالها وهذا تفسير باللازم إذ أصل معناه الاعتذار وبيان العذر وأنذر أي نذراً مصدر أنذر أي اسم مصدر كالسلام بمعنى التسليم فلا إشكال بأن نذراً من الثلاثي فكيف يكون مصدراً للأفعال .

قوله : (أو جمعان لعذير بمعنى المعذرة) هو مصدر ميمي وعبر به ليظهر مغايرته للعذر والجمع لاختلاف أنواعهما بحسب إساءة الأفعال ويجوز تشية المصدر وجمعه حين يقصد الأنواع والأجناس وهذا في المآل واحد والتغاير بينه وبين ما قبله بحسب المفهوم .

قوله : (ونذير بمعنى الإنذار) أي النذر جمع نذير بمعنى الإنذار لا بمعنى المنذر .

قوله : (أو بمعنى العاذر والنذر) أي عذر جمع لعذير بمعنى العاذر ونذراً جمع نذير بمعنى المنذر وقدم الاحتمال الأول لظهوره لأنه يناسب العلية .

قوله : (ونصيهما على الأولين بالعلية) أي على المصدرية بالعلية أي بالعلية التحصيلية وكذا كونه جمعاً لأن مآله معنى المصدرية لكن الظاهر أنه مصدر ولذا قدمه .

قوله : (أي عذراً للمحققين ونذراً للمبطلين) أي عذراً للمحققين المعتزدين إلى الله تعالى بالتوبة النصوحة سواء كانت التوبة عن الكفر أو عن سائر المعاصي والمبطلين هم المصرون على الشرك والمعاصي والعامل فيهما الملقيات إذا كان المراد بالملقيات النفوس الفاضلة فالعلية غير ظاهرة وفي باقي الاحتمال إسناد العذر إلى الملقيات إما حقيقة أو مجاز فلا تغفل قوله ونذراً للمبطلين إشارة إلى أن أو بمعنى الواو .

قوله : (أو البدلية من ذكرأ على أن المراد به الوحي) فيكون بدل البعض لأن الوحي يعمه وغيره والرباط محذوف أي عذراً منه الخ .

قوله : (أو ما يعم التوحيد والشرك والإيمان والكفر) أي على أن المراد به ما يعم التوحيد الخ فيكون حينئذ بدل الكل من الكل لأن التوحيد والإيمان وإعذار والشرك والكفر إنذار إذ المراد بالتوحيد الترغيب في التوحيد وبالشرك التنفير عنه فيكونان فعلاً لفاعل الفعل المعلل فإن العذر والنذر فعلاً للملقيات كما عرفت حيث قال مصدر إن لعذر إذا محا الإساءة الخ والمحو صفة الملقيات ولو مجازاً والإنذار والتخويف صفتها وهو ظاهر .

قوله: (وعلى الثالث بالحالية) أي على كونهما جمعاً للعاذر والمنذر بالحالية لكونهما مشتقين بخلاف كونهما مصدرين فإن كونه حالاً يحتاج إلى التأويل بالمشتق فيطول المسافة وكونه حالاً بلا تأويل للمبالغة لا يناسب هنا.

قوله: (وقرأهما أبو عمرو وحمره والكسائي وحفص بالتخفيف) أي بسكون الذال فيهما والياقون قرؤوهما بالمثل أي بضم الذال فيهما.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧)

قوله: (جواب القسم ومعناه أن الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة) جواب القسم ولذا تلقى بأن ومعناه إن الذي توعدونه أي لفظة ما موصولة وكتابتها متصلة لأنه وقع هكذا في المصاحف العثمانية وكان حقها أن تكتب منفصلة كما في أكثر المواضع قوله من مجيء القيامة بقرينة ما بعده قوله كائن معنى لواقع لا محالة مستفاد من التأكيدات كلمة إن والتعبير باسم الفاعل الدال على تحقق وقوعه لأنه حقيقة في الحال اتفاقاً فيفيد التعبير به التحقق في الماضي ولأم الابتداء في الخبر.

قوله تعالى: ﴿إِذَا النُّجُومُ طُوفَتْ﴾ (٨)

قوله: (محقت أو أذهب نورها) أي محقت أي محيت عن محالها وتساقطت متفرقة أو أذهب نورها وإن لم تكن مزالة عن مقرها وكلا الاحتمالين ثابت في الأزمنة المتفرقة والشمس والقمر داخلان في النجوم والفاء في ﴿إِذَا النُّجُومُ﴾ (المرسلات: ٨) للتفريع والتفصيل لما أجمل في قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ (المرسلات: ٧) وتفرع عليه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فَجَتْ﴾ (٩)

قوله: (صدعت) أي شقت كقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشقت﴾ (الانشقاق: ١) بالغمام.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبُحُورُ سُفَّتْ﴾ (١٠)

قوله: (كالحب ينسف بالمنسف) أي جعلت كالرمل قوله كالحب إشارة إليه ثم أرسل عليها الرياح فتفرقها كذا قاله في سورة طه المنسف آلة التسف وهو التفريق وإزالة أجزائها.

قوله: وعلى الوجه الثالث بالحالية أي وعلى أن يكون علزاً بمعنى العاذر والمنذر يكون نصبهما على الحالية من الضمير في الملقيات أي عاذرين ومنذرين قال أبو البقاء المعنى معذرين ومتنذرين.

قوله: محقت ومحيت قال الراغب المحق النقض ومنه المحاق في آخر الشهر إذا محق الهلال يقال محقه إذا نقصه وأذهب بركاته قال تعالى: ﴿يُمَحِّقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ (البقرة: ٢٧٦) وقال: ﴿وَيُمَحِّقُ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤١).

قوله: كالحب ينسف بالمنسف قال الجوهري المنسف هو ما ينسف الطعام وهو شيء طویل منصوب المصدر أهله مرتفع والأنسب منه أن يكون من النسف بمعنى القلع وفي الصحاح قال أبو زيد نسفت البناء نسفاً قلعته ونسفت الشيء اقتلعت.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾

قوله: (عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الأمم بحصوله) وفي الكشف التوقيت هنا تبين الوقت الذي فيه شهادة الرسل أي الأنبياء وتعدية الشهادة بعلى لتضمنتها معنى المراقبة كما صرح به في قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: ١٤٣] أو يحمل على الشهادة على عدم الإطاعة.

قوله: (فإنه لا يتعين لهم قبله) لأنه من المغيبات ولا يعلمها إلا الله تعالى قوله بحصوله أي تبين وقت حضورهم لهم من جملة علامات قيام الساعة وقال الزمخشري إن معنى اقتت بلغت مقامها الذي كانت تنتظره وتحقيقه أن التوقيت إذا كان معنى التعيين والتحديد للوقت لا يوقع على الذوات إلا بإضمار لأن الموقت الحدث لا الجثث ويحيى بمعنى كونه منتهياً إلى وقت محدود فيقع عليها بدون إضمار إذا كان بينهما ملازمة وجعل هذا هو الوجه لأن القيامة وقت شهادة الرسل لا وقت تبين فيه وقت شهادتهم وحضورهم ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾ [المرسلات: ١١] الخ يقتضي لذلك لأن إذا أكرمتني أكرمك زمان إكرام المخاطب مدلول إذا سواء كان معمول الجزء أو لا قبل هذا زبدة ما في الكشف فقوله الذين يحضرون للشهادة إشارة إلى الوجه الأول والمعنى وإذا حضور الرسل للشهادة على الأمم اقت بحصوله أي عين له وقته بحصوله فهذا من علامات قيام الساعة كأخواته من انطماس النجوم وأما تعيين الوقت الذي يحضرون للشهادة بدون حصول فهو في الدنيا فلا إشكال بأنه تعالى لما ذكر أن الدين لواقع شرع بعده ما وقع فيها من علامات قيامها فوقت حضور الرسل للشهادة كان بيانها حاصلاً في الدنيا إذ المراد كما عرفته البيان بحصوله وتحقيقه وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩] الآية وقوله بلغت بالتشديد وصيغة المجهول أو بالتخفيف والمعلوم إشارة إلى الوجه الثاني فمعنى اقتت ليس بمعنى تعيين الوقت وتبينه حتى يحتاج إلى الإضمار بل بمعنى بلغت ميقاتها الذي الخ فهذا متحقق في الذوات والجثث غير مختص بالحدث ووجه ترجيح الزمخشري عدم الاحتياج إلى

قوله: بحصوله فإنه لا يتعين لهم قبله أي اقتت وعين وقتها بحصوله أي بحصول ذلك الوقت ووجوده أي تعيين وقتها إنما هو بحصوله لا يتعيّنه قبله فإن لم يتعين قبله بطريق الوحي أو غيره.

قوله: أو بلغت ميقاتها قال صاحب الكشف والوجه أن يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة وإنما اختار هذا الوجه لأن توقيت الشيء قد يكون بمعنى تحديده وتعيين وقته وقد يكون بمعنى جعل الشيء منتهياً إلى وقته المحدود والوجه الأول مبني على أن يكون معنى اقتت تحديد وقت الرسل وتعيينه فيحتاج حينئذ إلى إضمار معنى الفعل لأن تعين الوقت لا يقع على الذوات فإن الوقت إنما هو الإحداث لا الجثث ولذا أخذ معنى الحضور في تفسير هذا الوجه حيث قال عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة والوجه الثاني مبني على أن يكون معناه جعل الشيء منتهياً إلى وقته وعبر عنه بقوله أو بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره

الإضمار والمصنف^(١) أخره ورجح الأول إذ الإضمار حين ظهور القرينة شائع في كلامهم وكون علامات قيام الساعة المعنى هو الظاهر ألا يرى أن العلامات هو الشمس وفروج السماء والنسف والمناسب هنا تعيين الوقت بوقوعه^(٢).

قوله: (وقرأ أبو عمرو وقتت على الأصل) لأن اقتت وقتت لأنه من الوقت والهمزة مبدلة من الواو وهو أمر مطرد^(٣).

قوله تعالى: لِأَيِّ يَوْمٍ أُتِلَّتْ

قوله: (أي يقال لأي يوم أخرت وضرب الأجل للمجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله) أي يقال أي هذا مقدر بقول هو جواب إذا واللام متعلق لقوله أجلت أخر لرعاية الفاصلة ومعنى أجلت أخرت وقيل هو حال من مرفوع أقتت قوله وضرب الأجل للمجمع توضيح معنى أجلت وهو تعظيم لليوم أي الاستفهام للتعظيم وضمير أجلت راجع إلى

فعلى هذا لا يحتاج إلى الإضمار لأن التوقيت بهذا المعنى يقع على الذوات إذا كان بينها وبين ذلك الوقت ملازمة ولرجحان الوجه الثاني وجه آخر وهو أن ليس القيامة وقتاً يتعين فيه وقت الرسل الذي يحضرون فيه للشهادة بل هي نفس ذلك الوقت ويلزم على الأول نظراً إلى الظاهر أن يكون وقت القيامة غير وقت تعيين الرسل للشهادة لأن إذا بمعنى الوقت فيكون معنى ﴿وإذا الرسل أقتت﴾ [المرسلات: ١١] وفي وقت عين فيه وقت الرسل للشهادة اقتت وإنما قلنا نظر إلى الظاهر لأن الوقت الذي عين فيه وقت الرسل هو وقت الرسل فيحصل الأول حصل الثاني لأنه هو أن يكون الوقت الأول زماناً متداً والوقت الثاني بعضاً منه فيجوز أن يكون الأول ظرفاً للتعيين الثاني وأشار القاضي رحمه الله إلى هذا المعنى بقوله بحصوله ولا يلزم هذا التكلف في الوجه الثاني قال الطيبي وإنما كان هذا هو الوجه لأن قوله تعالى: ﴿إنما توعدون﴾ [المرسلات: ٧] لواقع مجمل يشتمل على يوم القيامة وأماراتها فقوله: ﴿فإذا النجوم طمست﴾ [المرسلات: ٨] إلى قوله: ﴿ليوم الفصل﴾ [المرسلات: ١٣] تفصيله ثم ذكر متى يقع فقال فإذا النجوم طمست ولا ارتياب أنه تعالى يخبر عن وقوعها وبلوغ ميقانها وحضور الرسل والشهداء ح فيها وليس الكلام في تعيين وقتها للرسل وإنما فسر أجلت في هذا الوجه بقوله تأخرت ليناسب بلوغ الميقات وذكر في الأول أن التأجيل من الأجل والتأقبت من الوقت ليناسب اقتت في كونهما لبيان الوقت قال الجوهري التوقيت تحديد الوقت يقال وقته ليوم كذا.

قوله: وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله معنى التعظيم والتعجيب مستفاد من معنى الاستفهام الدال عليه كلمة أي يقال جاءني رجل أي رجل أي كامل في الرجولية.

(١) كما اختاره الفاضل السعدي.

(٢) وقيل فيه شائبة كون الشيء ظرفاً لنفسه لأن قوله فيه الضمير فيه راجع إلى وقتها وأنت خير بأن مثل هذا كثير الاستعمال وليس فيها كون الشيء ظرفاً لنفسه نعم قول الزمخشري لأن القيامة وقت بشهادة الرسل لا وقت تبين فيه وقت شهادتهم وبما يؤهمه لكن ذكر الوقت لا حاجة إليه ولذا أسقطه المصنف ولم يكن في كلام الزمخشري صريحاً بل زاده صاحب الكشف على ما نقله عنه بعضهم.

(٣) كما في إحداثنا في وحدنا وأجوه في وجوه وأدراً في أدور.

الأمور المتعلقة بالرسول والمعنى ليوم عظيم أخرت الأمور المتعلقة بالرسول وهو تعذيب الكفرة وتحقيرهم وتعظيم المؤمنين وتعجب من موله وهذا لازم المعنى إذ تعظيم اليوم مستلزم للتعجب من موله فلا جمع بين المعنيين المجازيين .

قوله : (ويجوز أن يكون ثاني مفعولي «أفقت» [المرسلات : ١١] على أنه بمعنى أعلمت) أي يكون قوله تعالى : «لأي يوم» [المرسلات : ١٢] الخ مفعولاً ثانياً لأفقت فلا يقدر القول ومنه ينكشف وجه آخر لقوله : «أفقت» [المرسلات : ١١] غير الوجهين المذكورين فلا يحتاج إلى التمثل المذكور .

قوله تعالى : يَوْمَ الْقَسْفَى ١٣

قوله : (بيان ليوم التأجيل) ولذا ترك العطف ويجوز أن يكون بدلاً من لأي يوم أجلت بإعادة العامل ويسمى يوم القيامة يوم الفصل لأنه وقع فيه القضاء بين الخلائق والفصل القضاء والفرق بين المحسن والمسيء والفصل الفرق .

قوله تعالى : وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْقَسْفَى ١٤

قوله : (وما أدراك ما يوم الفصل) ما مبتدأ أدراك خبره أي شيء جعلك دارياً فوضع الظاهر موضع المضمر لزيادة تهويل وما خير ويوم الفصل مبتدأ وقيل بالعكس والجملة معلقة .
قوله : (من أين تعلم كنهه ولم تر مثله) تعلم أنت ولا غيرك كنهه ولم تر مثله ففيه تهويل يوم الفصل جداً .

قوله تعالى : وَيَوْمَ يَمْشِي لَلْمُكَذِّبِينَ ١٥

قوله : (أي بذلك) أي يوم الفصل إشارة إلى الاتصال بما بعده والمراد بالتكذيب إنكاره .
قوله : (وويل في الأصل مصدر) لا فعل له ولما كان المراد به التحسر والهلك هنا وفي مثله قال في الأصل مصدر وقيل المراد به واد أو جبل في جهنم قال المصنف في البقرة فمعناه أن فيها موضعاً ينبا فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازاً لكن الظاهر حملة على ظاهره وعدم الاشتغال بتأويله لأنه مروى عن النبي عليه السلام من طرق صححها السيوطي وروى محيي السنة مرفوعاً إلى النبي عليه السلام أنه قال «الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره» .

قوله : وويل في الأصل منصوب بإضمار فعله هذا تصحيح لوقوع النكرة مبتدأ مثل «سلام عليك» [مريم : ٤٧] أصله أسلم سلاماً حذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ثم عدل من النصب إلى الرفع للدلالة على معنى الثبات والدوام وجاز وقوعه مبتدأ لتخصيصه بالمسلم والمعنى سلامي عليك كذا ههنا تخصص ويل ينسبته إلى فاعل الفعل المقدر الذي هو ساد مسده ولا يبنى منه فعل إذ ليس في كلام العرب فعل معتل الفاء والعين ولكن المقدر الناصب له هو فعل مرادف له مثل هلك وأمثاله فيكون من باب قعدت جلوساً .

قوله: (منصوب بإضمار فعله عدل به إلى الرفع) هذا لا يناسب ما ذكره في البقرة من أنه مصدر^(١) لا فعل له قال أبو حيان وأما وال فمضارع عدل عنه إلى الرفع وجعل مبتدأ مع كونه نكرة لأن المقصود منه الدعاء وإن كان جملة خبرية وهو طلب من ذاته تعالى أن يجعل لهم وبلاً وهلاكاً كقوله تعالى: ﴿فَاتْلِهِمْ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٠] وفيه مبالغة عظيمة وإن جعل معلماً للوادي فيكون معرفة والتونين تنوين التمكن.

قوله: (للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه) نية به على أن المراد بالويل التحسر والهلاك وأشار به في أثناء التقرير إلى وجه كونه مبتدأ وما ذكره مسوغ لكون النكرة مبتدأ مثل ﴿سلام عليكم﴾ [الزمر: ٧٣] ولا مخالفة فيه للكشاف فيكون المعنى فويل من جهتنا لهم ولا يصح هنا ما يقال في ﴿سلام عليكم﴾ [الزمر: ٧٣] أي سلام لي عليكم على أن معنى سلام لي عليكم سلام واقع من قبلي نازل عليكم لا إن السلام القائم بي عليكم.

قوله: (ويومئذ ظرفه أو صفته) ظرفه أي يتعلق به لأنه مصدر في الأصل أو مصدر بمعنى الهلاك وقائده بيان هو له التام لأن ما وقع في اليوم العظيم عظيم بخلاف الهلاك الواقع في الدنيا أو صفته لوقوعه بعد نكرة على ما اختاره المصنف ولو جعل معلماً يتعين الاحتمال الأول.

قوله تعالى: **أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ** ﴿١٦﴾

قوله: (ألم نهلك الأولين) إنكار النفي وإثبات المنفي أي قد أهلكناهم.

قوله: (كقوم نوح وعاد وثمود وقرى نهلك من هلكه بمعنى أهلكه) قراءة شاذة من هلكه المتعدي خلاف المشهور.

قوله تعالى: **ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ** ﴿١٧﴾

قوله: (ثم نحن ننعيمهم نظراءهم ككفار مكة) قدر المبتدأ ليتضح به الاستئناف على

قوله: ثم نحن ننعيمهم نظراءهم تقدير نحن إشارة إلى أن جملة ﴿ننعمهم﴾ [المرسلات: ١٧] الأخرى ليست معطوفة على جملة ﴿ألم نهلك الأولين﴾ [المرسلات: ١٦] لأن العطف يوجب أن يكون المعنى أهلكنا المجرمين ثم اتبعناهم الآخرين في الهلاك وليس المعنى كذلك لأن إهلاك الآخرين لم يقع بعد فوجب أن تكون جملة مستأنفة هذا على أن يكون المراد بالآخرين كفار مكة وأما إذا أريد بالآخرين المهلكون المتأخرون عن المهلكين الأولين يجوز العطف والجزم قال الطيبي هذه القراءة أي القراءة بالرفع معناها التهديد والوعيد لكفار مكة بخلاف القراءة بالجزم لأنه إخبار عن اتباع قوم شعيب ولوط وموسى وقوم نوح وعاد وثمود في الإهلاك وقوله: ﴿وكذلك نفعل بالمجرمين﴾ [المرسلات: ١٨] تذييل أقول معنى التهديد مستفاد من القراءة بالجزم أيضاً لأن الإخبار عن طوائف المجرمين بأننا أهلكناهم قوماً بعد قوم وقرناً بعد قرن بسبب إجرامهم تهديد أي

(١) إلا أن يقال إن مراده إضمار فعل من غير لفظه مثل أهلكه الله هلاكاً.

العادة في أمثاله وليس بمعطوف على ما قبله وألا يكون مجزوماً كما سيحيى فيكون مقطوعاً عما قبله ويستأنف به الكلام على وجه الأخبار عما سبق في المستقبل ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ثم تتبعهم وكلمة ثم ليس بمتعارف في الاستئناف وإنما المتعارف هو الواو والمراد الاستئناف النحوي لا البياني والظاهر أنه معطوف على جملة ﴿ألم نهلك الأولين﴾ [المرسلات: ١٦].

قوله: (وقرىء بالجزم عطفاً على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام) أي قراءة شاذة قوله من المهلكين أي فيما مضى لأن لم تقلب المضارع ماضياً وأما في قراءة الرفع وهي متواترة فهم من المهلكين في المستقبل فيكون بعيداً لأهل مكة من كفارهم كإهلاكهم في بدر.

قوله تعالى: كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾

قوله: (مثل ذلك الفعل) إشارة إلى ما قبله فتكون الكاف للتشبيه وذلك مفعول مطلق أي نفعل بالمجرمين فعلاً مثل ذلك الفعل لكون فعلهم مثل فعلهم والاتحاد في السبب يقتضي الاتحاد في المسبب أو إشارة إلى ما بعده فتكون الكاف للعينة وقد مر هذا الكلام غير مرة.

قوله: (يكل من أجرم) أي اللام للاستغراق وأنه للموصول والمجرمين بمعنى الماضي ويعلم حال من يجرم بدلالة النص.

قوله تعالى: وَبَلِّغْهُمْ إِلَهُكُمْ يَوْمَ الْنُكُودِ ﴿١٩﴾

قوله: (بآيات الله وأنبيائه فليس تكريراً وكذا إن أطلق التكذيب أو علق في الموضوعين بواحد لأن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا للإهلاك في الدنيا مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب) إشارة إلى عدم التكرار كما صرح به فليس بتكرار ويكون المقدر آيات الله الخ بقرينة أن إهلاكهم لذلك وكذا ليس بتكرار إن أطلق التكذيب هنا إذ المطلق غير العقيد قوله وهذا للإهلاك في الدنيا لا يلائم قوله يومئذٍ والحمل على يوم الدنيا بعيد.

تهديد للمجرمين الحاضرين وقت الأخبار به لا سيما قد ذبل بقوله: ﴿وكذلك نفعل بالمجرمين﴾ [المرسلات: ١٨].

قوله: بآيات الله وأنبيائه متعلق التكذيب هنا آيات الله وأنبيائه لدلالة قوله: ﴿ألم نهلك الأولين ثم تتبعهم الآخرين وكذلك نفعل بالمجرمين﴾ [المرسلات: ١٦ - ١٨] على ذلك من حيث إن ذلك الإهلاك لهؤلاء المهلكين إنما كان لأجل تكذيبهم أنبياء الله وآياته وجعله فيما تقدم يوم الفصل بقرينة ذكر يوم الفصل قبله فقوله فليس تكريراً مبني على تغاير متعلقي التكذيب في الموضوعين وقوله وكذا إن أطلق الخ معناه وكذلك لا يكون تكريراً إن أطلق التكذيبان الواقعا في الموضوعين واتحدا في الحقيقة ولم يقدر لهما متعلق أصلاً وكذا لا يكون تكريراً ولو قدر لهما في الموضوعين متعلق واحد لتغاير الويلين في الموضوعين في العلة فإن الويل الأول معلل بعذاب الآخرة والثاني.

قوله تعالى: **أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾**

قوله: (من نطفة مذرة قدرة ذليلة) والتذكير للتحقير مذرة أي فاسدة وقذرة أي نجسة ذليلة معنى مهين وكون النطفة نجسة مذهبتا دون مذهب الشافعي فمعنى قدرة عنده كربة.

قوله تعالى: **فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾**

قوله: (هو الرحم) وما تقرر في الرحم ليس ماء الرجل وحده بل مائه وماء المرأة كما مر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢] الآية معنى في قرار مستقر مكين حصين وهو في الأصل صفة لمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار فإن الرحم ليس بقرار بل مستقر فيه.

قوله تعالى: **إِنَّ قَدْرَ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾**

قوله: (إلى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة) أقله ستة أشهر وأكثره ستان عندنا وأكثر الوقوع تسعة أشهر.

قوله تعالى: **فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾** **وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾**

قوله: (فقدرونا على ذلك) أي قدرنا من القدرة أي فقدرونا على خلقه في أحسن صورة بديعة في أي صورة نشاء وهذا يناسبه قوله: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣].

قوله: (أو فقدروناه) أي فقدرونا بتخفيف الدال يجوز أن يكون من التقدير فإن قدر من الثلاثي قد يجيء بمعنى قدر من التقدير فالمراد تقدير خلقه.

قوله: (وتدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد) إشارة إلى قوته حيث عبر بالدلالة دون التأييد كما في أكثر المواضع فحيثن ذلك يكون معنى ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣] فنعم المقدرين والمعنيان متقاربان لأنه تعالى بين أولاً خلقهم ثم بين أن ذلك بفدرونا وكل شيء كان بالقدرة يكون بالتقدير وبالعكس (نحن).

قوله: (بفدرونا على ذلك) أو على الإعادة بفدرونا إشارة إلى ارتباطه بما قبله وأنه ليس بتكرار والمشركون وإن لم يكذبوا قدرته على ذلك لكن تكذيبهم قدرته على الإعادة مستلزم لتكذيبهم القدرة على ابتداء الخلقة وإلا لزم التناقض لأن الإعادة أهون عليه بالنسبة إلى علمهم كما أشير إليه في أواخر سورة يس قوله أو على الإعادة نوع إيماء إلى ما ذكرناه وبالجمل ذكر هذا الوعيد عقيب هذا الإنعام إشارة إلى أنهم كفروا هذه النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقهم شريفاً مكرماً من ماء مهين قدرة مذرة.

قوله تعالى: ﴿أَرْجَمَلِي الْأَرْضَ كَفَاتًا﴾ ﴿٢٥﴾

قوله: ﴿أَرْجَمَلِي الْأَرْضَ﴾ [المرسلات: ٢٥] شروع^(١) في بيان النعمة الخارجة إثر بيان النعمة الأنفسية وهي تتضمن نعماً كثيرة.

قوله: (كافئة اسم لما يكفت أي يضم ويجمع كالضمم والجمع لما يضم ويجمع) أي اسم جنس كما هو المتبادر وقبل أو اسم آلة لأن فعلاً أكثر فيه ذلك كما مر تحقيقه في إمام قوله أي يضم فيه تنبيه على أن الكفت في اللغة الضم والجمع يقال كفت الشيء كفتاً إذا ضمه.

قوله: (أو مصدر نعت به) بوزن صراف نعت به الأرض حيث حمل عليه والحمل في قوة النعت كعكسه للمبالغة في كون الأرض كافئة أي ضامة وجامعة وهذا وجه ثان معطوف على قوله اسم الخ.

قوله: (أو جمع كافت^(٢) كصائم وصيام أو كفت وهو الوعاء أجري على الأرض باعتبار أقطارها) أو جمع كانت اسم فاعل كقيام جمع قائم أو جمع كفت^(٣) اسم جامد وهو الوعاء^(٤) فالوجوه أربعة قدم الراجح ثم الراجح قوله أجري على الأرض مع أنها مفرد جواب سؤال مقدر قوله باعتبار أقطارها توجيه الجمع باعتبار وجهي الجمع وإنما قيل ألم نجعل هنا أي ألم نخلق على وجه لأن في الجعل التضمين أي جعل الشيء في ضمن شيء آخر.

قوله تعالى: أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتٌ ﴿٢٦﴾

قوله: (منتصبان على المفعولية) الظاهر إن ناصبه كفاتاً على الوجوه الأربعة لكن إذا جعل اسماً أو اسم آلة لا يعمل فحينئذ انتصابه بفعل من لفظه وإليه أشار الزمخشري حيث قال وبه انتصب أحياء وأمواتاً كأنه قيل كافئة أحياء وأمواتاً أو بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى كافئة أحياء كثيرة على ظهرها وأمواتاً كثيرة جداً.

قوله: كافئة بالتائين الفوقائيتين بالإهلاك في الدنيا.

قوله: منصوب على المفعولية أي منصوبان على أنهما مفعولان كفاتاً أي جمعا أحياء وأمواتاً ومنصوبان بفعل مضمر يدل عليه كفاتاً وهو تكفت أي تكفت أحياء وأمواتاً أي تجمعهما والمعنى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتاً في بطنها فعلى هذا تكون الحياة والموت في ﴿أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتٌ﴾ [المرسلات: ٢٦] على الحقيقة سواء كانا مفعولي كفاتاً ويكفت قال أبو البقاء أحياء مفعول كفاتاً أو المفعول الثاني لجعل أي جعلنا بعض الأرض أحياء بالنبات وكفاتاً على هذا حال.

(١) وبهذا علم وجه تقديم الأول ولم يعطف لأنه نوع آخر مغاير له وأيضاً فيه على أنه نعمة على حيالها.

(٢) بكسر الكاف وسكون القاء كفتح وقداح.

(٣) فالتكفات على هذا يكون بمعنى الأوعية.

(٤) على تأويل الأرض بالمكاف أو بالنسب كذا قيل.

قوله: (وتنكيرهما للتضخيم) أي للتعظيم وكونه للتضخيم لا ينافي الكثرة أي أحياء لا يحصرون وأمواتاً لا يعدون فلا إشكال بأن النكرة للفرد المنتشر فيكون المعنى أن الأرض تكفت بعض الأحياء والأموات وليس كذلك كما أشير إليه في الكشف فالواضح أن يقال إن التنوين للتكثير مثل أن له لإبلاً.

قوله: (أو لأن أحياء الإنس)^(١) وأمواتهم بعض الأحياء والأموات) وهذا الجواب بناء على تسليم ذلك ولا محذور فيه إذ المراد إحياء الإنس بقرينة قوله: ﴿ألم نجعل الأرض﴾ [المرسلات: ٢٥] مسوق لتعداد المنعم على الإنس إذ الخطاب فيما قبله وما بعده للإنس وهذا على وفق قانون المناظرة حيث قدم الجواب المنعي على الجواب التسليمي.

قوله: (أو الحالية) عطف على المفعولية.

قوله: (من مفعوله المحذوف للمعلم به وهو الإنس) أي من مفعول كفاتاً قوله وهو الإنس لما عرفت من أن الكلام مسوق لبيان المنعم عليه والمعنى كفاتاً للإنس حال كونهم أحياء وأمواتاً وقد عرفت أن عمل كفاتاً إذا لم يكن اسماً جامداً أو اسم آلة فيعمل إذا كان مصدرأً أو جمع كاف.

قوله: (أو بنجعل على المفعولية وكفاتاً حال) أي منتصبان بنجعل على أنه مفعول ثانٍ بتقدير مضاف أي ذات أحياء وأموات وهو تكلف ولذا أخره وكفاتاً أي على هذا التقدير حال من الأرض.

قوله: (أو الحالية) أي هما منتصبان على الحالية.

قوله: (وتنكيرهما للتضخيم قال صاحب الكشف هو من تنكير التضخيم فكأنه قيل تكفت أحياء لا يعدون وأمواتاً لا يحصرون على أن أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا بجميع الأحياء والأموات يعني أن التنكير يدل على البعضية ولا ينافية التضخيم نظراً إلى أنه بعض غير محصور كثرة والقاضي رحمه الله جعل كونه للبعضية قسيماً لكونه للتضخيم حيث قال أو لأن أحياء الإنس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات.

قوله: أو الحالية من مفعوله المحذوف والمعنى تكفتكم أحياء وأمواتاً فعلى هذا يكون ﴿أحياء وأمواتاً﴾ [المرسلات: ٢٦] على الحقيقة.

قوله: أو بنجعل على المفعولية أي أو ﴿أحياء وأمواتاً﴾ [المرسلات: ٢٦] منصوبان بنجعل على المفعولية وكفاتاً حال والمعنى ألم نجعل الأرض أحياء وأمواتاً كافة لهما أي جامعة وعلى هذا يكون الحياة والموت على المحاز.

قوله: أو الحالية عطف على المفعولية أي أو نصيبهما بنجعل على الحالية من مفعوله الأول وهو الأرض ومفعوله الثاني كفاتاً أي ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً﴾ [المرسلات: ٢٥] حال كونها

(١) لأن بعض الحيوان يكفته الهواء وبعضه الآخر يكفته الماء.

قوله: (فيكون المعنى بالأحياء ما ينبت وبالأموات ما لا ينبت) فيكون المعنى بتشديد الباء أي المقصود أي على هذين الوجهين الأخيرين بالأحياء ما ينبت الخ أي مجازاً وهذا الاحتمال لم يتعرض له صاحب الكشف ولا صاحب الإرشاد لكمال ضعفه مع وجود الاحتمال الراجح الخالي عن التكلف.

قوله تعالى: وَجَعَلْنَا فِيهَا رُؤُوسَ شَٰخِصَاتٍ وَأَسَٰفِينَ ثُمَّ قَرَّأْنَا ﴿٢٧﴾

قوله: (جبالاً ثوابت طوالاً) ثوابت أي رواسي بمعنى الثوابت والموصوف المحذوف الجبال قوله طوالاً معنى شامخات وهنا كلام في أوائل سورة الرعد.

قوله: (والتنكير للتفخيم أو للإشعار بأن فيها ما لم يعرف ولم ير) كالجبال التي في الأرض الغير المعمورة والجزائر العامرة بالتنكير بالنسبة إليه وأما القول بأنه كالجبال السماوية فلا يلائمه قوله: ﴿وجعلنا فيها﴾ [المرسلات: ٢٧] أي في الأرض على أن الجبال السماوية غير معلوم قوله تعالى: ﴿من جبال فيها﴾ [النور: ٤٣] الخ المراد بها السحاب^(١) على الوجه الظاهر وقيل وإن ما يرى منها بعض منها فالتنكير فيها للبعض للإشعار بأن منها ما لم يعرف ولم ير وهذا لا يوافق كلام المصنف لأن مراده التنوين للتنكير وبين وجهه بأن بعضاً منها لم يعرف فيكون نكرة ولو كان للبعض لم يكن التنوين للتنكير وما ذكره القيل خلاف ظاهر كلام المصنف وإن صح في الجملة.

قوله: (بخلق الأنهار والمنافع فيها) فالإسقاء مجاز لخلق الأنهار ويؤيده قوله تعالى: ﴿وجعل فيها رواسي وأنهاراً﴾ [الرعد: ٣] وذكره هنا لأن الجبال سبب لتولد الأنهار والإسقاء وماء اسم جنس متشابه الأجزاء يشمل القليل والكثير فقرأت قامعاً للعطش من فرط عذوبته إذ التقدير ماء عذبة فقرأت.

قوله تعالى: وَيَلْقَى يَوْمَئِذٍ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨﴾

قوله: (بأمثال هذه النعم) قد مر وجهه من أنه ليس بتكرير وإن ذكر الوعيد عقيب ذكر النعمة لتكذيب الكفرة تلك النعمة وكفرانهم بها.

قوله تعالى: أَطْلِقُوا إِنَّمَا كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٩﴾

قوله: (أي يقال لهم انطلقوا من العذاب) أي يقال لهم انطلقوا قدر القول ليرتبط بما فيه يعني هذا حكاية ما يقال لهم في يوم القيامة وهو انطلقوا الخ أثر وعيدهم العذاب بسبب تكذيبهم النعم وكفرانهم المؤدي إلى تكذيب العذاب وعن هذا قال المصنف من العذاب مع أن ما سبق تكذيبهم النعم.

أحياء وأمواتاً أي حال كونها منبتة وغير منبتة وعلى هذا أيضاً يكون الحياة والموت على التجوز.

(١) قال المصنف هناك من جبال من قطع عظام نثب الجبال في عظمها أو جمودها.

قوله تعالى: **انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب** ﴿٢٠﴾

قوله: (خصوصاً وعن يعقوب انطلقوا على الإخبار من امتثالهم للأمر اضطراراً) خصوصاً أي انطلقوا إلى ظل خصوصاً وعن يعقوب هو أحد الروایتين عنه على الإخبار أي بصيغة الماضي فحيث يكون استئنافاً بيانياً جواب سؤال مقدر بأنه هل يمثل الأمر فأجيب بأنهم امتثلوا الأمر اضطراراً ولذا ترك العطف ولو أتى بالفاء فقل فانطلقوا بياناً لشدة سرعتهم إلى الامتثال لكان له وجه وجيه وله نظائر كثيرة قال تعالى: ﴿قال ألقها يا موسى فآلقها﴾ (طه: ١٩، ٢٠) الآية إذ النكتة مبنية على الإرادة.

قوله: (يعني ظل دخان جهنم لقوله تعالى: ﴿وظل من يحوم﴾ [الواقعة: ٤٣]) ظل دخان جهنم أي ظل هو دخان جهنم فالإضافة بيانية ولذا قال لقوله: ﴿وظل من يحوم﴾ [الواقعة: ٤٣] واليحموم دخان أسود فهو استعارة تهكمية بتشبيه ما يعلو من الدخان بالظل لتنزيل التضاد منزلة التناسب بواسطة التهكم مثل قوله تعالى: ﴿فبشرهم بعذاب اليم﴾ [التوبة: ٣٤] أي نزل تعذيب الدخان بترويح الظل تنزيلاً له منزلة الترويح بواسطة التهكم فشبّه الدخان بالظل في إفاضة الراحة فذكر لفظ المشبه به وأريد المشبه فيكون استعارة مصراحة تهكمية.

قوله: (يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب) وهذا من خواص المشبه به فيكون ترشيحاً والاستعارة مرشحة قوله يتفرق ذوائب أي يتفرق تفرق الذوائب على نهج التشبيه البلّغ.

قوله: (وخصوصية الثالث إما لأن حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم) لأن حجاب النفس العاصية عن أنوار القدس أي عن عالم الغيب الذي هو عبارة عن التوحيد وعن معارف الله تعالى الحس أي الحواس الخمس الظاهرة وثبوتها بالاتفاق وأما الحس المشترك فمذهب الفلاسفة وشذوذة قليلة من أصحابنا والمراد بالخيال القوة المتخيلة والوهم أي القوة الوهمية يريد به أنه لما كان الحجب ثلاثة جعلت الشعب بعدها والمصنف اقتدى فيه بالإمام الرازي وتفسير القرآن يمثل هذه النكتة ذلة تحتاج إلى توبة ولو قيل إنه لما كان الكفار أعرضوا عن التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان جعلت الشعب بعدها لكان أحسن البيان والأولى تفويض علمه إلى الملك المنان.

قوله: (أو لأن المؤدي إلى هذا العذاب هو القوة الواهمة) أي ولأن المؤدي إلى سبب هذا العذاب هذه القوى الثلاثة إذا لم تكن مهذبة منقادة للعقل إذ لا يوجد شر من الإنسان

قوله: على الإخبار أي قرأ يعقوب انطلقوا بفتح اللام على صيغة الماضي على أنه إخبار عن وقوع انطلقهم لا إنشاء كما في القراءة بكسر اللام.

إلا بتوسط هذه القوى الثلاثة كما بينه في قوله تعالى: ﴿ويُنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النحل: ٩٠].

قوله: (الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوة التي في يساره ولذلك قبل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره) الحالة في الدماغ الخ وما ذكره من المحال للقوى الثلاثة فليس يبين فالأولى عدم التعرض بمثل ذلك في العلوم الشرعية.

قوله تعالى: لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾

قوله: (تهكم بهم) لأن الظلم يكون ظليلاً أي مظلماً يحفظ من الحر فالمعنى لا ظليلاً أي لا يظل من الحر لأنه ليس بظل حقيقة بل عين الحر فتسمية الدخان ظلاً يكون استهزاء بهم ويزداد به المهم وعذابهم وعن هذا قال: ﴿ولا يغني من اللهب﴾ [المرسلات: ٣١].

قوله: (ورد لما أوهم لفظ الظل) من أن لهم راحة فإن لفظ الظل أوهمه في أول الأمر فنى هذا الاحتمال بقوله لا ظليل الخ فيكون من قبيل التكميل والاحتراص.

قوله: (وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئاً) أي ذلك الظل عنهم قيد به إذ الكلام في شأن المكذبين من حر اللهب بتقدير المضاف لكن لا حاجة إليه وفيه إشارة إلى أن لا ظليل صفة الظل ولا بمعنى غير أي غير ظليل وغير مغن قوله شيئاً مفعوله المحذوف ومغن بمعنى مفيد وقيل تعديته بمن لتضمنته معنى أبعد لأن المغني عن الشيء يباعده كما أن المحتاج إلى الشيء يقاربه فصح أن يعبر عن إغناء شيء عن إبعاده ولا يخفى عليك أن هذا لا يجري في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ [يونس: ٣٦] بل المعنى في مثله لا يفيد وغير مفيد فلا تغفل.

قوله تعالى: إِنَّهَا تَرَى بِشَكْرِكَ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾

قوله: (أي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده أنه قرىء بشرار) أي كل شررة

قوله: تهكم به ورد لما أوهم لفظ الظل معنى التهكم مستفاد من قوله: ﴿إلى ظل﴾ [المرسلات: ٣٠] ومعنى الرد من قوله: ﴿لا ظليل﴾ [المرسلات: ٣١] أما الأول فإن أمر أهل النار بالانطلاق إلى الظل الذي هو موضع الاستراحة فيه تهكم وسخرية فكانه قيل انطلقوا إلى الظل فاستريحوا فيه وأما الثاني فإن وصف الظل بلا ظليل نفى عنه معنى الاستراحة التي تتطلب منه وتطمع فيه وفي الكشف ﴿لا ظليل﴾ [المرسلات: ٣١] تهكم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين يعني أدمج في معنى ظل لا ظليل معينين أحدهما التهكم بهم لأن مفهوم الظل للاسترواح وههنا عكسه كما في قوله: ﴿وظل من يحموم لا بارد ولا كريم﴾ [الواقعة: ٤٣، ٤٤] وثانيهما تعريض بأن للمؤمنين ظلاً على خلافه قيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرايق ويتشعب من دخاتها ثلاث شعب فيظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش.

قوله: أي كل شررة كالقصر ليس يعني قوله كالقصر ليس صفة لشرر فإنه جمع والقصر مفرد فهو صفة لمفردة وهو شررة ويؤيد أن شرر جمع القراءة على شرار.

كالفصر نيه به على أن شرر اسم جنس في حكم الجمع واحده شررة كتمر وتمرّة والمراد هنا كل واحد منه لا المجموع من حيث المجموع لأنه أنسب بمقام التهديد وأبلغ بالوعيد الأكيد قوله في عظمتها وجه الشبه قوله بشار بالجمع بفتح الشين جمع لا مفرد له على ما قيل أو جمع شرارة على ما اختاره بعضهم والفاضل السعدي ادعى أنه بكسر الشين جمع شررة كرقبة ورقاب فوجه التأييد أنه جمع^(١) فينبغي أن يكون شرر أيضاً جمعاً إذ الأصل توافق القراءتين لكن لما لم يجب التوافق قال ويؤيده ولم يقل ويدل.

قوله: (وقيل جمع قصرة) بسكون الصاد كتمر وتمرّة فلا حاجة إلى تأويل شرر بكل شررة لأنه حينئذ من قبيل تشبيه الجمع بالجمع لا تشبيه الجمع بالمفرد حتى يقال بأن المراد تشبيه كل شررة بالمفرد لكن المراد في تشبيه الجمع بالجمع تشبيه كل فرد بكل فرد لا تشبيه المجموع بالمجموع فتدبر وكذا الكلام في قوله وقرىء كالفصر بضميتين على أنه جمع قصر كما هو الظاهر وأما كونه مقصوداً من القصور فهو نادراً وحين الضرورة قوله كرهن وrehن بضم الراء والهاء جمع رهن قوله وكالفصر أي وقرىء كالفصر بكسر القاف وفتح الصاد جمع قصرة بفتحيتين كحاجة أصله حوجة فقلبت الواو ألفاً وحوج بكسر الحاء وفتح الواو جاء على الأصل مخالفاً للقياس إذ القياس حج بقلب الواو ياء وجاء مفردة على القياس قوله وكالفصر أي وقرىء كالفصر بفتحيتين جمع قصرة بفتحيتين مثل شجر وشجرة.

قوله: (وهي الشجرة الغليظة ويؤيده وقرىء كالفصر بمعنى القصور كرهن وrehن وكالفصر جمع قصرة كحاجة وحوج) وهي أي القصرة أصل العنق أي أصل عنق الإبل أو عنق النخل وفي هذه القراءة الشاذة وجه الشبه الغلظة وفي الأولى العظمة وهما متقاربان.

قوله: (والهاء للشعب) أي في قوله تعالى: ﴿إنها ترمي﴾ [المرسلات: ٣٢]

قوله: وقرىء كالفصر بضميتين جمع قصر كرهن في جمع رهن فعلى هذا لا حاجة في توصيف شرر به إلى التأويل لكون كل منهما جمعاً.

قوله: كحاجة وحوج بكسر الحاء وفتح الواو جمع حاجة وفيه نظر لأنه لا يجيء مثل هذا الجمع إلا ويقلب واؤه ياء وفي الصحاح الحاجة معروفة والجمع حاج وحوج وحواتج على غير قياس كأنهم جمعوا حائجة وكان الأصمعي ينكره ويقول هذا مولد وإنما أنكر لخروجه عن القياس وإلا فهو كثير في كلام العرب.

قوله: والهاء للشعب أي الهاء في أنها راجع إلى الشعب وفي كآنه إلى الشرر باعتبار اللفظ وكذا عن محيي السنة حيث قال كآنه رد الكناية إلى اللفظ قوله والأول تشبيه في العظم قال الإمام شبه الشرر في العظم بالقصر وفي اللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة بالحمالات الصفر ثم قال هذا أولى من قول أبي العلاء:

حمرء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كظفراف

(١) وأما بفتح الشين فليس يجمع ورده بعضهم بأنه جمع أيضاً.

للشعب لا لجهنم على ما قيل لكن لا بأس في كونه لجهنم لدلالة الشعب عليها نعم الظاهر ما ذكره المصنف.

قوله تعالى: **كَأَنَّهُ يَمَلِكُ صَفَرًا** ﴿٣٣﴾

قوله: (جمع جمال أو جمالة جمع جمل) جمع جمال بكسر الجيم كجبال أو جملة لحجارة قوله جمع جمل أي كل واحد من جمال وجمالة جمع جمل وجماليات جمع الجمع وفيه إشارة إلى كثرة الشرر جداً كما نبه على عظمها وغلظتها وسوادها وفيه بيان هولها وفرط شدتها فما ظنكم بالنار التي يخرج الدخان منها فالمراد بيان عظم النار وشدة حرها بحيث لا يعرف كثرتها.

قوله: (فإن الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر) إذ الدخان هواء مختلط بالنار والنار جزؤه ولذلك قال لما فيه من النارية المقيد للجزئية.

قوله: (وقيل سود فإن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة) وفيه نوع خفاء لأن صفرأ لا يدل على السواد لأنهما لونان متضادان فكيف يراد بالصفير السود فأشار إلى وجهه فقال إن سواد الإبل الخ فيكون من ذكر الحال وإرادة المحل مجازاً وقد مر الكلام في سورة البقرة عليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ﴾ [البقرة: ٦٩] مرضه لأنه خلاف الظاهر فإن ما فهم من اللفظ هو كونها صفرأ في بادي النظر وأيضاً التعبير بصفر ليس بأولى من عكسه وأيضاً هما متضادان فلا يجتمعان فهو إما من السواد فقط أو من الصفير فقط والاعتبار للغلبة وقد يكون المركب من اللونين لون آخر فالمختار كونها صفرأ.

قوله: (والأول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة) شروع في بيان الفرق بين التشبيهين ببيان الفرق بين وجهي التشبيه وترك العطف تنبيهاً على استقلال كل من التشبيهين على حياله وتغيير أداة التشبيه له مدخل في ترك العطف واختير في الأول التكاف لأصالتها ولما أريد التشبيه على استقلال التشبيه الثاني عدل عنه إلى لفظ كأنه قوله والكثرة عطف على اللون وهي مستفادة من جمع الجمع إذ الكلام فيه والتتابع أي تتابع بعضها ببعض وكذا الاختلاط.

لأن القصر في المقدار أعظم من الطراف فيلزم منه أن النار التي شرارتها القصر لا تكون إلا مما لا يوصف كثرتها والجماليات أكثر في العدد منه وفيها تصوير الحركة أيضاً ثم كلامه يعني أن ما في التنزيل أكثر تفصيلاً وأبلغ مما في بيت أبي العلاء فيكون أدخل في القول كما نص عليه صاحب المفتاح حيث قال ومن الممكن أن الضمير في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جَمَالَاتٌ﴾ عائد إلى القصر فيذهب به تصوير عجيب وتخيل غريب شبه الشراة حين تنفخ من النار في عظمها بالقصر ثم شبه القصر المشبه به حين يأخذ في الارتفاع والانبساط فإنه حينئذ ينشق عن أعداد لا نهاية لها بالجماليات المتكاثرة فيتصور حينئذ فيها العظم أولاً والانشقاق مع الكثرة والصفرة والحركة المخصوصة ثانياً فيلغ بالتشبيه إلى الدرورة العليا.

قوله: (وقرأ حمزة وحفص والكسائي جمالة) جمع جمل فلا تدل على الكثرة مثل دلالة جمالات عليها ولذا اختار أكثر القراء رواية ﴿جمالات صفر﴾.

قوله: (وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه) جمع جمالة بضم الجيم أيضاً وقد قرئ بها أي بجمالة شبه بها في امتداده وفي الغلظة أيضاً ولم يتعرض لها لأنها مستفادة من التشبيه الأول وفي وصفها بالصفرة خفاء إذ الحبل لا يوصف بالصفرة إلا أن يقال إن المراد بها الحبل المصبوغ بالصفرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٤) ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥)

قوله: (أي بما يستحق) أي بما يستحق أن ينطق به والمراد نفي النطق النافع كالاعتذار وإنما حمل عليه لمناسبته قوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦] فلا يتأني ما ورد من نطقهم بكفوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ تَفْتَنُهم إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا بِمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١] الآية وقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذَا صَالِحاً﴾ [فاطر: ٣٧] الآية وهذا بعد دخول النار فظهر ضعف ما قيل إشارة إلى وقت دخولهم النار أي هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لما أن السؤال والجواب والحساب قد انقضت الخ.

قوله: (فإن النطق بما لا ينفع كلا نطق) لعدم غناؤه ونفعه عن الشيء الموجود شبه بالمعذوم في عدم النفع فالمعني هو النطق النافع لا مطلق النطق لكنه أورد في صورة المطلق لما قاله من أن النطق بما لا ينفع كلا نطق.

قوله: (أو بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواطن) أي لا ينطقون بشيء من فرط الدهشة لكن هذا في بعض المواطن وفي هذا الاحتمال لا يراد عموم الأوقات فلا منافاة أيضاً وفي مثل هذا لا يسلم عموم الأشخاص أيضاً لدفع المناقاة لكنه لا يناسب هنا.

قوله: (وقرئ بنصب اليوم أي هذا الذي ذكر واقع يومئذ) أي معرب منصوب على الظرفية للخبر المقدر أي هذا الذي ذكر من الوعيد بالعذاب الشديد واقع ﴿يوم لا ينطقون﴾ [المرسلات: ٣٥] فهو ظرف حيثئذ وفي القراءة الأولى اسم الظرف لا الظرف وإنما أعرب لإضافته إلى المعرب وبنائه إذا أضيف إلى المبني كيومئذ وهذا مذهب البصريين وعند الكوفيين البناء مطلقاً والتفصيل مر في أواخر المائدة وهذه القراءة من الشواذ وقراءة الرفع متواترة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (٣٦) ﴿وَلَا يُؤْمِنُ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٧)

قوله: (عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الإذن والاعتذار عقبيه مطلقاً) عطف

قوله: عطف ﴿فيعتذرون﴾ [المرسلات: ٣٦] على ﴿يؤذن﴾ [المرسلات: ٣٦] ليدل على نفي الإذن والاعتذار عقبيه فالمعنى ليس لهم إذن يعقبه الاعتذار أي لا إذن ولا اعتذار نحو ولا

على يؤذن فيكون متفياً أيضاً أي فلا يعتذرون ولذا قال ليدل على نفي الإذن الخ قوله عقيه مطلقاً والمراد التعقيب بينهما في الإخبار لا التعقيب في أنفسهما إذ لا يظهر التعقيب بين المعدومين بالعدم الأصلي الأزلي وإنما يكون بين المعدومين بالعدم الظاري على الوجود وهنا ليس كذلك .

قوله : (ولو جعله جواباً لدل على أن عدم اعتذارهم لعدم الإذن) ولو جعله جواباً للنفي بكونه منصوباً بإسقاط النون لدل الخ وجه الدلالة هو أنه لو جعل جواباً لأفاد أن الاعتذار مسبب عن الإذن فلما انتفى السبب انتفى المسبب لانحصار السببية فيه ولذا قال المصنف لدل على أن عدم اعتذارهم الخ أي عدم إذتهم سبب لعدم اعتذارهم كما أن الإذن سبب للاعتذار ويرد عليه أن التعقيب والسببية باعتبار الخير لا باعتبار أنفسهما فالدلالة المذكورة بناء على كون السببية باعتبار أنفسهما وليس كذلك ولعل هذا مراد من قال لا فرق بينهما وإنما قرئ هذا للمحافظة على رؤوس الآي .

قوله : (وأوهم ذلك أن لهم عذراً لكن لم يؤذن لهم فيه) وإنما قال أوهم لأن هذا لا يفهم منه يقيناً وأما قوله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذرتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢] فمن قبيل قوله تعالى : ﴿وَلَا شَفِيعَ يَطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] وقوله تعالى : ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المذثر: ٤٨] أي النفي متوجه إلى القيد والمفيد جميعاً فلا يتأني هذا ذلك ولا حاجة إلى أن يقال فليحمل هذا على قوم وذلك على آخرين بل لا يصح لأن جميع الكفار سواء في ذلك وإثبات الشفاعة لبعضهم وكذا الاعتذار مخالف للقاعدة وأكثر التصوص نعم لو قيل إن المراد إثبات العذر في زعمهم لكان له وجه في الجملة .

قوله تعالى : هَذَا يَوْمُ الْقَصْلِ جَمْعُهُمْ وَالْأَوَّلِينَ

قوله : (بين المحق والمبطل) وكذا بين الحق والباطل وكذا بين الرجل وأقاربه .

تري الضب بها يتحجر أي لا ضب ولا انحجار فمعنى نفي الاعتذار مستفاد من الفاء التعجبية التي أحقها لدالتها على نفي الاستعجاب بالمعطوف عليه في حكم النفي .

قوله : (ولو جعله جواباً لدل الخ أي ولو جعله جواب النفي وقال : فيعتذروا بالنصب بتقدير إن لدل على أن عدم اعتذارهم لعدم الإذن لإفادة الفاء حيثي معنى السبب إذ لا يجوز أن تكون عاطفة حيثي للزوم عطف المفرد على الجملة وفي قوله : لو جعله جواباً أنه يجوز كونه جواباً مع وجود النون وعبرة الكشف أدل منه على المقصود قال : ﴿فيعتذرون﴾ [المرسلات: ٣٦] عطف على ﴿يؤذن﴾ [المرسلات: ٣٦] منخرط في سلك النفي والمعنى ولا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسبباً عن الإذن ولو نصب لكان مسبباً عنه لا محالة على منوال قولك ما تأتينا فتحدثنا بالنصب فإن السببية فيه متعينة قال أبو البقاء ويجوز أن يكون مستأنفاً أي فهم يعتذرون أي إنهم لا ينطقون في بعض المواقف وينطقون في بعضها وليس بجواب النفي إذ لو كان جواباً لحذف النون .

قوله : (تقرير وبيان للفصل) إذ لا فصل بالامتنياز الخارجي بدون الجمع بينهم وهذا هو المراد هنا .

قوله تعالى : فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِذَّبُوا ﴿٣٩﴾

قوله : (تفريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وإظهار لعجزهم) أي الأمر بالكيد للتعجيز وأما كونه تقريراً لهم الخ فمستفاد من أنهم كانوا كذلك في الدنيا كما ذكر في مواضع كثيرة من القرآن ولا يبعد أن يقال إنه من قبيل التعريض وكلمة الفاء للدلالة على أنه مسبب عن الجمع لما عرفت من أن المراد من الفصل فصل الخصومات بين العباد والمعنى فإن كان لكم كيد تدفعون به حقوق الناس كما في الدنيا فكيدون أو تدفعون به العذاب فأظهروا كيدكم وكلمة الشك على زعمهم أو على التهمك .

قوله تعالى : وَإِنْ يَنْهَيْهِ الْمَكِيدِينَ ﴿٤٠﴾

قوله : (إذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب) وهذا يؤيده الترجيح الثاني من أن المعنى ﴿فإن كان لكم كيد﴾ [المرسلات : ٣٩] تدفعون به العذاب عنكم وهذا التعليل بناء على أن المعنى ويل يومئذ مستقر لا يمكن التخلص عنه بوجه للمكذبين فلا شائبة التكرار أصلاً وهذا المعنى لوقوعه عقب قوله : ﴿فإن كان لكم كيد﴾ [المرسلات : ٣٩] الخ .

قوله تعالى : إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾

قوله : (من الشرك لأنهم في مقابلة المكذبين) أي المراد بالتقوى المرتبة الأولى وهي التجنب عن الشرك بقرينة وقوعه في مقابلة المكذبين فيتناول عصاة الموحدين وإن كان التفاوت بين درجاتهم وثوابهم قدم في ظلال لمناسبته قوله : ﴿انطلقوا إلى ظل﴾ [المرسلات : ٣٠] الآية وقد مر أن المراد بالظل ما يشبه الظل والظرفية مجازية .

قوله تعالى : وَفَوَكَهَهُمْ بَنَاتُ الْعَذَىٰ ﴿٤٢﴾

قوله : (مستقرون في أنواع الترفه) إشارة إلى وجه التعبير بالظرف وأنه خبر أن وتأكيده الحكم لكمال العناية به قوله في أنواع الترفه إشارة إلى أن المراد جميع أنواع الترفه مجازاً ويحتمل أن يكون أنواع الترفه المذكورة من الترفه بالظل وأخويه .

قوله تعالى : كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنَاتٍ بِمَا كُفَرْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

قوله : (أي مقولاً لهم ذلك) نبه به على أن كلوا الخ حال من الضمير في الظرف المستقر الراجع إلى المتقين ولا يقع الإنشاء حالاً إلا بالتأويل ولذا قال أي مقولاً لهم وأيضاً لا ارتباط بدون تقدير القول .

قوله تعالى: **إِنَّا كَذَّبُكَ بَحْرَىٰ لِلْحَسِينِ** ﴿٤٤﴾

قوله: (في العقيدة) فسر به ليعم جميع المؤمنين ليكون على وفق ما فسر به المتقين فيكون إشارة في الموضوعين إلى رد المعتزلة القائلين بخلود عصاة الموحدين.

قوله تعالى: **وَلَّيْ يُوْهِدُ لِلْمُكَذِّبِينَ** ﴿٤٥﴾

قوله: (تمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد) فسر به دفعاً لتوهم التكرار وإشارة إلى ارتباطه بما قبله إذ ذكر الوعيد عقيب ذكر النعمة للإشارة إلى أن المكذبين محرومون من هذه النعمة لأنهم متمحضون في العذاب المخلد كما أن خصومهم فائزون بالثواب المؤبد.

قوله تعالى: **كُلُوا وَشَبَّوْا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْزَمُونَ** ﴿٤٦﴾

قوله: (حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيراً لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من إثارة المتاع القليل على النعيم المقيم) تذكيراً لهم جواب سؤال مقدر بأنه كيف يقال ذلك في الآخرة مع أنهم لا يأكلون ولا يشربون فأشار إلى الجواب بأنه إنما يقال ذلك لأنهم يأكلون ويشربون في الآخرة بل تذكيراً لهم لحالهم في الدنيا من حب العاجلة وترك الآخرة فيكون الأمر بفرض أنه قيل لهم في الدنيا ذلك كذا قيل وهذا حسن في نفسه لكنه لا يلائم كونه حالاً من الضمير في المكذبين أي ويل يومئذ للمكذبين مقولاً ﴿كُلُوا وَشَبَّوْا﴾ [المرسلات: ٤٦] الآية فالظاهر أنه أمر يقال لهم في الآخرة قوله ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك الخ ظاهر فيما ذكرناه غاية الأمر إن الأمر للتعجيز والتوبيخ^(١) وفائدته تذكير حالهم في الدنيا كان يقال لرجل فعل في الزمان

قوله: في العقيدة قيد الإحسان بقوله في العقيدة لأنه واقع في مقابلة تكذيب الكفار والتكذيب فساد العقيدة فكان ذلك قرينة لصرف الإحسان في مقابلتهم إلى الإحسان في الاعتقاد.

قوله: أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيراً بحالهم في الدنيا قوله تذكيراً مفعول له ليقال في قوله في حال ما يقال لهم ذلك وفائدة تعليقه به حل شبهة ترد على تقييد ثبوت الويل لهم يوم القيامة بمفهوم هذه الحال لأن زمان هذا القول إنما هو زمان الدنيا وما معنى لأن يقال لهم يوم القيامة ﴿ويل﴾ [المرسلات: ١٩] ثابت ﴿يومئذ للمكذبين﴾ [المرسلات: ١٩] مقولاً في حقهم ﴿كُلُوا وَشَبَّوْا قَلِيلًا﴾ [المرسلات: ٤٦] وحاصل الحل أن المقصود من قول الملائكة ذلك القول لهم في ذلك اليوم تذكير لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا الخ وفي الكشف فإن قلت كيف يصح أن يقال لهم ذلك في الآخرة قلت يقال لهم ذلك في الآخرة إيداعاً بأنهم كانوا في الدنيا أحقأ بأن يقال لهم وكانوا من أهله تذكيراً بحالهم السمجة وبما جنوا على أنفسهم من إثارة المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله:

إخوتني لا تبععدوا أبداً وبلى والله قد بععدوا

(١) وأشار صاحب الكشف إلى توجيه آخر وهو كون المعنى أحقأ بأن يقال لهم ذلك.

الماضي أمراً ثم عجز عن ذلك افعِل ما فعلت في الزمان الماضي تعجيزاً وتوبيخاً وتحزناً فالغرض من هذا الأمر تعذيب الكفار بعذاب روحاني ولم يلتفت إلى كونه استئنافاً خطاباً للمكذِبين في الدنيا لعدم ارتباط أطراف الكلام حينئذٍ لكن يعارضه كون الكلام على ظاهره وأشار صاحب الكشاف إلى الارتباط بقوله ويجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً خطاباً للمكذِبين في الدنيا إثر بيان حالهم في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٧)

قوله: (حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل) تعليل لكون الويل للمكذِبين لكن الظاهر كونه تعليلاً لكونهم مجرمين فلو ذكره قبل قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٤٧] لكان أمس بالمram ويؤيده ما في الكشاف من أن قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ مَجْرُمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٦] تعليل لما تقدمه يدل على أن كل مجرم نهايته تمتع أيام قليل بالأكل ثم يبقى في عذاب وهلاك أبداً.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ (٤٨)

قوله: (أطيعوا واخضعوا أو صلوا أو اركعوا في الصلاة) أطيعوا واخضعوا هذا لازم المعنى فإن الركوع يستلزم الإطاعة والخضوع فهو المراد هنا لعمومه جميع المبررات أو صلوا مجاز مرسل بذكر الجزء وإرادة الكل وفي الأول مجاز مرسل بذكر الجزئي وإرادة الكلّي أو اركعوا في الصلاة أي أو المراد معنى حقيقي آخره لأن الأولين عامان له فيكون أفيد وفي الذم أبلغ.

قوله: (إذ روي أنه نزل حين أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثقفاً بالصلاة) رواه أبو داود والطبراني وغيرهما كما قيل وهذا إما أن يتصل بقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٤٧] أي للذين كذبوا وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فيكون من عطف الصفة على الصفة أو بقوله: ﴿إِنَّكُمْ مَجْرُمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٦] على الالتفات كأنه قيل هم أحقاء بأن يقال لهم كلوا وتمتعوا ثم علله بقوله: ﴿إِنَّكُمْ مَجْرُمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٦] وكونه إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون والأول هو الظاهر لأن التوسط بين العلتين ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٤٧] لا وجه له معتداً به وأيضاً هذا داخل في الاجرام.

حاصل السؤال أن الأمر بقوله: ﴿كلوا وتمتعوا﴾ [المرسلات: ٤٦] أمر تحسيري وتهديدي بترك الحظ الكبير إلى القدر اليسير وذلك إنما يتصور في الدنيا وينفع فيها وحاصل الجواب أنه على طريقة قوله إخواني لا تبعدوا فهو دعاء لهم بعدم الهلاك بعد هلاكهم تقريراً بأنهم كانوا أحقاء بالدعاء عليهم فكذلك هؤلاء يقال لهم: ﴿كلوا وتمتعوا﴾ [المرسلات: ٤٦] تذكيراً لما كان يقال لهم في الدنيا ولما كانوا أحقاء بأن يخاطبوا به فيفيد التحسير وأما التهديد فلا لأن التهديد غير مقصود في الآخرة.

قوله: (فقالوا لا نجيب) من التجيبة بالجيم والباء الموحدة وهي الانحناء على هيئة الرাকع والساجد وهو رواية صحيحة ووقع في بعض النسخ لا ننحني بنونات وحاء مهملة والمأل واحد.

قوله: (فإنها مسبة) أي هيئة التجيبة هيئة تظهر فيها السبب وهو الاست والدبر وفي التيسير فقالوا لا ننحني فقلنا استأثنا فقال عليه السلام «لا خير في دين لا يكون فيه ركوع ولا سجود» وقيل مسيبة أي عار يستحق فاعله السب والشتم كما في قولهم الولد مجبنة انتهى أي قولهم مسيبة بوزن مجبنة بفتح الميم وسكون السين وبعده باءان مفتوحتان من السبة بضم السين وهي التي يلحق بفعلها عار ويستحق السب والشتم.

قوله: (وقيل يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون) كشفاً لحالهم ولذا قال فلا يستطيعون ولم يقل فلا يمثلون إذ الامتثال ليس بمطلوب لانقضاء دار التكليف أخره لأن الأمر يتبادر منه التكليف.

قوله: (لا يمثلون واستدل به على أن الأمر للوجوب وإن الكفار مخاطبون بالفروع) لا يمثلون اختيار المعنى الأول وعن هذا قال والكفار مخاطبون بالفروع وإن الأمر للوجوب أي الأمر حقيقة في الوجوب مجاز في غيره وهذا كله بناء على الاحتمال الأول وإن الأمر في الاحتمال الثاني للتعجيز لا للوجوب لما عرفت أنه لا تكليف في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿قِيَائِي حَبِطَ بَعْدَهُمْ يَقُونُونَ﴾

قوله: (بعده أي بعد القرآن إذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال عليه السلام من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين) أي بعد القرآن تُثَقِّفُهُم من المقام وإن لم يذكر القرآن صريحاً والبعيدة في مثله رتبة قالوا إنه على أسلوب بعد ذلك تنبيهاً على أنه لا حديث يساويه في الفضل والشرف أو يدانيه فضلاً عن أن يفوقه ويعلموه فلا حديث أحق منه بالإيمان وإلى ذلك أشار المص بقوله وهو معجز في ذاته الخ وما رواء حديث موضوع الحمد لله الذي وفقنا لإتمام ما يتعلق بالمرسلات . والصلاة والسلام على أفضل من أوتي أبهر المعجزات . وعلى آله وأصحابه الذين أحرزوا أعلى الكرامات . تمت وقت الضحى من يوم الأحد في جمادى الآخرة في سنة ١١٩٢.

تم الجزء التاسع عشر

ويليه الجزء العشرون وأوله: سورة النبأ

قوله: فقالوا لا نجيب بالجيم والباء الموحدة التحتانية من التجيبة وهي أن يقوم الإنسان قيام الرাকع وفي حديث ابن مسعود في ذكر القيامة حين ينفخ في الصور قال فيقومون يجبون تجيبة رجل واحد قياماً لرب العالمين قال أبو عبيدة التجيبة تكون في حالين أحدهما أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم والوجه الآخر أن يتكب على وجهه باركاً وهو السجود تمت السورة الحمد لله على جزيل إفضاله . والصلاة على النبي وآله . اللهم مستعيناً بك أشرح وأقول.

فهرس المحتويات

| سورة الممتحنة | سورة الحشر |
|--------------------------|------------------------|
| الآية : ١ ٤٠ | الآية : ١ ٣ |
| الآية : ٢ ٤٦ | الآية : ٢ ٤ |
| الآية : ٣ ٤٨ | الآية : ٣ ٩ |
| الآية : ٤ ٤٩ | الآية : ٤ ، ٥ ١٠ |
| الآية : ٥ ، ٦ ٥٤ | الآية : ٦ ١٣ |
| الآية : ٧ - ٩ ٥٦ | الآية : ٧ ١٥ |
| الآية : ١٠ ٥٧ | الآية : ٨ ١٦ |
| الآية : ١١ ٦٠ | الآية : ٩ ١٨ |
| الآية : ١٢ ٦٢ | الآية : ١٠ ٢٢ |
| الآية : ١٣ ٦٤ | الآية : ١١ ٢٣ |
| | الآية : ١٢ ٢٤ |
| سورة الصف | الآية : ١٣ ٢٥ |
| الآية : ١ ، ٢ ٦٦ | الآية : ١٤ ٢٦ |
| الآية : ٣ ٦٧ | الآية : ١٥ ٢٨ |
| الآية : ٤ ، ٥ ٦٨ | الآية : ١٦ ٢٩ |
| الآية : ٦ ٧٠ | الآية : ١٧ ٣٠ |
| الآية : ٧ ، ٨ ٧٢ | الآية : ١٨ ٣١ |
| الآية : ٩ ٧٣ | الآية : ١٩ ٣٢ |
| الآية : ١٠ ، ١١ ٧٤ | الآية : ٢٠ ٣٣ |
| الآية : ١٢ ٧٥ | الآية : ٢١ ٣٤ |
| الآية : ١٣ ٧٦ | الآية : ٢٢ ٣٥ |
| الآية : ١٤ ٧٨ | الآية : ٢٣ ٣٦ |
| | الآية : ٢٤ ٣٨ |
| سورة الجمعة | |
| الآية : ١ ، ٢ ٨١ | |

سورة الطلاق

| | |
|-----------|-----------------|
| ١٢٤ | الآية : ١ |
| ١٣٠ | الآية : ٢ |
| ١٣١ | الآية : ٣ |
| ١٣٤ | الآية : ٤ |
| ١٣٨ | الآية : ٥ |
| ١٣٩ | الآية : ٦ |
| ١٤١ | الآية : ٧ |
| ١٤٢ | الآيات : ٨ - ١٠ |
| ١٤٣ | الآية : ١١ |
| ١٤٦ | الآية : ١٢ |

سورة التحريم

| | |
|-----------|------------------|
| ١٤٩ | الآية : ١ |
| ١٥١ | الآية : ٢ |
| ١٥٣ | الآية : ٣ |
| ١٥٥ | الآية : ٤ |
| ١٥٩ | الآية : ٥ |
| ١٦١ | الآية : ٦ |
| ١٦٣ | الآية : ٧ |
| ١٦٤ | الآية : ٨ |
| ١٦٧ | الآيتان : ٩ ، ١٠ |
| ١٦٨ | الآية : ١١ |
| ١٧٠ | الآية : ١٢ |

سورة الملك

| | |
|-----------|-----------|
| ١٧٤ | الآية : ١ |
| ١٧٧ | الآية : ٢ |
| ١٨٣ | الآية : ٣ |
| ١٨٦ | الآية : ٤ |
| ١٨٧ | الآية : ٥ |
| ١٨٩ | الآية : ٦ |

| | |
|----------|-----------------|
| ٨٣ | الآية : ٣ |
| ٨٤ | الآيتان : ٤ ، ٥ |
| ٨٥ | الآية : ٦ |
| ٨٦ | الآيتان : ٧ ، ٨ |
| ٨٨ | الآية : ٩ |
| ٩٠ | الآية : ١٠ |
| ٩١ | الآية : ١١ |

سورة المنافقين

| | |
|-----------|-----------------|
| ٩٥ | الآية : ١ |
| ٩٨ | الآية : ٢ |
| ٩٩ | الآية : ٣ |
| ١٠٠ | الآية : ٤ |
| ١٠٣ | الآيتان : ٥ ، ٦ |
| ١٠٤ | الآيتان : ٧ ، ٨ |
| ١٠٧ | الآية : ٩ |
| ١٠٨ | الآية : ١٠ |
| ١١٠ | الآية : ١١ |

سورة التغابن

| | |
|-----------|-------------------|
| ١١١ | الآية : ١ |
| ١١٢ | الآية : ٢ |
| ١١٣ | الآيتان : ٣ ، ٤ |
| ١١٥ | الآيتان : ٥ ، ٦ |
| ١١٦ | الآية : ٧ |
| ١١٧ | الآيتان : ٨ ، ٩ |
| ١١٨ | الآية : ١٠ |
| ١١٩ | الآيتان : ١١ ، ١٢ |
| ١٢٠ | الآيتان : ١٣ ، ١٤ |
| ١٢١ | الآيتان : ١٥ ، ١٦ |
| ١٢٢ | الآية : ١٧ |
| ١٢٣ | الآية : ١٨ |

| | | | |
|-----------|------------------|-----------|------------------|
| ٢٣٤ | الآيات : ٢٠ - ٢٢ | ١٩٠ | الآية : ٧ |
| ٢٣٥ | الآيات : ٢٣ - ٢٥ | ١٩١ | الآية : ٨ |
| ٢٣٧ | الآيات : ٢٦ ، ٢٧ | ١٩٣ | الآية : ٩ |
| ٢٣٨ | الآيات : ٢٨ ، ٢٩ | ١٩٥ | الآية : ١٠ |
| ٢٣٩ | الآيات : ٣٠ - ٣٢ | ١٩٦ | الآية : ١١ |
| ٢٤٠ | الآيات : ٣٣ ، ٣٤ | ١٩٨ | الآية : ١٢ |
| ٢٤١ | الآيات : ٣٥ - ٣٨ | ١٩٩ | الآيات : ١٣ ، ١٤ |
| ٢٤٣ | الآية : ٣٩ | ٢٠٢ | الآية : ١٥ |
| ٢٤٤ | الآيات : ٤٠ ، ٤١ | ٢٠٤ | الآية : ١٦ |
| ٢٤٥ | الآية : ٤٢ | ٢٠٥ | الآيات : ١٧ ، ١٨ |
| ٢٤٨ | الآيات : ٤٣ ، ٤٤ | ٢٠٦ | الآية : ١٩ |
| ٢٤٩ | الآيات : ٤٥ - ٤٩ | ٢٠٧ | الآية : ٢٠ |
| ٢٥٠ | الآية : ٥٠ | ٢١٠ | الآيات : ٢١ ، ٢٢ |
| ٢٥١ | الآية : ٥١ | ٢١٣ | الآية : ٢٣ |
| ٢٥٣ | الآية : ٥٢ | ٢١٤ | الآيات : ٢٤ - ٢٧ |

سورة الحاقة

| | |
|-----------|------------------|
| ٢٥٥ | الآية : ١ |
| ٢٥٧ | الآيات : ٢ ، ٣ |
| ٢٥٨ | الآيات : ٤ ، ٥ |
| ٢٥٩ | الآية : ٦ |
| ٢٦٠ | الآية : ٧ |
| ٢٦٢ | الآية : ٨ |
| ٢٦٣ | الآيات : ٩ - ١١ |
| ٢٦٤ | الآية : ١٢ |
| ٢٦٥ | الآية : ١٣ |
| ٢٦٧ | الآيات : ١٤ ، ١٥ |
| ٢٦٨ | الآيات : ١٦ ، ١٧ |
| ٢٦٩ | الآية : ١٨ |
| ٢٧١ | الآية : ١٩ |
| ٢٧٢ | الآية : ٢٠ |

سورة ن

| | |
|-----------|------------------|
| ٢١٩ | الآية : ١ |
| ٢٢٣ | الآية : ٢ |
| ٢٢٤ | الآية : ٣ |
| ٢٢٥ | الآيات : ٤ - ٦ |
| ٢٢٦ | الآيات : ٧ ، ٨ |
| ٢٢٧ | الآية : ٩ |
| ٢٢٨ | الآيات : ١٠ - ١٣ |
| ٢٢٩ | الآيات : ١٤ ، ١٥ |
| ٢٣١ | الآيات : ١٦ ، ١٧ |
| ٢٣٢ | الآية : ١٨ |
| ٢٣٣ | الآية : ١٩ |

| | | | |
|------------------|-----|-------------------|-----|
| الآيات : ٢١ - ٢٣ | ٢٧٣ | الآيتان : ٢٣ ، ٢٤ | ٣٠٧ |
| الآيات : ٢٤ - ٢٧ | ٢٧٤ | الآيات : ٢٥ - ٢٧ | ٣٠٨ |
| الآية : ٢٨ | ٢٧٥ | الآيات : ٢٨ - ٣٢ | ٣٠٩ |
| الآيات : ٢٩ - ٣١ | ٢٧٦ | الآيات : ٣٣ - ٣٥ | ٣١٠ |
| الآية : ٣٢ | ٢٧٧ | الآيات : ٣٦ - ٣٨ | ٣١١ |
| الآية : ٣٣ | ٢٧٨ | الآية : ٣٩ | ٣١٢ |
| الآية : ٣٤ | ٢٧٩ | الآيتان : ٤٠ ، ٤١ | ٣١٣ |
| الآيات : ٣٥ - ٣٧ | ٢٨٠ | الآيتان : ٤٢ ، ٤٣ | ٣١٤ |
| الآيات : ٣٨ - ٤٠ | ٢٨١ | الآية : ٤٤ | ٣١٥ |

سورة نوح

| | | | |
|------------------|-----|-----------------|-----|
| الآية : ١ | ٢٨٢ | الآية : ١ | ٣١٦ |
| الآيات : ٤٤ ، ٤٣ | ٢٨٣ | الآيتان : ٢ ، ٣ | ٣١٨ |
| الآيات : ٤٥ - ٤٧ | ٢٨٤ | الآية : ٤ | ٣١٩ |
| الآيات : ٤٨ - ٥١ | ٢٨٥ | الآيات : ٥ - ٧ | ٣٢١ |
| الآية : ٥٢ | ٢٨٦ | | |

سورة المعارج

| | | | |
|-------------------|-----|-------------------|-----|
| الآية : ١ | ٢٨٧ | الآيات : ٨ ، ٩ | ٣٢٣ |
| الآية : ٢ | ٢٨٩ | الآية : ١٠ | ٣٢٤ |
| الآية : ٣ | ٢٩٠ | الآيات : ١١ - ١٣ | ٣٢٦ |
| الآية : ٤ | ٢٩١ | الآية : ١٤ | ٣٢٨ |
| الآية : ٥ | ٢٩٤ | الآيتان : ١٥ ، ١٦ | ٣٢٩ |
| الآية : ٦ | ٢٩٥ | الآيتان : ١٧ ، ١٨ | ٣٣٠ |
| الآيتان : ٧ ، ٨ | ٢٩٦ | الآيتان : ١٩ ، ٢٠ | ٣٣١ |
| الآيتان : ٩ ، ١٠ | ٢٩٧ | الآيتان : ٢١ ، ٢٢ | ٣٣٢ |
| الآية : ١١ | ٢٩٨ | الآية : ٢٣ | ٣٣٣ |
| الآية : ١٢ | ٢٩٩ | الآية : ٢٤ | ٣٣٤ |
| الآيتان : ١٣ ، ١٤ | ٣٠٠ | الآية : ٢٥ | ٣٣٥ |
| الآيتان : ١٥ ، ١٦ | ٣٠١ | الآية : ٢٦ | ٣٣٦ |
| الآية : ١٧ | ٣٠٢ | الآيتان : ٢٧ ، ٢٨ | ٣٣٧ |

سورة الجن

| | | | |
|------------------|-----|-----------|-----|
| الآيات : ١٨ - ٢١ | ٣٠٤ | الآية : ١ | ٣٣٩ |
| الآية : ٢٢ | ٣٠٦ | الآية : ٢ | ٣٤١ |

| | | | |
|-----------|-----------------|-----------|---------------|
| ٣٩١ | الآيات: ١٥ - ١٧ | ٣٤٢ | الآية: ٣ |
| ٣٩٣ | الآيات: ١٨ ، ١٩ | ٣٤٤ | الآية: ٤ |
| ٣٩٤ | الآية: ٢٠ | ٣٤٥ | الآيات: ٥ ، ٦ |

سورة المدثر

| | | | |
|-----------|-----------------|-----------|-----------------|
| ٤٠٠ | الآية: ١ | ٣٤٦ | الآية: ٧ |
| ٤٠٣ | الآية: ٢ | ٣٤٧ | الآية: ٨ |
| ٤٠٤ | الآية: ٣ | ٣٤٨ | الآية: ٩ |
| ٤٠٥ | الآية: ٤ | ٣٤٩ | الآيات: ١٠ ، ١١ |
| ٤٠٦ | الآيات: ٥ ، ٦ | ٣٥٠ | الآية: ١٢ |
| ٤٠٩ | الآية: ٧ | ٣٥١ | الآية: ١٣ |
| ٤١٠ | الآية: ٨ | ٣٥٢ | الآية: ١٤ |
| ٤١١ | الآيات: ٩ ، ١٠ | ٣٥٣ | الآيات: ١٥ ، ١٦ |
| ٤١٢ | الآية: ١١ | ٣٥٤ | الآية: ١٧ |
| ٤١٣ | الآية: ١٢ | ٣٥٥ | الآية: ١٨ |
| ٤١٤ | الآيات: ١٣ ، ١٤ | ٣٥٧ | الآية: ١٩ |
| ٤١٥ | الآيات: ١٥ ، ١٦ | ٣٥٩ | الآيات: ٢٠ ، ٢١ |
| ٤١٦ | الآية: ١٧ | ٣٦٠ | الآيات: ٢٢ ، ٢٣ |
| ٤١٧ | الآية: ١٨ | ٣٦٣ | الآية: ٢٤ |
| ٤١٨ | الآية: ١٩ | ٣٦٤ | الآيات: ٢٥ ، ٢٦ |
| ٤٢٠ | الآية: ٢٠ | ٣٦٥ | الآية: ٢٧ |
| ٤٢١ | الآيات: ٢١ - ٢٤ | ٣٦٧ | الآية: ٢٨ |

سورة المزمل

| | | | |
|-----------|-----------------|-----------|-----------------|
| ٤٢٢ | الآيات: ٢٥ - ٢٨ | ٣٧٠ | الآية: ١ |
| ٤٢٣ | الآيات: ٢٩ ، ٣٠ | ٣٧٣ | الآيات: ٢ - ٤ |
| ٤٢٦ | الآية: ٣١ | ٣٧٨ | الآية: ٥ |
| ٤٣١ | الآية: ٣٢ | ٣٨٠ | الآية: ٦ |
| ٤٣٢ | الآيات: ٣٣ - ٣٥ | ٣٨٤ | الآيات: ٧ ، ٨ |
| ٤٣٣ | الآية: ٣٦ | ٣٨٦ | الآيات: ٩ ، ١٠ |
| ٤٣٤ | الآيات: ٣٧ ، ٣٨ | ٣٨٧ | الآية: ١١ |
| ٤٣٥ | الآيات: ٣٩ ، ٤٠ | ٣٨٨ | الآيات: ١٢ ، ١٣ |
| ٤٣٦ | الآيات: ٤١ ، ٤٢ | ٣٩٠ | الآية: ١٤ |

| | | | |
|-----------|-----------------|-----------|-----------------|
| ٤٧٦ | الآيات: ٤٣ - ٤٦ | ٤٣٧ | الآيات: ٤، ٥ |
| ٤٧٧ | الآيات: ٤٧ - ٥٠ | ٤٣٨ | الآية: ٦ |
| ٤٧٨ | الآيات: ٥١ - ٥٣ | ٤٣٩ | الآية: ٧ |
| ٤٧٩ | الآيات: ٥٤ - ٥٦ | ٤٤٠ | الآية: ٨ |
| ٤٨٠ | | | الآية: ٩ |
| ٤٨١ | | | الآية: ١٠ |
| ٤٨٢ | | | الآية: ١١ |
| ٤٨٣ | | | الآيات: ١٢، ١٣ |
| ٤٨٤ | | | الآية: ١٤ |
| ٤٨٦ | | | الآيات: ١٥، ١٦ |
| ٤٨٨ | | | الآيات: ١٧، ١٨ |
| ٤٨٩ | | | الآية: ١٩ |
| ٤٩٠ | | | الآية: ٢٠ |
| ٤٩١ | | | الآية: ٢١ |
| ٤٩٥ | | | الآيات: ٢٢ - ٢٤ |
| ٤٩٧ | | | الآية: ٢٥ |
| ٤٩٨ | | | الآية: ٢٦ |
| ٤٩٩ | | | الآية: ٢٧ |
| ٥٠٠ | | | الآية: ٢٨ |
| ٥٠١ | | | الآية: ٢٩ |
| ٥٠٢ | | | الآية: ٣٠ |
| ٥٠٣ | | | الآية: ٣١ |

سورة المرسلات

| | |
|-----------|-----------------|
| ٥٠٤ | الآيات: ١ - ٥ |
| ٥٠٩ | الآية: ٦ |
| ٥١٠ | الآيات: ٧ - ١٠ |
| ٥١١ | الآية: ١١ |
| ٥١٢ | الآية: ١٢ |
| ٥١٣ | الآيات: ١٣ - ١٥ |
| ٥١٤ | الآيات: ١٦، ١٧ |
| ٥١٥ | الآيات: ١٨، ١٩ |

سورة القيامة

| | |
|-----------|-----------------|
| ٤٤٢ | الآية: ١ |
| ٤٤٤ | الآية: ٢ |
| ٤٤٥ | الآية: ٣ |
| ٤٤٦ | الآية: ٤ |
| ٤٤٧ | الآية: ٥ |
| ٤٤٨ | الآيات: ٦ - ٩ |
| ٤٥٠ | الآيات: ١٠، ١١ |
| ٤٥١ | الآيات: ١٢، ١٣ |
| ٤٥٢ | الآية: ١٤ |
| ٤٥٣ | الآية: ١٥ |
| ٤٥٤ | الآيات: ١٦ - ١٩ |
| ٤٥٦ | الآيات: ٢٠، ٢١ |
| ٤٥٧ | الآيات: ٢٢، ٢٣ |
| ٤٥٩ | الآية: ٢٤ |
| ٤٦٠ | الآيات: ٢٥ - ٢٧ |
| ٤٦١ | الآيات: ٢٨، ٢٩ |
| ٤٦٢ | الآيات: ٣٠، ٣١ |
| ٤٦٣ | الآيات: ٣٢، ٣٣ |
| ٤٦٤ | الآيات: ٣٤، ٣٥ |
| ٤٦٥ | الآيات: ٣٦، ٣٧ |
| ٤٦٦ | الآيات: ٣٨ - ٤٠ |

سورة الإنسان

| | |
|-----------|----------|
| ٤٦٧ | الآية: ١ |
| ٤٧٠ | الآية: ٢ |
| ٤٧٤ | الآية: ٣ |

| | | | |
|-----------|-------------------|-----------|-------------------|
| ٥٢٤ | الآيات : ٣٤ - ٣٧ | ٥١٦ | الآيات : ٢٠ - ٢٤ |
| ٥٢٥ | الآية : ٣٨ | ٥١٧ | الآيتان : ٢٥ ، ٢٦ |
| ٥٢٦ | الآيات : ٣٩ - ٤٣ | ٥١٩ | الآيات : ٢٧ - ٢٩ |
| ٥٢٧ | الآيات : ٤٤ - ٤٦ | ٥٢٠ | الآية : ٣٠ |
| ٥٢٨ | الآيتان : ٤٧ ، ٤٨ | ٥٢١ | الآيتان : ٣١ ، ٣٢ |
| ٥٢٩ | الآيتان : ٤٩ ، ٥٠ | ٥٢٣ | الآية : ٣٣ |